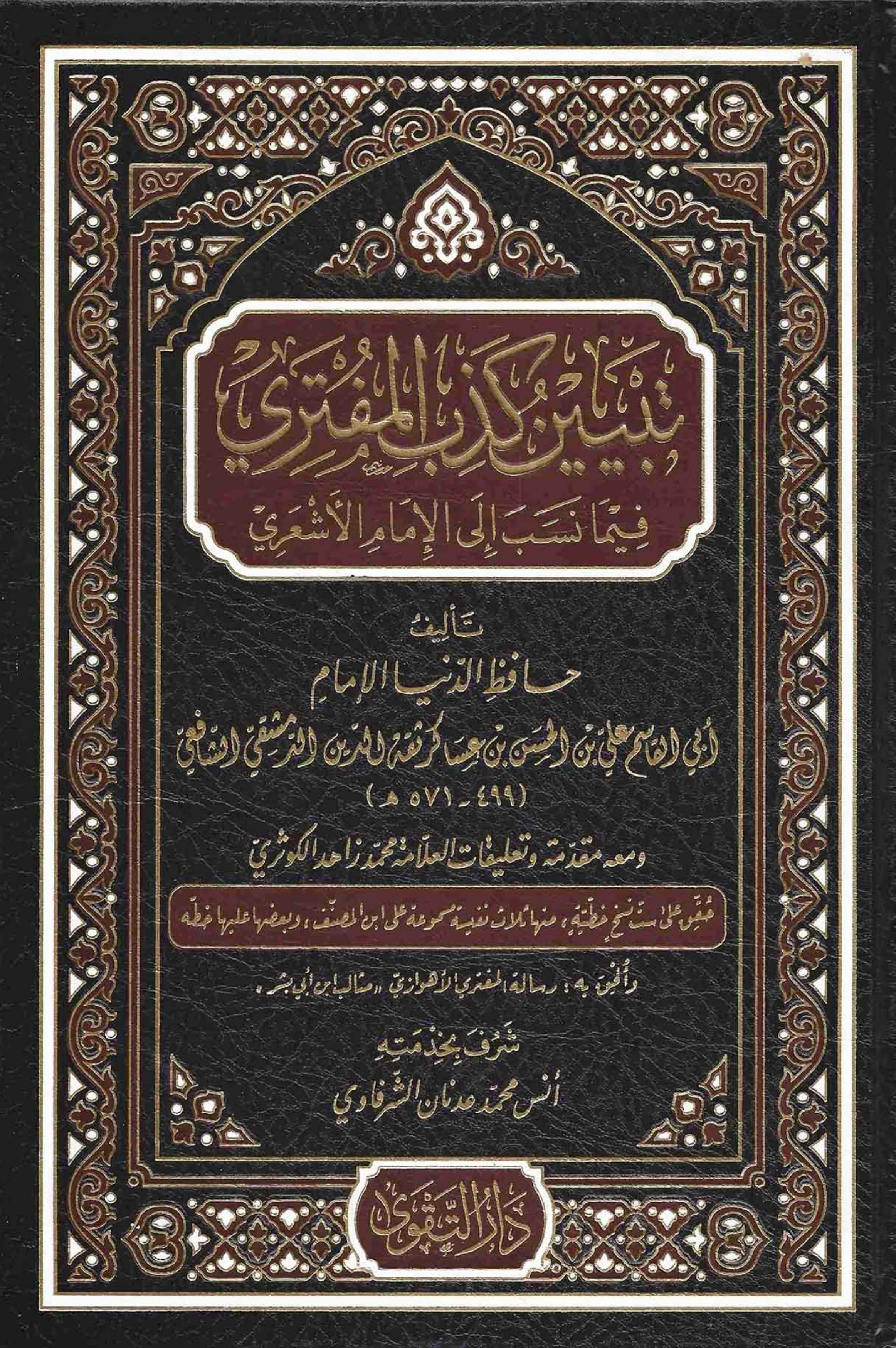


تبيين كذب المفتري
فيما نسب إلى الإمام الأشعري
تأليف
حافظ الدنيا الإمام
أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر ثقة الدين الدمشقي الشافعي
(٤٩٩ - ٥٧١ هـ)
ومعه مقدمة وتعليقات العلامة محمد زاهد الكوثري
حُقِّق على ستِّ نسخٍ خطيَّةٍ، منها ثلاثٌ نفيسةٌ مسموعةٌ على ابن المصنِّف، وبعضها عليها خطُّه
وأُلحِقَ به: رسالة المفتري الأهوازي «مثالب ابن أبي بشر»
شرف بخدمته
أنس محمد عدنان الشرقاوي
دار التقوى

تبيين كذب المفتري

فيما نسب إلى الإمام الأشعري

تأليف

حافظ الدنيا الإمام

أبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر ثقة الدين الدمشقي الشافعي

(٤٩٩ - ٥٧١ هـ)

ومعه مقدمة وتعليقات العلامة محمد زاهد الكوثري

حُقق على ست نسخ خطية، منها ثلاث نفيسة مسموعة على ابن المصنف، وبعضها عليها خطه

وأُلحق به: رسالة المفتري الأهوازي «مثالب ابن أبي بشر»

شَرُفَ بخدمته

أنس محمد عدنان الشرفاوي

دار التقوى



الكتاب : تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري

المؤلف : الحافظ ابن عساكر الدمشقي

الطبعة الأولى : ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

الرقم الدولي : ISBN : 978-9933-610-11-1

9 789933 610111

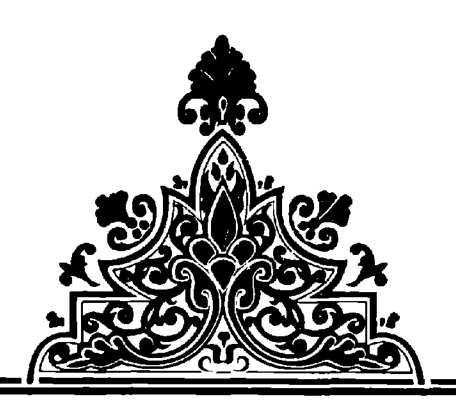


سورية - دمشق - حلبوني

هاتف : ٢٢١٥٤٦٤ ١١ ٩٦٣+ / ص . ب : ٣٠٧٢١

جوال : ٩٣٣٢٠٦٠٠٧ ٩٦٣+ / ٩٤١٩٤٤٣٨٧ ٩٦٣+

daraltaqwa.pu@gmail.com



قالوا في الحافظ ابن عساكر:

• حافظ الشام، بل هو حافظ الدنيا، الإمام مطلقاً، الثقة الثبت.

الإمام النووي

• ما من أشعري إلا وللأشعري عليه منة، إلا الحافظ ابن عساكر؛ فإن له على الأشعري منة.

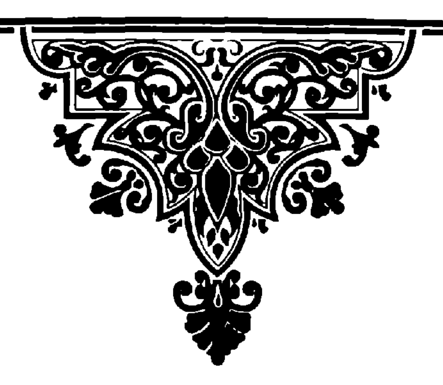
العلامة الحافظ البلبي

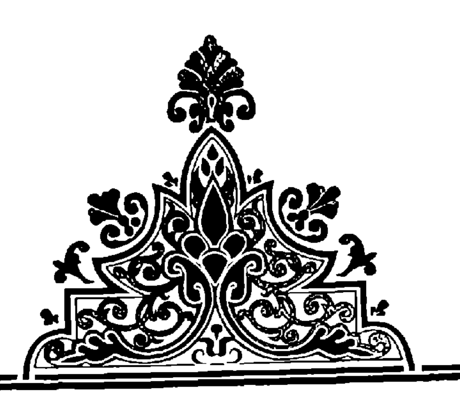
• ابن عساكر ما رأى حافظاً مثل نفسه.

الحافظ المزي

• فخر الشافعية، وإمام أهل الحديث في زمانه، وحامل لوائهم.

الحافظ ابن كثير





قالوا في «تبيين كذب المفتري» :

• لو لم يكن للحافظ ابن عساكر من المنة على الأشعري إلا هذا الكتاب.. لكفى به .

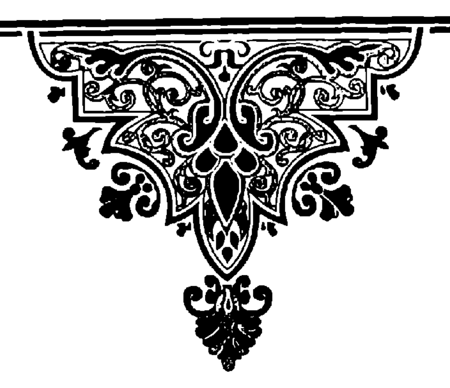
العلامة الحافظ الذهبي

• كتاب نافع ، يحتاج إلى الوقوف عليه كل فاضل بارع .

الحافظ ابن كثير

• كل سني لا يكون عنده كتاب «التبيين» لابن عساكر فليس من أمر نفسه على بصيرة .

الإمام ابن السبكي



بين يدي الكتاب
الحافظ ابن عساكر
إمام الأئمة ونادرة الأمة

حَنانيكَ مولانا ، لا ناصرَ لنا ولا معينَ إلا أنت ، لك الحمدُ علىٰ ما نعَّمتنا بكلمتك العليا **لا إلـٰه إلا الله** ، وبما هديتنا بنعمتِكَ العظمىٰ سيِّدِنا ومولانا **محمد رسول الله** ، صلِّ ربَّنا عليه صلاةً وسلاماً تُدخِلُ بهما علىٰ قلبه الشريفِ زيادةً من البهجة والسرور ، وتُضاعِفُ لنا بهما بمحبَّته والاقتداءِ بسنَّته الفرحَ والأنسَ والحبور ، وعلىٰ آلِهِ ساداتِ البيت الطاهر ، وأصحابِهِ بحورِ العلم الزواخر .

وبعدُ

فقد قيَّد ربُّ العزَّةِ والجلال لهـٰذه الأمَّة مِنْ أعلامِ العلماء مَنْ حفظوا عليها أمرَ دينها ؛ من حملةِ علمٍ صادقين ، وفقهاءَ واعين ، وتقاةٍ ورعينَ ، وحماةٍ أباة لا يرتضون نخراً في عقائدِها مهما تصاغر ، ينفون عنها الخبثَ ، ويجلونها بيضاءَ نقيَّة ، ما جدَّدَ أعداءُ الدين مسلكاً إلا قاموا يجبهونهم ، ويسدُّون عليهم طريقَهم وطريقتهم ، وما مالَ نحوهم أحدٌ من ضعفاء العقول إلا قوَّموا عوجَهُ ، وردُّوهُ ـ وهم المؤتمنون ـ للطريق المستقيم ؛ فهم ورثةُ الأنبياء ، الذين ورثوا عنهم العلمَ والعمل والحال ، وهم القلوبُ السليمة التي تأتي اللهَ تعالىٰ مِنْ غير خِزْيٍ يومَ يبعثون

كان من جملة هـٰؤلاء الأُمناءِ : إمامٌ حافظٌ جبلٌ ، جُبلَ مُذْ وعىٰ علىٰ رواية الآثار والأخبار ، عن كبار المحدِّثين وكِعابِ الأحبار ، حتىٰ صارَ واحدَ زمانه

في سَعَةِ الرواية ، ونجماً في سماء أعلامِهم في علمِ الدراية ، **وفقيهٌ شافعيٌّ** مضطلعٌ بفقهِهم ، ومستودعٌ لعلمِهم وأخبارِ رجالِهم ، بل هو فخرُهم كما قال مؤرِّخُهم(١) ، **وزكيٌّ صوفيٌّ** جادٌّ في السير لمولاه وطالبٌ لقربِهِ ، له وافرُ النصيبِ مِنْ ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر ٩] ، بل هو في عصره إمامُ الأئمة ، ونادرةُ الأمَّة ؛ **هو حافظُ الدنيا ـ كما قال الإمامُ النوويُّ ـ ابنُ عساكرَ الدمشقيُّ**

كانت لهٰذا الإمام سِماتٌ أهَّلَتْهُ ليكون أسوةً لمَن بعده ، وحكايةً لسيرة الكُمَّل الذين مضَوا قبله ؛ من جملة هٰذه السمات الشريفة التي يجدرُ لفتُ النظر إليها في أسطرٍ وجيزة من حياةِ هٰذا العالم البارِّ بأمَّته ، الغيورِ علىٰ دينِهِ وعقيدتِهِ . . **هو ذاك التآلفُ البديعُ بين علومٍ ظاهرُها المنافرةُ والتَّباين** ؛ إذ قلَّ أن ترىٰ مشتغلاً بعلمِ الحديثِ والإكثارِ من الرواية يجمعُ إلىٰ ذاك المُكْنَةَ في الفقه ، وقلَّ أن تقفَ علىٰ صوفيٍّ متبتِّلٍ له اهتمامٌ بالعلوم العقليَّة والكلاميَّة ، وقلَّ أن تجدَ متكلِّماً له إمامةٌ في علوم الأثرِ والخبر ، وأعزُّ من هٰؤلاءِ جميعِهم أن ترىٰ مَنْ جمعَ بين الإمامةِ العظمىٰ في علوم الحديث ، والتبريزِ في الفقه ، والهيمنةِ علىٰ علومِ الآلة والعقل ، وهو إلىٰ هٰذا عارفٌ متبتِّل وصوفيٌّ متحقِّق

ذاك هو إمامُنا ابن عساكر ، **الذي ملأ رَحْبَ الساحةِ العلمية بمناحيها في القرنِ السادس الهجريِّ** ، قرنِ التمزُّق والشدَّة ، والدويلات المتفرِّقة ، والحملاتِ الصليبية العاتية ، أيَّامٌ صعبة ، وهمومٌ شتَّىٰ ، والعبْءُ ثقيلٌ على الأكابر ، والأوقاتُ مفرَّقةٌ بين المهمِّ والأهمِّ ، وغيبوبةُ الرقابة والسهرِ علىٰ رعايةِ سلامة البواطن من غشِّ الجهلة وكدرِ الشكِّ والوهم . . كانت سبباً

---

(١) هو الحافظ ابن كثير ، ذكر هٰذا عنه في كتابه « طبقات فقهاء الشافعيين » (ص ٦٩٣) إذ قال : (فخرُ الشافعية ، وإمامُ أهل الحديث في زمانه ، وحامل لوائهم) .

لتمادي أهل الباطل ، وفُرجةً ينفذون منها إلىٰ قلوب العامَّة ، يبعثون ما رقدَ من رثيثِ اعتقادات فاسدة وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعاً ، ولله في خلقه شؤون .

إمامُنا ابن عساكر كان **عيناً باتَتْ تحرسُ في سبيل الله** علىٰ ثغور العلم والاعتقاد ، وهو قبلُ عينٌ تبكي من خشية الله ، وقد مكَّنَهُ الله تعالىٰ من ناصية العلم ، فعلا شأنُهُ بين المحدِّثينَ حتىٰ هرولَتْ إليه الأقلامُ والمحابر ، وخطَّت يمينُهُ المباركة عشراتِ الدفاتر ، وعرفَ له الفقهاءُ قدرَهُ فأنزلوه بينهم المنزلةَ الرفيعة ، وكانَتْ له كلمةٌ ماضية عند الوُلاة لا تُردُّ ، بل تَلْمذَ له بعضُهم وعملَ بمشورتِهِ ، فنجمَ عن ذلك فتحٌ مبين ، ونصرٌ من الله وبشارةٌ للمؤمنين

كانَتْ عنده لأئمةِ الأصول والفروع **مكانةٌ مقدَّسة** ، **وغيرةٌ أن ينالهم لسانٌ بأذىً** ، لا سيما أئمة الهدى الذين شيَّدوا صروحَ أهل السنة بما أصَّلوا وفرَّعوا علىٰ تنوُّع علومهم ، وخلَّفوا من كُتُبٍ وتلامذةٍ بَرَرة ، قاموا بحفظِ الدين والسهر عليه ، وتوريثِهِ بأمانة لمَن بعدهم ؛ **كالأئمة الأربعة المجتهدين ، وإمامي أهلِ السنة والجماعة أبي الحسن وأبي منصور** ، **وشيخ الطائفة أبي القاسم** ، وغيرهم ممَّن بوَّأهم اللهُ منزلةَ الإمامة والقدوة ، وجاوزوا القنطرة[١] ؛ حتىٰ صارَ الطاعنُ في واحدٍ منهم طاعناً في نفسه ، ومنادياً عليها بالخروج من نهجِ أهل السنة إلا أن يتداركَهُ الله بلطفه .

كيف لا يكون عنده ذاك التقديسُ لهـٰؤلاء الجبال الرواسي وقد انعقدَتِ الخناصرُ علىٰ تبجيلهم ، وارتضاءِ نهجهم ، وأنَّ متكلِّميهم هم أمناءُ دائرة الإيمان ، وفقهاءَهم أمناءُ دائرة الإسلام ، وعارفيهم أمناءُ دائرة الإحسان ؟!

---

(١) وإني لأحسب أن الله تعالىٰ لو سأل العبدَ : هل واليتَ لي ولياً ؟ فأُلهمَ مولاةَ هـٰؤلاء السادة . . لفاز ، ولو سأله سبحانه : هل عاديتَ لي عدوّاً ؟ فأُلهمَ معاداةَ مبغضيهم من أهل البدع . . لتمَّت سعادته ، وكان ذا حظٍّ عظيم .

فالعادي علىٰ مقامهم المتنقِّص لهم أبلهُ غافلٌ عند حُسْنِ الظنِّ ، أو عدوٌّ متغافل يُتَّقىٰ بسوء الظنِّ .

ومن أخبارِ إمامنا ابنِ عساكر في ذبِّهِ عن مثل هـٰؤلاء الأعلام : ما حكاه هو نفسُهُ في « تاريخ دمشق » في ترجمة أبي عامر محمد بن سعدون القرشي العبدري الميورقي وهو **أحفظُ شيخٍ لقيَهُ** ؛ إذ قال : (سمعت أبا عامرٍ يقول ذات يومٍ وقد جرىٰ ذكرُ مالكِ بن أنس رحمه الله : جلفٌ جافٍ ؛ [أكثرَ] عليه هشامُ بن عمَّار فضربه بالدِّرَّة ![1]

وقرأتُ عليه بعض كتاب « الأموال » لأبي عبيدٍ ، فقال لي يوماً وقد مرَّ بعضُ أقوالِ أبي عبيدٍ : ما كان إلا حماراً مغفَّلاً ، لا يعرفُ الفقهَ !

وحُكِيَ لي عنه أنَّه قال في إبراهيم النخعي : أعورُ سوء !

فاجتمعنا يوماً عند أبي القاسم بن السمرقنديِّ في قراءة « الكامل » لابن عدي ، فحكىٰ لابنِ عديٍّ حكايةً عن السعديِّ ، فقال : يكذبُ ابنُ عديٍّ ، إنَّما هـٰذا قولُ إبراهيمَ بنِ يعقوب الجوزجانيِّ !

فقلتُ له : السعديُّ هو الجوزجانيُّ ، ثم قلتُ : **إلىٰ كم نحتملُ منك سوءَ الأدبِ** ؛ تقول في إبراهيم النخعي كذا ، وفي مالكٍ كذا ، وفي أبي عبيدٍ كذا ، وفي ابنِ عديٍّ كذا ؟!

فغضبَ وأخذتْهُ الرِّعْدة ، وقال : كان البردانيُّ وابنُ الخاضبة وغيرُهما يخافوني[2] ، وآلَ الأمرُ إلىٰ أن تقولَ لي هـٰذا ؟!

---

(١) يعني : أكثر عليه من القراءة كما في « سير أعلام النبلاء » (١١/ ٤٢٩)

(٢) البرداني : أبو علي أحمد بن محمد البغدادي ، حنبلي مشهور برواية الحديث ، وابن الخاضبة : هو محمد بن أحمد البغدادي الدقاق ، أحد أعلام المحدثين ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٢١٩) ، (١٩/ ١٠٩) .

فقال له ابنُ السمرقنديّ : هـٰذا بذاك ، وقلتُ له : إنَّما نحترمُكَ ما احترمْتَ الأئمَّة ، فإذا أطلقْتَ القولَ فيهم . . فما نحترمُكَ

فقال والله ؛ لقد علمتُ من علمِ الحديث ما لم يعلمْهُ غيري ممَّن تقدَّمني ، وإني لأعلمُ من « صحيح البخاري » و« مسلم » ما لم يعلماهُ من « صحيحيهما » ، فقلتُ له علىٰ وجهِ الاستهزاء فعلمُكَ إذاً إلهامٌ ! فقال إي والله إلهامٌ .

وتفرَّقنا ، وهاجرتُهُ ، ولم أتمِّمْ عليه كتاب « الأموال » ، وكان سيِّئ الاعتقاد ؛ يعتقد من أحاديثِ الصفات ظاهرَها)[1]

كذا هو الإمامُ القدوة ، لا تأخذُهُ سَكْرةٌ بأسماء المحدِّثين الكبيرة إن لم تكن قلوبُهم قد عُجنَتْ بحُسنِ الاعتقاد ، وكان يومَها في العشرينات من عمرِهِ ، وهو سنٌّ يُتطلَّعُ فيه للعلوِّ والإغراب وطلب التفرُّد عادة ، فسبحان مَن تولاه !

ومِن ملامح صفاء سيرته العطرةِ : عفَّةُ لسانِهِ في قراع خصوم مردوا على البذاءة ، وهانَ عليهم السبُّ والشتمُ ، وهي سمةٌ دالَّة علىٰ كمال الإيمان ، وما جعلَ الله السبَّ واللَّعن قُربةً إليه ؛ فتراه رحمه الله يقرِّعُ مَنْ أَلِفَ اللعن واتخذه ديدناً ، ويذكِّره بمنهج الربَّانيين من أعلام الأمَّة ؛ حتىٰ قال في الكتاب الذي بين أيدينا : (متىٰ تعبَّدنا اللهُ بالسبِّ والشتم ؟! وأين أمرَنا بالتفرُّغ للثلب والذمِّ ؟! وهل سوَّغَ لنا الاشتغال باللعن ، أو ندبَنا إلى استعمال الغِيبة والطعن ، أو أثنىٰ في كتابه على المستعملين للهمز ، أو مدح العيَّابينَ المشتغلين باللَّمز ؟!)[2]

---

(١) تاريخ دمشق (٥٣/ ٦٠) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٥٨١) ، وراجع تمام الخبر ؛ فإنه نافعٌ .

(٢) انظر (ص ٦٦٢) .

ومن شمائلِهِ رحمه الله : حبُّهُ لجمعِ الكلمة ، وترصيصِ صفوف الأمَّة ، وما أرادَ من كتابنا « التبيين » إلا التبيينَ ، وإظهارَ خطر المفتتِين والمفترِين ، وكون السكوت في موضع البيان خيانة ، كما أنَّ الكلام في موضع السكوت سفاهة ، وها هو يقرِّبُ الصفوف ، ويلتمس الأعذار ، ويدلِّلُ علىٰ مواطن العصمة بالتمسُّك بحبل الله المتين ؛ فيقول بعد عرضٍ لما سطرَهُ وبيَّنَهُ شيخُ السنة أبو الحسن : (وهـٰذه المسائلُ التي أشارَ إليها لا تكسبُ أبا الحسن تشنيعاً ، ولا توجبُ له تكفيراً ولا تضليلاً ولا تبديعاً ، ولو حقَّقوا الكلامَ فيها . . لحصلَ الاتِّفاق ، وبان أنَّ الخلافَ فيها حاصلُهُ الوفاقُ ، وما زال العلماءُ يخالفُ بعضُهم بعضاً ، ويقصدُ دفعَ قولِ خصمِهِ إبراماً ونقضاً ، ويجتهدُ في إظهار خلافِهِ بحثاً وفحصاً ، ولا يعتقدُ ذلك في حقِّهِ عيباً ونقصاً ، وقديماً ما خالفَ أبا حنيفةَ صاحباهُ ، وأجابا في كثيرٍ من المسائل بما أباهُ ، والله يتغمَّدُ جميعَ العلماءِ برحمتِهِ ، ويحشرُنا في زمرتِهم بلطفِهِ ورأفته)[1]

فأيُّ رأفةٍ ضمَّها فؤادُهُ الشفوق ، وهو الذي لو شاءَ أن تسيرَ ركائبُ السلطان في استئصالِ شأفة خصومِهِ . . لكان له ذلك ؟! ولـٰكنَّ جهادَ الكلمة بحقِّهِ أعظمُ أثراً ، وأرجىٰ عند الله مثوبة .

وكان قد عملَ بتأليفه لكتاب « التبيين » بوصية الإمام القشيريِّ المحكيَّة في « شكاية أهل السنة » التي ذاعَ خبرُها ، ولبَّىٰ لندائِها أعلامُ علماء أهل السنة ؛ وذلك حينما قال : (ليضربَ كلُّ مَنْ كان من أهل السنَّة إذا وقفَ عليها بسهمِهِ في الانتصار لدين الله) ، فكان الحافظ ابن عساكر من عِلْيةِ القوم في هـٰذا الميدان ، حتىٰ صار كتابه معرِّفاً بأهل السنَّة ، وصارَتِ السنَّةُ تُعرفُ به

ويكفي أهلَ السنة فخراً أنَّهم الذين ألزموا أنفسهم عدمَ إكفارِ فرقة إسلامية ،

---

(١) انظر (ص ٢٩٣)

طالما أقرَّت بكلِّ معلوم من الدين بالضرورة ، وأنَّهم أوسعُ الفرق الإسلامية دائرةً وإحاطةً بالنصوص الشرعية ، ومعرفةً بسُبُل توجيهها والجمع بين مختلفها ، وأكثرُهم التماساً للمعاذير ، وتوجيهِ أقوال المخالفين بما ينأىٰ بهم عن الكفر ، وهٰذا لا يعني تركَ التبديع ؛ فذاك حقُّ الدين ، ولا سبيلَ لهجرِهِ .

ولتكن لنا ـ بفضل الله علينا ـ مشاركةٌ في الانتصار لدين الله كما أوصى الإمام القشيريُّ وصنعَ ابن عساكر ، وإنَّا والله لنعلم أنَّ مشاركتَنا هٰذه ـ في غيرتِنا علىٰ أهل السنة والجماعة أن يتلفَّعَ بعباءتهم مَن ليس منهم ـ أمامَ هٰؤلاء السادة الأعلام . . كأعرجَ بل مُقْعدٍ كسيحٍ مع أبطال الجرْيِ في حلبات السباق ، ورغمَ الضَّعفِ الذي ألمَّ بنا ، والبضاعة المزجاة التي جئنا بها . . ما كنَّا لنتركَ واجبَ المرابطة علىٰ ثغور العلم والمعرفة ، والعجبُ أنَّ ما نراه فينا ضعفاً وتفريطاً وقلَّة حيلة . . يراه آخرون صلابةً وإفراطاً وشدَّة ، وآخرون غُلُوّاً واحتكاراً وعتوّاً !

فَذَاكَ مِنْ كُلِّ عَجِيبٍ أَعْجَبُ وَلَيْسَ فِي ٱلأَيَّامِ مَا يُسْتَغْرَبُ

ولله درُّ دار التقوىٰ ! ما تركَتْ طلباً في خدمة هٰذا السفر القيِّم إلا لبَّتْهُ ، ولا حاجةً إلا قضتها ؛ فسعَتْ سعياً حثيثاً لجمْعِ أنفسِ نُسخِهِ الخطيَّة مهما كانت قَصِيَّة ، وفسحَتِ الأيامَ المتطاولة في صبرٍ وأناة لتحريره ومراجعته وتصحيحه ، وهي تَنْشُدُ رضا الله تعالىٰ ، ورتبةَ الكمال المقضيَّةَ للعباد ، حتىٰ بُعثَ كما تراهُ اليوم قشيبَ الثوب باهيَ الطُّرر ، بعد مسيرةٍ علميَّة محتسَبةٍ عند المولى الكريم ، مُرْضِيةٍ بإذن الله قلبَ مُؤلِّفِهِ ثقةِ الدين ، رضي الله عنه رضاً لا سخطَ بعده ، وعلينا به ومعه ، آمين .

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ

إمام المحدّثين الحافظ الرّبّاني ابن عساكر

اسمه ونسبه

هو شيخُ الإسلام[١] ، حافظ الشام ، بل حافظُ الدنيا[٢] ، الإمام القدوة ؛ أبو القاسم عليُّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ، ثقةُ الدين[٣] ، ابنُ عساكرَ ، الأشعريُّ الشافعيُّ الدمشقيُّ

قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (ولا نعلم أحداً مِن جدوده يُسمَّىٰ عساكرَ ، وإنَّما هو اشتَهرَ بذلك)[٤]

ولاسمِهِ وكنيتِهِ خبرٌ لطيف ؛ فقد حكى الحافظ ابن عساكر نفسُهُ عن شيخه وسميِّهِ وكَنِيِّهِ الإمامِ المحدِّث النسيب أبي القاسم عليِّ بن إبراهيم الحسينيِّ الدمشقيِّ : أنَّه قال له لمَّا ولدتَ سألتُ أباك ما سمَّيتَهُ وكنيتَهُ ؟ فقال أبا القاسم علياً ، فقال : أخذتَ اسمي وكنيتي؟![٥]

---

(١) انظر « مرآة الجنان » (٣/ ٢٩٧) ، وقد لُقبَ الحافظ ابن عساكر بألقابٍ فخيمة ؛ منها شيخ الإسلام كما ترىٰ ، والألقابُ يومَها مصونةٌ ، لا تُعطىٰ إلا لمَن يستحقُّها

(٢) كذا أضربَ ـ وما أجمله من إضرابٍ ! ـ شيخُ الإسلام الإمام النوويُّ رحمه الله تعالىٰ في « بستان العارفين » (ص ٤٠٢) ، ونقلها من خطِّه الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢١٩)

(٣) انظر « نزهة الألباب في الألقاب » (١/ ١٥٤) .

(٤) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٧/ ٢١٥) ، وكذا نُقل عن الحافظين أبي شامة والذهبي ، وانظر « الحافظ ابن عساكر محدث الشام ومؤرخها الكبير » للمؤرخ الدكتور محمد مطيع الحافظ (ص ٤٠)

(٥) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٣٦٠) ، وشيخه هـٰذا إمامٌ ثقةٌ ، وسنيٌّ نبيل ، وصدرٌ =

ولادته ونشأته

وُلدَ الحافظ الإمام ابن عساكر في دمشقَ الشام ، وقد أرَّخَ الحافظُ القاسمُ بهاءُ الدين لولادة والدِهِ الحافظ ابن عساكر فقال : (وُلدَ في المحرم ، سنةَ تسع وتسعين وأربع مئة)[1]

وقال الإمامُ ابن السبكي نقلاً عن ترجمة ولدِهِ له (قال لي أبي لمَّا حملَتْ بي أمِّي رأَتْ في منامها قائلاً يقول لها تلدينَ غلاماً يكون له شأنٌ ، فإذا ولدتيه فاحمليهِ إلى المغارة ـ يعني مغارةَ الدم بجبل قاسيونَ ـ يومَ الأربعين مِن ولادتِهِ ، وتصدَّقي بشيءٍ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يبارِكُ لكِ وللمسلمين فيه ، ففعلَتْ ذلك كلَّهُ[2]

وصدَّقَتِ اليقظةُ منامَها ، ونبَّهَهُ السعدُ فأسهرَهُ الليالِيَ في طلبِ العلم وغيرُهُ سهرَها في الشهواتِ أو نامَها ، وكان له الشأنُ العظيم ، والشأْوُ الذي يجلُّ عن التعظيم)[3]

= محتشم ، وقد انتخب عليه الحافظ أبو بكر الخطيب عشرين جزءاً تعرف بـ « فوائد النسيب » ، وقد وُلدَ سنة (٤٢٤ هـ) ، وتوفي سنة (٥٠٨ هـ) ، **وممَّا يتصل بكتابنا** « التبيين » : أن هـٰذا العالم النسيب كان قد قرأ القرآن في دمشق على المفتري أبي علي الأهوازي .

(١) انظر « معجم الأدباء » للمؤرخ ياقوت الحموي (٤/ ١٦٩٧) ، وفيه أورد ترجمة وافية من جزء جمعه ولده الحافظ بهاء الدين المذكور ، ونصَّ الحافظ السمعاني : **أنه وُلد في العشر الآخر من المحرَّم كما أخبره الحافظ ابن عساكر نفسه** .

(٢) وكان الحافظ ابن عساكر بهـٰذه الأمِّ المباركة الملْهَمة بَرّاً رحيماً ، ومن عجيب برِّه معها : ما حكاه الحافظ الذهبي في « تاريخه » (٤٠/ ٨٢) : أن الحافظ إسماعيل بن محمد الأصبَهاني قال : أفادني في الرحلة الأولىٰ والثانية ببغداد كثيراً ، وسألته عن تأخُّره في الرحلة الأولىٰ عن المجيء إلىٰ أصبَهان ، فقال : **لم تأذنْ لي أمِّي !**

(٣) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٧/ ٢١٨) .

وقال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » أيضاً (لمَّا حملَتْ به أمُّه رأىٰ **والدُهُ في المنام : إنَّه يُولدَ لك ولدٌ يحيي اللهُ به السنة .**

ولعمرُ الله ؛ هٰكذا كان ، أحيا الله به السنةَ ، وأماتَ به البدعة ، يصدعُ بالحقِّ لا يخافُ في الله لومةَ لائم ، ويسطو علىٰ أعداء الله المبتدعة ولا يبالي وإن رغمَ أنفُ الراغم ، لا تأخذُهُ رأفةٌ في دين الله ، ولا يقومُ لغضبِهِ أحدٌ إذا خاضَ الباغي في صفات الله)[1]

وقد نشأَ هٰذا الإمام الأجلُّ في دمشق وحولَهُ أعلامٌ من أهل العلم في أسرته ؛ **فأبوه الحسن بن هبة الله** كان شيخاً صالحاً أجاز له محدِّث بغداد الثقة أبو الفضل ابن خيرونَ ، **وأخوه الأكبر الصائن هبة الله بن الحسن** كان فقيهاً محدثاً ثقة مقرئاً ، **وأخوه محمد بن الحسن** كان قاضياً ، وأمُّهُ كانت من أسرةِ علمٍ كذلك ؛ **فأبوها أبو المفضل يحيى بن علي القرشي** كان قاضيَ دمشق وأبا قضاتها[2] ، **وأخوها محمد بن يحيى القرشي** كان قاضياً ذا رواية ، وغيرهم من أهل العلم والفقه والفضل ضمن رحابِ هٰذه الأسرة المباركة[3]

---

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٧/ ٢١٧) ، وانظر « معجم الأدباء » (٤/ ١٧٠٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٥٦٢) ، و« طبقات فقهاء الشافعيين » للحافظ ابن كثير (ص ٦٩٤) وقال : (**تصديق هٰذه الرؤيا** : ما جلب إلى الشام من كتب الإسلام المشهورة ؛ كـ « مسند الإمام أحمد » ، و« مسند أبي يعلى الموصلي » ، وغير ذلك من المسانيد الكبار والصغار) .

(٢) **ومن فضائل ابن عساكر مع جدِّهِ هٰذا** ما حكاه الحافظ بهاء الدين ـ كما في « تاريخ الإسلام » (٤٠/ ٧٩) ـ قال قال لي والدي ـ يعني : الحافظ ابن عساكر ـ : لما قدِمتُ في سفري . . قال لي جدي القاضي أبو المفضل يحيى بن علي **اجلس إلىٰ ساريةٍ من هٰذه السواري حتىٰ نجلسَ إليك !** فلمَّا عزمت على الجلوس اتفقَ أنه مرضَ ، ولم يقدَّرْ له بعد ذلك خروجٌ إلى المسجد .

(٣) انظر « التبادل الثقافي بين بلاد الشام وبلاد فارس » لأستاذنا الأديب الدكتور رياض =

ومن عناياتِ أخيه المقرئ الفقيه صائن الدين هبة الله به : **أنَّه سمَّعَهُ سنةَ خمس وخمس مئة وبعدها من** الشريف أبي القاسم النسيب ، وأبي القاسم قوام بن زيد ، وأبي الوحش سُبيع بن قيراط ، وأبي طاهر محمد بن الحسين الحِنَّائيِّ ، وأبي الحسن بن الموازينيِّ ، وأبي الفضائل الماسح ، ومحمد بن علي المصيصيِّ ، **ثم سمعَ هو بنفسه من** أبي محمد ابن الأكفانيِّ ، وأبي الحسن بن قبيس المالكيِّ ، وعبد الكريم بن حمزة ، وطاهر بن سهل ، ومَن بعدهم[1]

وعن نشأتِهِ ومحاسن أخلاقِهِ يقول الإمامُ ابن السبكي في « طبقاته » (كان قد **تفقَّه** في حداثتِهِ بدمشق على الفقيه أبي الحسن السلميِّ ، ولما دخلَ بغداد لزمَ بها التفقُّهَ وسماع الدروس بالمدرسة النظامية[2] ، وقرأ **الخلاف**

= عبد الحميد مراد (ص ٢١ ـ ٢٣) ، وفيه ترجمةٌ لكلٍّ من الحافظين الكبيرين والمتصاحبين في طلب العلم ؛ ابن عساكر ، والسمعاني

وفي بيان هـٰذه الصحبة الرضيّة يقول الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٧/ ٢٢٢) وكان بينه وبين حافظ خراسان أبي سعد بن السمعاني مودةٌ أكيدة ؛ كتب إليه أبو سعد كتاباً سمّاه « **فرط الغرام إلىٰ ساكني الشام** » ، وكتب هو إلى ابن السمعاني يعاتبُهُ في إنفاذ كتاب إليه : [من مجزوء الكامل]

ما كنتُ أحسِبُ أنَّ حاجاتي إليكَ ... وإنْ نـأَتْ داري مُضـاعَـهْ
أنسيـتَ ثـديَ مـودَّتـي ... بينـي وبينَـكَ وارتضـاعَـهْ
ولقـدْ عهـدتُـكَ فـي الـوفـا ... ءِ أخـا تميـمٍ لا قُضـاعَـهْ

ثم قال الإمام ابن السبكي البيت الأول من هـٰذه فيه زيادةُ جزء ، ولعله قال :

مـا كنـتُ أحسـبُ حـاجتـي ... لـكَ إنْ نـأَتْ داري مُضـاعَـهْ

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٠/ ٧١)

(٢) وكان قد أقام بها متفقِّهاً خمس سنين ، وهو إمام في فقه السادة الشافعية ، وحسبُك ما صدَّر به ترجمته الحافظ الفقيه ابن كثير رحمه الله في « طبقات الشافعية » (ص ٦٩٣) إذ قال (**فخرُ الشافعية** ، وإمامُ أهل الحديث في زمانه ، وحامل لوائهم)

والنحو ، ولم يزل طولَ عمره مواظباً علىٰ صلاة الجماعة ، ملازماً لقراءة القرآن ، مكثراً من النوافل والأذكار والتسبيح آناءَ الليل وأطراف النهار ، وله في العشر مِن شهر رمضانَ في كلِّ يوم ختمةٌ ، غير ما يقرؤُهُ في الصلوات ، وكان يختم كلَّ جمعةٍ ، ولم يُرَ إلا في اشتغالٍ ؛ يحاسبُ نفسَهُ علىٰ ساعةٍ تذهبُ في غير طاعة)[١] ، وزاد الحافظ الذهبيُّ في « تاريخه » نقلاً عمَّا ذكرَهُ ابنُهُ في ترجمته (ويعتكفُ في المنارة الشرقية ، وكان كثيرَ النوافل والأذكار ، وكان يُحيي ليلةَ النصف والعيدين بالصلاة والذكر)[٢]

زوجته وأولاده

كان رحمه الله تعالىٰ قد تزوَّجَ ابنة خالته الكبرىٰ عائشةَ بنت علي السلمية ؛ وهي أمُّ أولاده ، وقد أسمعَها الحديثَ من فاطمةَ بنت علي العكبريةِ ، وأسمعت هي أولادها ، وتُوفِّيت في حياته سنة (٥٦٤ هـ)[٣]

وقد رُزقَ من الولد عدَّةً ، اشتَهر منهم القاسم بهاء الدين ، وأبو الفتح الحسن ، وأم الحسين حليمةُ ، وعُرف له من الأحفاد قلَّة ، وأكثرُ بني عساكر من بعده كانوا من ولد أخيه محمد بن الحسن بن هبة الله ، رحمهم الله تعالىٰ أجمعين[٤]

رحلاتُهُ في طلبِ العلم

لإمامنا ابن عساكر رحلاتٌ شهيرة ؛ كانت أولاها رحلتَه في شبابه إلىٰ بغداد سنة (٥٢٠ هـ) ، وقد أقام بها خمس سنين ، وضمن هـٰذه السنوات كان قد

---

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٧/ ٢١٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٠/ ٧٧)

(٣) انظر « تاريخ دمشق » (٦٩/ ٢٦٠) .

(٤) انظر « الحافظ ابن عساكر محدث الشام ومؤرخها الكبير » (ص ٥٢ـ ٨٣) .

حجَّ سنة (٥٢١ هـ) ، وسمع من الشيوخ بمكة ؛ كأبي محمد عبد الله بن محمد بن الغزال المصري صاحب كريمة المروزية ، كما سمع بمنىٰ والمدينة ، وقصد الكوفة وروىٰ عمَّن لقي فيها من الشيوخ ؛ كأبي البركات عمر بن إبراهيم الزيدي العلوي ، ثم عاد إلىٰ بغداد ، وبعد تمام السنوات الخمس رجع إلىٰ موطنه دمشق سنة (٥٢٥ هـ) .

ثم رحلَ رحلتَهُ العظيمةَ إلىٰ بلاد خراسان عن طريقِ أذربيجان ، ودخل نيسابورَ سنة (٥٢٩ هـ) ، ودخل مروَ ، وبسطامَ ، ودامغانَ ، وسمنانَ ، والريَّ ، وزنجانَ ، ثم نزلَ في طريق عودته إلىٰ بغداد مرَّة أخرىٰ سنة (٥٣٣ هـ) ، وكانت مدَّة هـٰذه الرحلة أربعَ سنوات[1] ، إلىٰ أن حطَّ رحلَهُ في مسقط رأسه دمشق ، ناشراً علمه ورواياته فيها ، ومُؤلِّفاً لكُتبِهِ الثرَّة العظيمة[2]

قال الحافظ السمعاني عنه : (رحلَ وتعبَ ، وبالغَ في الطلب ،

---

(١) قال ابنه الحافظ بهاء الدين كما نقل عنه المؤرخ ياقوت الحموي في « معجم الأدباء » (٤/ ١٧٠٢) : (لمَّا قدم إلىٰ بغداد . . أُعجبَ به البغداديون ، وقالوا : قدم علينا من دمشق ثلاثة ما رأينا مثلهم : الشيخ يوسف الدمشقي ، والصائن أبو الحسين هبة الله بن الحسن ، وأخوه أبو القاسم .
وحدثني أبي رحمه الله قال : كنت يوماً أقرأ علىٰ شيخنا أبي الفتح المختار بن عبد الحميد ، وهو يتحدَّثُ مع جماعة بالعجمية ، فقال : قدم علينا الوزير أبو علي ، فقلنا : ما رأينا مثله ، ثم قدم علينا أبو سعد ابن السمعاني ، فقلنا : ما رأينا مثلَهُ ، حتىٰ قدم علينا هـٰذا ، فلم نر مثله)
وذكر أيضاً من البلاد التي دخلها وسمع من علمائها : وأصبهان القديمة ، واليهودية ، ومرو الشاهجان ، ونيسابور ، وهراة ، وسرخس ، وأبيورد ، وطوس . . . ، وذكر بلاداً كثيرة يطولُ عليَّ ذكرها ؛ من العراق ، وخراسان ، والجزيرة ، والشام ، والحجاز ، ووراء هـٰذه البلدان المذكورة أضعافها ، انظرها في كتاب « التبادل الثقافي بين بلاد الشام وبلاد فارس » (ص ٥١) مذكورة حسب الترتيب الألف بائي .
(٢) انظر « ذيل تاريخ بغداد » للحافظ ابن النجار (٢١/ ١٤٢)

إلىٰ أن جمعَ ما لم يجمعْ غيره ، وأربىٰ علىٰ أقرانه)[1]

الحافظ ابن عساكر والحافظ أبو عبد الله الفُراويُّ :

للحافظ الإمام ابن عساكر في كتابنا « تبيين كذب المفتري » حديثٌ مفردٌ رقيقُ الحاشية في ترجمته لشيخه أبي عبد الله محمد بن الفضل الفراوي ، وفيه قال عن رحلته الثانية التي قصد بها بلاد خراسان : (وإلى الإمام محمدِ الفُراويِّ كانَتْ رحلتي الثانية ؛ لأنَّه كان المقصودَ بالرحلة في تلك الناحية ؛ لِمَا اجتمعَ فيه مِنْ علوِّ الإسناد ، ووفورِ العلم ، وصحَّةِ الاعتقاد ، وحسنِ الخُلُق ، ولينِ الجانب ، والإقبالِ بكلِّيَّتِهِ على الطالب .

فأقمتُ في صحبتِهِ سنةً كاملةً ، وغنمتُ من مسموعاته فوائدَ حسنةً طائلةً ، وكان مُكرِماً لموردي عليه ، عارفاً بحقِّ قصدي إليه ، ومرضَ مرضةً في مدَّة مقامي عنده نهاهُ الطبيب عن التمكين مِنَ القراءة عليه فيها ، وعرَّفَهُ أنَّ ذلك ربَّما كان سبباً لزيادة تألُّمِهِ ، فقال : لا أستجيزُ أن أمنعَهم مِنَ القراءة ، وربَّما أكونُ قد حُبِسْتُ في الدنيا لأجلِهم ، فكنتُ أقرأُ عليه في حالة مرضِهِ وهو مُلقىً علىٰ فراشِهِ .

ثم عُوفيَ من تلك المرضةِ ، وفارقتُهُ متوجِّهاً إلىٰ هَراةَ ، فقالَ لي حين ودَّعتُهُ ـ بعد أن أظهرَ الجزعَ لفراقي ـ : ربما لا نلتقي بعد هـٰذا ، فكان كما قال)[2]

والفُراوي ألفُ راوي ؛ كما قال فيه الحافظ عبد الرشيد بن علي الطبريُّ[3] ، وله لطيفةٌ مع إمامِنا ابنِ عساكر ؛ فقد قال الحافظ الذهبي في

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٠/ ٧٦) .
(٢) انظر (ص ٥٨٤) .
(٣) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ١٦٩) .

« تاريخه » : (قرأتُ بخطِّ ابن الحاجب قال : حدثني زينُ الأمناء قال : حدثني ابنُ القزويني ، عن والده مدرسِ النظامية ـ يعني : أبا الخير ـ قال : حكىٰ لنا أبو عبد الله الفُراويُّ قال : قدم أبو القاسم ابن عساكر ، فقرأ عليَّ ثلاثة أيام ، فأكثرَ وأضجرني ، وآليتُ علىٰ نفسي أن أغلقَ الغدَ بابي وأمتنعَ

فلمَّا أصبحتُ . . قدمَ عليَّ شخص ، فقال أنا رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إليك ، قلت : مرحباً برسولِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في النومِ ، فقال لي : امضِ إلى الفُراويِّ وقلْ له : قدمَ بلدَكم رجلٌ من الشام أسمرُ اللون يطلبُ الحديث ، فلا يأخذْكَ منه ضجرٌ ولا مللٌ

قال القزوينيُّ فواللهِ ؛ ما كان الفراويُّ يقومُ من المجلس حتىٰ يقومَ الحافظُ ابتداءً منه)

وبهـٰذا تُلِمُّ بأنَّ لبَّ اللُّباب من رحلة خراسان المذكورة كانت للأخذ عن الحافظ الفُراويِّ ؛ الذي نعته الإمام ابن عساكر كما رأيت بسلامة الاعتقاد وعلو الإسناد ، وهـٰذا غايةُ المنىٰ[١]

شيوخُهُ والرواةُ عنه

مِن العسير ذكرُ شيوخ الحافظ ابن عساكر في ترجمةٍ خاطفة تُعنىٰ برؤوس المقاطع المهمَّة والأخبار الرئيسة في حياته رحمه الله تعالىٰ ، وقد قال ابنُهُ الحافظ بهاءُ الدين (وعِدَّةُ شيوخِهِ ألفٌ وثلاث مئة شيخ ، ومن النساء بضعٌ وثمانون امرأة) ! وهـٰذا ممَّا لم يكدْ يتهيَّأ لأحدٍ سبقَهُ أو لحقَهُ

وقال أيضاً : (وقال لي والدي : لم أرَ بدمشق أفهمَ للحديث من

---

(١) انظر تفاصيل هـٰذه الرحلة بنوع استيعاب كتابَ « التبادل الثقافي بين بلاد الشام وبلاد فارس » (ص ٣٥) ، وسبقت الإحالة إليه ، و«تاريخ الإسلام» (٤٠/ ٧٧) .

أبي محمد ابن الأكفانيِّ ، ولا ببغداد مثلَ أبي الفضل محمد بن ناصر وأبي عامر العبدريِّ وكان العبدريُّ أحفظَهما ، ولم أر بخراسان مثلَ أبي القاسم الشَّحَّاميِّ ، ولا بأصبهان مثلَ أبي القاسم التيميِّ الحافظ وأبي نصر البوياريِّ ، فقلتُ له : ما إخالُكَ إلا أفضلَ منهما ، فسكت)[١]

ومَن أرادَ الوقوفَ علىٰ شيوخه ، والتوسُّعَ في معرفة رواياته عنهم ، والاطلاعَ علىٰ شيء من ترجماتهم.. فعليه بكتابه العظيم : « معجم الشيوخ »[٢]

أمَّا بشأن مَن سمعَ منه وروىٰ عنه

فأعلامٌ شرَّقَتْ أسماؤُها وغرَّبت ؛ قال الحافظ الذهبي في « تاريخه » : (وسمع منه الكبار ؛ كالحافظ أبي العلاء الهمَذانيِّ ، والحافظ أبي سعد السمعانيِّ) ، وقال : (روىٰ عنه : ابنه القاسم ، وبنو أخيه فخر الدين أبو منصور ، وتاج الأمناء ، وزين الأمناء، وعبد الرحيم ، وعزُّ الدين النسَّابة ابن تاج الأمناء ، والحافظ أبو المواهب بن صصرىٰ ، وأخوه أبو القاسم الحسين ، والقاضي أبو القاسم بن الحرستانيِّ ، وأبو جعفر القرطبيُّ[٣] ، والحافظ عبد القادر ، وأبو الوحش عبد الرحمـٰن بن نسيم ، والحسن بن علي الصيقليُّ ، وصالح بن فلاح الزاهد ، وظهير الدين عبد الواحد بن عبد الرحمـٰن بن سلطان القرشيُّ ، وأبو العز مظفر بن عقيل الشيبانيُّ الصفار

---

(١) انظر « معجم الأدباء » (٤/١٦٩٨ـ١٧٠٢) ، قال الدكتور المؤرخ محمد مطيع الحافظ في كتابه « الحافظ ابن عساكر » (وفي دمشق وحدها أخذ الحافظ عن « ٨٩ » شيخاً ، كما أخذ عن بعضٍ من شيوخ غوطة دمشق) .

(٢) وهو مطبوع بتحقيق الدكتورة وفاء تقي الدين ، طبعة دار البشائر دمشق

(٣) وهو كاتب النسخة الأم لطبعة «التبيين» التي بين يديك .

والد النجيب ، والصائن نصر الله بن عبد الكريم بن الحرستانيِّ ، والبدر بن يونس بن محمد الفارقيُّ الخطيبُ ، والقاضي أبو نصر بن الشيرازيِّ ، ومحمد ابن أخي الشيخ أبي البيان ، وعبد القادر بن الحسين البغداديُّ ، ونصر الله بن فتيان ، وإبراهيم وعبد العزيز ابنا الخشوعيِّ ، ويونس بن منصور السقبانيُّ ، وإدريس بن الخضر السقباني ، ومحمد بن رومي الحردانيُّ ، وحاطب بن عبد الكريم المزيُّ ، وذاكر بن عبد الوهاب السقباني ، وذاكر الله بن أبي بكر الشعيريُّ ، ومحمد بن غسان ، ومحمد بن عبد الكريم بن الهادي ، والمسلم بن أحمد المازنيُّ . . . ، وخلقٌ آخرهم وفاةً أبو محمد مكي بن المسلَّم بن عَلاَّن)[١]

مؤلَّفاته ومخلَّفُه العلمي

كان الإمام ابنُ عساكر ممَّن أكثرَ من التأليف ، وتراوحَتْ مؤلفاته بين الإسهابِ والبسط ، والإيجاز والاختصار ، وتنوَّعَتْ حسب مروياته التي كانت في فنون شتَّىٰ .

فمِنْ مطوَّلاتِهِ التي تُعدُّ مِن مفاخرِ الأمَّة : كتابه العظيم : « **تاريخ دمشق** » ، الذي سايرَ فيه كتابَ الحافظ الخطيب البغدادي « **تاريخ بغداد** »

ومن كتبه التي صنَّفها « **الموافقات علىٰ شيوخ الأئمة الثقات** » ، و« **الإشراف علىٰ معرفة الأطراف** » ، و« **تهذيب الملتمس من عوالي مالك** » ، و« **التالي لحديث مالك العالي** » ، و« **مجموع الرغائب ممَّا وقع من أحاديث مالك الغرائب** » ، و« **المعجم لمن سمع منه أو أجاز له** » ، وكتاب « **معجم الشيوخ النبلاء** » ، و« **معجم القرىٰ والأمصار** » ، وكتاب « **الأسماء**

(١) تاريخ الإسلام (٤٠/ ٧٢) .

والصفات » ، وكتابنا الفريد من نوعه « تبيين كذب المفتري فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري »[1] ، و« مناقب الشبان » ، و« فضل أصحاب الحديث » ، وغيرها الكثير من كتب فضائل البلدان ، والأربعينات ، والفضائل ، ومنها كتبٌ نقدية ؛ ككتاب « رفع التخليط عن حديث الأطيط » ، وكتاب « الجواب المبسوط لمن أنكر حديث الهبوط » ، وكتبٌ صناعية ؛ ككتاب « ترتيب الصحابة في مسند أحمد » ، وكتاب « ترتيب الصحابة الذي في مسند أبي يعلىٰ » ، وكتبٌ في الترجمات ؛ ككتاب « أخبار أبي عمرو الأوزاعي وفضائله » ، وكتاب « أخبار أبي محمد سعيد بن عبد العزيز وعواليه » ، وغيرها الكثير[2]

هٰذا بشأن تآليفه ، أمَّا بشأن تصدُّره للتعليم والإقراء : فيكفي لبيانِهِ ما حكاه عنه الحافظُ الرئيس أبو المواهب بن صَصرَىٰ لمَّا عزمتُ على التحديث ، والله المطلع أنَّه ما حملني علىٰ ذلك حبُّ الرئاسة والتقدُّم ، بل قلتُ متىٰ أروي كلَّ ما قد سمعتُهُ ؟! وأيُّ فائدة في كوني أخلفه بعدي صحائف ؟! فاستخرت الله ، واستأذنت أعيانَ شيوخي ورؤساء البلد ، وطفتُ عليهم ، فكلٌّ قال : ومَن أحقُّ بهٰذا منك ؟! قال : فشرعتُ في ذلك سنة ثلاث وثلاثين[3]

مكانته في علوم الحديث ، وثناءات العلماء عليه

قال فيه قرينُهُ وصاحبه الحافظ الكبير السمعانيُّ صاحب « الأنساب » : (كبيرُ العلم ، غزيرُ الفضل ، حافظٌ ثقة متقِنٌ ، ديِّنٌ خيِّرٌ ، حسنُ السَّمت ،

---

(١) وهو في عشرة أجزاء كما وصفه ابنه الحافظ بهاء الدين كما في «معجم الأدباء» (٤/ ١٦٩٩).

(٢) انظر « معجم الأدباء » (٤/ ١٦٩٨) ، و« التبادل الثقافي بين بلاد الشام وبلاد فارس » (ص ٢٥)

(٣) انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٥٦٥)

جمعَ بين معرفة المتون والأسانيد ، صحيح القراءة ، متثبتٌ محتاط ، رحلَ وتعب ، وبالغ في الطلب ، إلىٰ أن جمعَ ما لم يجمع غيره ، وأربىٰ علىٰ أقرانه)[١]

وقال صنوُهُ أيضاً أبو العلاء الهمَذانيُّ[٢] يوماً لرجلٍ استأذنَهُ أن يرحلَ ، فقال له : إن عرفتَ أستاذاً أعرفَ منِّي أو في الفضل مثلي . . فحينئذٍ آذنُ لك أن تسافرَ إليه ، **إلا أن تسافرَ إلى الحافظ ابن عساكر ؛ فإنَّه حافظ كما يجب ،** فقلتُ من هـٰذا ؟ فقال : **حافظُ** الشام **أبو القاسم ، ويسكن دمشق ، وأثنىٰ عليه**[٣]

وقال فيه شيخُهُ الخطيب أبو الفضل الطوسيُّ : (ما نعرفُ مَن يستحقُّ هـٰذا اللقب اليوم سواه) أراد : لقبَ الحافظ[٤]

وقال الحافظ الذهبيُّ في « تاريخه »: (قرأت بخطِّ عمر بن الحاجب ؛ قال: حكىٰ لي مَن أثقُ به أنَّ **الحافظ عبد الغني** قال **الحافظ ابن عساكر برجال الشام أعرف من البخاري لهم ، وندم علىٰ ترك السماع منه ندامة كلية**)[٥]

وقال الحافظ ابنُ النجار : (هو إمام المحدِّثين في وقته ، ومَنِ انتهت إليه الرئاسة في الحفظ والإتقان ، والمعرفة التامة بعلوم الحديث ، والثقة والنُّبْل ، وحسن التصنيف والتجويد ، **وبه ختم هـٰذا الشأن**)[٦]

---

(١) نقله الحافظ الذهبي في « تاريخه »(٤٠/ ٧٦)

(٢) هو الذي قال فيه الحافظ ابن عساكر وقد ذكر رجلاً من أصحابه رحلَ : (إن رجع ولم يلقَ الحافظ أبا العلاء . . ضاعت رحلته) ، وانظر « سير أعلام النبلاء »(٢١/ ٤٤) .

(٣) نقله الحافظ الذهبي في « تاريخه »(٤٠/ ٧٨)

(٤) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ »(٧/ ٢١٨) .

(٥) تاريخ الإسلام (٤٠/ ٨١) .

(٦) انظر « تاريخ الإسلام »(٤٠/ ٨١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ »(٧/ ٢١٨)

وقال الإمام الأجلُّ النوويُّ في كتابه « بستان العارفين » وقد ذكره عَرَضاً : (قلتُ : ومن المشهودين بكثرة التصنيف : إمامنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيُّ ، والإمام أبو الحسن الأشعريُّ رضي الله تعالىٰ عنهما ، وقد عدَّدَ الإمام أبو بكر البيهقيُّ رحمه الله تعالىٰ مصنَّفاتِ الشافعي ، وعدَّد الإمام حافظُ الشام بل حافظُ الدنيا أبو القاسم المعروفُ بابنِ عساكر رضي الله تعالىٰ عنه في كتابه « تبيين كذب المفتري فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » تصانيفَ الأشعريِّ ؛ أنها نحو ثلاث مئة تصنيف)[١]

وتأكيداً لهـٰذا الخبر أذكر ما نقله عنه الإمام ابن السبكي فيه ؛ حيث قال في « طبقاته » (قال فيه الشيخ محيي الدين النوويُّ ـ ومِن خطِّهِ نقلت ـ : **هو حافظُ الشام ، بل هو حافظ الدنيا ؛ الإمام مطلقاً ، الثقة الثبت**)[٢]

وقال الحافظ الذهبيُّ : (وكان شيخنا **أبو الحجاج المِزيُّ يميلُ إلىٰ أنَّ ابنَ عساكر ما رأىٰ حافظاً مثلَ نفسه**)[٣]

أمَّا عن مكانته في علوم الرواية وشدَّة استحضاره : فيدلُّكَ عليه ما حكاه الحافظ الكبير عبد العظيم المنذريُّ ؛ حيث قال سألت شيخنا الحافظ أبا الحسن علي ابن المفضل المقدسيَّ ؛ فقلت له : أربعة من الحفاظ تعاصروا ، أيُّهم أحفظُ ؟ قال : مَن هم ؟ قلتُ : الحافظ ابن عساكر ، وابن ناصر ؟ قال : ابنُ عساكر أحفظُ ، قلتُ : الحافظ أبو العلاء وابنُ عساكر ؟ قال : ابنُ عساكر أحفظُ ، قلتُ : الحافظ أبو طاهر السِّلَفيُّ وابنُ عساكر ؟ فقال : السِّلَفيُّ أستاذُنا السِّلَفيُّ أستاذنا

---

(١) بستان العارفين (ص ٤٠٢) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٧/ ٢١٩)

(٣) انظر « تذكرة الحفاظ » للحافظ الذهبي (٤/ ١٣٣٣)

قال الإمام ابن السبكي بعد إيراد هٰذا الخبر (قال الحافظ زكي الدين وغيره من الحفاظ الأثبات كشيخنا الذهبي وأبي العباس بن المظفر : **هٰذا دليلٌ علىٰ أنَّ عنده ابنَ عساكرَ أحفظُ ، إلا أنَّه وقَّرَ شيخه أن يصرِّحَ بأنَّ ابن عساكر أحفظُ منه**

قال الذهبيُّ : وإلا فابن عساكر أحفظُ منه ، وقال : **وما أرى ابنَ عساكر رأىٰ مثلَ نفسه**)[١]

وقال الحافظ **ابن النجار** (سمعت شيخنا عبد الوهاب بن الأمين يقول : كنت يوماً مع الحافظ أبي القاسم ابن عساكر وأبي سعد بن السمعاني نمشي في طلب الحديث ولقاء الشيوخ ، فلقينا شيخاً ، فاستوقفَهُ ابنُ السمعاني ليقرأ عليه شيئاً ، وطافَ على الجزء الذي هو سماعُهُ في خريطته ، فلم يجدْهُ ! وضاق صدرُهُ ، فقال له ابن عساكر ما الجزءُ الذي هو سماعُهُ ؟ فقال : كتاب « البعث والنشور » لابن أبي داود ، سمعه من أبي نصر الزينبي ، فقال له لا تحزنْ ؛ **وقرأ عليه مِنْ حفظِهِ أو بعضه**)[٢]

وقال الحافظ ابن كثير في « طبقات الشافعيين » فيه : (فخرُ الشافعية ، وإمامُ أهل الحديث في زمانه ، وحامل لوائهم صاحب « تاريخ دمشق »)[٣]

وقال الحافظ **ابن كثير** أيضاً في « البداية والنهاية » (أحدُ أكابر حفَّاظ الحديث ، ومَن عُنِيَ به سماعاً وجمعاً ، وتصنيفاً واطِّلاعاً ، وحفظاً لأسانيدِهِ ومتونه ، وإتقاناً لأساليبه وفنونه ، صنَّف « تاريخ الشام » في ثمانين مجلدة ، فهي باقيةٌ بعدَهُ مخلَّدة ، **وقد نَدَرَ علىٰ مَنْ تقدَّمَهُ مِن المؤرخين ، وأتعبَ مَن**

---

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٢٠)

(٢) انظر « ذيل تاريخ بغداد » (٢١/ ١٤٢) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢١٩) .

(٣) طبقات الشافعيين (ص ٦٩٣) .

يأتي بعدَهُ من المتأخِّرين ، فحازَ فيه قصبَ السبق ، ومَن نظرَ فيه وتأمَّلَهُ رأىٰ ما وصفه فيه وأصله ، وحكمَ بأنَّه فريدُ دهره في التواريخ ، وأنَّه الذروة العليا مِن الشماريخ ، هـٰذا مع ما له في علوم الحديث مِنَ الكتب المفيدة ، وما هو مشتملٌ عليه مِن العبادة والطرائق الحميدة)[١]

والكلماتُ البديعة اللاهجة بصدقٍ ببعض ما بلغَ إليه هـٰذا الحافظ الجليل.. هي للإمام ابن السبكي في « طبقاته » ؛ حيث قال في طالِعة ترجمته (الشيخُ الإمام ناصرُ السنة وخادمها ، وقامعُ جند الشيطان بعساكر اجتهاده وهادمُها ، إمامُ أهل الحديث في زمانه ، وختامُ الجهابذة الحفَّاظ ، ولا ينكرُ أحدٌ منه مكانةَ مكانِه ، محطُّ رحال الطالبين ، وموئلُ ذوي الهمم من الراغبين ، الواحدُ الذي أجمعَتِ الأمَّة عليه ، والواصلُ إلىٰ ما لم تطمح الآمال إليه ، والبحرُ الذي لا ساحلَ له ، والحبر الذي حملَ أعباءَ السنَّة كاهلُهُ .

قطعَ الليل والنهار دائبين في دأبِهِ ، وجمع نفسَهُ علىٰ أشتات العلوم لا يتخذُ غيرَ العلم والعمل صاحبين وهما منتهىٰ أربه ، حِفْظٌ لا تغيبُ عنه شاردة ، وضَبْطٌ استوَتْ لديه الطريفةُ والتالدة ، وإتقانٌ ساوىٰ به مَنْ سبقَهُ إن لم يكن فاقَهُ ، وسَعَةُ علمٍ أثريٍّ بها وتركَ الناسَ كلَّهم بين يديه ذوي فاقة)[٢]

الحافظ ابن عساكر والملك العادل نور الدين الشهيد

كان الحافظُ أبو القاسم قد نَعِمَ بظلِّ إمامٍ عادل كُني بكنيته ؛ وهو أبو القاسم ، محمودُ بن قسيم الدولة ، المعروف بـ (**نور الدين بن زنكي الشهيد**) ، كما نَعِمَ هـٰذا الأميرُ العادل بصحبة إمامِنا ابن عساكر ، وانتفعَ بعلمِهِ وإرشاده ، وصلاحِهِ وتقواه ، فكان يصدرُ عن رأيه ، ويعملُ بمشورته ، وكذا

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٢٩٤)
(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٧/ ٢١٥) .

عَرَفَ الحافظُ له قدرَهُ ، فكانت بينهما صداقة حميمة ، تُحفظ فيها الحقوقُ ويُرعى الودُّ ، دامت قرابةَ عشرين عاماً .

وسيرةُ هـٰذا الإمامِ الشهم الهمام اعتنىٰ بسرْدِها الحافظُ ابن عساكر في « تاريخ دمشق »[1] ، ومن بعده الحافظ أبو شامةَ في كتابِهِ « الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية » و« ذيلِهِ » ، وهي سيرةٌ عطرة يليقُ بأهل الدراية والمعرفة العنايةُ بها وبقراءتها قراءةً واعية .

وما يلفتُ النظرَ في التعرُّف علىٰ سيرة كلٍّ من ابن عساكر ونور الدين بن زنكي . . هي وشائجُ القربىٰ في المنهج الإصلاحي ؛ ووحدةُ النظرة التي يظلُّها الرُّواق الشرعيُّ ، وهـٰذا يذكِّرنا بحجة الإسلام الغزالي مع الوزير السلجوقي العادل نظام الملك ، وذاك حديثٌ تتعانقُ فيه صهوات الخيول ومنابر العلم والوعظ ، وأروقةُ التدبير وأروقة التعليم ، في صحبةٍ نادرة عزيزةٍ بين الساسة والعلماء ، محفوفةٍ بالصدق والإخلاص .

يقول إمامُنا ابن عساكر واصفاً للملك العادلِ نورِ الدين : (أحسنَ إلى العلماء وأكرمَهم ، وقرَّبَ المتديِّنينَ واحترمَهم ، وتوخَّى العدْلَ في الأحكام والقضايا ، وألان كنفَهُ وأظهرَ رأفتَهُ بالرعايا ، وبنىٰ في أكثرِ مملكته آدرَ العدْلِ ، وأحضرَها القضاةَ والفقهاءَ للفصْلِ ، وحضرَها بنفسه في أكثرِ الأوقات ، واستمعَ مِنَ المتظلِّمين الدعاوىٰ والبيِّنات ؛ طلباً للإنصاف والفضْل ، وحرصاً علىٰ إقامة العدل)[2]

---

(١) تاريخ دمشق (١١٨/٥٧) ، وذاك في ترجمته له فيه ترجمة وافية واسعة ، ومع هـٰذا صاحبَ ذكرُهُ كتابَهُ هـٰذا من فاتحته لخاتمته ، وقد توفي الملك العادل نور الدين سنة (٥٦٩ هـ) قبل وفاة الحافظ بعامين .

(٢) انظر « تاريخ دمشق » (١٢٠/٥٧)

ولم يكن نورُ الدين قريباً من العلماء فحسب ، بل كان متلبِّساً بالعلم ، متشبِّهاً بعلماء زمانه علىٰ قَدر الوُسْع والحال ، ومَنْ تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم ، مع دماثة خُلُقٍ ، ولينِ جانبٍ ، واعتقادٍ حسنٍ بأهل الولاية والصلاح ، وقد أبرزَ هٰذا المعنىٰ كلَّهُ الحافظُ ابن عساكر إذ قال في نعته : (جمعَ اللهُ له من العقل المتين ، والرأي الثاقب الرصين ، والاقتداءِ بسيرة السلف الماضين ، والتشبُّهِ بالعلماء والصالحين ، والاقتفاءِ بسيرة مَنْ سلفَ منهم في حسْنِ سمتِهم ، والاتِّباعِ لهم في حفْظِ حالِهم ووقتهم ، حتىٰ روىٰ حديثَ المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم وأسمعَهُ ، وكان قد استجيزَ له ممَّن سمعَهُ وجمعَهُ ؛ حرصاً منه على الخير في نشر السنة بالأداء والتحديث ، ورجاءَ أن يكونَ ممَّنْ حفظَ على الأمة أربعينَ حديثاً كما جاءَ في الحديث ، فمَنْ رآهُ شاهدَ من جلال السلطنة وهيبة المُلك ما يبهرُهُ ، فإذا فاوضَهُ رأىٰ مِنْ لطافتِهِ وتواضعه ما يحيِّرُهُ ، يحبُّ الصالحين ويؤاخيهم ، ويزورُ مساكنَهم لحسن ظَنِّهِ فيهم)[1]

وكان مِنْ شأن هٰذا الملك العادل أن يحيطَ علماً بمجريات عصره ، متعرِّفاً علىٰ أسباب الضَّعف والخور والغلبة والنصر ، تلك الأسباب التي قد تخفىٰ عن كثيرٍ ممَّن يحسبُ أنَّ النصرَ رهين العدد والعُدَّة وقوة الأبدان ، غافلاً عن السُّنَنِ الكلِّيَّة التي لا تبديلَ لها ولا تحويل ، وعلىٰ رأسِها عزيمةُ الإيمان وسلامة الاعتقاد ، والتلبُّس بمرضياتِ الأعمال الصالحات ، والتذلُّل لمليك الأرضين والسماوات بضراعةٍ وإخبات ، فطلبُ النصر مع فقد شَرْطه قلَّةُ حياءٍ تورث الخزيَ والعار ، وسوءُ أدبٍ نتيجتُهُ التأديب ، وإتيانٌ للبيوت من غير أبوابها .

ولك الآن أن تسأل ماذا وراءَ الحديثِ عن نور الدين ؟ وما عُلقتُهُ بكتاب « التبيين » ؟

---

(١) انظر « تاريخ دمشق » (٥٧/ ١٢٣) ، و« الروضتين في أخبار الدولتين » (٢/ ٣١٢) .

وتكمنُ الإجابة عن هـٰذه في التعرُّف علىٰ حقيقة كتاب « التبيين » ، إذ لم يكن المرادُ من سَطْرِ هـٰذا الكتاب مجرَّدَ الدفاعِ عن الإمام الأشعريِّ ، والتعريفِ بأعلام مدرسته العريقة ، وقطعِ وترِ قوسِ الموتور الأهوازيِّ المفتري ، بل انطوَتْ فيه وتجلَّت معالمُ أهل السنة والجماعة ، وبُيِّنَتْ عقائدُهم الموروثة عن السلف الصالح ، والمؤيدةُ بأدلَّة العقول المطهَّرة عن شوائب الأهواء والشكوك ، مع ذكر منهجِهم في لمِّ شمل الأمَّة ، وإيثارهم التقريب جهدَهم علىٰ إقصاء المخالف ، ومحاسبة المخطئ علىٰ قدر خطئه ، دون خجلٍ في جَلاء الحقِّ أو شططٍ ، وما كان للمؤلف أن يفوته ذكْرُ المواقفِ والأخبار المتضمِّنة لصُوَرِ العبودية والإخلاص ، وأحوال الأولياء العارفين مع ربِّ العالمين ، والتي هي سرُّ أسرارِ التوفيق .

هـٰذا بعينِهِ ما وعاهُ **نورُ الدين** وجعله نصْبَ عينيه ، وأدركَ من شيخه ابن عساكر أهميةَ إبرازِ وإحياء هـٰذا النَّهْج ، فبنىٰ له دارَ السنَّة المعروفة بدار الحديث النورية في دمشق ؛ ليتفرغ للعلم والتعليم ، وتدوين مآثر السابقين وعِبَرِ الأولين[1] ، وتكون نواةَ هداية ورشد ، وأكثرَ من بناء المساجد والمدارس ، والأوقاف عليها ، ودُورِ رعاية الأيتام ، والثغور والأسوار ، مع تعظيمِهِ الشديد لحملة الدين ، والإحسان إليهم والإنعام عليهم ، وتجاوزِهِ عن ذوي الإساءات الذين أظهروا الندم ، وكسره لشوكة أهل الكفر والعناد ، **وقمعه لأهل البدع بالإبعاد لهم والإرغام**[2] ، في شدَّة من غير عنف ، ورِفْقٍ من غير ضعف .

ولعلَّك أحطتَ علماً بكون حافظ الدنيا ابن عساكر قد انتهجَ في سيرته سُبُلاً

---

(١) في مقدمة « تاريخ دمشق » (١ / ٤) يذكر إمامُنا ابن عساكر أن الملك نور الدين كان هو الذي يستحثُّه علىٰ إتمام كتابه هـٰذا بعد ما سمعَ بمباشرة تأليفه .

(٢) انظر « تاريخ دمشق » (١ / ٤) .

ما كان لِيَخْرُجَ عنها ، هي في الحقيقة ثوابتُ أهل السنة ؛ فهو أشعريُّ الاعتقاد ، مذهبيُّ العمل ، صوفيُّ الطريقة ، وهو يعلمُ أنَّ وراء هذا رضا المولى الكريم ، ووراءَ رضاه سبحانه ما يحبُّ قلبُ المؤمن ويرضىٰ دِيناً ودُنيا

وإليك ذكْرَ صورٍ مِنْ سيرة الملك العادل نورِ الدين في تمسُّكِهِ بهـٰذه المعالم الثلاثة ، وشدَّته الممزوجة بالشفقة والرحمة في حياطتِها والأخذِ بها ، وكونه كان مرآةً مصقولة صافية لشيخه ابن عساكر

سيرته في العقائد والأصول :

من الصُّورِ الجاذبة للانتباهِ في تمسُّك نور الدين باعتقاد الأشعريين أعلامِ أهل السنة ، وقمعِهِ للعَبَثة بعقائدِ المسلمين ؛ من ضَعَفة العقول وأدعياء المنقول . . ما نقله الحافظ أبو شامة في « الروضتين » عن « الباهر » لابن الأثير (**وأمَّا حفظُ أصول الديانات** فإنَّه كان مراعياً لها ، لا يهملُها ولا يمكِّنُ أحداً من الناس من إظهار ما يخالفُ الحقَّ ، ومتىٰ أقدمَ مُقدِمٌ علىٰ ذلك . . أدَّبَهُ بما يناسبُ بدعتَهُ ، وكان يبالغُ في ذلك ويقولُ نحن نحفظُ الطرقَ من لصٍّ وقاطعِ طريق ، والأذى الحاصلُ منهما قريبٌ ، أفلا نحفظُ الدينَ ونمنعُ عنه ما يناقضُهُ وهو الأصلُ ؟!)

ومِن مشاهدِ حفظه للاعتقاد السليم ، وعدمِ انخداعه بزيِّ أهل التقشُّفِ الذين انطوَتْ بواطنهم على البدع الاعتقادية المشينة ، ولا سيما في حقِّ المولى العظيم سبحانه . . ما حكاه ابن الأثير في متابعة قولته المنصرمة ؛ حيث قال : (وحُكيَ أنَّ إنساناً بدمشقَ يُعرَفُ بيوسف بن آدم كان يظهرُ الزهد والنسك وقد كثُرَ أتباعُهُ . . أظهر شيئاً مِنَ التشبيهِ ، فبلغَ خبرُهُ نورَ الدين ، فأحضرَهُ ، وأركبَهُ حماراً وأمرَ بصَفْعه ، فطِيفَ به في البلد جميعه ، ونُوديَ عليه « هـٰذا جزاءُ مَنْ أظهرَ في

الدين البِدعَ » ، ثم نفاهُ من دمشق ، فقصد حرَّان وأقامَ بها إلىٰ أن ماتَ

قال : ويسوقُ اللهُ القصارَ الأعمارِ إلى البلادِ الوَخِمَة)[١]

وأكاد أجزمُ أنَّ هـٰذا الناسكَ الجاهل هو من رسيسِ المفتري الأهوازي ومدرسته ، الذي صوَّب الحافظُ ابن عساكر إليه وإلى أتباعه نصالَ سهامِهِ المحتملة في جَعْبَةِ « التبيين » ، هـٰذا مع ما عُرِفَ عن نور الدين من إحياء السنة وإماتة البدعة ، ونهيه عن سبِّ السلف من الصحابة وأئمة الهدى الماضين ، ونصرته للسنة الشريفة ، وقد نقل الحافظ أبو شامة عن ابن الأثير قوله (وهو أوَّلُ مَنْ بنىٰ داراً للحديث فيما علمنا)[٢]

سيرته في الفقه والفروع :

تقدَّم لنا أنَّ من ألقاب الحافظ ابن عساكر : فخر الشافعية ؛ فقد كان من أعلام الفقه الشافعي ، وتُرجم له في طبقاتهم ، **بينما كان الملك العادل نور الدين حنفياً** ، كما قال ابن الأثير (وكان عارفاً بالفقهِ علىٰ مذهب الإمام أبي حنيفةَ رضي الله عنه ، ليس عنده تعصُّبٌ ، بل الإنصافُ سجيَّته في كلِّ شيء) ، ويجتمعُ الاثنانِ تحت مظلَّة التمذهب ، وإقرارِ المذاهب الأربعة كمعالمَ فقهيةٍ لأهل السنة ، وهـٰذا كما يتجلَّىٰ واضحاً في « التبيين » يتجلَّىٰ عملاً في سيرة نور الدين ؛ فمع كونِهِ حنفيَّ المذهب وبنائه مدارسَ له . . لم يتوانَ عن بناء زاويتينِ في حلب للحنابلة والمالكية ، بل وعملَ علىٰ نشر المذاهب الأربعة فيها بعد أُفولِ دولة الحمدانيين[٣] ، وقد أكثرَ من بناء مدارسَ للشافعية[٤]

---

(١) انظر « الروضتين » (١/ ٥٠)

(٢) انظر « الروضتين » (١/ ٤٧)

(٣) انظر « تاريخ دمشق » (٥٧/ ١٢٠)

(٤) انظر « الكامل » لابن الأثير (٩/ ٣٩٥) ، وقال الحافظ أبو شامة في « الروضتين » (١/ ٤٥) : (وبنىٰ أيضاً المدارس بحلب وحماة ودمشق وغيرها للشافعية والحنفية) .

قال الحافظ أبو شامة في « الروضتين » (وكان يجمع في مجلسه أفاضلَ الوقت من أعيان المذاهب الأربعة والنحاة وغيرهم ، ويجري بحضرتهم فوائد كثيرة)[1]

سيرته في السلوك ومناهج التربية :

الناظرُ في تبتُّل وعبادةِ الملك العادل نورِ الدين يجزمُ أنها كانت تصحبُها أنفاسُ العارفين ؛ فمن صفته في هٰذا : ما ذكره الحافظ أبو شامة : (كان حسنَ الخطِّ ، كثيرَ المطالعة للكتب الدينية ، متَّبعاً للآثار النبوية ، مواظباً على الصلوات في الجماعات ، عاكفاً على تلاوة القرآن ، حريصاً على فعل الخير ، عفيفَ البطن والفرج ، مقتصداً في الإنفاق ، متحرِّياً في المطاعم والملابس ، لم تُسمعْ منه كلمةُ فحْشٍ في رضاه ولا في ضجره ، وأشهىٰ ما إليه كلمةُ حقٍّ يسمعُها ، أو إرشادٌ إلىٰ سنة يتَّبِعُها)[2]

واسمعْ لهٰذه الكلمات اللطيفة في حسن اعتقاده بالأولياء والصالحين التي نقلها الحافظ أبو شامة (وبنى الرُّبُطَ والخانقاهاتِ في جميع البلاد للصوفية ، ووقفَ عليها الوقوفَ الكثيرة ، وأدرَّ عليهم الإدراراتِ الصالحة ، وكان يحضِرُ مشايخَهم عنده ، ويقرِّبُهم ويُدْنِيهم ، ويبسطُهم ويتواضعُ لهم ، وإذا أقبلَ أحدُهم إليه يقومُ له مذْ تقعُ عينُهُ عليه ، ويعتنقُهُ ويجلِسُهُ معه على سجَّادته ، ويقبِلُ عليه بحديثِهِ)[3]

---

(١) الروضتين (١/ ٤٤٠) .

(٢) انظر « الروضتين » (١/ ٣٣) .

(٣) انظر « الروضتين » (١/ ٤٧) ، وزاد : (**وبالجملة** : كان أهلُ الدين عنده في أعلىٰ محلٍّ وأعظمه ، وكان أمراؤه يحسدونهم علىٰ ذلك ، وكانوا يقعون عنده فيهم ، فينهاهم ، وإذا نقلوا عن إنسان عيباً يقول : ومن المعصوم ؟! وإنَّما الكاملُ من تُعَدُّ ذنوبُهُ) ، **والخانقاهات**: أمكنة يتفرغ فيها روَّادها للعبادة والذكر ، والتحلِّي بصفات أهل الخير والعرفان .

وقال أيضاً (كان مع هـٰذه العَظَمة وهـٰذا الناموس القائم إذا دخلَ عليه الفقيهُ أو الصوفيُّ أو الفقير . . يقومُ له ويمشي بين يديه ، ويُجلسُهُ إلىٰ جانبه كأنَّه أقربُ الناس إليه ، وكان إذا أعطىٰ أحدَهم شيئاً يقول : إنَّ هـٰؤلاء لهم في بيت المال حقٌّ ، فإذا قنعوا منَّا ببعضه فلهم المنَّةُ علينا)[1]

وقال المؤرخ ابن الأثير في « الكامل » (وكان يصلي كثيراً بالليل ، وله فيه أوراد حسنة)[2]

وقال أيضاً : (بنى الخانكاهات للصوفية في جميع البلاد)[3]

وتأمَّل شأنَهُ مع واحدٍ من أمثال هـٰؤلاء الصالحين ، **وحُسنَ اعتذاره له مع الورع والدين** ؛ ففي « الروضتين » (كان بالجزيرة رجلٌ من الصالحين كثير العبادة والورع ، شديد الانقطاع عن الناس[4] ، **وكان نورُ الدين يكاتبه ويراسله ، ويرجع إلىٰ قوله ، ويعتقد فيه اعتقاداً حسناً** ، فبلغَهُ أنَّ نور الدين يدمنُ اللعبَ بالكرة ، فكتبَ إليه يقول : ما كنت أظنُّكَ تلهو وتلعب ، وتعذِّبُ الخيلَ لغير فائدةٍ دينية !

فكتب إليه نور الدين بخطِّ يدِهِ يقول : والله ؛ ما يحملني على اللعب بالكرة اللهْوُ والبطر ، إنَّما نحن في ثغرٍ ، العدوُّ قريبٌ منَّا ، وبينما نحن جلوسٌ إذ يقع صوتٌ ، فنركب في الطلب ، ولا يمكننا أيضاً ملازمةُ الجهاد ليلاً ونهاراً ، شتاء وصيفاً ؛ إذ لا بدَّ من الراحة للجند ، ومتىٰ تركنا الخيلَ علىٰ مرابطِها صارت جَماماً لا قدرةَ لها علىٰ إدمانِ السير في الطلب[5] ، ولا معرفةَ لها أيضاً

---

(١) انظر « الروضتين » (١/ ٤٨) .
(٢) الكامل في التاريخ (٩/ ٣٩٤) .
(٣) انظر « الكامل » (٩/ ٣٩٥) ، ويقال : خانقاهات ، وخانكاهات بكاف فارسية
(٤) واسمه : محمد بن العوام ، كما جاء في هامش أصل الكتاب ، ونقله محققه تعليقاً .
(٥) يقال : جمَّ الفرس ؛ إذا تُرك فلم يُركب ، فذهبت قوته ، وجَمامه ـ بالفتح ـ راحته .

بسرعة الانعطاف في الكرِّ والفرِّ في المعركة ، فنحن نركبُها ونروضُها بهـٰذا اللعب فيذهبُ جَمامُها ، وتتعوَّدُ سرعةَ الانعطاف والطاعةِ لراكبها في الحرب ، **فهـٰذا واللهِ الذي بعثني على اللعب بالكرة**)[1]

وأعجبُ ما في الخبر : حلفُهُ رضي الله عنه لشيخه ليصدِّقه بتوليدِ هـٰذه النية العزيزة الزكية الصالحة ويقبلها منه ، والتي يقف عليها أهل الحرب ، وقد تخفىٰ عن مثل الشيخ الصالح المذكور !

بل أعجبُ منه أنَّ الشيخ عمر الملا ـ وهو أحد الصالحين في الموصل ـ كتب إليه يعظُهُ في قمْعِ الظلم[2] إنَّ المفسدين قد كثُروا ، ويحتاجُ إلىٰ سياسة ، ومثل هـٰذا لا يجيء إلا بقتل وصلب وضرب ، وإذا أُخذَ مال إنسان في البرية مَنْ يجيءُ يشهدُ له ؟!

---

(١) الروضتين (١/ ٣٥) ، ثم نقل عن ابن الأثير تعليقه علىٰ هـٰذا الخبر إذ قال : (فانظر إلىٰ هـٰذا الملك المعدوم النظير ، الذي يقِلُّ في أصحاب الزوايا المنقطعين إلى العبادة مثلُهُ ؛ فإنَّ مَن يجيءُ إلى اللعب يفعلُهُ بنية صالحة ؛ حتىٰ يصيرَ من أعظم العبادات وأكبر القربات . . يقِلُّ في العالم مثلُه ، وفيه دليلٌ علىٰ أنه كان لا يفعل شيئاً إلا بنية صالحة ، **وهـٰذه أفعالُ العلماء الصالحين العاملين**) ، وله غير ذلك من لطيف الأخبار مع الصوفية ، وانظر خبره مع الواعظ أبي عثمان المنتخب وكان من كبار الصالحين في « البداية والنهاية » للحافظ ابن كثير (١٢/ ٢٨٢) ، ومنها قوله للملك العادل نور الدين يعظه [من الكامل]

مَثِّـلْ وقـوفَـكَ أيُّهـا المغـرورُ ... يـومَ القيـامـةِ والسمـاءُ تمـورُ
إنْ قيـلَ نـورُ الـديـن رحتَ مسلماً ... فـاحـذرْ بـأنْ تبقـىٰ ومـا لـكَ نـورُ
أنهيتَ عن شربِ الخمورِ وأنتَ في ... كـأسِ المظـالـمِ طـائـشٌ مخمـورُ

فما سمعها حتىٰ بكىٰ بكاء شديداً ، ونهىٰ عن المُكوس والمظالم ، وهـٰذا الواعظ كان يعلم أن قلب نور الدين قد امتلأ منه حشمة ومحبة ، فقال له هـٰذه العظة الصلبة الطيبة ، ولو لم يعلم ذلك لما خاطبه بمثل هـٰذا ، فسبحان من يؤتي الحكمة من يشاء

(٢) وكان نور الدين يستقرض منه طعاماً في رمضان ليفطر علىٰ حلال ، فكان يرسل إليه بفتيت ورِقاق ، فيأكله طيلة هـٰذا الشهر

فكتب إليه نور الدين علىٰ ظهر كتابه إنَّ الله خلقَ الخلْقَ ، وشرعَ لهم شريعةً ، وهو أعلمُ بما يصلحُهم ، **ولو علمَ أنَّ في الشريعة زيادةً في المصلحة لشرعَها لنا** ، **فلا حاجةَ بنا إلى الزيادةِ علىٰ ما شرعَهُ الله تعالىٰ** ، فمَنْ زادَ فقد زعمَ أنَّ الشريعةَ ناقصةٌ ، فهو يكمِّلُها بزيادته ، وهـٰذا مِنَ الجرأة على الله وعلىٰ ما شرعه ، **والعقولُ المظلمة لا تهتدي** ، والله سبحانه يهدينا وإيَّاك إلىٰ صراطٍ مستقيم[1]

فلمَّا وصل الكتاب إلىٰ هـٰذا الشيخ جمع الناس بالموصل ، وقرأَ عليهم الكتابَ ، وجعل يقول : انظروا إلىٰ كتاب الزاهدِ إلى الملك ، وكتاب الملكِ إلى الزاهد !![2]

وسيرى القارئ في « التبيين » النقولاتِ التي يوردها الحافظُ ابن عساكر في مثل هـٰذه البابة ؛ **مؤكِّداً تلازمَ أمثال هـٰذه الرقائق واللطائف لمن زكَتْ نفسُهُ وجاء بقلبٍ سليم** ، خالٍ من الأوهام وسوء الاعتقادات ومَهالكِ الشكوك

وبعد هـٰذه التطوافةِ العجلة المختزلةِ في هـٰذه الصحبة المباركة بين هـٰذين العَلَمين الجبلين . . لعلَّك تدركُ الحال التي وصلَ إليها الملك العادل نور الدين لتهونَ عليه ضراعته التي شقَّتِ الحُجُب ، وفُتحت لها أبواب الإجابة ؛ حين قال مناجياً مولاه سبحانه : (**اللَّهمَّ ؛ انصرْ دينَك ، ولا تنصرْ محموداً ، مَنْ هو محمودٌ الكلبُ حتىٰ يُنصرَ ؟!**)[3] ، وحينما قال رحمه الله تعالىٰ وأعلىٰ مقامه : (**اللَّهمَّ ؛ ارحم المكَّاس العشَّار الظالمَ محموداً الكلب !**)[4]

---

(١) ما أحسنها من كلمة ! فلتعها أذن واعية

(٢) انظر الخبر في « البداية والنهاية » (١٢/ ٢٨٣)

(٣) انظر « البداية والنهاية » (١٢/ ٢٦١) .

(٤) انظر « البداية والنهاية » (١٢/ ٢٨١) .

وحاشاه رحمه الله من هٰذا الوصف ، ولٰكن هانت عليه هٰذه الكلماتُ ـ وهو الذي هابته ملوكُ زمانه ، وخضعوا لسلطانه ـ لعلمه بأنه عبدٌ لمولاه وإن عزل وولَّىٰ ، وأطاعته الكبراء ، فكان من حُسنِ جزاء الله العدْلِ أن قرنَ اسمَهُ بألقاب العدْلِ والفضل كما ترىٰ وتسمع ، وصيَّرَ قبره مَجْمَعاً للمحبِّين والصالحين ، روَّى الله ضريحه بسحائب الرضوان[1]

وفاته رحمه الله تعالىٰ

في حادي عشرَ شهرِ رجب الفرد ، **سنة إحدىٰ وسبعين وخمس مئة** ، وبدمشق الشام . . فاضَتْ روحُ حافظ الدنيا الإمام ابن عساكر إلىٰ بارئها سبحانه ، وكان قد بلغ من العمر اثنتين وسبعين سنة وستة أشهر وعشرة أيام ،

---

(١) توفي الملك العادل نور الدين سنة (٥٦٩ هـ) ، قبل وفاة الحافظ ابن عساكر بسنتين ، وجاء بعده الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وكان في غاية الإجلال والتعظيم لابن عساكر أيضاً ، ولٰكنَّه لم ينلِ الحظوة التي كانت لنور الدين من قلبه ، ويظهر أنه لم تكن له اليقظة التي امتلكها سلفُهُ نور الدين علىٰ جلالتهما رحمهما الله تعالىٰ ، وهو علىٰ سعة خبرته العسكرية ومعرفته بالعلوم الشرعية لم يتنبَّه لخطر التهويش العقدي ، فجنىٰ ثمار ما زرعه نور الدين ، وأحسن ضبط الشؤون ، وبعد وفاته بيسير بدأت تعود سكرة للأمة جديدة .
وقد روى الحافظ أبو شامة في « الروضتين » (١/ ٤٩) في تباين مجلسَي نور الدين وصلاح الدين ، وفيه تعظيم صلاح الدين لشأن الحافظ ابن عساكر ومعرفته بقدره ؛ فقال : (بلغني أن الحافظ ابن عساكر الدمشقي رضي الله عنه حضر مجلسَ صلاح الدين يوسف لما ملكَ دمشقَ ، فرأىٰ فيه من اللغط وسوء الأدب من الجلوس فيه ما لا حدَّ عليه ، فشرع يحدِّثُ صلاح الدين كما كان يحدِّثُ نور الدين ، فلم يتمكَّن من القول ؛ لكثرة الاختلافِ من المتحدِّثين وقلَّة استماعهم ، فقام وبقيَ مدَّةً لا يحضر المجلس الصلاحيَّ ، وتكرَّرَ من صلاح الدين الطلبُ له ، فحضر ، فعاتبَهُ صلاح الدين يوسفُ على انقطاعه ، فقال : نزَّهْتُ نفسي عن مجلسك ؛ فإنني رأيته كبعض مجالس السُّوقة ، لا يُستمعُ إلىٰ قائل ، ولا يُردُّ جواب متكلِّم ، وقد كنَّا بالأمس نحضرُ مجلسَ نور الدين ، فكنَّا كما قيل : كأنما علىٰ رؤوسنا الطير ، تعلونا الهيبة والوقار ، فإذا تكلَّمَ أنصتنا ، وإذا تكلَّمنا استمعَ لنا ، فتقدَّم صلاحُ الدين إلىٰ أصحابه : أنه لا يكونُ منهم ما جرَتْ به عادتُهم إذا حضرَ الحافظ) .

وحضرَ جنازته الملكُ الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وأهل العلم والصلاح ، وصُلِّيَ عليه بالجامع ، ثم دُفِنَ بمقبرة باب الصغير خارجَ سور دمشق ، وقبرُهُ إلى اليوم منارةٌ يقصدُها الزوَّار من أنحاء المعمورة

قال العماد الكاتب : (وكان الغيث قد احتبسَ في هٰذه السنة ، فدَرَّ وسمحَ عند ارتفاعِ نعشِهِ ، فكأنَّ السماء بكَتْ عليه بدمعِ وَبْلِهِ وطَشِّه)[1]

ورثاه العلماءُ والأدباء ، ورُئيَتْ له بعد وفاته المرائي الحسنةُ ، وسارَتْ في حياته وبعد وفاته بكُتُبه الركبانُ ، وشَرُفَ بالروايةِ عنه والاتصالِ بأسانيده أصحابُ القراطيس والمحابر ، جزاه الله تعالىٰ عن أمَّة الحبيب المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام خيرَ ما جزىٰ عالماً مِنْ أمَّته عن أمَّته .

* * *

(١) انظر « معجم الأدباء » (٤/١٦٩٨)

كتاب
تبيين كذب المفتري
فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري[1]

اتفقَتْ نسخُ الكتاب الخطيَّة علىٰ هـٰذه العنوانة له[2] ، وهي نسخٌ مسنَدةٌ موثوقة ، وكذا كُتبُ التراجمات والفهارس ، وكثيراً ما يقعُ فيها مختصراً بالجملة الأولىٰ ، أو بقولهم « التبيين »[3] ، **وهـٰذا كلُّه يقعُ بنسبة هـٰذا الكتاب للمصنف الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالىٰ ، ومِنَ العبثِ التشكيكُ بنسبتِهِ إليه .**

---

(١) قوله في العنوان : (نَسَبَ) هو بفتحات بالبناء للمعلوم ، **كذا ضُبطَ في ورقة العنوان من النسخة (هـ) وفي خاتمتها** ، وهي نسخة مسندة مضبوطة بالسماع ، وفاعل (نَسَبَ) ضمير مستتر عائد على (المفتري) ، ولعلَّ من الخطأ الشائع بناءَهُ للمجهول ، ويؤكِّد هـٰذا تسميتُه التي وردت عند الحافظ ابن كثير في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (ص ٦٩٨) : « تبيين كذب المفتري على الشيخ أبي الحسن الأشعري » ، وقد ألَّف أبو العباس أحمد بن محمد القرطبي رسالة في الذبِّ عن الإمام الأشعري حاكىٰ فيها عنوان «التبيين» إذ سمَّاها : بـ« زجر المفتري علىٰ أبي الحسن الأشعري »

(٢) إلا في حروف يسيرة ؛ ففي النسخة (د) وقع العنوان : « بيان كذب المفتري فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » ، وفي النسخة (أ) وحدها جاءت كلمة (للشيخ) بدل (إلى الإمام) ، والأمر يسير

(٣) وعند الحافظ ابن كثير في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (ص ٦٩٨) وقع اسمه : « تبيين كذب المفتري على الشيخ أبي الحسن الأشعري » ، وعند السخاوي في « الجواهر والدرر » الذي ترجم فيه لشيخه الحافظ ابن حجر (٣/ ١٢٧١) وقع اسمه : « تبيين كذب المفتري في الذَّبِّ عن أبي الحسن الأشعري » ، وقال : (شبهُ الترجمة له) ، وهو تعبير عن الكتاب فيه اختزال مخلٌّ .

وقد عُدَّ هٰذا التأليفُ مِن مُهمَّاتِ الكُتب التي بيَّنَ فيها : مذهبُ أهل السنة والجماعة ، والأُسسُ التي شادوا بها طريقتَهم ، مع الترجمةِ لإمامِهم ولأبرزِ أعلامِهم ، وإزاحةِ الشُّبه التي أُثيرَتْ بشأنهم ، وتوضيحِ ما أشكلَ فهمُهُ في بعض مسالكِهم في بيان العقائد ، وردِّ الفِرى التي رُمُوا بها جهلاً وحسداً مِن قبل خصومهم ، حتىٰ صار هٰذا الكتاب علَماً عليهم ؛ ولهٰذا كلِّه قال فيه الإمام ابن السبكي في « طبقاته » **(كلُّ سنيٍّ لا يكون عنده كتابُ « التبيين » لابن عساكر . . فليس مِنْ أمر نفسِهِ علىٰ بصيرة)**

الداعيةُ لتأليفِ « التبيين » والحاجةُ إليه :

يظهرُ أنَّ جملةً مِنَ الأسباب كانت قد حرَّكت بنانَ الحافظ ابن عساكر لتدوين « التبيين » ستتبينُ لك فيما ستقرؤُهُ فيما يوجد فيه ، **ولعلَّ الغيرةَ التي كان يجدُها في نفسِهِ علىٰ أهل السنة والجماعة . . كانت الدافعَ الأكبر لوضع كتابٍ يدفعُ به عنهم** ؛ وذلك حينما رأىٰ بعضَ أهل البدع الذين غلبَ عليهم القولُ بالتشبيه ، والأخذُ بظواهر المتشابهات ، واعتقادُ فهومِهم لهٰذه الظواهرِ مذهباً للسلف ، ثم نسبتُها لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل ، حتى التبسَ على العامَّة **مَنْ هم أهل السنَّة والجماعة على التحقيق** ؟ وأنت خبيرٌ أنَّ الأخذ بمذهبِ التشبيه يسيرٌ ؛ إذ هو الذي تألفُهُ النفوس بالعادة ، **فأهونُ الأشياء قياسُ الغائبِ على الشاهد ، دون ضابطٍ ولا شاهد .**

وهٰذه أُحدوثةٌ قديمة لا تكادُ تخفىٰ ، ولٰكنَّ الذي قد يخفىٰ **أنَّ بني عساكر كانوا** ـ قبل « التبيين » وبعده بسنينَ متطاولةٍ ـ **أعيانَ الأشعرية الشافعية**[1] ، حتىٰ كأنَّ الذَّبَّ عن أهل السنَّة وحياطتَهم والتكلُّمَ بلسانهم . . **كلُّ**

---

(١) انظر « الدارس في أخبار المدارس » للنعيمي (١/ ٦٤)

ذلك كان منوطاً بهم ، مع مشاركةٍ بارزة لا تخفىٰ لجميع علماء أهل السنة ، ولـٰكنَّ كتابَ « التبيين » كان لهم .

ولعلَّنا لا نبالغُ إن قلنا لا نكادُ نعرفُ كتاباً وضَّحَ منهجَ أهل السنَّة والجماعةِ، وجمعَ بين الطريقة الأثريَّةِ والجرأة العلميَّة . . قبلَ كتاب «التبيين» ، لا بمعنىٰ وجودِ كتابٍ في تبيينِ عقائدهم ؛ فهـٰذا ملأَ رحْبَ الساحة العلميَّة ، ولـٰكن بمعنىٰ إفراد كتاب خاصٍّ يفصلُ أهل السنَّة عن أدعياءِ أهل السنة[١]

نعم ؛ إنَّ الخطرَ الذي تفاقمَ حتىٰ وصلَ الحالُ إلىٰ ألاَّ يُكتفىٰ بسبٍّ وشتمِ الأشعرية ، بل إلى الافتراءِ علىٰ إمامِهم وأعيانِ مدرسته بكذبٍ مهينٍ رخيص ، لا حياءَ فيه ولا مروءة ، وصلَ إلىٰ حدٍّ جاوزَ بهم قنطرةَ الإسلام ؛ فرماهم بالإلحاد والزندقة ؛ فإمامُهم ـ كما قال المفتري الذي رُدَّ عليه في « التبيين » ـ متظاهرٌ بالديانة ، نشأَ ملحداً ، وعاش ملحداً ، ومات ميتةً خسيسة ؛ سكرانَ علىٰ ظهرِ غلام ! !

أقول : هـٰذا الخطرُ الذي صار نذيرَ شؤم ، وتعدَّىٰ طورَ مراعاة الحقوق ، وجاوزَ حدودَ التذمُّم . . كان مَدْعاةً للإمام وشيخِ الإسلام ابن عساكر أن يبيِّنَ الفِرىٰ ، ويعودَ بالخلافِ إلىٰ وصفِهِ اللائق به ؛ فمخالفةُ بعضِ الحنابلة للأشاعرةِ ومخالفتُهم لهم يعرفُها الطرفانِ ويعرفان أسبابَها ، وكلاهما عالمٌ

---

(١) هـٰذه الجملةُ هي خلاصةُ المقاصد الشريفة التي حَدَتْ بالإمام الحافظ ابن عساكر لتأليف « التبيين » ، ولا يزالُ أهلُ السنة يُساءُ إليهم ؛ حين يبعدُ المخالفُ النُّجْعة ، فيأوي جهلاً أو عمداً إلىٰ كُتبِ مَن ينتسبُ إلىٰ أهل السنة وليس منهم ، فينسبُ لهم أقوالاً هم منها براءٌ ، ثم يقول (قال هـٰذا إمامكم فلانٌ) لمجرَّدِ كون هـٰذا القائل منتسباً لأهل السنة ! حتىٰ صار أهل السنة يُرمَون بالتشبيه والتجسيم ، وبالقدر والجبر ، وتعليل أفعال الله تعالىٰ ، والقول بتأثير الأسباب ، والقدم النوعي للعالم . . . إلىٰ غير ذلك من شذوذاتِ مَن تستَّرَ برداء السلف ، والشكوىٰ للمولى العظيم

بمذهبه ومذهبِ خصمه ـ دعْ عنك هنا مَن منهما أصابَ الحقَّ ـ ، ولـٰكن لا داعيَ للكذب والافتراء ، والنبْزِ بألقاب الكفر بلْهَ الإلحاد والزندقة ؛ **فهـٰذا وراءَهُ استباحةٌ للدِّماء ، وخرابٌ للبلاد وهلاكٌ للعباد**[1]

ولا تظنَّنَّ أنَّ هـٰذا الكلام ينطوي علىٰ مبالغات ، وحسبُكَ لتطمئنَّ أن تعلمَ أنَّ خصومَ الأشاعرة من الحنابلة لم يرضَوا عن مثالبِ المفتري الأهوازيِّ للأشعري ، بل قرَّروا أنَّ **رسالتَهُ المخزيةَ** التي كتبَها في حقِّ الإمام الأشعريِّ **لا يرتضيها أهلُ الديانة والحيطة والحرص علىٰ بلاد الإسلام ؛ وأنَّها محض**

---

(١) قد يشتبهُ أمرٌ هنا أحبُّ التنبيهَ إليه ؛ وهو أنَّ ابن حزمٍ مثلاً خالفَ الشيخَ أبا الحسن الأشعري خلافاً قد يفهمُ منه ـ بل قد فُهِمَ ـ أنه يرميه بالانحلال في الدين ؛ وذلك فيما حكاه عن الأشعرية في كتابه « الفصل بين النحل والملل » ، فلِمَ الصولةُ على الأهوازي وأتباعه ، وتركُ ابن حزم وأمثاله ؟! وسببُ هـٰذه الشبهة : هو وجودُ الاشتراك في الذمِّ والقدح والافتراء ، مع الغفلة عن دوافع هـٰذا كلِّه وملابساته ؛ فالأهوازيُّ سالميٌّ مشبِّهٌ في الأصول ، حنبلي في نسبته الفقهية ، عاشَ في بلادِ الأشاعرةُ فيها متوافرون ، ولهم الغلبةُ والكلمةُ علىٰ كراسيِّ التدريس والتعليم ، وتلامذةُ أبي الحسن الأشعري من الطبقة الثالثة زمنَ الأهوازي منتشرون مخالطون لأعيان زمانهم ، فأنَّىٰ تخفىٰ عن المفتري الأهوازيِّ حالُ أبي الحسن وحالُ أتباعه ؟! إنَّ ما ذمَّهُ الأهوازيُّ هو ما عليه الأشعري وأصحابه على التحقيق ؛ يعني : عرفَ حقيقة مذهب الأشعريين فذمَّهُ لذلك .

أما ابنُ حزمٍ : فهو في الاعتقاد وطرق استدلاله كأنه أشعري ، دعْ عنك اللقب ؛ فالعبرةُ بالحقائق ، لا بالألقاب والأسماء ، فما ذمَّ على التحقيق إلا ما وصله ـ وهو في أقصى الغرب ـ عن الأشعري وأتباعه ، أو قرأه وفهمه من كتبهم ، فلذلك لا تراه يذمُّ الأشعرية والأشاعرة لاعتقادهم وطريقتهم ؛ إذ هو مشاركٌ لهم في كثير من اعتقاداتهم ، ولـٰكن يذمُّ ما بلغه عن كَذَبَةِ خصومِ الإمام الأشعري ـ كالسِّجْزي مثلاً ـ من افتراءاتهم التي وصلَ بعضها إلىٰ بقعته التي يعيش فيها حينئذ .

ولهـٰذا ترى المجتهدين الجُدد في عصرنا عصر الهزال العلمي يتقفَّون كلامَ ابن حزم في مخالفاته في الفروع ، وينقلون فرحين ذمَّهُ للأشاعرة ، ويسكتون عن اعتقاداته التي سطرَها في عددٍ من كتبه ؛ لأنَّها لا تروقُ لهم ، وتخالفُ ما هم مقيمون عليه ، هدانا الله وإياهم لما فيه رضاه

كذبٍ **لا يليقُ بمسلم** ، فضلاً عن إمام مسجدٍ ومقرئ راوٍ للقراءات ! وكان من هـٰؤلاء الرافضينَ لها والمكذبين لقائلها الحافظُ الذهبيُّ مثلاً[١] ؛ **إذ كيف يرضىٰ عقلاءُ الحنابلة عن أمرٍ خلْفَهُ فقْدُ أمْنِ التعايشِ بين أبناء أمة لا إلـٰه إلا الله وأهلِ ذمَّتِهم ؟!**

ومِن هنا تدركُ الخطيئةَ التي تمرَّغَ بها ابنُ المِبْرَدِ الحنبليُّ حين فاتَهُ التوفيقُ[٢] ؛ فصنعَتْ يداهُ ما ظَنَّهُ ردّاً على الحافظ ابن عساكر[٣] ، **ولم يُحِطْ خُبْراً** بأنَّ سكوتَ أعلام الحنابلة مِن قبله عمَّا في « التبيين » لم يكنْ عَجْزاً ، كما أنَّه لم يكنْ جهلاً بما فيه ، وهـٰذا لا يعني أنَّ الحنابلة رضوا بكلٍّ ما في « التبيين » ، بل هو بلا شكٍّ من الكتب التي لا يرتضون كثيراً ممَّا فيها ، **ولـٰكن مع هـٰذا يدركون أنَّ الأهوازيَّ الحنبليَّ قد جرَّ لهم البلاءَ في صفحاتِهِ القليلة المخزية التي رغا فيها بالكذب والافتراء** ، والتي عَدِمَ فيها الأدبَ وعفَّةَ اللسان ، فصرَّحَ بما يبرؤون منه في وصْفِ الإمام الأشعريِّ مع شديدِ خصومةِ كثيرٍ منهم له .

---

(١) انظر أقواله في ذلك (ص ٥١) .

(٢) وهو من أعيان محدِّثي القرن العاشر ، وفقيه حنبلي مشارك ، توفي سنة (٩٠٩ هـ) ، وانظر « فهرس الفهارس » (٢/ ١١٤١)

(٣) في كتابه الذي صنَّفه وسمَّاه : « **جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر** » ، وكنتُ عزمتُ علىٰ عقد كلامٍ عن هـٰذا الكتاب ، غير أني وجدتُ بعد المباشرة ـ وكنت أحسبُ أني سأجدُ علماً ـ أنه مضيعة للوقت ؛ **فما ردَّ في كتابه هـٰذا على ابن عساكر** ؛ إذ لم يزدْ على الثرثرة المعهودة للقوم ممزوجةً بكمٍّ من الآثار الدالَّة علىٰ ذمِّ علم الكلام بزعمهم ، وأكتفي هنا بالإحالة علىٰ ما كتبه المصنف في كتابنا هـٰذا (ص ٦٠١) ، والتي أعرض عنها ابن المبرد ، **وإنما اغتاظ على التحقيق من أن يؤلَّفَ كتابٌ علىٰ طريقةِ المحدِّثين متينٌ ، وعلىٰ يدِ حافظٍ ملأَ اسمُهُ الدنيا وأرجاء المكتبة الإسلامية** ، وحسبه ذمّاً له ما استفتحَ به كتابه من بذاءة لسانٍ ورثها عن المفتري الأهوازي وأمثاله ، والله حسيبُهُ وحسيب أمثالِهِ يومَ الفصل

ومع هـٰذا لا بدَّ أن تعلمَ أن السببَ الظاهر لتأليف الكتاب : كان بسبب طلبِ واحدٍ ممَّن يحوطُ بالإمام المصنف يسأله بيان الحقِّ وردَّ الباطل الذي طرق سمعَهُ من كلام المفتري الأهوازيِّ[1] ؛ حيث قال المؤلِّف في مقدمة كتابه (ولولا سؤالُ مَنْ رأيتُ لحقِّ سؤاله إيَّايَ ذِماماً ، فألزمْتُ نفسي امتثالَ ما أشار به عليَّ احتراماً . لصدفتُ عن ذكْرِ وقيعة ذوي الجهل في الأئمَّة احتشاماً ، لـٰكنِّي اغتنمتُ الثوابَ في إيضاح الصواب في علوِّ مرتبتِهِ اغتناماً)

ويمكنُ أن نتلمَّسَ مِنَ التاريخ أنَّ هـٰذا الطلبَ وقعَ في صدر المؤلفِ موقعاً كان يتأهَّبُ للكتابةِ فيه ، **فكان الطلبُ تعجيلاً لزمنِ التأليف** ، وتأكيداً للحاجة إليه بعد تعيُّنِ فريضةِ البيان بعد السؤال ، **وسدّاً لباب الغيبة والبهتان في حقِّ مؤمنٍ إمامٍ بعدَ جلاءِ حالِهِ وأمره**[2]

ومع هـٰذا كلِّه لا بدَّ مِن معرفة هـٰذا المفتري الذي أغضبَ قلمَ الحافظ العظيم ابن عساكر ليفردَ فصلاً من كتابه للردِّ عليه ، ويُومِئ في عنوان هـٰذا التأليفِ إليه

مَن هو المفتري الذي نَسَبَ ما نَسَبَ مِنَ الكذب والبهتانِ للإمام الأشعريِّ ؟

لا تزالُ الأيام تذكرُ رجلاً بالعلم والصدق والفضل ، وتذمُّ آخرَ باللُّؤمِ والكذبِ والجهل ، **وهـٰذا هو المفتري** الطاعنُ في شيخ السنَّة أبي الحسن

---

(١) قال ابن تغري بردي مترجماً للأهوازي في « النجوم الزاهرة » (٥/٥٦) : (وكان يكره مذهب الأشعريِّ ويضعِّفه ، ومن أجله صنَّفَ ابن عساكر كتابه المسمىٰ « تبيين كذب المفتري فيما نَسَبَ إلىٰ أبي الحسن الأشعري »)

(٢) حيث روىٰ في مقدمته جملةً من الأحاديث النبوية الشريفة في وجوب بذْلِ العلم ، وبيانِ وزْرِ مَن كتمه ، ثم أردفَها بأُخرىٰ في بيان ذمِّ الغيبة ، وأكل لحوم الناس ، وتتبع عثراتهم ، وسبِّ الأموات

الأشعريِّ أبو عليٍّ **الحسنُ بنُ علي بن إبراهيم بن يزدادَ بن هرمزَ الأهوازيُّ** يُذكرُ بألقابِ التكذيب والافتراء والتجهيل ، وهـٰذا ما جنَتْ يداهُ عليه حينما ألَّفَ دون حياء « مثالب ابن أبي بشر » ، وحشرَ فيه مِن الأكاذيب التي تأبى النفوسُ الكريمة سماعَها ، فضلاً عن الاشتغال بروايتها

كان هـٰذا الأهوازيُّ قد سكن دمشقَ، واشتغلَ بالقراءاتِ وجمْعِها، إلىٰ أن صارَ مقرئاً لها ومُؤلِّفاً فيها[١]، وكان له اشتغالٌ برواية الآثار، ورحلةٌ في طلبها وإكثار[٢]، ولم يكن متأهِّلاً لدرايتِها[٣] ، فلو أنَّه اكتفىٰ بما قُسِمَ له ، ولم يتعدَّ طورَهُ . . فلعلَّهُ كان ينجو ممَّا صارَ إليه مِن الخزي والعار ، ولزمَهُ بعد موته مِن الذمِّ والشَّنار ، علىٰ ألسنةِ أعلام أهل الجرح والتعديل ، والغيرة على الدين وعلمائه[٤]

وكان في اعتقادِهِ سالميّاً مشبِّهاً[٥] ، يثبتُ ظواهرَ المتشابهات في حقِّ ذات الحقِّ سبحانه وتعالىٰ ، ويحسبُ أنه يُرىٰ في صورة آدميٍّ ، وألَّفَ في صفاتِهِ جلَّ وعزَّ كتاباً نصرَ فيه مذهبَهُ ، وروىٰ فيه مِن الكذبِ علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دلَّ علىٰ ضعفِ عقلِهِ وسوء عَقْده ، وسمَّاه بـ « **التبيان في شرح عقود أهل الإيمان** » ، أخزىٰ به أهلَ السنة إذ انتسبَ إليهم ؛ حين روىٰ أحاديث يحيلُها العقل ويعارضُها النقل[٦]

---

(١) من مؤلفاته : « الموجز في القراءات السبعة » ، و« القراءات العشرة » ، و« الوجيز في القراءات الثمانية » انظر « بغية الطلب » (٥/٢٤٦٦) .

(٢) قال عن ذلك الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٨/١٣) عن طلبه للحديث الشريف : (وليس بالمتقنِ له ولا المجوِّد ، بل هو حاطبُ ليل) .

(٣) يدلُّك علىٰ ذلك ما سيُذكرُ في ترجمته عند الحديث عن نصرة مذهبه في الصفات .

(٤) ورحم الله الإمام الشافعيَّ إذ قال في « رسالته » (ص ٣٤) : (وقد تكلَّم في العلم من لو أمسكَ عن بعض ما تكلَّم فيه لكان الإمساك أولىٰ به ، وأقرب للسلامة له) .

(٥) انظر التعليق الذي فيه بيان من هم السالمية (ص ٦٥٠)

(٦) انظرها (ص ٦٥١) .

كتابُ المفتري الأهوازيِّ « مثالب ابن أبي بشر »[1]

ثمَّ إنَّه رأىٰ ما للأشاعرة مِن غلبةٍ وعلوِّ كلمة ، وسمعَ دندنةً لم يألفْها ، وضاقَ ذرعاً عن فهمِها ؛ تلك الدندنةُ تحكي الطريقةَ التي سلكَها الأشعريَّة في تحطيمِ ما شادَهُ المعتزلةُ مِن صروح الباطل ، وفي ردمِ الثُّلَمِ التي أحدثَتْها المشبِّهةُ وجهلةُ الوعَّاظ في بروجِ أهل السنَّة ، ولم يكن المسكينُ متأهِّلاً لأن يكون من أهلِ هـٰذه الطريقة ، ولا أهلاً لأن يعارضَها[2] ، فما كان منه إلا أن سلكَ طريقَ الخطابةِ التي تروجُ عند العامة ، وسوقُها نافقةٌ عند أهل العلم ، **فانتخبَ مِن الأخبار حكايا الخزي والعار التي لا تليقُ نسبتُها لواحدٍ من عامَّة المؤمنين** ، بل هي لائقةٌ بالفسقة الفجرة ، فرأىٰ مُخْزِياً نفسَهُ نسبتَها للإمام الأشعريِّ ؛ فكان مِن ذلك جملةٌ مِن الأكاذيب والفِرى التي **تُلخَّص بهـٰذه الجُمَل** :

ـ **أنَّه** حسبَ نفسه مُتأهِّلاً للذبِّ عن منهج أهل السنة والجماعة ، وهو غيرُ دارٍ أنَّه لا تصحُّ نسبتُهُ إليهم ؛ فقد نصَّ الحنابلةُ أنفسُهم أنَّه سالميٌّ مشبِّهٌ

ـ **طعنُهُ** في نسبِ الإمام الأشعري ، ودعواهُ أنَّ جدَّهُ كان يهوديّاً فأسلم ، فأبىٰ أن يذكرَ الأشعريَّ إلا باسمِ عليِّ بن أبي بشرٍ ، وهو بذلك يخالفُ ما أجمعَتْ عليه كُتب التاريخ

ـ **ادِّعاؤهُ** أنَّ الإمام الأشعريَّ هو الذي أدخلَ علىٰ أهل السنة أقوالَ المعتزلة ، بل أقوالَ الزنادقة والملاحدة أيضاً

---

(١) انظر هـٰذا الكتاب ملحقاً (ص ٧٤٧) .

(٢) وأنَّىٰ له أن يعرف قدر عقل الأشعري وبُعدَ مرامي عباراته ؟! ولمَّا طعن الإمام يحيى بن معين في الإمام الشافعي . قال الإمام أحمد : (من أين يعرفُ يحيى بنُ معين الشافعيَّ ؟! هو لا يعرفُ الشافعيَّ ولا يعرفُ ما يقوله الشافعيُّ) ، وقيل : إنَّه إنما طعنَ بابن عمِّ الشافعي ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/ ١٠)

ـ **انتقاؤُهُ** ـ إن لم يكن مفترياً كاذباً في نفسه ـ لأخبارٍ وضيعةٍ وضعَها خصومُ أبي الحسن الأشعريِّ من المعتزلة وغيرهم ، يبغي بذكرها شينَ الشيخ وتشويهَ صورتِهِ عند مَن يصغي لكلامه

ـ **كذبُهُ** علىٰ لسان الإمام الأشعريِّ أنَّه ملحدٌ عتيد ، لا يبغي الرجوعَ عمَّا نشأَ عليه ، وجعْلُهُ الأشعريَّ بمنزلةِ ابن الراونديِّ

ـ **كذبُهُ** علىٰ لسان الشيخ الأشعريِّ وغيره أنَّه كان ضعيفَ المناظرة ، هزيلَ الحجَّة ، عديمَ البيان

ـ **ادِّعاؤُهُ** أنَّ الشيخ الأشعريَّ أظهر توبةَ اللسان ، وأضمرَ خبيثَ الاعتقاد ، ثم أراد أن يؤكِّد ذلك ؛ فافترىٰ على الشارع حين ادَّعىٰ أنَّ توبةَ المبتدعِ لا تقبلُ عند الله تعالىٰ

ـ **ادِّعاؤه** أنَّ كتاب « الإبانة » إنَّما كان وقايةً للشيخ مِن سطوة الحنابلة

ـ **محاولتُهُ** توثيقَ رواةِ أخباره وهو يريدُ تأكيدَ الطعن بالإمامِ الأشعريِّ

ـ **استعمالُهُ** للفحش وبذاءة اللسان ، والشتمِ واللعن ، والدعاءِ بعدم الرحمة والمغفرة ، إلىٰ حدٍّ تنفرُ منه الطباع السويَّة السليمة

ـ **ادعاؤُهُ** أنَّ بعضَ أصحاب الأشعريِّ لمَّا عرفَوا أنَّ الأشعريَّ بزعمه لا يصلي ، وإنَّما يتظاهرُ بالشريعة . . أعرضوا عنه ، وحرَّقوا كُتُبَهُ

ـ **طعنُهُ** في أعلام أهل السنة ممَّن انتسبَ لطريقة الشيخ الأشعريِّ ؛ كابنِ مجاهد والباقلانيِّ وابنِ فُوركَ وأبي الحسن الطبريِّ .

ـ **افتراؤُهُ** بأنَّ أقوال الأشعريِّ أقوالٌ مهجورة متروكة ، وأنَّه لا نصيبَ له عند القرَّاء أو المحدِّثين أو الفقهاء ، بل هو مع من يرمىٰ بالكفر والإلحاد ، ويترك الكتاب والسنة

ـ ثم ختمَ هـٰذه الفِرىٰ بفرية مستشنعة مخزية ؛ حيث **ادَّعىٰ** ـ مخالفاً لما أجمعَ عليه المؤرِّخون ـ أنَّ الشيخ الأشعريَّ مات بالأحساء ، وهو سكرانُ علىٰ ظهر غلامٍ يفجُرُ به

وإنِّي لأعلمُ أنَّ بين القرّاء مَنْ قد يظنُّ ـ وهـٰذا حقُّهُ ـ أنَّ هـٰذه الأمور مجرَّد مبالغاتٍ لا سبيلَ إلىٰ إثباتها ، وإنَّما هي مِن باب فَلِّ الحديد بالحديد ، أو إن شئت فقلْ كذبٌ يدفعُ كذباً ، وهيهات هيهات ! وحاشا لحافظ الدنيا ابن عساكر ، أن يسلكَ هـٰذا السبيلَ الخاسر

ولكي تطمئِنَّ النفوس وترتاحَ ، ويُجلى الحقُّ وتعلوَ كلمتُهُ ، ويُفحمَ الخصومُ المبرِّئون للأهوازيِّ ، والطاعنون في حافظِ السنَّة ابنِ عساكر ، **ويكتملَ العملُ العلميُّ . آثرتُ علىٰ مضضٍ** ، وأخذٍ وردٍّ وشبْهِ حيرة ؛ **أن يُنشرَ كتابُ « مثالب ابن أبي بشر » لأبي عليٍّ الأهوازيِّ ، وهو المفتري الأكبرُ المقصودُ من عنوان كتاب الحافظ ابن عساكر « تبيين كذب المفتري »** ؛ حيث إنَّ بعضَ الردودِ قد استغلقَ فهمُها ؛ لعفَّة لسانِ ابن عساكر في الإعراض عن نقْلِ نصِّ الأهوازيِّ ، والذي يظهرُ أنَّه اكتفىٰ بذيوعِها في زمنِهِ ، ولولا ما أنبأتُكَ عنه **لكان دفنُ هـٰذه الأكاذيبِ والفِرىٰ أولىٰ مِن نشرِها** ، ولـٰكن لنقطعَ علىٰ عابثٍ في قادماتِ الأيام يدَّعي شدَّةَ الحافظ ابن عساكر أو مبالغتَهُ فيما عرَّىٰ به الأهوازيَّ المفتري ، أو أنَّنا لم نقفْ علىٰ مقالةِ الأهوازيِّ ، وليعرفَ الذين يصرُّون علىٰ تنقُّص الحافظ الجبل ابنِ عساكر وغيرِهِ من أعلام أهل السنة . . أنَّ لهم في بذاءةِ اللسان ـ **إنْ هم آثروها علىٰ لغةِ العلم والبيان** ـ أجداداً من أمثال الأهوازيِّ الكذَّاب ، في الأخبارِ والسنَّة والكتاب[1]

---

(١) انظر هـٰذه الرسالة التي وضعها المفتري الأهوازي ملحقة (ص ٧٤٧) .

مقالةُ علماءِ الجرح والتعديل وترجماتِ الرجال في أبي عليٍّ الأهوازيِّ :

إنَّ الافتراءاتِ الغارقةَ في الكذب ، والتي ستقفُ عليها في رسالته المنشورة آخرَ الكتاب . . لا تدعُ مجالاً للشكِّ في كذبِ هـٰذا الأهوازيِّ ، ولعلَّك ستقفُ علىٰ عبارة مفادُها (أنَّه لم يتعمد الكذب ، بل روىٰ عن الكذَّابين) ! وهـٰذا عذرٌ قبيح ، لا لكون الرواية عن الكذَّابين لا تقعُ إلا مِن كاذب ، بل لكون هـٰذا الانتقاءِ المتعمد ، وجلاءِ أحوالِ الأشاعرة في زمنه ، وحالِ اعتقاد الأهوازيِّ . . تذهبُ بهـٰذه الكلمةُ التي تحاول الدفاعَ عنه وتجعلُها خبراً بعد عين[1]

ومع هـٰذا لنصغِ منصفينَ لما قاله بعضُ أهلِ الجرح والتعديل في حقِّ هـٰذا المفتري الذي أخزىٰ نفسَهُ بما سطرت يمينه ، ومِن هـٰؤلاء المجرِّحين له مَنْ هم علىٰ مذهبه ، ويكتمون في صدورهم شيئاً مِن اعتقاده .

وقد حدَّثَ عن كذبه حافظُ الدنيا الإمام ابن عساكر في كتابنا « التبيين » ، ومن جملة ما ذكره ـ والإحالة عليها كافية ـ : (ولا يستبعدنَّ جاهلٌ كذبَ الأهوازيِّ فيما أوردَهُ مِنْ تلك الحكايات ؛ **فقد كان مِنْ أكذبِ الناس في بعضِ ما يدَّعيه مِنَ الروايات في القراءات**)[2]

وقال الحافظ الخطيبُ البغداديُّ (أبو عليٍّ الأهوازيُّ ، كذَّابٌ في القراءات والحديث جميعاً)[3]

وقال الحافظ الذهبيُّ في « سير أعلام النبلاء » (جمعَ سيرةً لمعاوية ،

---

(١) ولذلك لمَّا روىٰ حديث « رأيت ربي بمنىٰ . . . » . . قال الحافظ ابن عساكر : (المتهم به الأهوازي) ، فكذَّبه بعينه

(٢) انظر (ص ٧١١)، وانظر فيه بقية الأخبار التي ساقها للدلالة علىٰ كذبه ، فلا داعيَ لتكرارها .

(٣) انظر (ص ٧١٣)

ومسنداً في بضعةَ عشرَ جزءاً ، **حشاهُ بالأباطيلِ السمجة**)[1]

وقال في « ميزان الاعتدال » (قرأَ علىٰ جماعة لا يُعرفون إلا مِن جهته ، وروى الكثير ، وصنَّفَ كتاباً في الصفات ؛ لو لم يجمعه .. لكان خيراً له ؛ **فإنَّه أتىٰ فيه بموضوعات وفضائح**)[2]

والحافظ الذهبي علَتْ رواياتُهُ في كتاب الله بروايته عن الأهوازيِّ ، ومع ذلك قال في « ميزان الاعتدال » : (ولو حابيتُ أحداً لحابيتُ أبا عليٍّ ؛ لمكان علوِّ روايتي في القراءات عنه)[3]

وقال في « ميزان الاعتدال » أيضاً في ترجمة تلميذِ الأهوازيِّ المعروف بغلام الهرَّاس (الحسن بن القاسم ، أبو عليٍّ غلامُ الهرَّاس ، مقرئ أهل العراق : متَّهمٌ في لقاء بعض شيوخه في القراءات ، **وبكلِّ حالٍ فهو أمثلُ حالاً مِن أبي عليٍّ الأهوازيِّ**)[4]

وقال متابعاً : (البغداديون لهم فيه كلام ، سمعت مِن أصحابنا مَن يقول

---

(1) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٤) ، والحافظ الذهبي رحمه الله كان له هوىً فيما ذهب إليه الأهوازيُّ المفتري ، ولذا قال في ترجمته كلمة تحسب عليه لا له : (وكان ينال من ابن أبي بشر ، وعلَّق في ثلبه ، والله يغفر لهما) ! فقد رضي بالتكنية عن الإمام الأشعري بقوله : (ابن أبي بشر) ، ثم دعا للاثنين وكأنهما في صفٍّ واحدٍ !! وفي موضع ذكر أن كذب الأهوازي بغير علمه ؛ بمعنىٰ أنه لا يتعمد الوضع ، وخير ما قيل في حال الحافظ الذهبي كلمةُ تلميذه في بعض علوم الحديث الإمامِ ابن السبكي (٢/ ١٣ـ ١٤) حيث قال (وهـٰذا شيخنا الذهبي رحمه الله من هـٰذا القبيل ، له علم وديانة ، وعنده **علىٰ أهل السنة تحملٌ مفرط** ، فلا يجوزُ أن يعتمد عليه . . . ، والذي أدركنا عليه المشايخ : **النهي عن النظر في كلامه ، وعدم اعتبارِ قوله** ، ولم يكن يستجري أن يظهرَ كتبه التاريخية إلا لمن يغلبُ علىٰ ظنه أنه لا ينقلُ عنه ما يعاب عليه) .

(2) ميزان الاعتدال (١/ ٥١٢)

(3) ميزان الاعتدال (١/ ٥١٣) .

(4) ميزان الاعتدال (١/ ٥١٨)

سمعت أبا الفضل بن خَيرونَ ، وقيل له **أبو عليٍّ غلامُ الهرَّاس ، عن أبي عليٍّ الأهوازيِّ** ، فقال مطرزٌ : **معلم كذَّاب عن كذَّاب**)

لا عبرةَ بجَرْحِ الأهوازيِّ وأمثالِهِ للإمامِ الأشعريِّ

إنَّ مجرَّدَ التفكير في الطعنِ بإمام الهدىٰ أبي الحسن الأشعريِّ **بعد معرفةِ حقيقةِ حاله وسديدِ اعتقاده**. . لا يكون إلا ممَّن في قلبه مرضٌ ؛ مِن مخالفةِ اعتقادٍ ، أو جهلٍ مركَّب ، أو حسدٍ وحقد ، فالذين جاوزوا القنطرة مِن أمثاله **يُعدُّ الطعنُ فيهم طعناً في الطاعنِ عند أهل الدراية**[(١)]

ولهٰذا قال الإمام ابن السبكي مُقعِّداً في « طبقاته » في تبيينِ عدم إطلاق قاعدةِ (الجرح مقدَّم على التعديل) (**الصواب عندنا** أن مَن ثبتَتْ إمامتُهُ وعدالتُهُ ، وكثُرَ مادحوه ومزكُّوه ، ونَدَرَ جارحُهُ ، وكانت هناك قرينةٌ دالَّة علىٰ سبب جرحه ؛ مِن تعصُّب مذهبيٍّ أو غيره . . فإنَّا لا نلتفتُ إلى الجرح فيه ، ونعملُ فيه بالعدالة ، وإلا فلو فتحنا هٰذا الباب ، أو أخذنا تقديمَ الجرح علىٰ إطلاقه لما سلمَ لنا أحدٌ من الأئمة ؛ **إذ ما من إمامٍ إلا وقد طعن فيه طاعنون ، وهلكَ فيه هالكون**)[(٢)]

وقال أيضاً (ثابتُ العدالة لا يلتفتُ فيه إلىٰ قول مَن تشهدُ القرائن بأنَّه متحامِلٌ عليه ؛ **إما لتعصُّب مذهبيٍّ ، أو غيره**)[(٣)]

---

(١) ومن مخازي أهل الخصومة أن تتجاوز خصومتهم حدودَ الشريعة ، وتُنقلَ المحاكمةُ إلى المقابر ، فقد حكى المؤرخ ابن فضل الله العمري عن مثل هٰذا في « **مسالك الأبصار** » (١٣٨/٢٦) في ترجمته لشيخ السنة الأشعري فقال : (ودُفنَ بمشرعة الروايا خوفاً عليه **لئلا تنبشه الحنابلة ؛ فإنهم عزموا علىٰ ذلك مراراً عديدة** ، والسلطان يردُّهم عنه . . . ، ومعظمُ الحنابلة يحكمون بكفره ، **ويستبيحون دمَهُ ودمَ من يقول بقوله ! وذلك لجهلِهم**) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٢/ ٩)

(٣) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٢/ ٩) ، وذكر لهٰذا أمثلة ؛ منها (من ذلك : قول بعض =

وذكرَ كلمةَ شيخ الإسلام تقيِّ الدين بن دقيقِ العيد في كتابه « الاقتراح » حيث قال (أعراضُ المسلمين حفرةٌ مِن حفر النار ، وقفَ علىٰ شفيرها طائفتان مِن الناس : المحدِّثون ، والحكَّام)[1]

وبهٰذا تعلمُ أنَّ الطعن في الأشعريِّ لا يمكنُ أن يكون قولاً يُذكرُ في ترجمتِهِ علىٰ سبيل التشكيكِ في عدالته ونزاهته وسَعةِ علمه ؛ إذ الأهوازيُّ الطاعنُ فيه سالميٌّ عتيد ، ومشبِّهٌ قفَّتْ مِن أحاديثِهِ التي رواها في التشبيهِ في كتابه « البيان » شُعورُ المشبِّهةِ فضلاً عن عموم أهل السنة كما رأيت .

ماذا في « تبيين كذب المفتري »

لم يكنِ المرادُ مِن تأليف كتاب « التبيين » مجرَّدَ الردِّ على الأهوازيِّ كما وهمَ بعضهم ـ ولعلَّ عنوانَ الكتاب هو الذي أوحىٰ بهٰذا الوهم ـ ؛ إذ الردُّ عليه كان فصلاً في ذيلِ الكتاب لا يزيدُ علىٰ عُشْرِهِ ، ويمكن أن تكونَ أهمُّ المقاصد

= المجسمة ـ أراد : أبا إسماعيل الهرويَّ ـ في أبي حاتم بن حبان : « لم يكن له كبيرُ دين ، نحن أخرجناه من سجستان ؛ لأنه أنكر الحدَّ لله » ، فيا ليت شعري ! مَنْ أحقُّ بالإخراج ؟ مَن يجعل ربَّه محدوداً ، أو مَنْ ينزِّهه عن الجسمية ؟!)

ولا شكَّ أن الأهوازي المفتري افترىٰ ما افترىٰ من هٰذه البابة ؛ ولذا قال العلامة أحمد صقر الحسيني في مقدمة « إعجاز القرآن » للباقلاني (ص ٦٤) (**ومن ألدِّ أعداءِ الأشعري والأشاعرة**: أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز الأهوازيُّ «٣٦٢ـ٤٤٦ هـ» ، **وقد ألَّفَ في مثالب الأشعري كتاباً** ؛ رماهُ فيه بكلِّ ما أمكنَهُ ذكرُهُ من الأمر الشنيع والوصف القبيح ، كما رمىٰ كبار أصحابه وأعلام مذهبه ، وقد نقضَ عليه كتابه الحافظُ ابن عساكر في كتاب « تبيين كذب المفتري ». . .) إلىٰ أن قال : (**والذي حدا بالأهوازيِّ إلى الطعن في الأشعري ومتابعيه** : أنَّه كان مشبِّهاً مجسِّماً ، يقول بالظاهر ، ويذهب مذهبَ السالميَّة ؛ وهي فرقةٌ من المشبِّهة يقولون إنَّ الله سبحانه يُرىٰ في صورة آدميٍّ ، وإنَّه يقرأُ علىٰ لسان كلِّ قارئ ، وإنَّهم إذا سمعوا القرآنَ مِن قارئ . . يرون أنَّهم يسمعونه مِن الله)

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٢/ ١٣) .

التي هَدَفَ لها الحافظُ الإمام ابنُ عساكر في هٰذا التأليف **تتلخَّصُ بهٰذه الإلماعات :**

ـ **التعريفُ** بإمام أهل السنة والجماعة على رأسِ القرن الثالث أبي الحسن الأشعريِّ والذي هو مِن خيرِ القرون بنصِّ الشريعة[1] ؛ **نسباً ونشأة ، وعلماً وفضلاً** ، وفي ذلك ذكْرُ حاله ، وتوبتِهِ وانقلابِهِ لمذهب أهل السنة ، ثم صيرورتِهِ إماماً لهم ، وردُّ شُبَهٍ أثارَها المفتري حول ذلك كلِّه ، وذكرُ شيءٍ من فضْلِ جدِّهِ سيدنا أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه ، وفضلِ ابنِهِ أبي بردةَ وابنِهِ بلالٍ رحمهما الله تعالىٰ ، وله في ذاك غرضٌ ، وما ظلمَ مَن أشبهَ أباه[2] ، ثم ذكرُ تآليفه التي ضاع جلُّها في ذبِّهِ المتين عن منهج أهل السنة ، وبيان الخلاف الذي لا يضرُّ في الدين ، وذكرُ ثناءاتٍ لأهل العلم عليه وعلىٰ أتباع طريقتِهِ .

ـ **بيان** معنى البدعة في الدين ، وأنَّ ما جاء به الشيخ الأشعريُّ إنما هو نصرٌ للدين ، وتأكيدٌ لما عليه السلف الصالحون ، وأنَّ المبتدعة إنما هم مخالفو أهل السنة والجماعة فيما أخطؤوا فيه ؛ اعتقاداً كان ذلك أو عملاً

ـ **إيرادُ** مقطَّعاتٍ من كلام أئمَّة أهل الحديث والأثر وثقاتِ علماءِ أهل السنة

---

(١) وهٰذا التعريف هو ما أشار إليه في مقدمته (ص ١٢٠) بقوله (**وسأذكرُ ما حضرني مِنْ ذكره ، وأبيِّنُ ما وقعَ إليَّ مِنْ أمره** ؛ راغباً إلى الله في إيضاح التحقيق ، وطالباً منه للمعونة والتوفيق) ، وذكر ذلك في أبواب متفرِّقة

وأمَّا قالةُ الحافظ الذهبي رحمه الله تعالىٰ في « سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٨٩) : (وجمع أبو القاسم في مناقبه ـ يعني : أبا الحسن الأشعري ـ فوائدَ بعضُها أيضاً غيرُ صحيح) . . فلتعلمْ أن ذلك البعض إن وُجدَ فهو من أقلِّ القليل ، وهي كلمةٌ من موهِماته ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

(٢) وفيه ذكر الكلمة العظيمة في بيان فضل الشيخ أبي الحسن ، والتي أسندها المصنف عن أبي بكر بن الصيرفيِّ ؛ وهي قوله : (**كانت المعتزلةُ قد رفعوا رؤوسَهم ، حتىٰ أظهرَ الله تعالى الأشعريَّ ، فحجزَهُم في أقماعِ السمسم**) .

في دفاعِهم عن السادة الأشاعرة ، والافتخارِ بالانتساب إلىٰ طريقتهم مع تباينِ همَمِهم في خدمة الدين

ـ **التأريخُ** لزمنِ نعتِ أهل السنة والجماعة بالأشعريَّة أو الأشاعرة

ـ **تقريرُ** كتاب « الإبانة » للشيخ أبي الحسن ، وأنَّ ما دوَّنه فيه هو عينُ مذهب أهل السنة والجماعة[1] ، وما نقلَهُ المصنف منها يُعدُّ أوثق قطعة منه

ـ **صنعةُ** كتابٍ لم يسبقْ إليه ؛ وهو حديثُهُ في « التبيين » عن **طبقات الأشاعرة** ، حتىٰ عُرِفَ الكتاب عند كثيرين بـ « طبقات الأشعرية »[2]

ـ **بيانُ** أنَّ أصولَ الدين لا تقليدَ فيها ، وبيانُ نصرة الإمام الأشعريِّ للمذاهب الفقهية الأربعة

ـ **بيانُ** حُكْمٍ فقهيٍّ فيمَن سبَّ أو لعنَ الأشاعرة

ـ **توجيهُ** ذمِّ علمِ الكلامِ عند بعض أئمة السلف ، وأنَّ علْمَ كلامِ أهل السنة من العلوم المحمودة ، وتأصيلَهُ من القرآنِ والسنَّةِ .

ـ **ردُّ** الفِرى الوضيعة التي نسبَها المفتري الأهوازيُّ للإمام الأشعريِّ .

ـ **بيانُ** ضرورة التأويلِ في بعض الأحايين

---

(١) وما قرَّره من مذهب أهل السنة في غيره من الكتب لا يعدو أن يكون مذهباً داخل البيت السنِّي ، واختلاف الطريقتين معتبرٌ بحال المخاطب كما قرَّرَ ذلك المصنف ضمن حديثه عن ضرورة التأويل مثلاً لمن غلب علىٰ عقله التشبيه (ص ٦٧٦)

(٢) ولا يخفىٰ على الناظر في هـٰذا أن إمامنا ابن عساكر لم يأتِ علىٰ كلِّ أشعري ، بل من اشتَهر بالدفاع عن طريقته من أعلام مدرسته كما نقل الإمام تاج الدين عن والده الإمام تقي الدين السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ٣٦٥) ، ومن أعلام من غابت ترجمته عن « التبيين » : الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله تعالىٰ ، ولذلك قال العلامة الكوثري (ولا أملَ في استيفائهم جميعاً ـ يعني : أعلام الأشاعرة ـ في كتاب ؛ لكثرة القائمين بمناصرة السنَّة علىٰ طريقة الإمام الأشعري من أهل مذاهب الأئمة الفقهاء) .

ـ **إنعاشُهُ** الحقَّ وأهلَهُ ، وتبرئةُ السلف ممَّا نَسَبَ إليهم الجاهلون

فهـٰذه هي أهمُّ وأبرزُ المقاصد التي لأجلِها دوَّنَ الحافظ إمامنا ابن عساكر كتابه « التبيين » ، وقبل هـٰذا كلِّهِ : **فصْلُ أهل السنة عن أدعياء أهل السنة** .

مكانةُ كتابِ « تبيين كذب المفتري » عند العلماء ، وأقوالُهم فيه :

بعد تأليف « التبيين » ، وردِّ افتراءاتِ المخالفين ، وإعادةِ الحقِّ لأهله . . **صارَ هـٰذا الكتاب مفخرةً لأهل السنَّة ، وركناً شديداً يأوونَ إليه** ، فأيُّ عزٍّ نالَهُ مَن ينتسبُ إلىٰ مذهبِ أعلامُ علماء الأمَّة الإسلاميَّة فقهاً وروايةً يبجِّلونه ويفخرون بكونِهم من أهله ؟!

هـٰذا ما بيَّنَهُ ـ لا ما صنعَهُ ـ الحافظ ابنُ عساكر ، وحسبُكَ بأسانيدِهِ الجليلة ، وما انطوَتْ عليه مِن أعلامٍ نبيلة ، والتي منها **الإمام ابنُ عساكر ، عن الإمام الحافظ أبي فضل الفُراويِّ** ، **عن شيخ السنة أبي بكرٍ البيهقيِّ** ، **عن الإمام الحاكم أبي عبد الله المعروف بابن البَيِّعِ صاحب « المستدرك »** ، وأسانيدُ الحاكم ملأَتِ الدنيا ، **وهـٰؤلاء كلُّهم غيضٌ مِن فيضِ أعلام محدِّثي الأشاعرة** ، ويزيدُك طمأنينةً الوقوفُ علىٰ فهرسة أعلام المنتسبين إلى الأشعريِّ في هـٰذا الكتاب[1]

ولهـٰذا قال العلامة اللَّبليُّ في « فهرسته » (**ولو لم يكن للحافظِ ابن عساكر مِن المنَّةِ على الأشعريِّ إلا هـٰذا الكتابُ . لكفىٰ به** ؛ فإنه ملأ كتابه هـٰذا ثناءً عليه وعلىٰ أصحابه ـ يعني : الأشعري ـ ، وجعل أئمَّةَ الحديثِ الذين ذكرت قبل وغيرَهم من الأئمَّة علىٰ مذهبه)[2]

---

(١) انظر (ص ٧٧١)

(٢) فهرسة اللَّبلي (ص ٧٩)

والكلمتان الذهبيَّتان في مدحِ هٰذا الكتابِ : أولاهُما للعلامة اللَّبليِّ ؛ إذ قال في « فهرسته » (وأمَّا الحافظُ الإمام الثقة ، شيخُ الإسلام ، محدِّثُ الشام ، ناصرُ السنة ، قامعُ البدعة ؛ أبو القاسم عليُّ بن الحسن الشافعيُّ الدمشقيُّ المعروف بابن عساكر : فإنِّي أقولُ فيه ما قاله إمامُ الحرمين أبو المعالي الجوينيُّ في الحافظ أبي بكرٍ البيهقيِّ المتقدم الذكر ؛ فإنَّه قال فيه حين ذكرَهُ « ما مِنْ شافعيٍّ إلا وللشافعيِّ عليه منَّةٌ إلا الحافظَ أبا بكرٍ البيهقيَّ ؛ فإنَّ له على الشافعيِّ منَّةً ؛ لتصانيفِهِ في نصرة مذهبه وأقاويلِهِ » أو كما قال ، وكذا أقولُ أنا في الحافظِ ابن عساكر **ما مِنْ أشعريٍّ إلا وللأشعريِّ عليه منَّةٌ إلا الحافظَ ابنَ عساكر ؛ فإنَّ له على الأشعريِّ منَّةً ؛ لانتصارِهِ له وردِّهِ علىٰ مَنْ خالفَ مذهبَهُ وبايَنَ اعتقادَهُ رضي الله عنه** ، مع كونه إماماً مِنْ أئمَّة المحدِّثين ، وحافظاً مِنْ حفَّاظ المسلمين ، فكفى الإمامَ أبا الحسن الأشعريَّ فضلاً أنَّ لفضله وفضلِ أصحابه ـ وهم كما ذكرناهُ علىٰ مذهبه واعتقادِهِ ـ مثلَ هٰؤلاء الأئمَّة ، وحسبُهُ فخراً أنْ يثنيَ عليه ويكون علىٰ مذهبِهِ الأماثلُ مِن علماءِ الأمَّة)[١]

والثانية للإمام ابن السبكي ؛ إذ قال في « طبقاته » (ومَن أرادَ معرفةَ قدرِهِ ـ يعني : الأشعريَّ ـ وأن يمتلئ قلبُهُ مِن حبِّهِ . فعليه بكتاب « تبيين كذب المفتري فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » الذي صنَّفَهُ الحافظُ ابن عساكر ، وهو مِن أجلِّ الكتب وأعظمِها فائدةً وأحسنِها ، **فيقالُ : كلُّ سنِّيٍّ لا يكونُ عنده كتابُ « التبيين » لابن عساكر . فليس مِنْ أمْرِ نفسِهِ علىٰ بصيرة** ، ويقال : لا يكونُ الفقيه شافعيّاً على الحقيقة حتىٰ يحصِّلَ كتاب « التبيين » لابن عساكر ، **وكان مشيختُنا يأمرون الطلبةَ بالنظر فيه**)[٢]

---

(١) فهرسة اللبلي (ص ٧٧)

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٣/ ٣٥١) .

وقال الحافظ الذهبيُّ في « تاريخه » (ومَن أرادَ أن يتبحَّر في معرفة الأشعريِّ. فليطالع كتاب « تبيين كذب المفتري » تأليف أبي القاسم ابن عساكر)[1]

وكان قد عقَّبها الإمام ابن السبكي بقوله : (وأحلناكَ علىٰ كتاب « التبيين » لا كإحالة الذهبيِّ ؛ **إذ نحن نحيلُ إحالةَ طالبٍ مُحرِّضٍ على الازدياد من عظمتِهِ** ، وذاك يحيلُ إحالةَ مُجهِّلٍ قد سئمَ وتبرَّمَ بذكر محامدِ مَن لا يحبُّهُ)[2]

وقال الحافظُ ابن كثير في « طبقات الشافعيين » (« تبيين كذب المفتري على الشيخ أبي الحسن الأشعري » مجلدٌ ، ذكر ترجمةً حسنةً للأشعريِّ وطبقاتِ أصحابه إلىٰ زمانه . . .) إلىٰ أن قال : (وبالجملة : فهو كتابٌ نافع ، يَحتاجُ إلى الوقوف عليه كلُّ فاضل بارع)[3]

وقال الحافظ العلائيُّ في « إثارة الفوائد » وهو يحدِّث عن الحافظ ابن عساكر (وهو من كبار الحفَّاظ من أصحاب الأشعريِّ رحمهم الله ، وله كتابُ « تبيين كذب المفتري فيما نَسَبَ إلى الإمام الأشعري » ، كتابٌ مفيد)[4]

وممَّا يدلُّكَ علىٰ فضل ومكانة كتابِ « التبيين » أيضاً : **انتشارُ نُسخِهِ بُعيدَ تأليفه ، وشيوعُهُ في أرجاء المعمورة** ، وتأمَّلْ ما حكاه الإمام ابنُ السبكي في « طبقاته » إذ قال : (لقد كان عند الشيخ الإمامِ ـ يعني والده تقيَّ الدين ـ

---

(١) تاريخ الإسلام (٢٤/ ١٥٧)

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٣/ ٣٥٤) .

(٣) طبقات الشافعيين (ص ٦٩٨)

(٤) إثارة الفوائد (١/ ٤٠٥) .

نسخةٌ من كتاب « تبيين كذب المفتري » لا يُحسِنُ الرائي أن يقرأَ منها حرفاً ؛ لِمَا هو مكتوبٌ في حواشيها وبين أسطرِها مِن أمورٍ لا تتعلّقُ بالكتاب بخطِّ بعضِ فضلاء الحنابلة الذين يلمزون ببعضِ الأشاعرة ، فسألتُ الشيخَ الإمام ! فقال : هـٰذه النسخةُ شريتُها مِن تركةِ الحافظِ سعد الدين الحارثيِّ[1] ، وكأنهم كانوا يريدون إعدامَها ، ولـٰكن كتاب « التبيين » **كثيرُ العدد في الوجود ، لا يستطيعُ الخصم أن يحصرَهُ ويعدمه** ، واللهُ تعالىٰ يتولّىٰ إن شاءَ الله حمايتَهُ ورعايتَهُ)[2]

أضف إلىٰ هـٰذا : **عناية العلماء بالنقل عنه والإحالة عليه** ؛ إذ هو من الكتب المسندة التي دُوِّنت علىٰ طريقة المحدثين وثقات الأخباريين

خصومُ الإمامِ الأشعريِّ :

إنَّ كتابنا « تبيين كذب المفتري » إنما وُضِعَ بملاحظة خصومٍ لإمام أهل السنة الأشعريِّ ، ومع هـٰذا فلا نرىٰ إمامنا الحافظ ابن عساكر يعتني إلا بالردِّ علىٰ نوعٍ من هـٰؤلاء الخصوم؛ وهم المستظلُّون برُواق أهل السنة، وهم على التحقيق أدعياءُ فيهم ، ولكي يتَّضحَ هـٰذا لا بأسَ بحديثٍ خاطفٍ عن مخالفي الإمام الأشعريِّ ، **إذ يمكنُ تقسيمُ مخالفيه مِنَ الإسلاميين إلىٰ نوعين رئيسين ؛ وهما**

---

(١) هو مسعود بن أحمد الحارثي ، فقيه حنبلي ، وكان ممَّن يقول بالجهة ، ولم تكن محاولته لإعدام كتاب « التبيين » هي الوحيدة ، بل ذكر الحافظُ ابن حجر العسقلاني في « الدرر الكامنة » (٦/ ١٠٨) ما هو أعظم ؛ فقال : (يقال : إنه الذي تعمَّدَ إعدام مسودة كتاب « الإمام » لابن دقيق العيد بعد أن كان أكملَهُ ، فلم يبقَ منه إلا ما كان بُيِّضَ في حياة مصنِّفه) ، وكان شيخُ الإسلام ابنُ دقيق العيد ينفر منه ، ويقول بأنه داعية لبدعته .

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٣/ ٤٠٠) ، ويقول أستاذنا الدكتور رياض مراد في كتابه « التبادل الثقافي بين بلاد الشام وبلاد فارس » (ص ٢٧) : (من كتاب « تبيين كذب المفتري » نُسخٌ كثيرة مخطوطة في حوالي خمس عشرة مكتبة)

النوعُ الأوَّلُ مَنْ أحاطَ بحقيقةِ مذهبه ووقفَ عليه دون لَبْسٍ أو اشتباهٍ ؛ وهم علىٰ ضربين

ـ **الأوَّلُ** : **رؤوسُ فِرَقِ الأهواء الإسلامية** ، وعلىٰ رأس هـٰؤلاء المعتزلةُ والمشبِّهة ومَن ينطوي تحت ما ذهبوا إليه في الاعتقاد ، **وخصومةُ هـٰؤلاءِ لا تخفىٰ** ، وليس الأشعريُّ وحدَهُ خصماً لهم ، بل سائرُ السنة يشاركونه في هـٰذه الخصومة ، والأشعريُّ لم يألُ جهداً في الردِّ عليهم ودحضِ شُبهِهم ، فنالَ منهم ونالوا منه ، غيرَ أنَّ الذي ندينُ اللهَ تعالىٰ به أنَّه رحمه الله كان على الحقِّ فيما خالفوه فيه ، وأنَّ أدلَّتَهُ في بيان مذهبه وجلاءِ الحقِّ كانت جليَّةً واضحة ، لا تستعصي على العقول ، **وهـٰذا الخلافُ يقتضي التبديعَ على الجملة** .

ومثالُ هـٰؤلاء محمدُ بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد ، والحسن بن عليٍّ البربهاريُّ ، وأبو سعد بشر بن الحسين بن مسلم الشيرازيُّ ، **فالظنُّ بهـٰؤلاء أنهم عرفوا مرادَ الشيخ الأشعريِّ وخالفوه**

ـ **الثاني** : **مخالفوهُ مِنْ أهل السنة والجماعة** ؛ كالسادة الماتريدية ، وبعضِ الصوفية ، وبعضِ الأثريِّينَ والمحدِّثين ، **وهو خلافٌ داخلَ البيت السُّنِّيِّ** ، فخلافُ الماتريدية أكثرُهُ لفظيٌّ لم يُحرَّرْ فيه موضعُ النزاع ، وبعضُهُ حقيقيٌّ اجتهاديٌّ ، وخلافُ بعضِ الصوفيَّة وبعضِ المحدِّثين راجعٌ على الأغلب الأعمِّ في طريقة الاستدلال على العقائد ، لا في حقائق هـٰذه الاعتقادات ، إلا في نزرٍ يسير هو كخلاف الماتريدية ، **وهـٰذا الخلاف لا يقتضي تبديعاً ولا تفسيقاً** ، فضلاً عن الإخراج عن الملَّة ، فهي خصومةٌ شريفة ، **يحفظُ كلٌّ مِنَ الطرفين لقبَ السنَّة للآخر ، والكلُّ جديرٌ به**

وهـٰذا القسمُ أشهرُ مِن أن يُمثَّلَ له

النوعُ الثاني : مَنْ لم يُحِطْ بحقيقة مذهبِهِ، وهٰؤلاء منقسمون إلىٰ قسمين :

ـ**الأولُ : جماعةٌ يوافقونه في كثيرٍ من اعتقاداتِهِ** ، غيرَ أنَّهُ وصلَهم ما يخالفُ هٰذا الاعتقاد ، أو ساءَ فهمُهم لمذهبه ؛ فما كان منهم إلا أن ذمُّوه ورمَوهُ بما وصلَ إليهم أو فهموه

ومثالُ هٰؤلاء العلامة ابن حزمٍ الأندلسيُّ ؛ إذِ امتدَّ به الشينُ لأئمة الهدىٰ ؛ كأبي حنيفة ومالك والشافعيِّ ، **ولٰكن لجهلِهِ بحالهم والله أعلم** ؛ فهو كثيراً ما يتقوَّلُ على الأشعرية ، وينسبُ إليهم ما يتبرَّؤون منه وينكرونه ؛ لقصورِ معرفته لعلومهم ، وكونِهِ غيرَ بصيرٍ بكلامهم ؛ لأنَّه ـ كما قال العلامة اللَّبليُّ ـ إنما قرأ كتبَهم وحده علىٰ ما ذكره الإمام أبو محمد عبد الله بن طلحة في كتابه ؛ حيث يقول (هكذا أرادوا) ، وما هٰكذا أرادوا ، بل يحكمُ عليهم بما توهَّمَ بعقله(١)

ـ**الثاني : جماعةٌ لا يوافقونَهُ في الاعتقاد** ، ولم يتعرَّفوا علىٰ مذهبه ، وهٰؤلاء وإن كان يمكن إلحاقُهم بالأول من النوع الأول ، إلا أنِّي أفردتهم كصنفٍ تبرئةً لمَنْ فهمَ مذهبَ الأشعريِّ مِن فرق الأهواء وعرفَهُ

ورحم الله العلامة اللَّبليَّ إذ قعَّدَ في كتابه قاعدة جليلة فقال (**وما ينبغي لأحدٍ أن يتكلَّمَ في مذهبِ أحدٍ حتىٰ يقرأَ عليهم ، ويُفسَّر له كلامهم ؛ فالعلوم غوامضُ لا ينبغي لأحدٍ أن يتجاسرَ عليها بعقله**)

ومثالُ هٰؤلاء يحيى بن عمار السِّجْزيُّ ، وتلميذه أبو إسماعيل الهرويُّ ؛ **فهما من أعلام المشبِّهة** ، ثم تراهما يردَّانِ على الإمام الأشعريِّ **وهما يحسبان أنَّهما متصلِّبان في السنَّة ، وآخذانِ في الردِّ على الجهميَّة** ! وإنَّما كسرَ

---

(١) انظر « فهرسة اللبلي » (ص ٨٢) ، والتعليق الوارد (ص ٢١٥) حول ابن حزم

ومن هٰؤلاء المفتري أبو عليٍّ الأهوازيُّ ، **وهو أشدُّهم عَفَناً ونَتْناً في خصومتِهِ** ؛ فلمْ يكتفِ بمخالفةِ الأشعريِّ في الاعتقاد ، بل عرفَ بعضَ مذهبه وجهلَ بعضه ، فخالفَهُ فيما عرفَ من الحقِّ ، وافترىٰ عليه وطوَّلَ لسان الكذبِ فيما لم يعرفْ ، وهو إلىٰ هٰذا منتسبٌ زوراً وبهتاناً إلىٰ أهل السنة ؛ وكان قد جعلَ مذهب الأشعريِّ زندقةً وإلحاداً ، ولعن كلَّ من ينتسب إليه أو يعتقده ! وللأهوازيِّ حديث تقدَّم ذكرُهُ[1]

وبعد هٰذا

بقيَ كتابُ « التبيين » تتوارثُهُ دُورُ أهلِ السنة ، عزيزَ المادة غزيرَها في كشف حقيقة المذهب الأشعريِّ ، حاوياً لأهمِّ ما امتازَ به أهلُ السنة والجماعة عن غيرهم من الفرق الإسلامية ، مع كثيرٍ من الروايات الأثرية والخبرية التي لن تظفر بها في غيره ؛ إذ هي من أفراد روايات الحافظ ابن عساكر ، ومنها أخبارُهُ التي رواها عن معاصريه ، ولولا « التبيين » لصارَتْ أثراً بعد عين .

* * *

---

(١) انظر (ص ٤٥)

وصف النسخ الخطية

تقدَّمَتْ كلمةُ الإمام ابن السبكيِّ في بيان انتشار نُسخِ كتاب « التبيين »[1] ، وكثرتُهُ هـٰذه سدَّت البابَ علىٰ بعض الحشوية الذين حاولوا إتلافَ هـٰذا الكتاب وتغييبَهُ عن أيدي المنتفعين ، ولهـٰذا ـ بحمد الله ومنِّهِ ـ وقفنا علىٰ نُسخٍ نفيسةٍ قيِّمة له في بعثه الجديد ، كُتبَ بعضُها في قرن وفاة مصنِّفه الحافظ ابن عساكر ، وهي متَّصلة الإسناد به ، وعليها خطُّ ولدِهِ الحافظ بهاء الدين

وقد تمَّ اعتمادُ ستِّ نسخٍ خطيَّة ، إضافةً إلىٰ نشرة الأستاذ حسام الدين القدسي التي قدَّمَ لها وعلَّقَ عليها العلامة محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالىٰ ، وهـٰذه النسخ هي

النسخة الأولى

وهي : نسخة مكتبة خدابخش بتنه الهند ، ذات الرقم (٢٣٦٨)[2] ، وهي نسخةٌ نفيسة جدّاً ، بل لعلَّها أنفسُ نسخِ الكتاب الخطيَّة اليوم ، لا لتقدُّمها فحسب ، بل لميزاتٍ تفرَّدت بها ؛ إذ كاتبُها علامة جليلٌ مقرئ ؛ وهو الإمام أبو جعفرٍ أحمدُ بن عليٍّ القرطبيُّ الفنكيُّ الشافعيُّ[3] ، نزيلُ دمشق ، وإمامُ

---

(١) تقدمت (ص ٥٨) .

(٢) وهي مصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة ، رقم الفيلم (٣٠٨٧/ ٣٣٩)

(٣) الفنكي : نسبة إلىٰ فَنَك ، قرية أو قُليعة من أعمال قرطبة ، وُلد فيها سنة (٥٢٨ هـ) ، وتوفي بدمشق في (١٧) من رمضان سنة (٥٩٦ هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٢/ ٢٣٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٣٠٣)

مدرسة الكلاسة فيها وأبو إمامها ، **وأحدُ المكثرين من الرواية عن الحافظ ابن عساكر** ، وخطُّه كما وصفه الحافظ الذهبي حُلْوٌ[1] ، وهو كذلك في هـٰذه النسخة ، خلا الأوراق الست الأولىٰ منها ؛ فقد كُتبت بخطٍّ مغاير

وهي نسخة تامة ، مسندةٌ مقابلة ، **مسموعةٌ على ابن المصنف الإمام** الحافظ أبي محمد القاسم بهاء الدين ، **ومع كون غيرها مشاركاً لها في الضبط ، إلا أنَّها أكثرُ النسخ ضبطاً وتحرِّياً في الرواية والسماع** ، تعرفُ هـٰذا بالنظر إلىٰ طبقةِ السماع في خاتمتها[2] ؛ حيث ميَّزَ ضابطُها ما سمعَهُ الحافظُ بهاء الدين عن والده مؤلِّفِ الكتاب في غير هـٰذا الكتاب بعلامة ، وبعلامة أخرىٰ فيما رواه إجازة من شيخ والده ، وجعل كلمة (مساواة) فيما ساوىٰ فيه والده ، وغير ذلك

وقد سُمعَتْ هـٰذه النسخة المباركة في مجالس ، آخرها يوم الاثنين من ذي القعدة ، **سنة إحدىٰ وثمانين وخمس مئة** كما جاء في خاتمتها[3]

وقد وقعت هـٰذه النسخة العزيزة في (٢٢٧) ورقة ، وخطُّها نسخي جميل كما سبق وأشير إليه ، وجاء عنوان الكتاب فيها (« تبيين كذب المفتري فيما نَسَبَ للشيخ أبي الحسن الأشعري » **لحافظ الشام ، وناصر دين الإسلام** ؛ أبي القاسم ابن عساكر الدمشقي ، رضي الله تعالىٰ عنهما ، آمين آمين آمين)

ورُمزَ لها بـ (أ)

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٢/ ٢٣٠) ، وعبارته فيه : (**ونسخَ الكثيرَ بخطِّهِ المغربي الحلو** ، وكان صالحاً خيراً ، عابداً قانتاً ، وليّاً لله ، إماماً في القراءات ، مجوداً لمعرفتها) .

(٢) انظرها (ص ٧٤١) .

(٣) انظر (ص ٧٤٢) .

النسخة الثانية

وهي نسخة مكتبة الإسكوريَال الإسبانية ، ذات الرقم (١٨٠١) ، وهي نسخة تامَّة ، مسندةٌ لمصنِّفها من طريق ابنِ مصنِّفها الحافظِ القاسم بهاء الدين أيضاً ، وسُمعت عليه ، وأجازها بخطِّهِ رحمه الله تعالىٰ

وهي النسخةُ الوحيدة التي وقعت مجزَّأة تسعةَ أجزاء ، وأُثبت في نهاية كلِّ جزء منها طبقةُ سماعه ، وهـٰذا التجزيء للكتاب أغلبُ الظنِّ أنه مِن عملِ مصنِّفه الحافظ ابن عساكر ؛ حيث أحالَ علىٰ جزءٍ متقدِّمٍ في سياق كتابه فقال (وقد ذكرته في الجزء الأول بإسناده)[1] ، ولهـٰذا آثرت التنبيهَ علىٰ مواضع نهايات وبدايات كلِّ جزءٍ من أجزاء الكتاب كما وقع في هـٰذه النسخة

وقد أُلحق بها محضرٌ لبعض العلماء في حقِّ الإمام الأشعري ، وقد وقعَ هـٰذا المحضرُ بعينه في محلِّه من الكتاب في سائر النسخ ، وبطلبٍ من الحافظ بهاء الدين .

ويظهرُ من مقاطع هـٰذه النسخة أنها قُوبلت ورُوجعت ، كما يظهر من طبقاتِ سماعِ أجزائِها الوفرةُ والإقبال .

وقد وقعت هـٰذه النسخة المباركة في (٢٢٢) ورقة ، وكُتبت بخطٍّ نسخي معتاد على العموم ، وكان ذلك في الدويرة السميساطية بثغر دمشق ، وناسخها هو أبو المكارم ، عبدُ الصمد بن أحمدَ بن كمال الزنجانيُّ ، وكان تمامُ نسخها في ظهيرة يوم الاثنين ، الرابعِ من صفرٍ ، سنة إحدىٰ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ .

وهي وإن تقدَّمت ببضعةِ أشهرٍ عن نسخة خدابخش بتنه ، إلا أن هـٰذه

---

(١) انظر (ص ٢٣٣) .

الأخيرة من حيث القيمةُ العلمية والأثرية مقدَّمةٌ عليها

وقد وقعت فيها بعضُ الأخطاء التي انفردَتْ بها عن سائر النسخ علىٰ قلَّتها ، ولـٰكنها مازَتْ سائرَ النسخ بسمة التجزيء الذي أُشير إليه ، فبقيت محافظةً عليه ، وجاء في ورقة العنوان : (الجزء الأول من « تبيين كذب المفتري فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » ، تصنيف الإمام العلامة الحافظ ، ناصر السنة ، قامع المبتدعين ؛ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ، رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه) ، وكُتِبَ عليها بعضُ التملُّكات والفوائد

ورُمزَ لها بـ(ب)

النسخة الثالثة

وهي نسخة مكتبة تشستربيتي دبلن أيرلندا ، ذات الرقم (٣٢٣٩) ، وهـٰذه النسخة علىٰ أغلب الظن منقولة من نسخة الإسكوريَال السابقة ؛ لتطابقِ خاتمتهما ، وتشابهِ مقاطعهما

وهي من نسخ « التبيين » القديمة المكتوبة في قرن وفاة مصنفه **الحافظ ابن عساكر** ، حيث فُرِغَ من نسخها في شهر شعبان من سنة (٥٩٦ هـ) ، **وناسخها** : هو عبد الكريم بن الحسن بن جعفر .

وقد ضُبطت بالعلامات التي أشارت لها نسخة خدابخش بتنه ؛ من تمييز روايات مقاطع الكتاب بين سماع ومساواة وإجازة ، وقد وقعت في (١٣٧) ورقة ، وكتبت بخط نسخي معتاد ، وصورتها مضطربة الترتيب .

ورُمزَ لها بـ(ج)

النسخة الرابعة

وهي نسخة مكتبة جار الله إستنبول تركيا[1] ، ذات الرقم (١١٢٧) ، وهي من النسخة المتقدمة تاريخاً ؛ فقد وقع الفراغُ من نسخها في شهر صفر من سنة (٦٠٦ هـ) ، **وناسخها** المقرئ بشارة بن عبد الله ، كتبها للإمام أبي بكر أحمد بن عبد الرحمـٰن بن العجمي .

جاءت هـٰذه النسخة في (٢٤٨) ورقة ، وخطُّها نسخي جميلٌ واضح ، ضُبط علىٰ ندرة بعض الكلمات فيها ، وقد وقع بترٌ لبعض الورقات من أوَّلها ، ويظهر أنَّها قوبلت علىٰ نسخة متقدِّمة .

ورُمِزَ لها بـ (د) .

النسخة الخامسة

وهي نسخةُ دار الكتب الوطنية التونسية ، ذات الرقم (ع/ ٥٠٥) ، (٢٠٣٠٧)[2] ، وهي نسخة تباري أخواتها في الإتقان والضبط والنفاسة ، مع زيادة تعليقاتٍ نافعة في هوامشها وحواشيها ، وهي نسخة مشرقيَّة كما سترىٰ ، حطَّت رحالَها في تونس من بلاد المغرب العربي

كاتبُها محدث مشهور ؛ هو أحمدُ بن مظفر بن أبي محمد بن مظفر بن بدر بن الحسن ابن النابلسي ، وكان فراغه من نسخها في يوم الجمعة ، سادس

---

(١) تفضَّل متكرِّماً بصورة هـٰذه النسخة المباركة فضيلةُ الأستاذ البحَّاثة أحمد سهيل المصطفى المشهور حفظه الله تعالىٰ ، وجزاه الله عنَّا كلَّ خير .

(٢) تكرَّمَ بصورة هـٰذه النسخة النفيسة مشكوراً فضيلة الشيخ نزار حمادي حفظه الله تعالىٰ ، وأجرى الخير علىٰ يديه ، وكان قد صوَّرها بنفسه من قرابة عشر سنوات ، معتنياً بها وبإبراز كلِّ ما فيها ، جزاه الله عنَّا كلَّ خير وأجزلَ مثوبته .

شعبانَ من سنة ستٍّ وسبعِ مئةٍ بالمدرسة القليجية بمدينة دمشق[1]

ولم تقفْ نفاستها عند هـٰذا ، بل جاء في هامش خاتمتها : (عورض بالأصل المنقول منه مع **الشيخ علاء الدين بن العطار** ، فصحَّ والحمد لله رب العالمين، وذلك في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة بدار الحديث النورية بدمشق)[2] .

وهي نسخةٌ تامَّةٌ على الجملة مسندةٌ ، حكىٰ راويها سندَهُ للكتاب قبل البداءة به ، وبعد صفحاتٍ بالية كُتبت فيها ترجمة للمؤلف ، وينتهي سندُهُ **للحافظ القاسم بهاء الدين ابن المصنفِ** الحافظِ ابن عساكر ، وأُرِّخَ لمجلس السماع أنه كان في شهر شوال سنة (٥٨١ هـ) ، هـٰذه السنةُ العامرةُ ـ علىٰ ما يظهرُ ـ بإقراء هـٰذا الكتاب المبارك .

ومن أهمِّ ما أُثبت من هـٰذه النسخة النفيسة هي تلك التعليقاتُ المشار إليها ، فجلُّها تمَّ إثباتُهُ في التعليق على الكتاب ، وغالبُها استكمال لترجمةٍ أو توضيح لفكرة ، مع ضبطٍ لغريب ومشكل

وقد كتبت هـٰذه النسخة بخط نسخي جيِّد جليٍّ ، خلا بعض الأوراق من الكراسة الأولىٰ ، وضُبطت الكلمةُ التي قد تُشكلُ قراءتها عموماً ، **فضُبطت كلمة (نَسَبَ) بفتحات** في عنوان الكتاب في الورقة الأولىٰ والأخيرة ؛ تنبيهاً على كون الفعل مبنياً للفاعل ـ وهو الضمير العائد على المفتري ـ لا للمفعول ، وكتبت عناوينها باللون الأحمر ، ووقعت في (١٧٣) ورقة

ورُمزَ لها بـ (هـ) .

---

(١) بين الباب الشرقي وباب توما ، وانظر « الدارس في تاريخ المدارس » للنعيمي (١/ ٣٢٩) .

(٢) وابن العطار من أشهر من تخرَّج بالإمام النووي رحمهما الله تعالىٰ ، وهو ممن درَّس بالمدرسة القليجية كذلك ، وكان شيخاً لدار الحديث النورية ، ومدرساً في القوصية أيضاً ، وتوفي سنة (٧٢٤ هـ) رحمه الله تعالىٰ ، وروايتُهُ لمثل هـٰذا الكتاب لها شأنُها .

النسخة السادسة

وهي نسخة مكتبة جامعة لايبزك بألمانيا ، ذات الرقم (١١٣) ، وهي نسخة تامة ، كتبت بخطٍّ نسخي جليٍّ ، ولم يُذكر اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها ، ولعلَّها ممَّا كُتب في القرن الثامن الهجري ، ويوجد علىٰ ظهر ورقة العنوان منها تملُّكٌ مؤرَّخٌ في نهاية هـٰذا القرن

وقعت في (١٣٠) ورقة ، لم يجرِ عليها قلمُ الضبط ، ويظهرُ أن أحدَ مالكيها لم ترقْ له مادةُ الكتاب ، فكتبَ سطوراً في الورقة الأخيرة منها تظهر ذلك ، ومع هـٰذا فقد وقعَتِ الإفادةُ من هـٰذه النسخة ، ورَجَّحَتْ عند القراءة كثيراً من الفُرُوق

ورُمزَ لها بـ (و)

وأمَّا المطبوعة : فهي ـ كما سبق ـ نشرةُ الأستاذ حسام الدين القدسي بدمشق سنة (١٣٤٧ هـ)[1] ، وقد كتبَ لها العلامة محمد زاهد الكوثريُّ مقدمةً تعريفية متينة في التأريخ لنشأة الفرق الإسلامية ، ممهِّداً للحديثِ عن ضرورة ظهور كتاب « التبيين » ، وعلَّق عليها تعليقاتٍ علميةً نافعة علىٰ عادته رحمه الله تعالىٰ

وقد اعتمد في إخراجها علىٰ نسخة خطية محفوظة في خزانة العلامة عبد الباقي الحسني الجزائري مفتي المالكية في دمشق ، فرغ ناسخُها من كتابتها في (٢٣) ذي الحجة من سنة (٦٤٩ هـ) ، ونسخة مكتبة فيض الله في إستنبول ، والنسخة النورية في القاهرة ، مع مقابلتها بنسخة الخزانة التيمورية ، كما ذُكرَ في مقدِّماتها

---

(١) وقد جدَّدت طبعها دار الفكر سنة (١٣٩٩ هـ) بإشراف الأستاذ رياض المالح رحمه الله تعالىٰ ، والدكتور مطيع الحافظ ، وقد صحَّحا كثيراً من الأخطاء المطبعية .

وأعظمُ ما احتفظنا به من هـٰذه المطبوعة : هي تلك المقدِّمةُ والتعليقات القيِّمة للعلامة الكوثريِّ ، مع ما تمَّ إثباته من بعض المغايرات ، وهي يسيرة ، علماً أنَّ غالبها ممَّا خالفَ الأصول الخطيّة المعتمدة والأصول المنقول عنها

وأمَّا بشأن كتاب « المثالب » للمفتري أبي عليٍّ الأهوازيِّ : فقد اعتمدنا في نشره لأول مرَّة ملحقاً بكتاب « التبيين » نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، ذات الرقم (٤٥٢١) ، كتبت بتاريخ (٤٧٤ هـ) ، فهي من النسخ العتيقة التي تُعدُّ من نوادر المخطوطات .

وهي نسخة تامَّة مسندة لمؤلِّفها ، يظهر اعتناءُ بعض الحنابلة بها ، ومسموعةٌ بتواريخ متقدِّمة جدّاً ، ومقابلةٌ علىٰ نسخة القاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفرَّاء الحنبلي وحسبك به وبأبيه ، وثبت لها عدَّة روايات ، وخطُّها مستعجل متراكب .

وهي النسخة المفردة المعتمدة في نشرة هـٰذا الكتاب .

* * *

منهج العمل في الكتاب

لا شكَّ أنَّ كتاب « تبيين كذب المفتري » مِنَ الكتبِ الرئيسة والمتقدِّمة في التعريف بأهل السنَّة والجماعة ، **وله الصدارةُ في بيان نهجِهم في تعريف عقائدِهم ، وترجمة بعض أعلامِ مذهبِهم** ، وصبغتُهُ الأثريَّةُ جعلَتْ له مكانةً عظيمة في صدورهم ، ورفعةُ شأْنِ مؤلفه أكَّدَتْ هذه المكانةَ ورسَّخَتها

ورغمَ هذا كلِّهِ نأسفُ ألا نجدَ متابعةً جادَّةً لما كان قد ابتدأَهُ العلامةُ الكوثري رحمه الله تعالى من إدخال كتاب « التبيين » إلى عالم الطباعة والعناية النصِّيَّة ، بعد بذل عناءٍ ليس باليسير لنرى اكتفاءَ اللاحقين بإعادة تصويره ، أو رصْفِ كلماتِهِ لطبعةٍ أخرى مع إضافة شيءٍ من أغلاط الطبْعِ وتشويهِ النصِّ والتعليقات الأجنبية !

وها نحن اليومَ نخطو أيُّها الأخُ القارئ معك بـ « التبيين » خُطاً علميَّة جادَّة ، نبعثُهُ من رُقاد الإهمال نحو مِنصَّةِ الكمال ، **في سَعْيٍ لإعانة الباحثِ المختصِّ والقارئ العَجْلانِ للوصول لبغيتِهما ، دون أن تساورَهما شكوكُ الأخطاء وظنونُ الأوهام** ، التي بدلَ أن تمحوَها حداثةُ الآلات وتطوراتُ آليَّاتِ البحث . . زادتها سوءاً إلى ما هي عليه ، فليت الأمرَ كان كما هو في غابر الزمان ؛ **إذ ما زلنا نطمئنُّ إلى كثيرٍ من المطبوعات القديمة أكثرَ من اطمئنانِنا إلى ملوَّناتِ كُتُبِ اليوم وقشيباتِها** ، اللهمَّ إلا لإصداراتِ آدُرٍ يسيرة حمَّلَتْ نفسَها عناءَ العناية

وكان بفضله سبحانه أن وُفِّقْنا للوقوف على نُسَخٍ لهذا الكتاب الفذِّ هي قرَّةُ عينٍ لكلِّ محبٍّ صَدُوق ، ولا سيما تلك التي كتبَها تلميذُ مؤلِّفه والراوي عنه الإمامُ أبو جعفر القرطبيُّ بدمشق ، وتليها النسخةُ التي رقمَ عليها ابنُهُ الحافظ بهاء الدين ، ونسخة ابن النابلسي المكتوبة بالمدرسة القليجية ، والمعارضة بدار الحديث النورية ـ التي بُنيت للحافظ ابن عساكر ـ بدمشق ، وغيرها ممَّا لم تخلُ منه فائدة .

وقد تمَّ بعون الله **اتخاذُ نسخة الإمام أبي جعفر القرطبي** المرموز لها بـ (أ) أصلاً ، فهي تمثِّل نسيجَ « التبيين » من أوَّله إلى آخره ، وقد قُوبلت مقابلةً تامة بالنسخ : (ب ، هـ ، و) ، وكان للنسخة (هـ) تحديداً **أثرٌ كبير في تصحيح النصِّ** مع كلٍّ من النسختين الرئيستين (أ ، ب) ، فقلَّ أن ترى موطناً في « التبيين » اعتمد فيه (ج ، د) دون غيرهما من النسخ ، ومع هذا كان لكلٍّ النُّسخ أثرٌ كما سترى[1]

وبما أنَّ مطبوعة العلامة الكوثريِّ كانت قد اعتمدَتْ نُسَخاً قديمة للكتاب . . **فقد طولعت بتمامها ، وأُشيرَ إلى بعض المغايرات التي لم تكن بالقليلة** ، والتي قد يتوهَّم القارىءُ كونَها صواباً ، وهي ليست كذلك عند المتأمِّل ، وعند الباحث المُراجعِ للأصول التي اعتمدَها ونقلَ عنها إمامُنا ابن عساكر رحمه الله تعالى .

وقد أُعدَّتْ لكتابنا « التبيين » **مقدمةٌ تليقُ بمكانته العلميَّة ، بل هي على التحقيق وَرْيُ زِناد** ، دُوِّنَتْ فيها عناوينُ جذَّابة ، فسترى في ترجمة المؤلِّف زيادةً عن المألوف ؛ من ذكر الاسم والنسب والنشأة ، والشيوخ والرواة

---

(١) انظر وصف هذه النسخ الخطية (ص ٦٣) .

والمؤلَّفات ؛ وذلك كالحديث عن حافظ الدنيا ابن عساكر والملك العادل نور الدين زنكي ، والذي له أكبرُ الصلة للمتأمِّل اللمَّاح بالكتاب الذي بين أيدينا ، وكالحديث عن كتابنا « تبيين كذب المفتري فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » ، بَدْءاً من تصحيح الخطأ الشائع في لفظة (نسب) التي شاع سماعها من الخاصَّة فضلاً عن العامَّة بالبناء للمجهول ، ومروراً بداعية تأليفه ، والحديث عن المفتري الذي نَسَبَ للإمام الأشعري ما نسبَ ، وانتهاءً ببيان ما فيه من الاعتناءاتِ التي أبرزَها مؤلِّفُهُ رحمه الله تعالى

ومن مُهمَّات الخدمة لكتابنا « التبيين » : **تخريجُ آثاره ونقولاتِهِ من مواردِها التي اعتمدها مؤلِّفه** ، وتمَّ ترقيمُ مسنداتِها ترقيماً مسلسلاً لتسهل الإحالة عليه ، **كما تمَّ استكمالُ بعض المقاطع والرسائل اللطيفة التي أوردها وأسندها** ؛ كرسالتي الحافظين الكبيرين البيهقي والقشيري ، **مع إثبات كثير من الحواشي المفادة من النسخة (هـ)** ، وأغلبُها في إتمام ترجمات أعلام طبقات الأشعرية ، وفوائد وزيادات توضيحية ، وقد تمَّ ترميمُها من المراجع الأصلية المنقولة عنها

ومنها : **إلحاقُ رسالة المفتري الأهوازي المنعوتة بـ « المثالب »** ، مع ربطِ مقطَّعات الفصلِ الذي عقدَهُ المصنِّف بها ، وسيرى القارئُ الفائدةَ التي كانت وراءَ هذه الخطوة ، وعلى رأسها توضيحُ بعض السياقات التي استغلق فهمُها لشدَّة اختصارها

وقد أُثبتَتْ تعليقاتُ العلامة الكوثريِّ بتمامها ، مع زيادةِ بعض تعليقاتٍ علمية ، وبيانِ مشكلٍ ومبهم ، وربطِ الإحالات التي اعتنى بها المؤلِّف ، وإتماماً للعمل العلميِّ تمَّ إعدادُ بعض الفهارس الخدمية فضلاً عن فهرس المحتوى التفصيلي للكتاب .

وبعدُ :

فها هي نوبةُ العملِ قد مالت شمسُ أصيلِها للمغيب ، وسدولُ ذيولِ أُفولِها تسمحُ بوصْلِ الحبيب بالحبيب ، تاركةً وراءَها ما نرجو عنه حسنَ الجزاء ، ومن الكريم جزيل العطاء ، فلا شرفَ فوق شرفِ الانتساب لأولئك السادات ؛ بخدمة آثارهم وحَمْلِ نِعالهم ، فأهلُ السعود سَعِدوا بابن مسعود ، وحَظُوا بما لم يَحظَ به أهلُ الركوع والسجود ؛ لرمزٍ لا يخفى على موفَّق ، ووعدٍ من أمينٍ مأمون لا بدَّ أن يتحقَّق .

حُرِّرَ في دمشقَ الشام

ضحى الحادي عشر من صفر الخير (١٤٤٠ هـ) تقضَّت بخير وعافية

الموافق للعشرين من تشرين الأول/ أكتوبر (٢٠١٨ م)

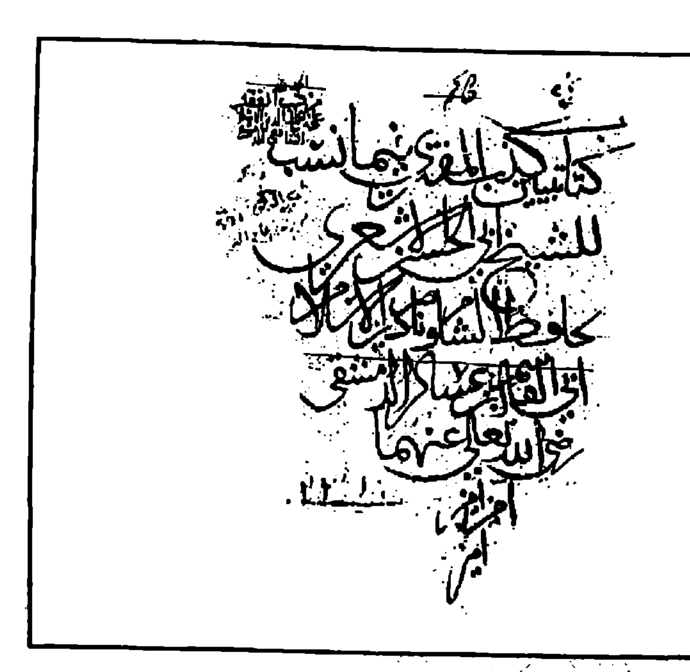
وكتبه

الفقير لعفو مولاه الغني

أنس محمد عدنان الشرفاوي الحسني



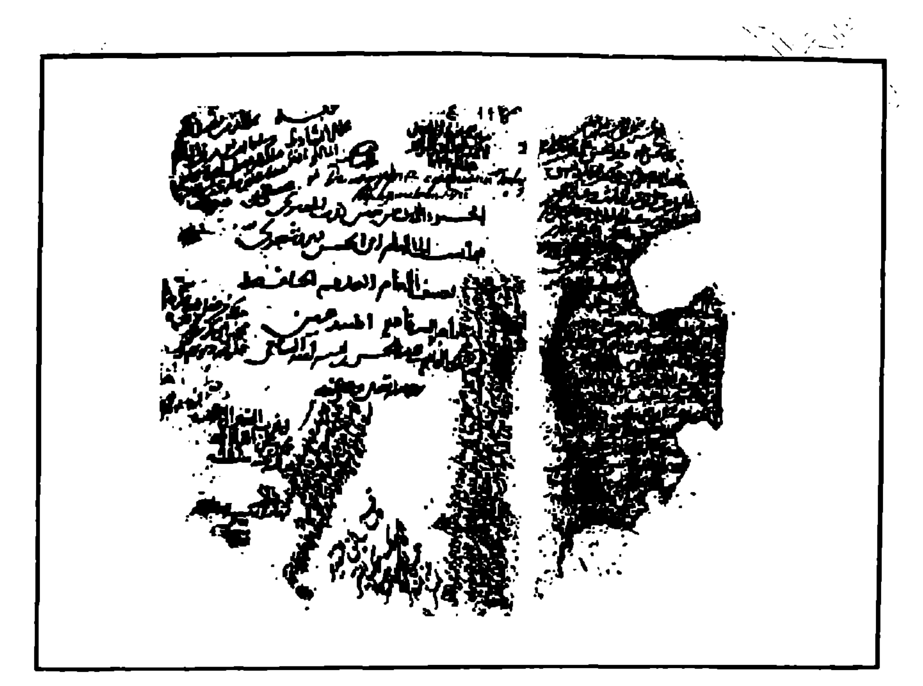
صور من المخطوطات المعتمدة في التحقيق



راموز ورقة العنوان من النسخة (أ)

راموز الورقة الأولى من النسخة (أ)

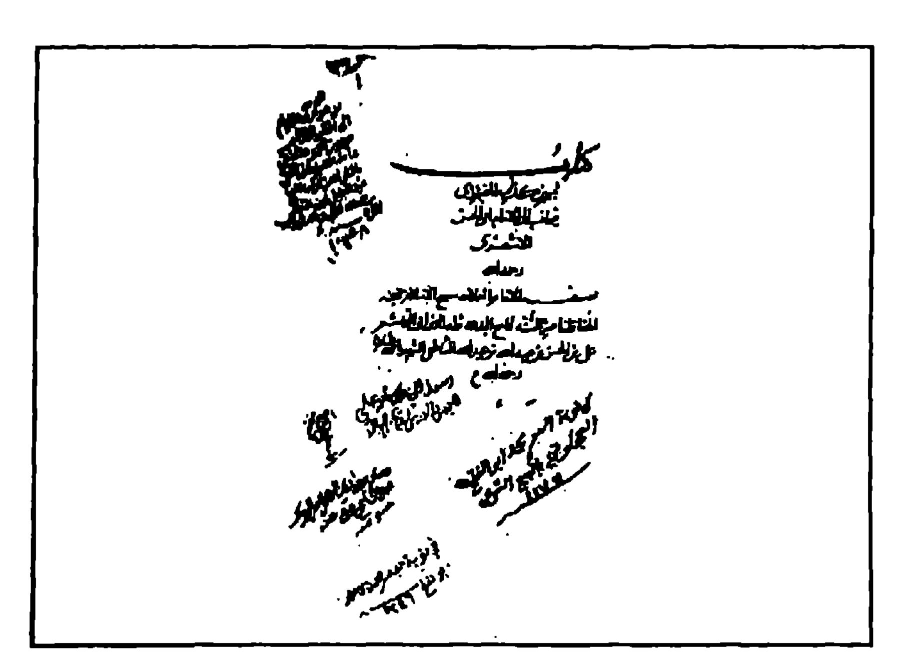
راموز الورقة الأخيرة من النسخة (أ)



راموز ورقة العنوان من النسخة (ب)

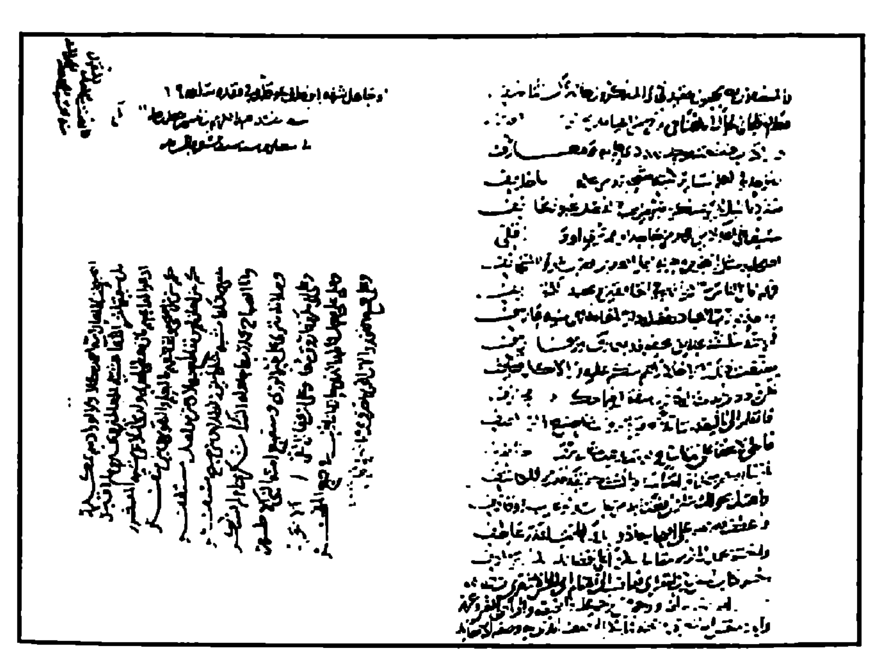
راموز الورقة الأولى من النسخة (ب)

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ب)

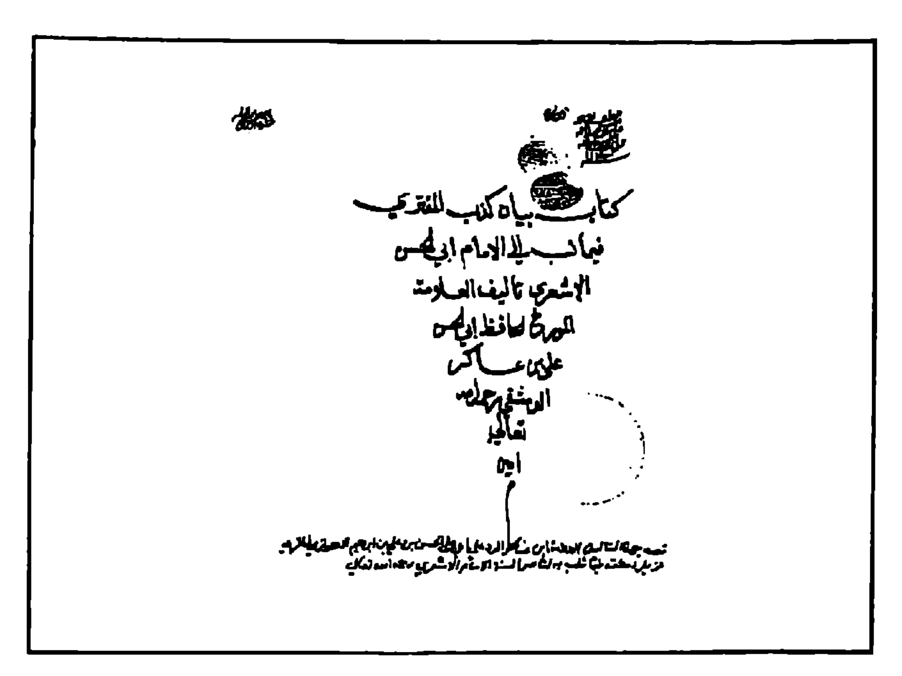


رامُوز ورقة العنوان من النسخة (ج)

رامُوز الورقة الأولى من النسخة (ج)

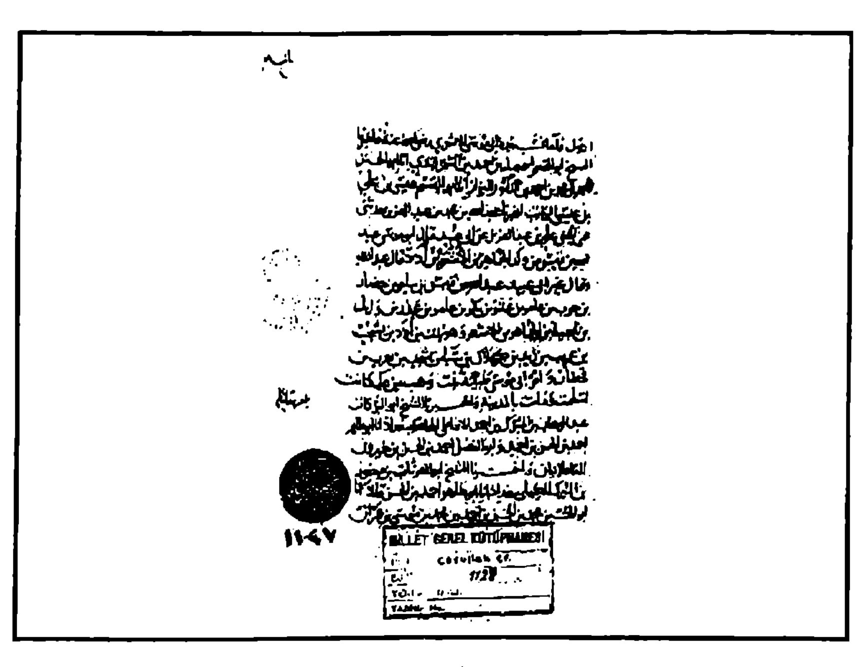


نموذج الورقة الأخيرة من النسخة (ج)



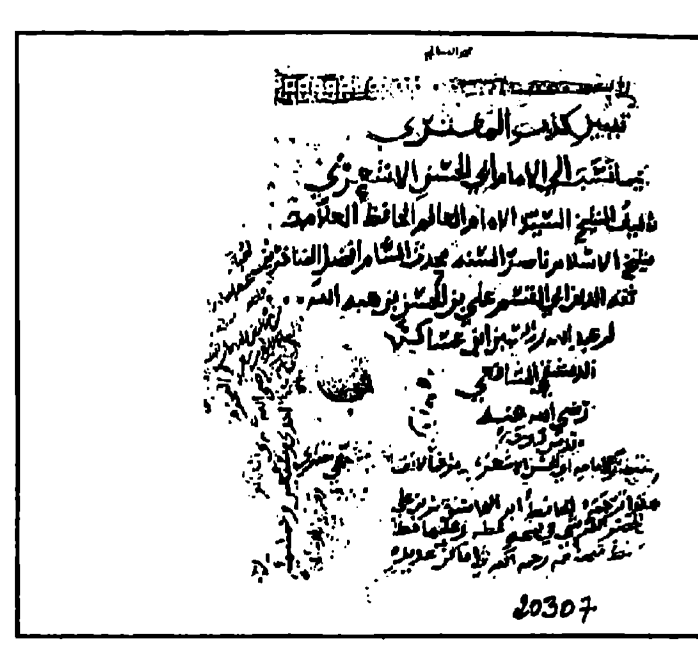
كتاب بيان كذب المفتري
فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن
الأشعري تأليف العلامة
المؤرخ الحافظ ابي الحسن
علي بن عساكر
الدمشقي رحمه الله
تعالى
آمين

نموذج ورقة العنوان من النسخة (د)



راموز الورقة الأولى من النسخة (د)

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (د)



تبيين كذب المفتري
فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري
تأليف الشيخ السيد الإمام العالم الحافظ العلامة
شيخ الإسلام ناصر السنة محدث الشام
ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله
بن عبد الله بن الحسين ابن عساكر
الدمشقي الشافعي
رضي الله عنه

20307

راموز ورقة العنوان من النسخة (هـ)

راموز الورقة الأولى من النسخة (هـ)

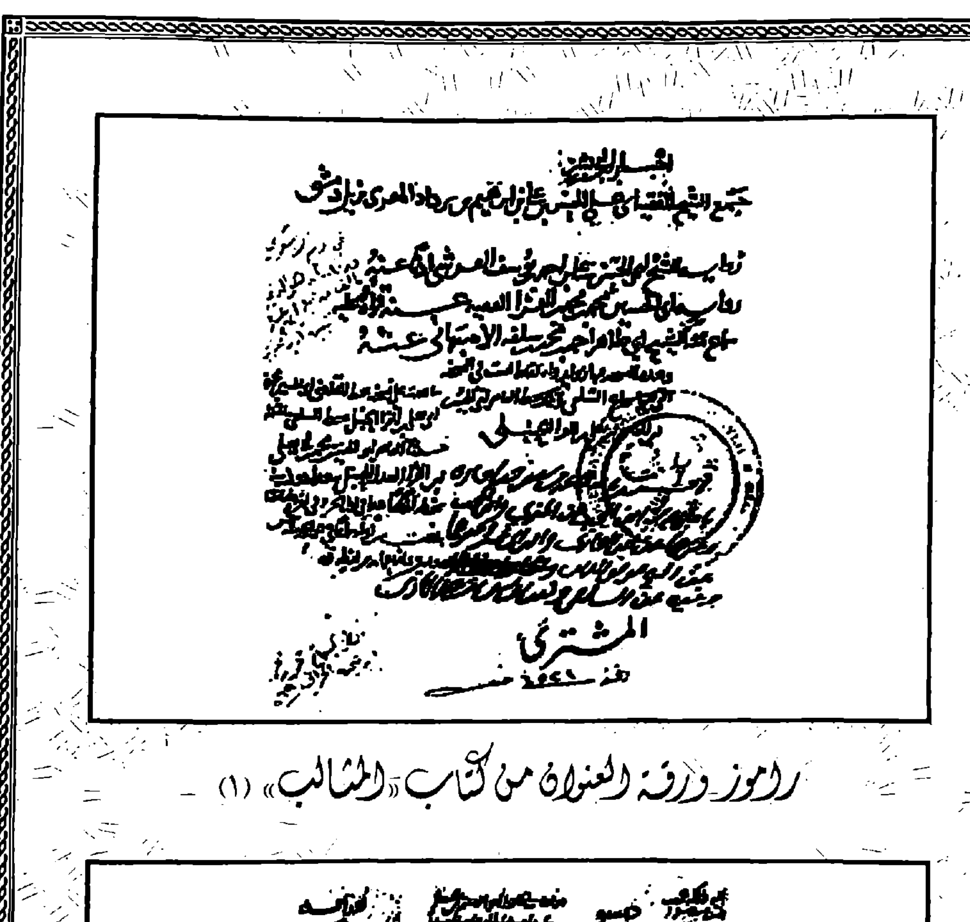
رامُوز الورقة الأخيرة من النسخة (هـ)

رامُوز ورقة العنوان من النسخة (و)

راموز الورقة الأولى من النسخة (و)



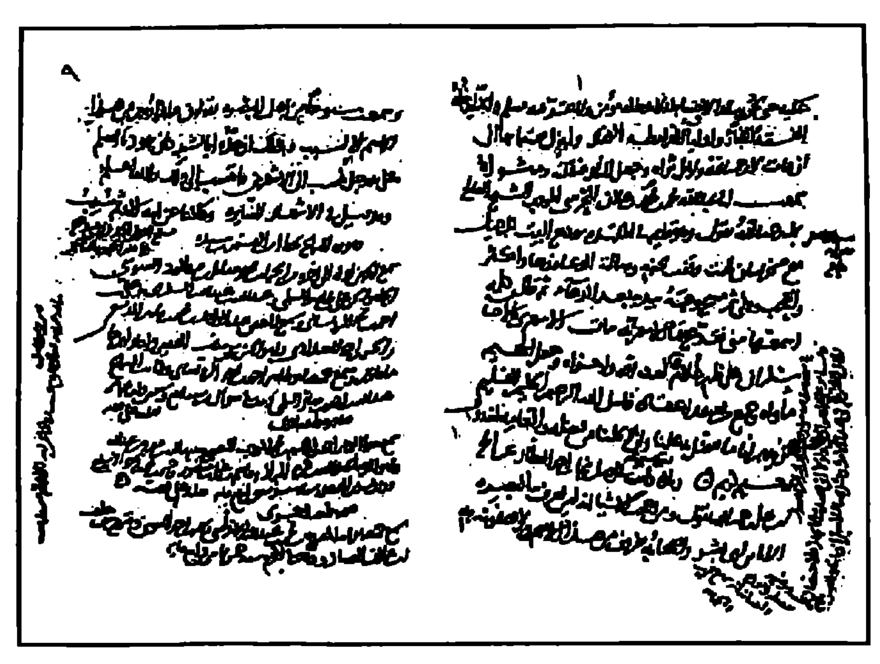
راموز الورقة الأخيرة من النسخة (و)



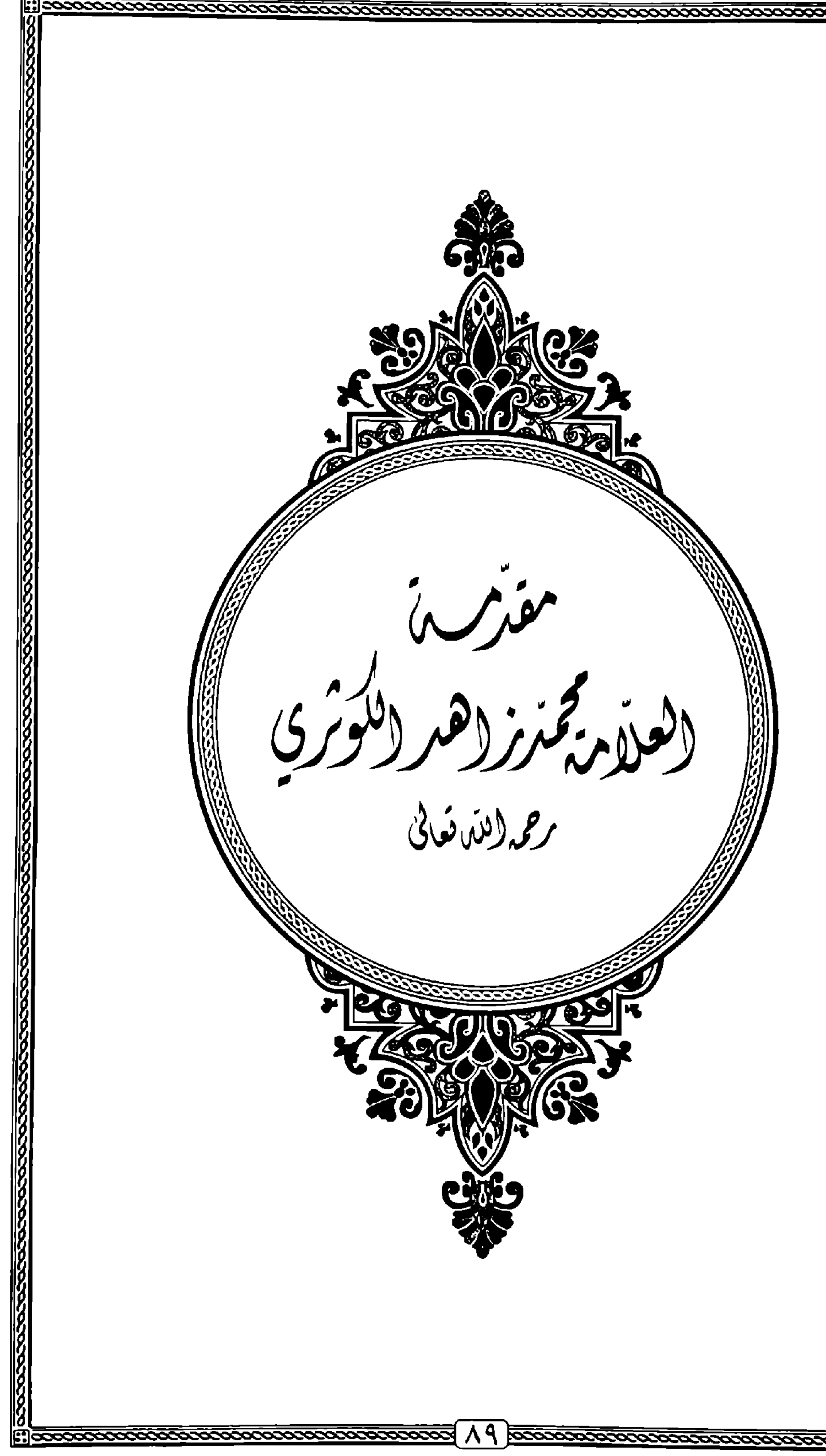
راموز ورقة العنوان من كتاب «المثالب» (١)

راموز ورقة العنوان من كتاب «المثالب» (٢)

راموز الورقة الأولى من كتاب «المثالب»



راموز الورقة الأخيرة من كتاب «المثالب»


مقدّمة
العلّامة محمّد زاهد الكوثري
رحمه الله تعالى

مُقدّمة
العَلّامة محمّد زاهد الكوثريّ
رحمه الله تعالى

الحَالةُ العَامّةُ عند البعثةِ النبويّةِ

وسط عريقٌ في الجاهلية متوغِّلٌ في الوثنية ، ليس لقبائله خَطَواتٌ سابقةٌ تُذكر نحو الرقيِّ البشري كما لجيرانهم ، ولا لهم عاطفةٌ تصرفُهم عن مثل وأْدِ البنات ، والارتزاقِ مِنَ الغارات ، وما إلىٰ ذلك مِنَ الدنايا ، يعبدون ما ينحِتون ، ويعتقدون أنَّ الملائكةَ بناتُ الله ، تعالىٰ عمَّا يأفكون !

وحول هٰذا الوسط نطاقٌ مِنْ أممٍ يدينون بأديانٍ شتىٰ محرفة مختلقة ، يجري في بلاد كلٍّ منهم مِنَ الفتن الدهياء[1] ، وظُلَمِ الظُّلْم السوداءِ . . ما لم يُقيَّدْ مثلُهُ في التاريخ ، وقد خسروا ما تتوارثه الأممُ خالفاً عن سالفٍ ؛ مِنْ أسباب السعادة في هٰذه الحياة ، فضلاً عمَّا يُسبِّب السعادةَ الأبديَّة

فمنهم أُمَّةٌ تدينُ بالتثليث والحلول ، ويبيعُ لهم كهنتُهم بِقاعاً مِنَ الجنَّة فيشترون ! تخلَّوا عن عقولِهم وهم لأربابهم مُسخَّرون .

ومنهم : أهلُ دينٍ عبدوا العِجل الذهبيَّ بمجرَّد أن غابَ عنهم نبيُّهم مدَّةً يسيرةً ، ثم حرَّفوا كتابه ، واعتقدوا في الله أنَّهُ يهبطُ على الصخرة ويصعدُ منها ، وأنَّهُ استلقىٰ بعد أن خلق السماوات لِمَا لحقَهُ مِنَ النصب ، تعالى الله عمَّا يقولون !

---

(١) الدهياء : هي الشديدة من شدائد الدهر

ومنهم : الصابئةُ عبدةُ الأجرام العلويَّة ؛ كأصحاب الهياكل الذين يرون أنَّ الشمس إلـٰهُ كلِّ إلـٰه ، وكالحرَّانية الذين يعتقدون أنَّ الخالقَ واحدٌ كثيرٌ ؛ واحدٌ في الأصل ، كثيرٌ بتكثُّر الأشخاص في رأي العين ، وهي المدبِّرات السبع السماوية ، والأشخاص الخيِّرة الأرضية ؛ فإنَّهُ يظهر بها ويتشخَّص بأشخاصها ولا تبطلُ وحدته ، وذلك بحلول ذاتِهِ أو جزءٍ مِنْ ذاته فيها ، تعالى الله عمَّا يشركون ! ولهم عزائمُ سحرية ومخاطباتٌ للنجوم ، ومنهم وَرث غُلاةُ المتصوفة وسائلَ مخرقتهم[1]

ومنهم الثنويةُ ، ومجوسُ الفرس عبدةُ النار ، القائلون بخالقين اثنين : النور خالق الخير ، والظلمة خالق الشرِّ ، على اختلاف فِرقِهم ؛ مِنْ مانويةٍ وديصانيةٍ ومزدقيةٍ[2] وغيرها ، يرون أنَّ النورَ غير متناهٍ مِنَ الجهات الخمس ، ومتناهٍ مِنْ حيث يُلاقي الظلمة ، وكان ماني رأسُ المانوية راهباً بحرَّان ، ومِنْ معتقد المزدقية منهم : أنَّ المعبودَ قاعدٌ علىٰ كرسيه في العالم الأعلىٰ علىٰ هيئة قعود خسرو الملكِ في العالم الأسفل

ووراء تلك الأمم أممٌ أخرىٰ علىٰ أشكال في الغواية ؛ كالدهريين والطبيعيين نفاةِ الصانع ، وهم آفةُ الفضيلة والعمران في كل جيل ، وكالسُّمَنِيَّة والبراهمة القائلين بنفي ما وراء الحسِّ ، والمنكرين للنبوة ، ولم تزلْ فلسفتُهم أمَّ الهوان والمذلَّة

هكذا كان الحجاز وما حوله ؛ مِنْ فِلَسْطِينَ والشامِ ، وبلاد الروم ،

---

(١) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ (راجع محنةَ عبد السلام الجيلي في « ذيل الروضتين » ، و« مجموعة دوزي » في الخزانة الزكية بالقاهرة) انتهىٰ

(٢) كذا بالقاف ، قال العلامة الحميري في « شمس العلوم » (٩/ ٦٢٩٠) : (**المزدقة** : دين المزادقة ؛ وهم فرقةٌ من الثنوية ، قولهم كقول المانيَّة ، إلا أنهم قالوا : النور يفعل بالقصد ، والظلام يفعل بالطبع) .

والعراق ، وأرض الفرس ، والهند ، وبلاد إفريقيَّة وما والاها ، حين بُعثَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم

فانظر ـ يا رعاك اللهُ ـ كيف قام هـٰذا النبيُّ الكريم بالدعوة إلى الإسلام في هـٰذا الوسط بين تلك الملل المحيطة به ! ثم كيف أقام الحُجَّة لدعوته بحيث لا يدعُ لمعاندٍ عذراً ، وكيف أيقظَ العقولَ بطريقة لا تعلو عن مدارك العامَّة ولا يستنكرها الخاصة ، فدانوا له تباعاً ، وعلَّمَهم طريق التنزيه ، وما يجوزُ في الله وما لا يجوز ، وفقَّهَهم في أبواب العمل ، ودرَّبَهم على الفضيلة والسجايا الكريمة ، واستنهضَ الجميع نحو رُقيٍّ مستمرٍّ في العلوم والأعمال والأخلاق وما إليها ، استنهاضاً تدريجياً بعيداً عن الطَّفْرَة والمفاجأة ! ثم كيف خرقَ شرعُهُ هـٰذا النطاق ، وانتشر إلىٰ جميع الآفاق ، فدانت الأممُ بنور هدايتِهِ في مشارق الأرض ومغاربها ! ثم كيف أفاضَتْ هـٰذه الدعوةُ المباركة والنهضة الميمونة على العالمين ما لم يُعهدْ له مثيلٌ مِنَ الخيرات في أيسر مدةٍ !

فإذا تأمَّلتَ ذلك . . تزداد يقيناً ، وترىٰ في ثنايا تشريعِ هـٰذا النبيِّ العظيم معجزاتٍ أيّةَ معجزاتٍ ، تتجدَّدُ مدى الدهر ، وأمَّهاتُ ما تلقَّتِ الأمَّةُ مِنَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم هي العلمُ بالله وصفاته ، وما إليها مِنَ المعتقدات المقصودة لذاتها ، والعلمُ بالأحكام العمليّة مِنْ عبادات ومعاملات يدورُ عليها تهذيبُهُم النفسيُّ ، وإقامة العدل بين الخليقة ، والعلمُ بطرق اكتساب الملكات الفاضلة ، والتخلِّي عن الخلال الرديئة النفسيَّة ؛ ممَّا يرشد إلىٰ وسائل تزكية النفوس وتصفية القلوب ؛ حتىٰ تصدر منها الأعمالُ المسعدةُ في النشأتين سجيةً لا بتكلُّف ، فيتمُّ لهم الكمالاتُ العلميّة والعمليّة

وكان الصحابة رضي الله عنهم في غُنيةٍ عن تدوين تلك العلوم ؛ لأنَّهم كانوا يرجعون إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم إذا اشتبهوا في أمرٍ ، فيزول الإشكالُ ،

ويحصل العلم ، ويأتسون به في الأعمال ، ويسعون في التخلُّق بخُلُقه العظيم ، فلا يتنكبون العدلَ في شيء منها ، وبه قامتِ السماواتُ والأرض ، وهم أُسوةٌ لمن بعدهم .

وقام بعد عهد الصحابة طوائفُ مِنْ علماء الأمة بتحقيق هـٰذه العلوم وتدوينها خلفاً عن سلف في كلِّ قرن ، علىٰ حسب ما تقضي الحاجة ، فكلَّما كان قيامُ العلماء بواجبهم في ذلك أكثر . . كان أمرُ الدين أقوىٰ وسعادة المسلمين أوفر

لمعَةٌ في نشأةِ الفِرَقِ

وبعد أن انتقل النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى الدار الباقية . . ارتدَّ مَنِ ارتدَّ في زمن الصدِّيق رضي الله عنه ، ونجمَ دعاةُ تفريقِ شؤون الدنيا عن الدين بإغواء مَنْ بينهم من المنافقين ، فامتنعوا عن أداء الزكاة ، فعدَّهُم الصحابة مرتدِّين ؛ لمنافاة هـٰذا التفريقِ لكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فقاتلوهم حتىٰ هدأَتِ الأحوال .

ولم يكن الخليفة الثاني رضي الله عنه بأقلَّ سهراً على الفاتنين ؛ فكان ينفي مَنْ يسعىٰ لتشويش العامَّة بعضل المسائل من غير شبهة تكشفُ ، والفتوح الإسلامية تجري على اتساع عظيم ، والناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، وتدينُ به الأقوام والملل ، وتنصاعُ لهديه البلاد إثر البلاد .

ولمَّا حدثَتِ الفتنُ في خلافة عثمان رضي الله عنه . . استخفَّ جانبَهُ أعداءُ الدين المندسُّون بين المسلمين ، فخَفُّوا إلى السعاية بينهم ، وإثارة خواطرهم بما يمكن أن يروجَ عليهم ؛ لسلامة صدورهم ، وبُعدِهم عن معرفة طرائق تمويهِ الفاتنين غير المتظاهرين بما يمسُّ بالدين ، يتنقَّلون في البلاد لهـٰذه الغاية ، ويمهِّدون السبيل إلى القضاء علىٰ هـٰذا الدين ببثٍّ بزورِ الدمار ،

وما عمله أمثالُ عبد الله بن سبأٍ في ذلك العهد مشهورٌ

وبعد التحكيم في وقعة صفِّين انفضَّ **الخوارجُ** من حول عليٍّ كرَّم الله وجهه ، وغَلَوا حتىٰ أخذوا يكفِّرون مرتكبَ الكبيرة ، ولمَّا توفِّيَ عليٌّ . . دام أناسٌ علىٰ مشايعته ومشايعة آلِهِ ؛ فسُمُّوا **الشيعةَ** ، وكانت زنادقةُ الروافض تجدُ بينهم مرتعاً خصباً لزرع بُزُورهم[1] كلَّما تكرَّرَ اضطهادُ أهل البيت من بني أمية وغيرهم .

وحين تخلَّى الحسن السبطُ عن الخلافة لمعاويةَ . . اعتزل الفريقين جماعةٌ ، ولزموا مساجدَهم يشتغلون بالعلم والعبادة ، وكانوا قبل ذلك مع عليٍّ حيثما كان ، **وهم أصل المعتزلة**[2] ، ويُقال إنَّ أول من قام بالاعتزال أبو هاشم عبدُ الله والحسنُ ابنا محمدِ بن الحنفية ، ثم أخذَ الثاني يردُّ على الخوارج في مسألة الإيمان ، ويقول : (الإيمانُ هو الكلمةُ والعقد دون الأعمال) ، **فسُمِّيَ هو وجماعتُهُ مرجئةً** ؛ لتأخيرهم العمل عن الإيمان ، وحدث منهم طائفةٌ تقولُ : لا يضرُّ مع الإيمان معصيةٌ ؛ وهم مرجئةُ البدعة

وكان عدَّةٌ من أحبار اليهود ورهبان النصارىٰ وموابذةِ المجوس أظهروا الإسلام في عهد الراشدين ، ثم أخذوا بعدهم في بثِّ ما عندهم من الأساطير بين مَنْ تروج عليهم ممَّن لم يتهذَّبْ بالعلم من أعراب الرواة وبسطاء مواليهم ،

---

(١) **البزور** جمع بَزْر ؛ كلُّ حبٍّ يبذر للنبات ، وكذا البَذْر ، ويطلق على الحبِّ الذي يعزل للزراعة .

(٢) **علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ** (قال أبو الحسين الطرائفي الشافعي المتوفىٰ سنة « ٣٧٧ هـ » في كتابه « رد أهل الأهواء والبدع » [ص٣٦] : وهم سمَّوا أنفسهم معتزلة ؛ وذلك عندما بايع الحسنُ بن عليٍّ عليه السلام معاويةَ ، وسلَّمَ إليه الأمر ؛ اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس ، وكانوا من أصحاب عليٍّ ، ولزموا منازلَهم ومساجدَهم ، وقالوا نشتغلُ بالعلم والعبادة ، فسمُّوا بذلك معتزلةً) انتهىٰ

فتلقفوها منهم ، ورووها لآخرينَ بسلامةِ باطنٍ ، معتقدين ما في أخبارهم في جانب الله من التجسيم والتشبيه ، ومستأنسين بما كانوا عليه من الاعتقاد في جاهليتهم ، وقد يرفعونها افتراءً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو خطأً ، فأخذ التشبيهُ يتسرَّبُ إلىٰ معتقد الطوائف ، ويشيع شيوعَ الفاحشة ، ولم يكن بنو أمية كالراشدين في السهر علىٰ معتقدِ المسلمين إلا فيما يَمَسُّ بسياستهم .

فأوَّلُ مَنِ انخدعَ بهم الشيعةُ[1] ، ولـٰكن سرعانَ ما تراجعوا عن ذلك بمناظرة المعتزلة لهم[2] ، ولم يدمْ فيهم دوامَهُ بين حشوية الرواة .

وكانت البصرة بندرَ الآراء والنحل ، وقد سمع هناك معبدُ بن خالد الجهني مَنْ يتعللُ في المعصية بالقدر ، فقام بالردِّ عليه ينفي كون القدر سالباً للاختيار في أفعال العباد ، وهو يريد الدفاعَ عن شرعيّة التكاليف ، فضاقت عبارتُهُ ، وقال (لا قدرَ ، والأمر أُنُفٌ) ، ولما بلغ ذلك ابنَ عمر . . تبرَّأَ منه[3] ، فسُمِّيَ جماعةُ معبد قدريةً ، ودام مذهبُهُ بين دهماءِ الرواة من أهل البصرة قُرُوناً ، بل تطوَّرَ عند طائفة منهم إلىٰ حدٍّ أن جعلوا للخالق ما ينسبُهُ الثنويةُ إلى النور ، وللمخلوق ما يعزونه إلى الظلمة

وكان غيلان بن مسلم الدمشقيُّ ينشرُ بدمشق رأيَ معبدٍ ، فطلبه عمرُ بن عبد العزيز ، ونهاه عن ذلك ، وكشف شبهته ، فانتهىٰ وقال : (يا أمير المؤمنين ؛ لقد جئتك ضالاً فهديتني ، وأعمىٰ فبصَّرتني ، وجاهلاً فعلَّمتني ،

---

(١) يعني : أن أول من انخدع بعقائد التشبيه والتجسيم هم الشيعة الأوائل ؛ كهشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه ، وهشام بن سالم الجواليقي الذي نسج علىٰ منواله في التشبيه .

(٢) قال العلامة الشهرستاني في « الملل والنحل » (١/ ١٨٤) : (وكان هشام بن الحكم من متكلمي الشيعة ، وجرت بينه وبين أبي الهذيل مناظراتٌ في علم الكلام ؛ منها في التشبيه ، ومنها في تعلق علم الباري تعالىٰ)

(٣) روىٰ ذلك مسلم في « صحيحه » (٨) .

والله ؛ لا أتكلَّم في شيءٍ من هـٰذا الأمر أبداً) .

ولمَّا بدأ يذيعُ رأيُ معبدٍ . . أخذ في الردِّ عليه جهمُ بن صفوان بخراسانَ ، فوقع في الجبر ، ونشأ عنه مذهبُ الجبريَّة .

وكان الحسن البصري من جِلَّةِ التابعين ، وممَّنِ استمرَّ سنين ينشر العلمَ في البصرة ، ويلازم مجلسَهُ نبلاءُ أهل العلم ، وقد حضر مجلسَهُ يوماً أناسٌ من رَعاع الرواة ، ولمَّا تكلَّموا بالسقط عنده . . قال : (رُدُّوا هـٰؤلاء إلىٰ حشا الحلقة) أي : جانبها ، فسُمُّوا الحشويَّةَ ، ومنهم أصناف المجسمة والمشبهة .

وكان واصلُ بن عطاء بعد أن أخذَ الاعتزال عن أبي هاشم السابقِ ذكرُهُ يحضرُ في مجلس الحسن ، وقد ذُكِرَتْ مسألةُ الإيمان في المجلس ، فبادر واصلٌ إلى القول بأنَّ الكافر المجاهرَ والمؤمنَ المطيع لا خلافَ في تسميتِهما كافراً ومؤمناً ، ومرتكبَ الكبيرة حيث كان موضعَ اختلافٍ في إطلاق أحدهما عليه نأبىٰ إطلاقَ هـٰذا وذاك عليه ، ونقول فيه : إنَّهُ فاسقٌ ؛ أخذاً بما اتفقوا ، وهَجْراً لِمَا اختلفوا ، كأنه يريد التوسُّطَ بين الخلافينِ ، واستمالةَ الفريقينِ إلىٰ رأيه ، لـٰكنَّهُ في المعنىٰ مع الخوارج ؛ لأنه يرى الخلود في النار لمرتكب الكبيرة ، فلم يرتضِ الحسنُ كلامَهُ ، فانسحب واصلٌ من المجلس ، وأخذ ينشرُ مذهب الاعتزال والأصول الخمسة مع صاحبيه عمرِو بن عبيد وبشرِ بن سعيد ، وعنهما أخذ بشرُ بن المعتمر وأبو الهذيل ، وبالثاني تخرَّجَ أبو بكر عبد الرحمـٰن بن كيسان الأصمُّ ، وإبراهيمُ النظَّامُ ، وهشام الفوطيُّ ، وعليُّ بن محمد الشحَّامُ ، وعن النظَّام أخذ الجاحظُ وابنُ أبي دُؤاد ، ولم يدرك واصلاً كما ظُنَّ ، وعن الأول انتشرَ الاعتزالُ ببغداد ؛ حيث أخذ منه أبو موسى بن صبيح ، وعنه جعفرُ بن حرب وجعفر بن مبشر ، وعنهما محمدُ بن عبد الله الإسكافيُّ ، وعن الشحَّام أخذ الجبائيُّ ، وعنه ابنُهُ

أبو هاشم ، وأخذ عن الفوطيِّ عبادُ بن سليمان ، **فهٰؤلاء هم قادةُ الاعتزال في البصرة وبغداد** .

وأوَّلُ مَنْ عُرِفَ بالقول بخلْقِ القرآن الجعدُ بن درهم بدمشق ، وكان جهمٌ أخذ ذلك القولَ من الجعدِ ، وضمَّهُ إلى بدعِهِ التي قام بإذاعتها ، ومن جملتِها : **نفي الخلود** ، ولمَّا قام الحارثُ بن سريج بخراسانَ ضدَّ الأمويَّة داعياً إلى الكتاب والسنة . . اعتضدَ بجهمٍ ، وكان مقاتلُ بن سليمان ينشرُ هناك نحلتَهُ في **التجسيم** ، فأخذ جهمٌ يردُّ عليه ، وينفي ما يثبتُهُ مقاتلٌ ، فأفرط في النفي حتىٰ قال : (إنَّ الله لا يوصفُ بما يوصفُ به العباد) ، ولم يُفرِّقْ بين الاشتراك في الاسم والاشتراك في المعنىٰ ، **والممنوعُ هو الثاني دون الأول** ؛ بشرط كونه وارداً في الشرع ؛ لأن العلم مثلاً ممَّا ورد وصفُ الخالق به والمخلوق ، مع أنَّهُ ليس بمشتركٍ بينهما في المعنىٰ ؛ لأن علم الله حضوريٌّ ، وعلم المخلوق حُصُوليٌّ ، وكذلك بقيةُ الصفات ، وتُنسَبُ لجهمٍ آراءٌ ، **وليس له فِرقةٌ تنتمي إليه بعدَهُ** ، ونسبةُ غالبِ مَنْ نُسِبَ إليه من قبيل النبزِ بالألقاب ؛ تهويلاً لسوء سُمعةِ الرجل بين الفِرَقِ ، وآراؤُهُ توزعت بينهم بعد تمحيصِها علىٰ حسب أنظارهم ، لا علىٰ ما ارتآه جهمٌ ، شأن كلِّ رأي يشيعُ في الناس(١)

---

(١) قد يظنُّ المستعجلُ أنَّ العلامة الكوثري يهوِّن من شأن بِدَعِ جهم بنِ صفوان ، وليس الأمر كذلك وحاشاه ، بل أراد أن يبيِّنَ أنه لا توجد فرقةٌ تقول بكلِّ ما شذَّ به جهمٌ من الآراء ، بل الجهمية المعروفة في تاريخ الفِرَقِ كانت تقول ببعض أقواله ، ولذا ترى الجهمية تارةً في الجبرية ، وتارة في الاعتزال ، وابن حزم يذكر جهماً مع الأشاعرة ! وآضَ أمرُ الجهمية إلىٰ مذهب أهل السنة علىٰ أيدي علماء الأشاعرة ، ورحم الله الإمام ابن السبكي إذ يقول حينما ذكر رأي جهم في الإيمان : (وهو رأي جهم بن صفوان وشيعته ، **وهو مذهبٌ مرذول محجوج بالإجماع** ، لا يُعبأ به ، ولا يُلتفت إلىٰ قائله ، **وليس جهمٌ ممَّن يُعتَدُّ بقوله** ، ولولا الوفاء بتعداد المذاهب . . لَمَا ذكرنا هـٰذا الرجلَ ولا مذهبه ؛ **فإنه رجل ولَّاج خرَّاج** ، هجَّام علىٰ خرق حجاب الهيبة ، بعيدٌ عن غور الشريعة ، يزعم أنَّهُ ذو تحقيقات باهرة ، وما هي =

وبعد أن ابتدأ يطرأُ بعضُ فتور على الفتوح . . ازدادَ الناس تفرُّغاً لتلك الآراء المبثوثة ، وتغلَّبَ علىٰ عقولهم شهوةُ التعمُّق فيها ، وأخذَ أمثالُ ابنِ المقفع وحمَّادِ عَجْرَدٍ ويحيى بن زياد ومطيع بن إياس وعبد الكريم بن أبي العوجاء[١] . . يواصلون السعيَ في نشر الإلحاد بين المسلمين ، وترجمةَ كتبِ الملاحدة والثنوية من الفرس ، حتى استفحل أمرُهم ، فأمرَ المهديُّ علماءَ الجدل من المتكلِّمين بتصنيف الكتب في الردِّ على الملحدين ؛ فأقاموا البراهين ، وأزالوا الشبهَ ، وأوضحوا الحقَّ ، وخدموا الدينَ .

وكان القائمون بأعباءِ تلك المدافعات طائفةٌ من المعتزلة ، فأصبحوا بين عدوَّينِ ؛ عدوٌّ محتال من خارج الملَّة له آراءٌ وفلسفة تدرَّبَ عليها من عهد قديم ، وعدوٌّ مجاف في داخل الأمَّة كاد السوادُ أن ينحازَ إليه لتقشُّفه ، وهو بعيدٌ عن قضايا العقول ، راجَتْ عليه تمويهات المضلِّين من اليهود والثنوية ، قصارىٰ عمله الوقيعةُ في أهل النظر ، لا يفرِّق بين العدو والحميم ، ولو وُكِلَ إليه الأمرُ . . لَمَا أمكن أن يدافع ساعةً من نهارٍ ، فاشتغل هٰؤلاء النظَّار بالأول ، وتغاضوا عن الثاني ؛ حتىٰ أتمُّوا الردَّ على الزنادقة ، وكشفوا عن تمويهاتهم ، ثم نقضوا كلامَ الحشوية ، وأظهروا سخفَ آرائهم .

وقد علقَ بنفوس هٰؤلاء النظَّار ما لا يُستهانُ به من أمراض عقليَّة عَدَتْ

= إلا ترَّهات قاصرة ، ويدعي أنه له مثاقب في النظر ، وما هي إلا عقارب أو أضرُّ) ، ومن بلايا التاريخ التي ما زالت تجرُّ علينا ذيولَها إلىٰ يومنا هٰذا : إطلاقُ اسم الجهمية علىٰ أعلام أهل السنة من قِبل بعض الذين هابوا الطعن في الأشاعرة ، فوجدوا بذلك سبيلاً للغضِّ منهم ! ألهمنا الله الرشد والسداد .

(١) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (كان ربيبَ حمَّاد بن سلمة ، وكان اعترف أنه وضعَ أربعة آلاف حديث ! وقد راجَ ما دسَّ منها في كتب أبيه لأمِّهِ بعد ما خرف بين كثير من الرواة ، ثم صارت حُجَجاً يتمسَّكُ بها الحشوية في معتقدهم) انتهىٰ .

إليهم من مناظريهم ، وكان غالب الفقهاء وحملة السنَّة طولَ هـٰذه المكافحات يأبون الخوضَ في تلك المسائل ، ويَجرون علىٰ ما عليه الصحابة وخيار التابعين من الاقتصار علىٰ ما ثبت من الدين بالضرورة ، مع أنَّ خصماء الدين كان لهم من الأسلحة ما لا يمكنُ مقابلته إلا بمثل أسنَّتهم ، وجروا مع المسلمين علىٰ طريق التدرُّجِ في مراحل العِداء ، والجمهورُ في غفلةٍ من ذلك ، ومشوا بهم إلىٰ مرحلة لو تُرِكَ الأمرُ وشأنه . . لكاد أن تتسرَّبَ شكوكُهم إلىٰ قلوب جماعة المسلمين ، فيطمَّ الخطب

ففي مثلِ هـٰذه الظروف تولَّى المأمون ، وأخذ يشايعُ المعتزلةَ ويقرِّبُهم ، حتىٰ حمل الناسَ على القول بخلق القرآن والتنزيهِ حسب ما يوحي إليه عقلُهُ وعقولُ خُلطائه ، ودام الامتحان طولَ خلافة المعتصم والواثق ، وزاد الأخيرُ مسألةَ نفي الرؤية[1] ، فلقي خُصوم المعتزلة شدائدَ استمرَّتْ إلىٰ أن رفع المتوكِّلُ المحنةَ ، وأظهر الإمام أحمدُ فيها من الثبات ما رفع شأنه ، ولم يكن للمتوكِّل ما يُحمدُ عليه غير رفعِهِ المحنةَ ، ومنع الناس عن المناظرات في الآراء والمذاهب ، وكان ناصبيّاً يبغض علياً كرَّمَ الله وجهه ، وله من الأفعال ما لا يخطرُ بالبال .

ثم ابتدأ ردُّ الفعل يأخذُ سيره الطبيعيَّ ؛ من ارتفاعِ شأن الحشوية والنواصب ، وانقماعِ أهل النظر والمعتزلة ، وأهلُ السنة من الفقهاء

(١) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (ولمجاهد بن جبر المكيِّ علىٰ جلالة قدره في العلم قولانِ باطلانِ باتِّفاق أهل العلم بالسنة ؛ أحدهما : ما يقوله في قوله تعالىٰ : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] من نفي الرؤية ، وبه أخذت المعتزلة ، وثانيهما : قوله في المقام المحمود ، وبه أخذت الحشوية ، وهما رأيان متهاتران ، وغريب كيف يجتمعان عند مثل مجاهد ، وكيف يثبتان عنه ، وقد تواتر معنىٰ تفسير المقام المحمود في الحديث بالشفاعة الكبرىٰ ، كما تواترت أحاديث الرؤية كذلك!) انتهىٰ .

والمحدِّثين يواصلون العملَ في علومهم في غير جلبة ولا ضوضاء .

والحشوية يجرون علىٰ طيشهم وعمايتهم واستتباعهم الرعاع والغوغاء ، ويتقوَّلون في الله ما لا يجوِّزُهُ الشرعُ ولا العقل ؛ من إثبات الحركة له والنُّقلة والحدِّ والجهة والقعود والإقعاد والاستلقاء والاستقرار ! إلىٰ نحوها ممَّا تلقَّوه بالقبول من دجاجلة الملبِّسين من الثنوية وأهل الكتاب ، وممَّا ورثوه من أممٍ قد خلت ، ويؤلِّفون في ذلك كُتُباً يملؤونها بالوقيعة في الآخرين ، ويخرقون حجاب الهيبة في الإكفار ، متبرقعين بالسنة ، ومُعتزِين إلى السلف ، يستغلون ما يُنقل عن بعض السلف من الأقوال المجملة التي لا حجة فيها

نعم ؛ لهم سلفٌ ، ولـٰكن من غير هـٰذه الأمَّة ، وهم علىٰ سنَّةٍ ، ولـٰكن علىٰ من سنَّها الأوزارُ إلىٰ يوم القيامة ، وليس هـٰذا محلَّ بسْطِ مخازيهم .

وكانت المعتزلة تتغلَّبُ علىٰ عقول المفكِّرين من العلماء ، ويسعون في استعادة سلطانهم على الأمَّة ، وأصنافُ الملاحدة والقرامطة توغَّلوا في الفساد ، واحتلُّوا البلاد ، حيث لم يبقَ في ثغور الدفاع عن الدين مَنْ يرابطُ بحججٍ دامغة تمحقُ مخرقتَهم ؛ لانشغالهم بنفوسهم بما جدَّ من الأحوال !

ففي مثل هـٰذه الظروف الحرجَةِ . . غار الإمامُ أبو الحسن الأشعريُّ رضي الله عنه علىٰ ما حلَّ بالمسلمين من ضروب النكال ، وقام لنصرة السنة وقمع البدعة ؛ فسعىٰ أوَّلاً للإصلاح بين الفريقين من الأمَّة ؛ بإرجاعهما عن تطرُّفِهما إلى الوسط العدل ، قائلاً للأولين : أنتم على الحقِّ إذا كنتم تريدون بخلْقِ القرآن اللفظَ والتلاوةَ والرسمَ ، وللآخِرين : أنتم مصيبون إذا كان مقصودُكُم بالقديم الصفةَ القائمة بذات الباري ، غيرَ البائنة منه كما يقول ابن المبارك ؛ يعني : الكلام النفسيَّ ، وليس لكم مجالٌ أن تنكروا حدوثَ لفظ اللافظ وتلاوة التالي ، كما أنَّه ليس للأولين نفيُ الصفة القائمة به تعالىٰ من غير

لفظ ولا صوت ، وقائلاً للأولين أيضاً : نفي المحاذاة والصورة صوابٌ ، غير أنَّه يجب عليكم الاعتراف بالتجلِّي من غير كيفٍ ، وللآخِرين : إيَّاكم من إثباتِ الصورة والمحاذاة وكلِّ ما يفيدُ الحدوث ، وأنتم علىٰ صوابٍ إن اقتصرتم علىٰ إثبات الرؤية للمؤمنين في الآخرة من غير كيفٍ .

وهكذا حتىٰ وفَّقَهُ الله لجمْعِ كلمة المسلمين وتوحيدِ صفوفهم ، وقمع المعاندين وكسر تطرُّفهم ، وتواردَتْ عليه المسائلُ من أقطار العالم ، فأجابَ عنها ، فطبَّقَ ذكرُهُ الآفاقَ ، وملأ العالم بكتبه وكتب أصحابه في السنَّة والردِّ علىٰ أصحاب المبتدعة والملاحدة وأهل الكتاب ، وتفرَّقَ أصحابُهُ في بلاد العراق وخراسان والشام وبلاد المغرب ، ومضىٰ لسبيله .

وبعد وفاته بيسيرٍ استعادَ المعتزلةُ بعضَ قُوَّتِهم في عهد بني بويه ، لٰكنَّ الإمام ناصرَ السنة أبا بكرِ بنَ الباقلانيِّ قام في وجههم ، وقمعَهم بحججِهِ ، ودانت للسنَّة على الطريقة الأشعريَّة أهلُ البسيطة إلىٰ أقصىٰ بلاد إفريقيةَ .

وقد بعث ابنُ الباقلاني في جملة مَنْ بعث مِنْ أصحابه إلى البلاد أبا عبد الله الحسينَ بن عبد الله بن حاتم الأزديَّ إلى الشام ، ثم إلىٰ قيروان وبلاد المغرب ، فدان له أهلُ العلم من أئمة المغاربة ، وانتشر المذهب إلىٰ صقلية والأندلس ، ولابن أبي زيدٍ وأبي عمرانَ الفاسيِّ وأبي الحسن القابسيِّ وأبي الوليد بن الباجيِّ وأبي بكر بن العربيِّ وتلامذتِهم . أيادٍ بيضاءُ في ذلك .

وقام بنشر المذهب في الحجاز راويةُ الجامع الصحيح الحافظ أبو ذرٍّ الهروي ، وأخذ عنه مَنِ ارتحلَ إليه من علماء الآفاق ، وكان انتشاره بالشام قبل ذلك بواسطة صاحب الأشعري أبي الحسن عبدِ العزيز الطبريِّ راويةِ « تفسير ابن جرير » عن مؤلِّفِه .

وكان أهل الشام يجتلبون كبارَ الأئمة من المذهب الأشعريِّ حيناً بعد

حين ؛ كالإمام قطبِ الدين النيسابوريِّ ، اجتلبَهُ **نورُ الدين الشهيد** على طلب العلماء ، وكان جماعةٌ من المقادسة الحنابلة ممَّنْ ورثوا بعضَ آراء ابن كرَّامٍ الذي كان عشَّشَ بالقدس وباض ، وترك أصحاباً له متقشِّفينَ ، يتوارثُها منهم مَنْ بعدهم . . هاجروا منها لمَّا احتلَّها النصارىٰ ، وحملوا بدعَ التشبيه إلى الشام ، وكان بها شيءٌ من تلك البدع من عهد عبد الواحد الشيرازيِّ صاحبِ أبي يعلىٰ ، وكان **السلطان صلاحُ الدين الأيوبيُّ** يرعىٰ خاطرَهم ؛ لكونهم مهاجرين زُهَّاداً ، ويتغاضىٰ عن معتقدِهِم ، ولم يكن يحمل الناسَ على المذهب الأشعريِّ كما ظُنَّ ، بل كان الواعظُ ابنُ نُجَيَّةَ الحنبليُّ المشهور مُقرَّباً عنده[1] ، ومجافاتُهُ القاسية مع الإمام الشهاب الطوسيِّ القائم بنصرةِ الأشعريِّ بمصرَ . . تجري علىٰ منظرٍ منه ومسمعٍ ويسكتُ عن ذلك ! بل كاد آلُهُ أن ينحازوا إليهم في المعتقد ، لولا وَقفةُ الإمام عزِّ الدين بن عبد السلام في هـٰذه المسألة وقفةَ عالمٍ يقوم بواجبِهِ ، فتضاءلت أصواتُهم ، وانجمعوا في ديورهم ، واقتصروا على الروايات

فيظهر من جميع ذلك **أنَّ انتشارَ المذهب الأشعريِّ في البلاد بسلطان العلمِ ، لا بشوكةِ السلاطين** ، وما وقع ببغدادَ وغيرها من بعض التشدُّد على الحشويَّة بين حينٍ وآخرَ . . فلإخلالِهم الأمنَ وإحداثِهم القلاقلَ

وفقهاء المذاهب يتجاذبون الأشعريَّ إلىٰ مذاهبهم ، ويترجمونه في طبقاتهم ، والحنابلةُ أحقُّ بذلك ؛ حيث يصرِّحُ الأشعريُّ في مناظراته معهم أنَّه علىٰ مذهب أحمدَ ، لـٰكنَّهم لا يترجمونه في طبقاتهم ، ولا يَعدُّونه منهم ، **بل يمقتُهُ الحشوية منهم فوق مقتِ المعتزلة** ، فالمالكيةُ كافةً وثلاثةُ أرباع الشافعية

---

(١) إذ كان قد نمَّ على الفقيه عمارة اليمني وأصحابه بما عزموا عليه من قلب الدولة ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٣٩٥)

وثلثُ الحنفية وقسمٌ من الحنابلة . . علىٰ هـٰذه الطريقة من الكلام من عهد الباقلانيِّ ، والثلثان من الحنفية على الطريقة الماتريدية في ديار ما وراء النهر وبلاد الترك والأفغان والهند والصين وما والاها ، إلا مَنِ انحازَ منهم إلى الاعتزال كبعض الشافعيَّة .

ومن خصائص مذهبِ عالم المدينة : كونُهُ ينفي خبثَ البدع عن أهل مذهبه ، فلا تجدُ بين المالكية بدعَ الاعتزال والتشبيه ، وممَّا أفاد في ذلك علىٰ ما أحسبُهُ **منْعُ مالكٍ روايةَ أخبار الصفات** ، كما كان أحمدُ يمنع عن رواية أحاديث الخروجِ علىٰ ظلمة الولاة ، فأفاده في تغاضي خلفاء بغداد عن الحنابلة مهما عملوا ، بل في تقريبهم .

نعم ؛ يوجدُ عند بعض المالكية نوعُ غلوٍّ في التصوُّف من عهد ابن تومرت .

وبعضُ الحنابلة علىٰ مسلك السلف في التفويض وترك الخوض ، وبعضُهم انحاز إلى المعتزلة ، وكان غالبُهم علىٰ تعاقب القرون حشويةً على الطريقة السالمية والكرَّامية ، **إلىٰ أن جعل الظاهرُ بيبرسُ قضاءَ القضاة في المذاهب الأربعة لأوَّلِ مرَّة** ؛ فاتصلوا بعلماء أهل السنة يفاوضونهم في العلم ، فأخذت تزولُ أمراضُهم البدعيَّة ، وكاد ألا يبقىٰ بينهم حشويٌّ ؛ **لولا جاليةُ حرَّان بعد نكبةِ بغداد** ، حطُّوا رحلَهم بالشام ، ونبغ من بينهم رجلٌ حسُنَتْ نشأتُهُ في الطلب علىٰ ذكاء وحافظة وسمتٍ ، وتمكَّنَ من اجتلاب ثقة شيوخ العلم إلىٰ نفسه وثنائهم عليه ، وكان واعظاً طلْقَ اللسان ؛ **فإذا هو يجري علىٰ خطَّةٍ مدبَّرة في إحلال المذهب الحشويِّ تحت ستارِ مذهب السلف محلَّ مذهب أهل السنة** ، ولم يعلمْ أنَّ مذهب أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية بلغَ من التمحيص العلميِّ علىٰ تعاقب القرون بأيدي نوابغ أهل النظر والفقه في الدين ، ممَّن لا يعدُّ هـٰذا الحشوي من صغار تلامذتهم . . إلىٰ مستوىً من قوَّة الحُججِ بحيث إذا حاول مثلُهُ

أن يصطدمَ بها . . لا يقعُ إلا علىٰ أمِّ رأسه ، فيَردىٰ ولا يُودىٰ

وحيث لم يكن له شيخٌ يرشده في العلوم النظرية . . أصبحَ علمُهُ لا يرتكن علىٰ شيء وثيق ، خليطاً كثيرَ التناقض ، توزعت مواهبُهُ في أهواء متعبة ، ثم أفضىٰ إلىٰ ما عمل ، وزالت فتنةُ بردِّ العلماء عليه .

ومن الجليِّ أنه لا دَخْلَ للعلم في نشأة الخوارج والشيعة ، بل ولَّدتهما العاطفةُ السياسية ، ثم اندسَّ فيهما خصومُ الدين من الزنادقة ، فتطوَّرتا أطواراً شائنة ، واتجاهُهُما الأصليُّ نحو خصومة الحكومة القائمة ، والمرجئةُ وليدةُ نوعٍ من البحث العلمي ، اتجاهها نحو معاكسة الخوارج في المعتقد ، ثم تشعَّبَتْ منها آراءٌ بعيدة عن الدين والعلم ، أورثَتِ التهاونَ في العمل ، والجبريةُ دعاةُ الخمود ونذيرُ الدمار ، نُتِجَتْ عن بحثٍ غير علميٍّ علوقها من مجاورة السُّمَنِيَّةِ والبراهمة وغيرهما من فرق الإباحة والخمول ، والقدريةُ نشأت من بحث علميٍّ ، ووجهَتُها نحو خصومة الكسل والتواكل ، وباعتبار ما تطوَّر إليها متأثرة ببعض آراء الثنوية .

والحشويةُ أسقطَها الجهلُ والجمود ، ترتئي آراءً جاهليةً ورثَتْها من نِحَلٍ كانوا عليها قبل الإسلام ، وراجت عليهم تمويهات المموِّهين من الثنوية وأهل الكتاب والصابئة ، لهم تقشُّفٌ يخدعون به العامَّة ، وجهالاتٌ لا يتصوَّرُها عاقل ، وهم غلاظُ الطباع ، قساة جفاةٌ يتحيَّنون الفرص لإحداث القلاقل ، لا يظهر لهم قولٌ إلا عند ضعف الإسلام ، ويستفحل أمرُ الإلحاد مع ظهور قولهم ، هكذا في جميع أدوار التاريخ ؛ خصومتُهم متوجهةٌ نحو العقلِ والعلوم النظرية وكلِّ فرقة قائمة

والمعتزلة علىٰ ضدِّ الحشوية بخطٍّ مستقيم ، أنتجَها البحثُ العلميُّ ، ساقَهم شَرَهُ عقولِهم إلىٰ محاولة اكتناهِ كلِّ شيء ، وعداؤهم الأصليُّ نحو

الجمود ، وخطَّتُهم دفعُ الآراء المتسربة من الخارج إلى الإسلام بحججٍ دامغة ، وأدلَّةٍ عقلية مفحمة ، ولهم مواقفُ شريفة في الدفاع عن الدين الإسلامي إزاءَ الدهريِّين ومنكري النبوة والثنويَّةِ والنصارىٰ واليهودِ والصابئة وأصنافِ الملاحدة ، وترى الذهبي يترحَّمُ على الجاحظ في « سير النبلاء » حين يذكر كتابه في النبوة ، ولم نرَ ما يقاربُ كتاب « تثبيت دلائل النبوة » للقاضي عبد الجبَّار[1] في قوَّة الحجاج وحسن الصياغة في دفع شكوك المشكِّكين ، وليس بجيدٍ الإعراضُ الكليُّ عن كتبهم ، وكم فيها من الفوائد التي لا تزالُ في أثوابها القشيبة لم تَبْلَ بكرورِ الزمن عليها ! وكم كان الأستاذ الإمام يجدُ فيها ما يدفعُ به خصومَ العصر ، ولا يتحاشىٰ عن الأخذ به ، من غير بخْسٍ لحقِّهم ! إلا أنَّهم لكثرة اشتغالهم بمناظرة الأخصام عَدَتْ منهم إلىٰ عقولهم آراءٌ ابتعدوا بها عن الصواب ، وانغمسوا في بدع ردَّها الأصحابُ .

قال الخطابيُّ صاحب « معالم السنن » : (كانت المعتزلةُ في الزمان الأول علىٰ خلاف هـٰذه الأهواء ، وإنما أحدثها بعضهم في الزمان المتأخر)[2]

والأشعريَّةُ هم العدل الوسط بين المعتزلة والحشوية ، لا ابتعدوا عن النقل كما فعل المعتزلة ، ولا عن العقل كعادة الحشوية ، ورثوا خيرَ مَنْ تقدَّمَهم ، وهجروا باطلَ كلِّ فرقة ، حافظوا علىٰ ما كان عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وملؤوا العالَمَ عِلْماً، ويوجدُ بينهم مَنْ ينتمي إلى التصوُّف من مناصرة بعض الأئمَّة من الصوفية للسنَّة على الطريقة الأشعرية منذ القرن الخامس[3] .

---

(١) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (في مكتبة علي باشا الشهيد بالآستانة) انتهىٰ ، وهو اليوم مطبوع منتشر .

(٢) نقله عنه الإمام البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٢٤٩) .

(٣) والعلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ واحدٌ من أعيان الطريقة النقشبندية رضي الله عنهم ، وله قصيدة في ذلك

ولا يوجد من يوازن الأشعريَّ بين المتكلِّمين بالنظر لما قام به من العمل العظيم ، ومع ذلك لا تخلو آراؤُهُ من بعض ما يُؤخذُ ؛ كنوع ابتعادٍ عن العقل مرَّةً ، وعن النقل أخرىٰ ، في حسبان الناظر في كلامه في مسائلَ نظريةٍ معدودة ؛ كقوله في التحسين والتقبيح ، والتعليل ، وما يفيدُهُ الدليلُ النقلي ، ونحوِ ذلك ؛ لأنَّ مَنْ طال جدالُهُ مع أصناف المعتزلة والحشوية مثله . . لا بدَّ وأن يحصلَ في كلامه شيءٌ من هـٰذا القبيل ، وإنَّما لم يقعْ مثلُ ذلك في معاصره إمام الهدىٰ أبي منصور الماتريديِّ شيخِ السنة بما وراء النهر ؛ لتغلُّبِ السنَّة هناك علىٰ أصناف المبتدعة تغلُّباً تامّاً لا تظهرُ مشاغباتُهم معه ، فتمكَّنَ من الجري على الاعتدال التامِّ في أنظاره ، فأعطى النقلَ حقَّهُ ، والعقلَ حكمَهُ ، والماتريديةُ هم الوسطُ بين الأشاعرة والمعتزلة ، وقلَّما يوجد بينهم متصوِّفٌ .

فالأشعريُّ والماتريديُّ هما إماما أهل السنة والجماعة في مشارق الأرض ومغاربها ، لهم كتبٌ لا تحصىٰ ، وغالبُ ما وقعَ بين هـٰذين الإمامينِ من الخلاف من قبيل الخلافِ اللفظي ، وقد دُوِّنت عدَّةُ كتب في ذلك ، وقد أحسن تلخيصَها البياضيُّ في « إشارات المرام في عبارات الإمام » ، ونقل نصَّهُ الزبيدي في « شرح الإحياء » علىٰ أغلاط مطبعية كثيرة ، والبياضيُّ هـٰذا ضليعٌ في علم الكلام وإن تأخَّر زمنه[1] ، حتىٰ إنَّ المقبليَّ صاحب « العلم الشامخ » علىٰ جموحه وصعوبة انقياده للعلماء . . كبيرُ العناية بـ« إشارات البياضي » ؛ اعترافاً منه بسعة دائرة بحثه .

ولم نتعرَّضْ هنا إلا لأصول الفرق من أهل البدع ، ولها فروعٌ تتشعَّبُ منها علىٰ حسب ما يقعُ فيها من تداخلٍ في الآراء ، وتجدُّدٍ في الأهواء ، وهي

---

(١) فقد توفي سنة (١٠٩٨ هـ) ، وكتابه « إشارات المرام » شرح فيه كتاب « الفقه الأكبر » المنسوب للإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ .

لا تنتهي عند عدد محدودٍ إلى انتهاء تاريخ البشر ، وفي العدد المأثور للعلماء خلافٌ مشهور[١] ، وقد قام العلماءُ في كلِّ طبقة بتفصيلِ ما جَدَّ إلىٰ عصرهم من أصحاب النحل وردِّ الباطل من آرائهم ، ومقالات تلك الطوائف مبسوطةٌ في « مقالات الإسلاميين » للأشعري ، و« المقالات » لأبي منصور الماتريدي ، و« رد أهل الأهواء والبدع » لأبي الحسين الطرائفي ، و« الملل والنحل » لأبي المظفر الإسفراييني[٢] . . . إلىٰ غير ذلك ممَّا لا يحصىٰ .

وكثيراً ما يعزىٰ إلى الفرق أقوالٌ لا تُوجد في كتبهم ؛ إمَّا توليداً وإلزاماً ، أو نقلاً من كتب غير الثقات من الخصوم ؛ كما يقع لعبد القاهر البغدادي في « الفرق بين الفرق » ، و« الملل والنحل » له[٣] ، وكما يفعل ابن حزم في « الفصل » ، ومن هٰذا القبيل الاعتمادُ علىٰ مثل أبي عيسىٰ محمد بن هارون الورَّاق ، وأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي صاحب « الآراء والديانات » ، ومحمد بن إسحاق صاحب « الفهرست » ، وعلىٰ كتب الحشوية ؛ فإنَّها مملوءة بالمختلقات ، فشأنُ الباحث أن يحتاطَ في نسبة قول إلىٰ قائلٍ حتىٰ يجدَهُ في كتابٍ له مستفيضٍ عنه .

وقد نبَّهَ علىٰ بعض ما تقدَّم الرازيُّ عند ذكر كتاب الشهرستاني ، ولسنا في صدد المقارنة بين كتب الملل والنحل .

وفي كلام المتقدِّمين من المتكلِّمين ما يجبُ أن يسترشدَ به القائمون بالدفاع عن الدين في كلِّ عصر ، ومن البيِّنِ أنَّ طرق الدفاع عن عقائد الإسلام ووسائل

---

(١) أراد بالعدد المأثور : ما ورد من افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، وبالخلاف : كون العدد مقصوداً ، أو أنه للمبالغة في الكثرة

(٢) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (في مكتبة علي باشا الشهيد بالآستانة) انتهىٰ .

(٣) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (مكتبة عاشر أفندي بالآستانة) انتهىٰ ، وهو اليوم مطبوع ومنتشر .

الوقاية عن تسرُّبِ الفساد إلى الأخلاق والأحكام. . ممَّا يتجدَّدُ في كلِّ عصر بتجدُّدِ أساليب الأخصام ، وهي في نفسها ثابتةٌ عند ما حدَّهُ الشرع ، لا تتبدَّلُ حقائقُها ، فيجبُ على المسلمين في جميع أدوار بقائِهم أن يتفرَّغَ منهم جماعةٌ لتتبُّعِ أنواعِ الآراء السائدة في طوائف البشر والعلوم المنتشرة بينهم ، وفحصِ كلِّ ما يمكن أن يأتيَ من قبله ضررٌ للمسلمين ، لا سيما في المعتقد الذي لا يزالُ ينبوعَ كلِّ خير ما دام راسخاً رصيناً ، ويصيرُ منشأَ كلِّ فساد إن استحال واهناً واهياً ، فيدرسون هٰذه الآراء والعلوم دراسةَ أصحابِها أو فوق دراستِهم ؛ ليجدوا فيها ما يدفعون به الشكوكَ التي يستثيرُها أعداءُ الدين بوسائطَ عصريَّةٍ

حتىٰ إذا فَوَّقَ متقصِّدٌ سهاماً منها نحو التعاليم الإسلامية ؛ من معتقدٍ وأحكامٍ وأخلاقٍ. . ردُّوها إلىٰ نحرِهِ ؛ اعتماداً علىٰ حقائق تلك العلوم وتجاربها ، واستناداً علىٰ إبداء نظرياتٍ تقضي علىٰ نظريات المشكِّكين ـ وجَلَّ الدينُ الإسلاميُّ أن يصطدم مع حقائق العلوم ـ وأقاموا دون تسرُّبِ تلبيساتهم سُوراً حصيناً واقياً ، وعبَّؤوا حزبَ الله علىٰ أنظمةٍ يتطلَّبُها الزمن في غير هوادة ولا توانٍ ، ودوَّنوا ما استخلصوهُ من تلك العلوم مِنْ طرائق الدفاع في كتب خاصَّة بأسلوب يعلقُ بالخاطر ، وتستسيغُهُ العامَّة ؛ لتكون سدّاً محكماً مدى الدهر ، دون مفاجأة جوارف الشكوك ، وإن لم يفعلوا ذلك. . يسهل على الأعداء أن يجدوا سبيلاً إلىٰ مراتعَ خصبةٍ بين المسلمين ، تنبتُ فيها بذورُ تلبيساتهم ، بحيث يصعبُ اجتثاثُ عروقِها الفوضوية ، بل تسري سمومُ الإلحاد في قلوب خالية تتمكَّنُ فيها ، فيهلك الحرث والنسل ، وقانا الله شرَّ ذلك ، وأيقظنا من رقدتنا

وأحسنُ من قام بترجمة الإمام الأشعري وبتاريخ حياته العلميَّة ، وبيانِ

سيرته في الدفاع عن السنَّة ، وردِّ ما اختلقه خصومُهُ عليه ، مع ذكر تراجمِ مشاهير الأشاعرة الذين طبَّقَ ذكرُهم الأرضَ من قرون متطاولة على طبقاتهم . .
هو الحافظُ الكبير أبو القاسم ابن عساكر الدمشقيُّ في كتابه « **تبيين كذب المفتري فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري** » ، فله على الأشاعرة أكبرُ منَّةٍ بذلك ، ولا يزال العلماءُ من سالف الدهر يشكرون له هٰذا العملَ ، وشهرةُ كتابه تغني عن كلِّ وصف ، ولا يُؤْخَذُ بشيءٍ سوىٰ إكثاره من ذكر رؤيا الصالحين في الموضوعات العلمية ، فلعلَّ الحشوية هم الذين اضطروهُ إلىٰ ذلك ؛ لأنَّهم إذا أعوزتهم الحجة في اليقظة . . يلجؤون إلى النوم ، فيجدون ما يتطلبونه من الحجج في المنام ، فيملؤون كتبَهم بالرُّؤىٰ ، وكان الأجدر به ألا يعبأَ بهٰؤلاء في ذلك ، وقد كفانا ما لنا من الحجج في اليقظة

وقد ذيَّل عليه العلامةُ ابن المُعلِّم في « **نجم المهتدي ورجم المعتدي** » في القرن الثامن ، بعد أن ردَّ علىٰ أهوازيِّ عصره ، وهو كتاب حافل ، واختصر العفيفُ اليافعي كتابَ ابن عساكر في كتابه « **الشاش المعلم ذيل المرهم** » ، وألَّفَ بعدهم كمالُ الدين أبو محمد بن إمام الكامليّة صاحب الشمس القاياتي تلميذ العلاء البخاري . . كتابَه « **طبقات الأشاعرة** » ، ولا أملَ في استيفائهم جميعاً في كتاب ؛ لكثرة القائمين بمناصرة السنَّة علىٰ طريقة الإمام الأشعريِّ من أهل مذاهب الأئمة الفقهاء ، والله الهادي .

* * *

تبيين كذب المفتري

فيما نسب إلى الإمام الأشعري

تأليف

حافظ الدنيا الإمام

أبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر ثقة الدين الدمشقي الشافعي

(٤٩٩ - ٥٧١ هـ)

ومعه مقدمة وتعليقات العلامة محمد زاهد الكوثري

حقق على ست نسخ خطية، منها ثلاث نفيسة مسموعة على ابن المصنف، وبعضها عليها خطه

وألحق به: رسالة المفتري الأهوازي «مثالب ابن أبي بشر»

شرف بخدمته

أنس محمد عدنان الشرفاوي

دار التقوى

[مقدمة المؤلف]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى النَّبِيِّ الأُمِّيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

قال الإمام الحافظ الثقة ، محدث الشام ، ثقة الدين ، أبو القاسم ، عليّ بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعيّ رضي الله عنه[1] :

الحمدُ للهِ الذي منحَ أهلَ التحقيق في توحيده بصائرَ وأحلاماً ، وشرحَ صدورَهم للتصديقِ بتمجيدِهِ توفيقاً منه لهم وإلهاماً ، وفتحَ أقفالَ قلوبهم للإيمان به بالغيبِ وكان لغَيْبِها علاَّماً[2] ، ومسحَ عنها بلطفِهِ مِنَ

---

(١) كذا في (ب) ، وقبله : (الجزء الأول مِنْ « تبيين كذبِ المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » ، تصنيف الإمام العلاَّمة الحافظ ، ناصر السنة ، قامع المبتدعين ، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه) ، وهي النسخة التي قُسِّمت إلىٰ أجزاء .

وفي (ج) : (قال الشيخ الإمام ، العلامة الحافظ ، شيخ الإسلام ، محدث الشام ، ثقة الدين ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي رحمه الله) .

وفي (د) بعد بترٍ وقع أوَّلها : (قال : أخبرنا الشيخ الإمام ، العالم الحافظ ، شمس الحفاظ ، ناصر السنة ، محدث الشام ؛ أبو محمد القاسم ابن الشيخِ الإمام العالم الحافظ ، صدرِ الحفَّاظ ، ناصرِ السنة ، قامعِ البدعة ، محدثِ الشام ، شيخِ الإسلام ، ثقةِ الدين ، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي رضي الله عنه وقدَّس روح والده ، قراءةً عليه وأنا أسمع بدار السنة غربي دمشق حرسها الله ، في يوم الاثنين ، التاسع من شوال من سنة إحدى وثمانين وخمس مئة ، قال أخبرني والدي رحمه الله مشافهة وعرضاً قال) وسقط التدبيج من (أ ، هـ ، ط)

(٢) قوله : (لغيبها علاماً) يعني : لغيب القلوب ، فلا يعلمُ ما فيها تحقيقاً سواه تعالىٰ .

الشكِّ والارتيابِ في أمرِهِ أسقاماً[1]

أحمدُهُ على نعمِهِ التي تظاهرَتْ على خلقِهِ عظاماً ، ومِنَنِهِ التي تواترَتْ مِنْ إدرار رزقه جِساماً

وأشهدُ أن لا إلـٰه إلا هوَ إلـٰهاً أحداً فرداً صمداً قُدُّوساً سلاماً ، قاهراً قادراً عظيماً حليماً خبيراً قديراً حيّاً قيّاماً[2]

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الذي محقَ به أوثاناً وأصناماً ، وأزهقَ ببعثتِهِ رسولاً أنصاباً وأزلاماً ، وغفرَ به لمن آمنَ بنبوَّته واقتدىٰ بشريعته آصاراً وآثاماً[3] ، وكفَّرَ عمَّن صدَّقَهُ في دعوته إيجاباً لشفاعته ذنوباً وأَجْراماً[4] ، صلَّى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ما أساغَ طاعمٌ طعاماً ، واستعذبَ ظمآنُ شراباً والتذَّ مُسهَّدٌ مناماً

أمَّا بعدُ :

فإنَّ اللهَ سبحانه خَصَّ مِنْ بريَّتِهِ بنبوَّتِهِ أقواماً ، وجعلَهم علىٰ خليقتِهِ في الدعاء إلىٰ شريعته قُوَّاماً ، وأحكمَ ما شرعَ لهم مِنَ الدين القويم إحكاماً ، وجعل لكلِّ نبيٍّ منهم بالقسطاس المستقيم شِرعةً وأحكاماً ، وفرضَ على الأنام

---

(1) بما وهب سبحانه من العقول المتدبِّرة ، وأنزل من الذكر الحكيم ؛ فقال : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء : ٨٢] ، وألهم من الدعاء ؛ فقال : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران : ٨] ، وقال في حقِّ المعرضين : ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [النور : ٥٠]

(2) في (ط) : (عليماً) بدل (حليماً) ، والقيَّام والقيوم : بمعنىً ؛ وهو المدبِّر ، والقائم بنفسه مطلقاً لا بغيره ، وهو مع ذلك يقومُ به كلُّ موجود ، حتىٰ لا يتصوَّر وجودُ شيء ولا دوامُ وجوده إلا به . انظر « تاج العروس » (ق و م) .

(3) الآصار : جمع إِصْر ؛ وهو الشدة والعنت والثقل

(4) الأجرام الآثام ، وهو جمع جُرْم ؛ وهو الذنب ، فهو عطف تأكيد ، ويجمع أيضاً علىٰ جُروم . انظر « تاج العروس » (ج ر م) .

الاقتداءَ بهُداهم وشِرْعتِهم إلزاماً ، والاقتفاءَ بنهجِهم فيما نهجوه لهم نقضاً وإبراماً[١] ، واصطفىٰ منهم محمداً وجعلَهُ للنَّبيِّين كلِّهم خِتاماً ، ونصبَهُ صلَّى الله عليه وسلَّم للمتقين إماماً ، واختارَ له مِلَّةَ أبيه إبراهيمَ وسمَّاها إسلاماً ، وأوجبَ على الخلق طاعتَهُ انقياداً له واستسلاماً ؛ فجلا بنور فجرِهِ مِنْ غَياهب الشرك ظَلاماً ، وأذهبَ بيقين بُرهانِهِ مِنْ سَباسِبِ الشكِّ قَتاماً[٢] ، وأسبغَ به علىٰ كافَّة المسلمين نعمتَهُ بِرّاً بهم وإنعاماً[٣] ؛ حتىٰ أوضحَ لهم ما أباحَهُ حلالاً وما حظرَهُ حراماً

فصلَّى الله عليه وعليهم صلواتٍ تزدادُ علىٰ ممرِّ الأوقات دواماً ، ولقَّاهم يومَ يلقونَهُ في الفردوس تحيةً وسلاماً ، وجزاهم الجنَّة بما صبروا ؛ فكم تحمَّلوا في طاعته ممَّن خالفَهم متاعبَ وآلاماً ! وأحلَّهم دار المُقامة بفضلِهِ وحَسُنَتْ مستقرّاً ومُقاماً !

ثمَّ إنَّ اللهَ وله الحمدُ أكملَ دينه وأتمَّهُ إتماماً ، ونصبَ له مِنَ العلماء به[٤] أئمةً يُقتدىٰ بهم وأعلاماً ، وآتاهم بصائرَ نافذةً عند الشُّبُهات ورزقَهم أفهاماً ، فانتُدَبوا لتبصيرِ المستبصرين حين أصبحوا مُتحيِّرينَ إيضاحاً وإفهاماً[٥] ؛ لمَّا همىٰ سحابُ الباطل وهطلَ بعد ما صارَ رُكاماً[٦] ، وقام سوقُ البدع عند وُلاة

---

(١) يقال : نقض البناء والعهد والحبل : ضد أبرم ، كأنَّ فيه إشارة إلىٰ وجوب اتِّباع أمرهم ونهيهم ؛ بالوفاءِ بعهد الله ، ونقضِ ما سواه .

(٢) السباسب : جمع سبسب ؛ وهي الأرض الجدبة ، والقتام : الغبار ، وذهابه يلزم عنه ذهاب السباسب بالأولىٰ .

(٣) إذ به عليه الصلاة والسلام صرنا من أمة (لا إلـه إلا الله) ، فقد روى الطبري في « تفسيره » (٢٠/١٤٨) قال : (قرأ مجاهد : «وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظَاهِرَةً وَباطِنَةً» ، قال : لا إلـه إلا الله) .

(٤) قوله : (به) سقط من (ب ، هـ) ، والضمير عائد على الدين

(٥) انتَدَبوا : بفتح التاء والدال ؛ أسرعوا ، يقال : ندبه للأمر فانتَدَبَ له ؛ أجاب وتوجَّه إليه .

(٦) شرع بهـٰذه القطعة في بيان حال الأمَّة يومئذٍ ، وسبب تأليف الكتاب .

المسلمين في الخافقَيْنِ قِياماً ، وحاد أهلُ الاعتزال عن سَنَنِ الاعتدال جرأةً منهم علىٰ ردِّ السُّنَنِ وإقداماً ، فنفَوا عن الربِّ سبحانه وتعالىٰ ما أثبتَهُ لنفسه مِنْ صفاته فلم يثبتوا له صفةً ولا كلاماً ، وتمادىٰ أهل التشبيهِ في طُرُق التمويه وأحجموا عن الحقِّ إحجاماً ؛ فشبَّهوا ربَّهم حتىٰ توهَّموه جسماً يقبل تَحيُّزاً وافتراقاً وانضماماً ، وغلَوا في إثبات كلامه حتىٰ حسِبوهُ يحتملُ بجهلهم تجزُّؤاً وانقساماً ، وظنُّوا اسمَ اللهِ القديم ألفاً وهاءً تتلو لاماً ولاماً !

فامتعضَ العلماءُ مِنْ المثبتِينَ مِنْ تفاوت مَذهبَيْهم واعتصموا بالسنَّة اعتصاماً ، وألجموا العوامَّ عن الخوض في علم الكلام خوفَ العِثار إلجاماً[١] ، فكان أبو الحسن الأشعريُّ رحمة الله عليه ورضوانه أشدَّهم بذلك اهتماماً ، وألدَّهم لمن حاول الإلحادَ في أسماء الله وصفاته خِصاماً ، وأمدَّهم سِناناً لمن عاندَ السنَّة وأحدَّهم حُساماً ، وأمضاهم جَناناً عند وقوع المحنة وأصعبَهم مَراماً ، فألزم الحُجَّةَ لمن خالف السنةَ والمَحجةَ إلزاماً ، فلم يُسرفْ في التعطيل ولم يغلُ في التشبيهِ وابتغىٰ بين ذلك قَواماً ، وألهمَهُ الله نُصرةَ السنَّة بحُجَجِ العقول حتى انتظمَ شملُ أهلها به انتظاماً ، وقسمَ الموجوداتِ مِنَ المحدثات أعراضاً وجواهرَ وأجساماً ، وأثبت لله سبحانه ما أثبتَهُ لنفسه مِنَ الأسماء والصفات إعظاماً ، ونفىٰ عنه ما لا يليقُ بجلاله مِنْ شَبَهِ خلقه إجلالاً له وإكراماً ، ونزَّهَهُ عن سماتِ الحَدَث تَغيُّراً وانتقالاً وإدباراً وإقبالاً وأعضاءً وأجراماً[٢] ، وائتمَّ به مَنْ وفَّقَهُ الله لاتِّباع الحقِّ في التمسُّك بالسنة ائتماماً

---

(١) العِثار : الانكباب على الوجه ، وفي السياق إشارة لا تخفىٰ لكتاب حجة الإسلام الغزالي : « إلجام العوام عن علم الكلام »

(٢) الأجرام هنا : جمع جِرْم بكسر الجيم ؛ وهو الجسد ، وفي الاصطلاح : ما قام بذاته ، وهو قسيم العَرَض .

فلمَّا انتقمَ مِنْ أصناف أهل البدع بإيضاح الحُجَج والأدلَّة انتقاماً[1]، ووجدوهُ لدى الحِجاج في تبيينِ الاحتجاج عليهم فيما ابتدعوهُ هُماماً.. قالوا فيه حينئذٍ[2] مِنَ البُهتان ما لا يجوزُ لمسلم أن ينطقَ به استعظاماً، وقذفوهُ بنحو ما قذفَتْ به اليهودُ عبدَ الله بنَ سَلاَم وأباه سَلاماً[3]، فلم ينقصوهُ بذلك عند أهلِ التحقيق بل زادوهُ بما قالوا فيه تماماً، ومدحوهُ بنفس ذَمِّهم وقد قيل في المَثَلِ: (**لن تَعدَمَ الحسناءُ ذاماً**)[4]

---

(١) في أصل النسخة (ب): (بإظهار) بدل (بإيضاح)

(٢) في (هـ، ط): (حسداً) بدل (حينئذ).

علَّقَ العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ: (مثل يحيى بن عمار السجزي، وتلميذه أبي إسماعيل الهروي، وأبي عليٍّ الأهوازي، وغيرهم من شيوخ الحشوية) انتهىٰ، والأهوازيُّ هـٰذا هو المفتري المُكذَّب، والذي كان أحدَ أسباب تأليف الحافظ ابن عساكر هـٰذا الكتاب، وانظر للاستزادة «فهرسة اللَّبْلِي» (ص ٧٨)

(٣) وهو ما رواه البخاري (٣٣٢٩) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه؛ وهو قولهم عنه: (شرُّنا وابن شرِّنا)

علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ: (حيث قال اليهود: «هو شرُّنا وابن شرِّنا»، وتنقصوه حين علموا أنه أسلم بعد أن كانوا يقولون فيه: «هو خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا»، وهم قوم بُهْتٌ، أهل غدر وكذب وفجور؛ علىٰ ما جاء في «صحيح البخاري» وغيره، وقد ورث منهم أفراخهم المشبهة الوقيعةَ في إمام السنَّة ببهتان يختلقونه، هداهم الله تعالىٰ) انتهىٰ.

(٤) قوله: (ذاماً): هو بتخفيف الميم لا بتشديدها؛ والذَّامُ: العيب أو الذمُّ، انظر «تاج العروس» (ذ ي م)، وقالوا: أول مَنْ تكلم بهـٰذا المثل حُبَّىٰ بنتُ مالك بنِ عمرو العدوانية، وكانت مِنْ أجمل النساء، فسمعَ بجمالها مالك بن غسان، فخطبها إلىٰ أبيها، فلمَّا عزم.. قالت أمُّها لتُبَّاعِها إنَّ لنا عند الملامسة رَشْحَةً فيها هَنَةٌ، فإذا أردتن إدخالَها علىٰ زوجها فطيِّبْنَها بما في أصدافها، فلمَّا كان الوقت.. أعجلهُنَّ زوجُها، فأغفلْنَ تطييبَها، فلمَّا أصبح.. قيل له: كيف رأيت طروقَتَك البارحة؟ فقال: ما رأيت كالليلة قطُّ، لولا ريحةٌ أنكرتُها، فسمعتْ كلامه، فقالت: (لن تَعْدَمَ الحسناءُ ذاماً) يعني عيباً أو ذَمّاً، وانظر «الزاهر في معاني كلام الناس» لأبي بكر الأنباري (٢/٣).

وقلَّما انفكَّ عصرٌ مِنَ الأعصار مِنْ غاوٍ يقدحُ في الدين ويُغوي إبهاماً ، وغاوٍ يجرحُ بلسانه أئمةَ المسلمين ويعوي إيهاماً ، ويستزِلُّ مِنَ العامَّة طوائفَ جُهَّالاً وزعانفَ أَغتاماً[١] ، ويحملُ بجهله علىٰ سبِّ العلماء والتشنيعِ عليهم سُفهاءَ طَغاماً[٢] ، لـٰكن العلماء إذا سمعوا بمكرِهم . . عدُّوهُ منهم عُراماً[٣] ، وإذا ما مرُّوا بلَغْوِهم في الكبار مِنَ الأئمَّة . . مرُّوا كِراماً ، وإذا خاطبهم الجاهلون منهم . . قالوا لهم : سلاماً ، ولن يعبأَ اللهُ بتقوُّلِهم فيه وتكذيبِهم عليه فسوف يكون لِزاماً[٤]

ولولا سؤالُ مَنْ رأيتُ لحقِّ سؤاله إيَّايَ ذِماماً ، فألزمْتُ نفسي امتثالَ ما أشار به عليَّ احتراماً . . لصدفتُ عن ذكْرِ وقيعة ذوي الجهل في الأئمَّة احتشاماً ، لـٰكنِّي اغتنمتُ الثوابَ في إيضاح الصواب في علوِّ مرتبتِهِ اغتناماً ، ومع ما عُرف مِنْ تشنيعهم . . فأصحابُ الحقِّ بحمدِ الله قد أصبحوا علىٰ أعدائهم ظاهرين ، ولمَن ناوأَهُم مِنْ أصحاب البدع ممَّن خالفَهم في جميع البلاد قاهرين ، وعلى الانتقام ممَّن يُظهر لهم العداوةَ للعنادِ قادرينَ[٥] ، وكيف لا يكونون كذلك واللهُ مولاهم وناصرهم وهو خيرُ الناصرين ؟!

---

(١) في (ب) : (ويستنزل) بدل (ويستزل) ، ولكلٍّ توجيه ، والزعانف : الذين فارقوا الجماعة ، وأخلاط الناس ، والطوائف أيضاً ، جمع زِعنفة ؛ وهي المسترذل الرديء ، والزعانف : أجنحة السمك ، قال المبرد وبها شبهت الأدعياء ؛ لأنهم التصقوا بالصميم كما التصقت تلك الأجنحةُ بعظم السمك ، والأغتامُ : جمع غُتْمي ؛ وهو الذي لا يفصح

(٢) الطَّغام : أوغاد الناس ورَعاعهم وأراذلهم ، والمعنىٰ : يحملُ سفهاءَ الناس وأراذلهم علىٰ شتم العلماء .

(٣) العُرام : الشراسة ، والطيش ، والأذية .

(٤) اللِّزام : مصدر الفعل (لازم) يعني أثر تقوُّلهم وتكذيبهم سيكون ملازماً لهم يومَ الحساب

(٥) في (ب) : (للعباد) بدل (للعناد) ، وسقطت من (هـ ، و)

وقَدْرُ أبي الحسن رحمةُ الله عليه عمَّا يرمونَهُ به أعلىٰ ، وذكرُ فضائله والترحُّمُ عليه مِنَ الانتقاص له عند العلماء أولىٰ ، ومحلُّهُ عند فقهاءِ الأمصار في جميع الأقطار مشهورٌ ، وهو بالتبريزِ علىٰ مَنْ عاصرَهُ مِنْ أهل صناعته في العلم مذكورٌ ، موصوفٌ بالدين والرجاحة والنُّبل ، ومعروفٌ بشرف الأُبوَّة والأصل[1] ، وكلامُهُ في حَدَث العالمِ ميراثٌ له عن آبائه وأجداده ، وتلك رتبةٌ وَرَّثَها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه لأولادِهِ ، وتصانيفُهُ بين أهل العلم مشهورةٌ معروفةٌ ، وبالإجادة والإصابة للتحقيق عند المحقِّقين موصوفةٌ[2] ، ومَنْ وقفَ علىٰ كتابه المسمَّىٰ بـ « الإبانة »[3] . . عرفَ موضعَهُ مِنَ العلم والديانة[4] ، ومَنْ عرفَ كتابه الذي أَلَّفَهُ في تفسير القرآن ، والردَّ علىٰ مَنْ خالفَ البيان ، مِنْ أهل الإفك والبُهتان[5] . . علم كونَهُ مِنْ ذوي الاتِّباع

(١) في (أ ، هـ) : (البنوة) بدل (الأبوة) .
(٢) وفي (و) ونسخة في هامش (ب) : (المحقِّين) بدل (المحققين) .
(٣) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ (وهي علىٰ طريقة المفوضة في الإمساك عن تعيين المراد ، وهو مذهبُ السلف ، وأراد بها انتشالَ المتورِّطين في أوحال التشبيه من الرواة ، والتدرُّجَ بهم إلىٰ مستوى الاعتقاد الصحيح ، ومذهب الخلف ترجيحُ أحد المعاني المحتملة ممَّا يوافق التنزيه ؛ استناداً علىٰ قرائن الكلام ، واستعمالِ أهل اللسان ، فالسلف والخلف متَّفقان في صرف المتشابه عن ظاهره الموهم للتشبيه ؛ فالفريق الأول : يكتفي بالتأويل الإجمالي ، ويتورَّع عن الخوض في تعيين المراد ، والفريق الثاني اضطر إلىٰ تطلُّب ذلك ؛ دفعاً لتمويهات المشبِّهة ممَّن لا حظَّ لهم من الإسلام ، غير أن جعلوا صنمَهم الأرضي صنماً سماوياً ، ولا رابعَ لهـٰؤلاء الفِرَقِ ، ومن سدَّسَ القسمة . . فقد موَّهَ وراوغ ، وجعل القسمَ قسيماً والنسخة المطبوعة في الهند من « الإبانة » نسخةٌ مصحَّفة محرَّفة ، تلاعبَتْ بها الأيادي الأثيمة ، فتجب إعادةُ طبعها من أصل وثيق) انتهىٰ .
(٤) في (هـ) وحدها : (من علم الديانة)
(٥) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ (قال الإمام الحافظ أبو بكر بن العربي في « العواصم عن القواصم » [ص ٧١] وانتَدَبَ إلىٰ كتاب الله ، فشرحه في خمس مئة مجلد ، وسمَّاه بـ « المختزن » ، فمنه أخذ الناس كتبهم ، ومنه أخذ عبد الجبَّار الهمذاني =

والاستقامة ، واستحقاقَهُ التقدُّمَ في الفضلِ والإمامة

وسأذكرُ ما حضرني مِنْ ذكرِهِ ، وأبيِّنُ ما وقعَ إليَّ مِنْ أمرِهِ ؛ راغباً إلى الله في إيضاح التحقيق ، وطالباً منه المعونة والتوفيق[١] ، وهو جديرٌ بتحقيق الرجاء ، قديرٌ على استجابة الدعاء ، وهو حسبُنا ونعم الوكيلُ ، وعليه في كلِّ مُلمٍّ مُؤلمِ التعويلُ

واعلمْ يا أخي وفَّقنا الله وإيَّاك لمرضاته ، وجعلنا ممَّن يخشاهُ ويتَّقيه حقَّ تُقاته : أنَّ لحومَ العلماء رحمةُ الله عليهم مسمومةٌ ، وعادةَ الله في هتكِ أستار مُنتقصيهم معلومةٌ ؛ لأنَّ الوقيعةَ فيهم بما هم منه بَراء أمرٌ عظيم ، والتناولَ لأعراضهم بالزور والافتراء مرتعٌ وخيم ، والاختلاقَ على مَنِ اختارَهُ اللهُ منهم لنَعْشِ العلم خُلُقٌ ذميم ، والاقتداءَ بما مدحَ اللهُ به قولَ المتَّبعينَ مِنَ الاستغفار لمَنْ سبقَهم وصفٌ كريم ؛ إذ قال مُثنياً عليهم في كتابه وهو بمكارم الأخلاق وضدِّها عليمٌ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر ١٠] ، والارتكابَ لنهْيِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم عن الاغتياب وسبِّ الأموات جسيمٌ ، فليحذرِ الذين يخالفون عن أمرِهِ أن تصيبهم فتنة أو يصيبَهم عذابٌ أليم

وقد رُوي عنه صلى الله عليه وسلم فيما على مَنْ كتم ما عندَهْ مِنَ العلم[٢] ، عند لعنِ آخرِ هـٰذه الأمَّةِ أوَّلَها مِنَ الوزر والإثم ؛ وذلك فيما :

= كتابه في تفسير القرآن الذي سمَّاه بـ « المحيط » في مئة سفر ، قرأناه في خزانة المدرسة النظامية بمدينة السلام . انتهى) انتهىٰ ، وفيه قوله ابتداءً : (ولم يتعرض لحماية الدين إلا آحاد اختارهم الله له ، ونصبهم للذبِّ عنه ؛ فأوَّلُهم أبو الحسن الأشعري) .

(١) في (ب ، و) : (للمعونة) بدل (المعونة) .

(٢) وفي (ط) : (فيمن كتم) بدل (فيما على من كتم) .

١ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الحسن عليُّ بن المُسلَّم السُّلميُّ بدمشقَ ، أخبرنا أبو محمدٍ عبدُ العزيز بن أحمد الصوفيُّ إملاءً ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن طلحةَ بن هارون المُنَقِّي ، حدثنا محمدُ بن عبد الله الشافعيُّ ، (ح)

وأخبرَنا الشيوخ[١] أبو الحسن عليُّ بن أحمد الغَسَّانيُّ[٢] ، وعليُّ بن الحسن بن سعيد ، وأبو النجم بدرُ بن عبد الله الشِّيحِيُّ ؛ قالا حدثنا ، وقال بدرٌ : أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن علي الخطيبُ ، أخبرنا محمدُ بن أحمد ابن رزقٍ ، حدثنا أبو سهلٍ أحمدُ بن محمد بن عبد الله بن زياد القطَّانُ قالا : حدثنا محمدُ بن الفرج الأزرق ، حدثنا خلفُ بن تميم ، أخبرنا عبدُ الله بن السريِّ ، عن محمدِ بن المنكدر ، عن جابرٍ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

وفي حديث السلميِّ : أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال « **إِذَا لَعَنَتْ آخِرُ هَٰذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا ؛ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ . فَلْيُظْهِرْهُ ؛ فَإِنَّ كَاتِمَ ٱلْعِلْمِ يَوْمَئِذٍ كَكَاتِمِ مَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** » صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم[٣]

تابعَهُ سُريجُ بن يونس ، ومحمدُ بن عبد الرحيم صاعقةُ[٤] ، عن خلف

ورواه غيرُهُ[٥] عن ابن السريِّ ، فزاد في إسنادِهِ ثلاثةَ أنفسٍ[٦]

---

(١) في (ط) : (الشيخان) ، مع عدم ذكر (علي بن الحسن بن سعيد)

(٢) هو ابن قُبيس الدمشقيُّ المالكي نفسُهُ ، وكان يقول لابن عساكر : (**إنِّي لأرجو أن يُحييَ اللهُ بك هٰذا الشأنَ في هٰذا البلد**) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ١٨) .

(٣) ورواه ابن ماجه (٢٦٣) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (٩٩٤) ، والآجري في « الشريعة » (١٩٨٦) ، والمصنف في « تاريخ دمشق » (١٧/ ٥)

(٤) وصاعقةُ لقبٌ له ، ورواه ابن أبي عاصم في « السنة » (٩٩٤) ، وكذا ذكر المصنف في « تاريخه » (١٧/ ٥)

(٥) **يعني** : غيرَ خلف بن تميم .

(٦) فظهر أن خلفاً أسقط ثلاثةَ رواةٍ بين عبد الله بن السري ومحمد بن المنكدر كما سيتبين من الإسناد الآتي ، وانظر تفصيل هٰذا الإسقاط وسببه في « تاريخ دمشق » (١٧/ ٥)

٢ـ أخبرَناه الشيخُ أبو الحسن عليُّ بن أحمد بن منصور الفقيهُ، وأبو الحسن عليُّ بن الحسن بن سعيد بدمشقَ ، قالا حدثنا ، وأبو النجم الشِّيحِيُّ ببغدادَ ، قال أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت الحافظُ ، أخبرنا أبو الحسن عبدُ الرحمـٰن بن محمد بن عُبيد الله الأصفهانيُّ بها قال حدثنا سليمانُ بن أحمد الطبرانيُّ ، حدثنا أحمد بن خُلَيد الحلبيُّ قال حدثنا عبد الله بن السريِّ الأنطاكيُّ ، حدثنا سعيدُ بن زكريا المدائنيُّ ، عن عَنْبَسَةَ بن عبد الرحمـٰن ، عن محمد بن زاذانَ ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابرِ رضي الله عنه قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **إِذَا لَعَنَ آخِرُ هَـٰذِهِ ٱلأُمَّةِ أَوَّلَهَا ؛ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ . . فَلْيُظْهِرْهُ ؛ فَإِنَّ كَاتِمَ ٱلْعِلْمِ يَوْمَئِذٍ كَكَاتِمِ مَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** » صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم[١]

وهكذا رواه أبو هارونَ موسى بنُ النعمان المصريُّ ، عن عبد الله بن السريِّ .

٣ـ أخبرَناه أبو الحسن بن قُبَيس ، وابنُ سعيد قالا حدثنا ، وأبو النجم التاجر قال أخبرنا أبو بكر الخطيبُ قال أخبرنا ابن رزقٍ ، أخبرنا أبو سهل بن زيادٍ[٢] ، حدثني أبو عبد الله محمدُ بن يوسف بن بشر الهرويُّ قال : أخبرنا موسى بن موسى النعمان المصريُّ أبو هارون ، حدثنا عبدُ الله بن السريِّ بأنطاكيةَ قال حدثنا سعيد بن زكريا المدائنيُّ ، عن عَنْبَسَةَ بن عبد الرحمـٰن ، عن محمد بن زاذانَ ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابرِ بن عبد الله قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **إِذَا لَعَنَتْ آخِرُ هَـٰذِهِ ٱلأُمَّةِ أَوَّلَهَا** . . . » ثم ذكر الحديث[٣]

---

(١) ورواه الطبراني في « الأوسط » (٤٣٠) ، والمصنف في « تاريخ دمشق » (٦/١٧)

(٢) وقع في (ط) وحدها : (أبو إسماعيل بن زياد) ، والصواب ما أثبت من سائر النسخ .

(٣) ورواه الخطيب البغدادي في « تاريخه » (١٤٤/١١) ، والمصنف في « تاريخه » (٥/١٧) .

٤ـ وأخبرَنا الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيمَ بنِ العباس العلويُّ الخطيبُ بدمشقَ ، أخبرنا أبو الحسين محمدُ بن عبد الرحمـٰن بن عثمان بن القاسم بن أبي نصر التميميُّ قال أخبرنا القاضي أبو بكرٍ يوسفُ بن القاسم بن يوسف بن فارس بن سوَّار الميانَجِيُّ ، (ح)

وأخبرَنا[١] الشيخُ أبو القاسم زاهرُ بن طاهر بن محمد بن محمد المعدَّل الشَّحَّامِيُّ بنيسابورَ قال : قُرِئَ علىٰ أبي عثمان سعيدِ بن محمد بنِ أحمد البَحِيرِيِّ وأنا حاضر ، قيل له أخبركم أبو عمرَ[٢] ، ومحمدُ بن أحمدَ بن حمدان الحيريُّ قالا : أخبرنا محمدُ بن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الثقفيُّ قال حدثنا قتيبةُ بن سعيد قال حدثنا عُبَيس بن ميمون ، عن عَسَل بن سفيان[٣] ، عن عطاءِ بن أبي رباح ، عن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **مَنْ كَتَمَ عِلْماً . أَلْجَمَهُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ** »[٤] ، لفظُ حديثِ الميانَجِيِّ .

٥ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيمَ بن العباس الحُسينيُّ ، وأبو الحسن عليُّ بن أحمدَ بن منصور بن قُبَيس الغَسَّانيُّ قالا حدثنا ، وأبو منصور عبدُ الرحمـٰن بن محمد بن عبد الواحد بن زُرَيق الشَّيبانيُّ قال

---

(١) في أصل النسخة (ب) : (أخبرني)

(٢) هو أبو عمر الزاهد ابن الحافظ أبي جعفر الحيري ، وأخو أبي العباس محمد بن أحمد بن حمدان الآتي ذكره ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ١٩٣) .

(٣) وقع في هامش (ب) : (قال الذهبي : عبيس ضعفوه ، وعسل لين) .

(٤) ورواه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (٣/ ٤٢٦) ، والخطيب البغدادي في « تاريخه » (١٠/ ١٢٩) ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (١/ ١٠٠) ، ووقع في هامش (ب) : (قال الحافظ الذهبي : حديث ضعيف) ، ولـٰكن العلامة الكتاني في « نظم المتناثر » (٧) جعله من المتواتر ؛ فقد روي عن عشرة مِنَ الصحابة .

أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن علي بن ثابت الخطيبُ قال أخبرنا محمدُ بن أحمد بن رزق[1] ، والحسن بن أبي بكر قالا حدثنا عبدُ الله بن إسحاقَ البغويُّ ، (ح)

قال أبو بكرٍ : وأخبرني هلالُ بن محمد الحفارُ ، أخبرنا أبو عليٍّ محمدُ بن أحمد بن الحسن ابن الصواف قالا : حدثنا بشر بن موسىٰ ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفرج بن فَضَالةَ ، عن أبيه الفرج بن فَضالةَ ، عن يحيى بنِ سعيد الأنصاريِّ ، عن محمد بن عليٍّ[2] ، عن عليِّ بن أبي طالب قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **إِذَا فَعَلَتْ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً . حَلَّ بِهَا ٱلْبَلَاءُ** » ، قيل : يا رسول الله ؛ وما هي ؟ قال « **إِذَا كَانَ ٱلْمَغْنَمُ دُوَلاً**[3] ، **وَٱلْأَمَانَةُ مَغْنَماً ، وَٱلزَّكَاةُ مَغْرَماً ، وَأَطَاعَ ٱلرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ وَجَفَا أَبَاهُ ، وَأُكْرِمَ ٱلرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ ، وَكَانَ زَعِيمُ ٱلْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ ، وَٱرْتَفَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ فِي ٱلْمَسَاجِدِ ، وَشُرِبَ ٱلْخَمْرُ ، وَلُبِسَ ٱلْحَرِيرُ ، وَٱتَّخَذُوا ٱلْقِيَانَ**[4] ، **وَٱتَّخَذُوا ٱلْمَعَازِفَ ، وَلَعَنَ آخِرُ هَـٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ أَوَّلَهَا . فَتَرَقَّبُوا عِنْدَ ذَلِكَ ثَلَاثاً : رِيحاً حَمْرَاءَ ، وَخَسْفاً ، وَمَسْخاً** »[5] ، واللفظُ لحديث ابنِ الصوَّاف

---

(١) الملقب بابن رزقويه (ت ٤١٢ هـ) ، وتقدمت الرواية عنه (ص ١٢١) ، وهو أول شيخ كتب عنه الحافظ البغدادي ، ونعته بحسن الاعتقاد ، وانظر « تاريخ بغداد » (١/ ٣٦٨) .

(٢) هو ابن الحنفية ؛ ابن سيدنا عليٍّ كرَّم الله وجهه ورضي عنه .

(٣) قوله : (دولاً) : هو جمع دُولة بالضم ؛ وهو ما يتداول من المال ، وانظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٢/ ١٤٠) .

(٤) القيان : جمع قينة ؛ وهي الأمة المغنية ، أو المغنية ، وانظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٤/ ١٣٥) .

(٥) ورواه الترمذي (٢٢١٠) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤/ ٢٦٥) ، ووقع في هامش (ب) : (قال الحافظ الذهبي : هـٰذا حديث ضعيف) ، فقد رواه الترمذي عن محمد بن عمرو بن علي ، ورواية المصنف أثبتُ ، وقد قال الحافظ العلائي في « جامع التحصيل » (ص ٢٦٧) : (إن كانت الرواية الأولىٰ محفوظة . . فهي مرسلة ؛ لأن =

٦ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو سهل محمدُ بن إبراهيمَ بن محمد بن سعدويه الأصبَهانيُّ المعدَّل ببغدادَ ، أخبرنا أبو الفضل محمدُ بن الفضل بن محمد بن عُبيد الله الحلاويُّ الحافظُ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن موسى بن مردُويه الحافظُ[1] ، أخبرنا سليمانُ بن أحمد قال أخبرنا بكرُ بن سهل[2] ، أخبرنا موسى بنُ محمد البلقاويُّ قال : أخبرنا زيدُ بن المسور ، عن الزهريِّ ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **مَا آتَى ٱللهُ عَالِماً عِلْماً إلاَّ أَخَذَ عَلَيْهِ ٱلْمِيثَاقَ أَلاَّ يَكْتُمَهُ** »[3]

فالإقدامُ على الغِيبة معَ العلم بتحريمِها أمرٌ كبير ، وما وردَ في النهي عنها وعن سبِّ الأموات كثيرٌ ، واستقصاءُ ذكرِهِ والرواية بِطُرقه وأسانيده عسيرٌ ، والسعيدُ مَنْ كفَّ لسانَهُ[4] عن ذلك وكَفَاهُ مِنْ ذِكرِهِ يسيرٌ

٧ـ أخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله الحسينُ بن عبد الملك بن الحسين الأديبُ

= محمد بن عمرو لم يدرك جده ، وإن كانت الثانية . . فمحمد بن علي هو ابن الحنفية ، وذلك مرسل أيضاً ؛ لأن يحيى بن سعيد الأنصاري لم يدركه ، والحديث ضعيف أيضاً من جهة فرج بن فضالة ، والله أعلم)

(١) صاحب « التفسير » و« التاريخ » ، وله مستخرج على « صحيح البخاري » ، استخرجه بعلوٍّ حتى كأنه لقيَ البخاريَّ ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٣٠٨)

(٢) وقع في (ب) وحدها : (سهيل) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٤٢٥) ، و« التكميل في الجرح والتعديل » (١/ ٢٧١)

(٣) ورواه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (١/ ١٤٠) ، وابن حجر في « القول المسدد في الذب عن مسند أحمد » في المقدمة (ص ٥) من طريق ابن نظيف ، وهو عند صاحب « الفردوس » (٦٢٦٣) ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (١/ ١٠٥) ، و« المداوي لعلل الجامع الصغير » للغماري (٥/ ٤١٠) ، فلم يصبْ من قال بوضع الحديث ، وقد بين الميثاق المذكور في الحديث أيضاً بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران : ١٨٧]

(٤) كذا في (هـ) ، وسقط من سائر النسخ قوله : (لسانه)

بأصبَهانَ ، أخبرنا أبو طاهرٍ أحمدُ بن محمود بن أحمدَ الثقفيُّ الأديبُ ، وأبو القاسم إبراهيمُ بن منصور بن إبراهيمَ السلميُّ[1] قالا : أخبرنا أبو بكر محمدُ بن إبراهيمَ بنِ علي بن المقرئ[2] ، أخبرنا أبو يعلىٰ أحمدُ بن علي المَوْصليُّ ، أخبرنا الحكمُ بنُ موسىٰ ، أخبرنا محمدُ بن سلمةَ ، عن محمد بن إسحاقَ ، عن عمِّهِ موسى بن يسار ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **مَنْ أَكَلَ مِنْ لَحْمِ أَخِيهِ فِي ٱلدُّنْيَا . قُرِّبَ لَهُ لَحْمُهُ فِي ٱلآخِرَةِ ، فَيُقَالُ لَهُ**[3] : **كُلْهُ مَيْتاً كَمَا أَكَلْتَهُ حَيّاً ، قال : فَيَأْكُلُهُ ، وَيَكْلَحُ وَيَصِيحُ** »[4] ، واللفظ لإبراهيمَ .

٨ ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو الأعزِّ قُراتكينُ بن الأسعد بن المذكور الأزجيُّ ببغدادَ قال أخبرنا أبو محمدٍ الحسنُ بن علي بن محمد الجوهريُّ ، أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن محمد بن أحمدَ بن لؤلؤٍ الورَّاقُ قال : أخبرنا محمدُ بن إبراهيمَ بنِ أبان السَّرَّاجُ ، أخبرنا يحيى بنُ عبد الحميد الحِمَّانِيُّ ، أخبرنا أبو بكر بن عيَّاش[5] ، عن الأعمش ، عن سعيد بن عبد الله بن جُريج ، عن

---

(١) المعروف بـ (سبط بحرويه) .

(٢) ومن طريف أخبار هـٰذا الحافظ : ما رواه الخطيب البغدادي في « تاريخه » (٨/ ٥٢٤) عن أبي بكر بن أبي علي قال : كان ابنُ المقرئ يقول : كنت أنا والطَّبرانيُّ وأبو الشيخ في مدينة الرسول عليه السلام ، فضاق بنا الوقت ، فواصلنا ذلك اليوم ، فلمَّا كان وقت العشاء . . حضرتُ القبرَ ، وقلت : يا رسول الله ؛ الجوعَ ! فقال لي الطَّبرانيُّ : اجلس ؛ فإمَّا أن يكون الرزق أو الموت ، فقمتُ أنا وأبو الشيخ ، فحضر الباب عَلَوِيٌّ ، ففتحنا له ، فإذا معه غلامان بزنبيلين فيهما شيء كثير ، وقال : يا قومُ ؛ شكوتموني إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؟! فإنِّي رأيته ، فأمرني بحمْلِ شيء إليكم .

(٣) في (أ ، ب ، هـ) : (فقيل له) .

(٤) ورواه ابن أبي الدنيا في « ذم الغيبة والنميمة » (٤٠) ، والطبراني في « الأوسط » (١٦٥٦) ، وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (١٠/ ٤٧٠) : (سنده حسن) .

(٥) اختلف في اسمه علىٰ أقوال ؛ أشهرها : شعبة ، والصحيح : أن اسمه كنيته ، وانظر =

أبي بَرزةَ رضي الله عنه قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمَّا يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ ؛ لاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَلاَ عَثَرَاتِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَثَرَاتِ ٱلْمُسْلِمِينَ . . يَتَّبِعِ ٱللهُ عَثْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعِ ٱللهُ عَثْرَتَهُ . . يَفْضَحْهُ وَإِنْ كَانَ فِي بَيْتِهِ** »[1]

رواه الإمام أحمدُ بن حنبل في « مسنده » ، عن أسود بن عامر ، عن أبي بكر بن عياش

٩ـ وأخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمدَ بنِ عمرَ بنِ السمرقنديِّ[2] ، وأبو جعفرٍ محمدُ بن علي بن محمد ابنُ السِّمْنانِيِّ الوكيلُ ببغدادَ[3] قالا أخبرنا أبو محمدٍ عبدُ الله بن محمد بن عبد الله الصَّرِيفِينِيُّ ، أخبرنا عُبيد الله بن محمد ابن حَبابة البزَّازُ قال أخبرنا عبدُ الله بن محمد بن عبد العزيز البغويُّ[4] ، أخبرنا عليُّ بن الجعد ، عن شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن عائشةَ رضي الله عنها ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال « **لاَ تَسُبُّوا ٱلأَمْوَاتَ**[5] **؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَىٰ مَا قَدَّمُوا** »

= « تهذيب الكمال » (٨/ ٢٥٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/ ٤٩٥)

(١) ورواه أحمد في « مسنده » (٤/ ٤٢٠) وسيشير لذلك ، وأبو داود (٤٨٨٠) ، وابن أبي الدنيا في « ذم الغيبة والنميمة » (٣٠) .

(٢) في (و) وحدها يوجد هنا علامة تحويل

(٣) ويقرأ (السِّمْناني) بفتح الميم أيضاً ، وانظر « الأنساب » (٧/ ٢٣٩)

(٤) صاحب « الأجزاء الجعديات » التي جمعها لشيخ بغداد أبي الحسن علي بن الجعد ، وانظر « الرسالة المستطرفة » (ص٩١) .

(٥) قال العلامة القاري في « المرقاة » (٣/ ١٢٠٣) : (أي : باللعن والشتم وإن كانوا فجاراً أو كفاراً ، إلا إذا كان موته بالكفر قطعياً ؛ كفرعون وأبي جهل وأبي لهب) ، وقطعيتُهُ إنما جاءت من ثبوت الخبر عن الشارع .

ولم يقلْ فيه عليٌّ أخبرناه[1] ، رواه البخاري في « الصحيح » عن عليِّ بن الجعد[2]

وهٰذا القدرُ في هٰذا المعنىٰ كافٍ ، ولصَدْرِ مَنْ وُفِّقَ للانتفاعِ به شافٍ

* * *

---

(١) في (و) : (أخبرنا) ، وقد صُرِّح بها في « صحيح البخاري »

(٢) صحيح البخاري (١٣٩٣ ، ٦٥١٦)

بابُ
ذكرُ تسميةِ أبي الحسن رحمه الله ونسبِه والأمرِ الذي فارق عقدَ أهلِ الاعتزالِ بسببِه

١٠ـ أخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل بن أحمدَ الفُراويُّ الفقيهُ بنيسابورَ قال أخبرنا الإمامُ أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين بن عليٍّ البيهقيُّ الحافظُ قال : (رأيتُ في كتب أصحابنا أبو الحسن ، عليُّ بن إسماعيلَ بنِ إسحاقَ بنِ سالمِ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ موسى بنِ بلالِ بنِ أبي بُردةَ بنِ أبي موسى الأَشْعَرِيُّ)[1]

١١ـ وأخبرَنا الشيخ أبو الحسن عليُّ بن أحمد بن قُبَيس بدمشقَ ، وأبو منصورٍ محمدُ بن عبد الملك ابن خَيرون المقرئ ببغدادَ قالا قال لنا الإمامُ أبو بكر أحمدُ بن عليٍّ بن ثابتٍ الخطيبُ الحافظُ البغداديُّ : (عليُّ بن إسماعيل بن أبي بشر ـ واسمه : إسحاق ـ ابن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بنِ موسى بنِ بلال بن أبي بُردة بن أبي موسىٰ ، أبو الحسن الأشعريُّ ، المتكلِّمُ ، صاحبُ الكتب والتصانيف في الردِّ على الملحدة وغيرهم ؛ مِنَ المعتزلة ، والرافضة ، والجهميَّة ، والخوارج ، وسائرِ أصناف المبتدعة ، وهو بصريٌّ ، سكن بغدادَ إلىٰ أن تُوفِّيَ بها ، وكان يجلسُ أيامَ الجُمُعاتِ في حَلقة أبي إسحاق المَروزيِّ الفقيه مِنْ جامع المنصور)[2]

---

(١) الأَشْعَرِيُّ بفتح الألف ، وسكون الشين المعجمة ، وفتح العين المهملة ، وكسر الراء ، هٰذه النسبة الىٰ أشعَر ؛ وهي قبيلة يمنية مشهورة ، وانظر « الأنساب » للسمعاني (١/ ١٦٦).

(٢) انظر « تاريخ بغداد » (١٣/ ٢٦٠) ، وقال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٣٦٧) : =

* وذكر الإمامُ أبو بكر بن فُورَكَ   أنَّ أباه هو أبو بشر إسماعيلُ بن إسحاقَ ، وأنَّهُ كان سُنِّيّاً جَماعِيّاً حَدِيثيّاً[(١)] ، أوصىٰ عند وفاتِهِ إلىٰ زكريا بنِ يحيى السَّاجِيِّ رحمه الله[(٢)] ، وهو إمام في الفقه والحديث ، وله كتب ؛ منها : كتاب « اختلاف الفقهاء » ، وكان يذهبُ مذهبَ الشافعيِّ[(٣)] ، وقد روىٰ عنه الشيخُ أبو الحسن الأشعريُّ في كتاب « التفسير »[(٤)] أحاديثَ كثيرةً ؛ يعني : السَّاجِيَّ

قلتُ : والصحيحُ أنَّ أبا بشرٍ جَدُّهُ إسحاقُ كما سبق[(٥)] ، وفي نسبة أصحابه إيَّاهُ[(٦)] إلىٰ أبي بشر تكذيبٌ لأبي عليٍّ الأهوازيِّ فيما اختَلقَ[(٧)] ؛ فإنَّهُ زعمَ أنَّهُ

= (قد ذكر غيرُ واحد من الأثبات : أنَّ الشيخ كان يأخذ مذهبَ الشافعي عن أبي إسحاق المروزي ، وأبو إسحاق المروزيُّ يأخذُ عنه علمَ الكلام ، ولذلك كان يجلس في حلقته) .

(١) يعني : من أهل السنة والجماعة والأخذ بالحديث الشريف في العمل والاستدلال ؛ نبَّهَ بقوله (حديثياً) لمخالفته لطريقة المبتدعة في ردِّ نصوص السنَّة إذا خالفت بدعهم ، ونعتِها بالآحاد والشذوذ والافتراء من غير دليل

(٢) محدث البصرة ومفتيها ، قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٢٩٩) : (روىٰ عنه الشيخ أبو الحسن الأشعري، قال شيخنا الذهبي ـ في « سير أعلام النبلاء » (١٤/ ١٩٧)ـ: « وأخذ عنه مذهب أهل الحديث » ، قلت : سبحان الله ! هنا نجعل الأشعريَّ علىٰ مذهب أهل الحديث ، وفي مكان آخر لولا خشيتك سهام الأشاعرة لصرحتَ بأنه جهميٌّ ؟! وما كان أبو الحسن إلا شيخ السنة ، وناصر الحديث ، وقامع المعتزلة والمجسمة وغيرهم ، وما المجسمة إلا أعداء دينِ الله وأهلِ حديثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

(٣) يعني : الساجي ، وبهـٰذا المذهب تمذهب أيضاً الإمام الأشعري والله أعلم ، قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٣٥٢) : (نصَّ علىٰ ذلك الأستاذ أبو بكر بن فورك في « طبقات المتكلمين » ، والأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني فيما نقله عنه الشيخ أبو محمد الجويني في « شرح الرسالة ») ، وهو الذي رجَّحه العلامة اللَّبلي في « فهرسته » (ص ٧٥) ، وحكىٰ عن بعضهم أنه كان مالكياً ، ثم قال : (والأول هو المعروف) .

(٤) المسمَّىٰ بـ « المختزن » ، وانظر الحاشية المتقدمة (ص ١١٩) .

(٥) يعني : في كلام الحافظين البيهقي والخطيب البغدادي .

(٦) وقع في (ط) وحدها : (أباه)

(٧) هو الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز الأهوازي ، أحد أعلام قرَّاء الشام في =

غيرُ صحيح النسب ، وأنَّهُ ما كنَىٰ عن اسم أبيه إلا لهـٰذا السبب ! ولو كانت له بأسماء الرجال وأنسابهم عنايةٌ . . لفرَّقَ بين قولنا كُنيَة وكِناية ، وفي إطباقِ الناس علىٰ تسميتِهِ بالأشعريِّ تكذيبٌ لما قاله هـٰذا المُفتري ، وقد ورد عن الرسول المُنتجَب[1] ، فيمن يَطعُن بغير علم في النسب ، ما

١٢ـ أخبرَنا الشيخ أبو القاسم زاهرُ بن طاهر الشَّحَّامِيُّ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن الحسين بن علي البيهقيُّ ، أخبرنا أبو بكر بن فُورَكَ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفر ، أخبرنا يونسُ بن حبيب ، أخبرنا أبو داودَ ، أخبرنا شعبةُ ، والمسعوديُّ ، عن علقمة بن مَرثدٍ الحضرميِّ ، عن أبي الرَّبيع ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : « **أَرْبَعٌ مِنْ أَمْرِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ لَنْ يَدَعَهُنَّ ٱلنَّاسُ ٱلطَّعْنُ فِي ٱلأَنْسَابِ ، وَٱلنِّيَاحَةُ عَلَى ٱلْمَيِّتِ ، وَٱلأَنْوَاءُ ، وَٱلإِعْدَاءُ ؛ جَرِبَ بَعِيرٌ فَأَجْرَبَ مِئَةً ، فَمَنْ أَجْرَبَ ٱلْبَعِيرَ ٱلأَوَّلَ ؟!** »[2]

= زمنه ، وكان ينال من الأشعري وألَّف في ثلبه ، وكان أحدَ أسباب تأليف الكتاب الذي بين يديك كما سبق التنبيه عليه ، وكان سالمياً علىٰ طريقة مشبهة أهل البصرة ، قال المصنف في « تاريخه » (١٣/ ١٤٥) بعد أن روىٰ من طريق الأهوازي حديثاً منكراً : (وللأهوازي أمثاله في كتابٍ جمعَهُ في الصفات ، سمَّاه كتاب « البيان في شرح عقود أهل الإيمان » ، أودعه أحاديث منكرة ؛ كحديث : « إن الله تعالىٰ لما أراد أن يخلق لنفسه . . خلق الخيلَ فأجراها حتىٰ عرقت ، ثم خلقَ نفسه من ذلك العرق » ! مما لا يجوز أن يُروىٰ ولا يحلُّ أن يعتقد ، وكان مذهبه مذهب السالمية ؛ يقول بالظاهر ، ويتمسك بالأحاديث الضعيفة التي تقوي له رأيَهُ ، وحديث إجراء الخيل موضوعٌ ، وضعه بعضُ الزنادقة ليشنع به علىٰ أصحاب الحديث في روايتهم المستحيلَ ، فيقبله بعضُ من لا عقل له ، ورواه ، وهو ممَّا يُقطع ببطلانه شرعاً وعقلاً) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ١٣) ، و« لسان الميزان » (٣/ ٩٣)

(١) المنتجب : المختار والمصطفىٰ .

(٢) ورواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » (٢٣٩٥) ، ومسلم (٦٧/ ١٢١) من وجه آخر عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مختصراً ، والترمذي (١٠٠١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٧٨٠) .

فأمَّا نسبُ جدِّهِ أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه

١٣ـ فأخبرَنا الشيخ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمد بن السمرقنديِّ ، أخبرنا أبو الحسين أحمدُ بن محمد بن أحمد بن النَّقور البزازُ[١] ، أخبرنا أبو القاسم عيسى بنُ علي بنِ عيسى الكاتبُ ، أخبرنا عبدُ الله بن محمد بن عبد العزيز قال : حدثني عمِّي ـ يعني : عليَّ بن عبد العزيز ـ عن أبي عُبيدٍ[٢] قال : (أبو موسىٰ ؛ عبدُ الله بنُ قيس ، مِنْ ولد الجُمَاهر بن الأشعر بن أُدَدٍ)[٣]

قال عبد الله : وقال غيرُ أبي عُبيد (عبدُ الله بن قيس بن سليم بن حَضَّار[٤] بن حرب بن عامر بن عِتْرِ[٥] بن بكر بنِ عامر بن عَذَر بن وائل بن ناجيةَ بن الجُمَاهر بن الأشعر ؛ وهو نبتُ بن أُدَد بن زيد بن يَشجُب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشجُب بن يَعرب بن قحطان ، وأمُّ أبي موسىٰ : ظَبيةُ بنت وهب مِنْ عَكٍّ ، كانت أسلمت وماتت بالمدينة)[٦]

١٤ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو البركات عبدُ الوهاب بن المبارك بن أحمدَ الأنماطيُّ الحافظُ ببغدادَ قال : أخبرنا أبو طاهر أحمدُ بن الحسن بن أحمدَ ،

---

(١) كان أبو الحسن بن عبد السلام يسمع منه ويقول : (حديث ابن النقور سبيكة الذهب) ، حدَّث عنه الخطيب البغدادي ، ومات قبله ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٣٧٢) .

(٢) هو الإمام الحافظ اللغوي القاسم بن سلاَّم .

(٣) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (قال ابن الكلبي : إنما سمِّي أشعر ؛ لأنَّ أمَّهُ ولدته وهو أشعر « أنساب السمعاني » [١/ ٢٦٦]) انتهىٰ

(٤) ويُقال أيضاً : حِضَار ؛ بكسر الحاء المهملة وتخفيف الضاد المعجمة ، وانظر « تبصير المنتبه بتحرير المشتبه » (٢/ ٥٠٤)

(٥) كذا بالعين المهملة والتاء المثناة والراء المهملة ، وذكر أنه جده الحافظُ الزبيدي في « تاج العروس » (ع ت ر)

(٦) ورواه أبو القاسم البغوي في « معجم الصحابة » (٤/ ٤١) ، والمصنف في « تاريخ دمشق » (١٨/٣٢)

وأبو الفضل أحمدُ بن الحسن ابن خَيرون الباقلانيَّان[1] ، (ح)

وأخبرَنا الشيخُ أبو العزِّ ثابتُ بن منصور بن المبارك الكِيلِيُّ ببغدادَ ، أخبرنا أبو طاهرٍ أحمدُ بن الحسن قالا أخبرنا أبو الحسين محمدُ بن الحسن بن أحمدَ بن محمد بنِ موسى بنِ عمران الأصبَهانيُّ ، أخبرنا أبو الحسين محمدُ بن أحمدَ بن إسحاقَ ، أخبرنا أبو حفص عمرُ بن أحمد بن إسحاقَ الأهوازيُّ ، أخبرنا شَبابٌ خليفةُ بن خياط العُصفُريُّ[2] ، أخبرنا هشام ابن الكلبي[3] ، عن أبيه قال : (يقولون ولدَ قحطانُ المرعفَ ؛ وهو يَعربُ ، فولدَ يَعربُ يَشجُبَ ، فولد يَشجُبُ سبأً ؛ وهو عامرٌ ، فولد سبأٌ كهلانَ ، فولد كهلانُ زيداً ، فولد زيدٌ عَريباً ، فولد عَريبٌ يَشجُبَ ، فولد يَشجُبُ بن عَريبٍ زيداً ، فولد زيدٌ أُدَد بن زيد ، فولدَ أُددُ بن زيد نَبتاً ؛ وهو الأشعرُ)

قال شَبَابٌ (فمِنَ الأشعريينَ أبو موسى الأشعريُّ ؛ عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضَّار بن حَرب بن عامر بن عِتْرِ بن بكر بن عامر بن عَذَر بن وائل بن ناجية بن جُماهر بن الأشعر بن أُدَد بن زيد ، وليَ البصرةَ لعمرَ وعثمانَ رضي الله عنهما ، وله بها فتوح كثيرةٌ ، وولي الكوفةَ وله بها دارٌ وولد ، حضرةَ المسجد الجامع)[4]

قال شَبابٌ : وأخبرَنا هشامُ بن محمد بن السائب الكلبيُّ ، قال حدثني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : (قحطان مِنْ ولد إسماعيلَ بنِ

---

(١) وأبو طاهر ابنُ خال ابنِ خيرون ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ١٤٤)

(٢) شبابٌ هو لقب خليفة ، والمثبت من (أ ، هـ ، ط) ، وفي (ب ، و) (شباب بن خليفة) ، وكذا وقع في « تاريخ دمشق » (٢٣/ ٢٢١) .

(٣) وهو هشام بن محمد بن السائب ، ووالدُهُ صاحبُ التفسير المعروف

(٤) ورواه خليفة بن خياط في « الطبقات » (ص ١٢٦) وفيه (وولد بحضرة. . .) ، والمصنف في « تاريخه » (٣٢/ ١٧) ، وحضرة المسجد : فِناؤه .

إبراهيمَ ، وبينَهُ وبين إسماعيل ثلاثون أباً) ، قال : (وقال أبي لم تزلْ قحطانُ يَعرِفون ذلك وينتسبون إليه ، حتىٰ كان زمنُ الحجَّاج)[1]

كذا قال ، والصواب : ثلاثة آباء .

١٥ـ وأخبرَنا الشيخ أبو بكرٍ محمدُ بن عبد الباقي بن محمد الأنصاريُّ ببغدادَ[2] ، أخبرنا أبو محمدٍ الحسنُ بن علي بن محمد الجوهريُّ ، أخبرنا أبو عمر محمدُ بن العباس بن حَيّويه الخزازُ ، أخبرنا أبو الحسن أحمدُ بن معروف بن بشر الخشَّابُ ، أخبرنا الحسينُ بن محمد بن عبد الرحمـٰن بن الفَهْم الفقيهُ ، أخبرنا محمدُ بن سعد كاتبُ الواقديِّ[3] قال (إلىٰ قحطانَ جُماعُ اليمن ، فمَنْ نسبَهُ إلىٰ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ . . قال : قحطان بن الهَمَيسَع بن تيمن بن نَبت بن إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما وسلم ، هـٰكذا كان ينسبه هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه ، ويذكر عن أبيه : أنَّهُ أدركَ أهلَ النسب والعلم يَنسبون قحطانَ إلىٰ إسماعيلَ بنِ إبراهيم[4] ، ومَنْ نسبَهُ إلىٰ غير ذلك . . قال : قحطانُ بن فالغ بن عابر بن أرفخشذ بن سام بن نوح صلى الله عليه وسلم)[5]

١٦ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو القاسم بن السمرقنديِّ ، أخبرنا أبو الحسين بنُ

---

(١) ورواه خليفة بن خياط في « الطبقات » (ص ١٢٥) .

(٢) ولعلَّ روايته عن الجوهري الآتي ذكره بالإجازة العامة ، ووقع في (أ ، هـ) هنا زيادة ؛ وهي : (قال شيخنا الحافظ أبو محمد القاسم : وحدثنا عمِّي قال : أخبرنا أبو طالب بن يوسف قالا . . .) .

(٣) هو الإمام محمد بن سعد بن منيع ، صاحب « الطبقات الكبير » و« الصغير » ، (ت ٢٣٠ هـ) .

(٤) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (وهو ظاهر كلام البخاري في قوله : « باب نسبة اليمن إلىٰ إسماعيل » في « المناقب ») انتهىٰ .

(٥) ورواه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٣/ ٤١٩) .

النَّقور ، أخبرنا محمدُ بن عبد الرحمـٰن المُخَلِّصُ ، أخبرنا رضوانُ بن أحمد الصيدلانيُّ ، أخبرنا أحمدُ بن عبد الجبار العُطارِديُّ ، أخبرنا يونسُ بن بُكير ، عن ابن إسحاقَ قال : (إبراهيمُ بن آزر ؛ وهو في التوراة تارَحُ[1] بن ناحور بن أرغوي بن شارح بن فالح[2] بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ[3] بن أخنوخ[4] بن يرد بن مهلاييل بن قمعان بن أَنُوش[5] بن شيث بن آدمَ أبي البشر عليه السلام)[6]

وقال غيره : قينان[7]

وقد اختُلِفَ في نسبِ إبراهيمَ عليه أفضلُ السلام[8] ، وقولُ ابنِ إسحاقَ يُكتفىٰ به عن قول غيره مِنْ علماء الإسلام[9]

فأمَّا سببُ رجوع أبي الحسن عمَّا كان عليه ، وتبرِّيه ممَّا كان يدعو إليه

١٧ـ فأخبرني الشيخ أبو المظفر أحمدُ بن أبي العباس الحسن بن محمد البِسْطَاميُّ الشَّعِيريُّ ببِسطامَ قال : أخبرنا جدِّي لأمِّي الشيخُ الزاهد أبو الفضل

---

(١) في (ب) : (تارج) ولا وجهَ له ، وفي (ط) : (تارخ) وقيل به ، وتارَح بوزان هاجَر

(٢) كذا في (و) وأصل « تاريخ دمشق » (٦/ ١٦٥) ، وفي (أ ، ب ، د ، هـ) : (فالخ) ، ولا وجه له ، وفي (ط) : (فالغ) ، وقد مرَّ في الخبر السابق .

(٣) في (ب) : (متوشلح)

(٤) في (و) : (أخنوح) ، وفي (ط) : (حنوخ) .

(٥) كذا في (ط) ، وفي سائر النسخ : (فوش) ، وأَنوش بوزان صبور ، وقيل : إِنُوش ، وهو بمعنىٰ : إنسان .

(٦) ورواه ابن هشام في « سيرته » (١/ ٢) من وجه آخر عن ابن إسحاق ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (١/ ١٧٩) ، والمصنف في « تاريخه » (٣/ ٥٥) .

(٧) يعني : مكانَ (قمعان) ، والمثبت من (أ ، هـ ، ط) ، وفي (ب ، و) : (قيبان)

(٨) قال الحافظ البيهقي في « شعب الإيمان » ذيل الخبر (١٣٢٦) : (وذلك لاختلاف النسَّابين في ذلك ؛ منهم من يزيد ، ومنهم من ينقص ، ومنهم من يغير)

(٩) كلمةٌ تحفظ من الحافظ ابن عساكر في حقِّ الإمام ابن إسحاق

محمدُ بن عليٍ بن أحمد بن الحسين بن سهل السَّهْلَكِيُّ البِسْطاميُّ قال سمعتُ محمدَ بن علي بن الحسين الواعظَ رحمه الله يقول[1] سمعت أحمدَ بن الحسن[2] المتكلِّمَ قال : سمعتُ بعضَ أصحابنا يقول إنَّ الشيخ أبا الحسنِ رحمه الله لمَّا تبحَّرَ في كلام الاعتزال وبلغ غاية[3] . كان يُوردُ الأسئلةَ علىٰ أُستاذِيهِ في الدَّرس ، ولا يجدُ فيها جواباً شافياً[4] ، فتحيَّرَ في ذلك ، فحُكِيَ عنه أنَّه قال :

وقعَ في صدري في بعض الليالي شيءٌ ممَّا كنتُ فيه مِنَ التَّنايُهِ[5] ، فقمتُ وصليتُ ركعتين ، وسألتُ اللهَ تعالىٰ أن يهديَني الطريقَ المستقيم ، ونمتُ ، فرأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام[6] ، فشكوتُ إليه بعض ما بي مِنَ الأمر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليك بسنَّتي ، فانتبهتُ ، وعارضتُ مسائلَ الكلام بما وجدتُ في القرآن والأخبار ، فأثبتُّهُ ونبذتُ سواه ورائي ظِهْرِيّاً

(١) هو أبو علي الإسفرايني الحافظ الواعظ المعروف بابن السقا ، نقل المصنف في « تاريخه » (٥٤/ ٣٠١) عن الحافظ البيهقي عن شيخه الحاكم قوله : (من حفَّاظ الحديث والجوَّالين في طلبه ، والمعروفين بكثرة الحديث والتصنيف والشيوخ ؛ يعني : والأبواب ، وصحبة الصالحين من أئمة الصوفية من أقطار الأرض) .

(٢) في (ط) : (الحسين)

(٣) ممَّا يدلُّك علىٰ بلوغه الغاية في مذهبهم قولُهُ نفسه رحمه الله تعالىٰ ـ وسيأتي ضمن الحديث عن تآليفه ـ حينما ألَّف كتابه « الجوابات في الصفات عن مسائل أهل الزيغ والشبهات » حيث قال عنه : (نقضنا فيه كتاباً كنَّا ألَّفناه قديماً فيها علىٰ تصحيح مذهب المعتزلة ، لم يُؤلَّف لهم كتابٌ مثله ، ثم أبان الله سبحانه لنا الحقَّ ، فرجعنا عنه فنقضناه ، وأوضحنا بطلانه) .

(٤) في (ب) وحدها : (منها) بدل (فيها) .

(٥) التَّنايُه : الضلالُ وعدم الاهتداء ، وفي (ط) وحدها : (العقائد)

(٦) جاء في هامش (ب) : (رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ مرات) ، وسيأتي ذكر ذلك قريباً

* وذكر أبو القاسم حجَّاجُ بن محمد الطرابلسيُّ مِنْ أهل طرابلس المغرب قال سألتُ أبا بكرٍ إسماعيلَ بن أبي محمد بن إسحاق الأزديَّ القيراونيَّ المعروف بابن عَزْرَةَ رحمه الله . . عن أبي الحسن الأشعريِّ رضي الله عنه ، فقلتُ له : قيل لي عنه إنَّه كان معتزلياً ، وإنَّه لما رجع عن ذلك أبقىٰ للمعتزلة نُكتاً لم ينقضْها ؟ فقال لي الأشعريُّ شيخنا وإمامُنا ، ومَنْ عليه مُعَوَّلُنا ، أقام علىٰ مذاهب المعتزلة أربعين سنةً ، وكان لهم إماماً ، ثم غاب عن الناس في بيته خمسةَ عشرَ يوماً ، فبعد ذلك خرج إلى الجامع ، فصعِد المنبر وقال معاشرَ الناس ؛ إنِّي إنَّما تغيبتُ عنكم في هـٰذه المُدَّة لأنِّي نظرتُ ، فتكافأَتْ عندي الأدلَّة ، ولم يترجحْ عندي حقٌّ علىٰ باطل ، ولا باطلٌ علىٰ حقٍّ ، فاستهديتُ اللهَ تبارك وتعالىٰ ، فهداني إلى اعتقاد ما أودعتُهُ في كتبي هـٰذه ، وانخلعتُ مِنْ جميع ما كنتُ أعتقدُهُ كما انخلعتُ مِنْ ثوبي هـٰذا ، وانخلع مِنْ ثوبٍ كان عليه ورمىٰ به ، ودفع الكتبَ إلى الناس ؛ فمنها : كتابُ « اللمع » ، وكتابٌ أظهر فيه عَوار المعتزلة سمَّاه بكتاب : « كشف الأسرار وهتك الأستار » وغيرُهما ، فلمَّا قرأ تلك الكتبَ أهلُ الحديث والفقه مِنْ أهل السنة والجماعة . . أخذوا بما فيها ، وانتحلوهُ واعتقدوا تقدمتَهُ ، واتخذوهُ إماماً ؛ حتىٰ نُسِبَ مذهبُهم إليه[1]

قال لي أبو بكرٍ فصار عند المعتزلة ككتابيٍّ أسلمَ وأظهر عَوارَ ما تركه ،

---

(١) تفنَّن الإمام اللَّبلي في هـٰذه العبارة ؛ إذ قال في « فهرسته » (ص ٧٣) : (وأما أبو الحسن الأشعري الإمام رضي الله عنه شيخُ أبي الحسن الباهلي وشيخُ [أبي] عبد الله بن مجاهد المذكور وغيرِهما : فهو صاحبُ المذهب الذي اتخذَهُ أهلُ الحديث والفقه من أهل السنة والجماعة إماماً ، حتىٰ نُسِبَ مذهبُهم إليه ، فنُسِبَ مَن تعلَّق لمذهب أهل السنة وتفقَّه في معرفة أصول الدين من بين سائر المذاهب . . إلى الأشعريِّ ؛ لحسن تصانيفه ، وصحَّة مذهبه واعتقاده ، فكثر الاستعمالُ لها ، والاشتغال بها) .

فهو أعدى الخلقِ إلىٰ أهل الذمَّة ، وكذلك الأشعريُّ أعدى الخلقِ إلى المعتزلة ؛ فهم يشنِّعون عليه الأشانيعَ ، وينسبون إليه الأباطيل

١٨ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم بن أبي العباس بن أبي محمد الآدم قال أخبرنا جدِّي أبو محمد بن أبي نصر المقرئ قال سمعتُ الحسنَ بن علي بن إبراهيم الفارسيَّ[1] يقول سمعتُ أبا عبد الله الحُمْرانيَّ يقول لم نشعرْ يومَ الجُمعة وإذا بالأشعريِّ قد طلعَ علىٰ منبر الجامع بالبصرة بعد صلاة الجمعةِ ومعه شريطٌ ، فشدَّه في وسطِهِ ثم قطعَهَ وقال : اشهدوا عليَّ أنِّي كنتُ علىٰ غير دين الإسلام ، وأنِّي قد أسلمتُ الساعة ، وأنِّي تائبٌ ممَّا كنت فيه مِنَ القول بالاعتزال ، ثم نزل[2]

الحُمْرانيُّ : مجهول[3]

* وذكر أبو عمرو عثمان بن أبي بكر بن حمود بن أحمد السَّفاقسيُّ المغربيُّ ـ وكان فَهِماً فاضلاً لبيباً عاقلاً ، وقدم دمشقَ وسمع منه شيوخُ شيوخنا ؛ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكَتَّاني الحافظ وغيره ـ قال : سمعتُ الإمامَ أبا عبد الله الحسينَ بن محمد يقول : سمعتُ غيرَ واحد مِنْ أئمتنا يحكي كيف كان بَدءُ رجوعِ الإمام المبرَّأ مِنَ الزيغ والتضليل ؛ **أبي الحسن عليِّ بن إسماعيلَ** ، أنَّه قال :

بينا أنا نائمٌ في العشر الأول مِنْ شهر رمضانَ . . رأيتُ المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، فقال : **يا عليُّ ؛ انصر المذاهبَ المرويَّةَ عنِّي ؛ فإنَّها الحقُّ ،**

---

(١) هو الأهوازي المفتري ، وانظر (ص ٤٥) .
(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٤/ ١٥٥) وفيه (قال الأهوازي : سمعتُ أبا عبد الله الحُمراني . . .) .
(٣) ذكر الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » (٩/ ١١١) الحمرانيَّ وقصَّته في « التبيين »

فلمَّا استيقظتُ . . دخل عليَّ أمر عظيمٌ ، ولم أزلْ مُفكِّراً مهموماً لرؤيايَ ولِمَا أنا عليه مِنْ إيضاح الأدِلَّةِ في خلاف ذلك .

حتىٰ كان العشرُ الأوسط ؛ فرأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال لي : ما فعلتَ فيما أمرتُكَ به ؟ فقلتُ يا رسولَ الله ؛ وما عسىٰ أن أفعلَ وقد خرَّجتُ للمذاهب المرويَّةِ عنكَ وجُوهاً يحتملُها الكلام ، واتبعت الأدلَّة الصحيحة التي يجُوز إطلاقها على الباري عزَّ وجلَّ ؟! فقال لي انصرِ المذاهب المرويَّةَ عني ؛ فإنها الحقُّ ، فاستيقظتُ وأنا شديدُ الأسف والحزن ، فأجمعتُ علىٰ ترك الكلام ، واتبعت الحديثَ وتلاوة القرآن .

فلما كانت ليلةُ سبعٍ وعشرين ، وفي عادتنا بالبصرة أن يجتمعَ القرَّاء وأهل العلم والفضل فيختمون القرآن في تلك الليلة . . فكنتُ[1] فيهم علىٰ ما جرت عادتُنا ، فأخذني مِنَ النعاس ما لم أتمالكْ معه أن قمتُ ، فلمَّا وصلتُ إلى البيت . . نمتُ وبي مِنَ الأسف علىٰ ما فاتني مِنْ ختم تلك الليلة أمرٌ عظيم ، فرأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال لي ما صنعتَ فيما أمرتك به ؟ فقلتُ : قد تركت الكلام ، ولزمت كتابَ الله وسنَّتَكَ ، فقال لي أنا ما أمرتُكَ بترك الكلام ![2]، إنَّما أمرتُكَ بنصرة المذاهب المروية عنِّي ؛ فإنَّها الحق ، فقلتُ : يا رسول الله ؛ كيف أدعُ مذهباً تصورتُ مسائلَهُ وعرفتُ أدلَّتَهُ منذ ثلاثين سنةً لرؤيا ؟ فقال لي : لولا أنِّي أعلم أن الله تعالىٰ يمدُّكَ بمددٍ مِنْ عنده . . لَمَا قمتُ عنك حتىٰ أُبيِّنَ لك وجوهَها ، وكأنك تَعُدُّ إتياني إليك هـٰذا رؤيا ! أَوَرؤيايَ جبريلَ كانت رؤيا ؟! إنَّك لا تراني في هـٰذا المعنىٰ بعدَها ، فجُدَّ فيه ؛ فإنَّ الله سيمدُّكَ بمددٍ مِنْ عنده

---

(١) وقع في (ط) وحدها : (مكثت) .

(٢) في (أ ، د) : (أنا أمرتك بترك الكلام؟!) .

قال : فاستيقظتُ ، وقلتُ ما بعد الحقِّ إلا الضلالُ ، وأخذتُ في نُصرة الأحاديث في الرؤية والشفاعة والنظر وغير ذلك ، فكان يأتيني شيءٌ واللهِ ما سمعتُهُ مِنْ خصمٍ قطُّ ، ولا رأيته في كتاب ؛ فعلمتُ أنَّ ذلك مِنْ مَدَدِ الله تعالى الذي بشَّرني به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

١٩ـ وقرأتُ فيما رواه الشيخُ الزاهد أبو محمدٍ عبدُ القادر بن محمد الصدفيُّ القيروانيُّ المعروف بابن الخَيَّاط[1] قال : أخبرنا الشيخُ الفقيه أبو بكرٍ عبدُ الله بن محمد القرشيُّ القيروانيُّ قال أخبرنا أبو عبد الله الحسينُ بن عبد الله بن حاتم الأذَرِيُّ صاحبُ القاضي الجليل أبي بكر بن الباقلانيِّ[2] قال كان الشيخُ أبو الحسن عليُّ بن إسماعيلَ الأشعريُّ رضوان الله عليه في الأصل معتزليّاً ، فحكىٰ لنا أبو عبد الله الحسين المتكلِّم الرازيُّ قال أخبرنا أبو الحسن ابن مهديٍّ بطبرستان قال : حكىٰ لنا الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه قال :

كان الداعي إلىٰ رجوعي عن الاعتزال ، وإلى النظر في أدلَّتِهم ، واستخراج فسادهم . . أنِّي رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي في أول شهر رمضان ، فقال لي : يا أبا الحسنِ ؛ كتبتَ الحديثَ ؟ فقلتُ : بلىٰ يا رسول الله ، فقال : أَوَما كتبتَ أنَّ اللهَ تعالىٰ يُرىٰ في الآخرةِ ؟ فقلتُ : بلىٰ يا رسول الله ، فقال لي صلى الله عليه وسلم : فما الذي يمنعُكَ مِنَ القولِ به ؟ قلتُ أدلَّةُ العُقُول منعتني ، فتأوَّلْتُ الأخبار ، فقال لي وما قامَتْ أدلَّةُ العقول عندك علىٰ أنَّ الله تعالىٰ يُرىٰ في الآخرة ؟! فقلتُ بلىٰ يا رسول الله ، فإنَّما هي شُبَهٌ ، فقال لي : تأمَّلْها وانظرْ فيها نظراً مستوفىً ، فليست بشُبهٍ ، بل

(١) المتوفَّىٰ سنة (٥٠٧ هـ) ، وانظر « بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس » (ص ٣٩٤) .

(٢) وقد صنَّف كتاباً في مناقب شيخه الباقلاني ، وله كتاب « اللامع » في أصول الفقه . انظر « تراجم المؤلفين التونسيين » (١/ ٤٢) .

هي أدلَّةٌ ، وغاب عنِّي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو الحسن : فلمَّا انتبهتُ . . فزعتُ فزعاً شديداً ، وأخذتُ أتأمَّل ما قالَهُ صلى الله عليه وسلم ، واستثبتُّ ، فوجدتُ الأمرَ كما قال ، فقويَتْ أدلَّةُ الإثبات في قلبي ، وضعفَتْ أدلَّةُ النفيِ ، فسكتُّ ولم أُظهرْ للناس شيئاً ، وكنتُ متحيِّراً في أمري ، فلمَّا دخلنا في العشر الثاني مِنْ رمضانَ[1] . . رأيتُهُ صلى الله عليه وسلم قد أقبلَ ، فقال : يا أبا الحسنِ ؛ أيَّ شيء عملتَ فيما قلتُ لك ؟ فقلتُ : يا رسولَ الله ؛ الأمرُ كما قلتَ صلى الله عليك ، والقوَّة في جَنَبةِ الإثبات[2] ، فقال لي تأمَّلْ سائرَ المسائل وتذكَّرْ فيها ، فانتبهتُ ، فقمتُ وجمعتُ جميعَ ما كان بين يديَّ مِنَ الكتب الكلاميَّات ، وضَبَّرتُها ورفعتُها[3] ، واشتغلتُ بكتب الحديث وتفسيرِ القرآن والعلوم الشرعية ، ومع هـٰذا فإنِّي كنت أتفكَّرُ في سائر المسائل ؛ لأمره صلى الله عليه وسلم إيايَ بذلك

قال : فلمَّا دخلنا في العشر الثالث . . رأيته صلى الله عليه وسلم ليلةَ القدر ، فقال لي وهو كالحَرْدانِ[4] : ما عملتَ فيما قلتُ لك ؟ فقلتُ يا رسولَ الله ؛ أنا مُتفكِّرٌ فيما قلتَ ، ولا أدعُ التفكُّرَ والبحثَ عليها ، إلا أنِّي قد رفعت الكلام كُلَّهُ وأعرضتُ عنه[5] ، واشتغلتُ بعلوم الشريعة ، فقال لي مغضباً : ومَنِ الذي أمرَكَ بذلكَ ؟! صنِّفْ وانصرْ هـٰذه الطريقةَ التي أمرتُكَ بها ؛ فإنَّها ديني ، وهو الحقُّ الذي جئتُ به ، وانتبهتُ .

---

(١) في (ب) : (دخلت) بدل (دخلنا) .

(٢) الجَنَبَةُ والجنب والجانب : بمعنىً ، وفي (و ، ط) : (جانب) .

(٣) ضبَّرتها : جمعتها في إضبارة ؛ وهي حزمة الكتب ، وقوله : (وتذكَّرْ) كذا في جميع النسخ ، وفي (هـ) : (وتفكر) وبعدها نسخة : (وتذكر) .

(٤) الحردان : المتنحي المعتزل عن غضبٍ .

(٥) وقع في (ط) وحدها : (رفضت) بدل (رفعت) .

قال لي أبو الحسن رضي الله عنه فأخذتُ في التصانيف والنُّصرة ، وأظهرتُ المذهب[1]

فهٰذا سببُ رجوعه عن مذاهب المعتزلة إلىٰ مذاهب أهل السنة والجماعة رحمةُ الله عليه ورضوانُهُ

فإن قيل كيف يبرأ مِنَ البدعة مَنْ كان رأساً فيها ؟ وهل يُثبتُ لله الصفاتِ مَنْ كان دهرَهُ ينفيها ؟ وهل رأيتم بدعِيّاً رجعَ عن اعتقادِ البدعة ، أو حُكمَ لمن أظهرَ الرجوع منها بصحَّة الرَّجعة ؟ وقد قيل إنَّ توبةَ البدعيِّ غيرُ مقبولةٍ ، وفيئتُهُ إلى الحقِّ بعد الضلال ليست بمأمولة ، وهَبْ أنَّا قلنا بقبول توبته إذا أظهرها ؛ أفما ينقصُ ذاك مِنْ رتبتِهِ عند مَنْ خَبَرَها ؟!

قلنا : هٰذا قولٌ عَرِيٌّ عن البُرهان ، وقائلُهُ بعيدٌ مِنَ التحقيق عند الامتحان ، بل التوبةُ مقبولةٌ مِنْ كلِّ مَنْ تاب ، والعفو مِنَ الله مأمولٌ عن كلِّ مَنْ أناب ، والأحاديثُ التي رُويت في ذلك غيرُ قويةٍ عند أرباب النقل[2] ، والقولُ بذلك مستحيلٌ أيضاً مِنْ طريق العقل[3] ؛ فإنَّ البدعةَ لا تكون أعظمَ مِنَ الشرك ، ومَنِ ادَّعىٰ ذلك . . فهو مِنْ أهل الإفك ، ومع ذلك فيُقبل إسلامُ الكتابيِّ والمرتدِّ والكافر الأصليِّ ، فكيف يستحيلُ عندكم قبولُ توبة المبتدع المِلِّيِّ وقد قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [النساء ٤٨] ؟! والبدعة إذا كَشفْتَ عن حقيقتها . . وجدتَها دون الشرك ممَّا

---

(١) يعني : أظهرتُ مذهبَ أهل السنة مؤيَّداً ومنصوراً بعلم الكلام .

(٢) كحديث : « إنَّ اللهَ حَجَرَ التوبةَ عن كُلِّ صاحبِ بدعةٍ » ، رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٩٠١٠) وما بعده من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه ، وقد حكم ابن عدي في « الكامل » (٧/ ٥٠٥) بنكارة متنه وسنده .

(٣) يعني : إن سلِّم العقل بالقياس الأولويّ ، وإلا فالمقرَّر عند أهل السنة أن التوبة في الشرع فضلاً عن العقل قبولُها بمحض الفضل .

هنالك ، فإذا كان يقبلُ الرجوعَ عن الشرك الذي لا يغفرُهُ . . فكيف لا يقبلُ توبةَ مبتدعٍ لا يُشرِكُ به ولا يكفرُهُ ؟!

وأكثرُ العلماء مِنْ أهل التحقيق ، على القول بقبول توبة الزنديق ، مع ما ينطوي عليه اعتقادُهُ الرديءُ مِنَ الخُبث ، وما يعتقدُ[1] مِنْ جحود الصانع وإنكار البعث[2] ، والمبتدعُ لا يجحدُ الرُّبوبيَّةَ ، ولا يُنكر عظمةَ الإلـٰهيَّة ، وإنَّما يَتركُ بعضَ ما يجبُ عليه أن يعتقدَهُ ؛ لشُبَهٍ وقعَتْ له تَنَكَّبَ فيها رشَدَهُ

وقد سمعنا بجماعةٍ مِنَ الأئمَّة كانوا علىٰ أشياءَ رجعوا عنها ، وتركوها بعدَ ما سلكوها وتبرَّؤوا منها ، فلم ينقصْهم ما كانوا عليه مِنَ الابتداع ، لمَّا أقلعوا عنه ورجعوا إلى الاتِّباع ، وقد كان أكثرُ الصحابة الكرام ، يدينون بعبادة الأوثان والأصنام ، ثم صاروا بعدُ سادةَ أهل الإسلام ، وقادةَ المسلمين في الأمور العظام ، وقد

٢٠ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الأعزِّ قُراتكينُ بن الأسعد قال : أخبرنا الحسنُ بن عليٍّ الجوهريُّ ، أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن عبد العزيز بن مَرْدَكَ[3] ، أخبرنا أبو محمد عبدُ الرحمـٰن بن أبي حاتم الرازيُّ ، قال : أخبرني أبو عثمان[4] الخوارزمي نزيلُ مكَّة فيما كتب إليَّ قال قال أبو ثور كنتُ أنا وإسحاقُ بن

---

(١) في (ط) وحدها : (يعتقده) .

(٢) قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (١/ ٢٠٧) : (اختلف أصحابنا في قبول توبة الزنديق ؛ وهو الذي ينكر الشرعَ جملةً ، فذكروا فيه خمسة أوجه لأصحابنا أصحُّها والأصوبُ منها قبولُها مطلقاً ؛ للأحاديث الصحيحة المطلقة) .

(٣) مردك : علمٌ فارسي اللفظ ؛ ومعناه عندهم : الرجل الصغير ، وانظر « تاج العروس » (ر د ك) .

(٤) غير واضحة في (ب)

راهويه وحُسينٌ الكرابيسيُّ ـ وذكر جماعةً مِنَ العراقيين ـ ما تركنا بدعتَنا حتىٰ رأينا الشافعيَّ

قال أبو عثمان : وحدثنا أبو عبد الله الفسويُّ ، عن أبي ثور قال : لمَّا ورد الشافعيُّ العراق[1] . . جاءني حسينٌ الكرابيسيُّ ـ وكان يختلف معي إلىٰ أصحاب الرأي ـ فقال قد ورد رجلٌ مِنْ أصحاب الحديث يتفقَّهُ ، فقُمْ بنا نسخرْ به ، فقمتُ وذهبنا حتىٰ دخلنا عليه ، فسأله الحسينُ عن مسألةٍ ؛ فلم يزلِ الشافعيُّ يقول : قال الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتىٰ أظلمَ علينا البيتُ ، وتركنا بدعتنا[2] ، واتبعناه[3]

* *

---

(١) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (في رحلته الثانية ، بعد وفاة محمد بن الحسن ، وكان أهلُ الحديث قبل الشافعيِّ يسلكون طريق الإقذاع في معارضة أهل النظر ، وهـٰؤلاء كانوا يستخفُّون أحلامَهم ، فعلَّمهم الشافعيُّ طريقة قرع الحُجَّة بالحُجَّة ، بعد جمعِهِ بين الطريقتين ؛ بأن سمع علىٰ مالك « الموطأ » ، ثم حمل عن محمد بن الحسن وقرَ بختيٍّ ليس عليه إلا سماعه في رحلته الأولىٰ إلى العراق ، كما صحَّ عنه بطرق) انتهىٰ .

(٢) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (مِنَ الاسترسال في الرأي ، لا الرأي نفسه ؛ فإنه ليس ببدعة ، بل هو فهم دقيق في مدارك النصوص ممدوح) انتهىٰ .

(٣) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١٠٣) ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ٢٦٤) ، والخطيب البغدادي في « تاريخه » (٦/ ٦٥) ، والمصنف في « تاريخه » (٥١/ ٣٤٢) .

بابُ
مَا رُوِيَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِن بشارتِهِ بقدومِ أبي موسى وأهلِ اليمنِ، وإشارتِهِ إلى ما يظهرُ من علمِ أبي الحسنِ

٢١ـ أخبرَنا أبو عبد الله بن أبي مسعود الصَّاعديُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين الخُسْرَوْجِرْدِيُّ ، أخبرنا محمدُ بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العبَّاسِ محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ ، حدثنا عبدُ الله بنُ بكرٍ[1] ، حدثنا حُميدٌ ، عن أنسٍ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ قَوْمٌ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً مِنْكُمْ** » ، فلمَّا دنَوا مِنَ المدينة جعلوا يرتجزونَ

غَــداً نَلْقَــى ٱلأَحِبَّــهْ مُحَمَّــداً وَحِــزْبَــهْ

فقَدِمَ الأشعريُّون معهم أبو موسى[2]

٢٢ـ أخبرَنا الشَّيخُ أبو القاسم هبةُ الله بنُ عليِّ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الواحد ابنِ الحُصين الشَّيْبانيُّ ببغدادَ ، أخبرنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ علي بن محمدٍ التَّميميُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ جعفر بن حمدانَ القَطِيعِيُّ ، حدثنا أبو عبدِ الرحمـٰن عبدُ الله بن أحمد بن محمد بن حنبلٍ ، حدثني أبي رحمه الله ، حدثنا ابنُ أبي عَديٍّ ، عن حُميدٍ ، عن أنس قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ أَقْوَامٌ هُمْ أَرَقُّ مِنْكُمْ قُلُوباً** » ، قال فقَدِمَ الأشعريُّونَ فيهِم أبو مُوسَى الأشعريُّ ، فلمَّا دنَوا مِنَ المدينة كانوا يرتجزونَ يقولون :

---

(١) في (ط) : (بكير) ، والصواب المثبت من النسخ ، وهو عبد الله بن بكر السهمي

(٢) ورواه أحمد في « مسنده » (٣/ ٢٦٢) ، ورقَّة القلب : كناية عن شدَّة نفوذ الحقِّ إليه ، والتأثُّر بالآيات والنُّذُر .

غَـــداً نَلْقَـــى ٱلأَحِبَّـــهْ مُحَمَّـــداً وَحِـــزْبَـــهْ[1]

اسمُ ابنِ أبي عَديٍّ : محمدُ بنُ إبراهيمَ ، بَصريٌّ ثقةٌ

قال : وحدثنا عبدُ الله بن أحمد قال : حدثنا أبي قال : حدثنا يحيىٰ ، عن حميدٍ ، ويزيدُ قال أخبرنا حميدٌ ، عن أنسٍ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ أَقْوَامٌ هُمْ أَرَقُّ مِنْكُمْ أَفْئِدَةً** » ، فقَدِمَ الأشعريُّونَ فيهم أبو مُوسَىٰ ، فجعلوا لمَّا دنَوا مِنَ المدينة يرتجزونَ :

غَـــداً نَلْقَـــى ٱلأَحِبَّـــهْ مُحَمَّـــداً وَحِـــزْبَـــهْ[2]

٢٣ـ أخبرَنا الشَّيخُ أبو المظفَّرِ عبدُ المنعمِ بنُ عبدِ الكريم ، أخبرنا أبو سعدٍ محمدُ بنُ عبدِ الرحمـٰن ، أخبرنا أبو عمرٍو محمدُ بنُ أحمدَ بنِ حَمْدانَ ، (ح)[3]

وأخبرتنا الشَّريفةُ أمُّ المُجْتَبَىٰ فاطمةُ بنتُ ناصرِ بن الحسن الحُسينيَّة[4] ، وأمُّ البهاءِ فاطمةُ بنت محمد بن أحمد بن البغداديِّ بأصبهانَ قالتا أخبرنا أبو القاسم إبراهيمُ بن منصورٍ سِبْطُ بَحْرويه ، أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن إبراهيمَ بن المُقرئ؛ قالا أخبرنا أبو يعلىٰ أحمدُ بن عليٍّ التَّميميُّ ، حدثنا زهيرُ بن حربٍ ، حدثنا يزيدُ هو ابنُ هارون قال أخبرنا ـ وقال ابنُ حمدانَ حدثنا ـ حميدٌ ، عن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ورواه أحمد في « مسنده » (٣/١٠٥) ، والبزار في « مسنده » (٦٦١٠) وفي (أ): (نلاقي)

(٢) ورواه أحمد في « مسنده » (٣/٢١٩) من طريقي يحيىٰ ويزيد ، و« فضائل الصحابة » (١٦٥٥) من طريق يحيىٰ وحده ، ورواه الطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (٨٠٦) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧١٩٢) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٥/٣٥١)

(٣) أثبتُ التحويل من (أ ، هـ) ، وسقط من سائر النسخ

(٤) في (ب) : (الحسنية) .

قال : « يَقْدَمُ قَوْمٌ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً مِنْكُمْ » ، فقَدِمَ الأشعريُّونَ فيهِم أبو مُوسَىٰ ، فجعلوا يرتجزونَ يقولُون :

غَـــداً نَلْقَـــى ٱلأَحِبَّـــهْ مُحَمَّـــداً وَحِـــزْبَـــهْ

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم[1]

رواهُ أبو عبدِ الرحمـٰن النسائيُّ في « سننِهِ » عن ابنِ مثنّىَ ، عن خالدِ بنِ الحارث ، عن حميدٍ[2]

٢٤ـ أخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل الفقيهُ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن منصور بن خلَف البزّازُ ، أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن عبد الله بن محمدٍ الشَّيبانيُّ الجوزقيُّ ، أخبرنا أبو حامدِ بنُ الشَّرقيِّ ، حدثنا محمدُ بن حَيويه ، حدثنا أبو اليمانِ ، أخبرنا شعيبٌ قال أخبرنا أبو الزِّنادِ ، عن الأعرجِ ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَاكُمْ أَهْلُ ٱلْيَمَنِ ، هُمْ أَضْعَفُ قُلُوباً وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً[3] ، ٱلإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَٱلْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ[4] ، وَرَأْسُ ٱلْكُفْرِ نَحْوَ ٱلْمَشْرِقِ ، وَٱلْفَخْرُ وَٱلْخُيَلاَءُ فِي ٱلْفَدَّادِينَ ، وَٱلْخُيَلاَءُ فِي أَهْلِ ٱلْخَيْلِ وَٱلإِبِلِ ـ ٱلْفَدَّادِينَ : أَهْلُ ٱلْوَبَرِ ـ وَٱلسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ ٱلْغَنَمِ »[5]

٢٥ـ أخبرَنا الشَّيخُ أبو عبد الله الحسينُ بن عبد الملك الخلاَّلُ قال : أخبرنا

---

(١) سقطت التصلية من (أ ، د ، ط) .

(٢) سنن النسائي الكبرىٰ (٨٢٩٤) ، ورواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٣٨٤٥) .

(٣) إما أن يكون الفؤادُ غشاءَ القلب ؛ فبين القلب والفؤاد مباينة ، أو هما بمعنىً ، وجاء بلفظ مغاير لتقرير صفة جديدة .

(٤) كذا بالألف عوضاً عن الياء مع التخفيف ، وهو نادر في النسب ، يقال : قوم يمانون ويمانية ؛ مثل : ثمانون وثمانية ، وانظر « تاج العروس » (ي م ن)

(٥) ورواه البخاري (٣٣٠١ ، ٤٣٩٠) ، ومسلم (٥٢) .

أبو القاسم إبراهيم بن منصور ابن إبراهيم السُّلَميُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن إبراهيم بن عليٍّ ؛ ابنُ المُقْرِئ ، أخبرنا أبو يعلىٰ أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ المثنَّى الموصليُّ ، حدثنا أبو خيثمةَ ، حدثنا جريرٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **ٱلإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَٱلْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ ، أَتَاكُمْ أَهْلُ ٱلْيَمَنِ ؛ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوباً** »

أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ في « صحيحيهما »[1] ، فرواهُ مسلمٌ عن أبي خَيثمةَ .

٢٦ـ أخبرناهُ أبو بكرٍ عبدُ الغفَّارِ بنُ محمد بن الحسين الشِّيرَوِيُّ في كتابه ، وحدثني أبو المحاسن عبدُ الرَّزَّاقِ بن محمد بن أبي نصر الطَّبَسِيُّ بنيسابورَ عنه ، قال : أخبرنا القاضي أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسنِ بن أحمد الحِيريُّ ، (ح) .

وأخبرناه أبو عبد الله محمدُ بن الفضل ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين ، أخبرنا أبو عبد الله الحافظُ قالا : حدثنا أبو العبَّاسِ محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا أحمدُ بن عبد الجبَّار ، حدثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **أَتَاكُمْ أَهْلُ ٱلْيَمَنِ ، هُمْ أَلْيَنُ قُلُوباً وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً ، ٱلإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَٱلْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ** »

زاد الحِيريُّ : قال أبو معاويةَ : أُراهُ قال « **وَأَنَا يَمَانٍ ، رَأْسُ ٱلْكُفْرِ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ** »[2]

---

(١) صحيح البخاري (٤٣٨٨) ، صحيح مسلم (٥٢/ ٩٠) ، والحديث متواتر ، رواه جماعة من الصحابة كما ذكر العلامة الغماري في جزء سمَّاه : « موارد الأمان »

(٢) كذا في (أ ، هـ ، و) ، وفي (ب) : (لا يمان) ، ولا وجه له ، وسقط من (ط) : (أنا يمان) ، ورواه مسلم (٥٢/ ٩٠) كذلك ، وقوله : (أنا يمان) رواه أحمد والطبراني كما في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٤٣) من حديث عمرو بن عبَسة رضي الله عنه في غير هـٰذا السياق .

٢٧ـ أخبرَنا الشَّيخُ أبو بكرٍ محمدُ بن الحسين بن علي بن إبراهيمَ المُقرئ ببغدادَ ، حدثنا القاضي الشريفُ أبو الحسينِ[١] محمدُ بن عليِّ بن محمدِ بن عُبيدِ الله بن عبد الصَّمد بن المُهتدي بالله ، أخبرنا أبو الحسنِ عليُّ بن عمر بن محمد بن الحسن بن شاذانَ السُّكَّريُّ الحربيُّ ، حدثنا أبو خُبَيْبٍ العبَّاسُ بن أحمد بن محمد بن عيسىٰ ، حدثنا إسماعيلُ ابنُ بنتِ السديِّ[٢] ، حدثنا حسينُ بن عيسىٰ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزُّهريِّ ، عن أبي حازمٍ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في المدينة إذ قال « **ٱللهُ أَكْبَرُ ؛ قَدْ جَاءَ نَصْرُ ٱللهِ وَٱلْفَتْحُ ، وَجَاءَ أَهْلُ ٱلْيَمَنِ** » ، قيل يا رسولَ الله ؛ وما أهلُ اليَمَنِ ؟ قال « **قَوْمٌ رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ ، لَيِّنَةٌ طَاعَتُهُمْ ، ٱلإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَٱلْفِقْهُ يَمَانٍ ، وَٱلْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ** »[٣]

٢٨ـ أخبرَنا الشَّيخُ أبو عليٍّ الحسنُ بن أحمد المقرئ في كتابه[٤] ، وحدثني أبو مسعودٍ عبدُ الرَّحيمِ بن عليِّ بن حَمْدٍ عنه[٥] ، أخبرنا أبو نُعيمٍ الحافظُ ، حدثنا سليمانُ بنُ أحمدَ ، حدثنا أحمدُ بنُ عمرٍو القَطِرانيُّ ، حدثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، (ح)

---

(١) في (ط) : (أبو الحسن) ، والصواب المثبت

(٢) وهو إسماعيل بن موسى الفزازي ، وانظر « تاريخ دمشق » (٣١٦/٧١) ، وفي (ب ، ط) : (البسري) ، والصواب المثبت .

(٣) ورواه البزار كما في « كشف الأستار » (٢٨٣٧) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٢٥٠٥) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧٢٩٨) ، ورواه الدارمي في « سننه » (٨٠) من طريق آخر عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٦٤٨) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (١٩٩٦) ، و« الكبير » (٣٢٨/١١) ، ووقع في بعض مصادر التخريج : (طباعهم) بدل (طاعتهم) .

(٤) وهو نفسه (أبو علي الحداد) ، فقد روىٰ عنه المصنف بواسطة وبغير واسطة

(٥) في (ب) : (محمد) ، والصواب المثبت ، وهو الذي سمع منه ابن عساكر « المعجم الكبير » للطبراني ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٥٧٦/٢٠)

وأخبرنا أبو نُعيمٍ قال وحدثنا الغِطْرِيفِيُّ ، حدثنا أبو خليفةَ قال حدثنا الحَوْضِيُّ قالا : حدثنا شُعبةُ ، عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن عياضٍ الأشعريِّ قال : لمَّا نزلت ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] . . قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « هُمْ قَوْمُ هَـٰذَا » وضربَ بيدِهِ على ظَهْرِ أبي مُوسَى الأشعريِّ[١]

قال أبو نُعيمٍ : (رواهُ إدريسُ الأوديُّ عن سماك)[٢]

٢٩ـ أخبرنا الشَّيخُ أبو محمدٍ عبدُ الكريمِ بنُ حمزةَ بن الخَضِرِ السُّلَميُّ بدمشقَ ، حدثنا أبو محمدٍ عبدُ العزيز بن أحمدَ الحافظُ ، أخبرنا أبو القاسمِ تمَّامُ بن محمد بن عبد الله الرَّازيُّ ، حدثنا أبي رحمه الله ، حدثنا أبو بكرٍ أحمدُ بن محمد بن عبد العزيز ابنِ الجَعْدِ الوشَّاءُ ببغدادَ ، حدثنا أبو مَعْمَرٍ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ القَطِيعِيُّ ، حدثنا عبدُ الله بنُ إدريسَ ، عن أبيه ، عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن عِياضٍ الأشعريِّ ، عن أبي موسى الأشعريِّ قال : قُرِئَتْ[٣] عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ ، قال : « هُمْ قَوْمُكَ أَهْلُ ٱلْيَمَنِ »[٤]

٣٠ـ أخبرنا الشَّيخُ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ الفضلِ الفقيهُ ، أخبرنا أبو بكرٍ الخُسْرَوْجِرْدِيُّ ، أخبرنا أبو طاهرٍ الفقيهُ ، أخبرنا أبو عبدِ الله الصَّفَّار ، حدثنا

---

(١) ورواه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٢٢٦١) ، والطبراني في « الكبير » (١٧/ ٣٧١) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٣١٣) وصححه ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٥٤٣٨) ، وانظر « مجمع الزوائد » (٧/ ١٦) .

(٢) انظر « العلل » للدارقطني (٧/ ٢٤٩ـ ٢٥٠) .

(٣) وقع في (هـ) وحدها : (قرأت) .

(٤) ورواه تمام في « فوائده » (١١٠٨) ، ورواه الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ١٨) من طريق تمام ، وفي (أ ، د) مطلع السند : (أخبرناه) .

عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ ، حدثني أبو مَعْمَرٍ ، حدثنا عبدُ الله بنُ إدريسَ ، عن أبيه ، عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن عاصمِ الأشعريِّ ، عن أبي موسىٰ قال تُلِيَتْ عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ ، فقال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « هُمْ قَوْمُكَ يَا أَبَا مُوسَىٰ ، أَهْلُ ٱلْيَمَنِ »[1] ، كذا قال ، والصواب : عياض .

٣١ـ أخبرنا الشَّيخُ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ الفضلِ الفُراويُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسينِ بن علي البيهقيُّ الحافظُ قال أمَّا بعدُ فإنَّ بعض أئمة الأشعريِّينَ رضي الله عنهم ذاكرني بمتن الحديث الذي أخبرناه أبو عبدِ الله محمدُ بنُ عبدِ الله الحافظُ قال : حدثنا أبو العبَّاسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، حدثنا إبراهيمُ بنُ مرزوقٍ ، حدثنا وهبُ بنُ جريرٍ وأبو عامر العقديُّ قالا حدثنا شُعبةُ ، عن سِماكٍ ، (ح)

وأخبرنا أبو بكرٍ عبدُ الغفَّارِ بنُ محمدِ بنِ الحسينِ الشِّيرَوِيُّ في كتابه ، وحدثني أبو المحاسِن عبدُ الرَّزَّاق بنُ محمدِ بنِ أبي نصرٍ الطَّبَسِيُّ بنيسابورَ عنه قال أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ الحِيرِيُّ ، حدثنا محمدُ بنُ يعقوبَ ، حدثنا إبراهيمُ بنُ مرزوقٍ ، حدثنا وهبٌ ، عن شُعبةَ

قال وحدثنا إبراهيمُ ، حدثنا أبو عامرٍ ، عن شُعبةَ ، عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن عياضٍ الأشعريِّ قال لمَّا نزلت : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ . . أومأ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إلىٰ أبي موسىٰ رضي الله عنه فقال : « هُمْ قَوْمُ هَـٰذَا »

قال البيهقيُّ (وذلك لِمَا وَجَدَ فيه من الفضيلة الجليلة والمرتبة الشَّريفة للإمام أبي الحسن الأشعريِّ رضي الله عنه ؛ فهو مِنْ قومِ أبي موسىٰ وأولاده

---

(١) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٣٥١) ، وفي (أ ، د) مطلع السند : (أخبرناه) .

الذين أُوتوا العلمَ ورُزِقُوا الفهمَ مخصوصاً مِنْ بينهم بتقوية السُّنة وقمع البدعة ؛ بإظهار الحُجَّة وردِّ الشُّبهة ، والأشْبَهُ : أن يكون رسولُ الله صلى عليه وسلم إنَّما جعل قومَ أبي موسىٰ مِنْ قومٍ يُحبُّهمُ اللهُ ويُحبُّونَهُ ؛ لِمَا عَلِمَ مِنْ صحَّة دينهم ، وعرفَ مِنْ قُوَّةِ يقينهم ؛ فمَنْ نحا في علم الأُصُولِ نحوَهُم ، وتَبِعَ في نفي التَّشبيهِ مع مُلازمة الكتاب والسُّنة قولَهم . جُعِلَ مِنْ جملتهم ، وعُدَّ مِنْ حسابهم بمشيئة الله تعالى وإذنه ، أعاننا اللهُ تعالىٰ علىٰ ذلك بمَنِّه ، وختمَ لنا بالسَّعادة والشَّهادة بجُودِهِ ، وليَعلمَ المُنصِفُ مِنْ أصحابِنا صُنعَ اللهِ تعالىٰ في تقديم هـٰذا الأصل الشَّريف ، لما ذَخَرَ لعباده مِنْ هـٰذا الفرعِ المنيفِ ، الذي أحيا به السُّنةَ ، وأمات به البِدعةَ ، وجعلَهُ خَلَفَ حقٍّ ، لسلفِ صدقٍ)[1]

٣٢ـ أخبرنا أبو الفتحِ محمدُ بن عليِّ بن عبد الله المُضَريُّ ، وأبو بكرٍ ناصرُ بن أبي العبَّاس بن عليٍّ الصَّيدَلانيُّ بهَراةَ قالا : أخبرنا محمدُ بن عبد العزيز الفارسيُّ ، أخبرنا عبدُ الرحمـٰن بن أحمد بن أبي شُريحٍ قال : حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا أبو سعيد الأشجُّ ، حدثنا عبدُ الله بن إدريسَ ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله عزَّ وجلَّ ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال : (قومٌ من سبأٍ)[2]

والأشعريُّونَ قومٌ من سبأ ، وأكرمْ بذلك أصلاً ونسباً !

٣٣ـ أخبرنا الشَّيخان ؛ أبو القاسم عبدُ الملك بنُ عبد الله بن داودَ

---

(١) وكلامه هنا قطعة من رسالته في الدفاع عن الأشاعرة أيام عميد الملك الكندي ، وانظر « التفسير البسيط » للواحدي (٧/ ٤٣٠ـ ٤٣١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » للإمام ابن السبكي (٣/ ٣٦٢ـ٣٦٣) ، وفي (أ ، د) : (دخر) بدل (ذخر) .

(٢) ورواه أبو سعيد الأشجُّ في « جزء فيه حديثه » (١٦٠) ، والطبري في « تفسيره » (١٠/ ٤١٤) ، وأبو الشيخ كما في « الدر المنثور » (٣/ ١٠٣) ، وانظر « تفسير ابن كثير » (٣/ ١٣٥) .

المغربيُّ[1] ، وأبو غالبٍ محمدُ بن الحسن بن عليٍّ البصريُّ الماورديُّ ببغدادَ قالا : حدثنا أبو عليٍّ عليُّ بن أحمد بن عليٍّ التُّسْتَريُّ بالبصرة ، حدثنا القاضي الشَّريفُ أبو عمرَ القاسمُ بن جعفر بن عبد الواحد الهاشميُّ[2] ، حدثنا أبو عليٍّ محمدُ بن أحمد بن عمرو اللؤلؤيُّ ، حدثنا أبو داودَ سليمانُ بن الأشعث السِّجستانيُّ في كتاب « السُّنَنِ » قال : حدثنا سليمانُ بنُ داودَ المَهْريُّ ، أخبرنا ابن وهبٍ ، أخبرني سعيدُ بن أبي أيُّوبَ ، عن شَراحِيلَ بن يزيدَ المَعافِريِّ ، عن أبي علقمةَ ، عن أبي هريرةَ فيما أعلمُ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ لِهَـٰذِهِ ٱلأُمَّةِ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا** »[3]

قال أبو داودَ : (رواهُ عبدُ الرحمـٰن بنُ شُرَيحٍ الإسكندرانيُّ ، لم يَجُزْ به شَراحِيلَ)[4]

٣٤ـ أخبرناه الشَّيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ السَّمَرقَندِيِّ ، أخبرنا أبو القاسم إسماعيلُ بنُ مسعدةَ الجُرجانيُّ ببغدادَ ، أخبرنا أبو القاسم حمزةُ بنُ يوسفَ السَّهميُّ ، أخبرنا أبو أحمدَ عبدُ الله بنُ عَديٍّ الجُرجانيُّ ، أخبرنا العبَّاسُ بنُ محمد بن العبَّاسِ البصريُّ ، والقاسمُ بنُ عبدِ الله بنِ مَهديٍّ

---

(١) في (ب) : (المقرئ) ، وهو لقب له أيضاً .

(٢) جاء في هامش (هـ) حاشية : (القاسم بن جعفر بن عبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد بن جعفر بن [. . .] بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القاضي أبو عمر الهاشمي البصري ، قال الخطيبُ : كان ثقةً أميناً ، ولي القضاء بالبصرة ، وسمعتُ منه بها « سنن أبي داود » وغيرها ، ولد في رجب سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة ، ومات في ذي القعدة سنة أربع عشرة وأربع مئة) ، وانظر « تاريخ بغداد » (١٤/ ٤٦٢) .

(٣) ورواه أبو داود (٤٢٩١) .

(٤) قال الحافظ السخاوي في « المقاصد الحسنة » (٢٣٨) : (يعني عضله) ، إذ قد أسقط أبا علقمة مسلمَ بن يسار وأبا هريرة رضي الله عنه .

بإِخْمِيمَ[1] قالا : أخبرنا عمرو بنُ سَوَّادِ السَّرْحيُّ ، (ح)

قال أبو أحمد بنُ عديٍّ وأخبرنا يحيى بنُ محمدِ بنِ يحيى ابنِ أخي حَرمَلةَ بنِ يحيىٰ ، حدثنا عمِّي حَرمَلةُ بنُ يحيىٰ ، (ح)

قال أبو أحمد وأخبرنا محمدُ بنُ هارونَ بنِ حسَّانَ ، ومحمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ قالا : حدثنا أحمدُ بنُ عبدِ الرَّحمـٰنِ بنِ وهبٍ ؛ قالوا : حدثنا ابن وهبٍ ، قال : حدثني سعيدُ بنُ أبي أيُّوبَ ، عن شَراحِيلَ بنِ يزيدَ المَعافِريِّ ، عن أبي علقمةَ ، عن أبي هريرةَ فيما أعلمُ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إِنَّ ٱللهَ يَبْعَثُ لِهَـٰذِهِ ٱلأُمَّةِ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا** »[2]

قال محمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ : سمعتُ أصحابَنا يقولون (كان في المئة الأولىٰ : عمرُ بن عبد العزيز ، وفي المئة الثانية محمدُ بن إدريس الشافعيُّ ، رحمة الله عليهما)[3]

٣٥ـ أخبرنا الشَّيخُ أبو المعالي محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ محمدِ بنِ الحسينِ الفارسيُّ بنيسابورَ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسين بن عليٍّ البيهقيُّ ، أخبرنا أبو عبد الرحمـٰن محمدُ بنُ الحسينِ السُّلَميُّ ، أخبرنا أبو عبدِ الله محمدُ بنُ

---

(١) إخميم بكسر فسكون ثم ميم مكسورة وياء ساكنة وميم أخرىٰ ؛ بلدٌ بصعيد مصر على شاطئ النيل ، وانظر « معجم البلدان » (١/ ١٢٣) .

(٢) ورواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٥٢٧) ، وابن عدي في « الكامل » (١/ ١٢٣) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٥٢٢) ، والبيهقي في « معرفة السنن » (١/ ٢٠٨) ، والخطيب في « تاريخه » (٢/ ٣٩٢) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (١٢/ ٤١٣) و(٢٤/ ٣٦٤) ، والحافظ ابن حجر في « توالي التأسيس » (ص ٤٥ـ ٤٦) من طرق عن عبد الله بن وهب .

(٣) رواه المصنف في « تاريخه » (٥١/ ٤٣) .

العبَّاسِ العُصْمِيُّ[1] ، أخبرنا أبو إسحاق أحمدُ بنُ محمد بن ياسينَ الهرويُّ قال : سمعتُ إبراهيمَ بنَ إسحاق الأنصاريَّ يقول : سمعتُ المَرْوَرُّوذِيَّ صاحبَ أحمد بن حنبلٍ يقول : قال أحمد : (إذا سُئِلْتُ عن مسألةٍ لا أعرفُ فيها خبراً .. قلتُ فيها بقولِ الشَّافعيِّ[2] ؛ لأنَّه إمامٌ عالمٌ مِنْ قريشٍ ، ورُوِيَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « عَالِمُ قُرَيْشٍ يَمْلأُ ٱلأَرْضَ عِلْماً »[3] ، وذُكِرَ في الخبر : « أَنَّ ٱللهَ يُقَيِّضُ فِي رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ رَجُلاً يُعَلِّمُ ٱلنَّاسَ دِينَهُمْ »)[4]

---

(1) جاء في هامش (هـ) حاشية : (العصمي هـٰذا بالعين المضمومة المهملة ، والصاد الساكنة المهملة ؛ وهو محمد بن العباس بن أحمد بن محمد بن عصم بن بلال بن عاصم ، أبو عبد الله بن أبي ذهل الضبي من أنفُسهم ، كان رئيساً كثير المحاسن ، صدراً عالماً ، ثبتاً ثقةً ، نبيلاً جليلاً ، من ذوي الأقدار العالية ، كان يعاشر الصالحين ، وأماثل الفقهاء من أئمة الدين ، ويفضل عليهم ، وكان يضرب له دنانير ، وزنُ الدينار منها مثقال ونصف أو أكثر ، فيتصدق بها ويقول : إني لأفرح إذا ناولت فقيراً كاغدة ، فيتوهم أنه فضة ، فإذا فتحه فرأىٰ صفرته فرح ، ثم إذا وزنه فزاد على المثقال فرح أيضاً ، ولد سنة أربع وتسعين ومئتين ، واستشهد برستاق خواف من نيسابور لتسع بقين من صفر سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة

وحكى الحاكم أن أبا جعفر العتبي وزير السلطان ألزمَ أبا عبد الله العصمي هـٰذا عن أمر السلطان أن يتقلد ديوان الرسائل ، فامتنع ، فقال له هـٰذا قضاء القضاة بكور خراسان ، ولا تخرج عن حدِّ العلم ، ولو عرفتُ اليوم في مشايخ خراسان من يدانيك في شمائلك لأعفيتك ، فبكىٰ أبو عبد الله وقال له : إن أعفاني السلطان عن هـٰذا العمل فبفضله عليَّ وعلىٰ أصحابي بهَرَاة ، وإن أكرهني عليه لبستُ مرقعة ، وخرجت علىٰ وجهي حتىٰ لا يعلم بمكاني أحد ، فأعفيَ) ، انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ١٧٢) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ١٧٧)

(2) في (ط) : (يقولُ الشافعيُّ) .

(3) ورواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » (٣٠٧) ، من حديث سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، والبيهقي في « معرفة السنن والآثار » (١/ ٢٠٦) وقال (وروي معناه في عالم قريش في حديث روي عن ابن عباس عن علي مرفوعاً ، وفي حديث آخر روي عن أبي هريرة مرفوعاً) ، وانظر « كشف الخفاء » (٢/ ٥٣) .

(4) ورواه المصنف في « تاريخ دمشق » (٥١/ ٣٣٩) ، وانظر الحديث (٣٤) . =

وروىٰ أحمدُ بنُ حنبلٍ ذلك عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم[1]

قال أحمدُ بنُ حنبلٍ (فكانَ في المئةِ الأولىٰ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، وفي المئة الثانية الشافعيُّ) ، قال أبو عبد الله : (وإني لأَدعو للشافعيِّ منذ أربعين سنةً في صلاتي)[2]

٣٦ـ أخبرنا الشَّيخُ أبو المُظفَّرِ أحمدُ بن الحسين القُومِسِيُّ بها ، أخبرنا جدِّي لأُمِّي أبو الفضل محمدُ بن علي بن أحمد السَّهْلَكيُّ قال حكى الفقيهُ الصَّالحُ الثقةُ أبو عمرٍو ـ يعني محمدَ بنَ عبدِ الله الأديبَ الرَّزْجاهِيَّ ـ قال سمعتُ الأستاذَ الإمامَ أبا سهلٍ الصُّعْلُوكيَّ أو الشَّيخَ الإمامَ أبا بكرٍ الإسماعيليَّ ـ ذَكَرَ واحداً وَالشَّكُّ منِّي ـ يقول : (أعادَ اللهُ تعالىٰ هـٰذا الدِّين بعد ما ذهبَ ـ يعني أكثرَهُ ـ بأحمدَ بنِ حنبلٍ ، وأبي الحسنِ الأشعريِّ ، وأبي نُعيمٍ الإِسْتِراباذِيِّ)[3]

٣٧ـ وسمعتُ الشَّيخَ الإمامَ أبا الحسنِ عليَّ بنَ المُسلَّمِ بن محمد بن عليِّ بن الفتح بن علي السُّلَمِيَّ علىٰ كُرسيه بجامعِ دمشقَ يقول وذكر

= وجاء في هامش (هـ) حاشية : (قال ابن الصلاح وعلى الشيخ أبي حامد [...] الإسفراييني تأول بعض العلماء حديث أبي هريرة : « إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ لِهَـٰذِهِ ٱلأُمَّةِ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا » ، وكان علىٰ رأس المئة الأولىٰ عمرُ بن عبد العزيز ، وفي الثانية الشافعيُّ ، قال هـٰذا القائل : وفي رأس الثالثة أبو العباس ابن سريج ، وفي رأس الرابعة أبو حامد الإسفراييني ، قال الخطيب : توفي أبو حامد في شوال سنة ست وأربع مئة) ، انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ٣٧٥) .

(١) انظر « تاريخ دمشق » (٥١/ ٣٣٩) .

(٢) رواه البيهقي في « معرفة السنن والآثار » (١/ ٢٠٨) ، و« مناقب الشافعي » (١/ ٥٥) وما بعدها ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » للإمام السبكي (١/ ١٩٨) وما بعدها ، و« توالي التأسيس » (ص ٤٦) وما بعدها ، و« كشف الخفاء » (١/ ٢٤٣) .

(٣) نقله الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٥١) .

حديث أبي علقمة هـٰذا فقال

(كانَ علىٰ رأسِ المئةِ الأولىٰ : عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ

وكانَ علىٰ رأسِ المئةِ الثانيةِ : محمدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ

وكانَ علىٰ رأسِ المئةِ الثالثةِ : الأشعريُّ .

وكانَ علىٰ رأسِ المئةِ الرابعةِ : ابنُ الباقِلاَّنيِّ

وكانَ علىٰ رأسِ المئةِ الخامسةِ : أميرُ المؤمنينَ المُسْتَرْشِدُ باللهِ)[1]

---

(١) وانظر في هـٰذا المعنىٰ : « فتاوى ابن الصلاح » (ص ١٣٠) ، و« جامع الأصول » (١١/ ٣٢٢) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (٢/ ٢١٠) ، و« أعيان العصر » للصفدي (٤/ ٥٧٨) ، و« المقاصد الحسنة » (ص ٢٠٣) ، ومقدمة « فيض القدير » (١/ ٩) ، و« كشف الخفاء » (١/ ٢٤٣) ، ومنظومة الإمام السيوطي في « عون المعبود » (١١/ ٣٤٩) .

وجاء في هامش (هـ) حاشية في التعريف بالمسترشد بالله قال ابن الصلاح رحمه الله الفضل بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ، الإمام أمير المؤمنين المسترشد بالله أبو منصور الخليفة ابن الخلفاء ، وهو الذي صنَّفَ أبو بكرٍ الشاشيُّ كتابه « العمدة » في الفقه ، وبلقبه اشتهر الكتاب ؛ فإنه كان يلقب حينئذٍ وقبل الخلافة : عمدة الدنيا والدين ، وعدة الإسلام والمسلمين ، بويع بالخلافة آخر شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمس مئة وهو ابن سبع وعشرين سنة ؛ لأن مولده سنة خمس وثمانين وأربع مئة

قال أبو سعد السمعانيُّ كان ذا رأي ، وفضلٍ ومضاء ، وهيبة وشجاعة ، أحيا رمائمَ الخلافة ، وشدَّ أركان الشريعة ، وتوجه إلىٰ حضرته من كل قُطر مطر ، ومن كل وادٍ حاد ، وضبط أمور الخلافة ورتبها بأحسن ترتيب ، وخرجَ من دار الخلافة غير مرة إلىٰ جهاتٍ خولف فيها ، منها : الحلة ، والموصل ، وطريق خُراسان ، وكسر آخر مرة منها قريباً من همذان ، وحمل أسيراً إلىٰ أذربيجان ، واستشهد بها بقتل طائفة من الملاحدة الإسماعيلية في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمس مئة بالمراغة ودفن بها رضي الله عنه ، وروي أنه رأىٰ في نومه في الأسبوع الذي استشهد فيه : كأن على يده حمامة مطوقة ، فأتاه آتٍ وقال له خلاصك في هـٰذا ، فلما أصبح قصَّ على ابن سكينة الإمام ما رأىٰ ، فقال يكون خيراً ، ثم قال : ما أولته يا أمير المؤمنين ؟ قال : بيت أبي تمام حيث يقول : [من الكامل]

هـنَّ الحمـامُ فـإن كسـرْتَ عيـافـةً حـاءَ الحمـامِ فـإنَّهـن حِمـامُ =

قال الإمامُ الحافظ رضي الله عنه: وعندي: أنَّ الذي كانَ على رأسِ الخمسِ مئةِ: الإمامُ أبو حامدٍ محمدُ بنُ محمد بن محمدٍ الغزاليُّ الطُّوسيُّ الفقيهُ؛ لأنَّهُ كانَ عالماً عاملاً، فقيهاً فاضلاً، أصوليّاً كاملاً، مُصنِّفاً عاقلاً، انتشرَ ذِكْرُهُ بالعِلمِ في الآفاقِ، وبرزَ على مَنْ عَاصَرَهُ بخُراسانَ والشَّامِ والعراقِ[1].

وذكرَ غيرُ الفقيهِ أبي الحسنِ: (أنَّ أبا العباس أحمدَ بن عمرَ بن سُريجٍ الفقيهَ هو الذي كان على رأسِ الثلاثِ مئة، وأنَّ أبا الطَّيِّبِ سهلَ بن محمد بن سليمانَ الصُّعلُوكيَّ النيسابوريَّ هو الذي كانَ على رأسِ الأربعِ مئةِ)[2]

= وخلاصي في حمامي، وليت من يأتي فيخلصني مما أنا فيه من الذُّلِّ والحبس، فقتل بعد أيام رحمه الله تعالى.

سمع الحديث من أبي القاسم ابن بيان الرزاز، وعبد الوهاب بن هبة الله السيبي، وقرئ عليه لما خرج إلى الحلة راكباً أحاديث، روى عنه: وزيره أبو القاسم علي بن طراد الزينبي وغيره. وله شعر ونثر، وحكى له في أول قصيدة: [من الطويل]

أنا الأشقرُ الموعودُ بي في الملاحمِ ... ومَنْ يملكُ الدنيا بغيرِ مزاحمِ

انظر «طبقات الفقهاء الشافعية» (٢/ ٦٦٠).

(١) ولأنه أخبر بهذا عن نفسه، فقال في «المنقذ» (ص ١٩٦) يحادث نفسه عن اختياره البعد عن الناس (فماذا تغنيك الخلوة والعزلة، وقد عمَّ الداء، ومرض الأطباء، وأشرف الخلق على الهلاك؟! ثم قلت في نفسي: متى تشتغل أنت بكشف هذه الغمة، ومصادمة هذه الظلمة، والزمان زمان الفترة، والدور دور الباطل، ولو اشتغلت بدعوة الخلق، عن طرقهم إلى الحق.. لعاداك أهل الزمان بأجمعهم، وأنَّى تقاومهم؟! فكيف تعايشهم؟! ولا يتمُّ ذلك إلا بزمان مساعد، وسلطان متدين قاهر...) إلى أن قال: (فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات، فاتفقوا على الإشارة بترك العزلة، والخروج من الزاوية، وانضاف إلى ذلك مناماتٌ من الصالحين كثيرة متواترة، وتشهد بأن هذه الحركة مبدأ خير ورشد، قدَّرها الله سبحانه على رأس هذه المئة، فاستحكم الرجاء، وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات، وقد وعد الله سبحانه بإحياء دينه على رأس كل مئة، ويسَّرَ الله الحركة إلى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربع مئة).

(٢) انظر «المستدرك» للحاكم (٤/ ٥٢٢).

وقولُ مَنْ قال إنَّه أبو الحسنِ الأشعريُّ . . أصوبُ ؛ لأنَّ قيامَهُ بنُصرةِ السُّنَّةِ إلىٰ تجديدِ الدِّين أقربُ ، فهو الذي انتَدَبَ للرَّدِ على المعتزلة ، وسائرِ أصناف المُبتدعة المُضَلِّلَة ، وحالَتُهُ في ذلك مُشتهِرةٌ ، وكتبُهُ في الرَّدِّ عليهم منتشرةٌ .

فأمَّا أبو العبَّاس ابنُ سُريجٍ فكانَ فقيهاً ، مُضْطَلِعاً بعلمِ أصول الفقه وفروعه نَبيهاً

وقولُ مَنْ قال إن القاضيَ أبا بكرٍ محمدَ بن الطَّيِّبِ الباقِلاَّنيَّ ، هو الذي كان علىٰ رأسِ الأربعِ مئةٍ . . هو لديَّ أولىٰ مِنَ القول الثاني ؛ لأنَّه أشهرُ مِنْ أبي الطيب الصُّعلُوكِيِّ مكاناً ، وأعلىٰ في رُتَب العُلوم شاناً[1] ، وذكرُهُ أكبرُ من أن يُنكَرَ[2] ، وقَدْرُهُ أظهرُ مِنْ أن يُستَرَ ، وتصانيفُهُ أشهرُ مِنْ أن تُشهَرَ ، وتواليفُهُ أكثرُ مِنْ أن تُذكَرَ

فأمَّا أبو الطَّيِّبِ رحمه الله : فإنَّما اشتَهرَ ذكرُهُ ببلدِهِ ، وكانت رئاسةُ أصحاب الشافعيِّ له بنيسابورَ ولوالده ولولده ، وكانَ أبوه أبو سهلٍ محمدُ بن سليمانَ رحمه الله ذا محلٍّ خطيرٍ ، وذكْرُهُ فيما بين أهلِ العلم بخُراسانَ كبيرٌ ، لم يزلْ هو وولدُه وولدُ ولده يُظهِرونَ مذهبَ الأشعريةِ ، ويجاهدون أهلَ البدع بنيسابورَ من المعتزلة والرَّافضة والكرَّاميَّة

وما تقدَّمَ مِنْ قوله في مدحِ الأشعريِّ ممَّا رواهُ عنه أبو عمرو الرَّزْجاهِيُّ . . يدلُّ علىٰ كذبِ أبي عليٍّ الأَهْوَازِيِّ[3] فيما حكىٰ عنه إذ رماهُ بإحدى الدَّواهي ، مع ما اشتَهرَ عنه بخُراسانَ من الذَّبِّ عن أهل التَّوحيد ، وتنزيهِ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ

---

(١) في (ط) : (القوم) بدل (العلوم)، وسقط (هو لدي) من (أ ، د) .
(٢) في (هـ) وحدها : (يذكر)
(٣) انظر ما تقدم في التعريف به (ص ٤٥) ، وما سيأتي للمصنف (ص ٦٤١) .

عن التشبيه والتحديد ، مُقتدياً بالأشعريِّ وسالكاً طريقَهُ ، مُقْتَفِياً في علم الأُصولِ نَهَجَهُ وتحقيقَهُ

فأمّا أبو نُعيمٍ الإِسْتِراباذِيُّ : فهو عبدُ الملك بن محمد بن عَدِيٍّ الجُرْجانيُّ الفقيهُ[1]

٣٨ـ قال لنا أبو الحسنِ[2] عليُّ بنُ أحمد بن منصور الغسَّانيُّ بدمشقَ ، وأبو منصور عبدُ الرحمـٰن بن محمد بن عبد الواحد بن زُرَيْقٍ الشَّيْبَانيُّ ببغدادَ ، قال لنا أبو بكرٍ أحمدُ بن عليٍّ بن ثابت الخطيبُ (إنَّهُ كان أحدَ أئمة المسلمين ، ومن الحُفَّاظ لشرائع الدِّين ، مع صدقٍ وتَوَرُّعٍ ، وضبطٍ وتيقُّظٍ ، سافر الكثيرَ ، وكتبَ بالعراق والحجاز والشَّام ومصرَ ، ومات حدودَ سنةِ عشرين وثلاثِ مئةٍ)[3]

قلتُ وكان ينصرُ السُّنَّةَ بجُرْجانَ

فأمّا عمرُ بن عبد العزيز بن مروانَ بن الحَكَم بن أبي العاصِ بن أُميَّةَ بن عبد شمسٍ : فكانت وفاتُهُ فيما

٣٩ـ أخبرَنا الشَّيخُ أبو غالبٍ أحمدُ بن الحسن بن أحمد بن البَنَّاءِ ببغدادَ قال : أخبرنا أبو الحسين محمدُ بن أحمد بن محمد بن علي بن الآبنُوسِيِّ ، أخبرنا أبو القاسمِ عبيدُ الله بن عثمانَ بن يحيى ؛ ابنُ جَنيقا الدَّقاقُ ، أخبرنا أبو محمدٍ إسماعيلُ بن عليٍّ بن إسماعيلَ الخُطَبِيُّ قال : أخبرني محمدُ بنُ موسى بن حمَّاد البَرْبَرِيُّ ، عن محمد بن أبي السَّرِيِّ : أنَّ عمرَ بن عبد العزيز تُوفِّي لأربعٍ ليالٍ بقين من رجبٍ سنةَ إحدىٰ ومئةٍ وهو ابنُ تسعٍ وثلاثينَ سنةً ونصفٍ .

---

(١) المتوفىٰ سنة (٣٢٣ هـ)
(٢) في (ط) : (الحسين) ، والصواب المثبت .
(٣) انظر « تاريخ بغداد » (١٢/ ١٨٢) .

قال ابنُ أبي السَّرِيِّ قال العُمَرِيُّ : (تُوفِّي يومَ الجمعةِ لخمسِ ليالٍ بقينَ من رجبٍ ، وقبرُهُ بدَيْرِ سِمْعانَ[١] ، وكانت ولايتُهُ سنتينِ وخمسةَ أشهرٍ وخمسةَ أيامٍ)[٢]

وأمَّا الشافعيُّ : فكانت وفاته فيما

٤٠ـ أخبرَنا الشَّيخُ الفقيهُ أبو الحسن عليُّ بنُ المُسلَّمِ السُّلَميُّ ، أخبرنا أبو نصرٍ الحسينُ بنُ محمد بن أحمد بن طَلاَّبٍ الخطيبُ بدمشقَ ، أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد السُّلَميُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن بشر الزَّنْبَرِيُّ[٣] العَكَرِيُّ بمصرَ قال : سمعتُ الرَّبيعَ بن سليمان يقول : (ماتَ الشافعيُّ في سنةِ أربعٍ ومئتينِ في آخرِ رجبٍ)[٤]

وأمَّا وفاةُ أبي الحسنِ الأشعريِّ :

٤١ـ فأخبرَنا الشَّيخان ؛ أبو الحسنِ عليُّ بن أحمد المالكيُّ ، وأبو منصورٍ محمدُ بن عبد الملك المقرئ قالا : قال لنا أبو بكرٍ أحمدُ بن عليٍّ الحافظُ

---

(١) جاء في هامش (هـ) حاشية : (دير سمعان : من أرض حمص) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٦/ ٥٦٥) ، و« تاريخ القضاعي » (ص ٣٦١)

(٣) ووقع في (ط) وحدها : (الزبيري) ، قال الحافظ ابن ناصر الدين في « توضيح المشتبه » (٤/ ٢٨١) وصدر الكلام للذهبي من كتابه « المشتبه » : (كذا ضبطه ابن نقطة ـ يعني : الزنبري ـ فوهم ، وإنَّما هو من موالي آل الزبير ، قال ابن يونس الحافظ : ولاؤه لعتيق بن مسلمة الزبيري ، وكذا ضبطه بضمٍ الصوريُّ . **قلت** كذا نقلته من خط المصنِّف ، وفيه أمران : أحدهما : ما نقله عن ابن يونس ، فإنه بالمعنىٰ ، وفيه التصحيف ، والثاني أن الصواب مع ابن نقطة ؛ فإني وجدته مقيداً كما قاله ابن نقطة بخط أبي العلاء الفرضي في « الأنساب » ، ووجدته أيضا بخطِّ الحافظ أبي القاسم ابن عساكر في « تاريخ ابن يونس » ، في النسخة التي قرأها على الحافظ أبي بكر محمد ابن أبي نصر اللفتواني في سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة ، وهو ما قاله ابن يونس : محمد بن بشر بن بطريق العكري ، مولىٰ عتيق بن مسلمة الزنبري ، يكنىٰ أبا بكر) ، فليتنبَّه .

(٤) انظر « مناقب الشافعي » للإمام البيهقي (٢/ ٢٩٧) ، و« تاريخ دمشق » (٥١/ ٤٣٢)

(ذكرَ لي أبو القاسمِ عبدُ الواحد بن عليٍّ الأَسَدِيُّ أنَّ الأشعريَّ مات ببغدادَ بعد سنة عشرين ، وقبل[1] سنةِ ثلاثينَ وثلاث مئةٍ ، ودُفِنَ في مشرعَةِ الزَّوايا ، في تُربةٍ إلىٰ جانبها مسجدٌ ، وبالقُرْبِ منها حَمَّامٌ ، وهي عن يسارِ المارِّ مِنَ السُّوقِ إلىٰ دِجلة)[2]

* وذكرَ أبو محمدٍ عليُّ بن أحمد بن سعيد بن حزمِ الأندلسيُّ (أنَّ أبا الحسنِ الأشعريَّ مات في سنةِ أربعٍ وعشرين وثلاثِ مئةٍ)[3]

وقال بعضُ البصريين[4] : (مات سنةَ نيفٍ وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ)

وهـٰذا القـولُ الأخيـرُ لا أُراهُ صحيحـاً ، **والأصـحُّ أنـه مـات سنـةَ أربـعٍ وعشرين** ، وكذلك ذكرَ أبو بكرِ بنُ فُورَكَ

فيكونُ التاريخُ سنةَ ثلاثِ مئةٍ لرجوعِهِ إلىٰ مذهب أهل السُّنَّة ، لا للوقتِ الذي فيه هلك ، وكانَ رجوعُهُ في حياةِ الجُبَّائيِّ أبي عليٍّ ، وجِدالُهُ إيَّاهُ بعدَ رجوعِهِ مِنَ الأمر الجليِّ ، وكانت وفاةُ الجُبَّائيِّ كما ذكرَ بعضُ أهل الإتقان في سنةِ ثلاثٍ وثلاثِ مئةٍ في شعبانَ

وأمَّا وفاةُ القاضي أبي بكر بن الطَّيِّبِ الباقلاَّنيِّ

٤٢ـ فأخبرَنا الشَّريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيم بن العباس ، وأبو الحسنِ عليُّ بن أحمد بن منصور الفقيهُ ، وأبو تراب حَيْدَرَةُ ابن أحمد بن الحسين المُقرئ قالوا أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن عليٍّ الحافظُ قال : حدثني عليُّ بن أبي عليٍّ المُعدَّلُ قال : (ماتَ القاضي أبو بكرٍ محمدُ بن الطيبِ في يوم السبتِ

---

(١) في (هـ) وحدها (وقيل)
(٢) انظر « تاريخ بغداد » (٣٤٦/١١)
(٣) انظر « تاريخ بغداد » (٣٤٦/١١) .
(٤) في (هـ) : (العصريين)

لسبعٍ بقينَ من ذي القعدةِ سنةَ ثلاثٍ وأربعِ مئةٍ)[1]

وأمَّا وفاةُ أبي حامدٍ الغزاليِّ

٤٣ـ فكتبَ إليَّ الشَّيخُ أبو الحسنِ عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ بن عبد الغافِر الفارسيُّ من نيسابورَ ؛ يذكُرُ أنَّهُ مضىٰ إلىٰ رحمةِ الله يومَ الاثنينِ الرابعَ عَشَرَ من جُمادى الآخرة سنةَ خمسٍ وخمسِ مئةٍ[2]

* * *

---

(١) ورواه الخطيب في « تاريخ دمشق » (٣/ ٣٦٤) .

(٢) رواه المصنف في « تاريخ دمشق » (٥٥/ ٢٠٤) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » للإمام ابن السبكي (٦/ ٢٠١) ، وفي هامش (أ) : (بلغت مقابلة) .

بابُ
ذِكرُ ما رُزِقَ أبو الحسنِ رحمهُ اللهُ مِن شرفِ الأصلِ وما وردَ مِن تنبيهِ ذوي الفهمِ على كُبْرِ محلِّهِ في الفضلِ

٤٤ـ أخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل الفُراويُّ ، وأبو المظفرِ عبدُ المنعم بن عبد الكريم بن هوازنَ[١] قالا : أخبرنا أبو سعدٍ محمدُ بن عبد الرحمٰن الجَنْزَرُوذِيُّ[٢] قال أخبرنا أبو عمرو محمدُ بن أحمد بن حمدان ، (ح)[٣]

وأخبرَنا الشيخ أبو عبد الله الحسينُ بن عبد الملك الخلاَّلُ ، أخبرنا إبراهيم بن منصور الخبازُ ، أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن إبراهيمَ بن علي ابن المقرئ قالا أخبرنا أحمدُ بن علي بن المثنى التميميُّ ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو أسامة ، عن بُريد ، عن جدِّهِ ، عن أبي موسىٰ[٤] ، (ح)[٥]

---

(١) جاء في هامش (هـ) حاشية : (قال ابن الصلاح عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري ، أبو المظفر ، أحدُ أولاد الأستاذ أبي القاسم القشيري رحمه الله ؛ وهم ستةٌ : أبو المظفر هٰذا أصغرهم سناً ، وآخرهم موتاً ، وأبقاهم في رواية الحديث ذكراً ، مات سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة ، ومولده في صفر سنة خمس وأربعين وأربع مئة) انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (٢/ ٥٧٣)

(٢) نسبة إلىٰ جنزروذ ، قال الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ١٠١) : (وجنزروذ : محلَّةٌ) ، وقال ياقوت الحموي في « معجم البلدان » (٢/ ١٧١) : (قريةٌ من قُرىٰ نيسابور) .

(٣) أثبت التحويل من (أ ، هـ) .

(٤) ورواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٧٣٠٩) .

(٥) أثبت التحويل من (أ ، هـ) .

وأخبرَنا الشيوخُ ؛ أبو بكر محمدُ بن الحسين بن علي بن المَزْرَفِيِّ[1] ، وأبـو محمـدٍ يحيـى بـنُ علي بـن محمـد بـن علـي بـن الطـراح المُـدِيـرُ[2] ، وأبو منصور عبدُ الرحمـٰن بن محمد بن عبد الواحد بن زُرِيق ببغدادَ ، وأبو يعقوب يوسفُ بن أيوب بن الحسين بن وَهَرَةَ الهَمَذنيُّ الواعظُ بمروَ[3] قالوا أخبرنا الشريفُ أبو الغنائم عبدُ الصمد بن علي بن محمد بن الحسن بن الفضل بن المأمون الهاشميُّ ، أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن عمر بن أحمد الدارقطنيُّ الحافظُ ، حدثنا القاضي الحسينُ بن إسماعيل ، وأحمدُ بن علي بن العلاء قالا حدثنا يوسفُ بنُ موسىٰ قال : حدثنا أبو أسامة قال حدثني بُريد بن عبد الله بن أبي بُردةَ ، عن جدِّهِ أبي بُردةَ ، عن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **إِنَّ ٱلْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي ٱلْغَزْوِ ، وَقَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِٱلْمَدِينَةِ[4] جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ ٱقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِٱلسَّوِيَّةِ ؛ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ** »

٤٥ـ **أخبرَناه** أبو عبد الله الفُراويُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن منصور القيروانيُّ ، قال أخبرنا **أبو بكرٍ محمدُ بن عبد الله الشيبانيُّ** ، أخبرنا

---

(١) نسبة إلىٰ مزرفة ؛ وهي قرية كبيرة فوق بغداد ، وانظر « معجم البلدان » (٥/ ١٢١) .

(٢) قال الحافظ السمعاني في « الأنساب » (٥/ ٢٣٤) : (هـٰذا الاسم لمن يدير السجلاَّت التي حكم بها القاضي على الشهود حتىٰ يكتبوا شهادتهم عليها ، ويقال ببغداد لهـٰذا الرجل في ديوان الحكم : المدير) ، وكان مديرَ قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي .

(٣) قال الحافظ السمعاني في « الأنساب » (١/ ٤١٢) : (كان إماماً ورعاً عاملاً بعلمه ، حجة على المسلمين ، صاحب الأحوال والمقامات الجلية ، وله كلام على الخواطر ، وإليه انتهت تربية المريدين الصادقين بمرو ، وتفقَّه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي) .

(٤) في (ط) : (أو قلَّ) بدل (وقلَّ) .

أبو العباس الدَّغُوليُّ[1] ، حدثنا محمدُ بن سليمان القِيراطِيُّ ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا بُريد بن عبد الله بن أبي بُردة ، (ح)

قال[2] وأخبرنا محمدُ بن الحسن بن إسحاق[3] ، حدثنا عبدُ الله بن محمد بن شاكر ، حدثنا أبو أسامةَ ، حدثنا بُريد بن عبد الله ، عن جدِّهِ أبي بُردةَ ، عن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **إِنَّ ٱلأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي ٱلْغَزْوِ ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِٱلْمَدِينَةِ . . جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي آنِيَةٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ ٱقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُم بِٱلسَّوِيَّةِ**[4] ؛ **فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ** »[5]

رواه البخاري ومسلم في « الصحيح » عن أبي كريبٍ[6]

٤٦ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم هبةُ الله بن محمد ابن الحصين ، أخبرنا

---

(١) نسبةٌ إلىٰ دَغُول ؛ اسمُ رجل ، لعله نُسِبَ إلىٰ خبزٍ كالجرادق يصنع بسرخس ، وانظر « الأنساب » (٢/ ٤٨٣) .

(٢) هو أبو بكر محمد بن عبد الله الشيباني الجوزقي المذكور في السند السابق ، وسقطت إشارة التحويل من (ب) .

(٣) هو أبو جعفر الصوفي الأصبهاني ، وانظر « تاريخ أصبهان » (٢/ ٢٦٨) .

(٤) في (ب) : (اقتسموا) ، وهي رواية للحموي والمستملي ، وانظر « إرشاد الساري » (٤/ ٢٨٣)

(٥) قال الإمام البغوي في « شرح السنة » (٨/ ٢١٥) : (قوله « أرملوا » أي : فنيت أزوادهم ؛ يقال : أرمل القومُ ، فهم مرملون) ، وقال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/ ٤٣٨) : (قوله : « هم مني وأنا منهم » : هي « من » الاتصالية ؛ ومعنىٰ ذلك : المبالغة في اتحاد طريقهما واتفاقهما علىٰ طاعة الله تعالىٰ) أي : هم متصلون بي ، أو فعلوا فعلي في هـٰذه المواساة ، وتستعمل (من) الاتصالية في النفي ؛ كـ « لستُ مِنْ دَدٍ »

(٦) صحيح البخاري (٢٤٨٦) ، صحيح مسلم (٢٥٠٠) ، ورواه المصنف في « تاريخ دمشق » (٣٢/ ٥٤) .

أبو عليٍّ الحسنُ بن علي بن محمد الواعظُ ، أخبرنا أحمدُ بن جعفر بن حمدانَ ، حدثنا عبدُ الله بن أحمد بن حنبلٍ ، حدثني أَبي ، حدثنا وهْبُ بن جريرٍ ، حدثنا أَبي قال : سمعتُ عبد الله بن مَلاذٍ يحدِّث ، عن نُمير بن أوس ، عن مالك بن مَسْرُوحٍ ، عن عامرِ بن أبي عامر الأشعريِّ ، عن أبيه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال « **نِعْمَ ٱلْحَيُّ ٱلأَسْدُ وَٱلأَشْعَرِيُّونَ ؛ لاَ يَفِرُّونَ فِي ٱلْقِتَالِ ، وَلاَ يَغُلُّونَ ؛ هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ** »[١]

قال عامرٌ فحدَّثْتُ به معاويةَ ، فقال : ليس هٰكذا قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ! ولٰكنَّهُ قال « **هُمْ مِنِّي وَإِلَيَّ** » ، فقلتُ ليس هٰكذا حدَّثني أبي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ! ولٰكنَّهُ قال « **هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ** » ، قال : فأنت إذاً أعلمُ بحديث أبيكَ

قال عبدُ الله بن أحمد : (هٰذا مِنْ أجودِ الحديث ، ما رواه إلا جريرٌ)[٢]

٤٧ـ أخبرَناه الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل بن أحمد الرباطيُّ ، أخبرنا أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرَوْجِرْدِيُّ[٣] ، أخبرنا أحمدُ بن موسىٰ ، حدثنا محمدُ بن يعقوب ، حدثنا يحيى بنُ أبي طالب ، أخبرنا وهْب بن جرير ، حدثنا أبي قال : سمعتُ عبد الله بن مَلاَذٍ الأشعريَّ ، عن نُمير بن أوس ، عن مالك بن مَسْرُوحٍ ، عن عامرِ بن أبي عامر الأشعريِّ ، عن أبيه ،

---

(١) قوله (**نعم الحي الأسد**) قال العلامة القاري في « مرقاة المفاتيح » (٩/٣٨٦٦) (**الأسد** : بفتح فسكون ، قال التوربشتي : هو بسكون السين ؛ أبو حيٍّ من اليمن ، ويقال لهم : الأزدُ ، وهو بالسين أفصح ، وهما أزدان : أزد شنوءة ، وأزد عُمان ، وسيأتي أن المراد هنا أزدُ شنوءة) ، وقوله : (**ولا يغلون**) قال العلامة القاري (بفتح فضم فتشديد ؛ أي : يخونون) .

(٢) ورواه أحمد في « مسنده » (٤/١٢٩)

(٣) هو الإمام الحافظ البيهقي ، ولعل روايته في كتابه المفقود « فضائل الصحابة » ، والله أعلم .

عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : « **نِعْمَ ٱلْحَيُّ ٱلأَزْدُ وَٱلأَشْعَرِيُّونَ ؛ لاَ يَفِرُّونَ فِي ٱلْقِتَالِ ، وَلاَ يَغُلُّونَ ؛ هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ** »

قال عامرٌ : فحدثت به معاوية ، فقال : ليس هـٰكذا قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ! إنَّما قال : « **مِنِّي وَإِلَيَّ** » ، فقلتُ : ليس هـٰكذا حدثني أبي ! ولـٰكن حدثني أبي ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قال : « **هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ** » ، قال : فأنت إذاً أعلمُ بحديث أبيكَ[1]

٤٨ـ وأخبرَناه الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمدَ الحافظُ ، أخبرنا أحمدُ بن محمد بن أحمد البزَّازُ ، أخبرنا عيسى بنُ عليِّ بنِ الجرَّاح ، أخبرنا عبدُ الله بن محمد الورَّاقُ ، حدثنا يعقوبُ بن إبراهيم الدَّوْرَقِيُّ ، وعليُّ بن مسلم ، وأحمدُ بن محمد القطانُ ـ واللفظُ ليعقوبَ ـ قال حدثنا وهْب بن جرير قال حدثنا أبي قال : سمعتُ عبدَ الله بن مَلاذٍ الأشعريَّ يحدِّثُ عن نُمير بن أوس ، عن مالك بن مَسْرُوحٍ ، عن عامرِ بن أبي عامر الأشعريِّ ، عن أبيه أبي عامرٍ ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : « **نِعْمَ ٱلْحَيُّ ٱلأَسْدُ وَٱلأَشْعَرِيُّونَ ؛ لاَ يَفِرُّونَ فِي ٱلْقِتَالِ ، وَلاَ يَغُلُّونَ ؛ هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ** »

قال عامرٌ : فحدثتُ به معاويةَ فقال : ليس هـٰكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : « **هُمْ مِنِّي وَإِلَيَّ** » ، فقلتُ : ليس هـٰكذا حدَّثني أبي ! ولـٰكنَّهُ حدَّثني عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « **هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ** » ، قال : فأنت أعلم بحديث أبيكَ .

رواه أبو عيسى الترمذيُّ عن إبراهيم بن يعقوب الجوزجانيِّ ، عن وهب بن جرير[2]

---

(١) ورواه المصنف في « تاريخه » (٣٢/ ٥٥) من طريق الحافظ البيهقي .

(٢) سنن الترمذي (٣٩٤٧) ، وقال : (هـٰذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا مِنْ حديث وهْب بن=

٤٩ـ أخبرَنا الشيخ أبو الحسنِ عليُّ بن المُسَلَّم بن محمد بن علي بن الفتح بن عليٍّ السُّلميُّ الفقيهُ بدمشقَ قال : أخبرنا القاضي أبو عبدِ الله الحسنُ بن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد السُّلميُّ الخطيبُ ، أخبرنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ موسى بنِ الحسين بن السمسارِ ، أخبرنا أبو عبدِ الله محمدُ بن إبراهيم ابن مروانَ ، حدثنا أبو عبدِ الرحمـٰن زكريا بن يحيىٰ ـ يعني : السِّجْزِيَّ خياطَ السُّنَّة ـ حدثنا هشامُ بن عمَّار ، حدثنا الوليدُ بن مسلم ، حدثنا عبدُ الله بن العلاء ـ يعني : ابن زَبْرٍ ـ قال : سمعتُ نُمير بن أوسٍ يقول قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **ٱلأَزْدُ وَٱلأَشْعَرِيُّونَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**[1] ؛ **لاَ يَغُلُّونَ ، وَلاَ يَجْبُنُونَ** »

هـٰذا مرسلٌ ، ونُميرُ بن أوسٍ قاضي دمشقَ مِنَ التابعين ، وفيما مضىٰ مِنَ المسندِ كفايةٌ .

٥٠ـ أخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل ، وأبو المظفر عبدُ المنعم بن عبد الكريم قالا أخبرنا أبو سعد محمدُ بن عبد الرحمـٰن ، أخبرنا أبو عمرو ابن حمدانَ ، (ح)

وأخبرنا الشيخُ أبو عبد الله الحسينُ بن عبد الملك الأديبُ ، أخبرنا أبو القاسم إبراهيمُ بن منصور السُّلميُّ ، أخبرنا محمدُ بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذانَ ؛ قالا أخبرنا أبو يعلى الموصليُّ ، حدثنا أبو كريبٍ ، حدثنا أبو أسامةَ ، عن بُريد ، عن أبي بُردة ، عن أبي موسىٰ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ ٱلأَشْعَرِيِّينَ بِٱلْقُرْآنِ**

= جرير ، ويقال : الأَسْدُ : هم الأَزْدُ) ، ورواه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ١٣٨) وقال : (هـٰذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ، ووافقه الذهبي ، والمصنف في « تاريخه » (٣٢/ ٥٤) .

(١) في (أ) : (الأشعرون) بدل (الأشعريون) ، وكلاهما صحيح وكثير .

وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِٱلنَّهَارِ ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِٱلْقُرْآنِ بِٱللَّيْلِ ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ[1] ؛ **إِذَا لَقِيَ ٱلْخَيْلَ** ـ أو قال : **ٱلْعَدُوَّ** ـ **قَالَ لَهُمْ إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْتَظِرُوهُمْ** »

هٰذا حديث صحيحٌ متَّفق علىٰ صحته ، رواه البخاريُّ[2] ومسلمٌ عن أبي كريبٍ محمدِ بن العلاء بن كريبٍ[3]

٥١ـ أخبرَناه الشيخُ أبو المظفر بنُ أبي القاسم الصوفيُّ ، أخبرنا أبي أبو القاسم ، أخبرنا أبو نُعيم عبدُ الملك بن الحسن الأزهريُّ ، أخبرنا أبو عوانةَ يعقوبُ بن إسحاق الإسفرايني ، حدثنا أحمدُ بن عبد الحميد الحارثيُّ ، حدثنا أبو أسامةَ ، عن بُريد ، عن أبي بُردةَ ، عن أبي موسىٰ ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : « **إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ ٱلْأَشْعَرِيِّينَ بِٱلْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِٱللَّيْلِ ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِٱلْقُرْآنِ بِٱللَّيْلِ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِٱلنَّهَارِ ، وَفِيهِمْ حَكِيمٌ ؛ إِذَا لَقِيَ ٱلْخَيْلَ أَوِ ٱلْعَدُوَّ . قَالَ لَهُمْ : إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ** »[4]

---

(١) إما أن يكون علماً علىٰ شخص بعينه ، أو هو صفةٌ ، والمرادُ : بيان شجاعته وتشجيعه لغيره .

(٢) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (إلا أن لفظ البخاريِّ طبق ما في الحديث الآتي) انتهى .

(٣) صحيح البخاري (٤٢٣٢) ، صحيح مسلم (٢٤٩٩) ، ورواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٧٣١٨) ، قال الإمام النووي في « شرح مسلم » (١٦/ ٦١) : (فيه دليلٌ لفضيلة الأشعريِّين ، وفيه أنَّ الجهر بالقرآن في الليل فضيلةٌ إذا لم يكن فيه إيذاءٌ لنائم أو لمصلٍّ أو غيرهما ، ولا رياءٌ ، والله أعلم) .

(٤) هٰكذا في (أ ، ب) ، وفي سائر النسخ : (تنتظروهم) ، ورواه أبو عوانة في « مستخرجه » (٣٨٢٩) ، قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/ ٣٧٣) : (« تَنظُروهم » : بفتح الفوقية وضم الظاء المعجمة ، ولأبي ذر : « أن تُنظِرونهم » : بضم التاء وكسر الظاء) ، كذا بإثبات النون على أنَّ (أن) تفسيرية ، ورواية أبي ذر في الطبعة =

٥٢ـ أخبرَنا الشيخان ؛ أبو بكرٍ محمدُ بن الحسين بن علي ابنُ المَزْرَفِيِّ ، وأبو منصور المقربُ بن الحسين بن الحسن النَّسَّاجُ ببغدادَ قالا : حدثنا القاضي الشريفُ أبو الحسين محمدُ بن علي بن محمد بن عبيد الله ابن المهتدي بالله ، حدثنا أبو حفصٍ عمرُ بن أحمد بن عثمان بن شاهينَ إملاءً قال : حدثنا عبدُ الله بن محمد البغويُّ ، حدثنا عبيد الله بن عمر القَوارِيريُّ ، حدثنا يحيى ابنُ أبي بُردةَ ، حدثنا أبي ، عن أبي بُردةَ ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال « **إِنِّي لأَعْرِفُ مَنَازِلَ ٱلأَشْعَرِيِّينَ بِٱللَّيْلِ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُ مَنَازِلَهُمْ بِٱلنَّهَارِ ؛ لأَصْوَاتِهِمْ بِٱلْقُرْآنِ ، هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ ، لاَ يَغُلُّونَ ، وَلاَ يَجْبُنُونَ** »

كذا نسبه القَوارِيرِيُّ ، وإنَّما هو يحيى بنُ بُريدِ ابن أبي بُردةَ[1] ، كذلك نسبَهُ محمدُ بن عقبة في روايته عنه .

٥٣ـ حدثنا الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن محمد بن الفضل الحافظُ إملاءً بأصبهانَ ، أخبرنا أحمدُ بن عبد الرحمـٰن الذَّكْوانِيُّ ، أخبرنا أبو بكر بن مردويه ، حدثني أحمدُ بن محمد بن سليمان المالكيُّ ، حدثنا الحسينُ بن علي بن حَرِيشٍ التُّسْتَرِيُّ ، حدثنا الحارثُ بن أبي الحارث ، حدثنا يعلى بن

= اليونينية بحذف النون ، وهو الأشهر ، والمراد : الدلالة على شجاعتهم ، وعدم هيبتهم من عدوِّهم . قال الإمام الباقلاني في « رسالة الحرة » المعروفة بـ « الإنصاف » (ص ١٢٩) : (وهو أكبرُ حُجَّةٍ في نفي الصوت عن كلام الله القديم ؛ لأنه فَصَلَ الأصوات من القرآن ، فأضاف الأصوات إلى الأشعريين ، ولم يضفْها إلىٰ كلام الله الذي هو القرآن) ، وقال : (وفي هـٰذه الأحاديث التي ذكرنا وأمثالها ممَّا لا يحصىٰ عدداً : أن الأصوات صفةُ الصائتين ، لا صفةُ كلام ربِّ العالمين) .

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١٤/ ١٢٤) ، وهو يحيى بن بريد بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري

عُبيد ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن شهر بن حَوشبٍ قال : قدمَ أبو عامرٍ الأشعريُّ رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط مِنْ قومه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **إِنَّهُ لَيَدُلُّنِي عَلَىٰ حُسْنِ إِيمَانِ ٱلأَشْعَرِيِّينَ حُسْنُ أَصْوَاتِهِمْ بِٱلْقُرْآنِ** »

قال لنا إسماعيلُ : الحسينُ بن علي بن حريش ؛ بالحاء غير المعجمة .

٥٤ـ أخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل الفُراويُّ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن الحسين البيهقيُّ ، أخبرنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو عمرو عثمانُ بن أحمد بن السَّمَّاك ، حدثنا عبد الملك بن محمد الرَّقَاشِيُّ ، حدثنا وهْبُ بن جرير ، وسعيد بن عامرٍ قالا : حدثنا شعبة ، عن سِماك بن حربٍ قال سمعتُ عِياضاً الأشعريَّ رضي الله عنه يقول لمَّا نزلَتْ ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] . . قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **هُمْ قَوْمُكَ يَا أَبَا مُوسَىٰ** » ، وأومأَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيدِهِ إلىٰ أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه

قال أبو عبد الله الحافظُ : (هـٰذا حديثٌ صحيح)[١]

٥٥ـ أخبرَناه الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيم الخطيبُ ، وأبو الحسن عليُّ بن أحمد الفقيهُ قالا : حدثنا ـ وأبو منصور محمدُ بن عبد الملك المقرئ قال : أخبرنا ـ أبو بكر أحمدُ بن عليٍّ الخطيبُ ، أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن محمد بن محمد الطرازيُّ بنيسابورَ ، أخبرنا أبو حامدٍ أحمدُ بن علي بن حسنويه المقرئ ، أخبرنا أبو جعفرٍ الصائغُ البغداديُّ ـ واسمُهُ : محمدُ بن إسماعيل بن سالم ـ قال : حدثنا شَبابة بن سوَّار ، حدثنا شعبة ، عن سماكٍ ،

---

(١) ورواه الحاكم في « المستدرك » (٢/٣١٣) ، وانظر الأحاديث المتقدمة برقم (٢٨ـ ٣١) .

عن عِياضٍ الأشعريِّ رضي الله عنه قال : لمَّا نزلَتْ هـٰذه الآيةُ ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[المائدة : ٥٤] . . أومأَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلىٰ أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه فقال : « هُمْ قَومُ هَذَا »[١]

قلتُ : وكذا رواه أبو عامر العَقَديُّ ؛ عبد الملك بن عمرو ، عن شعبةَ ، وكذلك المحفوظُ عن عبد الله بن إدريسَ الأوديِّ ، عن شعبة[٢]

٥٦ـ وأخبرَناه أبو الفضل محمدُ بن إسماعيل الفُضَيليُّ ، أخبرنا أبو القاسمِ أحمدُ بن محمد الخليليُّ ، أخبرنا أبو القاسمِ عليُّ بن أحمد الخزاعيُّ ، أخبرنا الهيثمُ بن كُليب الشاشيُّ ، حدثنا العسقلانيُّ ـ يعني : عيسى بنَ أحمد ـ أخبرنا يزيدُ هو ابنُ هارون ، أخبرنا شعبةُ بن الحجَّاج ، عن سِماك بن حرب قال سمعتُ عِياضاً الأشعريَّ يقول : لمَّا نزلَتْ : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] . . قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبي موسىٰ « هُمْ قَوْمُكَ يَا أَبَا مُوسَىٰ » ، أو قال : « قَوْمُ هَذَا » يعني : أبا موسىٰ[٣]

٥٧ـ وأخبرَناه الشيخانِ ؛ أبو الفتح محمدُ بن علي بن عبد الله المُضَريُّ الواعظُ ، وأبو بكر ناصرُ بن أبي العباس بن عليٍّ الصيدلانيُّ بهراةَ قالا أخبرنا أبو عبدِ الله محمدُ بن عبد العزيز الفارسيُّ ، أخبرنا عبدُ الرحمـٰن بن أحمدَ بن أبي شريح الأنصاريُّ ، حدثنا يحيى بنُ محمد بن صاعد قال : حدثنا أبو سعيدٍ الأشجُّ ، حدثنا عبدُ الله بن إدريسَ ، عن شعبةَ ، عن سِماك بن حربٍ ، عن عِياضٍ الأشعريِّ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله

---

(١) ورواه الخطيب البغدادي في « تاريخه » (٢/ ٣٨) ، وانظر الأحاديث المتقدمة المشارَ إليها قبلُ .

(٢) انظر « تاريخ دمشق » للمصنف (٣٢/ ٣٣) ، وانظر الحديث برقم (٣١ ، ٥٦) .

(٣) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٠/ ٤١٥) من طريق يزيد بن هارون .

عليه وسلم : « هُمْ قَوْمُ هَذَا » لأبي موسىٰ[1]

وعِياضٌ هـٰذا : هو ابنُ عمرو الأشعريُّ نسبُهُ ، مختلفٌ في صحبته ، والأظهرُ أنَّ له صحبةً ، وقد أدركَ عصرَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؛ لانتفاءِ الشكوكِ في أنَّه شهد في صدر خلافة عمر رضي الله عنه يومَ اليرموك[2]

وقد ضمَّن بعضُ أصحاب شعبةَ أبا موسىٰ إسنادَهُ ، ووصلَهُ بذكر أبي موسىٰ فيه وأجادَهُ[3]

٥٨ـ أخبرَناه الشيخُ أبو عبد الله بن أبي مسعود الصاعديُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين الحافظُ ، أخبرنا أبو عبد الله الحافظُ في جمعه لأحاديث شعبةَ قال أخبرنا بكرُ بن محمد بن حمدانَ بمروَ ، حدثنا أبو قِلابةَ ، حدثنا عبدُ الصمد ، وأبو الوليد قالا حدثنا شعبةُ ، عن سِماكٍ ، عن عِياضٍ الأشعريِّ ، عن أبي موسىٰ ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : لمَّا نزلَتْ ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة ٥٤] . . قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « هُمْ قَوْمُ هَذَا » يعني : أبا موسىٰ[4]

٥٩ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله ، أخبرنا أبو بكرٍ ، أخبرنا أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ ، حدثنا أبو طاهرٍ محمدُ بن الحسن المحمداباذيُّ ، حدثنا أبو قِلابةَ . . . ، فذكره بإسناد مثله ، وقال : عن عِياض ، عن أبي موسىٰ ، عن

---

(١) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٠/ ٤١٥) من طريق عبد الله بن إدريس .

(٢) انظر « الاستيعاب » (٣/ ١٢٣٣) ، و« أسد الغابة » (٤/ ٢٦) ، و« الإصابة » (٤/ ٦٢٩) ، وهو يقوِّي القولَ بصحبته ، وقد وقعت معركة اليرموك سنة (١٣ هـ) ، وفي « المنتظم » (٤/ ١١٩) أن عياضاً رضي الله عنه شهدها

(٣) في (ط) : (وإجازة) .

(٤) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٠/ ٤١٥) من طريق أبي الوليد .

النبيِّ صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[المائدة : ٥٤]
قال : « هُمْ قَوْمُ هَذَا » يعني أبا موسىٰ[١]

وهكذا رواه إدريسُ بن يزيدَ الأوديُّ عن سماكٍ[٢]

٦٠ـ أخبرَناه الشيخُ أبو عبد الله الفُراويُّ ، أخبرنا أحمدُ بن الحسين البيهقيُّ قال : أخبرنا الأستاذُ أبو طاهرٍ محمدُ بن محمد بن مَحْمِشٍ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الصَّفَّارُ ، حدثنا عبدُ الله بن أحمد بن حنبلٍ ، حدثني أبو معمرٍ ، (ح)

قال البيهقيُّ وأخبرنا أبو الحسنِ عليُّ بن أحمد بن عبدانَ ، حدثنا أحمد بن عُبيد الصَّفَّارُ ، حدثنا محمدُ بنُ عيسىٰ ، حدثنا أبو معمرٍ ، حدثنا عبدُ الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن سِماك بن حربٍ ، عن عِياضٍ الأشعريِّ ، عن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال : تلوتُ عندَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، فقال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « هُمْ قَوْمُكَ يَا أَبَا مُوسَىٰ ، أَهْلُ ٱلْيَمَنِ »[٣]

لفظ حديث الأستاذ[٤] ، وليس في حديث أبي الحسن : « أَهْلُ ٱلْيَمَنِ »[٥] .

---

(١) هـٰذا وما مرَّ قبله هو عند المصنف في « تاريخه » (٣٢/ ٣٣ـ ٣٤) .

(٢) انظر الحديث رقم (٢٨) ، وقد أورد الحافظ السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ١٠٢) المخرجين لهـٰذا الحديث من طريق سيدنا عِياض رضي الله عنه فقال : (وأخرج ابن سعد ، وابن أبي شيبة في « مسنده » ، وعبد بن حميد ، والحكيم الترمذي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، والطبراني ، وابن مردويه ، والحاكم وصحَّحه ، والبيهقي في « الدلائل » ، عن عِياض الأشعري) فذكره .

(٣) وتقدم تخريجه من الطريقين ، انظر الحديث رقم (٢٩ ، ٣٠) .

(٤) يعني : أبا طاهر المذكور في السند ، وفي (ط) وحدها : (الإسناد) ، وغير منقوطة في (أ) .

(٥) هنا نهاية الجزء الأول من (ب) ، وفيها : (آخر الجزء من « التبيين » ، والحمد لله حق =

٦١ـ أخبرَنا أبو القاسم زاهرُ بن طاهرِ المعدَّلُ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين الحافظُ ، أخبرنا أبو عبدِ الله محمدُ بن عبد الله ، أخبرنا أبو العباس محمدُ بن أحمد المحبوبيُّ ، حدثنا سعيدُ بن مسعود ، حدثنا عُبَيدُ الله بنُ موسىٰ ، حدثنا شيبانُ ، عن الأعمشِ ، عن جامعِ بن شداد ، عن صفوانَ بن مُحْرِزٍ ، عن عمرانَ بن حُصينٍ قال إنِّي لجالسٌ عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم إذ جاءَهُ قومٌ مِنْ بني تميم ، فقال « **ٱقْبَلُوا ٱلْبُشْرَىٰ يَا بَنِي تَمِيمٍ** » ، قالوا : قد بشَّرْتَنا فأعطنا يا رسولَ الله ، قال : فدخل عليه أُناسٌ مِنْ أهل اليمن ، فقال « **ٱقْبَلُوا ٱلْبُشْرَىٰ يَا أَهْلَ ٱلْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ** » ، قالوا قد قبلنا يا رسولَ الله ، جئنا لنتفقَّهَ في الدين ، ونسألُكَ عن أول هـٰذا الأمر ما كان ؟ قال « **كَانَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ ، ثُمَّ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ، وَكَتَبَ فِي ٱلذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ** »

قال وأتاه رجلٌ فقال : يا عمرانَ بنَ حصين ؛ راحلتَكَ ، أدرك ناقتك فقد ذهبت ، فانطلقتُ في طلبها ، وإذا السَّرابُ ينقطع دونَها ، وآيمُ الله ؛ لوددتُ أنَّها ذهبت وأنِّي لم أقم[١]

= حمده ، ويتلوه الجزء الثاني ، أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر المعدل ، فرغ من مقابلته يوم الاثنين التاسع من شوال سنة ثمانين وخمس مئة في جامع دمشق مع يوسف أبي المعالي بن الموصلي أدام الله نعمته) ثم شرع في الجزء الثاني بذكر طبقة سماع ، سنة إحدىٰ وثمانين وخمس مئة ، وجاء خاتمتها : (هـٰذا صحيح ، وكتبه القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي) ، وكُتب تحتها : (هـٰذا خطُّ ولد المصنف رحمة الله عليهما ، ونفع بهما ، آمين) ، وهو صاحب كتاب « فضل المدينة » وكتاب « فضل المسجد الأقصىٰ » ، وهو شيخ دار الحديث النورية بدمشق بعد شيخِ الإسلام والدِهِ الحافظ ابن عساكر

(١) ورواه البخاري (٣١٩٠ ، ٧٤١٨) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦١٤٢) من طريق عبيد الله بن موسىٰ ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٩/٢) .

٦٢ـ وأخبرَنا أبو القاسم ، أخبرنا أبو بكرٍ[١] ، (ح)

وأخبرنا أبو القاسم بنُ السمرقنديِّ ، أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن هبة الله ابن[٢] اللالكائيِّ ؛ قالا : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطَّانُ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفرٍ ، حدثنا يعقوبُ بن سفيانَ ، حدثنا عمرُ بن حفصٍ ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمشُ ، حدثنا جامعُ بن شدَّاد ، عن صفوانَ بن مُحْرِزٍ أنَّهُ حدَّثَهُ عن عمرانَ بن الحصين قال : دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . ، فذكر الحديثَ ، وقال فيه : قالوا : جئناك نسألُكَ عن هذا الأمر ، قال : « **كَانَ ٱللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَعَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي ٱلذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، وَخَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ** »

أخرجه البخاريُّ عن عمر بن حفص بن غياث[٣]

٦٣ـ أخبرَنا الشيخُ أبو سهلٍ محمدُ بن إبراهيم بن محمد بن سعدويه المُزَكِّي ، أخبرنا أبو الفضلِ عبدُ الرحمـٰن بن أحمد بن الحسن الرازيُّ المقرئ بأصبهانَ ، حدثنا أبو القاسم جعفرُ بن عبد الله ابن فَنَّاكِي الرازيُّ ، حدثنا محمدُ بن هارون الرُّويانيُّ ، حدثنا محمدُ بن إسحاق ، حدثنا معاويةُ بن عمرو ، عن أبي إسحاق الفزاريِّ ، عن الأعمشِ ، عن جامعِ بن شدَّاد ، عن صفوانَ بن مُحْرِزٍ ، عن عمرانَ بن حُصينٍ رضي الله عنه قال : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فعقلتُ ناقتي بالباب ، ثم دخلتُ ، فأتاهُ نفرٌ مِنْ بني تميمٍ ، فقال : « **ٱقْبَلُوا ٱلْبُشْرَىٰ يَا بَنِي تَمِيم** » ، قالوا : فبشَّرتنا ، فأعطنا ، فجاءَهُ نفرٌ مِنْ أهل اليمن ، فقال : « **ٱقْبَلُوا ٱلْبُشْرَىٰ يَا أَهْلَ ٱلْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا**

---

(١) يعني : السابقين في السند المتقدم ؛ وهما زاهر الشحامي ، وأبو بكر البيهقي .

(٢) سقطت من (ط) ، واللالكائي هو الحافظ أبو القاسم الطبري .

(٣) صحيح البخاري (٣١٩١) .

إِخْوَانُكُمْ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ » ، قالوا : قبلنا يا رسولَ الله ، أتيناكَ لنتفقَّهَ في الدين ، ونسأَلَكَ عن أوَّلِ هـٰذا الأمرِ كيف كان ؟ قال : « **كَانَ ٱللهُ وَلَمْ يَكُ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ ، ثُمَّ كَتَبَ فِي ٱلذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، ثُمَّ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ** » ، قال : ثم أتاني رجلٌ فقال : أدركْ ناقتَكَ قد ذهبت ، فخرجتُ ، فوجدتها ينقطعُ دونها السَّرابُ ، وآيمُ اللهِ ؛ لوددتُ أنِّي كنتُ تركتُها[1]

٦٤ـ قال لنا أبو عبد الله الفُراويُّ : قال لنا أبو بكر البيهقيُّ في هـٰذا الحديث : أخرجه البخاريُّ في « **الصحيح** » مِنْ أوجهٍ عن الأعمش[2] ، وأخرج أوله في (باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن)[3] ، **وفي سؤالهم دليلٌ علىٰ أنَّ الكلامَ في علم الأصول وحَدَث العالَم . . ميراثٌ لأولادهم عن أجدادِهم** .

وقوله : « كَانَ ٱللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ » يدلُّ علىٰ أنَّه : لم يكنْ شيءٌ غيرُهُ ؛ لا الماءُ ولا العرشُ ولا غيرُهما ، **فجميعُ ذلك غيرُ الله تعالىٰ** .

وقوله : « وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ » يعني : ثم خلقَ الماءَ ، وخلق العرشَ على الماء ، ثم كتب في الذِّكر كلَّ شيءٍ[4]

٦٥ـ أخبرَنا الشيخُ أبو سهلٍ محمدُ بن إبراهيم الشاهدُ ، وأمُّ البهاءِ فاطمةُ بنت محمدٍ قالا : أخبرنا أبو الفضلِ عبدُ الرحمـٰن بن أحمد الرازيُّ ، أخبرنا جعفرُ بن عبد الله بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن هارونَ الرُّويانيُّ ، حدثنا أبو كريبٍ ، حدثنا أبو أسامةَ ، عن بُريدٍ ، عن أبي بُردةَ ، عن أبي موسىٰ

---

(١) ورواه الروياني في « مسنده » (١٠٤) .

(٢) صحيح البخاري (٣١٩١ ، ٧٤١٨) ، وله أوجه أخرىٰ عن غير الأعمش عنده أيضاً .

(٣) صحيح البخاري (٥/ ١٧٢)

(٤) انظر « الأسماء والصفات » (باب بدء الخلق) ، و« الاعتقاد » (٣٥) .

قال خرجنا مِنَ اليمن في بِضعٍ وخمسينَ رجلاً مِنْ قومي ـ إمَّا قال اثنينِ وخمسينَ ، أو ثلاثةٍ وخمسينَ ـ ونحن ثلاثةُ إخوة ؛ أبو موسىٰ ، وأبو رُهمٍ ، وأبو عامرٍ ، فأخرجتنا سفينتُنا إلى النجاشيِّ بأرض الحبشة وعنده جعفرُ بن أبي طالب وأصحابه ، فأقبلنا جميعاً في سفينةٍ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم حين افتتحَ خيبرَ ، فما قُسِمَ لأحدٍ غابَ عن فتح خيبرَ منها شيءٌ إلا لمَنْ شهدَ معه إلا لجعفرٍ

وقال ابنُ سعدويه[1] : إلا جعفرٍ وأصحابِهِ أصحابِ السفينة قسمَ لهم معهم ، وقال : « **لَكُمُ ٱلْهِجْرَةُ مَرَّتَيْنِ ، هَاجَرْتُمْ إِلَى ٱلنَّجَاشِيِّ ، وَهَاجَرْتُمْ إِلَيَّ** » .

رواه البخاري ومسلم عن أبي كريب[2]

٦٦ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الأعزِّ قُراتكينُ بن الأسعد ، أخبرنا الحسنُ بن عليٍّ الجوهريُّ ، أخبرنا أبو حفصٍ عمرُ بن محمد بن علي بن الزيَّات ، حدثنا قاسمُ ابن زكريا المُطَرِّزُ ، حدثنا سعيدُ بنُ يحيىٰ ، حدثنا أَبي ، حدثنا طلحةُ بنُ يحيىٰ ، حدثنا أبو بُردةَ بنُ أبي موسىٰ ، عن أبيه قال : خرجتُ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر حتىٰ جئنا مكةَ وإخوتي معي ؛ أبو عامر بن قيس ، وأبو رُهم ابن قيس ، ومحمد بن قيس ، وأبو بُردة بن قيس ، وخمسونَ مِنَ الأشعريِّين ، وستةٌ مِنْ عَكٍّ ، ثم هاجرنا في البحر حتىٰ أتينا المدينةَ ، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول للناس : « **هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَكُمْ هِجْرَتَانِ** »[3]

---

(١) هو أبو سهل ؛ محمد بن إبراهيم ، شيخ الحافظ ابن عساكر المذكور مطلعَ السند .

(٢) صحيح البخاري (٣١٣٦ ، ٤٢٣٠) ، صحيح مسلم (٢٥٠٢ ، ٢٥٠٣) ، ورواه الروياني في « مسنده » (٤٦٨) واللفظ له .

(٣) ورواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٧٢٣٢) ، وأبو بكر المطرز في « فوائده » (١٢٦) ، وابن حبان في « الصحيح » (٧١٩٤) من طريق أبي يعلىٰ .

لا يُحفظ أنَّه كان لأبي موسىٰ أخٌ يُسمَّىٰ محمداً إلا في هٰذا الحديث ، ويقال : إنَّه غيرُ محفوظٍ[1]

٦٧ـ كتب إليَّ أبو عبدِ الله محمدُ بن أحمد بن إبراهيم بن الخطَّاب ، أخبرنا أبو الفضلِ محمدُ بن أحمد بنِ عيسى السَّعديُّ ، أخبرنا أبو عبدِ الله عبيدُ الله بن محمد بن محمد بن بَطَّةَ ، أخبرنا أبو القاسمِ عبدُ الله بن محمد البغويُّ ، حدثني محمدُ بن إسحاق ، أخبرنا عثمانُ بن صالح ، حدثني ابنُ لَهِيعَةَ ، عن يزيدَ بن أبي حَبيبٍ ، عن رَبيعةَ بن لَقِيطٍ أنَّ رجلاً مِنْ بني أَوْدٍ[2] أخبره عن رجلٍ مِنْ قيسٍ يقالُ له أبو يحيىٰ ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ قَبَائِلِ ٱلْعَرَبِ ؟ »[3] ، قالوا : بلىٰ يا رسولَ الله ، قال : « ٱلسَّكُونُ سَكُونُ كِنْدَةَ ، وَٱلأُمْلُوكُ أُمْلُوكُ رَدْمَانَ[4] ، وَٱلسَّكَاسِكُ[5] ، وَفِرَقٌ مِنَ ٱلأَشْعَرِيِّينَ ، وَفِرَقٌ مِنْ هَمْدَانَ » يعني : قبائلَ اليمن[6]

٦٨ـ أخبرَنا أبو عليٍّ الحدادُ في كتابه[7] ، عن أبي نُعيمٍ الحافظ ، أخبرنا

---

(١) انظر « الإصابة » (٦/ ٢٦) ، وقد نقل الحافظ كلامَ المصنف هنا

(٢) وقع في (ط) وحدها : (أدد)

(٣) في (و) وحدها : (بخبر) بدل (بخير) .

(٤) الأملوك : قوم من العرب ، قيل : هم من حمير ، وردمان : موضع باليمن .

(٥) قال في « معجم البلدان » (٣/ ٢٢٩) : (السكاسك : هو في لفظ جمع سكسك ، ولا أدري ما هو ، فهو إذاً عَلَمٌ مرتجل لاسم هٰذه القبيلة التي نسب إليها مخلاف باليمن ، وهو آخر مخاليف اليمن ، وهو السكسكُ بن أشرس بن ثور) .

(٦) ورواه الدولابي في « الكنىٰ والأسماء » (٣٦٧) ، وانظر « كنز العمال » (١٢/ ٩٠) ، وفيهما : (خولان) بدل (همدان) ولعله الصواب ، وفي (ب) : (حمدان) .

(٧) قال الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٣٠٥) : (مسند العصر الحسن بن أحمد بن الحسن. . . ، ممَّن حدث عنه بالإجازة أبو القاسم ابن عساكر) ، وتوفي سنة (٥١٥ هـ) وقد قارب المئة .

أبو عبد الله محمدُ بن عبد الرحمـٰن بن سهل بن مخلد الغزَّالُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن علي بن الحسن ، حدثنا محمدُ بن إسماعيل الصائغُ ، حدثنا عبدُ الله بن يزيدَ المقرئ ، حدثنا شُرَحْبِيلُ بن شَريك ، عن عليِّ بن رباح قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **إِنَّ مَثَلَ ٱلأَشْعَرِيِّينَ فِي ٱلنَّاسِ كَصِرَارِ ٱلْمِسْكِ** »[١]

هـٰذان مرسلان .

٦٩ـ حدثني الشيخ أبو مسعود عبدُ الرحيم بن علي بن حَمْد المعدَّل بأصبهانَ ، أخبرنا أبو علي الحسنُ بن أحمد المقرئ[٢] وأجازه لي أبو عليٍّ ؛ قال : حدثنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا سليمانُ بن أحمد الطبرانيُّ ، حدثنا عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء بن زِبْرِيقٍ الحمصيُّ[٣] ، حدثنا أبو علقمةَ نصرُ بن خُزَيمة بن جُنادةَ بن مَحْفُوظِ بن علقمةَ : أنَّ أباه[٤] حَدَّثه عن نصر بن علقمة ، عن أخيه مَحْفُوظِ بن علقمة ، عن ابن عائذ[٥] ـ واسمه : عبد الرحمـٰن ـ قال : حدثنا أبو أُمامة أنَّ كعب بن عاصم الأشعريَّ حدَّث قال : ابتعتُ قمحاً أبيضَ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ ، فأتيتُ به أهلي ، فقالوا : تركتَ القمحَ الأسمر الجيد وابتعتَ هـٰذا ؟! واللهِ ؛ لقد أنكحني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إيَّاكَ وإنَّكَ لَعَيِيُّ اللسان ، ذَميمُ الجسم ، ضعيفُ البطش ! فصنعَتْ منه خُبزةً ، فأردتُ أن

---

(١) ورواه أحمد في « فضائل الصحابة » (١٦١٥) .
(٢) هو الإمام أبو علي الحداد شيخ المصنف ، ولذا سيذكر الإجازة عنه .
(٣) في (ط) : (زريق) بدل (زبريق) ، والمثبت هو الصواب .
(٤) يعني : خزيمة ، وهو ابن ابن أخي نصر بن علقمة ، وله عنه نسخة كبيرة ، وانظر « تهذيب الكمال » (٢٩/٣٥٣) .
(٥) في (و ، ط) : (عابد) ، والمثبت هو الصواب .

أدعوَ عليها أصحابي الأشعريِّين أصحابَ الصُّفَّة[1] ، فقلتُ : أتجشَّأُ مِنَ الشبع وأصحابي جياعٌ ؟!

فأتَتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تشكو زوجَها ؛ وقالت : انزعْني من حيث وضعتَني ، فأرسلَ إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فجمعَ بينهما ، فحدَّثَهُ حديثَها ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **لَمْ تَنْقِمِي مِنْهُ شَيْئاً غَيْرَ هَـٰذَا ؟** » ، قالت لا ، قال « **فَلَعَلَّكِ تُرِيدِينَ أَنْ تَخْتَلِعِي مِنْهُ ، فَتَكُونِي كَجِيفَةِ ٱلْحِمَارِ ، أَوْ تَبْغِينَ ذَا جُمَّةٍ فَيْنَانَةٍ**[2] ، **عَلَىٰ كُلِّ جَانِبٍ مِنْ قَصَّتِهِ شَيْطَانٌ قَاعِدٌ ؟! أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنِّي أَنْكَحْتُكِ رَجُلاً مِنْ نَفَرٍ مَا تَطْلُعُ ٱلشَّمْسُ عَلَىٰ نَفَرٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ؟!** » ، قالت : رضيتُ ، فقامَتِ المرأةُ حتىٰ قبَّلَتْ رأسَ زوجِها وقالت : لا أفارقُ زوجي أبداً[3]

٧٠ـ أخبرنا الشيخُ أبو الفتح يوسفُ بن عبد الواحد بن محمد بن ماهانَ بأصبهانَ ، أخبرنا أبو منصورٍ شجاعُ بن علي بن شجاع المَصْقَلِيُّ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن إسحاق بن محمد العبديُّ ، أخبرنا أبو عمرو بن حَكيمٍ ، حدثنا محمدُ بن مسلم ابنُ وَارَةَ[4] ، حدثنا هشامُ بن عُبيد الله الرازيُّ ، عن بكيرِ بن معروف ، عن مُقاتلِ بن حيَّان ، عن أبي سلمةَ بن عبد الرحمـٰن بن أبزىٰ ، (ح)[5]

وأخبرَنا يوسفُ ، أخبرنا شجاعٌ ، أخبرنا أبو عبد الله قال : وأخبرنا سعيد بن عثمان المصري ، حدثنا أحمدُ بن محمد بن بِسطام المروزيُّ ، حدثنا

---

(١) في (ب) : (العقبة) ، وهي كذلك في رواية الطبراني في مطبوع « مسند الشاميين » .
(٢) يعني : له شعر كأفنان الشجر
(٣) ورواه الطبراني في « مسند الشاميين » (٢٥١١) ، والمصنف في « تاريخه » (٣٢/ ٥٧) .
(٤) هو أبو عبد الله محمد بن مسلم بن عثمان بن عبد الله الرازي ؛ المعروف بابن وارة .
(٥) سقطت إشارة التحويل من (و) ، وأبو سلمة هو علقمة الآتي ذكره .

أحمدُ بن بكر المروزيُّ ، حدثنا أبو وهبٍ محمدُ بن مُزاحم ، حدثنا بكيرُ بن معروف ، عن مُقاتل بن حيان ، عن علقمةَ بن عبد الرحمـٰن بن أبزىٰ ، عن أبيه ، عن جدِّهِ ، عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أنَّه خطبَ الناس قائماً ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، وذكر طوائفَ مِنَ المسلمين ، فأثنىٰ عليهم خيراً ، ثم قال : « **مَا بَالُ أَقْوَام لاَ يُعَلِّمُونَ جِيرَانَهُمْ وَلاَ يُفَقِّهُونَهُمْ وَلاَ يُفَطِّنُونَهُمْ وَلاَ يَأْمُرُونَهُمْ وَلاَ يَنْهَوْنَهُم ؟!**(١) **وَمَا بَالُ أَقْوَام لاَ يَتعَلَّمُونَ مِنْ جِيرَانِهِمْ وَلاَ يَتَفَقَّهُونَ وَلاَ يَتَفَطَّنُونَ ؟! وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَيُعَلِّمُنَّ جِيرَانَهُمْ وَلَيُفَقِّهُنَّهُمْ وَلَيُفَطِّنُنَّهُمْ وَلَيَأْمُرُنَّهُمْ وَلَيَنْهَوُنَّهُمْ ، وَلَيَتَعَلَّمَنَّ قَوْمٌ مِنْ جِيرَانِهِمْ وَلَيَتَفَقَّهُنَّ وَلَيَتَفَطَّنُنَّ أَوْ لأُعَاجِلَنَّهُمْ بِٱلْعُقُوبَةِ فِي دَارِ ٱلدُّنْيَا** » ، ثُمَّ نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيتَهُ

فقال أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم مَنْ يعني بهـٰذا الكلام ؟ قالوا : ما نعلمُ يعني بهـٰذا الكلام إلا الأشعريِّين ؛ إنَّهم فقهاءُ علماءُ ، ولهم جيرانٌ مِنْ أهل المياه جفاةٌ جهلة(٢) ، فاجتمع جماعةٌ مِنَ الأشعريين ، فدخلوا على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ذكرتَ طوائفَ مِنَ المسلمين بخيرٍ ، وذكرتنا بشرٍّ ! فما بالُنا ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لَتُعَلِّمُنَّ جِيرَانَكُمْ وَلَتُفَقِّهُنَّهُمْ وَلَتُفَطِّنُنَّهُمْ وَلَتَأْمُرُنَّهُمْ وَلَتَنْهَنَّهُمْ**(٣) **، أَوْ لأُعَاجِلَنَّكُمْ بِٱلْعُقُوبَةِ فِي ٱلدَّارِ ٱلدُّنْيَا** »

فقالوا : يا رسولَ الله ؛ أمَّا إذاً فأمهلْنا سنةً ، ففي سنةٍ ما نُعَلِّمُهُمْ ويتعلَّمُونَ ، فأمهلَهم سنةً ، ثم قرأَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « ﴿ لُعِنَ

---

(١) في (هـ) وحدها : (يعظونهم) بدل (يفطنونهم) .

(٢) في (ب ، و) : (حفاة) بدل (جفاة) .

(٣) في (ط) وحدها : (وَلَتَنْهَوُنَّهُمْ) ، فالمثبت من (ن ، هـ ، و) ، وكلاهما صحيح .

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ » [المائدة : ٧٨ـ ٧٩][1] .

فالأشعريُّون بالفقهِ في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم موصوفون ، وبالعلمِ عند الأعلام مِنَ الصحابة رضوان الله عليهم معروفون ، وأشهرُهم بالفقه والعلم في ذلك الزمن ، أبو موسى الأشعريُّ جدُّ الإمام أبي الحسن ، وكفاه بذلك عند العلماء شرفاً وفضلاً ، وما أسعدَ مَنْ كان أبو موسىٰ له سَلَفاً وأصلاً ! فالفضلُ مِنْ ذلك الوَجه أتاه ، وما ظَلَم مَنْ أشبَهَ أباه

فهٰذا بعضُ ما حضرني مِنْ فضل الأشعريِّينَ على العموم

* * *

(١) ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » كما في « مجمع الزوائد » (١/ ١٦٤) ، والمصنف في « تاريخه » (٣٢/ ٥٧) ، وانظر « الدر المنثور » (٣/ ١٢٥) ، وقال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » عند ترجمة أبزى الخزاعي رضي الله عنه (١/ ١٧٥) : (قال ابن السكن : ذكره البخاري في الوحدان ، رُوي عنه حديثٌ واحد إسناده صالح) ، ثم قال ردّاً علىٰ من نفىٰ صحبته وروايته : (قلت : وكلام ابن السكن يردُّ عليه ، والعمدةُ في ذلك على البخاري ؛ فإليه المنتهىٰ في ذلك) .

[طرفٌ من فضائل أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه]

فأمَّا ما وردَ في فضل أبي موسىٰ وولدِهِ خصوصاً مِنَ الفضلِ المعلوم . . فقد :

٧١ـ أخبرَنا الشيوخُ ؛ أبو يعقوبَ يوسفُ بن أيوب الهَمَذانيُّ بمروَ ، وأبو بكرٍ محمدُ بن الحسين الفرضيُّ ، وأبو منصورٍ عبدُ الرحمٰن بن محمد القَزَّازُ ، وأبو محمدٍ يحيى بنُ عليِّ بن محمدٍ مُدِيرُ الحُكم قالوا أخبرنا عبدُ الصمد بن علي بن محمد العباسيُّ ، أخبرنا عليُّ بن عمر بن أحمد الدَّارقطنيُّ ، حدثنا أحمدُ بن علي بن العلاء ، حدثنا يوسفُ بن موسىٰ ، وأحمدُ ابن محمد ابن أبي السَّفَر قالا أخبرنا أبو أسامةَ ، عن بُريد ، عن أبي بُردةَ ، عن أبي موسىٰ قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غَزاةٍ ونحن ستَّةُ نفرٍ[١] ، بيننا بعيرٌ نتعقَّبُهُ ـ وقال ابن أبي السَّفَر نعتَقِبُهُ[٢] ـ قال : فَنَقِبَتْ أقدامنا[٣] ، قال أبو موسىٰ : ونَقِبَتْ قدمايَ ، وتشقَّقَتْ أظفاري ، فكنَّا نَلفُّ علىٰ أرجلنا الخِرَقَ ، قال : فسُمِّيَتْ غزوةَ ذات الرقاع ؛ لِمَا كنَّا نلفُّ علىٰ أرجلنا مِنَ الخِرَقِ

---

(١) قال الحافظ في « فتح الباري » (٧/ ٤٢١) (لم أقف علىٰ أسمائهم ، وأظنُّهم من الأشعريِّين) .

(٢) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/ ٣٣٣) : (أي : نركبه عقبةً ؛ بأن يركب هـٰذا قليلاً ثم ينزل ، فيركب الآخر بالنوبة ، حتىٰ يأتي علىٰ آخرهم) .

(٣) قال الحافظ في « فتح الباري » (٧/ ٤٢١) : (أي : رقَّتْ ؛ يقال : نَقِبَ البعير : إذا رقَّ خفُّهُ) .

قال أبو بُردةَ فحدَّث أبو موسىٰ بهٰذا الحديث ثم كرهَ ذلك ، فقال ما كنتُ أصنعُ أن أذكرَ هٰذا الحديث ؟!

قال : كأنَّه كرهَ أن يفشيَ شيئاً مِنْ عملِهِ

وقال يوسفُ : كأنَّه كرهَ أن يكونَ شيءٌ مِنْ عمله أفشاهُ

قال وزادَ غيرُ بُريدٍ : واللهُ يُجزي به ، هٰذا لفظُ يوسفَ ؛ يعني ابنَ موسىٰ .

رواه البخاري ومسلم عن أبي كريب ، عن أبي أسامة[1]

٧٢ـ أخبرَنا أبو القاسم ابن الحصين ، أخبرنا أبو علي بن المُذهبِ ، أخبرنا أبو بكر بن مالك ، حدثنا عبدُ الله بن أحمد ، حدثني أَبي ، حدثنا رَوحٌ ، حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قال : حدَّثَ أبو بُردةَ بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه قال قال أبي : (**لو شهدْتَنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا[2] أصابَتْنا السماءُ حَسِبْتَ أنَّ ريحَنا ريحُ الضَّأْنِ ؛ إنَّما لِبَاسُنَا الصُّوفُ**)[3]

٧٣ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل الفُراويُّ الفقيهُ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن منصور بن خلف المغربيُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن عبد الله بن محمد الجَوْزَقيُّ ، أخبرنا أبو العباس الدَّغُوليُّ ، حدثنا محمدُ بن سليمان القيراطيُّ ، حدثنا أبو أسامةَ ، حدثنا بُريد بن عبد الله ، (ح)

قال الجَوْزَقِيُّ وأخبرنا أبو جعفرٍ محمدُ بن الحسن بن إسحاق

---

(١) صحيح البخاري (٤١٢٨) ، صحيح مسلم (١٨١٦) .

(٢) في (ط) : (إذ) .

(٣) ورواه أحمد في « مسنده » (٤/٤١٩) وسعيد : هو سعيد بن أبي عَروبة ، ورواه من غير طريق سعيدٍ أبو داود (٤٠٣٣) ، والترمذي (٢٤٧٩) ، وابن ماجه (٣٥٦٢) ، وقد قالوا : (**الصوفُ لباسُ الأنبياء ، وزيُّ الأولياء**)

الأصبَهانيُّ ، حدثنا أبو البَخْتَرِيِّ عبدُ الله بن محمد بن شاكر ، قال : حدثنا أبو أسامة ، حدثنا بُريد بن عبد الله بن أبي بُردةَ ، عن أبي بُردةَ ، عن أبي موسىٰ قال : لمَّا فرِغَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مِنْ حُنينٍ . . بعث أبا عامرٍ على الجيش إلىٰ أَوْطاسٍ ، فلقيَ دُريدَ بنَ الصِّمَّةِ ، فقتل اللهُ دُريداً[1] ، وهزمَ أصحابَهُ[2]

قال أبو موسىٰ وبعثني مع أبي عامرٍ ، قال : فرُميَ أبو عامر في ركبتِهِ ، رماه رجلٌ مِنْ بني جُشَم بسهمٍ فأثبته في ركبته ، فانتهيتُ إليه ، فقلت : يا عمِّ ؛ مَنْ رماكَ ؟ فأشار أبو عامرٍ إلىٰ أبي موسىٰ فقال إنَّ ذاك قاتلي ؛ يريد : ذاك الذي رماني ، فأتيتُهُ وجعلتُ أقول له : ألا تستحيي ؟ ألستَ عربيّاً ؟ فكفَّ ، فالتقيتُ أنا وهو ضربتين ، فضربته بالسيف فقتلتُهُ ، ثم رجعتُ إلىٰ أبي عامر فقلت : قد قتل اللهُ صاحبَكَ ، قال : فانزعْ هـٰذا السهمَ ، فنزعتُهُ ، فنزا منه الماءُ ، فقال : يا أخي ؛ انطلقْ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرئْهُ منِّي السلامَ ، وقل له : إنَّه يقول لك : استغفرْ لي .

قال : واستخلفني أبو عامرٍ على الناس ، قال : فمكثَ يسيراً ، ثم إنَّه مات ، فلمَّا رجعتُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم . . دخلتُ عليه وهو في بيتٍ علىٰ سرير مُرْمَلٍ وعليه فراشٌ قد أثَّرَ رمالُ السرير بظهرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وجَنْبَيْهِ ، فأخبرته بخبرنا وخبرِ أبي عامرٍ ، فقلتُ يقول لك استغفرْ لي ؛ فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بماءٍ فتوضَّأ ، ثم رفعَ يديه فقال « **ٱللَّهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ** » حتىٰ رأيتُ بياضَ إبطيه ، ثم قال : « **ٱللَّهُمَّ** ؛

---

(1) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/٤٠٧) : (قتله ربيعة بن رفيع بن وهبان بن ثعلبة السلمي فيما جزم به ابنُ إسحاق ، أو هو الزبير بن العوّام كما يشعرُ به حديثٌ عند البزار عن أنس بإسناد حسنٍ) .

(2) أي : أصحاب دريد .

ٱجْعَلْهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ[1] ـ أو : **مِنَ ٱلنَّاسِ** ـ » ، فقلتُ : ولي يا رسولَ اللهِ فاستغفرْ ، فقال لي[2] « **ٱللَّهُمَّ ؛ فَٱغْفِرْ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مُدْخَلاً كَرِيماً** »

قال أبو بردةَ : إحداهما لأبي عامر ، والأخرىٰ لأبي موسىٰ

رواه البخاريُّ ومسلم عن أبي كريب ، عن أبي أسامة[3]

وفي هٰذا الحديث بشارةٌ لأبي الحسن رحمه الله بدخوله في استغفار الرسول ؛ إذ فيه وفي غيره إشارةٌ إلىٰ ذلك لا تخفىٰ علىٰ ذوي العقول ، وقد :

٧٤ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم هبةُ الله بن محمد ابن الحصين ، أخبرنا أبو طالبٍ محمدُ بن محمد بن إبراهيم بن غَيْلانَ ، أخبرنا محمدُ بن عبد الله بن إبراهيم الشافعيُّ[4] ، حدثني أبو يحيى الزَّعْفَرانِيُّ جعفرُ بن محمد بن الحسن ،

---

(١) في (ط) : (ممن خلقت) .

(٢) كذا في (أ ، ب) ، وفي (و ، ط) : (فاستغفر لي ، فقال) ، وفي (هـ) : (فاستغفر ، فقال) ، المُرْمَل ـ وفي (أ) : (مُرَمَّل) ـ : المنسوج بشريط من ليف .

(٣) صحيح البخاري (٢٨٨٤ ، ٤٣٢٣) ، صحيح مسلم (٢٤٩٨) ، وقول أبي بردة موصول بالإسناد

(٤) جاء في هامش (هـ) حاشية : (محمدُ بن عبد الله بن إبراهيمَ بن عبد ربِّهِ بن موسى بن بيان ؛ أبو بكر البزاز المعروف بالشافعي ، قال الخطيب : كان ثقةً ثبتاً كثير الحديث ، حسن التصنيف ، جمع أبواباً وشيوخاً ، وكُتب عنه قديماً وحديثاً . ولما منعتِ الديلمُ ببغدادَ الناسَ أن يذكروا فضائلَ الصحابة ، وكتبت سبَّ السلف على المساجد . كان الشافعي هٰذا يتعمدُ في ذلك الوقت إملاءَ الفضائل في جامع المدينة ، وفي مسجده بباب الشام ، ويفعل ذلك حسبةً ويعده قربة . وسئل الدارقطني عنه فقال : أبو بكر جبليٌّ ثقةٌ مأمونٌ ، ما كان في ذلك الزمان أوثق منه ، ما رأيتُ له إلا أصولاً صحيحة متقنة ، قد ضبط سماعه فيها أحسن الضبط .

وحكى الخطيب : أنه ولدَ في أحد الجمادين سنة ستين ومئتين ، ومات في ذي الحجة سنة أربع وخمسين وثلاث مئة ، وقُبرَ قريباً من قبر أحمد بن حنبل . قال الخطيب : حَدَّثَنِي =

حدثنا الهيثمُ بن يَمان أبو بشر ، حدثنا إسماعيلُ بن زكريا ، عن مسعرٍ ، عن أبي بكر بن عمرو بن عتبةَ ، عن ابنٍ لحذيفةَ[1] ، عن حذيفةَ قال (**صلاةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تُدرِكُ الرجلَ، وَوَلَدَهُ، وَوَلَدَ وَلَدِهِ، وَلِعَقِبِهِ**)[2]

٧٥ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو القاسمِ ابن الحصين أيضاً ، أخبرنا أبو عليٍّ الحسنُ بن علي التميميُّ ، أخبرنا أحمدُ بن جعفر القَطِيعِيُّ ، حدثنا عبدُ الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني أَبي ، حدثنا وكيعٌ ، حدثنا أبو العُمَيس[3] ، عن أبي بكر بن عمرو بن عتبة ، عن ابنٍ لحذيفةَ ، عن أبيه **أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا لرجلٍ . . أصابَتْهُ وأصابَتْ ولدَهُ وولدَ ولدِهِ**[4]

٧٦ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو القاسم أيضاً ، أخبرنا أبو علي بن المُذهب ، أخبرنا أبو بكر بن مالك ، حدثنا عبدُ الله بن أحمد ، حدثني أَبي ، حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا مسعرٌ ، عن أبي بكر بن عمرو بن عتبةَ ، عن ابنِ حذيفةَ ـ قال مسعرٌ : وقد ذكره مرَّةً عن حذيفةَ ـ : **أنَّ صلاةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لَتدركُ الرجلَ وولدَهُ وولدَ ولدِهِ**[5]

= أبو القاسم الأزهريُّ أنه سمع أبا الحسن بن رزقويه لما حدَّث يقول : أدركتني دعوةُ أبي بكرٍ الشافعيِّ ؛ وذلك أنه دعا الله تعالىٰ بأن أبقىٰ حتىٰ أُحدِّثَ ، فاستجاب له فيَّ) انظر « تاريخ بغداد » (٣/ ٤٨٣) ، وقال الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٨/ ٧٦) : (و« الغيلانيات » هي أعلىٰ ما يُروىٰ في الدُّنيا من حديثه) .

(١) هو أبو عُبيدة ، وانظر « تعجيل المنفعة » للحافظ ابن حجر (٢/ ٥٧٧) .

(٢) ورواه أبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » (٦٣٣) ، وانظر تخريج حديث رقم (٧٥ ، ٧٦)

(٣) هو عتبة بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٩/ ٣٠٩) .

(٤) ورواه أحمد في « مسنده » (٥/ ٣٨٥) .

(٥) ورواه أحمد في « مسنده » (٥/ ٤٠٠) .

٧٧ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسمِ زاهرُ بن طاهر المُسْتَمْلِي ، أخبرنا أبو سعدٍ محمد بن عبد الرحمـٰن بن محمد الكَنْجَرُوذِيُّ ، أخبرنا أبو عمرٍو محمدُ بن أحمد بن حمدان الحيريُّ ، أخبرنا محمدُ بن أحمد بن عبد الله بن أبي عون الرَّاذانيُّ ، حدثنا جُبارةُ بن مُغَلِّس ، حدثنا قيسُ بن الربيع ، عن عمرِو بن مُرَّةَ ، عن سعيدِ بن جُبير ، عن ابن عباسٍ قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **إِنَّ ٱللهَ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ ٱلْمُؤْمِنِ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يُلْحِقَهُمْ بِهِ وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي ٱلْعَمَلِ ؛ لِيُقِرَّ بِهِمْ عَيْنَهُ** » ، ثم قرأ : « ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّـٰتِهِمْ . . . ﴾ [الطور : ٢١] » إلى آخر الآية[١]

رواه سفيانُ الثوري عن عمرو بن مرَّة ، فوقفَهُ

٧٨ـ أخبرَناه الشيخُ أبو عبد الله الفُراويُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ البيهقيُّ ، أخبرنا أبو عبدِ الله الحافظُ ، حدثنا محمدُ بن عليٍّ الصَّغَانِيُّ بمكَّةَ ، حدثنا إسحاقُ بن إبراهيم بن عَبَّاد ، أخبرنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا الثوريُّ ، عن عمرو بن مُرَّةَ ، عن سعيد بن جُبيرٍ ، عن ابن عباسٍ في قوله : ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّـٰتِهِمْ ﴾ ، قال : (إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يرفعُ ذريةَ المؤمنِ معه في درجته في الجنَّة وإن كانوا دونَهُ في العملِ) ، ثم قرأ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم ﴾ ، يقول : ما نقصناهم[٢]

---

(١) في (ط) : (ذريتهم) ، والمثبت قراءة سبعية قرأ بها نافع وأبو جعفر ، وانظر « البحر المحيط » (٩/ ٥٧١) ، ورواه أبو جعفر الطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (١٠٧٥) ، والواحدي في « التفسير الوسيط » (٤/ ١٨٦) ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ١١٤) : (رواه البزار ، وفيه قيس بن الربيع ، وثقه شعبة والثوري ، وفيه ضعف) .

(٢) ورواه الحاكم في « مستدركه » (٢/ ٤٦٨) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٢٦٨)، و« الاعتقاد » (١٣٩) .

قال البيهقيُّ : (ورواه محمدُ بن بشر ، عن الثوريِّ ، عن سَماعةَ ، عن عمرو بن مُرَّةَ)[1]

٧٩ـ وأخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن الفضل ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين ، أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاقَ ، أخبرنا أبو الحسنِ الطَّرائِفِيُّ ، حدثنا عثمانُ بن سعيد ، حدثنا عبدُ الله بن صالح ، عن معاويةَ بن صالح ، عن عليِّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباسٍ : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم : ٣٩] ، فأنزل الله سبحانه بعد هٰذا ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، فأدخل الله عزَّ وجلَّ الأبناءَ بصلاح الآباءِ الجنَّةَ[2]

٨٠ ـ أخبرَنا أبو القاسمِ عليُّ بن إبراهيم ، وأبو الحسنِ عليُّ بن أحمد بن منصورٍ قالا : حدثنا ـ وأبو منصور محمدُ بن عبد الملك ابن خَيرونَ قال : أخبرنا ـ أبو بكرٍ أحمدُ بن علي بن ثابت الخطيبُ ، أخبرنا محمدُ بن أحمد بن إبراهيم بن شاذي[3] ـ يعني أبا الحسن الهَمَذانيَّ في مسجد عبد الله بن المبارك بقطيعةِ الربيع ـ حدثنا أبو العباس الفضلُ بن الفضل بن العباس الكنديُّ بهَمَذانَ ، أخبرنا أبو يعلى الموصليُّ ، حدثنا عبدُ الرحمٰن بن سَلام ، حدثنا فُضيل بن عِياضٍ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ قال : (**إنَّ اللهَ ليصلحُ بصلاحِ العبد ولدَهُ وولدَ ولدِهِ**)[4]

---

(١) قاله في « الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد » في ذيل الحديث (١٣٩)

(٢) ورواه الطبري في « تفسيره » (٥٤٦/٢٢) ، والبيهقي في « الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد » (١٤٠) ، وأبو جعفر النحاس في « الناسخ والمنسوخ » (ص ٦٨٩) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص٤٧٠) ، و« الدر المنثور » (٦٦٢/٧) .

(٣) في (أ ، و ، ط) (شادي) ، والمثبت هو الصواب

(٤) ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٨٥/٣) ، والخطيب البغدادي في « تاريخه » (٢٨٩/١) .

٨١ ـ أخبرنا الشيخُ أبو سهلٍ محمدُ بن إبراهيم الأصبَهانيُّ ، أخبرنا عبدُ الرحمـٰن بن أحمد المقرئ ، أخبرنا جعفرُ بن عبد الله بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن هارون الرُّويانيُّ ، حدثنا العباسُ بن محمد ، حدثنا عثمانُ بن عمر ، حدثنا مالكُ بن مِغْوَلٍ ، عن ابنِ بُريدةَ ، عن بُريدةَ رضي الله عنه قال : خرجتُ ليلةً إلى المسجد ؛ فإذا النبيُّ صلى الله عليه وسلم قائمٌ عند باب المسجد ، وإذا رجلٌ في المسجد يصلي ، قال : فقال لي النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « **يَا بُرَيْدَةُ ؛ أَتُرَاهُ يُرَائِي ؟** » ، قال : قلتُ : الله ورسولُهُ أعلمُ ، قال : « **بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ** » ، قال : فصلَّىٰ ، ثم قعدَ يدعو ، فقال : اللهمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ أنِّي أشهدُ بأنَّكَ أنتَ اللهُ لا إلـٰه إلا أنتَ ، وحدَكَ لا شريكَ لكَ ، الأحدُ الفردُ الصمدُ ، الذي لم تلدْ ولم تولدْ ، ولم يكن لك كُفُواً أحدٌ[1] ، قال : فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « **يَا بُرَيْدَةُ ؛ وَٱللهِ ؛ لَقَدْ سَأَلَ ٱللهَ بِٱسْمِهِ ٱلأَعْظَمِ ٱلَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ** » ، وإذا الرجل أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه[2]

هـٰذا حديث حسنٌ صحيح ، وابنُ بُريدةَ هـٰذا : هو عبدُ الله بن بُريدة

٨٢ ـ أخبرنا الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل الفقيهُ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن منصور بن خلف ، أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن عبد الله بن محمد الجَوْزَقِيُّ ، أخبرنا أبو العباس الدَّغُوليُّ ، حدثنا محمدُ بن سليمان القيراطيُّ ، حدثنا أبو أسامةَ ، عن بُريد بن عبد الله ، (ح)

---

(١) وقع في (ط) وحدها : (لم يلدْ ، ولم يولدْ ، ولم يكن له كفواً أحد) .

(٢) ورواه أحمد في « مسنده » (٥/٣٤٩) ، وأبو داود (١٤٩٤) ، والترمذي (٣٤٧٥) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٦٥٢) مختصراً ، ورواه الروياني في « مسنده » (٢٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٣٦٦) ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/٣٥٩) : (ورجال أحمد رجال الصحيح) .

قال : وأخبرنا أبو بكر الجَوْزَقِيُّ[١] ، أخبرنا أبو جعفرٍ محمدُ بن الحسين بن إسحاق الأصبَهانيُّ ، حدثنا أبو البَخْتَرِيِّ عبدُ الله بن محمد بن شاكر ، حدثنا أبو أسامةَ ، حدثنا بُريدُ بن عبد الله ، عن أبي بُردةَ ، عن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال كنتُ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجِعْرَانَةِ[٢] بين مكّة والمدينة ، فأتىٰ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ أعرابيٌّ فقال : ألا تنجزُ لي يا محمدُ ما وعدتَني ؟ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « أَبْشِرْ » ، فقال الأعرابيُّ أكثرتَ عليَّ مِنَ البُشرىٰ ، فأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىٰ أبي موسىٰ كهيئة الغضبانِ فقال « إِنَّ هَـٰذَا قَدْ رَدَّ ، فَٱقْبَلَا أَنْتُمَا » ، فقالا : قبلنا يا رسولَ الله ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقدحٍ ، فغسل يدَهُ ووجهَهُ فيه ، ومجَّ فيه ، ثم قال « ٱشْرَبَا مِنْهُ ، وَأَفْرِغَا عَلَىٰ وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا ، وَأَبْشِرَا » ، فأخذا القدحَ ، ففعلا ما أمرَهما به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فنادَتْ أُمُّ سلمةَ مِنْ وراء الستر : أفضلا لأُمِّكُما ممَّا في إنائِكما ، فأفضلا لها طائفةً

---

(١) جاء في هامش (هـ) حاشية : (الجوزقيُّ هـٰذا : هو محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا بن الحسن أبو [. . .] الجوزقي الشيباني النيسابوري ، وجوزق التي نسب إليها : قرية بنيسابور ، ولهراة جوزق أخرىٰ إليها ينسب أبو الفضل إسحاق الحافظ الهروي الجوزقي نزيل سمرقند ، ذكر ذلك أبو سعد السمعاني في « أنسابه » .

وأبو بكر الجوزقي هـٰذا : هو صاحب كتاب « المتفق » ، وله كتاب « المتفق الكبير » في نحو ثلاث مئة جزء ، سمع الحديث بخراسان والري وهمذان والعراق ومكة ، توفي في شوال سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة ، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ، وصلىٰ عليه أبو الطيب الصعلوكي ، روى السمعاني بإسناده عنه أنه قال : أنفقتُ في الحديث مئة ألف درهمٍ ، ما كسبتُ به درهماً) انظر « الأنساب » (٣/٤٠٦) ، و« طبقات الفقهاء الشافعية » (١/٢٠٤) .

(٢) أو بكسر العين وتشديد الراء أيضاً كما نبَّهَ عليه الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/٤١٠) .

وسقط منه ذكرُ الرجل الآخر ؛ وهو بلالٌ .

وكذلك أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي كريب ، عن أبي أسامة[1] ، وله طرقٌ في « التاريخ »[2]

٨٣ ـ أخبرَنا الشيخُ أبو سهل بن سعدويه ، أخبرنا عبدُ الرحمـٰن بن أحمد ، أخبرنا جعفرُ بن عبد الله ، حدثنا محمدُ بن هارون ، حدثنا سلمةُ بن شبيب النيسابوريُّ ، حدثنا عبدُ الرزاق ، حدثنا ابن عيينةَ ، عن مالك بن مِغْوَلٍ ، عن ابنِ بُريدةَ ، عن أبيه قال سمع النبيُّ صلى الله عليه وسلم صوتَ أبي موسىٰ وهو يقرأُ ، فقال « لَقَدْ أُوتِيَ أَبُو مُوسَىٰ مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » ، قال : فحدثْتُ به أبا موسىٰ ، فقال : أنتَ الآنَ لي صديقٌ ، قال ثم قال أبو موسىٰ : لو علمتُ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يستمعُ قراءتي . . لحبَّرْتُها تحبيراً

أخرجه مسلم من حديث مالك بن مِغْوَلٍ[3]

٨٤ ـ أخبرَنا المشايخُ ؛ أبو سعدٍ إسماعيلُ بن أحمد بن عبد الملك الفقيهُ الكَرْمانِيُّ ببغدادَ ، وأبو القاسمِ زاهرُ بن طاهر ، وأبو بكرٍ محمدُ بن العباس بن أحمد الشَّقَّانِيُّ ، وأحمدُ بن سهل بن إبراهيم المسجديُّ ، وأبو عبد الله الحسينُ بن علي الدَّرْعَقِيلِيُّ ، وأبو نصرٍ محمدُ بن منصور بن أبي نصر الحُرْضِيُّ ، وأبو سعيدٍ مسعودُ بن أبي سعد بن أبي عبد الله الشَّعْرِيُّ ، وغيرُهم

---

(١) صحيح البخاري (١٨٨ ، ٤٣٢٨) ، صحيح مسلم (٢٤٩٧) ، وعندهما ذكر سيدنا بلال رضي الله عنه ، وفي (أ) : (وأفرغا منه . . .) .

(٢) انظر « تاريخ دمشق » للمصنف (٣٩/٣٢) وما بعده .

(٣) صحيح مسلم (٧٩٣) ، ورواه الروياني في « مسنده » (١٦) ، قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (٦/ ٨٠) : (قال العلماء : المراد بالمزمار هنا : الصوتُ الحسن ، وأصل الزمر الغناء ، وآل داود : هو داود نفسه ، وآل فلان قد يطلق علىٰ نفسه ، وكان داود صلى الله عليه وسلم حسنَ الصوت جداً) .

بنيسابورَ ، وأبو عمرو إسماعيلُ بن الحسين بن أبي عمرو سبط يعقوب الأديبُ النيسابوريُّ بمروَ قالوا أخبرنا أبو بكرٍ يعقوبُ بن أحمدَ الصيرفيُّ ، حدثنا أبو محمدٍ الحسنُ بن أحمد بن محمد المَخْلَدِيُّ ، أخبرنا أبو العباس محمدُ بن إسحاق السَّرَّاجُ ، حدثنا إسحاقُ بن إبراهيم الحنظليُّ ، أخبرنا عبدُ الرزاق ، حدثنا معمرٌ ، عن الزهريِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ قالت سمع النبيُّ صلى الله عليه وسلم قراءةَ أبي موسى الأشعريِّ وهو يقرأُ في المسجد[1] ، فقال : « **لَقَدْ أُوتِيَ هَـٰذَا مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ دَاوُدَ** »[2]

هـٰذا حديث حسن صحيح .

٨٥ ـ **أخبرَنا** الشيخ أبو القاسم هبةُ الله بن محمد بن عبد الواحد الشيبانيُّ ، أخبرنا أبو طالب محمدُ بن محمد بن إبراهيم بن غَيْلانَ الهَمَذانيُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن عبد الله بن إبراهيم الشافعيُّ ، حدثنا عبدُ الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أَبي ، حدثنا معتمرٌ ، عن أبيه ، عن أبي عثمان[3] قال (**ما سمعتُ مزماراً ولا طنبوراً ولا صَنجاً أحسنَ مِنْ صوت أبي موسى الأشعريِّ ؛ إن كان ليصلِّي بنا فنوَدُّ أنَّهُ قرأَ « البقرة » من حُسنِ صوتِهِ**)[4]

٨٦ ـ **أخبرَنا** الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيم الحسينيُّ ، أخبرنا أبو الحسينِ محمدُ بن عبد الرحمـٰن بن عثمان التميميُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ يوسفُ بن القاسم المَيانَجِيُّ ، (ح)

---

(١) في (ب) وحدها : (قول) بدل (قراءة) .

(٢) ورواه عبد الرزاق في « مصنفه » (٤١٧٧) ، وأحمد في « مسنده » (٦/ ٣٧) ، والنسائي (٢/ ١٨١) ، وفي « السنن الكبرىٰ » (١٠٩٥) ، والمصنف في « معجمه » (٣٤٠) .

(٣) هو عبد الرحمـٰن بن مُلٍّ ، أبو عثمان النَّهْدي .

(٤) ورواه أبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » (١٥٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٥٨) ، والمصنف في « تاريخه » (٣٢/ ٨٤) ، والطنبور : العود ذو الأوتار

وأخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن الفضل ، وأبو المظفر عبدُ المنعم بن عبد الكريم النيسابوريانِ قالا أخبرنا أبو سعدٍ محمدُ بن عبد الرحمـٰن بن محمد الجَنْزَرُوذِيُّ ، أخبرنا أبو عمرٍو محمدُ بن أحمد بن حمدانَ الحِيريُّ ، (ح)

وأخبرنا أبو عبد الله الحسينُ بن عبد الملك ، أخبرنا إبراهيمُ بن منصور السلميُّ ، أخبرنا أبو بكر بن المقرئ قالوا : حدثنا أبو يعلى الموصليُّ ، حدثنا محمدُ بن عَبَّاد المكيُّ ، حدثنا سفيانُ ، عن عمرٍو سمعَهُ من سعيد بن أبي بُردَة ، عن أبيه ، عن جدِّهِ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بعثَهُ ومعاذاً إلى اليمن ، فقال لهما « **بَشِّرَا وَيَسِّرَا ، وَعَلِّمَا وَلاَ تُنَفِّرَا** ـ وأُراه قال : ـ **وَتَطَاوَعَا** . . . » الحديثَ[1]

٨٧ ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم هبةُ الله بن محمد ابن الحصينِ ، أخبرنا أبو عليٍّ الحسنُ بن علي بن المُذهب ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن جعفر بن حمدانَ ، حدثنا عبدُ الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني أَبي ، حدثنا عبدُ الله بن نُمير ، عن طلحةَ بنِ يحيىٰ قال أخبرني أبو بُردةَ ، عن أبي موسىٰ رضي الله عنه : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً وأبا موسىٰ إلى اليمن ، وأمرَهُما أن يعلِّما الناسَ القرآنَ[2]

رواه غيرُهُ عن طلحةَ بنِ يحيىٰ فقال : عن أبي بُردةَ ، عن أبي موسىٰ

---

(١) ورواه البخاري (٤٣٤٤) ، ومسلم (١٧٣٣) ، وأبو يعلىٰ في « معجمه » (٦٧) واللفظ له ، وقوله : (وتطاوعا) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/ ٤١٩) : (أي : كونا متَّفقينِ في الحكم ، ولا تختلفا ؛ فإن اختلافكما يؤدِّي إلى اختلاف أتباعكما ، وحينئذٍ تقعُ العداوة والمحاربة بينهم) .

(٢) ورواه أحمد في « مسنده » (٤/ ٣٩٧) ، والحاكم في « مستدركه » (١/ ٥٦٧) وقال : (هـٰذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه هـٰكذا) ، ووافقه الذهبي .

ومعاذ ، حين بعثَهما إلى اليمن يعلِّمانِ الناسَ أمرَ دينِهم[1]

٨٨ ـ أخبرَنا الشيخُ أبو سهلٍ محمدُ بن إبراهيم المُزَكِّي ، أخبرنا أبو الفضل عبدُ الرحمـٰن بن أحمد بن الحسن الرازيُّ المقرئ ، حدثنا أبو القاسمِ جعفرُ بن عبد الله ابن فَنَّاكِيٍّ الرازيُّ ، حدثنا أبو بكرٍ محمدُ بن هارون الرُّويانيُّ ، حدثنا محمدُ بن معمر ، حدثنا محمدُ بن بكر البُرْسانيُّ ، حدثنا إياسُ بن دَغْفَلٍ ، حدثنا سَيَّارٌ أبو الحكم ، عن سعيدِ بن أبي بُردةَ ، عن أبي موسىٰ ـ أو : عن أبي بُردةَ ، عن أبي موسىٰ ـ رضي الله عنه قال : أوصانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بعثَنا إلى اليمن أنا ومعاذاً نعلِّمُهُم السنَّةَ ؛ قال : فأوصانا حين أردنا نتوجَّهُ قال « **بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا** » ، أو « **يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا** . . . » في حديثٍ ذكره[2]

٨٩ ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمد بن السمرقنديِّ ، أخبرنا أبو محمدٍ أحمدُ بن علي بن الحسن بن أبي عثمانَ[3] ، وأبو طاهرٍ أحمدُ بن محمد بن إبراهيم القَصَّاريُّ ، (ح)

وأخبرنا الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن أحمد بن القَصَّاريِّ ، أخبرنا أَبي قالا : أخبرنا أبو القاسم إسماعيلُ بن الحسن بن عبد الله الصَّرْصَرِيُّ ، حدثنا الحسينُ بن إسماعيل المَحامِلِيُّ ، حدثنا الحسنُ بن محمد بن الصَّبَّاح ، حدثنا محمدُ بن عُبيد ، حدثنا الأعمشُ ، عن عمرِو بن مُرَّةَ ، عن أبي البَخْتَرِيِّ قال : أتينا عليّاً رضي الله عنه ، فسألناهُ عن أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، قال : عن أيِّهم ؟

---

(١) رواه الدارقطني في « سننه » (١٩٢١) ، والحاكم في « مستدركه » (١/ ٤٠١) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٤/ ١٢٥) ، من طريق سفيان الثوري عن طلحة .

(٢) ورواه مسلم (١٧٣٢) ، والروياني في « مسنده » (٤٩٩) واللفظ له ، وفي (أ) : (معاذٌ) .

(٣) وقع في (ط) وحدها : (أخبرنا محمد بن أحمد بن علي . . .) ، والمثبت هو الصواب .

قلنا : عن عبد الله ، قال : علم القرآن والسُّنة ، ثم انتهىٰ وكفىٰ به علماً

قلنا : أبو موسىٰ ، قال : صُبغَ في العِلم صبغةً ، ثم خرجَ منه

قلنا حذيفةُ ، قال أعلمُ أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم بالمنافقين

قلنا : عمارٌ ، قال : مؤمنٌ نَسِيٌّ ؛ إن ذكَّرتَهُ ذكرَ

قال[1] : أبو ذرٍّ ، قال : وَعَىٰ علماً ، ثم عجزَ فيه

قلنا سلمانُ ، قال : أدرك العلمَ الأول والآخر ، بحرٌ لا يُدرَكُ قعرُهُ ، منَّا أهلَ البيت .

قلنا : أخبرنا عن نفسك يا أميرَ المؤمنين ، قال : كنتُ إذا سألتُ أُعطيتُ ، وإذا سَكَتُّ ابتُدِئتُ[2]

٩٠ـ أخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين الحافظُ ، أخبرنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا الحسنُ بن محمد بن إسحاق[3] ، أخبرنا محمدُ بن أحمد بن البراء قال : سمعتُ عليَّ بن عبد الله المدينيَّ يقول (كان يُقال قضاةُ هٰذه الأمَّة أربعةٌ عمرُ بن

---

(١) كذا في جميع النسخ ، ولعل القائل أبو البختري .

(٢) ورواه ابن سعد في « الطبقات الكبرىٰ » (٢/ ٣٤٦) ، والفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٢/ ٥٤٠) ، والبيهقي في « المدخل » (١٠٣) ، والمصنف في « تاريخه » (٣٢/ ٦١) ، وفي (ط) : (انتدبت) بدل (ابتُدِئت) ، وقوله : (كنت إذا سألت . . .) يعني : عن العلم ، فقد روى ابن سعد في « طبقاته » (٢/ ٣٣٨) عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب أنه قيل لعليٍّ : ما لك أكثرَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً ؟ فقال : إنِّي كنتُ إذا سألته أنبأني ، وإذا سكتُّ ابتدأني

(٣) في (ط) وحدها : (الحسين) بدل (الحسن) ، والصواب ما أثبت .

الخطاب ، وعليُّ بن أبي طالب ، وزيدُ بن ثابت ، وأبو موسى الأشعريُّ ، رضي الله عنهم)[1]

قال عليٌّ[2] : **(وكان الفُتيا في أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في ستةٍ : عمرَ ، وعليٍّ ، وعبدِ الله ، وزيدٍ ، وأبي موسىٰ ، وأُبيٍّ بن كعبٍ ، رضي الله عنهم)**[3]

٩١ـ أخبرَنا الشيخُ أبو المعالي محمدُ بن إسماعيل الفارسيُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين البيهقيُّ ، حدثنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثني عليُّ بن حَمْشاذَ ، حدثنا عليُّ بن عبد العزيز ، حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا الحسنُ بن صالح ، عن مطرفٍ ، عن الشعبيِّ ، عن مسروقٍ قال **(كان أصحابُ القضاء من أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ستَّةً عمرُ ، وعليٌّ ، وعبدُ الله ، وأُبيٌّ ، وزيدٌ ، وأبو موسىٰ ، رضي الله عنهم)**[4]

٩٢ـ أخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو عبد الله يحيى بنُ الحسن بن أحمد بن البنَّاء ، وأبو القاسم بن السمرقنديِّ قالا أخبرنا أبو محمدٍ عبدُ الله بن محمد الخطيبُ ، أخبرنا أبو حفصٍ عمرُ بن إبراهيم بن أحمد بن كثير الكتانيُّ[5] ، حدثنا عبدُ الله بن محمد بن عبد العزيز ، حدثنا أبو خَيْثَمَةَ ، حدثنا عَبَّاد بن

---

(١) انظر « العلل » لابن المديني (ص ٤٠) .

(٢) يعني : ابنَ المدينيِّ راوي الخبر ، وهو من تمام قوله .

(٣) انظر « العلل » لابن المديني (ص ٤١) ، ورواه ابن سعد في « طبقاته » (٢/ ٣٥١) من قول الشعبي ، والمصنف في « تاريخه » (٣٢/ ٦٥) من عدَّة طرق .

(٤) ورواه ابن سعد في « طبقاته » (٢/ ٣٥١) ، والحاكم في « مستدركه » (٣/ ٣٠٢) ، والبيهقي في « المدخل » (١٤٨) ، قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٣١٢) : (رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح)

(٥) في (هـ) وحدها : (الكناني) ، والمثبت هو الصواب

العوام ، عن الشيبانيِّ ـ يعني أبا إسحاقَ سليمانَ بن فيروز ـ عن الشعبيِّ قال (**كان يُؤخذُ العِلمُ عن ستةٍ مِنْ أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فكان عمرُ وعبدُ الله وزيدٌ يشبهُ علمُهم بعضِهم بعضاً**[1] ، **وكانَ يقتبس بعضُهم مِنْ بعضٍ ، وكان عليٌّ وأُبيٌّ والأشعريُّ يشبهُ علمُهم بعضِهم بعضاً ، وكان يقتبسُ بعضُهم مِنْ بعضٍ**)

قال : فقلت له : وكان الأشعريُّ إلىٰ هـٰؤلاء ؟ قال : **كان أحدَ الفقهاء**[2] .

٩٣ـ أخبرَنا الشيخ أبو علي الحسنُ بن أحمد بن الحسن المقرئ في كتابه إليَّ من أصبهانَ ، وحدثني الشيخ أبو مسعود عبدُ الرحيم بن علي بن حَمْدٍ المعدَّلُ بأصبهانَ عنه ، أخبرنا أبو نُعيم أحمدُ بن عبد الله بن أحمدَ الحافظُ ، حدثنا محمدُ بن أحمدَ بن الحسنِ ، حدثنا محمدُ بن عثمانَ بن أبي شيبةَ ، حدثنا سعيدُ بن عمرٍو ـ وهو الأشعثيُّ ـ ، حدثنا حاتمُ بن إسماعيلَ ، عن أسامةَ بن زيدٍ ، عن صفوانَ بن سُليم قال : (**لم يكن يُفتي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم زمنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرُ هـٰؤلاءِ القوم : عمرُ ، وعليٌّ ، ومعاذٌ ، وأبو موسىٰ ، رضي الله عنهم**)[3]

٩٤ـ أخبرَنا الشيوخُ ؛ أبو الفضلِ محمدُ بن إسماعيل بن الفضيل الفُضَيْلِيُّ ، وأبو المحاسنِ أسعدُ بن علي بن الموفق بن زياد الحنفيُّ ، وأبو الوقتِ عبدُ الأوَّلِ بن عيسى بنِ شعيب السِّجْزِيُّ ، وأبو بكرٍ أحمدُ بن يحيى بن الحسن الأذرنجانيُّ[4] بهَرَاةَ ؛ قالوا : أخبرنا أبو الحسن

---

(١) في (هـ) وحدها : (علم) بدل (علمهم) ، وكذا في الموضع الآتي .

(٢) ورواه الحاكم في « مستدركه » (٣/ ٤٢٨) ، والمصنف في « تاريخه » (٣٢/ ٦٤) .

(٣) ورواه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٤٤٣٦) ، والمصنف في « تاريخه » (٣٢/ ٦٦)

(٤) كذا في جميع النسخ غير (ط) ، ففيها : (الأذربيجاني) ، والصواب المثبت ، وكذا وردت=

عبدُ الرحمـٰن بن محمد بن المظفر الدَّاوُدِيُّ ببُوشَنْجَ ، أخبرنا أبو محمدٍ عبدُ الله بن أحمد بن حمويه السَّرَخْسِيُّ ، أخبرنا أبو عمرانَ عيسى بنُ عمر بن العباس السمرقنديُّ ، أخبرنا أبو محمدٍ عبدُ الله بن عبد الرحمـٰن الدَّارِميُّ ، حدثنا عُبيد بن يَعيشَ ، حدثنا يونسُ ، عن صالحِ بن رُستم المزنيِّ ، عن الحسن ، عن أبي موسىٰ أنَّه قال حين قدِم البصرةَ : (**بعثني إليكم عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه أُعلِّمكم كتابَ ربِّكم ، وسنَّةَ نبيِّكم صلى الله عليه وسلم ، وأُنَظِّفُ طُرُقَكم**)[1]

٩٥ـ قرأتُ[2] على الشيخ أبي غالبٍ أحمدَ بن الحسن المقرئ ، عن أبي إسحاقَ إبراهيمَ بن عمر البرمكيِّ ، أخبرنا أبو عمرَ محمدُ بن العباس الخَزَّازُ ، أخبرنا أبو الحسنِ أحمدُ بن معروف الخَشَّابُ ، حدثنا الحسينُ بن الفهم ، حدثنا محمدُ بن سعد ، أخبرنا عارمُ بن الفضل ، حدثنا حماد بن زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن محمد قال : قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه **بالشامِ أربعون رجلاً ، ما منهم رجلٌ كانَ يلي أمرَ الأمَّة إلا أجزأَهُ** ، فأرسلَ إليهم ، فجاء رَهطٌ منهم فيهم أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه ، فقال : إنِّي أَرسلتُ إليكم ؛ لأرسلَكَ إلىٰ قومٍ عَسْكَرَ الشيطانُ بين أظهرِهم[3] ، قال : فلا

= النسبة في « معجم الشيوخ » للمصنف (١/ ١٣٣) ، وزاد: (المعدل الهروي). وهراة : بلدة كبيرة تقع اليوم في جمهورية أفغانستان .

(١) ورواه الدارمي في « سننه » (٥٦٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ٢٥٧) ، والمصنف في « تاريخه » (٣٢/ ٦٩) ، قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٥/ ٢١٣) : (رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح)

(٢) وفي هامش (ب) : (وممَّا ألحقه الإمام بهاء الدين ـ يعني ابن المصنف ـ : وحدثنا عمي ، أخبرنا أبو يوسف ، أخبرنا البرمكي ، « ح » وأخبرنا الجوهري قراءة علىٰ أبي عمر) .

(٣) في (أ ، هـ) : (لأرسلكم) بدل (لأرسلك) ، والمثبت موافق للمصادر .

ترسلْني ، فقال إنَّ بها جهاداً ، وإنَّ بها رباطاً ، قال فأرسلَهُ إلى البصرة[1]

٩٦ـ أخبرَنا الشيخ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل الفقيهُ قال أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن الحسين البيهقيُّ ، (ح)

وأخبرنا أبو القاسم بن السمرقنديِّ ، أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن هبة الله الطبريُّ قالا أخبرنا محمدُ بن الحسين بن الفضل ببغدادَ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفرٍ ، حدثنا يعقوبُ بن سفيان ، حدثني سعيدُ بن أسد ، حدثنا ضَمرةُ ، عن ابن شَوْذَبٍ ، عن الحسن قال : بعث عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه إلىٰ أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه وهو بالشام ، فقَدِمَ عليه ، فلمَّا قدم عليه . . قال له إنِّي إنَّما بعثتُ إليك لخيرٍ ، لتُؤثِرَ حاجتي علىٰ حاجتك ؛ أما حاجتُكَ . . فالجهادُ في سبيل الله ، وأمَّا حاجتي . . فأبعثُكَ إلى البصرةِ فتعلِّمُهم كتابَ ربِّهم وسنَّةَ نبيِّهم ، وتجاهدُ بهم عدوَّهم ، وتقسمُ بينهم فيئَهم .

قال الحسنُ رحمه الله ففعلَ والله ؛ لقد علَّمَهم كتابَ ربِّهم وسنَّةَ نبيِّهم ، وجاهدَ بهم عدوَّهم ، وقسمَ بينهم فيئَهم ، فواللهِ ؛ ما قدِمَ عليهم راكبٌ كان خيراً لهم من أبي موسى الأشعريِّ

قال ابنُ شَوْذَبٍ : كان إذا صلَّى الصبحَ . . أمرَ الناس ، فثبتوا في مجالسِهم ، ثم استقبلَ الصفوفَ رَجُلاً رَجُلاً يُقرِّئُهُ القرآن ، حتىٰ يأتيَ على الصفوف

قال ابنُ شَوْذَبٍ : ودخل علىٰ جَمَلٍ أورَقَ ، وخرجَ عليه حين عُزِلَ[2]

---

(١) ورواه ابن سعد في « طبقاته » (٤/ ١٠٩) ، والمصنف في « تاريخه » (٣٢/ ٦٦) ، وكان أهلُ البصرة أهلَ ترفٍ ، فرماهم الفاروقُ بأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما ؛ لما عرف عنه من زهده وتبتُّله وصومه وإعراضه عن متاع الدنيا .

(٢) ورواه المصنف في « تاريخه » (٣٢/ ٦٧)

٩٧ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمد ، أخبرنا أبو القاسم عليُّ بن أحمد بن البُسْرِيِّ ، وأبو محمدٍ أحمدُ بن علي بن الحسن الهَمَذانيُّ[١] ، وأبو طاهرٍ أحمدُ بن محمد بن إبراهيم الخوارزميُّ ببغدادَ ، (ح)

وأخبرنا الشيخُ أبو عبدِ الله محمدُ بن أبي طاهر القَصَّارِيُّ قال : أخبرنا أبي ؛ قالوا أخبرنا إسماعيلُ بن الحسن بن عبد الله الصَرْصَرِيُّ ، حدثنا أبو عيسىٰ أحمدُ بن إسحاق بن عبد الله الأنماطيُّ إملاءً ، حدثنا العباسُ بن عبد الله ـ يعني التَّرْقُفِيَّ ـ ، حدثنا محمدُ بن كثير ، عن أبي المعلَّى البيروتيِّ ، عن ابن حَلْبَسٍ ـ وهو يونسُ بن ميسرة ـ ، عن أبي إدريسَ عائذِ الله قال : صام أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه حتىٰ عادَ كأنَّهُ خِلالٌ .

قال : قيل له : يا أبا موسىٰ ؛ لو أَجمَمتَ نفسَكَ ! قال إجمامَهَا أُريدُ ؛ إنِّي رأيتُ السابقَ من الخيلِ المُضمَّرَ[٢]

اسم أبي المعلَّىٰ : صخرُ بن جَندل ، ويقال : ابن جندلة

٩٨ـ أخبرَنا الشيخُ أبو غالبٍ أحمدُ بن الحسن الحريريُّ ، أخبرنا أبو محمدٍ الحسنُ بن علي الجوهريُّ ، أخبرنا محمدُ بن العباس بن حيويه ، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا الحسينُ بن الحسن بن حرب المروزيُّ ، أخبرنا عبدُ الله بن المبارك ، أخبرنا حمَّادُ بن سلمةَ ، عن واصلٍ مولىٰ أبي عيينةَ ، عن لَقيطٍ أبي المغيرةِ ، عن أبي بُردةَ أنَّ أبا موسى الأشعريَّ كان في سفينةٍ في البحرِ مرفوعٍ شراعُها ، فإذا رجلٌ يقول (يا أهلَ السفينةِ ؛

---

(١) في (و) : (الهَمْداني) .

(٢) ورواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (١٥١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠١٨٦) ، والمصنف في « تاريخه » (٣٢/ ٨٩) ، والخِلال : العود الدقيق الذي يخلل به الثوب أو الأسنان .

قفوا) سبعَ مراتٍ ، فقلنا : ألا ترىٰ علىٰ أيِّ حالٍ نحن ؟!

فقال في السابعة قفوا أخبرْكم بقضاءٍ قضاهُ اللهُ علىٰ نفسِهِ ؛ إنَّ الله قضىٰ علىٰ نفسه أنَّه مَنْ عَطَّشَ نفسَهُ في يومٍ حارٍّ من أيام الدنيا شديدِ الحرِّ . كان حقيقاً على الله أن يُرْوِيَهُ يومَ القيامة .

فكان أبو موسى الأشعريُّ يَتتبَّعُ اليومَ المعْمَعانيَّ الشديدَ الحرِّ فيصومُهُ[1]

٩٩ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الله محمدُ بن الفضل الفُراويُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين الحافظُ ، أخبرنا أبو عبدِ الله الحافظُ ، وأبو محمدٍ عبدُ الرحمـٰن بن أحمد بن إبراهيم بن المقرئ ، ومحمدُ بن أبي الفوارس قالوا حدثنا أبو العباسِ محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا بكَّارُ بن قتيبةَ ، حدثنا رَوْحُ بن عُبادةَ ، حدثنا هشامٌ ، عن واصلٍ مولىٰ أبي عيينةَ ، عن لَقيطٍ ، عن أبي بُردةَ ، عن أبي موسى الأشعريِّ قال : غزونا غزوةً في البحرِ نحوَ الروم ، فسرنا حتىٰ إذا كنَّا في لُجَّةِ البحر وطابَتْ لنا الريحُ فرفعنا الشراعَ . . إذ سمعنا منادياً ينادي : يا أهلَ السفينةِ ؛ قفوا أخبرْكم ، قال : فقُمتُ فنظرتُ يميناً وشمالاً ، فلم أرَ شيئاً ، حتىٰ نادىٰ سبعَ مِرارٍ[2] ، فقلت : مَنْ هـٰذا ؟ ألا ترىٰ علىٰ أيِّ حالٍ نحن ؛ أنَّا لا نستطيعُ أن نحبسَ ؟![3] ، قال : ألا أخبركم بقضاءٍ قضاهُ الله علىٰ نفسِهِ ؟

قال : قلتُ : بلىٰ ، قال : فإنَّهُ مَن عَطَّشَ نفسَهُ لله عزَّ وجلَّ في الدنيا في يومٍ حارٍّ . . كان على الله أن يُرْوِيَهُ يومَ القيامة .

---

(١) ورواه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٠٩) ، والمصنف في « تاريخه » (٣٢/٨٨) ، والمعمعانُ : شدَّة الحرِّ

(٢) في (هـ ، ط) : (مرات) .

(٣) في (ط) وحدها : (نجلس)

قال فكان أبو موسىٰ رضي الله عنه لا تكادُ تلقاهُ إلا صائماً في يومٍ حارٍّ[1]

١٠٠ـ أخبرنا الشيخُ أبو القاسمِ زاهرُ بن طاهر المُعدَّلُ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين الحافظُ ، أخبرنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو عبدِ الله محمدُ بن عبد الله الصفَّارُ ، حدثنا أبو بكر بنُ أبي الدنيا ، حدثني محمد بن الحسين ، حدثنا زيد بن الحُباب ، حدثنا صالحُ بن موسى الطَّلْحِيُّ ، عن أبيه قال : اجتهدَ الأشعريُّ قبل موته اجتهاداً شديداً ، فقيل له : لو أمسكتَ ورفقتَ بنفسِكَ بعضَ الرفق ، فقال إنَّ الخيلَ إذا أُرسلَتْ فقاربَتْ رأسَ مُجراها . . أخرجَتْ جميعَ ما عندها ، والذي بقيَ من أجَلي أقلُّ من ذلك .

قال : فلم يزلْ علىٰ ذلك حتىٰ ماتَ رضي الله عنه[2]

فهـٰذا ما تيسَّرَ ذكرُهُ من فضلِ أبي موسىٰ رضي الله عنه

* * *

---

(١) ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ٢٦٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٦٣٦) ، والمصنف في « تاريخه » (٨٦/٣٢) ، وعند ابن أبي الدنيا في « هواتف الجِنَّان » (١٣) أن هـٰذا الصوت سُمعَ ولم يُرَ شخصُهُ كما هنا .

(٢) ورواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (١٥٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠١٨٧) ، والمصنف في « تاريخه » (٨٩/٣٢)

[طرفٌ مِن فضائل أبي بُردةَ الأشعريِّ]

وأمّا ذكرُ ابنِهِ أبي بُردةَ ، واسمِهِ وفضلِهِ[1] . . فمنه ما :

١٠١ـ أخبرَنا الشيخانِ ؛ عليُّ بن هبة الله بن عبد السلام الكاتبُ البغداديُّ ، وأبو القاسم بن السمرقنديِّ قالا : أخبرنا أبو محمد عبدُ الله بن محمد الصَّرِيفِينِيُّ ، أخبرنا عُبيدُ الله بن محمد بن إسحاق البزازُ ، حدثنا عبدُ الله بن محمد البغويُّ قال : اسمُ أبي بُردةَ : **عامرُ بن عبد الله بن قيس** .

قال ذلك محمودُ بن غَيْلانَ ، وحدثني أيضاً صالحُ بن أحمد ـ يعني : ابن حنبل ـ عن أبيه[2]

١٠٢ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله الفُراويُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ البيهقيُّ ، أخبرنا محمدُ بن إبراهيم ، أخبرنا إبراهيمُ بن عبد الله ، حدثنا محمدُ بن سليمان بن فارس ، حدثنا محمدُ بن إسماعيل البخاريُّ قال : (**عامرُ بن عبد الله بن قيس : هو أبو بُردةَ بنُ أبي موسى الأشعري**)

قال لي عمرُو بن علي ، عن أبي داودَ ، عن سليمان بن معاذ ، عن أبي إسحاقَ قال (**كان أبو بُردة بنُ أبي موسىٰ علىٰ قضاء الكوفة ، فعزله الحَجّاج ، وجعل أخاه مكانَهُ ، سمعَ أباه ، وعلياً ، وابنَ عمر**)

قال عليٌّ[3] : وسمعتُ سفيانَ يقول : قال عمرُ بن عبد العزيز لأبي بُردةَ :

---

(١) انظر الآثار الآتية وترجمة أبي بردة بتوسُّعٍ في « تاريخ دمشق » (٢٦/ ٤٣) .

(٢) ورواه ابن الجعد في « مسنده » (٥٣٨)

(٣) يعني : ابن المديني .

كم أتىٰ عليك ؟ قال : أشُدَّانِ ؛ يعني : ثمانين سنة[1]

١٠٣ـ وأخبرَنا أبو بكرٍ محمدُ بن العباس الشَّقَّانِيُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن منصور بن خلف القيروانيُّ ، أخبرنا أبو سعيدٍ محمدُ بن عبد الله بن حمدونَ[2] ، أخبرنا أبو حاتمٍ مكيُّ بن عبدانَ قال : سمعتُ أبا الحسين مسلمَ بن الحجَّاجِ القشيريَّ الحافظَ يقول : (**أبو بُردة بن أبي موسى الأشعري ؛ عامرُ بن عبد الله بن قيس ، سمع أباهُ وعليّاً ، روىٰ عنه الشعبيُّ وأبو إسحاقَ**)[3]

وأكثرُ الحفَّاظ اتفقوا علىٰ تسمية أبي بُردةَ عامراً ، وقال يحيى بن معين في اسمِهِ قولاً نادراً :

١٠٤ـ أخبرَناه الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل ، أخبرنا أحمدُ بن الحسين الحافظُ ، أخبرنا عبدُ الله بن يحيى بن عبد الجبار السُّكَّريُّ ببغدادَ ، أخبرنا أبو بكرٍ الشافعيُّ ، حدثنا جعفرُ بن محمد بن الأزهر ، حدثنا المفضلُ بن غسانَ الغَلاَّبِيُّ[4] ، عن يحيىٰ قال (**أبو بُردة بن أبي موسى ، اسمُهُ : الحارثُ**) !

وحكىٰ عباسُ بن محمد الدوريُّ ، عن يحيى بن معين أنَّه سمَّاهُ بالاسمين ، وأوردَ عباس ذكره في « تاريخه » في موضعينِ[5]

١٠٥ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو الفضل محمدُ بن إسماعيل الفُضَيْلِيُّ الهرويُّ ، أخبرنا أبو القاسمِ أحمدُ بن محمد بن محمد الخليليُّ ببلخَ ، أخبرنا أبو القاسمِ

---

(١) ورواه البخاري في « التاريخ الكبير » (٦/ ٤٤٧) ، والأشدَّان : تثنيةُ أَشُدٌّ ؛ قال تعالىٰ : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف : ١٥]

(٢) في (ط) وحدها : (حمدويه) ، والمثبت هو الصواب .

(٣) ورواه مسلم في « الكنىٰ والأسماء » (١/ ١٤٩)

(٤) في (و ، ط) : (العلاني) ، والمثبت هو الصواب .

(٥) انظر « تاريخ ابن معين » (٢/ ٢٠) ، (٣/ ٤) .

عليُّ بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعيُّ ، حدثنا أبو سعيدٍ الهيثمُ بن كليب الشَّاشِيُّ ، حدثنا أبو قِلابةَ عبدُ الملك بن محمد الرَّقَاشيُّ ، حدثني رجاءُ بن سلمة بن رجاء قال حدثني أَبي ، أخبرنا قيسُ بن الربيع ، عن أبي حَصينٍ[1] قال : (**لمَّا قدم الحَجَّاجُ العراقَ . استعملَ عبدَ الرحمـٰن بن أبي ليلىٰ على القضاء**) ، قال : (**ثم عزلَهُ واستعملَ أبا بردةَ بن أبي موسىٰ ، وأقعدَ معه سعيدَ بن جبير**)[2]

١٠٦ـ أخبرَنا الشيخُ أبو البركات عبدُ الوهَّاب بن المبارك الأنماطيُّ ، أخبرنا أبو الحسين المباركُ بن عبد الجبَّار بن أحمد ، أخبرنا أبو عبد الله الحسينُ بن جعفر بن محمد السَّلَمَاسِيُّ ، وابنُ عمِّهِ أبو نصرٍ محمدُ بن الحسن بن محمد ، (ح)

وأخبرنا الشيخُ أبو عبد الله الحسينُ بن محمد بن خسرو البلخيُّ ببغدادَ ، أخبرنا أبو المعالي ثابتُ بن بندار بن إبراهيمَ ، أخبرنا الحسينُ بن جعفر السَّلَمَاسِيُّ قالا أخبرنا الوليدُ بن بكر الأندلسيُّ ، حدثنا عليُّ بن أحمد بن زكريا الهاشميُّ ، حدثنا أبو مسلم صالحُ بن أحمد بن عبد الله بن صالح العجليُّ قال : قال أبي (**أبو بردةَ بن أبي موسى الأشعري ، كوفيٌّ ثقةٌ ، وكان علىٰ قضاء الكوفة ، وليَ بعد شريحٍ ، وكان كاتبُهُ سعيدَ بن جبير**)[3]

١٠٧ـ أخبرَنا الشيخُ أبو سهلٍ محمدُ بن إبراهيم بن محمد الأصبَهانيُّ ، أخبرنا أبو الفضل عبدُ الرحمـٰن بن أحمد بن الحسن الرازيُّ ، أخبرنا جعفرُ بن عبد الله بن يعقوب ، حدثنا محمدُ بن هارون الرُّويانيُّ ، أخبرنا أحمدُ بن

---

(١) واسمه : عثمان بن عاصم الأسدي .

(٢) ورواه وكيع في « أخبار القضاة » (٢/ ٤٠٧)

(٣) ورواه العجلي في « الثقات » (٢/ ٣٨٧) .

عبد الرحمـٰن ، حدثنا عمِّي ـ يعني : عبدَ الله بن وهب ـ قال : حدثني عبدُ الله بن عياش ، عن أبيه أنَّ يزيدَ بن المهلَّب لمَّا وليَ خراسانَ . . قال دلُّوني علىٰ رجلٍ كاملٍ لخصالِ الخير ، فدُلَّ علىٰ أبي بُردةَ بن أبي موسى الأشعري ، **فلمَّا جاءه . . رآهُ رجلاً فائقاً ، فلمَّا كلَّمه . . رأىٰ مَخبَرتَهُ أفضلَ من مَرْآتِهِ**[1]

قال إنِّي ولَّيتُكَ كذا وكذا من عملي ، فاستعفاهُ ، فأبىٰ أن يُعفيَهُ ، فقال أيُّها الأمير ؛ ألا أُخبرك بشيءٍ حدثنيه أَبي أنَّه سمعَهُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال هاتِه ، قال : إنَّه سمع النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول « **مَنْ تَوَلَّىٰ عَمَلاً وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ لِذَٰلِكَ ٱلْعَمِلِ بِأَهْلٍ . . فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ** » وأنا أشهدُ أيُّها الأميرُ أنِّي لستُ بأهلٍ لما دعوتَني إليه .

فقال له يزيدُ ما زدتَ علىٰ أن حرَّضتَني علىٰ نفسكَ ، ورغَّبتنا فيك ، فاخرجْ إلىٰ عهدِكَ ؛ فإنِّي غيرُ معفيك .

فخرج ، ثم أقام فيه ما شاءَ اللهُ أن يقيمَ ، فاستأذنَهُ بالقدوم عليه ، فأذنَ له ، فقال له أيُّها الأمير ؛ ألا أُحدِّثُكَ بشيء حدثنيه أَبي أنَّه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هاتِه ، قال : « **مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ ٱللهِ ، وَمَلْعُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ ٱللهِ ثُمَّ مَنَعَ سَائِلَهُ ، مَا لَمْ يَسْأَلْهُ هُجْراً** » ، وأنا أسألُكَ بوجهِ الله إلا ما أعفيتَني أيُّها الأمير من عملِكَ ، فأعفاهُ[2]

* * *

(١) المخبرة ـ بفتح الباء وضمها ـ : نقيضُ المَرْآة ، والمَرْآة : المنظر ، ومن المجاز : تخبرُ عن مجهوله مَرْآتُهُ

(٢) ورواه الروياني في « مسنده » (٤٩٥) ، وروى المرفوع وحده الطبرانيُّ في « الدعاء » (٢١١٢) ، والهُجْر : الخنا والقبيح من القول

لا يقال : قد سأل أبو بردة ما أباه ؛ وهو السؤالُ بوجه الله تعالىٰ ! لأن سؤاله كان خوفَ الفتنة ولطلبِ أمر أُخروي ، والمذمومُ من السؤال بوجهه سبحانه هو الأمر الفاني الدنيوي .

[طرفٌ من فضائل بلال بن أبي بُردةَ]

وأمَّا ابنُهُ بلالُ بن أبي بُردةَ[1]

١٠٨ـ فأخبرَنا الشيخُ أبو الفضل محمدُ بن ناصر بن محمد الحافظُ ببغدادَ ، أخبرنا القاضي أبو الفضل جعفرُ بنُ يحيى بن إبراهيم التميميُّ المكيُّ المعروفُ بالحكَّاكِ إجازةً ـ إن لم أكنْ سمعتُهُ منه ـ قال أخبرنا أبو نصرٍ عُبيدُ الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد الوائِليُّ السِّجِسْتانيُّ ، أخبرنا القاضي أبو الحسنِ الخصيبُ بن عبد الله بن محمد بن الخصيب ، أخبرني أبو موسىٰ عبدُ الكريم بن أحمد بن شعيب بن علي النسائيُّ ، أخبرني أبي أبو عبد الرحمـٰن النسائيُّ قال : (**أبو عمرو ؛ بلالُ بن أبي بُردةَ بن أبي موسى الأشعري**)

١٠٩ـ وأخبرَنا الشيخُ الفقيه أبو الفتح نصرُ الله بن محمد بن عبد القوي المِصِّيصِيُّ ، أخبرنا أبو الفتحِ نصرُ بن إبراهيم بن نصر المقدسيُّ الفقيهُ بصورَ ، أخبرنا أبو الفتحِ سُليم بن أيوبَ بن سُليم الرازيُّ الفقيهُ ، أخبرنا أبو نصرٍ طاهرُ بن محمد بن سليمان بن يوسف الموصليُّ بالموصل ، حدثنا أبو القاسمِ عليُّ بن إبراهيم بن أحمد الجوزيُّ ، حدثنا أبو زكريا يزيدُ بن محمد بن إياسٍ قال : سمعتُ القاضيَ محمدَ بن أحمد بن محمد بن أبي بكر المُقدَّميَّ يقول : (**بلالُ بن أبي بردةَ بن أبي موسى الأشعري ، يُكنىٰ أبا عبد الله ، وأبو بُردة اسمُهُ : عامرٌ**)[2]

---

(١) انظر الآثار الآتية وترجمته بتوسع في « تاريخ دمشق » (١٠/ ٥٠٧)

(٢) وحكاه أبو بكر المقدمي في « التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم » (٨٠٦) .

١١٠ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل الفقيهُ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين البيهقيُّ ، أخبرنا محمدُ بن إبراهيم الفارسيُّ ، أخبرنا إبراهيمُ بن عبد الله ، حدثنا محمدُ بن سليمان بن فارس ، حدثنا محمدُ بن إسماعيل البخاريُّ رحمه الله قال : (**بلالُ بن أبي بردةَ بن أبي موسى الأشعري ، قاضي البصرة ، سمع أباهُ ، روىٰ عنه قتادةُ ، وهو أخو سعيدِ بن عامر بن عبد الله بن قيس**)[١]

١١١ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمد بن السمرقنديِّ ، أخبرنا أبو الحسينِ أحمدُ بن محمد بن النَّقُّور ، والقاضي أبو منصورٍ عبدُ الباقي بن محمد بن غالب بن العطار قالا أخبرنا أبو طاهرٍ محمدُ بن عبد الرحمـٰن بن العباس المُخلِّصُ ، أخبرنا أبو محمد عُبيدُ الله بن عبد الرحمـٰن بن عيسى السُّكَّريُّ ، حدثنا أبو يعلىٰ زكريا بنُ يحيى المِنْقَرِيُّ ، حدثنا الأصمعيُّ ، حدثنا سلمةُ بن بلال ، عن مجالدٍ قال : (ثم وليَ العراقَ خالدُ بن عبد الله القسريُّ ، فكان علىٰ شرطتِهِ بواسطِ عمرُو بن عبد الأعلى الحكميُّ ، واستعملَ على الكوفة العُريانَ بن الهيثم ، واستعملَ على البصرةِ مالكَ بن المنذر بن الجارود العبديَّ ، ثم عزلَهُ واستعملَ بعده مِسْمَعَ بن مالك بن المنذر بن الجارود ، ثم عزلَهُ واستعملَ بعدَهُ[٢] بلالَ بن أبي بُردة ، فكان على الأحداثِ والصلاة والقضاء)[٣]

وكان بلالُ بن أبي بُردةَ شديداً علىٰ أهل الأهواء ، فأورثَ ذلك عقبَهُ ، فكان أبو الحسن وقَّافاً منهم على الأدواء ، كذلك :

---

(١) وحكاه البخاري في « التاريخ الكبير » (٢/ ١٠٩) .

(٢) أثبتت لفظة (بعده) من (ب) ، وسقطت من سائر النسخ .

(٣) ورواه المصنف في « تاريخه » (١٠/ ٥١٢) ، وأورده الحافظ المزي في « تهذيب الكمال » (٤/ ٢٦٨) ، وفي مطبوعه : (مجاهد) بدل (مجالد) ، وسقط بعض الخبر من (ط) .

١١٢ـ أخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل بن أحمد الفُراويُّ ، أخبرنا أبو الحسنِ عبدُ الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسيُّ ، أخبرنا أبو سليمانَ حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم الخطابيُّ البستيُّ ، أخبرني أحمدُ بن إبراهيم بن مالك ، حدثنا الدَّغُوليُّ ـ يعني : أبا العباس محمدَ بن عبد الرحمٰن السَّرَخْسيَّ ـ ، حدثنا المظفريُّ ـ يعني : محمد بن حاتم ـ قال : حدثنا أبو بهز بن أبي الخطاب السلميُّ قال : كان زُريعٌ أبو يزيدَ بنُ زريعٍ على عسسِ بلال بن أبي بردة ، قال : فقال له[١] بلغني أنَّ أهل الأهواء يجتمعون في المسجد ويتنازعون ، فاذهبْ فتعرَّفْ ذلك ، قال : فذهب ، ثم رجع إليه فقال : ما وجدتُ فيه إلا أهلَ العربية حَلَقةً حَلَقةً ، فقال : ألا جلستَ إليهم حتىٰ لا تقول : حَلَقةً حَلَقةً ![٢]

قال أبو سليمانَ الخطابيُّ[٣] : (وإنَّما هي الحَلْقةُ ؛ حَلْقةُ القوم ، وحَلْقةُ القُرط ونحوها ، أخبرني أبو عمر[٤] قال : أخبرنا ثعلبٌ ، عن عمرِو بن أبي عمرو الشيبانيِّ ، عن أبيه قال : لا أقول : « حَلَقة » إلا في جمعِ « حالِقٍ »)[٥]

---

(١) القائل : هو بلالُ بن أبي بردة كما يظهر من السياق ، ومن تلحينه لزريع الآتي .

(٢) أورده الحافظ المزي في « تهذيب الكمال » (٤/٢٦٨) ، ورواه المصنِّف في « تاريخه » (١٠/٥١٣) ، وكنية عبد الغافر في (أ) : (أبو الحسين) .

(٣) جاء في هامش (هـ) حاشية : (مات أبو سليمان الخطابي سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة ؛ وهو : حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الأديب البستي ، له تصانيف في فنون بديعة جليلة) انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/٤٦٧) .

(٤) في (أ ، ط) : (أبو عمرو) ، والمثبت هو الصواب .

(٥) ورواه الخطابي في « غريب الحديث » (١/٦٣) ، ونقل الحافظ الزبيدي في « تاج العروس » (ح ل ق) فقال : (قال أبو عبيد : أختار في حلقة الحديد فتح اللام ، ويجوز الجزم ، وأختار في حلقة القوم الجزم ، ويجوز التثقيل ، وقال أبو العباس : وأختار في حلقة الحديد وحلقة الناس التخفيف ، ويجوز فيهما التثقيل) .

١١٣ـ أخبرَنا الشيخُ أبو غالبٍ أحمدُ بن الحسن بن أحمد بن البنَّاء ، أخبرنا أبو محمدٍ الحسنُ بن عليٍّ الجوهريُّ ، أخبرنا أبو الفضل عبيدُ الله بن عبد الرحمٰن بن محمد الزهريُّ ، حدثنا جعفرُ بن أحمد بن محمد القافْلانيُّ[1] ، حدثنا إبراهيمُ بن الوليد الجَشَّاشُ أبو إسحاقَ ، حدثني سعدُ بن عبد الحميد ، حدثنا الحسنُ بن خالد البصريُّ ، حدثنا محمدُ بن ثابت قال جاء رجلٌ إلىٰ بلال بن أبي بُردةَ فسعىٰ برجلٍ[2] ، فقال لصاحبِ شرطتِهِ سلْ عنه ، فسألَ عنه ، فقال : أصلحَ الله الأميرَ ، إنَّه ليقالُ فيه ، فقال الله أكبرُ ! حدَّثني أبي ، عن جدِّي أبي موسىٰ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « لاَ يَسْعَىٰ بِٱلنَّاسِ إلاَّ وَلَدُ زِناً »[3]

فهٰذا ما حضرني مِنْ مناقب أبي موسىٰ وأولادِهِ ، وفي جميعِ ذلك فضيلةٌ للإمامِ أبي الحسن وافتخارٌ بأجدادِهِ .

* * *

---

(١) قال الحافظ ابن الأثير الجزري في « اللباب » (٣/ ٨) : (هٰذه النسبة إلىٰ حرفة عجمية ، وهو من يشتري السفن ويكسرها ويبيع خشبها وقِيرها وقفلها ؛ وهو حديدها) ، وبكسر الفاء : هو الذي يكثر الأسفار ويتتبع التجارات

(٢) وفي رواية في « تاريخ دمشق » (١٠/ ٥٠٨) بأنه ادَّعىٰ أن أهل الطفِّ لا يؤدُّون زكاةً .

(٣) ورواه أبو الفضل الزهري في « جزئه » (١٤٦) ، والمصنف في « تاريخه » (١٠/ ٥٠٨) ،وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٥/ ٢٣٣) : (رواه الطبراني ، وأبو الوليد القرشي مجهول ، وبقية رجاله ثقات) ، من وجه آخر عن بلال بن أبي بردة .

[عودٌ إلىٰ ذكرِ فضلِ شيخِ أهلِ السنَّةِ أبي الحسنِ الأشعريِّ]

فأمَّا ذكرُ فضلِهِ هو في نفسِهِ ، ممَّا شهدَ له به العلماءُ من أبناء جنسِهِ :

١١٤ـ فأخبرَنا الشيخُ أبو القاسمِ بن أبي العباس المالكيُّ ، أخبرنا جدِّي أبو محمد بن أبي نصر المقرئ قال : سمعتُ الحسنَ بن علي بن إبراهيم المقرئ[١] يقول سمعتُ أبا محمدٍ الحسنَ بن محمد العسكريَّ بالأهوازِ ـ وكان من المخلِصينَ في مذهبه ، المتقدِّمينَ في نصرته ؛ يعني مذهبَ الأشعريِّ ـ يقول : كان الأشعريُّ تلميذاً للجُبَّائيِّ ، يدرسُ عليه ، ويتعلَّمُ منه ، ويأخذُ عنه ، لا يفارقُهُ أربعينَ سنةً ، وكان صاحبَ نظر في المجالس ، وذا إقدامٍ على الخصوم ، ولم يكن من أهلِ التصنيف ؛ وكان إذا أخذ القلمَ يكتبُ ربَّما ينقطعُ ، وربما يأتي بالكلامِ غير مرضيٍّ[٢]

وكان أبو عليٍّ الجُبَّائيُّ صاحبَ تصنيف وقلمٍ ، إذا صنَّفَ يأتي بكلِّ ما أرادَ مستقصىً ، وإذا حضر المجالسَ وناظرَ لم يكن بمرضيٍّ ، وكان إذا دهمَهُ الحضورُ في المجالس يبعثُ الأشعريَّ ، ويقولُ له : نُبْ عنِّي ، ولم يزلْ علىٰ ذلك زماناً ، فلمَّا كان يوماً . . حضر الأشعريُّ نائباً عن الجُبائيِّ في بعض المجالس ، وناظرَهُ إنسانٌ ، فانقطعَ في يده ، وكان معه رجلٌ من العامَّةِ ، فنثرَ

---

(١) هو الأهوازي المفتري ، روىٰ هـٰذا الخبر في « مثالب ابن أبي بشر » وهو يظنُّ أنه يغضُّ من مقام الإمام الأشعري ، ولم يدرِ أنَّ هـٰذا الخبر بعينه دليلٌ علىٰ علم الأشعري وإنصافه ، ويظهر أن خصمه الذي سيُذكر في هـٰذا الخبر كان من أهل السنة .

(٢) في (ط) وحدها : (بكلام) بدل (بالكلام) ، والمثبتُ من سائر النسخ هو الروايةُ ، وانظر نصَّ الأهوازي (٧٥٢) .

عليه لوزاً وسكراً ، فقال له الأشعريُّ ما صنعتُ شيئاً ! خصمي استظهرَ عليَّ وأفلجَ الحجَّةَ ، وانقطعتُ في يديه ، كان هو أحقَّ بالنثارِ منِّي ! ثم إنَّهُ بعد ذلك أظهرَ التوبة[١] ، والانتقالَ عن مذهبه[٢]

هٰذه الحكايةُ تدلُّ علىٰ قوَّة أبي الحسن رحمه الله في المناظرة ، واطِّرَاحه فيها ما يستعملُهُ بعضُ المجادلين من المكابرة ، وتُنبئ عن وفور عقلِهِ وإنصافه ؛ لإقراره بظهور خصمِهِ واعترافه ، فأمَّا ما ذُكرَ فيها عنه من رداءة التصنيف ، وجمود خاطره عند الأخذ في التأليف . . فإنَّما أُريدَ بذلك حالتُهُ في الابتداء ، لا بعد ما منَّ اللهُ عليه به من الاهتداء ؛ فإنَّ تصانيفَهُ مستحسنةٌ مهذبة ، وتواليفه وعباراته مستجادةٌ مستصوبة ، وقد

١١٥ـ أخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو الحسنِ عليُّ بن أحمد بن منصور الفقيهُ ، وأبو منصورٍ محمدُ بن عبد الملك بن الحسن بن خيرونَ المقرئ ـ قال عليٌّ حدثنا ، وقال محمد أخبرنا ـ أبو بكرٍ أحمدُ بن علي بن ثابت الحافظُ قال ذكر أبو محمدٍ عليُّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسيُّ[٣] أنَّ أبا الحسن

---

(١) علَّقَ العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (ولم يكتفِ بالتوبة سرّاً ؛ لأن البدعيَّ إذا تاب يجب عليه إظهارُ توبته ، ولا تجزئه التوبة سرّاً ، كما هو المقرَّرُ عند أهل العلم) انتهىٰ

(٢) انظر (٧٥٢) والتي فيها ذكر رسالة « المثالب » ، وذكر هٰذه الحكاية الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٤٩) ، وقال : (وكان يُفتح عليه من المباحث والبراهين بما لم يسمعْهُ من شيخٍ قط ، ولا اعترضه به خصم ، ولا رآه في كتاب) .

(٣) علَّقَ العلامة الكوثري رحمه الله (لابن حزم تحاملٌ شديد على الأشعريَّة ، لا سيما على الباقلاني وابن فُورَك ، مع أنه لم يكن اطَّلعَ علىٰ كتب الأصحاب بالمغرب ، بل استغلَّ ما بلغَهُ فيهم من شياطين الحشوية ؛ الذين يختلقون في حقِّهم الإفكَ والزور ، وزاد هو توليداً وتهويلاً كما هو ديدنه ، وإن لم يكن هو من الحشوية في الصفات ، بل مع المعتزلة في المعنىٰ ، وكان الباقلانيُّ لا يَعُدُّ داودَ الظاهريَّ « إمامَ ابن حزم » في شيء من الفقه كما كان غيره يقول في حقِّهِ مثل ذلك في أصول الدين ، وهٰذا ممَّا يهيجُ ابنَ حزم ، ويزيده مرضاً إلىٰ مرضه) انتهىٰ =

الأشعريَّ له خمسةٌ وخمسون تصنيفاً[1]

وقد تركَ ابنُ حزمٍ من عددِ مصنفاتِهِ أكثرَ من مقدار النصف ! وذكرها أبو بكر بن فُورَكَ مسمَّاةً تزيد على الضِّعف ، وسيأتي إن شاءَ الله فيما بعدُ ذكرُ أسماء مصنفاتِهِ ، وعددُ ما اشتَهر عنه من مجموعاته ومؤلَّفاتِهِ[2]

وقد عدَّ بعضُ الجهلاء هـٰذه الحكاية من مثالبِهِ[3] ، وهي عند العقلاءِ من جملة مناقبِهِ

فأمَّا ما ذُكرَ فيها من طول مُقامِهِ علىٰ مذهب المعتزلة فممَّا لا يُفضي به رحمه الله إلى انحطاطِ المنزلة ، بل يقضي له في معرفةِ الأصول بعلوِّ المرتبة ، ويدلُّ عند ذوي البصائر له علىٰ سموِّ المنقبة ؛ لأنَّ مَنْ رجعَ عن مذهبٍ كان بعَوارِهِ أخبرَ ، وعلىٰ ردِّ شبهِ أهله وكشفِ تمويهاتهم أقدرَ ، وتبيينِ ما يُلبِّسونَ به

= وزيادة على قول العلامة الكوثري يمكن القول : كان العلامة ابن حزم جريئاً في التهجُّم علىٰ مخالفيه ؛ فقد قال العلامة اللَّبْليُّ في « فهرسته » (ص ٨٩) : (وقد اشتدَّ نكيرُ ابن حزم في كتابه « المحلَّىٰ » وغيره من كتبه على الأئمة المقتدىٰ بهم ؛ مالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم من علماء الشريعة في قولهم بالقياس ، ونسبَهم إلىٰ مخالفة أمر الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وسلم) .

وقال عنه العلامة اللَّبْليُّ أيضاً في « فهرسته » (ص ٨٣) وهي كلمةُ إنصاف منه : (وإن كان ابن حزم كثيراً ما يتقوَّلُ على الأشعريَّة وعلى غيرهم ، ويحكي عنهم ما لا يقولونه ، وينسب إليهم ما يتبرؤون منه وينكرونه ؛ لقصور معرفته لعلومهم ، وكونه غيرَ بصير بشيءٍ من كلامهم ؛ لأنه إنما قرأ كتبَهم وحدَهُ علىٰ ما ذكره الإمام أبو محمدٍ عبدُ الله بن طلحة في كتابه ممَّا توهم بعقله عليهم، قال : هـٰكذا أرادوا، وهـٰذا غيرُ سديد، وما ينبغي لأحدٍ أن يتكلَّم في مذهب أحدٍ حتىٰ يقرأ عليهم ، ويفسر له كلامهم ؛ فالعلوم غوامض ، لا ينبغي لأحدٍ أن يتجاسرَ عليها بعقله ، ولجهلِهِ بمذاهبِ القوم صدر منه ما صدر ، ولا يُشكُّ في أنَّ الرجل حافظٌ ، إلا أنه إذا شرع في تفقُّهِ ما يحفظه . . لم يوفَّق فيما يفهمه ؛ لأنه قائلٌ بجميع ما يهجسُ له) .

(١) ذكره الخطيب البغدادي في « تاريخه » (١١/٣٤٦) .

(٢) انظر ما سيأتي (ص ٢٧٩) .

(٣) أراد المفتري الأهوازي كما سبق التنبيه علىٰ ذلك .

لمن يهتدي باستبصارِهِ أبصرَ[١] ، فاستراحةُ مَنْ يعيِّرُهُ بذلك كاستراحةِ مُناظِرِ هارونَ بنِ موسى الأعورِ[٢] ، فيما

١١٦ـ أخبرَنا الشيخُ أبو منصورٍ عبدُ الرحمـٰن بن محمد بن عبد الواحد الشيبانيُّ ببغدادَ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن علي بن ثابت الخطيبُ ، حدثني الحسنُ بن محمد الخلالُ ، حدثنا سليمانُ بن أيوب المُعدَّلُ قال : سمعتُ عبدَ الله بن سليمان بن الأشعثِ قال سمعتُ أبي يقول : كان هارونُ الأعورُ يهودياً ، فأسلمَ وحسُنَ إسلامُهُ ، وحفظَ القرآن وضبطَهُ ، وحفظ النحوَ ، فناظرَهُ إنسانٌ يوماً في مسألة ، فغلبه هارونُ ، فلم يدرِ المغلوبُ ما يصنعُ ، فقال له : أنت كنتَ يهودياً فأسلمتَ ! فقال له هارونُ : فبئسَ ما صنعتُ ؟![٣] ، قال فغلبَهُ أيضاً في هـٰذا[٤]

---

(١) علَّقَ العلامة الكوثريُّ رحمه الله تعالىٰ : (بل لو لم يكنْ خالطَ هـٰؤلاء النظَّارَ المعروفين بدقَّة النظر ، وطارحَهم المسائلَ . . لما تمرَّنَ على الإجادة في البحث ، ولم يظهرْ منه هـٰذه البراعةُ في إلزام الخصوم والذبِّ عن السنة ، ولبقيَ مثلَ الرواة الذين ابتعدوا عن السنَّة في معارضة المعتزلة ، فوقعوا في بدعٍ أطمَّ ؛ لجهلهم بطرق النظرِ ، وهـٰذا ممَّا لا ينكر ، وما هلك امرؤٌ عرفَ قدره ، ولم يتعدَّ طوره) انتهىٰ

ومثل هـٰذا وقعَ لحجة الإسلام إمامنا الغزالي ؛ حينما قرأ علوم الفلاسفة ثم خاصمهم بسلاحهم ، ولا تغرَّنَّك الكلمة الهشَّة التي ذُكر فيها أنه ابتلعهم ، وأراد أن يتقيَّأهم فما استطاع ، بل عليك بمثل كلمة العلامة اللَّبلي في « فهرسته » (ص ٣١) حيث قال (وقعت للغزالي اتفاقاتٌ حسنة ؛ من الاحتكاك بالأئمة ، وملاقاة الخصوم ، ومناظرة الفحول ، ومبارزة الكبار ؛ فظهر اسمه في الآفاق ، حتىٰ أدَّتِ الحال إلىٰ أن رسم المسير إلىٰ بغداد للقيام بتدريس المدرسة الميمونة النظامية بها ، فصار إليها ، وأعجب الكل بتدريسه ومناظرته ، وما لقي مثل نفسه ، وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق) .

(٢) أبو عبد الله هارون بن موسى النحوي الأزدي ، كان يهودياً فأسلم ، وروىٰ عن جمعٍ من التابعين ، وله رواية في « الصحيحين » ، قرأ القرآن علىٰ عبد الله بن أبي إسحاق ، وروىٰ قراءةَ ابن كثير عنه ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٠/ ٤٩٢) .

(٣) كذا ضبطت في (أ ، ب ، هـ) ، قال ذلك إفحاماً له .

(٤) ورواه الخطيب البغدادي في « تاريخه » (١٤/ ٥) .

١١٧ـ أخبرَنا الشيخُ أبو المظفرِ أحمدُ بن الحسن بن محمد البِسْطاميُّ بها قال : أخبرنا جدِّي لأمِّي أبو الفضل محمدُ بن علي بن أحمد بن الحسين بن سهل السَّهْلَكيُّ قال : سمعتُ الفقيه أبا عمرو محمدَ بن عبد الله الرَّزْجاهيَّ رحمه الله قال : سمعتُ الأستاذَ الإمام أبا سهلٍ محمدَ بن سليمان الصُّعلوكيَّ رحمه الله يقول : حضرنا مع الشيخ أبي الحسن الأشعريِّ رضي الله عنه مجلسَ عَلويٍّ بالبصرة ، فناظرَ المعتزلةَ خذَلَهم الله تعالىٰ ، وكانوا ـ يعني ـ كثيراً ، حتىٰ أتىٰ على الكلِّ فهزمَهم ، كلَّما انقطعَ واحدٌ . أخذ الآخرَ ؛ حتى انقطعوا عن آخرِهم ، فعدْنا في المجلس الثاني ، فما عادَ أحدٌ ، فقال بين يدي العلويِّ : يا غلامُ ؛ اكتبْ على البابِ : فَرُّوا[١]

١١٨ـ أخبرَنا الشيخ أبو الحسنِ عليُّ بن أحمد المالكيُّ قال : حدثنا الشيخُ أبو منصورٍ محمدُ بن عبد الملك الشافعيُّ قال : أخبرنا أحمدُ بن عليِّ بن ثابت الحافظُ قال حدثني محمدُ بن عليٍّ الصوريُّ قال سمعتُ عبدَ الغني بن سعيد الحافظَ يقول : سمعتُ أبا الحسن عليَّ بن محمد بن يزيدَ يقول سمعتُ أبا بكر بن الصيرفيِّ يقول : (**كانت المعتزلةُ قد رفعوا رؤوسَهم ، حتىٰ أظهرَ الله تعالى الأشعريَّ ، فحجزَهُم في أقماعِ السمسم**)[٢]

إسنادُ هـٰذه الحكاية مضيءٌ كالشمس ، ورواتُها لا يتخالجُ في عدالتهم شكٌّ في النفس ، وقائلُها أبو بكرٍ إمامٌ كبير ، ومحلُّهُ عند أهل العلم محلٌّ خطير ، وقد

١١٩ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيم بن العباس الحسينيُّ ، والشيخُ أبو الحسنِ عليُّ بن أحمد بن قُبيسٍ قالا قال لنا أبو بكرٍ أحمدُ بن

---

(١) ذكرها الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٤/ ١٥٥) ، والإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٤٩)

(٢) ورواه الخطيب في « تاريخه » (١١/ ٣٤٦)

علي بن ثابت الحافظُ (محمدُ بن عبد الله ، أبو بكرٍ ، الفقيهُ الشافعيُّ ؛ المعروفُ بالصيرفيِّ ، له تصانيفُ في أصول الفقه ، وكان فَهِماً عالماً ، وسمع الحديثَ من أحمد بن منصور ومَن بعده ، لـٰكنَّهُ لم يروِ كبيرَ شيءٍ)[1]

١٢٠ـ أخبرَنا الشيخُ أبو المظفرِ أحمدُ بن الحسن الشعيريُّ ، أخبرنا أبو الفضلِ محمدُ بن علي بن أحمد البِسْطاميُّ قال : وسمعتُ القاضيَ أبا بكرٍ محمدَ بن الحسين الإِسْكافيَّ قال : سمعتُ القاضيَ أبا بكرٍ محمد بن الطيب بن محمد الأشعريَّ رحمه الله يقول : سمعتُ أبا عبد الله بنَ خفيفٍ يقول : دخلتُ البصرةَ ، وكنتُ أطلبُ أبا الحسن الأشعريَّ رحمه الله ، فأرشدتُ إليه ، وإذا هو في بعض مجالس النظر ، فدخلتُ فإذا ثَمَّ جماعةٌ من المعتزلة ، فكانوا يتكلَّمون ، فإذا سكتوا وأنهَوا كلامَهم . . قال لهم أبو الحسن الأشعريُّ لواحدٍ واحدٍ : قلتَ كذا وكذا ، والجوابُ عنه كذا وكذا . . . إلىٰ أن يجيبَ الكلَّ ، فلمَّا ـ يعني ـ قامَ خرجتُ في إثرِهِ ، فجعلتُ أقلِّبُ طرفي فيه ، فقال أيشٍ تنظرُ ؟ فقلتُ : كم لسانٍ لك ! وكم أذنٍ لك ! وكم عينٍ لك ! فضحكَ ، فقال لي : مِنْ أين أنت ؟ قلتُ : مِنْ شيرازَ ، وكنتُ أصحبُهُ بعد ذلك[2]

١٢١ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل بن أحمد الفقيهُ الفُراويُّ قال : حدثنا الأستاذُ الإمام أبو القاسم عبدُ الكريم بن هوازنَ القشيريُّ قال : سمعتُ الشيخ أبا عبد الله محمدَ بن عبد الله بن عبيد الله الشيرازيَّ الصوفيَّ يقول : سمعتُ بعض أصحاب أبي عبد الله بن خفيف يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول : دخلتُ البصرة في أيام شبابي لأرىٰ أبا الحسن

---

(١) حكاه في « تاريخ بغداد » (٣/ ٦٨) .

(٢) أورده الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٧/ ٤٩٤) ، والحافظ ابن كثير في « طبقات الشافعيين » (١/ ٢١١) ، وكتب في هامش (ب) : (بلغ السماع) .

الأشعريَّ لمَّا بلغني خبرُهُ ، فرأيت شيخاً بهيَّ المنظر ، فقلتُ له : أين منزلُ أبي الحسن الأشعريِّ ؟ فقال وما الذي تريد منه ؟ فقلتُ أحبُّ أن ألقاه ، فقال : ابتكر غداً إلىٰ هـٰذا الموضع

قال : فابتكرتُ ، فلمَّا رأيتُهُ . . تبعتُهُ ، فدخل دارَ بعض وجوه أهل البلد ، فلمَّا أبصروهُ . . أكرموا محلَّهُ ، وكان هناك جمعٌ من العلماء ومجلسُ نظرٍ ، فأقعدوهُ في الصدر ، ثم إنَّه سُئلَ بعضُهم مسألةً[1] ، فلمَّا شرعَ في الكلام . . دخل هـٰذا الشيخُ[2] ، فأخذَ يردُّ عليه ويناظرُهُ حتىٰ أفحمَهُ ، فقضيتُ العجبَ مِنْ علمِهِ وفصاحتِهِ ![3] ، فقلتُ لبعضِ مَن كان عندي مَنْ هـٰذا الشيخُ ؟ فقال : أبو الحسن الأشعريُّ .

فلمَّا قاموا . . تبعتُهُ ، فالتفتَ إليَّ وقال : يا فتىٰ ؛ كيف رأيتَ الأشعريَّ ؟ فخدمتُهُ ، وقلت يا سيدي ؛ كما هو في محلِّهِ ، ولـٰكن مسألة ، فقال ما هي ؟ فقلتُ مثلُكَ في فضلِكَ وعلوِّ منزلتك كيف لم تُسأل وسُئل غيرُك ؟ فقال : **إنَّا لا نكلِّمُ هـٰؤلاءِ ابتداءً ، ولـٰكنْ إذا خاضوا في ذكرِ ما لا يجوزُ في دينِ اللهِ . . رددْنا عليهم بحكمِ ما فرضَ اللهُ سبحانه وتعالىٰ علينا من الردِّ علىٰ مخالفي الحقِّ**[4]

---

(١) في (ط) : (سألَ) بدل (سئل) ، والمثبت من سائر النسخ أليق بالسياق .

(٢) يعني : الذي كان رآه من أمسه ، وهو الشيخ الأشعري ، ولـٰكنه لم يعرِّف عن نفسه للطيفةٍ ؛ فقد قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٣٥٠) : (قال علماؤنا : كان الشيخُ صاحبَ فراسة ونظر بنور الله ، وكان ابنُ خفيف ـ كما عُرف حالُهُ ـ من أرباب الأحوال وسادة المشايخ ، فلمَّا أبصرَهُ الشيخُ ، وفهمَ عنه ما يريدُ . . أحبَّ ألا يراه إلا علىٰ أكملِ أحواله من العلم ؛ وهو وقتُ المناظرة ؛ فإنَّ أولَ نظرٍ يثبتُ في القلب ويرسخُ ، فأراد الشيخ تربيةَ ابن خفيفٍ ؛ فإنه إذا نظره في أكمل أحواله . . امتلأَ قلبُهُ بعظمته ، فانقاد لما يأتيه من قبله) .

(٣) في (ب) وحدها : (أتعجَّبُ) بدل (العجب)

(٤) وذكرها الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٤٩) ، وقال بعدها : =

وقد وقعَتْ لي هـٰذه الحكايةُ من وجهٍ آخر عن أبي عبد الله الشيرازيِّ ، فيها لفظةٌ يتعلَّقُ بها مَن لا يتحاشىٰ مِنْ ذكر الأئمة بالمخازي :

١٢٢ـ سمعتُ الشيخَ أبا بكرٍ محمدَ بن أحمد بن الحسن البُرُوجِرْديَّ الجوهريَّ ببغداد يقول : سمعتُ الفقيه أبا سعدٍ عليَّ بن عبد الله بن أبي صادقٍ الحِيريَّ بنيسابورَ يقول : سمعتُ أبا عبد الله محمدَ بن عبد الله بن باكويه الشيرازيَّ يقول : سمعتُ أبا عبد الله بن خفيفٍ وقد سألَهُ قاسمٌ الإصْطَخْريُّ عن أبي الحسن الأشعريِّ ؛ فقال

كنت مرَّةً بالبصرة جالساً مع عمرو بن علويه علىٰ ساجةٍ[1] في سفينةٍ نتذاكرُ في شيء ؛ فإذا بأبي الحسن الأشعريِّ قد عبرَ وسلَّمَ علينا وجلسَ ، فقال عبرتُ عليكم أمسِ في الجامع ، فرأيتُكم تتكلَّمون في شيءٍ عرفتُ الألفاظَ ولم أعرفِ المغزىٰ ، فأحبُّ أن تعيدوها عليَّ ، قلت : وفي أيْشٍ كنَّا ؟ قال : في سؤالِ إبراهيم عليه السلام : ﴿ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] ، وسؤالِ موسىٰ عليه السلام ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف ١٤٣] ، فقلتُ نعم ؛ قلنا : إنَّ سؤال إبراهيم هو سؤالُ موسىٰ ، إلا أن سؤالَ إبراهيمَ سؤالُ مُتمكِّنٍ ، وسؤالَ موسىٰ سؤالُ صاحبِ غلبةٍ وهيجان ، فكان تصريحاً ، وسؤالُ إبراهيمَ تعريضاً ؛ وذلك أنَّهُ قال ﴿ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] ، فأراه كيفية

= (ورويت هـٰذه الحكاية عن ابن خفيف علىٰ وجهٍ آخرَ يشترك معها ـ بعد الدلالة علىٰ عظمة الشيخ ومحله في العلم ـ في أنَّه كان لا يتكلَّم في علم الكلام إلا حيث يجب عليه ؛ نصراً للدين ، ودفعاً للمبطلين) ، ونقل عن الإمام القشيري في تقويم هـٰذه الجملة التي تُعَدُّ منهجاً لأهل السنة (٣/ ٤٠٣) قولَه (وعلىٰ هـٰذه الجملة سيرةُ السلف أصحاب الحديث ، المتكلِّمين منهم في الردِّ علىٰ المخالفين وأهل الشُّبه والزيغ) .

(١) في (ط) : (ساحة) ، والساجة : واحدة الساج ؛ وهي خشبةٌ متينة واسعة ، وتصنع منها السفن .

المحيا ، ولم يره كيفيةَ الإحياء ؛ لأنَّ الإحياء صفته ، والمحيا قدرتُهُ ، فأجابه إشارةً كما سألَهُ إشارةً ، إلا أنَّهُ قال في آخره : ﴿ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] ، فالعزيزُ : المنيعُ .

فقال أبو الحسن : هـٰذا كلامٌ صحيح[1] ، فقلتُ له : أشتهي أسمعُ كلامَك ، فقال : غداً ، وقال لي : أين تكونُ بالليل ؟ قلتُ : في موضعِ كذا .

فلمَّا أصبحنا.. جاءَ إلىٰ موضعي وقال لي : اخرجْ ، فخرجتُ معه ، فحملني إلىٰ دارٍ لهم تُسمَّىٰ دارَ الماورديِّ ، فاجتمع جماعةٌ مِنْ أصحابه وجماعةٌ مِنْ مخالفيه ، فقلتُ له : سلْهُم مسألةً ، فقال : السؤالُ منهم بدعةٌ ، فقلتُ : كيف ؟! فقال : لأنِّي أظهرتُ بدعةً أنقضُ بها كفرَهم ، وإنَّما هم يسألوني عن منكرِهم ، فيلزمني ردُّ باطلِهم إلزاماً ، فسألوهُ ، فتعجَّبْتُ مِنْ حُسن كلام أبي الحسن حين أجابَ ، ولم يكن في القومِ مَن يوازيه في النظرِ[2] .

فإن تمسَّكَ بقوله : (أظهرتُ بدعةً) بعضُ أهل الجهالة.. فقد أخطأَ ، إذ كلُّ بدعةٍ لا تُوصفُ بالضلالة ؛ فإنَّ البدعةَ هو ما ابتُدِعَ وأُحدِثَ مِنَ الأمور ، حسناً كان أو قبيحاً بلا خلافٍ عند الجمهور ، وقد :

١٢٣ـ أخبرَنا الشيخ أبو المعالي محمدُ بن إسماعيل بن محمد بن الحسين الفارسيُّ بنيسابورَ قال : أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين بن علي البيهقيُّ ،

---

(١) هـٰذا التقرير من شيخ متكلمي أهل السنة له شأنُهُ ؛ فلم يعبِ الشيخ علىٰ تلميذه ابنِ خفيف طريقَ الإشارات ، بل قرَّرها وصحَّحها ، وقد قال الإمام ابنُ السبكي في « طبقاته » (٣/ ٣٥١) في حقِّ الشيخ الأشعري رحمه الله تعالىٰ : (قالوا : وكان الشيخُ رضي الله عنه سيداً في التصوُّف واعتبار القلوب ، كما هو سيِّدٌ في علم الكلام وأصناف العلوم) ، وانظر إلىٰ إنصافِ الشيخ حينما طلب منهم أن يُعيدوا عليه ما سمعَهُ من كلامهم .

(٢) وذكرها الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٣٤٧) .

أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرٍو[1] ، حدثنا أبو العباسِ محمدُ بن يعقوبَ ، أخبرنا الربيعُ بن سليمانَ قال قال الشافعيُّ رحمه الله (**المحدثاتُ من الأمور ضربانِ** :

أحدهما : ما أُحدِثَ يخالفُ كتاباً أو سنةً أو أثراً أو إجماعاً ؛ **فهـٰذه البدعةُ الضلالةُ**

والثاني : ما أُحدِث من الخير لا خلافَ فيه لواحدٍ من هـٰذا ؛ **فهـٰذه محدثةٌ غيرُ مذمومة**

وقد قال عمرُ رضي الله عنه في قيام رمضان « **نعمَتِ البدعةُ هـٰذه** » يعني : أنَّها محدثةٌ لم تكنْ ، وإذ كانت فليس فيها ردٌّ لما مضىٰ)[2]

١٢٤ـ وأخبرَنا بقولِ عمرَ رضي الله عنه الشيخُ أبو محمدٍ هبةُ الله بن سهل بن عمر الفقيهُ بنيسابورَ ، أخبرنا أبو عثمانَ سعيدُ بن محمد بن أحمد البَحِيرِيُّ المُعدَّلُ[3] ، أخبرنا أبو عليٍّ زاهرُ بن أحمد الفقيهُ بسَرَخْسَ ، أخبرنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن عبد الصمد بن موسى الهاشميُّ ، حدثنا أبو مصعبٍ أحمدُ بن أبي بكر الزهريُّ ، حدثنا مالكُ بن أنسٍ ، عن ابن شهابٍ ، عن عروةَ بن الزبير ، عن عبدِ الرحمـٰن بن عبدٍ القاريِّ[4] قال خرجتُ مع

---

(١) في (ب ، ط) : (سعد) بدل (سعيد) ، والصواب المثبت ؛ وهو محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان .

(٢) ورواه البيهقي في « المدخل » (٢٥٣) ، وفي « مناقب الشافعي » (١/ ٤٦٩)

(٣) في (ط) وحدها : (الحيري) بدل (البحيري) ، والمثبت هو الصواب .

(٤) القاري : بالياء المشددة دون الهمز وبتخفيف الراء ، نسبة إلىٰ قارة ؛ **المشهورة بحديثها مع عَضَل ، بطنٌ من الهُون ينسبون إلى الديش** ، من ولد مدركة بن إلياس ، وقد وُلد عبدُ الرحمـٰن بن عبدٍ القاريُّ المدنيُّ زمنَ النبوة ، وقيل : له صحبة ، وانظر « طبقات ابن سعد » (٥/ ٥٧)

عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ليلةً في رمضان إلى المسجدِ ؛ فإذا الناسُ أوزاعٌ متفرِّقون ، يصلي الرجلُ لنفسه ، ويصلي الرجلُ ويصلي بصلاته الرهطُ ، فقال عمر والله ؛ إنِّي لأرىٰ لو جمعتُ هـٰؤلاءِ علىٰ قارئ واحدٍ . لكان أمثلَ ، ثم عزم فجمعَهم علىٰ أُبيِّ بن كعب ، قال : ثم خرجتُ معه ليلةً أخرىٰ والناسُ يصلُّون بصلاة قارئِهم ، فقال عمرُ بن الخطاب : نعمَ البدعةُ هـٰذه[1] ، والتي تنامونَ عنها أفضلُ من التي تقومون ؛ يريدُ : آخرَ الليل ، وكان الناسُ يقومون أوَّلَهُ[2]

وإنَّما سمَّىٰ أبو الحسنِ رحمَهُ اللهُ مناظرةَ المعتزلة بدعةً وكرهَها ؛ لأنَّ السلفَ كانوا يرون مكالمةَ أهل البدع ومناظرتَهم خطأً وسفهاً ، وقد جاءَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم في النهْيِ عن ذلك ما :

١٢٥ـ أخبرَنا الشيخُ أبو سهلٍ محمدُ بن إبراهيم بن محمد بن سعدويه المُزكِّي الأصبَهانيُّ ببغدادَ ، أخبرنا أبو القاسمِ إبراهيمُ بن منصور بن إبراهيم السلميُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن المقرئ ، أخبرنا أبو يعلىٰ أحمدُ بن علي بن المثنى الموصليُّ ، حدثنا أبو خيثمةَ ،

---

(١) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (والذي عملَهُ عمرُ هو الجمعُ علىٰ قارئ واحد ، وأمَّا عدد الركعات . . فعلى المتوارث ، ومحاولةُ بعضهم ردَّ كون التراويح عشرين ركعة . . ليس بجيدٍ ، وقد أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبغوي والبيهقي والطبراني عن ابن عباس أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يُصلي عشرين ركعةً والوتر في رمضان ، وفي سنده أبو شيبة ؛ إبراهيمُ بن عثمان ، مُتكلَّمٌ فيه ، وعليه عملُ الأصحاب في عهد عمرَ وعثمان وعليٍّ رضوانُ الله عليهم أجمعين ، وممَّا يُستبعد إطباقُهم علىٰ هـٰذا العدد من غير دليلٍ عندهم مسندٍ ، وعدَّ ابنُ الهمام ثمانيَ ركعات منها سنةً مؤكدة ؛ لحديث عائشة ، وإبلاغَها إلىٰ عشرين سنَّةً غيرَ مؤكدة ؛ للآثار في العدد ، وجمهورُ الحنفية علىٰ تأكيد الجمع) انتهىٰ .

(٢) ورواه مالك في « الموطأ » (١/ ١١٤) ، والبخاري (٢٠١٠) .

وهارونُ بن معروف وغيرُهما قالوا حدثنا عبدُ الله بن يزيدَ المقرئ ، حدثنا سعيدُ بن أبي أيوبَ ، عن عطاءِ بن دينار ، عن حكيمِ بن شريك ، عن يحيى بنِ ميمون الحضرميِّ ، عن ربيعة الجُرَشيِّ ، عن أبي هريرة ، عن عمر قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول « **لاَ تُجَالِسُوا أَهْلَ ٱلْقَدَرِ وَلاَ تُفَاتِحُوهُمْ** »[١]

فلمَّا ظهرَتْ فيما بعدُ أقوالُ أهلِ البدع واشتَهرَتْ ، وعظمَتِ البلوىٰ بفتنتِهم علىٰ أهل السُّنَّةِ وانتشرَتْ . . **انتَدَبَ للردِّ عليهم ومناظرتِهم أئمَّةُ أهل السنَّة ؛ لمَّا خافوا على العوامِّ من الابتداع والفتنة ، كفعل أبي الحسن الأشعريِّ** رحمه الله وأشباهِهِ ، **خوفاً من التباس الحقِّ على الخلق واشتباهِهِ** ، وفي هـٰذا المعنىٰ ورد ما :

١٢٦ـ أخبرَنا به الشيخُ أبو عليٍّ الحسنُ بن علي المقرئ في كتابه ، وحدثني به الشيخُ أبو مسعود عبدُ الرحيم بن علي بن حمْدٍ عنه قال أخبرنا أبو نُعيم أحمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أحمدُ بن إسحاقَ ، وعبدُ الله وعبدُ الرحمـٰن ابنا محمدِ بن جعفر قالوا حدثنا محمدُ بن العباس ، حدثنا زكريا بنُ الصلت ، حدثنا أبو الصلت الهرويُّ ، (ح)[٢]

وأخبرَنا أبو البركاتِ عبدُ الوهَّاب بن المبارك بن أحمد الأنماطيُّ ببغدادَ ، أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن المظفر بن بكرانَ الشاميُّ ، أخبرنا أبو الحسن أحمدُ بن محمد العتيقيُّ ، أخبرنا يوسفُ بن أحمد بن يوسف بن الدَّخيلِ ، حدثنا أبو جعفرٍ محمدُ بن عمرو العقيليُّ ، حدثنا محمدُ بن أيوبَ بن الضُّرَيس ، حدثنا عبدُ السلام بن صالح ـ وهو أبو الصلتِ ـ ، حدثنا عَبَّادُ بن

---

(١) ورواه أبو داود (٤٧١٠) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٢٤٥) .

(٢) علامة التحويل أثبتت من (هـ) وحدها ، وسقطت من سائر النسخ .

العَوَّام ، حدثنا عبدُ الغفَّار المدنيُّ ، عن سعيدِ بن المسيَّبِ ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ لِلهِ عِنْدَ كُلِّ بِدْعَةٍ كِيدَ بِهَا ٱلإِسْلاَمُ وَلِيّاً يَذُبُّ عَنْهُ ، وَيَتَكَلَّمُ بِعَلاَمَاتِهِ ، فَٱغْتَنِمُوا تِلْكَ ٱلْمَجَالِسَ بِٱلذَّبِّ عَنِ ٱلضُّعَفَاءِ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى ٱللهِ ، وَكَفَىٰ بِٱللهِ وَكِيلاً»[1] ، لفظهما سواءٌ

* *

---

(١) ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ١٠٠) ، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٤٠٠) .

[رسالةُ الإمامِ الحافظِ أبي بكرٍ البيهقيِّ لعميدِ الملكِ الكُنْدُرِيِّ في الذَّبِّ عن الأشاعرةِ والشيخِ الأشعريِّ][1]

١٢٧ـ أخبرَنا الشيخُ أبو بكرٍ محمدُ بن عبد الله بن أحمد بن حبيبٍ العامريُّ الحافظُ ببغدادَ ، أخبرنا شيخُ القضاة أبو عليٍّ إسماعيلُ بن أحمدَ بن الحسين البيهقيُّ قال : أخبرنا والدي الإمامُ أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين البيهقيُّ قال

(سلامُ الله ورحمتُهُ وبركاتُهُ على الشيخ العميد[2] ، وإنِّي أحمدُ إليه اللهَ الذي لا إلٰه إلا هو ، وحده لا شريك له ، وأصلِّي على رسولِهِ محمدٍ وعلىٰ آلِهِ

أمَّا بعدُ :

فإنَّ الله جلَّ ثناؤُهُ بفضله وجودِهِ ، يؤتي مَن يشاءُ من عباده ملكَ ما يريدُ من بلادِهِ ، ثم يهدي مَن يشاءُ منهم إلىٰ صراطِهِ ، ويوفِّقُهُ للسعْيِ في مرضاتِهِ ، ويجعلُ له فيما يتولاهُ وزيرَ صدقٍ يومئ إليه بالخير ويحضُّ عليه ، ومعينَ حقٍّ

---

(١) نعتها الحافظُ المؤرخ اليافعي في « مرآة الجنان » (٢/ ٢٣٠) بـ « الرسالة الحسناء البالغة المرضية ، في مكاتبة العميد واستعطافه لنصرة الأشعرية » ، والحافظُ السخاوي في « المقاصد الحسنة » (ص ٦٩) بـ « الرسالة الأشعرية » ، وسيأتي الحديثُ عن هٰذه الرسالة قريباً للمصنف .

وسببُ تأليف هٰذه الرسالةِ هو رسالةُ الإمام القشيري الآتي ذكرُها بعدها ؛ وذلك حينما دخلت بيهقَ ، فقد قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٣٩٩) : (فوقف عليها الحافظ البيهقي ، ولبَّىٰ دعوتَها ، وكتب الرسالةَ إلى العميد) .

(٢) هو محمد بن منصور ، أبو نصر الكُنْدُرِيُّ ، عميد الملك ، وزير السلطان طغرلبك ، قتله السلطان ألب أرسلان السلجوقي سنة (٤٥٦ هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣٠/ ٤٢٢) ، وسيأتي للمصنف بعد ذكر هٰذه الرسالة أن اسمه منصور بن محمد .

يشيرُ إليه بالبرِّ ويعينُ عليه ؛ ليفوزَ الأمير والوزيرُ معاً بفضلِ الله فوزاً عظيماً ، وينالا من نعمتِهِ حظّاً جسيماً

وكان الأميرُ ـ أدام اللهُ دولتَهُ ـ ممَّنْ آتاه الله المُلكَ والحكمة ، والشيخُ العميدُ ـ أدام الله سيادتَهُ ـ ممَّنْ جعلَهُ اللهُ له وزيرَ صدقٍ ؛ إن نسيَ . . ذكَّرَهُ ، وإن ذكرَ . . أعانَهُ ، كما أخبر سيِّدُنا المصطفىٰ صلَّى الله عليه وسلَّمَ عن كلِّ أميرٍ أراد اللهُ به خيراً[1] ، فعادَتْ بجميل نظرِ الأمير ـ أدام الله أيامَهُ ، وحسْنَ رعايته وسياستِهِ ـ بلادُ خراسانَ إلى الصلاح بعد الفساد ، وطرقُها إلى الأمْنِ بعد الخوف ، حتى انتشرَ ذكرُهُ بالجميل في الآفاق ، وأشرقَتِ الأرضُ بنور عدلِهِ كلَّ الإشراق ؛ ولذلك قال سيِّدُنا المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم فيما رُوي عنه : « **ٱلسُّلْطَانُ ظِلُّ ٱللهِ وَرُمْحُهُ فِي ٱلْأَرْضِ** »[2]

وقال فيما رُويَ عنه : « **يَوْمٌ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً** »[3]

وقال عبدُ الله بن المبارك رضي الله عنه[4] [من البسيط]

لَوْلاَ ٱلأَئِمَّةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ وَكَـانَ أَضْعَفُنَـا نَهْبـاً لِأَقْـوَانَـا

زادَهُ اللهُ علوّاً وتأييداً ، وزادَ مَن يؤازرُهُ بالخير ويحثُّهُ عليه توفيقاً وتسديداً

ثمَّ إنَّه ـ أعزَّ الله نصرَهُ ـ صرفَ همَّتَهُ العاليةَ إلىٰ نصرةِ دين الله ، وقمعِ

---

(١) رواه أبو داود (٢٩٣٢) ، والنسائي (٧/ ١٥٩) ، وفي « السنن الكبرىٰ » (٧٧٧٩) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ١١١) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها

(٢) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٨/ ١٦٢) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١/ ٣٣٧) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٨/ ١٦٢) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٥/ ١٩٧) : (رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » ، وفيه سعد أبو غيلان الشيباني ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات) .

(٤) انظر « حلية الأولياء » (٨/ ١٦٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٨/ ٤١٣)

أعداء الله ، بعد ما تقرَّرَ للكافَّة حسنُ اعتقاده ؛ بتقريرِ خطباءِ أهل مملكتِهِ علىٰ لعن مَنِ استوجبَ اللعنَ من أهل البدعِ ببدعته ، وأَيِسَ أهلُ الزيغِ عن زيغِهِ عن الحقِّ ، وميلِهِ عن القصد ؛ فألقَوا في سمعِهِ ما فيه مساءةُ أهلِ السنَّة والجماعة كافَّةً ، ومصيبتُهم عامَّةً ؛ من الحنيفيَّة[1] والمالكيَّة والشافعيَّة ، الذين لا يذهبون في التعطيلِ مذاهبَ المعتزلة ، ولا يسلكون في التشبيهِ طرقَ المجسِّمة ، في مشارق الأرض ومغاربِها ؛ ليتسَلَّوا بالأسوةِ معهم في هـٰذه المساءة عمَّا يسوءُهم من اللعن والقمع في هـٰذه الدولة المنصورة ثبَّتَها اللهُ

ونحن نرجو عُثورَهُ عن قريبٍ علىٰ ما قصدوا ، ووقوفَهُ علىٰ ما أرادوا ، فيستدركُ بتوفيقِ الله عزَّ وجلَّ ما بدرَ منه فيما أُلقي إليه ، ويأمرُ بتعزيرِ مَنْ زوَّرَ عليه وقبَّحَ صورةَ الأئمَّة بين يديه[2] ؛ وكأنَّهُ خفيَ عليه ـ أدام الله عزَّهُ ـ حالُ شيخنا أبي الحسن الأشعريِّ رحمةُ الله عليه ورضوانُهُ ، وما يرجعُ إليه من شرفِ الأصل ، وكبرِ المحلِّ في العلم والفضل ، وكثرةِ الأصحاب من الحنيفيَّة والمالكيَّة والشافعيَّة ، الذين رغبوا في علم الأصول ، وأحبُّوا معرفةَ دلائل العقول ، والشيخُ العميد ـ أدام اللهُ توفيقَهُ ـ أولىٰ أوليائِهِ وأحراهم بتعريفِهِ حالَهُ ، وإعلامِهِ فضلَهُ ؛ لِمَا يرجعُ إليه من الهداية والدراية ، والشهامة والكفاية ، مع صحَّةِ العقيدة ، وحسن الطريقة .

وفضائلُ الشيخ أبي الحسن الأشعريِّ ومناقبُهُ أكثرُ من أن يمكنَ ذكرُها في هـٰذه الرسالة ؛ لِمَا في الإطالة من خشية الملالةِ ، لـٰكني أذكرُ بمشيئة الله تعالىٰ مِنْ شرفِهِ بآبائه وأجدادِهِ ، وفضلِهِ بعلمه وحسن اعتقادِهِ ، وكبرِ محلِّهِ بكثرة أصحابه . . ما يحملُهُ على الذَّبِّ عنه وعن أتباعِهِ

---

(١) كذا في (أ ، ب ، هـ) ، وفي (و ، ط) : (الحنفية) وهو المراد ، وكذا فيما سيأتي .
(٢) في (أ) : (بتعريك) بدل (بتعزير) .

فليعلمِ الشيخُ العميد ـ أدام الله سيادتَهُ ـ أنَّ أبا الحسن الأشعريَّ رحمه الله من أولاد أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه ؛ فإنَّهُ أبو الحسن عليُّ بن إسماعيل بن إسحاق بن سالمِ بن إسماعيلَ بن عبد الله بن موسى بن بلالِ بن أبي بردةَ بن أبي موسىٰ ؛ وأبو موسىٰ هو عبدُ الله بن قيس بن سليم الأشعريُّ ، ينسب إلى الجماهر بن الأشعر ؛ والأشعرُ : من أولادِ سبأٍ الذين كانوا باليمن ، فلمَّا بعثَ الله نبيَّهُ صلى الله عليه وسلم. هاجر أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه مع أخويه[١] في بِضعٍ وخمسينَ من قومِهِ إلىٰ أرض الحبشة ، وأقاموا مع جعفرِ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ، حتىٰ قدموا جميعاً علىٰ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين افتتحَ خيبرَ)[٢]

ثم ذكرَ مِنْ فضلِ أبي موسىٰ بعضَ ما قدَّمتُهُ بأسانيدِهِ[٣] ، إلىٰ أن قال

(ورُزِقَ من الأولاد والأحفاد مع الدراية والرواية والرعاية ما يكثرُ نشرُهُ ، وأساميهم في التواريخ مثبتةٌ ، ومعرفتُهم عند أهل العلم بالرواية مشهورةٌ ، إلىٰ أن بلغَتِ النوبةُ إلىٰ شيخنا أبي الحسن الأشعريِّ رضي الله عنه ، فلم يحدثْ في دين الله عزَّ وجلَّ حَدَثاً ، ولم يأتِ فيه ببدعةٍ ، بل أخذَ أقاويلَ الصحابة والتابعين ، ومَنْ بعدَهم من الأئمَّة في أصول الدين ، فنصرَها بزيادة شرحٍ وتبيين ، وأنَّ ما قالوا وجاءَ به الشرعُ في الأصول صحيحٌ في العقول ، خلافَ ما زعمَ أهلُ الأهواء من أنَّ بعضَهُ لا يستقيمُ في الآراء ، فكان في بيانِهِ تقويةُ ما لم يَدُلَّ عليه أهلُ السنة والجماعة[٤] ، ونصرةُ أقاويلِ مَن مضىٰ مِنَ الأئمَّة ؛ كأبي حنيفةَ وسفيانَ الثوري من أهل الكوفة ، والأوزاعيِّ وغيره من أهل

---

(١) في (هـ) وحدها : (إخوته)

(٢) انظر الحديثين (٦٥ ، ٦٦)

(٣) انظر ما تقدم (ص ١٨٥)

(٤) في (ط) وحدها : (ما لم يُدَلَّ عليه من أهلِ السنة والجماعة) .

الشام ، ومالكٍ والشافعيِّ من أهل الحرمين ومَن نحا نحوهما من الحجاز ، وغيرها مِن سائرِ البلاد[1] ، وكأحمدَ بن حنبلٍ وغيره من أهل الحديث ، والليثِ بن سعد وغيره ، وأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريِّ وأبي الحسين مسلمِ بن الحجَّاج النيسابوريِّ إمامي أهلِ الآثار ، وحفَّاظِ السُّنن التي عليها مدارُ الشرع رضي الله عنهم أجمعين

وذلك دأبُ مَنْ تصدَّرَ من الأئمَّة في هٰذه الأمَّة ، وصار رأساً في العلم من أهل السنَّة ، في قديمِ الدهر وحديثِهِ ، وبذلك وعدَ سيِّدُنا المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم أمَّتَهُ فيما روىٰ عنه أبو هريرةَ أنَّهُ قال « يَبْعَثُ ٱللهُ لِهَـٰذِهِ ٱلأُمَّةِ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا »[2] ، وهم هٰؤلاء الأئمَّةُ الذين قاموا في كلِّ عصرٍ من أعصار أمَّته بنصرةِ شريعتِهِ ، ومَنْ قامَ بها إلىٰ يوم القيامة

وحين نزل قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة : ٥٤] . أشارَ المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم إلىٰ أبي موسىٰ وقال : « قَوْمُ هَذَا »[3] ، فوعدَ اللهُ جلَّ ثناؤه شيئاً معلَّقاً بشيءٍ ، وخصَّ النبيُّ المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم به قومَ أبي موسىٰ ، فكان خبرُهُ حقّاً ، ووعدُ الله صدقاً

وحين خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بين أمَّتِهِ ، وقبضَهُ الله عزَّ وجلَّ إلىٰ رحمته . . ارتدَّ ناسٌ من العرب ، فجاهدهم أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه بأصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، منهم أبو موسىٰ

---

(١) في (هـ ، و) : (وغيرهما) بدل (وغيرها) .

(٢) انظر الحديث (٣٣) وسقط لفظ الجلالة من (أ) .

(٣) انظر الحديث (٢٨) وما بعده

وقومُهُ ؛ حتىٰ عاد أهلُ الردَّةِ إلى الإسلام ، كما وعدَ ربُّ الأنام

وحين كثُرَتِ المبتدعةُ في هـٰذه الأمَّة ، وتركوا ظاهرَ الكتاب والسنَّة ، وأنكروا ما وردا به من صفاتِ الله عزَّ وجلَّ[1] ؛ نحو الحياة والقدرة والعلم والمشيئة والسمع والبصر والكلام ، وجحدوا ما دلاَّ عليه من المعراج وعذاب القبر والميزان ، وأنَّ الجنَّة والنار مخلوقتان ، وأنَّ أهلَ الإيمان يخرجون من النيران ، وما لنبيِّنا صلى الله عليه وسلم مِنَ الحوض والشفاعة ، ولأهلِ الجنَّة مِنَ الرؤية[2] ، وأنَّ الخلفاءَ الأربعةَ كانوا محقِّينَ فيما قاموا به من الولاية ، وزعموا أنَّ شيئاً من ذلك لا يستقيمُ على العقل ، ولا يصحُّ في الرأي . . **أخرجَ اللهُ عزَّ وجلَّ مِن نسل أبي موسى الأشعريِّ إماماً قام بنصرةِ دين الله ، وجاهد بلسانِهِ وبيانه مَنْ صدَّ عن سبيل الله ، وزادَ في التبيين لأهل اليقين أنَّ ما جاءَ به الكتابُ والسنَّةُ وما كان عليه سلفُ هـٰذه الأمَّة . . مستقيمٌ على العقول الصحيحة والآراء** ؛ تصديقاً لقولِهِ ، وتحقيقاً لتخصيصِ رسولِهِ قومَ أبي موسىٰ بقولِهِ : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

هـٰذا ؛ والكلامُ في علم الأصول وحَدَث العالم ميراثُ أبي الحسن الأشعريِّ عن أجدادِهِ وأعمامه ، الذين قدموا علىٰ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذ لم يثبتْ عند أهل العلم بالحديثِ أنَّ وفداً مِنَ الوفود وفدوا علىٰ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم[3] ، فسألوهُ عن علم الأصول وحَدَث العالمِ . . إلا وفدُ الأشعريِّينَ من أهل اليمن) .

ثم ذكر حديثَ عمرانَ بنِ الحصين حين أتاه نفرٌ من بني تميم ، وقد

---

(١) في (ط) وحدها : (ورد) بدل (وردا) .

(٢) في (ط) وحدها : (وما لأهل الجنة من الرؤية) .

(٣) في (هـ) وحدها : (قدموا) بدل (وفدوا)

ذكرته في الجزء الأول بإسناده[1] ، ثم قال

(فمَنْ تأمَّلَ هـٰذه الأحاديثَ ، وعرف مذهبَ شيخنا أبي الحسن في علم الأصول ، وعَلِمَ تبحُّرَهُ فيه . . أبصرَ صنْعَ الله عزَّتْ قدرتُهُ في تقديم هـٰذا الأصلِ الشريف ؛ لِمَا ذخرَ لعبادِهِ من هـٰذا الفرعِ المُنيفِ ، الذي أحيا به السنَّة ، وأماتَ به البدعةَ ، وجعلَهُ خَلَفَ حقٍّ لسلفِ صدقٍ ، وبالله التوفيقُ

هـٰذا ؛ وعلماءُ هـٰذه الأمَّة من أهل السنَّة والجماعة في الاشتغال بالعلم مع الاتِّفاق في أصول الدين . . علىٰ أضربٍ :

منهم : مَن قَصَرَ همَّتَهُ على التفقُّه في الدين بدلائله وحُججِهِ ؛ من التفسير والحديث والإجماع والقياس ، دون التبحُّرِ في دلائل الأصول

ومنهم مَن قصرَ همَّتَهُ على التبحُّر في دلائل الأصول ، دون التبحُّرِ في دلائل الفقه .

ومنهم : مَن جعل همَّتَهُ فيهما جميعاً ؛ كما فعل الأشعريُّون من أهل اليمن ؛ حيث قالوا لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أتيناك لنتفقَّهَ في الدين ، ولنسألَكَ عن أوَّلِ هـٰذا الأمرِ كيف كان[2]

وفي ذلك تصديقُ ما رُوِيَ عن المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم : « ٱخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ »[3] ، مع ما سمعتُ الشيخَ الإمام أبا الفتحِ ناصرَ بن الحسين

---

(١) انظر الحديث (٦١) وما بعده ، وقوله : (في الجزء الأول) ، انظر الحديث عن تجزيء كتاب « التبيين » في وصف النسخ الخطية (ص ٦٥)

(٢) انظر الحديث (٦٣) .

(٣) قال الحافظ السخاوي في « المقاصد الحسنة » (ص ٦٩) : (بهـٰذا اللفظ ذكره البيهقي في « رسالته الأشعرية » بغير إسناد ، ورواه في « المدخل » من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « . . . ، واختلافُ أصحابي لكم رحمةٌ » ، ومن هـٰذا الوجه أخرجه الطبراني ، والديلمي في « مسنده » بلفظه سواء . . . ، وزعم كثيرٌ من الأئمة =

العمريَّ قال سمعت الشيخ الإمام أبا بكرِ القفالَ المروزيَّ رحمه الله يقول : معناه : اختلافُ هممِهِم رحمةٌ ؛ يعني فهِمَّةُ واحدٍ تكون في الفقه ، وهِمَّةُ آخرَ تكون في الكلام ، كما تختلفُ هممُ أصحاب الحِرَفِ في حِرَفِهم ؛ ليقومَ كلُّ واحدٍ منهم بما فيه مصالحُ العباد والبلاد ، ثم كلُّ مَنْ جعلَ همَّتَهُ في معرفة دلائل الفقه وحُججِهِ . . لم ينكرْ في نفسِهِ ما ذهبَ إليه أهلُ الأصول منهم[1] ، بل ذهبَ في اعتقادِ المذهب مذهبَهم بأقلِّ ما دلَّهُ علىٰ صحَّتِهِ من الحُججِ ، إلا أنَّهُ رأىٰ أنَّ اشتغالَهُ بذلك أنفعُ وأولىٰ ، ومَن صرفَ همَّتَهُ منهم إلىٰ معرفة دلائل الأصول وحُججِهِ . . ذهبَ في الفروع مذهبَ أحدِ الأئمَّة الذين سمَّيناهم من فقهاء الأمصار ، إلا أنَّهُ رأىٰ أنَّ اشتغالَهُ بذلك عند ظهورِ البدع أنفعُ وأحرىٰ .

فعلماءُ السنَّة إذاً مجتمعون ، والأشعريُّون منهم لجماعتِهم في علمِ الأصول موافقون ، إلا أنَّ الله جلَّ ثناؤُهُ جعلَ استقامةَ أحوالِهم باستقامة ولاتِهم ، وسلامةَ أعراضهم بذبِّ ولاتِهم عنهم[2] ، وبذلك أخبرَ مَنْ جعلَ اللهُ الحقَّ علىٰ لسانه وقلبه ؛ أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما

١٢٨ـ أخبرَنا[3] أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو عمرو ابن السَّمَّاكِ ، حدثنا حنبلُ بن إسحاق ، حدثنا أبو نُعيمٍ ، حدثنا مالكُ بن أنس ، عن زيدِ بن أسلم ، عن أبيه قال : قال عمرُ رضي الله عنه عند موته : « **اعلموا أنَّ الناسَ لن يزالوا بخيرٍ ما استقامَتْ لهم ولاتُهم وهُداتُهم** »[4] .

= أنه لا أصلَ له ، لكن ذكره الخطابي في « غريب الحديث » ، ولم يقع في كلامه شفاءٌ في عزو الحديث ، ولكنه أشعرَ بأن له أصلاً عنده) .

(١) في (هـ) وحدها : (ينظر) بدل (ينكر) .

(٢) وقع في (ط) وحدها : (أغراضهم) بدل (أعراضهم) .

(٣) المسندُ للخبر هو الإمام البيهقي كما لا يخفىٰ ، وقد رقم هذا السند لكون المصنف يرويه عن الشحامي عن البيهقي كما سيأتي، وفي (أ) : (وذلك أخبرنا أبو عبد الله . . .) .

(٤) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٨/ ١٦٢)

وقال أبو حازم[1] ما

١٢٩ـ أخبرَنا[2] أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسن ، أخبرَنا حاجبُ بن أحمد ، حدثنا محمدُ بن حمَّادٍ ، حدثنا أبو ضمرةَ أنسُ بن عياض قال سمعتُ أبا حازمٍ يقول : « **لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما لم تقعْ هٰذه الأهواءُ في السلطان ، هم الذين يذبُّون عن الناسِ ، فإذا وقعَتْ فيهم . . فمَن يذبُّ عنهم ؟!** »)[3]

وأخبرَنا بهاتين الحكايتينِ[4] أبو القاسم الشحاميُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ البيهقيُّ مثل ما ها هنا ، ثم رجعنا إلىٰ رواية أبي بكرٍ ابن حبيب

(نسألُ الله عزَّ وجلَّ عصمةَ الأمير ، وإطالةَ بقائِهِ ، وإدامةَ نعمائِهِ ، وزيادةَ توفيقِهِ ؛ **لإحياءِ السنَّة ؛ بتقريب أهلِها من مجلسِهِ ، وقمعِ البدعة بتبعيدِ أهلِها من حضرتِهِ** ؛ ليكثُرَ سرورُ أهل السنَّة والجماعة من الفريقين جميعاً بمكانِهِ ، وينتشرَ صالحُ دعواتهم له في مشارق الأرض ومغاربها بإحسانِهِ ، ويرغبَ إلى الله عزَّ وجلَّ ويتضرعَ إليه في إمتاعِ المسلمين ببقاءِ الشيخ العميد وإدامة نعمتِهِ ، وزيادة توفيقه وعصمتِهِ ؛ فعلىٰ حسنِ اعتقاده ، وصحَّة دينه ، وقوَّةِ يقينه ، وكمالِ عقله ، وكبرِ محلِّهِ . . اعتمادُ الكافَّة في استدراك ما وقعَ من هٰذه الواقعة التي هي لمعالم الدين خافضةٌ ، ولآثارِ البدع رافعةٌ ، ومصيبتُها إن دامَتْ ـ والعياذُ بالله ـ في كلِّ مصرٍ من أمصار المسلمين داخلةٌ ، وقلوبُ أهل السنة والجماعة بها واجفةٌ

---

(١) هو سلمة بن دينار المدني التمار ، المتوفى سنة (١٤٠ هـ) .

(٢) المسندُ للخبر هو الإمام البيهقي كما لا يخفىٰ ، وقد رقم هٰذا السند لكون المصنف يرويه عن الشحامي عن البيهقي كما سيأتي .

(٣) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٨/ ١٦٣)

(٤) يعني : الأثرينِ (١٢٨ ، ١٢٩) المسندينِ من قبل الإمام البيهقي .

وما ذلك على الله بعزيزٍ ؛ أن يوفِّقَ الشيخ العميدَ ـ أدام الله تسديدَهُ ـ للاجتهادِ في إزالة هـٰذه الفتنة ، والسعْيِ في إطفاء هـٰذه الثائرة ، مُوقناً بما يتبعُهُ في دنياه من الثناء الجميل ، وفي عقباه من الأجر الجزيل ، قاضياً حقَّ هـٰذه الدولة العاليةِ التي جعلَ اللهُ تدبيرَها إليه ، وزمامَها بيديه ؛ فبقاءُ المُلك بالعدل ، وصلاحُهُ بصلاح الدِّين ، وحلاوتُهُ بما يتبعُهُ من الثناء الجميل ، واللهُ يوفِّقُهُ ويسدِّدُهُ ، وعن المكاره يقيهِ ويحفظُهُ ، والسلامُ عليه ورحمةُ الله وبركاته)[1]

وإنَّما كان انتشارُ ما ذكره أبو بكرٍ البيهقيُّ من المحنة ، واستِعارُ ما أشارَ بإطفائه في « رسالتِهِ » من الفتنة ؛ ممَّا تقدَّم به من سبِّ حزبِ الشيخ أبي الحسن الأشعريِّ ، في دولةِ السلطان طُغْرُلبك ووزارةِ أبي نصر منصور بن محمد الكُنْدُريِّ[2] ، وكان السلطانُ حنيفيّاً سنيّاً[3] ، وكان وزيرُهُ معتزليّاً رافضيّاً[4] ، فلمَّا أمرَ السلطانُ بلعنِ المبتدعةِ على المنابر في الجُمع . قرنَ الكُنْدُريُّ للتسلِّي

---

(١) هنا تنتهي رسالة الإمام البيهقي لعميد الملك الكُنْدُري المفتتحة (ص ٢٢٧) .

(٢) تقدم أن اسمه محمد بن منصور كما ذكر ذلك الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٣٠/ ٤٢٢) ، ولـٰكنه قال (وقد سمَّاه أبو الحسن محمد بن الصابئ في « تاريخه » ، وعلي بن الحسن الباخرزي في « دمية القصر » : منصورَ بن محمد) ، وكذلك الحافظ ابن عساكر هنا .

(٣) وهو أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق ، الملقب بطغرلبك ، أول ملوك السلاجقة ، وانظر « وفيات الأعيان » (٥/ ٦٣) ، وفي (ط) : (حنفياً) بدل (حنيفيّاً) ، وكذا وقعت النسبة لمذهب الإمام أبي حنيفة في جُلِّ الكتاب

(٤) يعني : في الأصول ، وفي « تاريخ الإسلام » (٣٠/ ٤٢٣) : أنه تفقَّهَ لأبي حنيفة ، فهو في الفروع حنفيٌّ ، وقد نعتَهُ الإمام البيهقيُّ في صدر رسالته بحسن الاعتقاد ؛ إذ قال : (بعد ما تقرَّرَ للكافَّة حسنُ اعتقاده) ، فلعلَّه أراد على الجملة ، أو قال ذلك من باب التحبيب والاستجلاب ، أو الشأن كما قال القشيري في « شكايته » الآتية : (ثم أخذنا في سبيل الاستعطاف ؛ جرياً في دفع السيئة بالتي هي أحسن) ، فليُتأمَّل .

والتشفِّي اسمَ الأشعريَّة بأسماءِ أرباب البدع ، وامتحنَ الأئمَّة الأماثل ، وقصد الصدورَ الأفاضل ، وعزلَ أبا عثمانَ الصابونيَّ عن الخطابة بنيسابورَ[1] ، وفوَّضَها إلىٰ بعض الحنيفيَّة فأمَّ الجمهورَ .

وخرج الأستاذُ أبو القاسم والإمامُ أبو المعالي الجوينيُّ رحمةُ الله عليهما عن البلد ، وهانَ عليهما في مخالفتِهِ الاغترابُ وفِراقُ الوطن والأهل والولد ، فلم يكنْ إلا يسيراً حتىٰ تقشَّعَتْ تلك السحابةُ ، وتبدَّدَ بهُلْكِ الوزير شملُ تلك العِصابةِ ، ومات ذلك السلطان ، ووليَ ابنُهُ ألب أرسلان[2] ، واستوزرَ الوزير الكاملَ ، والصدر العالم العادلَ ؛ أبا عليٍّ الحسنَ بن علي بن إسحاق[3] ،

---

(١) والصابوني هو الذي قال فيه الإمام البيهقي في سندٍ له : (أخبرنا إمام المسلمين حقّاً ، وشيخ الإسلام صدقاً ؛ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمـٰن الصابوني) ، كذا في « تاريخ دمشق » للمصنف (٩/ ٥) ، وذلك أن المشبهة في زمن الإمام الصابوني حنقوا عليه لأجل اعتقاده ، فنعتوا أبا إسماعيل الأنصاري الهروي بشيخ الإسلام ، فغمز البيهقي عليهم بهـٰذا ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٢٧٠) .

(٢) كذا في النسخ ، وإنما هو ابن أخيه ؛ إذ طغرلبك كان عمّاً لألب أرسلان ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٤١٤) .

(٣) وهو الوزير السلجوقي الصالح نظامُ الملك ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣٠٩/٤) .

وجاء في هامش (هـ) حاشية : (حكى القاضي أبو العلاء الغزنوي في كتاب « سر السرور » : أن نظام الملك صادف في سفر رجلاً في زي العلماء قد مسه الكَلال ، فقال له : أيها الشيخ ؛ عييتَ أم أعييتَ ؟ فقال : أعييتُ يا مولانا ، فتقدم إلىٰ حاجته بتقديم بعض الجنائب إليه ، والإصلاح من شأنه ، وأخذ في اصطناعه ، وإنما أراد بسؤاله اختباره ؛ فإن عيي : في اللسان ، وأعيا : كلَّ وتعبَ .

وحكىٰ عن عبد الله الساوجي : أن نظام الملك استأذن السلطان ملكشاه في الحج ، فأذن له ، وهو إذ ذاك ببغداد ، فعبر دجلة ، وعبروا بالآلات والأقمشة ، وضربت الخيام علىٰ شط دجلة ، قال : فأردت يوماً أن أدخل عليه ، فرأيت بباب الخيمة فقيراً تلوح علىٰ جبينه سيما القوم ، فقال لي : يا شيخ ؛ أمانة توصلها إلى الصاحب ، قلت : نعم ، فأعطاني =

فأعزَّ أهلَ السنَّة وقمعَ النفاق ، وأمرَ بإسقاط ذكرهم من السبِّ ، وإفراد مَنْ

= رقعة مطوية ، فدخلت بها ، ولم أنظر ما فيها [. . .]، ووضعتها بين يديه ، فنظر فيها ، فبكىٰ بكاء كثيراً حتىٰ ندمت ، وقلت في نفسي : ليتني نظرت فيها ، فإن كان فيها شيء يسوءه لم أدفعها إليه ، ثم قال لي : يا شيخ ؛ أدخلْ عليَّ صاحب الرقعة ، فخرجت ، فلم أجده ، وطلبته فلم أظفرْ به ، فأخبرت الوزير بذلك ، فدفع إليَّ الرقعة ، فإذا فيها : رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المنام ، وقال لي اذهب إلى الحسن ، وقل له : أين تذهب ؟ إلىٰ مكة ؟! حجُّك ها هنا ، أما قلت لك : أقم بين يدي هـٰذا التركي ، وأغث أصحاب الحوائج من أمتي ؟! فرجع نظام الملك ، فكان يقول لي : لو رأيت ذلك الفقير حتىٰ نتبرك به ، قال : فرأيته علىٰ شط دجلة وهو يغسل خريقات له ، فقلت له : إن الصاحب يطلبك ، فقال ما لي وللصاحب ؟ إنما كان عندي أمانة فأديتها

قال ابن الصلاح : هـٰذا معنىٰ ما قال ، فإني أبدلت بعض لفظه .

والساوجي هـٰذا كان خَيِّراً ، كثير المعروف ، يعرف بشيخ الشيوخ ، ويقف علىٰ نظام الملك، حتىٰ أنفق عليه وعلى الفقراء باقتراحه في مدة يسيرة قريباً من ثمانين ألف دينار تامة كاملة .

وحكىٰ أبو سعد ـ يعني : السمعاني ـ عن أبيه بما وجده بخطه ، عن الفقيه أبي القاسم أخي نظام الملك : أنه كان عنده ليلة علىٰ أحد جانبيه ، والعميد خليفة على الجانب الآخر ، وبجنبه فقير مقطوع يده اليمنىٰ ، قال : فشرفني الصاحب بالمؤاكلة ، وشرع يلحظ العميد خليفة كيف يؤاكل الفقير ، قال فتنزه خليفة من مؤاكلة الفقير لما رآه يأكل بيساره ، فقال لخليفة : تحول إلىٰ هـٰذا الجانب ، وقال للفقير إن خليفة رجل كبير في نفسه ، يستنكف من مؤاكلتك ، فتقدم إلى الفقير ، وأخذ يؤاكله .

وعنه أيضاً : أنه كان بمكة وأراد الخروج إلىٰ عرفات ، فتوقف لميت من الخراسانية مات في بعض الزوايا ليقوم بتجهيزه ، قال : فرآني بعض من كان يأتمنه الصاحب نظام الملك علىٰ أمور الحاج ، فقال : ما وقوفك ها هنا والقوم قد ذهبوا ؟ فقلت أنا واقف لكذا وكذا ، فقال : اذهب ، ولا تهتم لأمر هـٰذا الميت ، فإن عندي خمسين ألف ذراع من الكرباس لأجل تكفين الموتىٰ من جهة الصاحب .

وهو الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي ، وُلد سنة ثمان وأربع مئة ، وقتل بين بغداد وأصبهان في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، سمع الحديث فأكثر، وروىٰ وأملىٰ بالعراق وخراسان وأصبهان) انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ٤٤٧) .

عداهم باللعْنِ والثلْبِ ، واسترجعَ مَنْ خرجَ منهم إلىٰ وطنه ، واستقدمَهُ مكرَّماً بعد بُعدِهِ وظَعَنِهِ ، وبنىٰ لهم المساجدَ والمدارس ، وعقدَ لهم الحِلَقَ والمجالس ، وبُنِيَ لهم الجامعُ المنيعيُّ في أيامِ[1] ولدِ ذلك السلطان[2] ، وكان ذلك تداركاً لما سلفَ في حقِّهم من الامتحان ، فاستقامَ في وزارته الدينُ بعد اعوجاجِهِ ، وصفا عيشُ أهل السنة بعد تكدُّرِهِ وامتزاجِهِ ، واستقرَّ الأمرُ بيُمْنِ نَقيبتِهِ علىٰ ذلك إلىٰ هـٰذا الوقت[3] ، ونُظِرَ أربابُ البدعِ بعين الاحتقار والمقت، ولم يضرَّ جَمْعَ الفِرقة المنصورةِ، ما فرطَ في حقِّهم في المدة اليسيرة ، ممَّن قصدَهم بالمساءة ، ورماهم بالشناعة ؛ لِمَا ظهرَ بهم من اللعن[4] ؛ إذ كانوا بُرآءَ عند العقلاءِ وأهلِ العلم من الابتداع والذمِّ والطعن ، ولهم في أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه أسوةٌ حسنة ؛ فقد كان يُسَبُّ على المنابرِ في الدولة الأموية أكثرَ من ثمانينَ سنةً[5]، فما ضرَّ ذلك علياً رضوانُ الله

---

(١) في (هـ) وحدها زيادة : (في أيام تمكُّنِ . . .)

(٢) تقدَّمَ التنبيهُ أنه ابن أخيه ، والذي بنى الجامعَ المنيعيَّ وأوقفه الرئيسُ حسان بن سعيد أبو علي المنيعيُّ الحاجي ، قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٤/٢٩٩) : (هو واقف الجامع المنيعي) ، وقال : (وكان يدخل نيسابورَ في أوائل أمره ويعامل أهلَها ، فلمَّا رأى اضطراب الأمور ، وتزايد التعصُّب من الفريقين قبل أن يجلس السلطان ألب أرسلان علىٰ سرير ملكه ، ويزيِّنَ وجهَ الآفاق بطلعة نظام ملكه . . انقطع حتى انقطعَتْ مادةُ الأهواء ، وطوي بساطُ العصبية بذبِّ نظام الملك عن حريم الملة الحنيفية ، ومساعدةِ السلطان الذي هو سلطان الوقت المذعن إلى الخير المنقاد إلى المعروف ألب أرسلان ، وعند ذلك سأل الرئيس أبو عليٍّ السلطانَ والوزيرَ في بناء الجامع المنيعي بنيسابور ، فأجيب إلىٰ مسألته ، فعمد إلىٰ خالص ماله ، وأنفق في بنائه الأموال الجزيلة ، وكان لا يفترُ آونةً من ليلٍ ولا ساعةً من نهار مخافةَ تغيُّرِ الأمور واضطراب الآراء ، إلىٰ أن تمَّ وأقيمت الجمعةُ فيه ، وصار جامعَ البلد المشهورَ ، وهو الذي كان إمامُ الحرمين خطيبَهُ) .

(٣) يقال : فلانٌ ميمونُ النقيبة ؛ يعني : مبارك النفس، مظفَّراً بما يحاول، منجَّح الفَعال والمطالب.

(٤) وقع في (ط) وحدها : (فيهم) بدل (بهم)

(٥) في (أ) : (نحو من) بدل (أكثر من).

عليه ، ولا التحقَ به ما نُسِبَ إليه .

وقُتِلَ الوزير شرَّ قِتْلةٍ ، بعد أنْ مُثِّلَ به كلَّ مُثْلةٍ[1] ، فقال الأستاذ أبو القاسم القشيريُّ رحمه الله فيه [من الوافر]

عَمِيدَ ٱلْمُلْكِ سَاعَدَكَ ٱللَّيَالِي   عَلَىٰ مَا شِئْتَ مِنْ دَرَكِ ٱلْمَعَالِي[2]

فَلَمْ يَكُ مِنْكَ شَيْءٌ غَيْرَ أَمْرٍ   بِلَعْنِ ٱلْمُسْلِمِينَ عَلَى ٱلتَّوَالِي

فَقَابَلَكَ ٱلْبَلَاءُ بِمَا تُلَاقِي   فَذُقْ مَا تَسْتَحِقُّ مِنَ ٱلْوَبَالِ[3]

* * *

---

(١) فقد جاء أن الإمام القشيري وهو يخطب بالناس في الحج ـ ومرَّ أنه اغترب فراراً من تلك الفتنة ـ شخصَ في السماء زماناً ، وأطرق زماناً ، ثم قبضَ علىٰ لحيته وقال : (يا أهلَ خراسان ؛ بلادَكم بلادَكم ؛ إن الكندريَّ غريمَكم قُطِّعَ إزباً إزباً ، وفُرِّقَتْ أعضاؤُهُ ، وهـٰأنا أشاهِدُهُ الساعةَ) ، ثم أنشد هـٰذه الأبيات ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٩٤) .

(٢) في (ط) وحدها : (في) بدل (من) .

(٣) جاء في (ب) : (آخر الجزء الثاني من « التبيين » ، والحمدُ لله حقَّ حمده ، ويتلوه في الذي يليه أول هـٰذا الإسناد ، وصلى الله علىٰ محمد وآله وسلم ، فَرَغَ من انتساخه صبيحة يوم الخميس ثالث ذي الحجة سنة ثمانين وخمس مئة ؛ أبو المكارم بن عبد الصمد بن أحمد الزنجانيُّ ، ختم الله له بالحسنىٰ ولكافة المسلمين ، ونفعه العلم فيه) ، وبعده (الجزء الثالث من كتاب « تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » ، تصنيف الشيخ الإمام السعيد الكبير ، ثقة الدين ، حجة الإسلام ، بقية الحفاظ ، ناصر السنة ، قامع البدعة ، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي رضي الله عنه وقدَّس روحه) ، ثم ذكر طبقة سماع ، كتب ولد المصنف آخرها : (هـٰذا صحح ، وكتبه القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي) ، ثم افتتح الجزء الثالث .

[شكايةُ أهلِ السنَّة بحكايةِ ما نالَهُم من المحنةِ][1]

١٣٠ـ **أخبرَنا** الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل الفقيهُ ، **أخبرنا الأستاذُ أبو القاسم القشيريُّ قال**

(الحمدُ للهِ المُجملِ في بلائِهِ ، المُجزلِ في عطائِهِ ، العَدْلِ في قضائِهِ ، المُكرمِ لأوليائِهِ ، المنتقمِ من أعدائِهِ ، الناصرِ لدينِهِ ، بإيضاح الحقِّ وتبيينِهِ ، المُبيدِ للإفكِ وأهله ، المُجتثِّ للباطل من أصلِهِ ، فاضحِ البدع بلسان العلماء ، وكاشفِ الشبهِ ببيان الحكماء ، ومُمْهِلِ الغُواةِ حيناً غيرِ مُهْمِلِهم ، ومجازي كلٍّ غداً علىٰ مقتضىٰ عملِهِم .

نحمدُهُ علىٰ ما عرفنا من توحيدِهِ[2] ، ونستوفقُهُ علىٰ أداءِ ما كلَّفَنا من رعاية حدودِهِ ، ونستعصمُهُ من الخطأِ والخطل ، والزيغِ والزلل ، في القولِ والعمل ، ونسألُهُ أن يصليَ علىٰ سيدنا المصطفىٰ ، وعلىٰ آله مصابيح الدُّجىٰ ، وأصحابه أئمةِ الورىٰ .

هٰذه قصَّة سمَّيناها : « **شكاية أهل السنَّة بحكاية ما نالهم من المحنة** » ، تخبرُ عن بثَّةِ مكروب ، ونفثةِ مغلوب ، وشرحِ مُلِمٍّ مؤلم ، وذكْرِ مهِمٍّ موهم ، وبيانِ خطب فادح ، وشرٍّ سائح[3] ، للقلوبِ جارح ، رفعَها عبدُ الكريم بن

---

(١) وصفها الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٩٩) بقوله : (قد جالت هٰذه الرسالة في البلاد ، وانزعجَتْ نفوسُ أهل العلم منها ، وقام كلٌّ منهم بحسب قوَّته) .

(٢) وقع في (ب) وحدها : (عرفناه) بدل (عرفنا) .

(٣) السائح : المنتشرُ في الأرض ، وفي (ب ، ط) : (سانح) ، ووجهها ظاهر ، وغير منقطة في (أ ، و).

هوازنَ القشيريُّ إلى العلماء الأعلامِ ، بجميع بلاد الإسلام

أما بعدُ

فإنَّ الله تعالىٰ إذا أرادَ أمراً قدَّرَهُ ، فمَنْ ذا الذي أمسكَ ما يسَّرَهُ ، أو قدَّمَ ما أخَّرَهُ ، أو عارضَ حكمَهُ فغيَّرَهُ ، أو غلبَهُ علىٰ أمره فقهرَهُ ؟! كلا ، بل هو اللهُ الواحدُ القهَّار ، الماجدُ الجبَّار .

وممَّا ظهر ببلد نيسابورَ من قضايا التقديرِ ، في مفتتحِ سنة خمس وأربعين وأربع مئة من الهجرة : ما دعا أهلَ الدين إلىٰ شقِّ صِرارِ صبرِهم ، وكشف قناع ضُرِّهم ، بل ظلَّتِ الملَّةُ الحنيفيَّةُ تشكو غليلَها ، وتبدي عويلَها ، وتنصبُّ عزالي رحمةِ الله علىٰ مَن يستمعُ شكْوَها[١] ، وتصغي ملائكةُ السماء حين تندبُ شجْوَها ؛ ذلك مما أُحدثَ مِن لعنِ إمام الدين ، وسراجِ ذوي اليقين ، محيي السنَّة ، وقامعِ البدعة ، وناصرِ الحقِّ ، وناصحِ الخلْقِ ، الزكيِّ الرضيِّ ، أبي الحسن الأشعريِّ ، قدَّسَ الله روحَهُ ، وسقَىٰ بماء الرحمة ضريحَهُ ، وهو الذي ذبَّ عن الدين بأوضح حُجَجٍ ، وسلك في قمْعِ المعتزلة وسائر أنواع المبتدعةِ أبينَ نَهَجٍ[٢] ، واستنفدَ عمرَهُ في النُّصحِ عن الحقِّ ، وأورثَ المسلمينَ بعد وفاته كُتُبَهُ الشاهدةَ بالصدْقِ)[٣]

---

(١) العزالي جمع عَزْلاء ؛ وهي فم المزادة الأسفل ، ويكون واسعاً ، فالصبُّ عنه أغزر ، وفي (ط) وحدها : (غزائر) .

(٢) النهج ـ بسكون الهاء وفتحها ـ : الطريقُ ، وفي (ط) وحدها : (منهج) .

(٣) هنا قطعةٌ أسقطها الإمام المصنف ؛ لما في بعضها من نوع تكرار لما أورده عن الحافظ البيهقي وغيره ، ولـٰكن يحسن إثباتها ؛ لتكتمل « شكاية أهل السنة » ، وقد نقل الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٤٠٢) هـٰذه الزيادة ؛ وهي :
(ولقد سمعت الأستاذ الشهيد أبا عليٍّ الحسنَ بن علي الدقَّاق رحمة الله عليه يقول : سمعت أبا عليٍّ زاهرَ بن أحمدَ الفقيهَ رحمة الله عليه يقول : مات أبو الحسن الأشعري رحمه الله ورأسُهُ في حجري ، وكان يقول : « مُتنا » في حال نزعِهِ من داخل حلقه ، فأدنيتُ=

(ولمَّا مَنَّ الله الكريمُ على أهل الإسلام بزمان السلطان المعظَّمِ المحكَّم ، بالقوَّة السماوية في رقاب الأمم ، الملكِ الأجلِّ شاهانْ شاه[1] ، يمينِ خليفةِ الله ، وغياثِ عباد الله ؛ طُغْرُلْبَك ، أبي طالب محمدِ بن ميكائيلَ ، وقام بإحياء السنَّة ، والمناضلة عن الملَّة ، حتى لم يبقِ من أصناف المبتدعة حزباً إلا

= إليه رأسي ، وأصغيت إلى ما كان يقرعُ سمعي ، وكان يقول « لعن الله المعتزلةَ ؛ موَّهوا ومَخْرقوا » .

وإنَّما كان أبو الحسن الأشعري رحمه الله يتكلَّم في أصول الدين على جهة الردِّ على أهل الزيغ والبدع ؛ تأدِّياً بما أوجب الله سبحانه على العلماء من النَّضْحِ عن الدين ، وكشف تمويهِ الملحدين والمبتدعين ، بما زالوا عن النهج المستقيم .

ولقد سمعتُ الأستاذَ أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن عبيد الله الشيرازي الصوفي رحمه الله يقول : سمعت بعضَ أصحاب أبي عبد الله بن خفيف الشيرازي رحمة الله عليهم يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيفٍ رحمه الله يقول : دخلت البصرة في أيام شبابي لأرى أبا الحسن الأشعري رحمة الله عليه لما بلغني خبره ، فرأيت شيخاً بهيَّ المنظر ، فقلت له : أين منزل أبي الحسن الأشعري ؟ فقال وما الذي تريدُ منه ؟ فقلت : أحبُّ أن ألقاهُ ، فقال : ابتكرْ غداً إلى هـٰذا الموضع ، قال : فابتكرتُ ، فلمَّا رأيتُهُ.. تبعته ، فدخل دارَ بعض وجوه البلد ، فلمَّا أبصروه.. أكرموا محلَّهُ ، وكان هناك جمعٌ من العلماء ومجلسُ نظرٍ ، فأقعدوه في الصدر ، فلمَّا شرع في الكلام.. دخل هـٰذا الشيخُ ، فأخذ يردُّ عليه ويناظره حتى أفحمَهُ ، فقضيت العجبَ من علمه وفصاحته ، فقلت لبعضِ من كان عندي : من هـٰذا الشيخ ؟ فقال: أبو الحسن الأشعري ، فلمَّا قاموا.. تبعتُهُ ، فالتفتَ إليَّ وقال يا فتى ؛ كيف رأيت الأشعريَّ ؟ فخدمته ، وقلتُ يا سيدي ؛ كما هو في محله ، ولـٰكن مسألة ، قال : قلْ يا بنيَّ ، فقلتُ : مثلك في فضلك وعلوِّ منزلتك كيف لم تُسألْ ويُسألُ غيرُكَ ؟! فقال : أنا لا أتكلَّم مع هـٰؤلاء ابتداءً ، ولـٰكن إذا خاضوا في ذكر ما لا يجوزُ في دين الله.. رددنا عليهم بحكم ما فرضَ الله علينا من الردِّ على مخالفي الحقِّ

وعلى هـٰذه الجملة سيرةُ السلف أصحاب الحديث ، المتكلِّمين منهم في الردِّ على المخالفين وأهل الشبه والزيغ) .

(١) ومعناه ملك الملوك ، وقد جرى خلاف للعلماء في تلقيبه يومَها بهـٰذا اللقب ، وانظر « فتاوى ابن الصلاح » (١/ ٨٠) .

سلَّ لاستئصالهم سيفاً عَضْباً ، وأذاقهم ذُلاًّ وخسفاً ، وعقبَ لآثارهم نسفاً . .
حَرِجَتْ صدورُ أهل البدع عن تحمُّل هـٰذه النِّقم ، وضاق صبرُهم عن مقاساة هـٰذا الألم ، ومُنُوا بلعنِ أنفسِهم علىٰ رؤوس الأشهاد بألسنتهم ، وضاقَتْ عليهم الأرضُ بما رحُبَتْ ؛ بانفرادِهم بالوقوع في مَهواة محنتِهم ، فسوَّلَتْ لهم أنفسُهم أمراً ، فظنُّوا أنَّهم بنوع تلبيسٍ أو ضرب تدليس يجدون لعسرِهم يسراً

فسَعَوا إلىٰ عالي مجلسِ السلطان المعظَّم بنوعِ نميمة ، ونسبوا الأشعريَّ إلىٰ مذاهبَ ذميمةٍ ، وحكَوا عنه مقالاتٍ لا يوجدُ في كتبه منها حرفٌ ، ولم يُرَ في المقالات المصنَّفة للمتكلِّمين الموافقين والمخالفين من وقت الأوائل إلىٰ زماننا هـٰذا لشيء منها . . حكايةٌ ولا وصْفٌ ، بل كلُّ ذلك تصويرٌ ، بتزويرٍ وبهتان بغير تقدير)[١]

---

(١) وهنا أيضاً قطعةٌ أسقطها الإمام المصنف ؛ لما في بعضها من نوع تكرار لما أورده من قبل ، ولـٰكن يحسنُ إثباتها ؛ لتكتملَ « شكاية أهل السنة » ، وقد نقل الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٤٠٤) هـٰذه الزيادة ؛ وهي :
(و« إنَّ ممَّا أدرك الناس من كلام النبوة : إذا لم تستحي . . فاصنع ما شئت » .
ولمَّا رفعنا إلى المجلس العالي ـ زاده الله إشراقاً ـ هـٰذه الظُّلامةَ ، وكشفنا قناع هـٰذه الخطَّة ، وذكرنا أنَّ هـٰذه المقالات لم تسمع من ألسنةِ هـٰذه الزمرة ، ولم يوجد شيء في كتبهم من هـٰذه الجملة ، ولا حُكيَ في الكتب المصنَّفة في مقالات المتكلِّمين حرفٌ من هـٰذه الأقاويل ، بل كان الجواب إنَّا إنَّما نوعزُ بلعن الأشعري الذي قال هـٰذه المقالات علىٰ هـٰذه الصفة ، فإن لم يبيِّنوا بها ، ولم يقل الأشعريُّ شيئاً منها . . فلا عليك ما نقولُ ، ولا يلحقُكم ضررٌ ممَّا نصنع .
فقلنا : الأشعريُّ الذي هو ما حكيتم ، وكان بما ذكرتم . . لم يخلقْهُ اللهُ بعدُ ! وما محلُّ هـٰذا إلا محل مَن حكىٰ عن أئمة السلف أنَّهم دانوا بالبدع ، ونسبَهم إلى الضلال والخطأ ، فإذا قيل له في ذلك . . يقول : إنَّما أقول لفلانٍ الذي قال ما نسبتُهُ إليه ، ودان بهـٰذا الذي قلتُ ومات عليه ! الكيِّسُ لا يُرضىٰ منه بذلك ، ولا يُغضىٰ علىٰ ذلك .
ثم أخذنا في سبيل الاستعطاف ؛ جرياً في دفع السيئة بالتي هي أحسن ، فلم تُسمع لنا حُجَّة ، ولم تقضَ لنا حاجة ، ولا حيلةَ لنا في التوسُّط بيننا علىٰ مَنْ بعده في مذهب واحد=

(وما نقموا مِنَ الأشعريِّ إلا أنَّه قال بإثبات القدَرِ[1] ؛ خيرِهِ وشرِّهِ ، ونفعه وضرِّهِ ، وإثباتِ صفات الجلال لله ؛ من قدرته وعلمه وإرادته وحياته وبقائه وسمعه وبصره وكلامه ووجهه ويده ، وأنَّ القرآنَ كلامَ الله غيرُ مخلوق ، وأنَّ الله تعالىٰ موجود تجوزُ رؤيتُهُ ، وأنَّ إرادته نافذةٌ في مراداتِهِ ، وما لا يخفىٰ من مسائلِ الأصولِ التي تخالفُ طريقُهُ طريقَ المعتزلة والمجسِّمة فيها)[2]

(معاشرَ المسلمين ؛ الغياثَ الغياثَ ، سَعَوا في إبطال الدين ، وراموا هدْمَ قواعد المسلمين ، وهيهاتَ هيهات ! ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ[3] نُورَ ٱللَّهِ

= عصره ، فأغضينا علىٰ قذى الاحتمال ، واستنمنا إلىٰ معهود الموافقة في أصول الدين بين الفريقين ، فحضرنا مجلسه ، ولم نشكَّ أنَّا لا ننصرفُ إلا وشملُ الدين منتظمٌ ، وشَعْب الوفاق في الأصول ملتئمٌ ، وأنَّ كلنا علىٰ قمع المعتزلة وقهر المبتدعة يدٌ واحدة ، وأنْ ليس بين الفريقين في الأصول خلافٌ ، فأول ما سألناه بأن قلنا : هل صحَّ عنده عن الأشعريِّ هـٰذه المقالات التي تُحكىٰ ؟ فقال : لا ، غير أني لا أستجيزُ الخوضَ في هـٰذه المسائل الكلامية ، وأمنع الناسَ عنها وأنهىٰ ، ولا يجوزُ اللعن عندي علىٰ أهل القبلة لشيء منها ، وصرَّح بأنه ليس يعلمُ أنَّه قال هـٰذه المسائل التي تُحكىٰ عنه أم لا

ثم قال في خلال كلامه : إن الأشعريَّ عندي مبتدعٌ ، وإنَّه في البدعة يزيدُ على المعتزلة ! فحين سمعنا ذلك تحيَّرنا ونفينا ، وسمعنا غيرَ ما ظننا ، وشاهدنا ما لو أُخبرنا به . . ما صدقنا ، ورأينا بالعيان ما لو رأيناهُ في المنام . . لقلنا : أضغاثُ أحلام ، فسبحان الله ! كيف صرَّحَ بأنه لا يعرفُ مذهبَ رجل على الحقيقة ، وصحَّ عنده مقالته ، ثم يبدِّعُهُ من غير تحقُّقٍ بمقالته ؟! ثم انصرفنا) .

(١) كذا في (ب) ، وفي (أ ، ط) : (القدر لله) ، وفي (و) : (القدرة لله) .

(٢) وهنا زيادةٌ أيضاً أسقطها المصنف ، وهي كما في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٤٠٥) : (وإذا لم يكن في مسألة لأهل القبلة غيرُ قول المعتزلة ، وقولُ الأشعريِّ قولٌ زائد ، فإذا بطل قولُ الأشعريِّ . . فهل يتعيَّن بالصحَّة أقوالُ المعتزلة ؟! وإذا بطل القولانِ . . فهل هـٰذا إلا تصريحٌ بأن الحقَّ مع غير أهل القبلة ؟! وإذا لُعنَ المعتزلةُ والأشعريُّ في مسألة لا يخرجُ قول الأمَّة عن قوليهما . . فهل هـٰذا إلا لعنُ جميعِ أهل القبلة ؟!) .

(٣) كذا في (ب) ، وفي سائر النسخ : (ليطفئوا) .

﴿ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ [التوبة ٣٢] وقد وعدَ اللهُ للحقِّ نصرَهُ وظهورَهُ ، وللباطل محقَهُ وثبورَهُ ، إلا أنَّ كُتُبَ الأشعريِّ في الآفاق مبثوثة ، ومذاهبَه عند أهل السنَّة من الفريقين معروفةٌ مشهورة ، فمن وصفَهُ بالبدعة . . عُلِمَ أنَّه غيرُ محقٍّ في دعواه ، وجميع أهل السنة خصمُهُ فيما افتراه)

ثم ذكر أربع مسائل شُنِّع بها عليه ، وبيَّنَ براءةَ ساحته فيما نُسب منها إليه[١] ، ثم قال

---

(١) وإليك هـٰذه المسائل ؛ طلباً لفائدتها ، واستكمالاً لـ « شكاية أهل السنة » ، وقد أورد الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٤٠٦) هـٰذه الزيادة ؛ وهي

(فأمَّا ما حُكي عنه وعن أصحابه أنَّهم يقولون : إنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم ليس بنبيٍّ في قبره ، ولا رسولٍ بعد موته : فبهتانٌ عظيم ، وكذبٌ محض ، لم ينطقْ منهم أحدٌ ، ولا سُمِعَ في مجلسٍ مناظرةٍ ذلك عنهم ، ولا وُجِدَ ذلك في كتاب لهم ، وكيف يصحُّ ذلك وعندهم محمدٌ صلى الله عليه وسلم حيٌّ في قبره ؟! قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ، فأخبر سبحانه بأنَّ الشهداء أحياءٌ عند ربِّهم ، والأنبياءُ أولىٰ بذلك ؛ لتقاصر رتبةِ الشهيد عن درجة النبوَّة ؛ قال الله تعالىٰ ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النساء : ٦٩] ، فرتبةُ الشهداء ثالثُ درجةِ النبوَّة

ولقد وردت الأخبارُ الصحيحة والآثار المروية بما تدلُّ الشهادة علىٰ هـٰذه الجملة ؛ فمن ذلك :

ما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن إبراهيم بن عبد الله الأديب ، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن حاتم ، حدثنا محمد بن إسحاق بن الصباح الصاغاني ، حدثنا ابن جعشم ، عن سفيان ، عن عبد الله بن السائب ، عن زاذان ، عن ابن مسعود ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : « **إنَّ لله تعالىٰ ملائكةً سيَّاحين في الأرض تبلِّغني عن أمَّتي السَّلام** » ، ولا يبلغ السلام إلا ويكون حَيّاً

وأخبرنا إبراهيمُ بن محمد الفقيه ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد النسوي ، حدثنا أبو العباس الحسن بن سفيان الشيباني النسوي ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الحسن بن يحيىٰ ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، عن يزيد ابن أبي مالك ، عن أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **ما من نبيٍّ يموت فيقيم في قبره إلا أربعين صباحاً حتىٰ تردَّ إليه روحه** » =

= وأخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي ، أخبرنا أبو الحسين هارون بن محمد بن هارون العطار ، حدثنا أبو علي الحسن بن علي بن عيسى المقبري ، [و]أبو عبد الرحمٰن المقرئ ، حدثنا حيوةُ بن شريح ، عن أبي صخر المدني ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **ما مِنْ أحدٍ يُسلِّمُ عليَّ إلا ردَّ ٱللهُ عزَّ وجلَّ عليَّ روحي حتىٰ أردَّ عليه ٱلسلامَ** » ، دلَّ الخبر علىٰ أنَّ الميت لا يعلمُ حتىٰ تُردَّ إليه الروحُ ، ودلَّ علىٰ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم حيٌّ في قبره

وأخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو البختري ، حدثنا عيسى بن عبد الله الطيالسي ، حدثنا العلاء بن عمرو الحنفي ، حدثنا أبو عبد الرحمٰن ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال « **مَنْ صلَّىٰ عليَّ عندَ قبرِي . . سمعتُهُ ، ومَنْ صلَّىٰ عليَّ نائياً . . أبلغتُهُ** » .

وأخبرنا إبراهيم بن محمد الفقيه ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد النسوي ، أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا أبو المعتمر وثابت البناني ، عن أنس بن مالك : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « **أتيتُ علىٰ موسىٰ ليلةَ أُسريَ بي عندَ الكثيبِ الأحمرِ وهو قائمٌ يصلِّي في قبرِهِ** » .

وأخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الكاتب ، حدثنا أحمد بن عبد الصفار ، حدثنا تمتامٌ محمدُ بن غالب ، حدثنا موسىٰ ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **أُتيتُ وأنا في أهلي ، فانطلقوا بي إلىٰ زمزم ، وشُرِحَ صدري ، ثم غُسلَ بماءِ زمزمَ ، ثم أُتيت بطستٍ من ذهب ممتلئة إيماناً وحكماً ، فحُشيَ به صدري** » ، قال أنس : ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يرينا أثره ، « **فعرج بي الملكُ إلى السماء الدنيا ، فاستفتح الملكُ ، قال : من ذا ؟ قال : جبريل ، قال : ومَن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وقد بُعثَ ؟ قال : نعم ، قال : ففتح ؛ فإذا آدمُ عليه السلام ، قال : مرحباً بك من ولد ، ومرحباً بك من رسول .**

ثم عرجَ بي الملكُ إلى السماء الثانية ، فاستفتح الملكُ ، فقال : من ذا ؟ قال : جبريل ، قال : ومَن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وقد بُعثَ ؟ قال : نعم ، قال : ففتح ؛ فإذا عيسىٰ ويحيىٰ عليهما السلام ، فقالا : مرحباً بك من أخٍ ، ومرحباً بك من رسول .

ثم عرج بي الملك إلى السماء الثالثة ، فاستفتح الملكُ ، فقال : من ذا ؟ قال : جبريل ، =

= قال ومَن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم ، قال وقد بُعثَ ؟ قال : نعم ، قال : ففتح ؛ فإذا يوسف عليه السلام ، قال : مرحباً بك من أخٍ ، ومرحباً بك من رسول .
ثم عرج بي الملك إلى السماء الرابعة ، فاستفتح الملكُ ، فقال : من ذا ؟ قال : جبريل ، قال ومَن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وقد بُعثَ ؟ قال : نعم ، قال : ففتح ؛ فإذا إدريس عليه السلام ، قال : مرحباً بك من أخٍ ، ومرحباً بك من رسول .
ثم عرج بي الملك إلى السماء الخامسة ، فاستفتح الملكُ ، فقال من ذا ؟ قال : جبريل ، قال ومَن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قال وقد بُعثَ ؟ قال : نعم ، قال : ففتح ؛ فإذا هارون عليه السلام ، فقال : مرحباً بك من أخٍ ، ومرحباً بك من رسول .
ثم عرج بي الملك إلى السماء السادسة ، فاستفتح الملكُ ، فقال : من ذا ؟ قال : جبريل ، قال : ومَن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وقد بُعثَ ؟ قال : نعم ، قال : ففتح ؛ فإذا موسىٰ عليه السلام ، فقال : مرحباً بك من أخٍ ، ومرحباً بك من رسول .
ثم عرج بي الملك إلى السماء السابعة ، فاستفتح الملكُ ، فقال : من ذا ؟ قال : جبريل ، قال : ومَن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وقد بُعثَ ؟ قال : نعم ، قال : ففتح ؛ فإذا إبراهيمُ عليه السلام ، فقال : مرحباً بك من رسول . . . » الخبرَ بطوله ، فدلَّ هـٰذا الخبر علىٰ أنَّهم عليهم السلام أحياء

ولقد روى الحسنُ بن قتيبة المدائني ـ وعدَّ ذلك في أفراده ـ عن المسلم بن سعيد الثقفي ، عن الحجاج بن الأسود ، عن ثابت البناني ، عن أنس قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم يصلُّون »

فإذا ثبت أنَّ نبيَّنا صلى الله عليه وسلم حيٌّ . . فالحيُّ لا بدَّ من أن يكون إمَّا عالماً أو جاهلاً ، ولا يجوز أن يكون النبيُّ صلى الله عليه وسلم جاهلاً ؛ قال تعالىٰ في صفته : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم : ٢] ، وقال ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، فثبت أنَّه مؤمن ، ورتبة النبوة رتبةُ الشرف وعلو المنزلة ، وهو صلى الله عليه وسلم يزدادُ كلَّ يوم شرفاً ورتبةً إلى الأبد ، فكيف لا يكون عارفاً ولا نبيّاً ؟!

والرسول فعولٌ بمعنى المُرْسَل ، ولا نظيرَ له في اللغة ، والإرسال : كلامُ الله ، وكلامه قديمٌ ، وهو قبل أنْ خُلِقَ كان رسولاً بإرسال الله ، وفي حالة اليوم وإلى الأبد رسولٌ ؛ لبقاء كلامه وقدم قوله ، واستحالة البطلان علىٰ إرساله الذي هو كلامه ، ولقد سُئلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له : متىٰ كنت نبيّاً ؟ فقال : « وآدمُ منجدلٌ في طينتِهِ » .

وأخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الكاتب ، حدثنا أحمد بن عبد الصفار ، حدثنا =

= يعقوب بن غيلان ، حدثنا محمد بن عبد الرحمـٰن ، حدثنا عبد الرحمـٰن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سويد ، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي ، عن العرباض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **إنِّي لخاتمُ النبيينَ وإنَّ آدمَ منجدلٌ في طينتِهِ** » .

وأخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد ، حدثنا أحمد بن عبدٍ ، حدثنا محمد بن غالب ، حدثني محمد بن سنان ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن بديل بن ميسرة وعن عبد الله بن شقيق ، عن ميسرةَ الفجرِ قال : قلتُ : يا رسول الله ؛ متىٰ كنت نبياً ؟ قال : « **وآدمُ بين الروح والجسد** » .

فإن قيل : فمن أين وقعت هـٰذه المسألةُ إن لم يكن لها أصلٌ ؟

قيلَ : إنَّ بعض الكراميَّة ـ ملأ الله قبره ناراً ، وظنِّي أن الله قد فعل ـ ألزم بعضَ أصحابنا وقال : إذا كان عندكم الميت في حال موته لا يحسُّ ولا يعلمُ . . فيجب أن يكون النبيُّ صلى الله عليه وسلم في قبره غيرَ مؤمن ؛ لأن الإيمان عندكم المعرفةُ والتصديقُ ، والموت ينافي ذلك ، فإذا لم يكن له علمٌ وتصديق . . لا يكون له إيمانٌ ، ومن لا يكون مؤمناً . . لا يكون نبيّاً ، ولأن عندهم الإيمان الإقرار الفرد ، وذلك قولهم لما قال الله لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، وزعموا أن قولهم : ﴿ بَلَىٰ ﴾ باقٍ ، والإيمان ذلك ، وفي حال الموت عندهم الميتُ يحسُّ ويعلم ، وقوله : ﴿ بَلَىٰ ﴾ باقٍ عينُهُ .

وهـٰذه المذاهب لهم مع ركاكتها وفسادها غيرُ ملزمة لنا ما ألزمونا ؛ لأن عندنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ يحسُّ ويعلم ، وتعرضُ عليه أعمال الأمة ، ويُبلَّغُ الصلاةَ والسلامَ علىٰ ما بيَّنَّا ، ثم الأشعريُّ لا يختصُّ بقوله : إنَّ الميت لا يحسُّ ولا يعلم ؛ فإن أحداً من المعتزلة وغيرهم من المتكلِّمين سوى الكرامية لم يقل : إنَّ الميت يحسُّ ويعلم ، وغير الكرامية لم يقل أحدٌ : إن الإيمان هو الإقرار المجرد ؛ وهو قولهم : ﴿ بَلَىٰ ﴾ ، ولم يقل أحدٌ سواهم : إن ذلك الإقرار الذي هو ﴿ بَلَىٰ ﴾ موجودٌ ، وإن قال كثيرٌ من الناس ببقاء بعض الأعراض ، وجواب الأشعريِّ كجواب جميع الناس عن هـٰذه المسألة ، مع ركاكتها وفساد قواعدها .

واعلموا رحمكم الله : أن ما يلزِمُهُ الخصمُ بدعواه ؛ فيقول : « هـٰذا علىٰ أصلكم ومقتضىٰ علتكم يلزمكم » . . فلا يجوز أن يُنسب ذلك إلىٰ صاحب المذهب ؛ فيقال : هـٰذا مذهب فلان ، وما عروض هـٰذا إلا عروض من قال : إن مذهب الحنفي أن الوضوء بالخمر جائزٌ في السفر ؛ لأنه إذا جوَّزَ التوضُّؤ بالنبيذ علىٰ وصف . . يلزمه أن يجوز في الخمر ؛ =

= لاشتراكهما في العلة ؛ وهو أن كلَّ واحد منهما مسكرٌ ! فمثلُ هـٰذا الإلزام لا يصحُّ أن ينسب به الحنفي أن يقول : يجوز التوضُّؤ في السفر بالخمر عند عدم الماء .

كذلك إذا قالوا : إن مذهب الأشعري أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ليس بنبيٍّ في قبره ؛ لأنه يلزمه حين قال : إن الميت لا يحسُّ ولا يعلم أن يقول : إنه ليس بعالم ولا نبي ! ومن قال هـٰذا كان كاذباً ، وكان قوله بهتاناً ، فليعلم ذلك يزل الإيهام إن شاء الله تعالىٰ

وأما ما قالوه إن مذهبه أنه يقول : إن الله لا يجازي المطيعين علىٰ إيمانهم وطاعاتهم ، ولا يعذب الكفارَ والعصاة علىٰ كفرهم ومعاصيهم : فذلك أيضاً بهتان وتقوُّلٌ ، وكيف يصحُّ من قول أحدٍ يُقرُّ بالقرآن والله تعالىٰ يقول في محكم كتابه : ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف : ١٤] ، ويقول : ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾ [سبأ : ١٧] ، ويقول : ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ : ٣٦] ، ويقول : ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ [القمر : ٣٥] ، وغير ذلك من الآيات ؟! وليس الخلاف في ذلك ، وإنما الخلاف في أن المعتزلة ومن سلك سبيلَهم في التعديل والتجوير زعموا أنه يجب على الله تعالىٰ أن يثيب المطيعين ، ويجب عليه أن يعذب العاصين ؛ فطاعة المطيعين علة في استحقاقهم ثوابه ، وزلات العاصين علة في استحقاقهم عقابه !

وقال أهل السنة من الأشعريَّة ومن جميع مَنْ خالف المعتزلة : إن الله سبحانه لا يجب عليه شيء ، وقالوا : إن الخلق خلقه ، والملك ملكه ، والحكم حكمه ، فله أن يتصرَّف في العباد بما يشاء ، وله أن يوصل الألم إلىٰ من يشاء ، ويوصل اللذة إلىٰ من يشاء ، وأنه يثيب المؤمنين ، ووعد لهم الجنة ، وقوله صدق ، فلا محالةَ أنه يجازيهم ويثيبهم ، ولو لم يعدهم عن طاعاتهم الثواب . . لم يكن يجب للعبد عليه شيء ؛ فإنه توعَّد العصاة بالعقوبة علىٰ معاصيهم علىٰ ذلك ؛ لأن وعيده حقٌّ ، ولو لم يعذِّبهم ولم يتوعَّدهم . . لكان ذلك جائزاً ، إلا أن الله سبحانه قال في صفة نفسه ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج : ١٦] ، فالمطيعون لا محالةَ لهم جزاء الطاعات ، ولـٰكن بفضل الله عليهم ، لا باستحقاقهم ، والعاصون لا محالة لهم علىٰ معاصيهم ما توعَّدهم به من العقاب ، لـٰكن لحكمة ، لا باستحقاقهم ، فالطاعات والمعاصي علاماتٌ للثواب والعقاب ، لا علل ولا موجبات ، ومن صرح في مخالفة هـٰذا . . فقد أقرَّ بالاعتزال والقدر ، ولقد أخبر الله سبحانه عن أهل الجنة أنهم يقولون : ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر : ٣٥] ، وقال تعالىٰ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور ٢١] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس ٩٩] ، وقال=

= تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : ١٣] ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥]

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد الإسفرايني ، أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق ، حدثنا سعيد بن مسعود المروزي السلمي ، أخبرنا النضر ، عن سهيل ، أخبرنا ابن عون ، عن محمد ، عن أبي هريرة قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **ليس أحدٌ منكم ينجيهِ عمله** » ، قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « **ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ومغفرة** »

أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك رحمة الله عليه : أن عبد الله بن جعفر أخبرهم ، حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا ابن أبي ذئب ، عن سعيد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **ما منكم أحد ينجيهِ عمله** » ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « **ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة** » .

وهـٰذه المسألةُ من شعب مسألة القدر ، وأهل الحقِّ لا يقولون بوجوب شيء على الله ، ويقولون : لله أن يحكم علىٰ عباده بما يريد ، ويختص من يشاء بالرحمة ، ويخص من يشاء بالألم والشدة ، ولو لم يَعِدْ أهلَ الطاعات بالثواب . . لم يتوجه لأحد عليه حقٌّ ، ولو ابتدأ الخلق بالعذاب . . لم يلحقه فيه لومٌ .

ولقد روى ابن الديلمي رحمه الله قال : أتيت أُبيَّ بن كعب رضي الله عنه ، فقلت : إنه وقع في نفسي شيء من القدر ، فحدِّثْني بشيء لعل الله أن يذهب من قلبي ، فقال : **لو أن الله عز وجل عذَّبَ أهل سماواته وأهل أرضه . . عذَّبهم وهو غيرُ ظالم لهم ، ولو رحمهم . . كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً . . ما قبله الله عز وجل منك حتىٰ تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، ولو مت علىٰ غير هـٰذا . . دخلت النار** .

ثم لقيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك ، ثم لقيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك ، ثم لقيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك .

ولقد أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الأهوازي ، أخبرنا أحمد بن عبد الصفار ، حدثنا بشر بن موسىٰ ، حدثنا حجاج ، حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصي ، حدثنا عمر بن عبيد الله مولىٰ غفرة ، عن رجل من الأنصار ، عن حذيفة قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه =

= وسلم « يكون قوم يقولون لا قدر ، أولـٰئك مجوسُ هـٰذه الأمة ؛ فإن مرضوا . . فلا تعودوهم ، وإن ماتوا . . فلا تشهدوهم ؛ فإنهم شيعةُ الدجال ، وحقٌّ على الله أن يلحقهم به »

وأخبرنا علي بن أحمد ، أخبرنا أحمد بن عبيد ، حدثنا محمد بن خلف بن هشام ، حدثنا محرز بن عون ، عن حسان بن إبراهيم الكرماني ، عن نصر ، عن قتادة ، عن أبي حسان الأعرج ، عن ناجية بن كعب ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « خلق الله يحيىٰ في بطن أمه مؤمناً ، وخلق الله فرعونَ في بطن أمه كافراً »

فالحمدُ لله الذي أوضحَ سبيل الدين بحُججه ، وهدىٰ للحقِّ سالكي نَهَجِهِ ، وخذل أهل البدع حتىٰ فَضَحوا أنفسهم بنصرة الباطل ، وظهر لجميع أهل السنة ما كان ملتبساً عليهم من أحوالهم الخافية .

وأمَّا ما يقولون عن الأشعريِّ : إنَّ مذهبه أن موسىٰ عليه السلام لم يسمعْ كلامَ الله عز وجل فسبحان الله ! كيف لا يستحيي من يأتي بمثل هـٰذا البهتان الذي يشهد بتكذيبه كلُّ مخالف وموافق ؟! إنَّ حَدَّ ما يجوزُ أن يُسمع عند الأشعريِّ هو الموجود ، وكلامُ الله عنده قديمٌ ، فكيف يقول : لا يجوز أن يسمع كلام الله وقد قال الله سبحانه : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء : ١٦٤] ؟! ومذهبه أن الله تعالىٰ أفرد موسىٰ في وقته بأن أسمعه كلام نفسه بغير واسطة ولا علىٰ لسان رسول ، وإنَّما لا يصحُّ هـٰذا علىٰ أصول القدرية الذين يقولون : إن كلام الله مخلوقٌ في الشجرة ، وموسىٰ عليه السلام يسمع كلامه ، وقال الأشعري : لو كان كلامه سبحانه في الشجرة . . لكان المتكلِّم بذلك الكلام الشجرة ! فالقدرية قالوا : إن موسىٰ عليه السلام سمع كلاماً من الشجرة ، فلزمهم أن يقولوا : إنه سمع كلام الشجرة ، لا كلام الله ، وهـٰذا كما قيل في المَثَل : « رمتني بدائها وانسلَّتْ » ، ومن نسب إلىٰ أحد قولاً لم يسمعه يقوله ، ولا أحد حكىٰ أنه سمعه يقول ذلك ، ولا وجد ذلك في كتبه ، ولم يقله أحدٌ من أصحابه ، ولم يناظر عليه أحدٌ ممن ينتحل مذهبه ، ولا وجد في كتب المقالات لموافق ولا مخالف أن ذلك مذهبه . . علم أنه بهتان وكذب ، وقد قال الله تعالىٰ في قصة الإفك : ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴾ [النور : ١٦] ، وهـٰذه مضاهيةٌ لتلك ، ونعوذ بالله من رقة الدين وقلة الحياء

وأمَّا ما قالوا : إن مذهبه أن القرآن لم يكن بين الدفتين ، وليس القرآن في المصحف عنده : فهـٰذا أيضاً تشنيع فظيع ، وتلبيس على العوام ، إن الأشعريَّ وكلَّ مسلم غيرِ مبتدع يقول : =

= إن القرآن كلام الله ، وهو على الحقيقة مكتوب في المصاحف لا على المجاز ، ومن قال إن القرآن ليس في المصاحف علىٰ هـٰذا الإطلاق . . فهو مخطئ ، بل القرآن مكتوب في المصحف على الحقيقة ، والقرآن كلام الله ، وهو قديمٌ غير مخلوق ، ولم يزل القديم سبحانه به متكلماً ، ولا يزال به قائماً ، ولا يجوز الانفصال على القرآن عن ذات الله ، ولا الحلول في المحالّ ، وكون الكلام مكتوباً على الحقيقة في الكتاب لا يقتضي حلوله فيه ، ولا انفصاله عن ذات المتكلم ؛ قال الله سبحانه : ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ، فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم على الحقيقة مكتوبٌ في التوراة والإنجيل ، وكذلك القرآن على الحقيقة مكتوب في المصاحف ، محفوظٌ في قلوب المؤمنين ، مقروءٌ متلو على الحقيقة بألسنة القارئين من المسلمين ؛ كما أن الله تعالىٰ على الحقيقة لا على المجاز معبودٌ في مساجدنا ، معلوم في قلوبنا ، مذكور بألسنتنا ، وهـٰذا واضحٌ بحمد الله .

ومن زاغ عن هـٰذه الطريقة . . فهو قدريٌّ معتزليٌّ ، يقول بخلق القرآن ، وأنه حالٌّ في المصحف ، نظير ما قالوا : إنه لما أسمع موسىٰ عليه السلام كلامه . . خلق كلامه في الشجرة ، وهـٰذا من فضائح المعتزلة التي لا يخفىٰ فسادُها علىٰ محصِّل ؛ وذلك أن عند الجبائي الذي هو رئيس القدرية البصرية أن القرآن يحلُّ في جميع المصاحف ، ولا يزداد بزيادة المصاحف ولا ينقص بنقصانها ، وهو حالٌّ في حالة واحدة في ألف ألف مصحف ، وإذا زيد في المصاحف يحصل فيها ، وإذا نقصت المصاحف وبطلت لم يبطل الكلام ولم ينقص ، ولئن لم يكن هـٰذا قولاً متناقضاً فاسداً . . فلا مُحالَ في الدنيا

وأما البغداديون من المعتزلة فعندهم كلام الله عز وجل كان أعراضاً حين خلقه ، والقرآن عندهم كان أعراضاً ، ولا يجوز عندهم البقاء على الأعراض ، فعلىٰ مذهبهم : ليس لله إلا كلام موجود على الحقيقة ، والقرآن الذي أنزله الله عز وجل علىٰ محمد صلى الله عليه وسلم ليس بباقٍ اليوم ولا موجود ، ومن ينتحل مثل هـٰذه البدع ثم يرمي خصمه بما هو بريء منه . . فالله سبحانه حسيبه ، وجميع أهل التحصيل شهداءُ علىٰ بهته .

وأمّا ما قالوا : إن الأشعريَّ يقول بتكفير العوام فهو أيضاً كذب وزور وقصدُ من يتعنَّت بذلك تحريشُ الجهلة والذين لا تحصيلَ لهم عليه ؛ كعادة من لا تحصيلَ له في تقوُّله بما لا أصلَ له ، وهـٰذا أيضاً من تلبيسات الكرامية على العوامِّ ومن لا تحصيلَ له ؛ فإنهم يقولون : الإيمان هو الإقرار المجرد ، ومن لا يقول : الإيمان هو الإقرار . . انسدَّ عليه طريق التمييز بين المؤمن وبين الكافر ؛ لأنَّا إنَّما نفرِّق بينهما بهـٰذا الإقرار ، وغير الكراميّة =

= من غير أهل القبلة لا يجوِّزُ هـٰذا السؤال ، وجميع أهل القبلة سوى الكراميَّة في الجواب عن هـٰذا السؤال متساوون ؛ وذلك أن الإيمان عند أصحاب الحديث جميعُ الطاعات ؛ فرضُها ونفلُها ، والانتهاء عن جميع ما نهى الله عنه تحريماً وتنزيهاً

وعند أبي الحسن الأشعري رحمه الله : الإيمانُ هو التصديق ، وهـٰذا مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ، والظنُّ بجميع عوام المسلمين أنَّهم يصدقون الله تعالىٰ في إخباره ، وأنَّهم عارفون بالله ، مستدلُّون عليه بآياته ، فأمَّا ما تنطوي عليه العقائدُ ويستكنُّ في القلوب من اليقين والشكِّ . . فالله تعالىٰ أعلمُ به ، وليس لأحدٍ علىٰ ما في قلب أحد اطلاعٌ ، فنحن نحكمُ لجميع عوامِّ المسلمين بأنهم مؤمنون مسلمون في الظاهر ، ونحسن الظن بهم ، ونعتقد أن لهم نظراً واستدلالاً في أفعال الله ، وأنهم يعرفونه سبحانه ، والله أعلم بما في قلوبهم ، وليس كلُّ ما يحكم به على الناس بأحكام المسلمين هو عين الإيمان ؛ فإن الدار إذا كانت دار إسلام ، ووجدنا شخصاً ليس معه غيار الكفار . . فإنا نأكلُ ذبيحته ، ونصلِّي خلفه ، ولو وجدناه ميتاً . . لغسَّلناه ، ونصلي عليه ، وندفنه في مقابر المسلمين ، ونعقد معه عقد المصاهرة ، وإن لم نسمع منه الإقرارَ ، وكونه بزيِّ المسلمين بالاتفاق ليس بإيمانٍ ، وبذلك نجري عليه أحكام المؤمنين ، وكذلك بالإقرار نجري عليه أحكام المؤمنين ، وإن كان الإيمان غير الإقرار .

فإن قيل : فقد قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ . . . وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْۚ ﴾ [البقرة : ٢٢١] ، وإذا أتىٰ بالإقرار . . حكمنا بإيمانه ، فعُلم أن الإقرار هو الإيمان .

قيل : هـٰذا كسؤال الكراميَّة ، ولا يختصُّ الأشعريُّ بجوابه ، فجميع من لا يقول : « إن الإيمان هو الإقرار المجرد » مشتركون في الجواب عن هـٰذا .

وجواب الجمهور : أنَّا بإقراره نحكم في الظاهر بإيمانه ، والله أعلم بحقيقة حاله في صدقه وكذبه ، وهـٰذا كقوله تعالىٰ : ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، ثم إذا قالت : قد طهرت . . جاز قربانُها وإن جاز أن يكون حالها في المغيب بخلاف ما قالت ، فكذلك هـٰذا

فإن قالوا : فالأشعريُّ يقول : إن العوام إذا لم يعلموا علم الكلام . . فهم أصحابُ التقليد ، فليسوا بمؤمنين .

قيل : هـٰذا أيضاً تلبيس ، ونقول : إن الأشعريَّ لا يشترطُ في صحَّة الإيمان ما قالوا من علم الكلام ، بل هو وجميعُ أهل التحصيل من أهل القبلة يقولون : يجب على المكلَّف أن يعرف =

= الصانع المعبود بدلائله التي نصبها علىٰ توحيده ، واستحقاق نعوت الربوبية ، وليس المقصود استعمال ألفاظ المتكلِّمين من الجوهر والعرض ، وإنَّما المقصود حصولُ النظر والاستدلال المؤدي إلىٰ معرفة الله عز وجل ، وإنما استعمل المتكلِّمون هـٰذه الألفاظ علىٰ سبيل التقريب والتسهيل على المتعلِّمين ، والسلف الصالح وإن لم يستعملوا هـٰذه الألفاظ لم يكن في معارفهم خلل ، والخلف الذين استعملوا هـٰذه الألفاظ لم يكن ذلك منهم لطريق الحقِّ مباينة ، ولا في الدين بدعة ، كما أن المتأخِّرين من الفقهاء عن زمان الصحابة والتابعين استعملوا ألفاظَ الفقهاء ؛ من لفظ العلة والمعلول والقياس وغيره ، ثم لم يكن استعمالُهم بذلك بدعةً ، ولا خلوُّ السلف عن ذلك كان لهم نقصاً ، وكذلك شأن النحويين والتصريفيين ونقلة الأخبار في ألفاظ تختصُّ كلُّ فرقة منهم بها .

فإن قالوا : إن الاشتغال بعلم الكلام بدعةٌ ومخالفةٌ لطريق السلف .

قيل : لا يختص بهـٰذا السؤال الأشعريُّ دون غيره من متكلِّمي أهل القبلة ، ثم الاسترواحُ إلىٰ مثل هـٰذا الكلام صفةُ الحشوية الذين لا تحصيلَ لهم ، وكيف يُظنُّ بسلف الأمَّة أنهم لم يسلكوا سبيلَ النظر ، وأنهم رضوا بالتقليد ؟! حاشَ لله أن يكون ذلك وصفَهم ، ولقد كان السلفُ من الصحابة رضي الله عنهم مستقلِّين بما عرفوا من الحقِّ ، وسمعوا من الرسول صلى الله عليه وسلم من أوصاف المعبود ، وتأمَّلوه من الأدلَّة المنصوبة في القرآن وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم في مسائل التوحيد ، وكذلك التابعون وأتباعُ التابعين ؛ لقرب عهدهم من الرسول صلى الله عليه وسلم

فلمَّا ظهر أهل الأهواء ، وكثُرَ أهل البدع ؛ من الخوارج والجهمية والمعتزلة والقدرية ، وأوردوا الشُّبهَ . . انتَدَبَ أئمةُ السنة لمخالفتهم ، والانتصار للمسلمين بما ينيرُ طريقَهم ، فلمَّا أشفقوا على القلوب أن تخامرَها شبهُهم . . شرعوا في الردِّ وكشف فسقهم ، وأجابوهم عن أسئلتهم ، وتحاموا عن دين الله بإيضاح الحجج ، ولما قال الله تعالىٰ : ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] . . تأدَّبوا بآدابه سبحانه ، ولم يقولوا في مسائل التوحيد إلا بما نبَّهَهم الله سبحانه عليه في محكم التنزيل

والعجبُ ممن يقول : ليس في القرآن علمُ الكلام ، والآيات التي في الأحكام الشرعية والآيات التي فيها علمُ الأصول يجدها توفي علىٰ ذلك وتربي بكثير !

وفي الجملة : لا يجحد علمَ الكلام إلا أحدُ رجلين :

ـ جاهلٌ ركن إلى التقليد ، وشقَّ عليه سلوكُ أهل التحصيل ، وخلا عن طريق أهل النظر ، والناس أعداء ما جهلوا ، فلما انتهىٰ عن التحقُّق بهـٰذا العلم . . نهى الناسَ ؛ ليضلَّ غيره =

(ولمَّا ظهرَ ابتداءُ هـٰذه الفتنةِ بنيسابورَ وانتشرَ في الآفاق خبرُهُ ، وعظُمَ على قلوب كافَّة المسلمين من أهل السنَّة والجماعة أثرُهُ ، ولم يبعدْ أن يخامرَ قلوبَ بعضِ أهل السلامة والوداعة توهُّمٌ في بعض هـٰذه المسائلِ ؛ أنْ لعلَّ الإمام أبا الحسن عليَّ بن إسماعيل الأشعريَّ رحمه الله قال ببعض هـٰذه المقالاتِ في بعض كتبِهِ ! ولقد قيل : « مَنْ يسمعْ يَخَلْ »[1] . . أثبتنا هـٰذه الفصولَ في شرح هـٰذه الحالة ، وأوضحنا صورةَ الأمر بذكر هـٰذه الجملة ؛ ليضربَ كلُّ مَنْ كان من أهل السنَّة إذا وقفَ عليها بسهمِهِ في الانتصار لدين الله ؛ من دعاءٍ يُخْلِصُهُ ، واهتمامٍ يصدقُهُ ، وكَلٌّ عن قلوبنا بالاستماع إلىٰ هـٰذه القصة يحملُهُ ، بل ثوابٍ مِنَ الله على التوجُّع بذلك يستوجبُهُ ، واللهُ غالبٌ علىٰ أمره ، وله الحمدُ علىٰ ما يمضيه من أحكامه ويبرمُهُ ، ويقضيه من أفعاله فيما يؤخِّرُهُ ويقدِّمُهُ ، وصلواتُهُ علىٰ سيدنا المصطفىٰ وعلىٰ آله وسلم ، ولا حولَ ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم)[2]

* *

= كما ضلَّ .

ـ أو رجلٌ يعتقد مذاهبَ فاسدة ، فينطوي علىٰ بدع خفية يلبِّسُ على الناس عَوار مذهبه ، ويعمي عليهم فضائحَ طويَّته وعقيدته ، ويعلم أن أهل التحصيل من أهل النظر هم الذين يهتكون السترَ عن بدعهم ، ويظهرون للناس قبْحَ مقالتهم ، والقلاب لا يحبُّ مَن يميِّزُ النقودَ ، والخلل فيما في يده من النقود الفاسدة ، لا في الصرَّاف ذي التمييز والبصيرة ، وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩]) .

(١) مَثَلٌ مشهور ، ومعناه كما ذكر الميداني في « مجمع الأمثال » (٢/ ٣٠٠) : (من يسمع أخبارَ الناس ومعايبهم . . يقع في نفسه عليهم المكروه) .

(٢) انتهت « شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة » .

[ذكرُ جواباتِ العلماءِ التي كتبوها بخطوطِهم بشأنِ استفتاءٍ حولَ فتنةِ الافتئاتِ والتطاولِ على شيخِ السنَّة الأشعريِّ]

١٣١ـ دفعَ إليَّ أبو محمدٍ عبدُ الواحد بن عبد الماجد بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القشيريُّ الصوفيُّ النيسابوريُّ بدمشقَ.. مكتوباً بخطِّ جدِّهِ الإمام أبي القاسم القشيريِّ ، وأنا أعرفُ الخطَّ ، فوجدتُ فيه

(بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، اتَّفق أصحابُ الحديث : أنَّ أبا الحسن عليَّ بن إسماعيل الأشعريَّ كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث ، ومذهبُهُ مذهبَ أصحاب الحديث ، تكلَّم في أصول الديانات علىٰ طريقة أهل السنَّة ، وردَّ على المخالفين من أهل الزيغِ والبدعة ، وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين من الملَّة سيفاً مسلولاً ، ومَنْ طعنَ فيه أو قدحَ أو لعنَهُ أو سبَّهُ[١] .. فقد بسطَ لسانَ السوء في جميعِ أهلِ السنة .

بذلنا خطوطَنا طائعين بذلك في هـٰذا الذكر في ذي القعدة ، سنة ست وثلاثين وأربع مئة ، والأمرُ علىٰ هـٰذه الجملة المذكورة في هـٰذا الذكر ، وكتبَهُ عبدُ الكريم بن هوازن القشيريُّ)

وفيه بخطِّ أبي عبد الله الخبازيِّ المقرئ[٢] : (كذلك يعرفُهُ محمدُ بن عليٍّ الخبازيُّ ، وهـٰذا خطُّهُ) .

---

(١) في (و) وحدها : (قدح فيه) بدل (قدح) .

(٢) وهو بالإضافة إلىٰ إمامته في القراءات قد رحل إلى الكشميهني أحد رواة « الصحيح » ، وروىٰ « صحيح البخاري » عنه .

وبخطِّ الإمام أبي محمد الجوينيِّ (الأمرُ علىٰ هـٰذه الجملة المذكورة فيه ، وكتبَهُ عبدُ الله بن يوسف) .

وبخطِّ أبي الفتح الشاشيِّ (الأمرُ على الجملة التي ذُكرت ، وكتبَهُ نصرُ بن محمد الشاشيُّ بخطِّهِ)

وبخطِّ آخرَ : (الأمرُ علىٰ هـٰذه الجملة المذكورة فيه ، وكتبَهُ علي بن أحمد الجوينيُّ بخطِّهِ)

وبخطِّ أبي الفتح العُمَريِّ الهرويِّ الفقيه (الأمرُ على الجملة المذكورة فيه ، وكتبَهُ ناصرُ بن الحسين بخطِّهِ)

وبخطِّ الأيوبيِّ (الأمرُ على الجملة التي ذُكرت فيه ، وكتبَهُ أحمدُ بن محمد بن الحسن بن أبي أيوبَ بخطِّهِ)

وبخطِّ أخيه (الأمرُ علىٰ هـٰذه الجملة المذكورة فيه ، وكتبَهُ عليُّ بن محمد بن أبي أيوبَ بخطِّهِ) .

وبخطِّ الإمام أبي عثمانَ الصَّابونيِّ : (الأمرُ على الجملة المذكورة ، وكتبَهُ إسماعيلُ بن عبد الرحمـٰن الصابونيُّ) .

وبخطِّ ابنِهِ أبي نصرٍ الصَّابونيِّ (الأمرُ على الجملة المذكورة صدرَ هـٰذا الذكر ، وكتبَهُ عبد الله بن إسماعيل الصابونيُّ) .

وبخطِّ الشريف البكريِّ : (الأمرُ علىٰ نحو ما بَيَّنَ دَرجُ هـٰذا الذكر ، وكتبَهُ عليُّ بن الحسن البكريُّ الزبيريُّ بخطِّه) .

وبخطِّ آخرَ : (هو إمامٌ من أئمة أصحاب الحديث ، والأمرُ علىٰ ما وُصفَ في هـٰذا الذكر ، وكتبَهُ محمدُ بن الحسن بيدِهِ)

وبخطِّ أبي الحسن الملقاباذيِّ : (أبو الحسنِ الأشعريُّ رحمةُ الله عليه إمامٌ

من أئمة أصحاب الحديث ، ورئيس من رؤسائهم في أصول الدين ، وطريقتُهُ طريقةُ السنة والجماعة ، ودينه واعتقادُهُ مرضيٌّ مقبول عند الفريقين ، وكتبَهُ عليُّ بن محمد الملقاباذيُّ بخطِّهِ)

وبخطِّ عبدِ الجبار الإسفراينيِّ بالفارسيةِ[1] : (اين بو الحسن أشعري آن إمام است كخداوند عز وجل اين آيت درشأن وي فرستاد : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، ومصطفىٰ عليه السلام درآن وقت بجد وي اشارت كرد « بو موسىٰ أشعري » ، فقال : « هُمْ قَوْمُ هَـٰذَا » ، وكتبَهُ عبدُ الجبار بن علي بن محمد الإسفرايني بخطِّهِ)

وبخطِّ ابنِهِ : (وهكذا يقول محمدُ بن عبد الجبّار بن محمد) .

نقلتُ هـٰذه الخطوطَ علىٰ نصِّها من ذلك الدرج[2] ، ونقلَها غيري من الفقهاء .

وتفسيرُ قولِ هـٰذا الفارسيِّ : هـٰذا أبو الحسن كان إماماً ، ولما أنزل الله عز وجل قوله : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] . أشار المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم إلىٰ أبي موسىٰ وقال : « هُمْ قَوْمُ هَـٰذَا »[3]

* وذكر الشيخُ الإمام رُكن الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الجوينيُّ رحمه الله في آخر كتاب صنَّفه سمَّاهُ : « عقيدة أصحاب الإمام المطلبي الشافعي

---

(١) وسيأتي تفسيرُها من قبل المصنف بعد رَقْمها

(٢) يعني : الذي أخذه من حفيد الإمام القشيري ، والمتقدم ذكره أول الخبر : (١٣١) .

(٣) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (بل تفسيره : أبو الحسن الأشعري هـٰذا إمام أنزل الله عز وجل في شأنه هـٰذه الآية : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، وأشار النبي صلى الله عليه وسلم لمَّا نزلت إلىٰ جدِّهِ أبي موسى الأشعري وقال : « هم قوم هـٰذا ») انتهىٰ ، ولـٰكن قوله : (لما نزلت) غير موجود في كلام الإسفرايني ، فكأنه زيادة شرح من العلامة الكوثري .

رحمه الله وكافة أهل السنة والجماعة » فقال :

(ونعتقد أنَّ المصيب من المجتهدين في الأصول والفروع واحدٌ ، ويجب التعيينُ في الأصول ، وأما في الفروع . . فربَّما يتأتَّى التعيين وربما لا يتأتَّىٰ ، ومذهبُ الشيخ أبي الحسن رحمه الله تصويبُ المجتهدين في الفروع ، وليس ذلك مذهبَ الشافعي رضي الله عنه ، وأبو الحسن أحدُ أصحاب الشافعيِّ رضي الله عنه ، فإذا خالفَهُ في شيء . . أعرضنا عنه فيه ، ومن هـٰذا القبيل قوله : أن لا صيغةَ للألفاظ ، وتقلُّ وتعزُّ مخالفتُهُ أصولَ الشافعيِّ رضي الله عنه ونصوصَهُ ، وربما نسبَ المبتدعون إليه ما هو بريءٌ عنه ؛ كما نسبوا إليه أنه يقول : ليس في المصحف قرآنٌ ، ولا في القبر نبيٌّ[1] ، وكذلك الاستثناءُ في الإيمان ، ونفْيُ قدرة الخلق في الأزل ، وتكفيرُ العوامِّ ، وإيجابُ علم الدليل عليهم ، وقد تصفَّحْتُ ما تصفَّحْتُ من كتبه ، وتأمَّلت نصوصه في هـٰذه المسائل ؛ فوجدتُها كلَّها خلافَ ما نُسِبَ إليه ، ولا عجبَ إن اعترضوا عليه واخترصوا ؛ فإنَّه رحمه الله فاضحُ القدرية وعامَّة المبتدعة وكاشفُ عوراتهم ، ولا خيرَ فيمن لا يُعْرَفُ حاسدُهُ)[2]

* * *

(١) وهاتان المسألتان مع مسألة تكفير العوام وإيجاب النظر عليهم . . من المسائل الأربعة التي بيَّنها الإمام القشيري في « شكاية أهل السنة » المتقدم ذكرها متناً وتعليقاً .

(٢) كذا ضُبطت هـٰذه العبارةُ في (ب ، هـ) ، وهي تشبهُ قولَ حجة الإسلام الغزالي في طالعة كتابه « فيصل التفرقة » حينما اتهمه بعضُ جهلةِ أهلِ زمانه بالكفر والزندقة ، فقال لتلميذه الذي شكا له ذلك : (واستحقرْ مَنْ لا يُحْسَدُ ولا يُقذف ، واستَصْغِرْ مَنْ بالكفر أو الضلال لا يُعْرف) ، وقولَ بعضهم [من البسيط]

مُحسَّـدونَ وشـرُّ النـاسِ منـزلـةً ... مَنْ عاشَ في الناسِ يوماً غيرَ محسودِ

[ابتداءُ حوارِ متكلِّمي أهلِ السنَّةِ لأهلِ الأهواءِ وبزوغُ نجمِ شيخِ السنَّةِ الأشعريِّ]

١٣٢ـ قرأتُ في كتابِ أبي يعقوبَ يوسفَ بن علي بن محمد المؤدِّبِ ، الذي قرأَهُ علىٰ أبي الفتوح بن عباسٍ ، عن عبيد الله بن أحمد بن محمد الرجراجيِّ[١] قال : حدثنا أبو عبد الله محمدُ بن موسى بن عمَّار الكَلاعيُّ المايُرْقِيُّ الفقيهُ قال : أعظمُ ما كانَتِ المحنةُ ـ يعني : بالمعتزلة ـ زمنَ المأمون والمعتصم ، فتورَّعَ مِن مجادلتهم أحمدُ بن حنبل رضي الله عنه ، فموَّهوا بذلك على الملوك ، وقالوا لهم : إنَّهم ـ يعنون : أهلَ السنَّة ـ يَفِرُّون من المناظرة ؛ لِمَا يعلمون مِن ضعفِهم عن نصرة الباطل ، وإنَّهم لا حجةَ بأيديهم ، وشنَّعوا بذلك عليهم ، حتى امتُحِنَ في زمانهم أحمدُ بن حنبل وغيرُهُ ، فأخذَ الناسُ حينئذٍ بالقول بخلْقِ القرآن ، حتىٰ ما كانَ تقبلُ شهادةُ شاهدٍ[٢] ، ولا يُسْتقضَىٰ قاضٍ ، ولا يفتي مُفتٍ ؛ لا يقول بخلْقِ القرآن .

وكان في ذلك الوقت من المتكلِّمين جماعةٌ ؛ كعبد العزيز المكيِّ ، والحارث المحاسبيِّ ، وعبدِ الله بن كُلاَّبٍ ، وجماعة غيرهم ، وكانوا أولي زهدٍ وتقشُّفٍ لم يَرَ واحدٌ منهم أن يطأَ لأهل البدع بساطاً ، ولا أن يداخلوهم ، فكانوا يردُّون عليهم ، ويؤلِّفون الكتبَ في إدحاض حُججهم ، إلىٰ أن نشأَ بعدَهم وعاصرَ بعضَهم بالبصرةِ أيامَ إسماعيلَ القاضي[٣] ببغداد أبو الحسن

(١) ضبطها في (ب) بكسر الراء الأولىٰ .
(٢) كذا في (أ ، ط) ، وفي غيرها : (حتىٰ ما يقبلُ شهادة شاهد) .
(٣) القاضي أبو إسحاق الأزدي ، وهو أول من عيَّن الشهادةَ ببغداد لقوم ، ومنع غيرهم ، =

عليُّ بن إسماعيل بن أبي بشرٍ الأشعريُّ[1] ، فصنَّفَ في هـٰذا العلم لأهل السنَّة التصانيفَ ، وألَّفَ لهم التواليفَ ، حتىٰ أدحضَ حججَ المعتزلة وكسر شوكتَهم .

وكان يقصدُهم بنفسه يناظرُهم ، فكُلِّمَ في ذلك ، وقيل له : كيف تخالطُ أهل البدع وتقصدُهم بنفسك وقد أمرتَ بهجرِهم ؟

فقال : هم أولو رئاسةٍ ؛ معهم الوالي والقاضي ، ولرئاستهم لا ينزلون إليَّ ، فإذا كانوا هم لا ينزلون إليَّ ، ولا أسيرُ أنا إليهم . . فكيف يظهرُ الحقُّ ، ويعلمون أنَّ لأهل السنة ناصراً بالحجَّة ؟!

وكان أكثرُ مناظرتِهِ مع الجُبَّائيِّ المعتزليِّ ، وله معه في الظُّهور عليه مجالسُ كثيرةٌ ، فلمَّا كثُرَت تواليفُهُ ، ونصرَ مذهبَ أهل السنة وبسطَهُ . . تعلَّقَ بها أهلُ السنة ؛ من المالكية والشافعية وبعض الحنيفيَّة ، فأهلُ السنَّة بالمشرق والمغرب بلسانه يتكلَّمون ، وبحُجَّته يحتجُّون .

وله من التواليف والتصانيف ما لا يُحصىٰ كثرةً ، وكان ألَّفَ في القرآن كتابَهُ الملقَّبَ بـ « المُختَزَن » ، ذكر لي بعضُ أصحابنا أنَّه رأىٰ منه طرفاً ، وكان بلغ سورةَ (الكهف) ، وقد انتهىٰ مئة كتاب ، ولم يتركْ آيةً تَعلَّق بها بدعيٌّ إلا أبطلَ تعلُّقه بها ، وجعلها حجَّة لأهل الحقِّ ، وبيَّنَ المجملَ ، وشرح المشكِلَ[2] ، ومن وقفَ علىٰ تواليفه . . رأىٰ أنَّ الله تعالىٰ قد أمدَّهُ بموادِّ

= وقال : قد فسد الناس ، وقد توفي سنة (٢٨٢ هـ) .

(١) في (هـ) وحدها : (موسىٰ) بدل (بشر) .

(٢) قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٣٥٥) : (وتفسيرُهُ كتاب حافلٌ جامع ، قال شيخنا الذهبي : « إنه لمَّا صنَّفه كان على الاعتزال ! » قلتُ : وليس الأمر كذلك ؛ فقد وقفتُ على الجزء الأول منه ، وكلُّهُ ردٌّ على المعتزلة ، وتبيينٌ لفساد تأويلاتهم وكثرة تحريفهم ، وفي مقدمة تفسيره من ذلك ما يقضي ناظرُهُ العجبَ منه ، وبالله التوفيق) .

توفيقه ، وأقامه لنصرة الحقِّ والذَّبِّ عن طريقِهِ

وكان في مذهبه مالكيّاً علىٰ مذهب مالكِ بن أنسٍ رضي الله عنه ، وقد كان ذكرَ لي بعضُ مَن لقيتُ من الشافعيَّة أنَّه كان شافعيّاً[1] ، حتىٰ لقيتُ الشيخ الفاضلَ رافعاً الحمَّالَ الفقيهَ ، فذكرَ لي عن شيوخه أنَّ أبا الحسنِ الأشعريَّ كان مالكيّاً[2] ، فنُسبَ مَنْ تعلَّقَ اليومَ بمذهب أهل السنة وتفقَّهَ في معرفة أصول

---

(١) تقدَّم قريباً النقل عن الإمام أبي محمد الجويني (ص ٢٦٠) أنه كان شافعياً ، وأنه خالف الشافعي في يسير نصوص ، وقال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٣٥٢) : (وقد زعم بعض الناس أن الشيخ كان مالكي المذهب ، وليس ذلك بصحيح ، إنما كان شافعياً ؛ تفقه علىٰ أبي إسحاق المروزي ، نصَّ علىٰ ذلك الأستاذ أبو بكر بن فورك في « طبقات المتكلمين » ، والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني فيما نقله عنه الشيخ أبو محمد الجويني في « شرح الرسالة ») وسيأتي كلامٌ للمصنف قريباً يؤكِّد أنه كان شافعياً .

(٢) جاء في هامش (هـ) حاشية : (حكى الشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين في شرحه لـ« رسالة الشافعي » عن الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني قال : دخل أبو الحسن الأشعري العراق وكان يقرأ علىٰ أبي إسحاق المروزي الفقه وهو يقرأ علىٰ أبي الحسن الكلام ، وزعم بعض المالكية أنه كان مالكيّاً ، ولم يصبْ ، فإن الذي حكاه من يخبر حاله أنه كان شافعيّاً حكاه ابن الصلاح عن الجويني رحمهم الله) انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (٢/ ٦٠٥) .

علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (ترىٰ أصحاب المذاهب يتجاذبونه إلىٰ مذاهبهم ، والحقُّ : أنه نشأ علىٰ مذهب أبي حنيفة كما ذكره الإمام مسعود بن أبي شيبة في كتاب « التعليم » ، وعوَّل عليه الحافظ عبد القادر القرشي والمقريزي وجماعة ، ولم يثبت منه الرجوع عن المذهب حين رجع عن الاعتزال .

وسبب التجاذب بينهم : أنه كان ينظر في فقه المذاهب ، ولا يتحزَّب لبعضها علىٰ بعض ، بل ينسب إليه القول بتصويب المجتهدين في الفروع ، وهـٰذا مما سهَّل له جمع كلمة أهل السنة حول دعوته الحقَّة ، بل كان يقول للحنابلة : أنا علىٰ مذهب أحمد كما في « الإبانة » [ص٢٠] ؛ ليتدرج بالحشوية منهم إلىٰ معتقد أهل السنة ، وهو يريد بذلك أنه ليس لأحمد مذهب خاصٌّ في المعتقد سوىٰ ما عليه جمهور أهل السنة ، وهـٰأنذا علىٰ معتقدٍ يجمعني وإياه ، وقد سعىٰ لجمع كلمتهم بكلِّ حكمة ، جزاه الله عن السنَّة خيراً) انتهىٰ . =

الدين من سائر المذاهب إلى الأشعريِّ ؛ لكثرة تواليفه ، وكثرة قراءةِ الناس لها ، ولم يكن هو أوَّلَ متكلِّمٍ بلسان أهل السنَّة ، إنَّما جرىٰ علىٰ سَنَنِ غيره ، وعلىٰ نصرة مذهبٍ معروف ، فزاد المذهبَ حُجَّةً وبياناً ، ولم يبتدع مقالةً اخترعَها ، ولا مذهباً انفردَ به ، ألا ترىٰ أنَّ مذهب أهل المدينة يُنسبُ إلىٰ مالك بن أنس رضي الله عنه ، ومن كان علىٰ مذهب أهل المدينة يُقالُ له : مالكيٌّ ، ومالكٌ رضي الله عنه إنَّما جرىٰ علىٰ سَنَنِ من كان قبله ، وكان كثيرَ الاتِّباع لهم ، إلا أنَّه زاد المذهبَ بياناً وبسطاً وحجة وشرحاً ، وألَّفَ كتابه « الموطأ » ، وما أُخذ عنه من الأسمعة والفتاوىٰ ، فنُسبَ المذهبُ إليه ؛ لكثرة بسطِهِ له وكلامِهِ فيه ؛ فكذلك أبو الحسن الأشعريُّ رضي الله عنه ، لا فرقَ ، وليس له في المذهب أكثرُ من بسطه وشرحه ، وتواليفه في نصرته .

فنَجُبَ من تلاميذه خلْقٌ كثير بالمشرق ، وكانت شوكةُ المعتزلة بالعراق شديدةً ، إلىٰ أن كان زمن الملك فَنَّاخُسْرو ، وكان ملكاً يحبُّ العلم والعلماءَ ، وكانت له مجالسُ يقعدُ فيها للعلماء ومناظرتهم ، وكان قاضي القضاة في وقته معتزليّاً[1] ، فقال له فَنَّاخُسْرو يوماً : هـٰذا المجلس عامرٌ من العلماء ، إلا أنِّي لا أرىٰ أحداً من أهل السنة والإثبات ينصرُ مذهبَهُ ! فقال

= ونسبة القول له بتصويب المجتهدين تقدَّم قريباً في كلام الإمام أبي محمد الجويني رحمه الله تعالىٰ .

(1) هو قاضي القضاة أبو سعد بشر بن الحسين بن مسلم الشيرازي ، ومن عجيب أمره : أنه كان ظاهرياً في الفروع آخذاً بمذهب داود الظاهري ، ومعتزلياً في الأصول ، ويقول العلامة المحقق أحمد صقر الحسيني رحمه الله تعالىٰ في مقدمته لكتاب « إعجاز القرآن » (ص ٢٠) في وصف مجلس عضد الدولة المذكور : (وكان مجلسه هـٰذا يحتوي علىٰ شياطين المعتزلة ؛ كأبي سعد بشر بن الحسين قاضي قضاة شيراز ، المتوفىٰ سنة « ٣٨٠ هـ » ، والأحدب رئيس المعتزلة ببغداد ، وأبي إسحاق النصيبيني رئيسهم بالبصرة ، وأبي الحسن محمد بن شجاع) وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ٣٠) .

له[1] : إنَّ هـٰؤلاء القومَ عامَّة رَعاعٌ ، أصحابُ تقليد وأخبار وروايات ، يَرْوُون الخبرَ وضدَّهُ ، ويعتقدونهما جميعاً وأحدُهُما ناسخٌ للثاني أو متأوَّلٌ ، ولا أعرفُ أحداً منهم يقوم بهـٰذا الأمر ، وهو الفاسقُ ! إنَّما أرادَ إطفاءَ نور الحقِّ ، ويأبى اللهُ إلا أن يتمَّ نورَهُ .

ثم أقبلَ يمدحُ المعتزلةَ ، ويُثني عليهم بما استطاع ، فقال الملكُ : محالٌ أن يخلوَ مذهبٌ طبَّقَ الأرض من ناصرٍ ينصرُهُ ، فانظروا أيَّ موضعٍ يكون مناظرٌ لنكتبَ فيه ويحضرَ مجلسَنا ، فلمَّا عزمَ في ذلك ، وكان ذلك العزم أمراً من الله أراد به نُصرةَ الحقِّ . . فقال له : أصلحَ اللهُ الملكَ ، خبَّروني أنَّ بالبصرة رجلين ؛ شيخاً وشاباً ؛ أحدُهُما يُعرفُ بأبي الحسنِ الباهليِّ ، والشابُّ يُعرفُ بابن الباقلانيِّ .

وكانت حضرةُ الملك يومئذٍ بشيرازَ ، فكتب الملكُ إلى العامل ليبعثَهُما إليه ، وأطلق مالاً لنفقتِهما من طيِّبِ المال[2]

قال القاضي أبو بكرٍ الباقلانيُّ : فلمَّا وصلَ الكتابُ إلينا . . قال الشيخُ وبعضُ أصحابنا[3] : هـٰؤلاء قومٌ فسقة ، لا يحلُّ لنا أن نطأَ بساطهم ، وليس غرضُ الملك من هـٰذا إلا أن يُقالَ : إنَّ مجلسَهُ مشتملٌ على أصحاب المحابر كلِّهم ، ولو كان ذلك لله عزَّ وجلَّ خالصاً . . لنهضتُ ، فأنا لا أحضرُ عند قوم هـٰذه صفتُهم

فقال القاضي رحمه الله كذا قال ابنُ كُلَّاب والمحاسبيُّ ومَن كان في عصرِهما من المتكلِّمين : إنَّ المأمونَ لا نحضرُ مجلسَهُ ؛ حتى ساق أحمدَ إلى

---

(١) كذا في (أ ، و ، ط) ، وسقطت من (ب ، هـ) .

(٢) وكانت خمسة آلاف درهم فضة طيبة . انظر « أزهار الرياض » (٣/ ٧٩) .

(٣) القائل هو الإمام أبو بكر بن مجاهد رحمه الله تعالى . انظر « أزهار الرياض » (٣/ ٧٩) .

طرسوسَ ، ثم مات المأمونُ ، وردُّوهُ إلى المعتصم ، فامتحنَهُ وضربَهُ ، وهـٰؤلاء أسلموهُ ، ولو مرُّوا إليه وناظروهُ . . لكفوهُ عن هـٰذا الأمر ؛ فإنَّهُ كان يزعمُ أنَّ القوم ليسَتْ لهم حجَّةٌ علىٰ دعاويهم ، فلو مرُّوا إليه وبيَّنوا للمعتصم . . لارتدعَ المعتصمُ ، ولـٰكن أسلموهُ ، فجرىٰ علىٰ أحمدَ بن حنبلٍ رضي الله عنه ما جرىٰ ، وأنت أيُّها الشيخ تسلكُ سبيلَهم ، حتىٰ يجريَ على الفقهاء ما جرىٰ علىٰ أحمدَ ، أو يقولوا بخلْقِ القرآن ونفْيِ رؤية الله عزَّ وجلَّ ! وهـٰأنا خارجٌ إن لم تخرجْ[1]

قال : فخرجتُ مع الرسول نحوَ شيرازَ في البحر حتىٰ وصلتُ إليها

ثم ذكرَ من دخوله على الملك ومناظرتِهِ مع المعتزلة وقطعِهِ إيَّاهم ما ذكرَ[2] ،

---

(١) فقال له الإمام ابن مجاهد : إذا شرح الله لك صدرك لذلك . . فافعل انظر « أزهار الرياض » (٣/ ٨٠)

(٢) والنفس تتشوَّف وتتشوَّقُ لمعرفة ما كان في هـٰذه الواقعة ، فإليك تمامَ خبرها كما أورده العلامة المَقَّريُّ في « أزهار الرياض » (٣/ ٨٠)

(قال القاضي أبو بكر بن الطيب : فخرجتُ إلىٰ شيرازَ ، فلما دخلت المدينة . . استقبلني ابنُ خفيف في جماعة من الصوفية وأهل السنة ، فلمَّا جلسنا في موضع كان ابنُ خفيف يدارسُ فيه أصحابه « اللمع » للشيخ أبي الحسن الأشعري . . قال له القاضي أبو بكر : تَمَادَ على التدريس كما كنتَ ، فقال له ابنُ خفيف : أصلحَكَ الله ! إنما أنا بمنزلة المتيمم عند عدم الماء ، فإذا وجد الماء . . فلا حاجةَ إلى التيمُّم ، فقال له القاضي : جزاكَ الله خيراً ، وما أنت بمتيمِّم ، بل لك حظٌّ وافرٌ من هـٰذا العلوم ، وأنت على الحقِّ واللهُ ينصرك

قال القاضي أبو بكر فقلتُ : متى الدخول إلىٰ فنَّاخسرو ؟ فقالوا لي : يومَ الجمعة لا يحجبُ عنه صاحب طيلسان

فدخلت والناس قد اجتمعوا ، والملك قاعدٌ علىٰ سرير مُلكه ، والناس صفوفٌ علىٰ يسار الملك ، وفوق الكلِّ قاضي القضاة بشر بن الحسين ، وكان يدخل مع الوزراء في وزارتهم ، ويصغي الملك إلىٰ رأيه في أمر الدولة

قال القاضي أبو بكر فلمَّا رأيت ذلك . . كرهتِ أن أتقدَّم على الناس وأتخطَّىٰ رقابهم من غير أن أُرفعَ ، ولم تدعني نفسي أن أقعد في أُخريات الناس ، وكان عن يمين الملك =

= المجلسُ خالياً ، ولا يقعد هناك إلا ملك أو وزير عظيم المنزلة ، فمضيت وقعدتُ عن يمينه بحذاءِ قاضي القضاة ، فوجدوا من ذلك ، وفزعوا واضطربوا ؛ لأنه كان عندهم من الجنايات العظام ، وما كان في المجلس مَن يعرفني إلا رجلٌ واحد ، فقال للقاضي : أطال الله بقاءَ سيدنا ! هـٰذا هو الرجلُ الذي طلبَهُ الملك مولانا ، فقال قاضي القضاة : أطال الله بقاءَ مولانا ! هـٰذا هو الرجلُ الذي كتبتُ فيه ، وهو لسانُ المثبتة .

فنظر إلى الغلمان الذين بين يديه والحجَّابِ ، فطاروا من بين يديه ، ثم قال لهم : اذكروا له مسألة ، وكان في المجلس رئيسُ البغداديين من المعتزلة ؛ وهو الأحدبُ ، وما كان في زمانه أفصحُ منه ولا أعلمُ منه عندهم ؛ فأما البصريون . . فحضر منهم خلقٌ كثير ، أقدمهم أبو إسحاق النَّصيبي ، فقال الأحدبُ لتلاميذه : سلوهُ : هل لله تعالىٰ أن يُكلِّفَ الخلْقَ ما لا يطيقونه أو ليسَ له ذلك ؟ فقال الرجل للقاضي : هل لله تعالىٰ أن يكلِّفَ الخلقَ ما لا يطيقونه أو ليس له ذلك ؟

فقال له القاضي أبو بكر : إن أردت بالتكليفِ القولَ المجرَّدَ . . فالقولُ المجرد قد توجَّه ؛ لأن الله تعالىٰ قال : ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء : ٥٠] ، ونحن لا نقدر أن نكون حجارةً ولا حديداً ، وقال تعالىٰ : ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة : ٣١] ، فطلبهم بما لا يلمُّون ، وقال تعالىٰ : ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم ٤٢] ، وهـٰذا كلُّه أمرٌ بما لا يقدرُ عليه الخلقُ ، وإن أردت التكليفَ الذي نعرفه ؛ وهو ما يصحُّ فعله وتركه . . فالكلامُ متناقضٌ ، وسؤالُكَ فاسدٌ ، [فلا تستحقُّ جواباً ؛ لأنك قلت : تكليفٌ ، والتكليفُ : اقتضاءُ فعل ما فيه مشقَّة على المكلَّف ، وما لا يُطاق لا يفعلُ لا بمشقَّة ولا بغير مشقَّة] .

فأخذ الأحدبُ الكلامَ وقال : أيُّها الرجل ؛ أنت سُئِلت عن كلام مفهوم ، فطرحته في الاحتمالات ، وليس ذلك بجواب ، والجواب إذا سئلت : هل لله تعالىٰ أن يكلف الخلق ما لا يطيقون . . أن تقول : نعم ، له أن يكلِّفَ ، أو : ليس له أن يكلِّفَ ، فعدلْتَ عن الجواب إلىٰ ما ليس بجوابٍ ، وهـٰذا اضطرابٌ شديد .

قال القاضي : فلمَّا لم يوقِّرني ولم يخاطبني بما يليقُ . . قلت له : أيُّها الرجلُ ؛ أنت عائمٌ ورجلاكَ في الماء ، إنِّي طرحتُ الكلامَ في الاحتمالات ، فلم تعدل أنت إلا لعجزٍ أو لعيٍّ ، فإن كان معك كلامٌ في المسألة ، وإلا تكلَّمْ في غيرها ! فقال الملكُ للأحدب : هـٰذا قد بيَّنَ الاحتمالاتِ ، وتلا عليك الآيات ، ثمَّ إنِّي ما جمعتُكم إلا لنستفيد ، لا للمهاترة ولا لما لا يليق بالعلماء ، ثم التفتَ إليَّ وقال لي : تكلَّم على المسألة . =

قال : ثم دفع إليه الملكُ ابنه يعلِّمُهُ مذهبَ أهل السنة ، وألَّف له كتاب

= فقلت : ما لا يطاقُ علىٰ ضربين : أحدُهما : لا يُطاق للعجز عنه ، والآخرُ : لا يطاقُ للاشتغال عنه بضدِّهِ ؛ كما يقال : فلانٌ لا يطيقُ التصرُّف لاشتغاله بالكتابة ، وما أشبهَ ذلك ، وهـٰذا سبيلُ الكافر ؛ إنَّه لا يطيقُ الإيمان لا لأنَّه عاجزٌ عن الإيمان ، لـٰكنَّه لا يطيقُهُ لاشتغاله بضدِّهِ الذي هو الكفرُ ، فهـٰذا يجوز تكليفُهُ بما لا يطاقُ ، وأما العاجزُ فما ورد في الشريعة تكليفُهُ ، ولو وردَ . . لكان صواباً ، وقد أثنى الله تعالىٰ علىٰ مَن سأله ألا يكلِّفه ما لا طاقةَ له به ؛ لأن الله تعالىٰ له أنْ يفعلَ في مُلكه ما يريد . ثم تجاوزَ الأحدب إلىٰ غيره من الكلام ، ومال الملكُ إلىٰ قول القاضي أبي بكر .

قال القاضي : ثم سألني النصيبيُّ عن مسألة الرؤية : هل يُرى الباري سبحانه بالعين ؟ وهل تجوزُ الرؤية عليه أو تستحيل ؟ وقال : كلُّ شيء يُرىٰ بالعين فيجبُ أن يكون في مقابلة العين ، فالتفتَ الملكُ إلى القاضي أبي بكر وقال له : تكلم أيُّها الشيخ في المسألة .

فقال القاضي : لو كان الشيء يُرىٰ بالعين . . لوجب أن يكون في مقابلة العين علىٰ ما قال ، ولـٰكن لا يُرى الشيء بالعين ، فتعجَّب الملكُ من ذلك ، والتفت إلىٰ قاضي القضاة فقال : إذا لم يُر الشيء بالعين فبأيِّ شيء يُرىٰ ؟ فقال : يسألُهُ الملك ، فقال : أيُّها الشيخ ؛ فبأيِّ شيء يُرىٰ إذا لم يُر بالعين ؟ فقال أبو بكر : يُرىٰ بالإدراك الذي في العين ، ولو كان الشيء يُرىٰ بالعين . . لكان يجبُ أن ترىٰ كلُّ عين قائمة ، وقد علمنا أنَّ الأجهر عينُهُ قائمة ولا يرىٰ شيئاً

فزاد الملك تعجُّباً ، وقال للنصيبي : تكلَّم ، فقال النصيبي : إني لم أعلم أنَّه يقول هـٰذا ، ولا بنيت إلا علىٰ ما نعرف ، وظننت أنَّه يسلِّمُ أن الشيء يُرىٰ بالعين ، فغضب الملك وقال : ما أنت مثل الرجل ؛ لأنك بنيت المسألة على الظن .

ثم التفت إليَّ وقال : تكلَّمْ ، فقلتُ : العين لا ترىٰ ، وإنما تُرى الأشياءُ بالإدراك الذي يحدثُهُ الله تعالىٰ فيها ؛ وهو البصر ، ألا ترىٰ أنَّ المُحتضَر يرى الملائكةَ ونحن لا نراهم ؟ وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يرىٰ جبريلَ عليه السلام ولا يراه مَن يحضره ؟ والملائكةُ يرىٰ بعضُهم بعضاً ولا نراهم نحن ؟ والدليلُ علىٰ جواز رؤية الباري تعالىٰ : أنَّه ليس فيها قلبٌ للحقائق ، ولا إفسادٌ للأدلة ، ولا إلحاقُ صفة نقصٍ بالقديم تعالىٰ ، فوجب أن يكون كسائر الموجودات ؛ لأنَّه تعالىٰ موجودٌ ، والشيء إنَّما يُرىٰ لأنَّه موجود ؛ لأنَّ المرئيَّ لم يكن مرئياً لأنَّه جنسٌ ؛ لأنَّا نرىٰ سائر الأجناس المختلفة ، ولا لقيامِ معنىً بالمرئيِّ ؛ لأنا نرى الأعراضَ التي لا تحتمل المعاني ، وقد ثبت بالنصِّ وجوبُ رؤية الحقِّ سبحانه في الدار الآخرة . . . ، ثم طول الكلام =

« التمهيد »[1] ، فتعلَّق أهلُ السنة به تعلقاً شديداً .

وكان القاضي أبو بكر رضي الله عنه فارسَ هٰذا العلم ، مباركاً علىٰ هٰذه الأمَّة ، كان يُلقَّب : شيخَ السنَّة ، ولسانَ الأمة ، وكان مالكيّاً فاضلاً متورِّعاً ، ممَّن لم يُحفظْ عليه زلَّةٌ قطُّ ، ولا انتسبَتْ إليه نقيصةٌ

ذُكر يوماً عند شيخنا أبي عبد الله الصَّيرفيِّ رحمةُ الله عليه[2] ، فقال : (**كان صلاحُ القاضي أكثرَ من علمه ، وما نفع الله هٰذه الأمَّة بكتبه وبثِّها فيهم إلا لحُسْنِ سريرته ونيَّته واحتسابه ذلك عند ربِّهِ**) وذكرَ من فضله كثيراً .

وحكىٰ بعضُ شيوخنا[3] أنَّ القاضيَ كان يدرِّسُ نهارَهُ وأكثرَ ليله ، وكان حصناً من حصون المسلمين ، وما سُرَّ أهلُ البدع بشيء كسرورهم بموته رحمةُ الله عليه ورضوانه ، إلا أنَّه خَلَّفَ بعده من تلاميذه جماعةً كثيرة تفرَّقوا في البلاد ، أكثرهم بالعراق وخراسان ، ونزل منهم إلى المغرب رجلانِ :

أحدُهما : أبو عبد الله الأذَرِيُّ رضي الله عنه[4] ، وبه انتفع أهلُ القيروان ، وترك بها من تلاميذه مبرِّزينَ مشاهيرَ جماعةً أدركتُ أكثرَهم ، وكان رجلاً ذا علم وأدب .

أخبرني بعضُ شيوخِنا عنه رحمه الله أنَّه قال[5] : (**لي خمسون عاماً متغرِّباً**

= قال : ولم يزل فنَّاخسرو يتقرَّب إليه ، وينزل عن سريره ملكه ، حتىٰ صار بين يديه ؛ لما استعذبَ من كلامه)

(١) وتمام اسمه : « تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل » ، وابنه المشار إليه : هو الملقب بصمصام الدولة .

(٢) لا يزال الكلام لأبي عبد الله محمد بن موسى بن عمَّار الكَلاعي المايُرْقِيِّ المفتتح (ص٢٦١) برقم (١٣٢) .

(٣) لا يزال الكلام لأبي عبد الله الكَلاعي المفتتح (ص٢٦١) برقم (١٣٢) .

(٤) واسمه الحسين بن حاتم ، وانظر ترجمته في « تاريخ دمشق » للمصنف (١٤/ ٤٩) .

(٥) لا يزال الكلام لأبي عبد الله الكَلاعي المفتتح (ص ٢٦١) برقم (١٣٢) .

عن أهلي ووطني ، ولم أكن فيها إلا على كُور جمل ، **أو بيت فندق ، أطلبُ العلم آخذاً له ، ومأخُوذاً عنِّي)**

وقال لي غيرُهُ من شيوخنا[1] : ما قدرَ أحدٌ من تلاميذه يعطيه على تعليمه له شيئاً من عرض الدنيا ، وكان يقول **(تعليمي هـٰذا العلمَ أوثقُ أعمالي عندي ، فأخافُ أن تدخلَهُ داخلةٌ إن أخذتُ عليه أجراً ، ولا أحتسبُ أجري فيه إلا على الله)** ، ولقد كان يتركُنا في بيته ونحن جماعةٌ ، ثم يذهبُ إلى السوق ، فيشتري غداءه أو عشاءه ، ثم ينصرفُ به في يده ، فكنَّا نقول له يا سيدَنا الشيخ ؛ نحن شبابٌ جماعة كلُّنا نرغبُ في قضاء حاجتك في المهمِّ العظيم ، فكيف في هـٰذا الخطرِ اليسير ؟! نسألك بالله العظيمِ إلا ما تركتنا وقضاءَ حوائجِكَ ؛ فإنَّ هـٰذا من العار العظيم علينا ، فكان يقول لنا **بارك الله فيكم ، ما يخفى عليَّ أنَّكم مسارعون لهـٰذا الأمرِ ، ولـٰكن قد علمتم عذري ، وأخافُ أن يكونَ هـٰذا من بعض أجري على تعليمي**

وتُوفِّي بالقيروان غريباً رحمةُ الله عليه ورضوانه[2]

والثاني **أبو الطاهر البغداديُّ الناسكُ الواعظ** ، كان رجلاً صالحاً ، شيخاً كبيراً ، منقطعاً في طرف البلد ، أدركته بالقيروان لا يدرِّسُ لكبرِهِ ، وكنَّا نقصدُهُ في الجُمعِ لفضلِهِ ودعائِهِ ، وكان يذكرُ لنا بعضَ المسائل ، وشيئاً من أخبار القاضي رحمه الله

وكان الفقيه أبو عمرانَ ـ يعني الفاسيَّ ـ رحمه الله يقول **(لو كان علمُ الكلام طيلساناً . . ما تطيلس به إلا أبو الطاهر البغداديُّ)**

وكان رحمه الله حسنَ الخطِّ ، مليحَ اللفظ ، جميلَ الشيبة ، غزيرَ الدمعة ،

---

(١) لا يزال الكلام لأبي عبد الله الكَلاعي المفتتح (ص ٢٦١) برقم (١٣٢) .

(٢) إذ الأشبه أنه من أذربيجان من أقصى المشرق ، وقد مات في المغرب

كان يعظُ في مؤخر الجامع بعد صلاة الجمعة .

ولم يكن بالقيروان عالمٌ مذكور إلا وهو عالمٌ بعلم الأصول قد أخذ ذلك عنه[١] ؛ كمحمد بن سحنون ، وابن الحداد ، ولولاه لضاع العلمُ بالمغرب .

ومن الشيوخ المتأخِّرين المشاهير أبو محمد بن أبي زيد ، وشهرتُهُ تغني عن ذكر فضله ، اجتمعَ فيه العقلُ والدين ، والعلمُ والورع ، وكان يُلقَّبُ بمالكِ الصغير ، وخاطبه من بغداد رجلٌ معتزليٌّ يُرغِّبُهُ في مذهب الاعتزال ، ويقول له : إنَّه مذهبُ مالك وأصحابِهِ ، فجاوبه بجوابٍ مَن وقفَ عليه . . علمَ أنَّه كان نهايةً في علم الأصول رضي الله عنه[٢]

وبعده ومعه الشيخُ الفاضل الكامل أبو الحسن بن القابسيِّ متأخرٌ في زمانه ، متقدِّمٌ في شانِهِ ، جمع العلمَ والعملَ ، والروايةَ والدرايةَ ، من ذوي الاجتهاد في العُبَّاد والزهَّاد ، مجاب الدعوة ، له مناقبُ يضيقُ عنها هـٰذا الكتاب ، كان عالماً بالأصول والفروع والحديث ، وغير ذلك مِنَ الدقائق ودقيق الورع[٣] ، وله رسالةٌ في أبي الحسن الأشعريِّ رضي الله عنه ؛ أحسن الثناءَ عليه ، وذكر فضله وإمامته[٤]

ثم ذكر الكَلاعيُّ جماعةً من أفاضل أهل هـٰذا العلم بالمغرب ، تركت ذكرهم تجنُّباً للإطالة ، خوفاً من السآمة والملالة .

---

(١) في (ط) وحدها : (ولم يكن بالقيروان عالمٌ مذكور وهو عالمٌ بعلم الأصول إلا قد أخذَ ذلك عنه) .

(٢) والعجب أن الحافظ الذهبي رحمه الله نعته في « سيره » (١٢/١٧) بقوله : (لا يدري الكلام) ! وسيأتي بعد يسيرِ أسطرٍ كلامُ الإمام ابن أبي زيد في الذبِّ عن الشيخ الأشعري وطريقته (ص٢٧٢) برقم (١٣٤) .

(٣) في (هـ ، ط) : (الرقائق) بدل (الدقائق)

(٤) هنا ينتهي كلام أبي عبد الله محمد بن موسى بن عمَّار الكَلاعي المايُرْقِيِّ المفتتح (ص٢٦١) برقم (١٣٢) .

١٣٣ـ قرأتُ بخطِّ بعضِ أهل العلم بالفقه والحديث من أهل الأندلس ممَّنْ أثقُ به فيما يحكيه ، وأصدِّقُهُ فيما يرويه ، في جوابِ سؤالٍ سُئلَ عنه أبو الحسن عليُّ بن محمد الفقيه القيروانيُّ ؛ وهو المعروفُ بابن القابسيِّ ، وهو من كبار أئمَّة المالكيَّة بالمغرب ، سأله عنه بعضُ أهل تونسَ من بلاد المغرب ، فكان في جوابه له أن قال

(واعلموا : أنَّ أبا الحسن الأشعريَّ رحمه الله لم يأتِ من هـٰذا الأمر ـ يعني الكلامَ ـ إلا ما أرادَ به إيضاحَ السنن ، والتثبيتَ عليها ، ودفعَ الشُّبه عنها ، فَهِمَهُ مَنْ فَهِمَهُ بفضل الله عليه ، وخفيَ عمَّن خفيَ بقَسْمِ الله له ، وما أبو الحسن الأشعريُّ إلا واحدٌ من جملة القائمين بنصر الحقِّ ، ما سمعنا من أهل الإنصاف مَن يؤخرُهُ عن رتبة ذلك ، ولا مَن يؤثرُ عليه في عصره غيرَهُ ، ومَنْ بعدَهُ من أهل الحقِّ سلكوا سبيله في القيامِ بأمر الله عزَّ وجلَّ ، والذَّبِّ عن دينه حسب اجتهادهم)

قال : (وأمَّا قولكم : « وإن كان التوحيدُ لا يتمُّ إلا بمقالة الأشعريِّ ! » . . فهـٰذا يدلُّ علىٰ أنَّكم فهمتُم أنَّ الأشعريَّ قال في التوحيد قولاً خرجَ به عن أهل الحقِّ ! فإن كان قد نُسبَ هـٰذا المعنىٰ عندَكم إلى الأشعريِّ . . فقد أبطل مَنْ قال ذلك عليه ، لقد ماتَ الأشعريُّ رحمه الله يومَ مات وأهلُ السنَّة باكون عليه ، وأهلُ البدع مستريحون منه ، فما عرفَهُ مَن وصفَهُ بغير هـٰذا) .

١٣٤ـ وقرأتُ بخطِّ عليِّ بن بقاءٍ المصريِّ الورَّاقِ المحدث في رسالةٍ كتب بها أبو محمد عبدُ الله بن أبي زيدٍ القيروانيُّ المالكيُّ[1] جواباً لعليِّ بن أحمد بن

---

(١) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (يُنسب إليه في « رسالته » في مذهب مالك لفظةٌ يتسارع إلىٰ نقلها شيوخ الحشوية ؛ ظنّاً منهم أنه علىٰ معتقدهم ، مع أنَّ شرَّاحها من أئمة المالكية مطبقون علىٰ أنها إما مدسوسة ، أو من قبيل الاحتراس بالرفع ؛ أي : المجيد =

إسماعيل البغداديّ المعتزليّ ، حين ذكر أبا الحسن الأشعريَّ رحمه الله ونسبَه إلىٰ ما هو بريءٌ منه ؛ ممَّا جرَتْ عادةُ المعتزلة باستعمال مثلِهِ في حقِّهِ ، فقال ابنُ أبي زيدٍ في حقِّ أبي الحسن (هو رجلٌ مشهورٌ أنَّه يردُّ علىٰ أهل البدع ، وعلى القدرية الجهميَّة ، متمسِّكٌ بالسنن) .

١٣٥ـ حدَّثني الثقةُ من أصحابنا قال : حدثنا القاضي أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن علي بن الحسين الشيبانيُّ الطبريُّ ثم المكيُّ من لفظه ببغداد ـ وقد لقيتُ أنا القاضيَ أبا إسحاقَ ببغداد ، وصاحبتُهُ في طريق مكَّةَ ، ولم أسمعْ منه شيئاً ـ قال : حدثنا الحافظ أبو نعيمٍ عبيدُ الله بن الحسن بن أحمد بن الحسن بأصبهانَ ، حدثنا أبو إبراهيم أسعدُ بن مسعود العتبيُّ بنيسابورَ ، أخبرنا الأستاذ الإمامُ أبو منصورٍ عبدُ القاهر بن طاهر البغداديُّ قال : سمعت عبدَ الله بن محمد بن طاهر الصوفيَّ يقول

رأيتُ أبا الحسن الأشعريَّ في مسجد البصرة وقد أبهتَ المعتزلةَ في المناظرة ، فقال له بعضُ الحاضرين قد عرفنا تبحُّرَكَ في علم الكلام ، وإنِّي أسأَلُكَ عن مسألة ظاهرة في الفقه ، فقال : سلْ عمَّا شئتَ ، فقال له : ما تقول في الصلاةِ بغير فاتحةِ الكتاب ؟

فقال : حدثنا زكريا بن يحيى الساجيُّ ، حدثنا عبدُ الجبَّار ، حدثنا سفيانُ ، حدثني الزهريُّ ، عن محمود بن الربيع ، عن عبادةَ بن الصامت ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال « لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ ٱلْكِتَابِ »[1]

= بذاته ، لا بالخدم والخَوَل ، راجع ابن الفاكهاني والأُبِّي ، وأهل مذهب الرجل أعلم بمذهبه) انتهىٰ .

(١) رواه البخاري (٧٥٦) ، ومسلم (٣٩٤) ، ورواه من طريقه الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٢/ ٣٥٥) .

قال : وحدثنا زكريا ، حدثنا بُندارٌ ، حدثنا يحيى بنُ سعيد ، عن جعفرِ بن ميمونٍ ، حدثني أبو عثمانَ ، عن أبي هريرةَ قال أمرني رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم أن أناديَ بالمدينةِ : « **إِنَّهُ لاَ صَلاَةَ إِلاَّ بِفَاتِحَةِ ٱلْكِتَابِ** »(١)

قال : فسكتَ السائلُ ولم يقلْ شيئاً

وفي هـٰذه الحكايةِ دلالةٌ للذكيِّ الألمعيِّ ؛ علىٰ أنَّ أبا الحسن كان يذهبُ مذهبَ الشافعيِّ(٢) ، وكذلك ذكر أبو بكر بن فُورَكَ الأصبَهانيُّ في كتاب « طبقات المتكلمين » ، وذكره غيرُهُ من شيوخنا وأئمَّتنا الماضين .

فكفىٰ أبا الحسن فضلاً أن يشهدَ بفضلِهِ مثلُ هـٰؤلاء الأئمَّة ، وحسبُهُ فخراً أن يُثنيَ عليه الأماثلُ من علماء الأمَّة ، ولا يضرُّهُ قدْحُ مَن قدحَ فيه لقصور الفهم ودناءة الهمَّة ، ولم يبرهنْ علىٰ ما يدَّعيه في حقِّهِ إلا بنفس الدعوىٰ ومجرَّد التُّهمة

* * *

---

(١) ورواه من طريقه الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٢/ ٣٥٥) أيضاً ، وقال : (قد رأيت رواية الشيخ هنا عن زكريا الساجي ، وروىٰ أيضاً عن أبي خليفة الجمحي ، وسهل بن نوح ، ومحمد بن يعقوب المقبري ، وعبد الرحمـٰن بن خلف الضبي البصريين ، وأكثرَ عنهم في « تفسيره »)

(٢) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (لم يكن سؤال السائل عن قراءة المقتدي في الجهرية ، والحديثان ممَّا يرويه المالكية والحنفية أيضاً ، فمجرَّد رواية الحديثين مما لا يكفي في هـٰذا الصدد) انتهىٰ .

باب
ذكر ما اشتهر به أبو الحسن رحمه الله من العلم وظهر منه من وفور المعرفة به والفهم

١٣٦ـ أخبرَنا الشيخُ أبو المظفَّرِ أحمدُ بن الحسن بن محمد البِسْطاميُّ بها قال أخبرنا جدِّي لأمِّي الشيخُ الإمام أبو الفضل محمدُ بن علي بن أحمد بن الحسين بن سهل السَّهْلَكيُّ بِبِسْطامَ قال : سمعتُ سفيانَ المتكلِّمَ الصوفيَّ رحمه الله يقول : سمعتُ الشيخَ أحمدَ العُرَيْمانيَّ[1] رحمه الله يقول : سمعتُ الأستاذَ أبا إسحاق ـ يعني إبراهيمَ بن محمد ـ الإسفراينيَّ الفقيه الأصوليَّ يقول كنتُ في جنبِ الشيخ أبي الحسن الباهليِّ كقطرةٍ في البحر ، وسمعتُ الشيخ أبا الحسن الباهليَّ قال : كنتُ أنا في جنب الشيخ الأشعريِّ كقطرةٍ في جنب البحر[2]

١٣٧ـ قرأتُ بخطٍّ بعض أهل العلم فيما حُكيَ عن أبي عمرٍو عثمانَ بنِ أبي بكر بن حمودٍ السفاقسيِّ قال سمعتُ القاضيَ تاجَ العلماء أبا جعفرٍ السِّمْنانيَّ بالموصل يقول : سمعتُ القاضيَ لسانَ الأمَّة أبا بكر بن الطيِّبِ يقول وقد قيل له : كلامُكَ أفضل وأبينُ من كلام أبي الحسن الأشعريِّ رحمه الله ؛ فقال : (واللهِ ؛ إنَّ أفضلَ أحوالي أن أفهمَ كلام أبي الحسنِ رحمَهُ الله)[3]

---

(١) كذا في (أ ،ب ، هـ ، ط) ، وكذا ضبطت في (أ ، هـ) ، وفي (و) : (الفريماني) .

(٢) ذكرها الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (١٥٦/٢٤) ، والحافظ اليافعي في « مرآة الجنان » (٢٢٩/٢) ، والإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » (٣٥١/٣) ، وغيرهم .

(٣) أورده الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (١٥٦/٢٤) ، وفي « سير أعلام النبلاء » =

١٣٨ـ أخبرَنا الشيخُ أبو المعالي محمدُ بن إسماعيل بن محمد بن الحسين الفارسيُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين بن علي الحافظُ ، أخبرنا أبو عبد الله الحافظُ قال أخبرني أحمدُ بن محمد بن سلمة العَنَزِيُّ ، حدثنا عثمانُ بن سعيد الدارميُّ ، حدثنا عبدُ الله بن صالح ، عن معاويةَ بن صالح ، عن عليِّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباسٍ في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] ، قال يعني : أهلَ الفقه والدِّين ، وأهلُ طاعة الله : الذين يُعلِّمون الناسَ معانيَ دينِهم ، ويأمرونَهم بالمعروف ، وينهونهم عن المنكر ؛ فأوجبَ الله عزَّ وجلَّ طاعتَهم[١]

١٣٩ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو المعالي الفارسيُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ الحافظُ ، أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن الحسن بن فُورَكَ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفرٍ ، حدثنا يونسُ بن حَبيبٍ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا الصَّعْقُ بن حَزْنٍ ، عن عَقيلٍ الجعديِّ[٢] ، عن أبي إسحاقَ ، عن سويد بن غَفَلَةَ ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أَيُّ عُرَى ٱلإِسْلَامِ أَوْثَقُ ؟ » ، قال : قلتُ : اللهُ ورسوله أعلمُ ، قال : « ٱلْوَلَايَةُ فِي ٱللهِ ؛ ٱلْحُبُّ فِي ٱللهِ ، وَٱلْبُغْضُ فِي ٱللهِ ، يَا عَبْدَ ٱللهِ ؛ أَتَدْرِي أَيُّ ٱلنَّاسِ أَعْلَمُ ؟ » ، قلتُ : اللهُ ورسوله أعلمُ ، قال : « فَإِنَّ أَعْلَمَ ٱلنَّاسِ أَعْلَمُهُمْ بِٱلْحَقِّ إِذَا ٱخْتَلَفَ ٱلنَّاسُ ، وَإِنْ كَانَ

= (١٥/ ٨٦) ، والإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٥١) .

(١) ورواه الطبري في « تفسيره » (٨/ ٥٠٠) ، والحاكم في « مستدركه » (١/ ١٢٣) ، والبيهقي في « المدخل » (٢٦٦) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص١٥١) ، و« الدر المنثور » (٢/ ٥٧٥) .

(٢) جاء في هامش (هـ) حاشية : (قال الحافظ أبو نصر بن ماكولا رحمه الله : عقيل الجَعَدي ـ بفتح العين ـ سمع الحسن وأبا إسحاق ، روىٰ عنه الصعق بن حَزْن) انظر « الإكمال » (٦/ ٢٣٠) .

مُقَصِّراً فِي ٱلْعَمَلِ ، وَإِنْ كَانَ يَزْحَفُ عَلَى ٱسْتِهِ »[1]

قال[2] : وحدثنا أبو بكر بن فُورَكَ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفرٍ ، حدثنا يونسُ بن حَبيبٍ ، حدثنا أبو داود ، حدثنا جريرُ بن حازم ، عن الأعمشِ ، عن أبي الضحىٰ ، عن مسروقٍ ، عن عبدِ الله قال : (**مَن كان عندَهُ علمٌ . فليقلْ بعلمِهِ ، ومَن لم يكنْ عندَهُ علمٌ . فليقل : اللهُ أعلمُ**)[3]

فكانت هٰذه صفةَ الشيخ أبي الحسن عند ظهور البدع ووقوع الفتن ؛ فعلَّمَ الناسَ معانيَ دينهم ، وأوضحَ الحُجج لتقوية يقينِهم ، وأمرَهم بالمعروف فيما يجبُ اعتقادُهُ من تنزيه الله عن مشابهة مخلوقاته ، وبيَّنَ لهم ما يجوزُ إطلاقه عليه عزَّ وجلَّ من أسمائه الحسنىٰ وصفاتِهِ ، ونهاهم عن المنكرِ من تشبيهِ صفاتِ المُحْدَثينَ وذواتهم بأوصافِهِ أو ذاتِهِ ، فكانت طاعتُهُ فيما أمرَ به من التوحيد مقرِّبةً للمقتدي به إلىٰ مرضاته ؛ لأنَّه كان في عصره أعلمَ الخلْقِ ، بما يجوزُ أن يُطلق في وصْفِ الحقِّ ، فأظهرَ في مصنَّفاته ما كان عندَهُ من علمِهِ ، فهدى اللهُ به مَن وفَّقَهُ من خلْقِهِ لفهْمِهِ .

---

(١) ورواه الطيالسي في « مسنده » (٣٧٨) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٢٣٣) ، وقال الحافظ البيهقي إثره : (رُوي ذلك من حديث البراء ، وابن عباس ، وعائشة رضي الله عنهم ، قال الشافعيُّ رحمه الله : ولو خَصَّ امرؤٌ قومَهُ بالمحبَّة ما لم يحمل علىٰ غيرهم ما ليس يَحِلُّ له . . فهٰذه صلةٌ ليست بعصبية ، فَقَلَّ امرؤٌ إلا وفيه محبوب ومكروه) ، ورواه البيهقي أيضاً في « المدخل » (٨٤٠) وقال إثره : (عقيل الجعدي غيرُ معروف ، ويمكن إجراءُ الخبر إن ثبتَ علىٰ ظاهره ؛ أن يكون تقصيره في العمل لا يقدح في علمِهِ ، ويكون تركه العمل بعلمه زلةً منه تنتظر فيئته ، وبالله التوفيق) ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ٩٠) : (رواه الطبراني في « الصغير » ، وفيه عقيل بن الجعد ، قال البخاري : منكر الحديث) .

(٢) يعني : الحافظ أبا بكر البيهقي .

(٣) ورواه الطيالسي في « مسنده » (٢٤٩) ، والبخاري (٤٧٧٤) ، ومسلم (٢٧٩٨) .

* قال أبو بكر بن فُورَكَ رحمه الله

(انتقلَ الشيخُ أبو الحسن عليُّ بن إسماعيل الأشعريُّ رحمه الله من مذاهب المعتزلة إلىٰ نصرةِ مذاهب أهل السنة والجماعة بالحُجج العقليَّة ، وصنَّفَ في ذلك الكتبَ ، وهو بصريٌّ من أولاد أبي موسى الأشعريِّ صاحبِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي فتحَ كثيراً من بلاد العجم ، منها كُور الأهواز ، ومنها أصبهان ، وكان نفرٌ من أولاد أبي موسى الأشعريِّ بالبصرة إلىٰ وقت الشيخ أبي الحسن ؛ منهم مَنْ كان يُذكرُ بالرئاسة ، فلمَّا وَفَّقَ اللهُ الشيخَ أبا الحسن لتركِ ما كان عليه من بدع المعتزلة ، وهداهُ إلىٰ ما يسَّرَهُ من نُصرة أهل السنَّة والجماعة . . ظهر أمرُهُ ، وانتشرَتْ كتبُهُ بعد الثلاث مئة ، وبقيَ إلىٰ سنة أربع وعشرين وثلاث مئة

وممَّن تخرَّجَ به ممَّن اختلف إليه واستفاد منه : المعروف بأبي الحسن الباهليِّ[1] ؛ وكان إماميّاً في الأوَّل ، رئيساً مقدَّماً ، فانتقل عن مذهبهم بمناظرةٍ جرَتْ له مع الشيخ أبي الحسن الأشعريِّ ، ألزمَهُ فيها الحُجَّة ، حتىٰ بانَ له الخطأُ فيما كان عليه من مذاهب الإماميَّة ، فتركها واختلفَ إليه ، ونشرَ علمَهُ بالبصرة ، واستفادَ منه الخلْقُ الكثيرون ، ثم تخرَّج به أيضاً المعروفُ بأبي الحسن الدماثيِّ[2] وكان مقدَّماً في أصحابه ، وكذلك تخرَّج به أبو عبد الله حمويه السيرافيُّ ، وطالت صحبتُهُ له ، وعاد إلىٰ سيرافَ ، وانتفع به مَنْ هناك ، ورأيتُ من أصحابه بشيراز مَن لقيَهُ ودرَس عليه .

---

(١) ستأتي ترجمته وترجمة المذكورين بعده ضمن حديث المصنف عن الطبقة الأولىٰ من طبقات الأشاعرة .

(٢) كذا في (أ ، ب ، هـ) ، وفي (و) (الدماتي) ، وفي (ط) : (الرماني) ، ولعله الشيخ الملقب بالدُّمل الذي سيأتي ذكره (ص ٣٧٨) .

وممَّن صحبَ الشيخَ أبا الحسن ببغداد ، واستفاد منه من أهل خراسان الشيخ أبو عليٍّ زاهرُ بن أحمد السَّرَخْسيُّ ، وكذلك الفقيه أبو زيدٍ المروزيُّ ، والفقيه أبو سهلٍ الصُّعلوكيُّ النيسابوريُّ

وممَّن صحبَهُ : أبو نصرٍ الكَوَّازيُّ بشيرازَ[1] ؛ فإنَّه قصدَهُ ونسخَ منه كثيراً من كتبه ؛ منها : كتابه في النقض على الجُبَّائيِّ في الأصول ؛ يشتملُ على نحو من أربعين جزءاً ، نسختُ أنا مِن كتابه الذي نسخَهُ من نسخةِ الشيخ أبي الحسن بالبصرة[2]

فأمَّا أسامي كُتُبِ الشيخ أبي الحسن ممَّا صنَّفه إلى سنة عشرين وثلاث مئة فإنَّه ذكر في كتابه الذي سمَّاهُ : « العُمَد في الرؤية » أساميَ أكثرِ كتبه ؛ فمِنْ ذلك :

أنَّه ذكر أنَّه صنَّف كتاباً سمَّاهُ : « الفصول في الردِّ على الملحدين والخارجين عن الملَّة » كالفلاسفة والطبائعيين والدَّهريين وأهلِ التشبيه والقائلين بقِدَمِ الدهر[3] ، على اختلاف مقالاتهم وأنواعِ مذاهبهم ، ثم ردَّ فيه على البراهمةِ واليهود والنصارى والمجوس ، وهو كتابٌ كبير ، يشتملُ على اثني عشر كتاباً : أوَّلُ كتابٍ « إثباتُ النظر وحجَّة العقل ، والردُّ على من أنكرَ ذلك » ، ثم ذكر عللَ الملحدين والدَّهريين ممَّا احتجُّوا بها في قدم العالم ، وتكلَّم عليها واستوفى ما ذكرَهُ ابنُ الراونديِّ في كتابه المعروف بكتاب « التاج » وهو الذي نصرَ فيه القولَ بقدم العالم[4] ، وذكر بعده الكتابَ الذي

---

(١) في (ب) : (بكر) بدل (نصر) .

(٢) لا يزال الكلام للإمام أبي بكر بن فورك رحمه الله تعالى .

(٣) الدهريون : القائلون ببقاء الدهر

(٤) وممن تصدَّى للردِّ على زندقة ابن الراوندي (ت ٢٩٨) أبو علي وأبو هاشم الجبَّائيان ، وقد أجادا ، كذا ذكر الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » (١١/ ١١٢) ، وهي مما يحفظ =

سمَّاهُ كتاب « المُوجز » ؛ وذلك أنَّه يشتملُ على اثني عشر كتاباً علىٰ حسب تنوُّعِ مقالات المخالفين من الخارجين عن الملَّة والداخلين فيها ، وآخرُهُ كتاب « الإمامة » تكلَّمَ في إثباتِ إمامة الصدِّيق رضي الله عنه ، وأبطلَ قولَ من قال بالنصِّ ، وإنَّه لا بدَّ من إمام معصومٍ في كلِّ عصر

قال الشيخُ أبو الحسن في كتاب « العمد »[1] : وألَّفنا كتاباً في خلْقِ الأعمال ؛ نقضنا فيه اعتلالاتِ المعتزلة والقدريَّة في خلْق الأعمال ، وكشفنا عن تمويههم في ذلك .

قال : وألَّفنا كتاباً كبيراً في الاستطاعةِ على المعتزلة ؛ نقضنا فيه استدلالاتِهم علىٰ أنَّها قبل الفعل ، ومسائلَهم وجواباتِهم .

قال : وألَّفنا كتاباً كبيراً في الصِّفاتِ ؛ تكلَّمنا علىٰ أصناف المعتزلة والجهمية المخالفين لنا فيها ؛ في نفيِهم علْمَ الله وقدرتَهُ وسائرَ صفاته ، وعلىٰ أبي الهذيل ، ومعمرٍ ، والنظَّام ، والفُوَطيِّ ، وعلىٰ مَنْ قال بقدمِ العالم[2] ، وفي فنونٍ كثيرة من فنون الصفاتِ ؛ في إثبات الوجه لله ، واليدين ، وفي استوائه على العرش ، وعلى الناشئ في مذهبِهِ في الأسماء والصفات .

قال وألَّفنا كتاباً في جواز رؤية الله بالأبصار ؛ نقضنا فيه جميعَ اعتلالاتِ المعتزلة في نفيِها وإنكارِها وإبطالها

قال : وألَّفنا كتاباً كبيراً ذكرنا فيه اختلافَ الناس في الأسماءِ والأحكام ، والخاصِّ والعامِّ

= للمعتزلة ، ولا تغرَّنَّك ترجمة ابن الراوندي عند ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (١/ ٩٤) ، فقد اشتبه عليه أمره فأثنىٰ عليه .

(١) يعني : الكتاب السالف الذكر ؛ « العمد في الرؤية » ، ولا يزال السياق للإمام ابن فورك .

(٢) كذا في (ط) ونسخة في هامش (و) ، وفي (أ ، ب ، هـ ، و) : (بحدث العالم) بدل (بقدم العالم) .

قال : وألَّفنا كتاباً في الردِّ على المجسمة

وألَّفنا كتاباً آخرَ في الجسمِ ؛ نُرِي[1] أنَّ المعتزلةَ لا يمكنُهم أن يجيبوا عن مسائل الجسمية كما يمكنُنا ذلكَ، وبينَّا لزومَ مسائل الجسميّة علىٰ أصولهم[2] .

قال : وألَّفنا كتاباً سمَّيناهُ : كتابَ « إيضاح البرهان في الردِّ علىٰ أهل الزيغ والطغيان » ، جعلناهُ مدخلاً إلى « الموجز » تكلَّمنا فيه علىٰ الفنون التي تكلَّمنا فيها في « الموجز »[3]

وألَّفنا كتاباً لطيفاً سمَّيناهُ : كتابَ « اللمع في الردِّ علىٰ أهل الزيغ والبدع »

وألَّفنا كتاباً سمَّيناهُ : « اللمع الكبير » ، جعلناه مدخلاً إلىٰ « إيضاح البرهان »

وألَّفنا : « اللمع الصغير » ، جعلناهُ مدخلاً إلى « اللمع الكبير »

وألَّفنا كتاباً سمَّيناهُ : كتابَ « الشرح والتفصيل في الردِّ علىٰ أهل الإفك والتضليل » ، جعلناه للمبتدئين ، ومقدِّمةً يُنظرُ فيها قبل كتاب « اللمع » وهو كتاب يصلحُ للمتعلِّمين .

وألَّفنا كتاباً مختصراً جعلناهُ مدخلاً إلى « الشرح والتفصيل »

قال : وألَّفنا كتاباً كبيراً نقضنا فيه الكتاب المعروف بـ « الأصول » علىٰ محمد بن عبد الوهاب الجُبَّائيِّ ؛ كشفنا عن تمويهه في سائر الأبواب التي تكلَّمَ

---

(١) هٰكذا ضبطت في (ب) .

(٢) وهٰذا من عجيب عقل شيخ السنة الأشعري ! إذ يتوهَّم أكثرُ المشتغلين بعلم الكلام أن المعتزلة ألصق الفِرَقِ الإسلامية بالتنزيه ، وفي هٰذا الكتاب يبيِّن الشيخُ أن لازم مذهبهم علىٰ أصولهم هو مذهب التشبيه ، وكذلك إلزامهم بإثبات صفات المعاني كما سيأتي ، فعليه شآبيبُ الرحمة والرضوان

(٣) وفي (أ ، هـ ، ط) : (في) بدل (على) .

فيها من أصول المعتزلة ، وذكرنا ما للمعتزلة من الحِجاج في ذلك بما لم يأتِ به ، ونقضناهُ بحُججِ الله الزاهرة ، وبراهينه الباهرة ، يأتي كلامُنا عليه في نقضه على جميع مسائل المعتزلة وأجوبتها في الفنون التي اختلفنا نحن وهم فيها

قال وألَّفنا كتاباً كبيراً نقضنا فيه الكتاب المعروف بـ « **نقض تأويل الأدلَّة** » على البلخيِّ في أصول المعتزلة ، وأَبَنَّا عن شبهه التي أوردها بأدلة الله الواضحة ، وأعلامه اللائحة ، وضممنا إلىٰ ذلك نقضَ ما ذكرَهُ من الكلام في الصفات ، في عيون المسائل والجوابات .

وألَّفنا كتاباً في مقالات المسلمين ، يستوعب جميعَ اختلافهم .

وألَّفنا كتاباً في جُمَل مقالات الملحدين ، وجُمَل أقاويل المُوَحدين ؛ وسمَّيناهُ كتاب « **جمل المقالات** »

وألَّفنا كتاباً كبيراً في الصِّفات ، وهو أكبرُ كتبنا فيها ، سمَّيناهُ : كتابَ « **الجوابات في الصفات عن مسائل أهل الزيغ والشبهات** » ، نقضنا فيه كتاباً كنَّا ألفناه قديماً فيها علىٰ تصحيح مذهب المعتزلة ، لم يُؤلَّفْ لهم كتابٌ مثلُهُ ، ثم أبان الله سبحانه لنا الحقَّ ، فرجعنا عنه فنقضناه ، وأوضحنا بطلانه .

وألَّفنا كتاباً على ابن الرَّاوندي في الصفات والقرآن .

وألَّفنا كتاباً نقضنا فيه كتاباً للخالديِّ ؛ ألَّفه في القرآن والصفات قبل أن يؤلِّفَ كتابَهُ الملقَّب بـ « الملخص »

وألَّفنا كتاباً نقضنا به كتاباً للخالديِّ في إثبات حَدَث إرادة الله تعالىٰ ، وأنَّه شاءَ ما لم يكن ، وكان ما لم يشأ ، وأوضحنا بطلانَ قولِهِ في ذلك ، وسمَّيناهُ : « **القامع لكتاب الخالديِّ في الإرادة** »

وألَّفنا كتاباً نقضنا فيه كتاباً للخالديِّ في المقالات سمَّاهُ « المهذب » ،

سمَّينا نقضَهُ فيما يخالفُهُ فيه من كتابه : « الدافع للمُهذَّب »

ونقضنا كتاباً للخالديِّ ينفي فيه رؤية الله بالأبصار

وألَّفنا على الخالديِّ كتاباً نقضنا فيه كتاباً ألفه في نفي خلقِ الأفعال وتقديرِها عن ربِّ العالمين

وألَّفنا كتاباً نقضنا فيه على البلخيِّ كتاباً ذكر أنَّه أصلحَ به غلطَ ابنِ الراونديِّ في الجدل .

وألَّفنا كتاباً في الاستشهادِ ، أرينا فيه كيف يلزمُ المعتزلة على محجَّتهم في الاستشهاد بالشاهد على الغائب أن يثبتوا علمَ الله وقدرتَهُ وسائرَ صفاته

وألَّفنا كتاباً سمَّيناهُ : « المختصر في التوحيد والقدر » ، في أبوابٍ من الكلام ؛ منها الكلامُ في إثبات رؤية الله بالأبصار ، والكلامُ في سائر الصفات ، والكلامُ في أبواب القدر كلها ، وفي التولُّدِ ، وفي التعجيزِ ، والتجويرِ ، وسألناهم فيه عن مسائلَ كثيرةٍ ضاقوا بالجواب عنها ذرعاً ، ولم يجدوا إلى الانفكاك عنها بحُجَّة سبيلاً[1]

وألَّفنا كتاباً في شرح أدب الجدل

وألَّفنا كتاباً سمَّيناهُ : « كتابَ الطبريينَ » في فنونٍ كثيرة من المسائل .

وألَّفنا كتاباً سمَّيناهُ : « جواب الخراسانيَّة » في ضروبٍ من المسائل كثيرة

وألَّفنا كتاباً سمَّيناهُ : « كتابَ الأَرَّجَانيِّينَ » في أبوابِ مسائل الكلام .

---

(١) وهٰذه الأبحاث كتب فيها القاضي عبد الجبار المعتزلي كُتُباً مفردة ضمن موسوعته المسمَّاة بـ « المغني » ، والشيخ الأشعري أفرد ردوداً لها كما ترىٰ .
وجاء في هامش (ب) : (بلغ السماع)

وألّفنا كتاباً سمّيناهُ : « جواب السيرافينَ » في أجناسٍ من الكلام ،

وألّفنا كتاباً سمّيناهُ : « جواب العُمانيينَ » في أنواعٍ مِنَ الكلام[1]

وألّفنا كتاباً سمّيناهُ : « جواب الجُرجانيين » في مسائلَ كانت تدورُ بيننا وبين المعتزلة .

وألّفنا كتاباً سمّيناهُ : « جواب الدمشقيّين » في لطائفَ من الكلام .

وألّفنا كتاباً سمّيناهُ : « جواب الواسطيينَ » في فنونٍ من الكلام .

وألّفنا كتاباً سمّيناهُ : « جوابات الرامهرمزيينَ » ، وكان بعضُ المعتزلة من رامهرمزَ كتبَ إليَّ يسألني الجوابَ عن مسائلَ كانت تدور في نفسه ، فأجبتُ عنها

وألّفنا كتاباً سمّيناهُ : « المسائل المنثورة البغداديّة » ، وفيه مجالسُ دارت بيننا وبين أعلام المعتزلة

وألّفنا كتاباً سمّيناهُ : « المنتخل من المسائل المنثوراتِ البصريّاتِ »

وألّفتُ كتاباً سميتُهُ : « كتاب الفنون » ، فيه الردُّ على الملحدين .

وألّفتُ كتاب « النوادر » في دقائق الكلام .

وألّفتُ كتاباً سمّيته : « كتاب الإدراك » في فنونٍ من لطيف الكلام .

وألّفتُ نقضَ الكتابِ المعروف بـ« اللطيفِ » على الإسكافيِّ .

وألّفتُ كتاباً نقضتُ فيه كلامَ عبّادِ بن سليمان في دقائق الكلام[2]

وألّفتُ كتاباً نقضتُ فيه كتاباً على عليِّ بن عيسىٰ من تأليفه

---

(١) وفي (أ ، هـ ، و) : (في أنواع الكلام) .

(٢) في (ب) وحدها : (كتاب عباد) بدل (كلام عباد) ، وفي (أ) : (سلمان) .

وألَّفنا كتاباً في ضروب الكلام سمَّيناهُ : « المختزن » ذكرنا فيه مسائلَ للمخالفين لم يسألونا عنها ، ولا سطروها في كتبهم ، ولم يتَّجِهوا للسؤال ، وأجبنا عنها بما وفَّقَنا الله له .

وألَّفنا كتاباً في باب شيءٍ ، وأن الأشياءَ هي أشياءُ وإن عدمَتْ ، رجعنا عنه ونقضناهُ ، فمن وقعَ إليه . . فلا يعوِّلَنَّ عليه

وألَّفنا كتاباً في الاجتهاد في الأحكام

وألَّفنا كتاباً في أنَّ القياس يخصُّ ظاهرَ القرآن

وألَّفنا كتاباً في المعارف لطيفاً

وألَّفنا كتاباً في الأخبار وتخصيصها

وألَّفنا كتاباً سمَّيناهُ : « كتاب الفنون » في أبواب من الكلام غير « كتاب الفنون » الذي ألفناه على الملحدين .

وألَّفنا كتاباً سمَّيناهُ : « جوابات المصريين » ، أتينا فيه علىٰ كثيرٍ من أبواب الكلام .

وألَّفنا كتاباً في أنَّ العجزَ عن الشيء غيرُ العجز عن ضدِّهِ ، وأنَّ العجز لا يكون إلا عن الموجود ، نَصَرنا فيه من قال من أصحابنا بذلك .

وألَّفنا كتاباً فيه مسائلُ علىٰ أهل التثنية ، سمَّيناهُ : « كتاب المسائل علىٰ أهل التثنية » .

وألَّفنا كتاباً مجرَّداً ذكرنا فيه جميعَ اعتراض الدَّهريينَ في قولِ الموحِّدين إنَّ للحوادثِ أوَّلاً في أنَّها لا تصحُّ إلا مِنْ محدِثٍ[1] ، وفي أنَّ المحدِثَ واحدٌ ، وأجبناهم عنه بما فيه إقناعٌ للمسترشدين ، وذكرنا أيضاً اعتلالاتٍ لهم

---

(١) كذا في (هـ) ، وفي سائر النسخ : (الحوادث) بدل (للحوادث) .

في قِدَمِ الأجسام ، وهـٰذا الكتاب غيرُ كتبنا المذكورةِ التي ذكرناها في صدر كتابِنا هـٰذا ، وهو مرسومٌ بالاستقصاء لجميع اعتراضِ الدَّهريين ، وسائرِ أصناف الملحدين .

وألَّفنا كتاباً على الدَّهريينَ في اعتلالِهم في قِدَم الأجسام[1] ؛ بأنها لا تخلو لو كانت محدثة من أن تكونَ أحدثَها لنفسه أو لعلَّةٍ[2]

وألَّفنا كتاباً نقضنا به اعتراضاً علىٰ داود بن علي الأصبهانيِّ في مسألة الاعتقاد .

وألَّفنا كتابَ « تفسيرِ القرآن » ؛ رددنا فيه على الجُبَّائيِّ والبلخيِّ ما حرَّفا من تأويلِهِ[3]

وألَّفنا كتابَ : « زياداتِ النوادر »

وألَّفنا كتاباً سمَّيناهُ : « جوابات أهل فارس » .

وألَّفنا كتاباً أخبرنا فيه عن اعتلال مَنْ زعمَ أنَّ المُواتَ يفعلُ بطبعِهِ[4] ، ونقضنا عليهم اعتلالَهم ، وأوضحنا عن تمويههم .

وألَّفنا كتاباً في الرؤية نقضنا به اعتراضاتِ اعترضَ بها علينا الجُبَّائيُّ في مواضعَ متفرِّقة من كُتُبٍ جمعَها محمدُ بن عمر الصَّيمَريُّ وحكاها عنه ؛ فأبَنَّا عن فسادها ، وأوضحناهُ وكشفناهُ .

---

(١) في (ط) وحدها : (اعتلالاتهم) بدل (اعتلالهم)

(٢) في (و ، ط) : (يكون) بدل (تكون) .

(٣) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (وغريبٌ من الذهبيِّ أن يزعمَ أنَّ هـٰذا التفسير ممَّا ألَفهُ علىٰ طريقة الاعتزال ! وأنت ترىٰ أنه ما ألَّفه إلا للردِّ على المعتزلة ، ويقعُ للذهبيِّ أمثالُ هـٰذا في تراجم المتكلِّمين من أهل السنة ، سامحه الله) انتهىٰ ، وانظر تعليقاً فيما مضىٰ من كلام الإمام ابن السبكي حول هـٰذا (ص ٢٦٢) .

(٤) في (و) : (الموت) بدل (الموات) ، والمُوات ـ كغُراب ـ : الموت نفسه .

وألَّفنا كتاباً سمَّيناهُ : « الجوهر في الردِّ علىٰ أهل الزيغ والمنكر »[1]

وألَّفنا كتاباً أجبنا فيه عن مسائل الجُبَّائيِّ في النظر والاستدلال وشرائطه

وألَّفنا كتاباً سمَّيناهُ : « أدب الجدل »

وألَّفنا كتاباً في مقالات الفلاسفة خاصَّةً .

وألَّفنا كتاباً في الردِّ على الفلاسفة ، يشتملُ علىٰ ثلاث مقالاتٍ ، ذكرنا فيه نقضَ عللِ ابنِ قَلْسٍ الدهريِّ[2] ، وتكلَّمنا فيه على القائلين بالهَيُولىٰ والطبائع ، ونقضنا فيه عللَ أرسطاطاليس في السماء والعالم ، وبيَّنَّا ما عليهم في قولهم بإضافة الإحداثِ إلى النجوم ، وتعليقِ أحكام السعادة والشقاوة بها)

* قال أبو بكر بن فُورَكَ : (هـٰذا هو أسامي كتبِهِ التي ألَّفَها إلىٰ سنة عشرين وثلاث مئة ، سوىٰ أماليهِ على الناس ، والجواباتِ المتفرِّقة عن المسائل الواردات من الجهات المختلفات ، وسوىٰ ما أملىٰ على الناس ممَّا لم يذكرْ أساميه ها هنا

وقد عاش بعد ذلك إلىٰ سنة أربع وعشرين وثلاث مئة ، وصنف فيها كُتُباً

منها كتابُ « نقض المضاهاة على الإسكافيِّ في التسمية بالقدر » ، وكتابُ « العُمَد في الرؤية » ، وكتابٌ في معلومات الله ومقدوراته أنَّه لا نهايةَ لها علىٰ أبي الهذيل ، وكتابٌ علىٰ حارثٍ الورَّاق في الصفاتِ فيما نقض على ابن الرَّاوندي ، وكتابٌ علىٰ أهل التناسخ ، وكتابٌ في الردِّ في الحركات علىٰ أبي الهذيل ، وكتابٌ علىٰ أهل المنطق ، ومسائلُ سُئِلَ عنها الجُبائيُّ في الأسماء والأحكام ، ومجالساتٌ في خبر الواحد وإثبات القياس ، وكتابٌ في

---

(١) كلمة (أهل) سقطت من (ب ، و) .

(٢) في (أ ، ط) : (قيس) بدل (قلس) ، والمثبت ضُبطَ من (هـ)

أفعال النبيِّ صلى الله عليه وسلَّمَ تسليماً ، وكتابٌ في الوقوف والعموم ، وكتابٌ في متشابه القرآن ؛ جمعَ فيه بين المعتزلة والملحدين فيما يطعُنون به في متشابه الحديث ، ونقض كتاب « التاج » على ابن الرَّاونديِّ ، وكتابٌ فيه بيان مذهب النصارىٰ ، وكتابٌ في الإمامة ، وكتابٌ فيه الكلام على النصارىٰ ممَّا يُحتجُّ به عليهم من سائر الكتب التي يعترفون بها ، وكتابٌ في النقض على ابن الراونديِّ في إبطال التواتر ، وفيما يتعلَّقُ به الطاعنون على التواتر ، ومسائلُ في إثبات الإجماع ، وكتابٌ في حكايات مذاهب المجسِّمة وما يحتجُّون به ، وكتاب نقض شرح الكبار[1] ، وكتابٌ في مسائلَ جرت بينه وبين أبي الفرج المالكيِّ في علَّة الخمر ، ونقض كتاب « آثار العُلْويَّة » علىٰ أرسطاطاليس ، وكتابٌ في جوابات مسائلَ لأبي هاشمٍ استملاها ابنُ أبي صالح الطبريُّ ، وكتابه الذي سمَّاهُ « الاحتجاج » ، وكتابُ « الأخبار » الذي أملاهُ على البرهان[2] ، وذلك آخرُ ما بلغنا من أسامي تصانيفِهِ ، وله كتابٌ في دلائل النبوَّة مفردٌ ، وكتابٌ آخرُ في الإمامةِ مفردٌ)

هٰذا آخرُ ما ذكره أبو بكر بن فُورَكَ من تصانيفه .

وقد وقع إليَّ أشياءُ لم يذكرها في تسمية تواليفه :

فمنها : رسالةٌ في الحثِّ على البحث ، ورسالةٌ في الإيمان ، وهل يُطلق عليه اسم الخلق ، وجوابُ مسائلَ كتبَ بها إلىٰ أهل الثغر في تبيينِ ما سألوهُ عنه من مذهب أهل الحقِّ[3]

١٤٠ـ وأخبرَني الشيخُ أبو القاسم بن نصر الواعظُ في كتابه ، عن

---

(١) كذا في النسخ، وفي (ط) وحدها: (الكتاب) بدل (الكبار).

(٢) في (أ ، ب ، و) : (الدَّهَّان) ، وفي (و) محتملة لهما وأقرب لما في (ب) .

(٣) وكان سؤالهم سنةَ (٢٦٧ هـ) ، وكتب الجواب ببغداد سنة (٢٦٨ هـ)

أبي المعالي بن عبد الملك القاضي قال سمعتُ مَن أثقُ به قال : (رأيتُ تراجمَ كتب الإمام أبي الحسن ، فعددتُها أكثرَ من مئتين وثلاثِ مئةِ مُصنَّف)

وفي ذلك ما يدلُّ علىٰ سَعةِ علمِهِ ، ويُنبئ الجاهلَ به عن غزارة فهمِهِ ، وخُطبتُهُ في أوَّلِ كتابه الذي صنَّفه في تفسير القرآن، أدلُّ دليلٍ علىٰ تبريزِهِ في العلم به على الأقران ، وهو الذي سمَّاه « تفسير القرآن[1] ، والرد علىٰ مَنْ خالف البيان ، من أهل الإفك والبهتان » ، ونقضَ ما حرَّفَهُ الجُبَّائيُّ والبلخيُّ في تأليفهما ، قال في أوَّلِهِ :

(الحمدُ لله الحميدِ المجيد ، المبدئ المعيد ، الفعَّالِ لما يريد ، الذي افتتحَ بالحمد كتابَهُ ، وأوضحَ فيه برهانَهُ ، وبيَّنَ فيه حلاله وحرامه ، وفرَّق بين الحقِّ والباطل ، والعالمِ والجاهل ، وأنزلَهُ مُحْكماً ومتشابهاً ، وناسخاً ومنسوخاً ، ومكيّاً ومدنياً ، وخاصّاً وعامّاً ، ومثلاً مضروباً ، خبَّرَ فيه عن أخبار الأوَّلينَ[2] ، وأقاصيصِ المتقدِّمين ، ورغَّبَ فيه في الطاعات ، ورهَّب فيه وزَجَرَ عن الزلاَّت والتبعات ، وخطواتِ الشيطان والضَّلالات ، ووعدَ فيه بالثواب لمن عملَ بطاعتِهِ ليوم المآب ، وتوعَّدَ فيه مَنْ كفرَ به وجانبَ

---

(١) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (وهو المعروف بـ « المختزن » ، وذكر المقريزي أنَّه في سبعين مجلداً ، وسبق عن القاضي أبي بكر بن العربي أنه في خمس مئة مجلد ؛ وعدد المجلدات ممَّا يختلف باختلاف الخطِّ ، وابن فُورك كثيرُ النقل عن هٰذا التفسير ، ويقول التاج ابن السبكي إنَّه اطَّلع علىٰ مجلد منه ، ونحن لم نطلعْ علىٰ شيء منه في خزائن الكتب وفهارسها مع طول بحثنا ؛ فلعله ممَّا خسرَهُ العالم الإسلامي من كتب السلف ، ويُروىٰ أنَّ الصاحب بن عبَّاد المعتزلي سعىٰ في إحراق النسخة الوحيدة منه في خزانة دار الخلافة ؛ بأن دفع للخازن عشرة آلاف دينار ! وإنِّي أستبعدُ من مثلِ الصاحب هٰذا العملَ ، وإن عوَّل عليه في « العواصم » [ص٧٢] ، فكم اختلق عليه أبو حيان التوحيدي ما هو بريءٌ منه ! والله أعلم) انتهىٰ

(٢) وقع في (ط) وحدها : (أخبر) بدل (خبَّر)

الصواب ، ولم يعملْ بالطاعة ليومِ الحشرِ والحساب

جعلَهُ موعظةً للمؤمنين ، وعبرةً للغابرين[1] ، وحُجَّةً على العالمين ؛ لئلا يقولوا : ربّنا لولا أرسلتَ إلينا رسولاً فنتبعَ آياتك ونكونَ من المؤمنين

جمعَ فيه علمَ الأوَّلين والآخرين ، وأكملَ فيه الفرائضَ والدين ، فهو صراطُ الله المستبين ، وحبلُهُ المتين ، مَنْ تمسَّكَ به نجا ، ومَنْ جانبه ضلَّ وغوىٰ ، وفي الجهل تردَّىٰ ، وجعلَهُ قرآناً عربيّاً غيرَ ذي عوج بلسانِ العرب الأُمِّيِّينَ ، الذين لم يأتِهم رسولٌ قبلَهُ من عند ربِّ العالمين ، بكتاب يتلوهُ بلسانِهم من عند فاطرِ السماوات والأرضين ، وقطعَ به عُذرَ المخالفين لنبوَّة سيِّد المرسلين ؛ إذ جعلَهُ مُعجِزاً يَعجِزون عن الإتيان بمثلِهِ وهم أربابُ اللسان ، والنهايةِ في البيان

بيَّنَ لهم فيه ما يأتون وما يتقون ، وما يُحِلُّون وما يُحرِّمون ، وأوضحَ لهم فيه سبيلَ الرشاد ، والهدىٰ والسَّداد ، وما صنعَهُ بالأوَّلين ، الذين كانوا لدينه مخالفينَ وعنه منحرفين ، وما ينزِّلُهُ من النَّقِماتِ بالكافرين إن أقاموا على الكفر وكانوا به متمسِّكين ؛ ليهلكَ مَن هَلَكَ عن بيِّنةٍ ، ويحيا مَن حيَّ عن بيِّنةٍ ، وإنَّ الله لسميعٌ عليم .

أمَّا بعدُ

فإنَّ أهلَ الزيغ والتضليل تأوَّلوا القرآنَ علىٰ آرائِهم ، وفسَّروهُ علىٰ أهوائِهم ، تفسيراً لم ينزِّلِ اللهُ به سلطاناً ، ولا أوضحَ به برهاناً ، ولا رَوَوهُ عن رسول ربِّ العالمين ، ولا عن أهل بيتِهِ الطيِّبين ، ولا عن السلف المتقدِّمين ، من الصحابة والتابعين ؛ افتراءً على اللهِ قد ضلُّوا وما كانوا مهتدين ، وإنَّما أخذوا تفسيرَهم عن **أبي الهذيلِ بيَّاع العَلَفِ** ومتَّبعيه ، وعن **إبراهيمَ نظَّامِ الخرزِ**

---

(١) الغابرون : الباقون ، والغابر من الليل : ما تبقَّىٰ منه ،وغابرُ بني فلان : بقيَّتُهم .

ومقلِّديه ، وعن الفُوَطيِّ وناصريه ، وعن المنسوب إلىٰ قريتِهِ جُبَّىٰ ومنتحليه[1] ، وعن الأشجِّ جعفرِ بن حربٍ ومجتبيه ، وعن جعفرِ بن مبشِّر القصبيِّ ومتعصبيه ، وعن الإسكافيِّ الجاهل ومعظِّميه ، وعن الفرويِّ المنسوب إلىٰ مدينة بلخَ وذويه ؛ فإنَّهم قادةُ الضَّلال ، من المعتزلة الجهَّال ، الذين قلَّدوهم دينَهم وجعلوهم معوَّلَهم الذي عليه يعوِّلون ، وركنَهم الذي إليه يستندون .

ورأيتُ الجُبَّائيَّ ألَّفَ في تفسير القرآن كتاباً أوَّلَهُ علىٰ خلاف ما أنزل اللهُ عزَّ وجلَّ ، وعلىٰ لغة أهل قريتِهِ المعروفة بجُبَّىٰ ، وليس من أهل اللسان الذي نزلَ به القرآن ، وما روىٰ في كتابه حرفاً واحداً عن أحدٍ من المفسِّرينَ ! وإنَّما اعتمدَ علىٰ ما وسوسَ به صدرُهُ وشيطانه ، ولولا أنَّه استغوىٰ بكتابه كثيراً من العوامِّ ، واستزلَّ به عن الحقِّ كثيراً من الطَّغام[2] . . لم يكن لتشاغلي به وجهٌ)

ثم ذكر بعضَ المواضع التي أخطأَ فيها الجُبَّائيُّ في تفسيرِهِ ، وبيَّنَ ما أخطأَ فيه من تأويل القرآن بعونِ الله له وتيسيرِهِ ، وكلُّ ذلك ممَّا يدلُّ علىٰ نُبلِهِ ، وكثرةِ علمه ، وظهورِ فضله ، فجزاهُ اللهُ علىٰ جهادِهِ في دينه بلسانه الحُسنىٰ ، وأحلَّهُ بإحسانه في مستقرِّ جِنانه المحلَّ الأسنىٰ

* وذكر أبو العباس أحمدُ بن محمدٍ[3] المعروفُ بقاضي العسكرِ ، وكان من كبراء أصحاب أبي حنيفةَ رحمه الله : أنَّه نظرَ في كتبٍ صنَّفَها المتقدِّمون في علمِ التوحيد ، قال

---

(١) أراد أبا علي محمد بن عبد الوهاب الجُبَّائي ، فالنسبة علىٰ غير القياس ، وجُبَّىٰ : بلد أو كورة من عمل خوزستان ، وذكر السمعاني أنها ناحية من البصرة ، وانظر « معجم البلدان » (٣/ ٩٧) ، و« تاج العروس » (ج ب ب) .

(٢) في (هـ) وحدها : (واستنزل) بدل (واستزل) .

(٣) في (أ ، ب) : بياض ، وفي (ط ، هـ) : (أبو العباس) فقط ، والمثبت من (و) .

(فوجدتُ بعضَها للفلاسفة ؛ مثلِ إسحاقَ الكنديِّ والإسفزاريِّ وأمثالهما[1] ، وذلك كلُّهُ خارجٌ عن الطريق المستقيم ، زائغٌ عن الدين القويم ، لا يجوزُ النظرُ في تلك الكتب ؛ لأنَّه يجرُّ إلى المهالك ؛ لأنَّها مملوءةٌ من الشرك والنفاق ، مسمَّاةٌ باسم التوحيد ؛ ولهـٰذا ما أمسكَ المتقدِّمون من أهل السنَّة والجماعة شيئاً من كتبهم

ووجدتُ تصانيفَ كثيرةً في هـٰذا الفنِّ من العلم للمعتزلةِ ؛ مثلِ عبد الجبَّار الرازيِّ والجُبائيِّ والكعبيِّ والنظَّام وغيرهم ، ولا يجوزُ إمساكُ تلك الكتب ولا النظرُ فيها ؛ كي لا تُحدثَ الشكوكَ ، ويوهنَ الاعتقاد ، ولئلا ينسبَ ممسكُها إلى البدعة ؛ ولهـٰذا ما أمسكَها المتقدِّمون من أهل السنة والجماعة

وكذا المجسِّمةُ صنَّفوا كُتُباً في هـٰذا الفنِّ ؛ مثلُ محمد بن الهيصم وأمثالِهِ ، ولا يحلُّ النظرُ فيها ولا إمساكُها ؛ فإنَّهم شرُّ أهل البدع

وقد وقعَ في يدي بعضُ هـٰذه التصانيف ، فما أمسكتُ منها شيئاً

وقد وجدتُ لأبي الحسن الأشعريِّ كتباً كثيرةً في هـٰذا الفنِّ ، وهي قريبةٌ من مئتي كتابٍ ، و« الموجزُ الكبير » يأتي علىٰ عامَّة ما في كُتبه ، وقد صنَّفَ الأشعريُّ كتاباً كبيراً لتصحيح مذهبِ المعتزلة ؛ فإنَّه كان يعتقدُ مذهبَ المعتزلة في الابتداء ، ثم إنَّ الله تعالىٰ بيَّنَ له ضلالَهم ، فبانَ عمَّا اعتقدَهُ من مذهبهم ، وصنَّفَ كتاباً ناقضاً لما صنَّفَ للمعتزلةِ

وقد أخذَ عامَّةُ أصحاب الشافعيِّ بما استقرَّ عليه مذهبُ أبي الحسن الأشعريِّ ، وصنَّفَ أصحابُ الشافعيِّ كتباً كثيرةً علىٰ وَفْقِ ما ذهبَ إليه

---

(١) الإسفزاري ـ بفتح الهمزة عند العلامة ياقوت ، وعند الحافظ السمعاني بكسرها ـ : نسبة إلىٰ مدينة إسفزار بسجستان .

الأشعريُّ ، إلا أن بعض أصحابنا من أهل السنة والجماعة[١] خطَّأَ أبا الحسن الأشعريَّ في بعض المسائل ؛ مثلِ قولِهِ « التكوينُ والمكوَّنُ واحدٌ » ونحوها ، علىٰ ما يتبين في خلال المسائلِ إن شاءَ الله تعالىٰ ، فمَن وقفَ على المسائل التي أخطأَ فيها أبو الحسن وعرفَ خطأَهُ . . فلا بأسَ له بالنظرِ في كُتبه[٢] ؛ فقد أمسكَ كتبَهُ كثيرٌ من أصحابنا من أهل السنة والجماعة ونظروا فيها)

وهـٰذه المسائلُ التي أشارَ إليها لا تكسبُ أبا الحسن تشنيعاً ، ولا توجبُ له تكفيراً ولا تضليلاً ولا تبديعاً ، ولو حقَّقوا الكلامَ فيها لحصلَ الاتِّفاق ، وبان أنَّ الخلافَ فيها حاصلُهُ الوفاقُ ، وما زال العلماءُ يخالفُ بعضُهم بعضاً ، ويقصدُ دفعَ قولِ خصمِهِ إبراماً ونقضاً ، ويجتهدُ في إظهار خلافِهِ بحثاً وفحصاً[٣] ، ولا يعتقدُ ذلك في حقِّهِ عيباً ونقصاً ، وقديماً ما خالفَ أبا حنيفةَ صاحباهُ ، وأجابا في كثيرٍ من المسائل بما أباهُ ، والله يتغمَّدُ جميعَ العلماء برحمته ، ويحشرُنا في زمرتِهم بلطفِهِ ورأفته

* * *

(١) يعني : السادة الماتريدية أصحاب الإمام أبي منصور الماتريدي .

(٢) إذ هو عند محققي الماتريدية خطأٌ اجتهادي في أصولٍ تحتمل الخلاف ، وقد قال الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٧٨) : (تفحَّصت كتبَ الحنفية ، فوجدت جميعَ المسائلِ التي بيننا وبين الحنفية خلافٌ فيها ثلاثَ عشرةَ مسألةً ، منها معنوي ستُّ مسائل ، والباقي لفظي ، وتلك الستُّ المعنوية لا تقتضي مخالفتُهم لنا ولا مخالفتُنا لهم فيها تكفيراً ولا تبديعاً ، صرَّح بذلك الأستاذ أبو منصور البغدادي وغيره من أئمتنا وأئمتهم ، وهو غنيٌّ عن التصريح ؛ لظهوره) ، وسيؤكِّد المصنِّفُ هـٰذا

(٣) في (أ) : (ويجتهد في إظهارِهِ خلافَهَ وبحثاً وفحصاً) .

بابُ
ذكرُ ما عُرِفَ من أبي الحسنِ رحمَهُ اللهُ من الاجتهادِ في العبادةِ ونُقِلَ عنهُ من التقلُّلِ من الدنيا والزَّهادةِ

١٤١ـ أخبرَنا الشيخُ أبو المظفر بن أبي العباس الشَّعِيريُّ الصُّوفيُّ ، أخبرنا الإمامُ أبو الفضل محمدُ بن علي بن أحمد بن الحسين البِسْطاميُّ جدِّي لأمِّي قال : سمعتُ عليَّ بن محمد الطبريَّ المتكلِّمَ قال سمعتُ أبا الحسن السَّرَوِيَّ الفاضلَ في الكلام يقول : (**كان الشيخُ أبو الحسن** ـ يعني : **الأشعريَّ** ـ **رحمه الله قريباً من عشرين سنةً يصلِّي صلاةَ الصبح بوضوءِ العتمة**) ، وكان يحكي عن اجتهاده شيئاً لا إلىٰ حدٍّ[1]

١٤٢ـ كتبَ إليَّ الشيخ أبو القاسم نصرُ بن نصر بن علي بن يونس بن العُكْبَرِيِّ الواعظ من بغداد ، يخبرني عن **القاضي أبي المعالي** عَزِيزيِّ بن عبد الملك شَيْذَلَهْ[2] قال : سمعتُ الشيخ الإمامَ أبا عبد الله الحسين بن محمد الدَّامَغانيَّ قال : سمعتُ الإمام أبا الحسين ـ يعني : محمد بن أحمد بن إسماعيل بن سمعون ـ قال : سمعتُ أبا عمرانَ محمدَ بن أحمد بن علي الفارسيَّ الفقيهَ قال : سمعتُ أبي يقول : (**خدمتُ الإمامَ أبا الحسن الأشعريَّ بالبصرة سنينَ** ، **وعاشرتُهُ ببغداد إلىٰ أن تُوفِّيَ رحمه الله ؛ فلم أجدْ أورعَ منه** ،

---

(١) وأورده الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٥١) .

(٢) علىٰ أن هاءه أعجمية ساكنة كما نبَّهَ الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ٢٣٥) ، وقال : (ومن نوادره : أنه كان جيلانياً أشعريَّ العقيدة) ، وكان شافعياً في الفروع كما نصَّ الحافظ البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٧/ ١٧٦) .

ولا أغضَّ طرفاً ، ولم أرَ شيخاً أكثرَ حياءً منه في أمور الدنيا ، ولا أنشطَ منه في أمورِ الآخرة)

قال القاضي أبو المعالي[1] (فأظهرَ الحقَّ ونصره ، وأدحضَ الباطلَ وزجرَهُ ، وأعلنَ معالمَ الدين ، وأقامَ دعائمَ اليقين ، وصنَّفَ كُتباً هي في الآفاق مشهورةٌ معروفة ، وعند المخالف والمؤالفِ مبثوثةٌ موصوفة ، فلم تزلْ وجوهُ الدِّين بجانبه مكشوفةَ القناع ، وأيدي الشريعة بنصرتِهِ مبسوطةَ الباع ، وكلمةُ البِدَعِ منقمعةَ الأمر ، وشُبَهُ الباطل منقصمةَ الظهر ، إلىٰ أن ماتَ رضوانُ الله عليه)

١٤٣ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الحسنِ عليُّ بن أحمد بن منصور الفقيهُ بدمشقَ قال حدثنا ، والشيخُ أبو منصورٍ محمدُ بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون المقرئ ببغدادَ قال أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن علي بن ثابت الحافظُ قال حدثنا القاضي أبو محمدٍ عبدُ الله بن محمد بن عبد الرحمـٰن الأصبَهانيُّ قال سمعتُ أبا عبد الله بن بانيال[2] يقول سمعتُ بندارَ بن الحسين ـ وكان خادمَ أبي الحسن عليِّ بن إسماعيل بالبصرة ـ قال (كان أبو الحسن يأكلُ مِنْ غَلَّةِ ضيعة وقفَها جدُّهُ بلالُ بن أبي بردةَ بن أبي موسى الأشعري علىٰ عقبِهِ) ، قال (وكانت نفقتُهُ في كلِّ سنةٍ سبعةَ عشرَ درهماً)[3]

* * *

---

(١) يعني : القاضي شيذله المذكور في سند المصنف

(٢) في (ط) (دانيال) ، وفي (ب) (أبي بانيال) ، والمثبت من (أ ، د ، و) موافق لما في رواية الخطيب البغدادي والعلامة اللَّبْلي

(٣) ورواه الخطيب البغدادي في « تاريخه » (١١/٣٤٦) ، واللبلي في « فهرسته » (ص ٩٨)

بابٌ
ذكرُ ما يُسِّرَ لأبي الحسن رحمه اللهُ من النِّعمةِ من كونِهِ من خيرِ قرونِ هذهِ الأمّةِ

١٤٤ـ أخبرنا الشيخُ أبو القاسم هبةُ الله بن محمد بن عبد الواحد ابن الحصين ، أخبرنا أبو عليٍّ الحسنُ بن علي بن محمد التميميُّ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن جعفر بن حمدان القَطِيعِيُّ ، حدثنا عبدُ الله بن أحمد بن محمد بن حنبل ، حدثني أبي ، حدثنا هُشيمٌ ، أخبرنا أبو بِشْرٍ[1] ، عن عبد الله بن شقيق ، عن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **خَيْرُ أُمَّتِي ٱلْقَرْنُ ٱلَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ** ـ واللهُ أعلمُ أقالَ الثالثةَ أم لا ـ ، **ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ ٱلسَّمَانَةَ ، يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا** »

رواه مسلم بن الحجّاج في « صحيحه » عن يعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقِيِّ ، عن هُشيم بن بشير الواسطيِّ[2] ، وقد جاءَ هـٰذا الحديث من وجهين من غير شكٍّ في ذكر القرن الثالث بعد ذكر القرنين

١٤٥ـ أخبرَنا به الشيخُ أبو بكرٍ محمدُ بن الحسين بن علي بن إبراهيم الفرضيُّ المقرئ ببغداد ، حدثنا القاضي أبو الحسين محمدُ بن علي بن محمد بن عبيد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله ، (ح)

وأخبرنا به الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمد بن عمر بن السمرقنديِّ ،

---

(١) هو جعفر بن إياس ، أبو بشر بن أبي وحشية .

(٢) صحيح مسلم (٢٥٣٤)

أخبرنا أبو الحسين أحمدُ بن محمد بن أحمد البزَّازُ قالا أخبرنا أبو القاسم عيسى بنُ علي بنِ عيسى الوزيرُ ، أخبرنا عبدُ الله بن محمد بن عبد العزيز ، حدثنا داودُ بن عمرو الضَّبِّيُّ ، حدثنا سَلاَّمٌ أبو الأحوص ، حدثنا منصورٌ ، عن إبراهيم ، عن عَبيدةَ السلمانيِّ ، عن عبدِ الله قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **خَيْرُ أُمَّتِي ٱلْقَرْنُ ٱلَّذِينَ يَلُونِي ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ** »

قال إبراهيمُ : فكنَّا نُنهىٰ أن نحلفَ بالعهد والشهاداتِ[1]

هٰذا حديث متَّفقٌ علىٰ صحته ؛ رواه البخاري في « صحيحه » عن محمد بن كثير العبدي ، عن سفيان بن سعيد الثوري ، عن منصور ، ورواه مسلم في « صحيحه » ، عن قتيبة بن سعيد ، وهنَّاد بن السَّري ، عن أبي الأحوص سَلاَّم بن سُليم الكوفي[2] ، إلا أنَّهما لم يذكرا « **ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ** » الثالثةَ كما ذكرها داود بن عمرو الضَّبيُّ في حديثه .

١٤٦ـ وأخبرَنا به الشيخُ أبو القاسم هبةُ الله بن محمد بن عبد الواحد الشيبانيُّ ، أخبرنا أبو طالبٍ محمدُ بن محمد بن إبراهيم بن غَيْلانَ الهَمْدانيُّ ، حدثنا أبو بكرٍ محمدُ بن عبد الله بن إبراهيم الشافعيُّ ، حدثنا الحارثُ بن أبي أسامةَ ، حدثنا أبو النضرِ ، حدثنا أبو معاويةَ شيبانُ ، عن عاصمٍ ، عن خَيْثَمَةَ والشعبيِّ ، عن النعمان بن بشير ، عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال : « **خَيْرُ ٱلنَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمٌ تَسْبِقُ أَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ ، وَتَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانَهُمْ** »

---

(١) رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٥١٠٣) ، وإبراهيم : هو النخعي .

(٢) صحيح البخاري (٢٦٥٢) ، صحيح مسلم (٢٥٣٣/ ٢١٠ ، ٢١١) .

أخرجه أبو عبد الله أحمدُ بن محمد بن حنبلٍ رحمه الله في « مسنده » ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم البغداديِّ هـٰكذا ، وذكرَ فيه القرنَ الثالث بعد قرنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم[1]

وفيه أوفىٰ دليلٍ على المعنى الذي أشرتُ في ترجمةِ الباب إليه ؛ لأنَّه لا يخلو أن يكونَ ابتداءُ القرن من وقت مبعثِهِ ، أو من حين توفَّاه الله عزَّ وجلَّ ونقله إلىٰ جدثِهِ ، ومدَّةُ القرن من الزمان : مئةُ سنة ، ففي الروايتين ما يدلُّ علىٰ منقبةٍ لأبي الحسن حسنةٍ ؛ فإنَّه وُلدَ في القرن الثالث بعد قرنِ المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، فكان ممَّنِ اختارَهُ اللهُ من أمَّة محمدٍ صلى الله عليه وسلم واصطفىٰ ، فهو بلا شكٍّ من قرنٍ شهدَ له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالخيريَّة ، مع ما انضافَ إلىٰ ذلك من كونه من الجُرثومةِ الأشعريَّةِ[2] ، التي وصفها نبيُّ هـٰذه الأمَّة فيما صحَّ عنه بالإيمان والحكمة[3] ؛ إذ لا نعلمُ إماماً من الأشعرِين[4] ، تجرَّدَ لإفحام الملاحدةِ والمُفترين ، في سالفٍ أو آنفٍ من الزمن ؛ كتجرُّدِ الإمام العالمِ أبي الحسن ، فهو المستحقُّ لهـٰذه المرتبة ، والمخصوص من الأشعريِّين بشرف المَنْقَبة[5]

ويدلُّ علىٰ مبلغِ قدْرِ القرن وأمدِهِ ، ممَّا لا يتمارىٰ حديثيٌّ في صحَّة سندِهِ ؛ ما :

١٤٧ـ أخبرَنا الشيخ أبو المظفرِ عبدُ المنعم بن الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازنَ القشيريُّ بنيسابورَ قال أخبرنا أبي رحمه الله ، أخبرنا

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٢٦٧) .

(٢) جرثومة الشيء : أصله .

(٣) انظر الحديث المتقدم برقم (٢٤) .

(٤) كذا بياءٍ واحدة، وهي لغة فصيحة كثيرة كما تقدم .

(٥) المَنْقَبةُ : المفخرة والمأثرة ، وهي ضدُّ المَثْلَبة .

أبو نُعيمٍ عبدُ الملك بن الحسن بن محمد الأزهريُّ ، أخبرنا أبو عوانةَ يعقوبُ بن إسحاق بن إبراهيم الإسفرايني ، حدثنا السُّلميُّ ـ يعني أحمد بن يوسف ـ حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا معمرٌ ، عن الزهريِّ ، عن سالمٍ ، وأبي بكر بن سليمان ـ يعني : ابنَ أبي حثمةَ ـ : أنَّ عبدَ الله بن عمر قال : صلَّىٰ بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ ليلةٍ صلاةَ العشاء في آخرِ حياته ، فلمَّا سلَّمَ . قال : « **أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَـٰذِهِ ؟ فَإِنَّ عَلَىٰ رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لاَ يَبْقَىٰ مِمَّنْ عَلَىٰ ظَهْرِ ٱلأَرْضِ أَحَدٌ** »

يريدُ بذلك : أن ينخرمَ ذلك القرْنُ ، فلا يبقىٰ أحدٌ[1]

متفقٌ علىٰ صحَّته ؛ رواه مسلم عن محمد بن رافع ، وعبدُ بن حميد عن عبد الرزاق[2]

ويدلُّ عليه أيضاً ما :

١٤٨ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الفتحِ[3] يوسفُ بن عبد الواحد بن محمد بن يوسفَ الماهانِيُّ بأصبَهانَ ، أخبرنا أبو منصورٍ شجاعُ بن علي بن شجاع المَصْقَلِيُّ الصُّوفيُّ ، أخبرنا أبو عبدِ الله محمدُ بن إسحاق بن محمد بنِ يحيى العبديُّ ، أخبرنا أحمدُ بن سليمان بن أيوب بن حَذْلَمٍ[4] ، حدثنا موسى بنُ

---

(١) كتب في هامش (ب) كلام بالفارسية ، معناه على التقريب : أنه يأتي على الأمة على رأس كل مئة سنة مَن يجدد لها أمر دينها ، وفي (أ) : (فلما سلم قام قال) .

(٢) صحيح البخاري (١١٦) ، صحيح مسلم (١٥٣٧) .

(٣) في (هـ) وحدها : (أبو القاسم) ، والصواب المثبت .

(٤) في (ط) : (حزام) ، وفي (و) : (حدم) ، والمثبت هو الصواب ، وحَذْلَم : كان نصرانياً ، فأسلم علىٰ يدي الحسن بن عمران السلمي ، وكان أحمد بن سليمان آخر من كانت له حلقة في جامع دمشق يدرِّس فيها مذهب الأوزاعي ، وانظر « تاريخ دمشق » (٧١/ ١٥١) .

أبي عوف ، حدثنا سلمةُ بن جواس[1] ، حدثنا محمدُ بن القاسم الطائيُّ : أنَّ عبدَ الله بن بُسْرٍ[2] كان معهم في قريتِهِ فقال هاجرَ أبي وأمِّي إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وإنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم مسحَ بيده رأسي وقال : « لَيَعِيشَنَّ هَـٰذَا ٱلْغُلَامُ قَرْناً » ، قلتُ بأبي وأمِّي يا رسول الله ؛ وكم القرن ؟ قال : « مِئَةُ سَنَةٍ »

قال عبدُ الله : فلقد عشتُ خمساً وتسعين سنة ، وبقيَتْ خمسُ سنين إلىٰ أن أُتمَّ قولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمدٌ : فحسبنا بعد ذلك خمسَ سنين ، ثم ماتَ[3]

١٤٩ـ وأخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو غالبٍ أحمدُ وأبو عبد الله يحيى ابنا الحسن بن أحمد البناء ببغداد قالا أخبرنا أبو الحسين محمدُ بن أحمد بن محمد بن علي بن الآبَنُوسِيِّ ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن عبيد بن الفضل بن بِيرِيٍّ إجازةً ، أخبرنا محمدُ بن الحسين بن محمد بن سعيد الزعفرانيُّ ، حدثنا أبو بكرٍ أحمدُ بن أبي خيثمةَ زهيرِ بنِ حربٍ ، حدثنا عليُّ بن بحر بن بَرِّيٍّ ، ويعقوبُ بن كعب الأنطاكيُّ قالا : حدثنا عيسى بنُ يونس ، حدثنا الأوزاعيُّ ، عن يحيى بنِ أبي كثيرٍ ، عن أبي سلمةَ قال (كان بين آدمَ ونوحٍ عليهما

(١) في (ط) : (خداش) ، والمثبت هو الصواب ، وانظر ترجمته في « تاريخ دمشق » (١٢/٢٢) .

(٢) وهو آخر من مات بالشام من الصحابة ، وله مئة سنة ، وانظر « تقريب التهذيب » (ص٢٩٧) .

(٣) ورواه المصنف في « تاريخ دمشق » (١٢/٢٢) ، ورواه الحاكم في « مستدركه » (٥٤٩/٢) من وجه آخر عن سيدنا عبد الله بن بُسرٍ رضي الله عنهما ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤٠٤/٩) : (رواه الطبراني والبزار ، إلا أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليدركنَّ قرناً » ، ورجالُ أحد إسنادي البزار رجالُ الصحيح غير الحسن بن أيوب الحضرمي ، وهو ثقة) .

السلام عشرةُ قرون ، القَرْنُ مئة عام ، وكان بين نوحٍ وإبراهيمَ عليهما السلام عشرةُ قرون)[1]

١٥٠ـ أخبرَنا الشيخُ أبو بكرٍ محمدُ بن عبد الباقي بن محمد الفرضيُّ ، أخبرنا أبو محمدٍ الحسنُ بن علي بن محمد الجوهريُّ ، أخبرنا أبو عمرَ محمدُ بن العباس بن محمد الخَزَّازُ ، أخبرنا أبو الحسنِ أحمدُ بن معروف بن بشر الخَشَّابُ ، أخبرنا أبو محمدٍ حارثُ بن أبي أسامةَ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن سعد ، أخبرنا محمدُ بن عمرَ الواقديُّ ، عن غير واحدٍ من أهل العلم قالوا : **(كان بين آدمَ ونوحٍ عشرةُ قرون ، القَرْنُ مئةُ سنة ، وبين نوحٍ وإبراهيمَ عشرةُ قرون ، والقَرْنُ مئة سَنة ، وبين إبراهيمَ وموسى بنِ عمرانَ عشرةُ قرون ، القَرْنُ مئةُ سنة)**[2]

فأمَّا معرفةُ زمان أبي الحسن ، وتاريخِ مولده ، وذكرِ وفاته ، ومبلغِ عمره ، ومنتهى أمدِهِ :

١٥١ـ فأخبرَنا الشيخُ أبو القاسم نصرُ بن أحمد بن مقاتلٍ ، أخبرنا جدِّي أبو محمد بن أحمد المقرئ ، أخبرنا أبو علي بن إبراهيم الفارسيُّ قال سمعتُ أبا الحسن محمدَ بن محمد الوَزَّانَ بالبصرة يقول : سمعتُ أبا بكر الوَزَّانَ يقول : **(ولد ابن أبي بِشرٍ سنةَ ستين ومئتين ، ومات سنةَ نيّف وثلاثين وثلاث مئة)** .

---

(١) ورواه المصنف في « تاريخه » (١/ ٣١) ، ورواه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (٤/ ٢٩٨) من طريق أبي سلمة مسنداً من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وروي مرفوعاً من غير طريقه ؛ رواه ابن حبان في « صحيحه » (٦١٩٠) من حديث أبي سلاَّم الأسود بن هلال رضي الله عنه ، وانظر « البداية والنهاية » (١/ ١٠٠)

(٢) ورواه ابن سعد في « الطبقات الكبير » (١/ ٥٣) ، والطبري في « تاريخه » (٢/ ٢٣٥) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (١/ ٣٣١)

لا أعلم لقائلٍ هـٰذا القول في تاريخ مولده مخالفاً ، ولـٰكنِّي أراه في تاريخ وفاته رحمه الله مجازفاً ، ولعلَّهُ أراد سنة نيف وعشرين ؛ فإنَّ ذلك في وفاتِهِ قولُ الأكثرين ، فقد :

١٥٢ـ ذكرَ لي الشيخانِ ؛ الفقيهُ أبو الحسن عليُّ بن أحمد بن قُبيس ، وأبو منصورٍ محمد بن عبدِ الملك المقرئ أنَّ أبا بكرٍ الخطيبَ الحافظَ ذكر لهما قال ذكرَ أبو محمدٍ عليُّ بن أحمد بن سعيد[١] : أنَّ أبا الحسن ماتَ في سنة أربع وعشرينَ وثلاثِ مئة .

قال الخطيبُ أبو بكر : وذكر لي أبو القاسم عبدُ الواحد بن عليٍّ الأسديُّ أنَّه ماتَ ببغدادَ بعد سنة عشرين ، وقبل سنة ثلاثين وثلاث مئة[٢]

١٥٣ـ وقرأتُ في « تاريخ أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمـٰن الهرويِّ » بخطِّ بعضِ أهل المعرفة قال : (سنة أربع وعشرين وثلاث مئة : فيها ماتَ أبو الحسن عليُّ بن إسماعيل الأشعريُّ)

وكذا ذكر الأستاذُ أبو بكرٍ محمدُ بن الحسن بن فُورَكَ الأصبَهانيُّ تلميذُ تلميذِهِ أبي الحسن الباهليِّ ، وهو أعلمُ بأمره

١٥٤ـ وأخبرنا الشيخُ أبو القاسمِ نصرُ بن نصر بن علي العُكْبَرِيُّ في كتابه ، عن القاضي أبي المعالي عَزيزي بن عبد الملك قال (قيل إنَّ أبا الحسن ماتَ قبل الثلاثين ، ونُودي علىٰ جنازته بناصرِ الدين)

* وروى الشيخُ أبو الحسين بن سمعون قال كان لي صاحبٌ يلازمُ مجلسي متصاونٌ جميلُ الظاهر كثيرُ المجاهدة ، فماتَ ، فحسَّنْتُ تجهيزَهُ ، ودفنتُهُ بباب حربٍ ، فلمَّا كان بعد أيام . . رأيتُهُ في النوم عُرياناً مشوَّهَ الخَلْقِ ،

---

(١) هو العلامة ابن حزم كما جاء التصريح به في « تاريخ بغداد » .
(٢) ذكره الخطيب البغدادي في « تاريخه » (١١/٣٤٦) .

علىٰ صورةٍ قبيحةٍ ! فقلت له   يا با عبدِ الله[1] ؛ ما فعلَ اللهُ بك ؟! فقال   أنا مطرودٌ كما ترىٰ ، فقلتُ : أَمَا كنتَ حَسَنَ الظنِّ بالله تعالىٰ ؟ فقال   نعم ؛ ولـٰكنِّي كنتُ سيِّئَ الظنِّ بهـٰذا الشيخ ، فنظرتُ ، فإذا أنا بشيخٍ طُوالٍ ، بهيِّ المنظر ، حسنِ الهيئة ، طيِّبِ الرائحة ، جميلِ المحاسن ، وهو يقرأُ بصوت جَهْوريٍّ طيِّب : ﴿ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ [الأعراف ٤٤] ؟! وينظرُ إلىٰ ذلك المسكينِ صاحبي ، وكان معه خَلْقٌ عظيمٌ فوق الإحصاء ، فسألتُ عنه ، فقيل لي   هـٰذا أبو الحسن الأشعريُّ ؛ قد غفرَ اللهُ له .

قال الشيخ أبو الحسين   وأظنُّهم قالوا : وشفَّعَهُ في أصحابِهِ ، رضي الله عنهم أجمعين

وقد كان الشيخ أبو الحسن كجدِّهِ أبي موسى الأشعريِّ ؛ موصوفاً بحسْنِ الصوت ، فيما بلغني من بعضِ الوجوه[2] ، كما رآهُ أبو الحسين بن سمعون في منامه بعد الموت .

* * *

---

١) في (ط) : (يا أبا) بدل (يا با) ، والمثبت لغة مشهورة فاشية في النداء

٢) تقدم الحديث برقم (٨٣) .

بابٌ
ما وُصِفَ مِن مجانبتِهِ لأهلِ البدعِ وجهادِهِ وذِكرُ ما عُرِفَ مِن نصيحتِهِ للأمَّةِ وصحَّةِ اعتقادِهِ

١٥٥ـ أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الله محمدُ بن الفضل الفُراويُّ بنيسابورَ قال : سمعتُ الأستاذَ أبا القاسم عبد الكريم بن هوازنَ القشيريَّ يقول : سمعتُ الأستاذَ الشهيدَ أبا علي الحسنَ بن عليٍّ الدقاقَ رحمه الله يقول : سمعتُ أبا عليٍّ زاهرَ بن أحمدَ الفقيهَ رحمه الله يقول : ماتَ أبو الحسن الأشعريُّ رحمه الله ورأسُهُ في حجري ، وكان يقول شيئاً في حال نزعِهِ من داخل حلْقِهِ ، فأدنيتُ إليه رأسي ، وأصغيتُ إلىٰ ما كان يقرعُ سمعي ؛ فكان يقول : (**لعنَ اللهُ المعتزلةَ ؛ موَّهوا ومخرقوا**)[1]

١٥٦ـ سمعتُ الشيخين ؛ أبا محمدٍ عبدَ الجبار بن أحمد بن محمد البيهقيَّ الفقيه ، وأبا القاسم زاهرَ بن طاهر المُعدَّلَ بنيسابورَ يقولان : سمعنا الشيخَ أبا بكر أحمدَ بن الحسين بن علي البيهقيَّ يقول : سمعتُ أبا حازمٍ عمرَ بن أحمد العبدويَّ الحافظَ يقول : سمعتُ أبا عليٍّ زاهرَ بن أحمد السَّرَخْسِيَّ يقول : لمَّا قَرُبَ حضورُ أجلِ أبي الحسن الأشعريِّ رحمه الله في داري ببغداد . . دعاني ، فأتيته ، فقال : (**اشهدْ عليَّ أنِّي لا أُكفِّرُ أحداً من أهلِ هـٰذه القِبلة**[2] ؛ **لأنَّ**

---

(١) وأورده الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٤/ ١٥٧) ، والصفدي في « الوافي بالوفيات » (١٤/ ١١٣) ، والإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٤٠٢) .

(٢) قال العلامة الكفوي في « الكليات » (ص ٢١٠) : (أهل القبلة : من صدَّقَ بضروريات =

الكلَّ يشيرونَ إلىٰ معبودٍ واحدٍ ، وإنَّما هـٰذا كلُّهُ اختلافُ العبارات)[1]

١٥٧ـ كتبَ إليَّ الشيخُ أبو القاسم نصرُ بن نصر الواعظُ يخبرني عن القاضي أبي المعالي بن عبد الملك ، وذكر أبا الحسن الأشعريَّ فقال نضَّرَ اللهُ وجهه ، وقدَّسَ روحَهُ ؛ فإنَّه نظرَ في كتب المعتزلة والجهميَّة والرافضة ، وإنَّهم عطَّلوا وأبطلوا؛ فقالوا : لا عِلمَ لله ، ولا قدرةَ ، ولا سمْعَ ، ولا بصرَ ، ولا حياةَ ، ولا بقاءَ ، ولا إرادةَ ، وقالَتِ الحشويَّةُ والمجسِّمةُ والمكيِّفةُ المحدِّدةُ : إنَّ لله عِلماً كالعلوم ، وقدرةً كالقُدَرِ ، وسمعاً كالأسماع ، وبصراً

= الدينِ كلِّها عند التفصيل) ، وقال (ص ٧٦٥) : (وعدم إكفار أهل القبلة ؛ لاعتقادهم أن ما ذهبوا إليه هو الدين الحق ، وتمسكهم في ذلك بنوع دليل من الكتاب والسنة ، وتأويله علىٰ وفق هواهم ، وهـٰذا موافق لكلام الأشعري والفقهاء . . . ، ومختار جمهور أهل السنة من الفقهاء والمتكلمين عدم إكفار أهل القبلة من المبتدعة المؤولة في غير الضرورية ؛ لكون التأويل شبهة ، كما هو المسطور في أكثر المعتبرات)

(١) ورواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٢٠٧) وقال : (والذي روينا عن الشافعي وغيره من الأئمة من تكفير هـٰؤلاء المبتدعة . . فإنَّما أرادوا به كفراً دون كفر ، وهو كما قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] ، قال ابن عباس : إنَّه ليس بالكفر الذي تذهبون إليه ، إنَّه ليس بكفرٍ ينقلُ عن ملَّةٍ ، ولـٰكن كفرٌ دون كفر) .

ثم قال : (فكأنَّهم أرادوا بتكفيرهم ما ذهبوا إليه من نفي هـٰذه الصفات التي أثبتها اللهُ تعالىٰ لنفسه وجحودهم لها بتأويل بعيد ، مع اعتقادهم إثباتَ ما أثبتَ اللهُ تعالىٰ ، فعدلوا عن الظاهر بتأويلٍ ، فلم يخرجوا به عن الملة وإن كان التأويل خطأً ؛ كما لم يخرج من أنكر إثبات المعوِّذتينِ في المصاحف كسائر السور من الملَّة ؛ لما ذهب إليه من الشبهة ، وإن كانت عند غيره خطأً) .

وقال الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٥/ ٨٨) : (رأيت للأشعري كلمةً أعجبتني ، وهي ثابتةٌ رواها البيهقي) ، ثم ذكر كلمة الإمام الأشعري السابقة ، ثم قال (قلتُ وبنحو هـٰذا أدينُ ، وكذا كان شيخنا ابنُ تيمية في أواخر أيَّامه يقول : أنا لا أُكفِّر أحداً من الأمَّة ، ويقول : قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « لا يُحافِظُ على الوضوءِ إلا مؤمنٌ » ، فمن لازم الصلوات بوضوء . . فهو مسلم) .

كالأبصار ، فسلكَ رضي الله عنه طريقةً بينهما فقال : إنَّ لله سبحانه وتعالىٰ عِلماً لا كالعلوم ، وقدرةً لا كالقُدَر ، وسمعاً لا كالأسماع ، وبصراً لا كالأبصار .

وكذلك قال جَهْمُ بن صفوان : العبدُ لا يقدرُ علىٰ إحداث شيءٍ ، ولا علىٰ كسبِ شيءٍ[1] ، وقالَتِ المعتزلةُ هو قادرٌ على الإحداث والكسبِ معاً ، فسلكَ رضي الله عنه طريقةً بينهما فقال العبدُ لا يقدرُ على الإحداث ، ويقدرُ على الكسب ، ونفىٰ قدرةَ الإحداث ، وأثبتَ قدرةَ الكسب .

وكذلك قالَتِ الحشوية المشبِّهة إنَّ الله سبحانه وتعالىٰ يُرىٰ مكيَّفاً محدوداً كسائر المرئيات ، وقالَتِ المعتزلة والجهمية والنجَّاريَّة : إنَّه سبحانه لا يُرىٰ بحالٍ من الأحوال ، فسلكَ رضي الله عنه طريقةً بينهما فقال : يُرىٰ من غير حلولٍ ولا حُدُودٍ ولا تكييفٍ ؛ كما يرانا هو سبحانه وتعالىٰ وهو غيرُ محدودٍ ولا مكيَّفٍ ، فكذلك نراه وهو غيرُ محدودٍ ولا مكيَّف

وكذلك قالَتِ النجَّاريَّة : إنَّ الباريَ سبحانه بكلِّ مكان من غير حلولٍ ولا جهةٍ ، وقالَتِ الحشْويَّة والمجسِّمة : إنَّه سبحانه حالٌّ في العرش ، وإنَّ العرش مكانٌ له ، وهو جالسٌ عليه ، فسلكَ طريقةً بينهما فقال كان ولا مكانَ ، فخلق العرشَ والكرسيَّ ، فلم يحتجْ إلىٰ مكان[2] ، وهو بعْدَ خلْقِ المكان كما كان قبل خلقِهِ .

وقالَتِ المعتزلة : له يدٌ ؛ يَدُ قدرةٍ ونعمة ، ووجهُهُ وجهُ وجودٍ ، وقالَتِ الحشوية : يدُهُ يَدُ جارحةٍ ، ووجهُهُ وجهُ صورة[3] ، فسلكَ رضي الله عنه

---

(١) ولذلك عُدَّ مذهب جهم في عداد الجبرية ، وانظر « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للإمام الرازي (ص ٦٨)

(٢) في (ط) وحدها : (ولم) بدل (فلم) .

(٣) والمرادُ من قول واعتقاد الحشوية : إثباتُ الأبعاض له تعالىٰ ؛ لكونه تعالىٰ عندهم مؤلَّفاً من أجزاء هي أبعاضه ، تعالى ربُّنا وجلَّ وعزَّ

طريقةً بينهما فقال : يدُهُ يَدُ صفةٍ ، ووجهه وجهُ صفة ؛ كالسمع والبصر

وكذلك قالَتِ المعتزلة النزولُ : نزولُ بعضِ آياته وملائكته ، والاستواءُ بمعنى الاستيلاء ، وقالَتِ المشبِّهة والحشويَّة : النزولُ : نزولُ ذاته بحركةٍ وانتقال من مكان إلىٰ مكان ، والاستواءُ : جلوسٌ على العرش وحلولٌ فيه ، فسلكَ رضي الله عنه طريقةً بينهما فقال : النزولُ صفةٌ من صفاته ، والاستواءُ صفةٌ من صفاته ، وفعلٌ فَعَلَهُ في العرش يُسمَّى الاستواءَ[1]

وكذلك قالَتِ المعتزلة : كلامُ الله مخلوقٌ مخترعٌ مبتدع ، وقالتِ الحشويَّة المجسِّمة : الحروفُ المقطَّعة ، والأجسامُ التي تكتب عليها ، والألوانُ التي تكتب بها ، وما بين الدَّفَّتينِ . . كلُّها قديمةٌ أزليَّة ، فسلكَ رضي الله عنه طريقةً بينهما فقال : القرآنُ كلامُ الله قديمٌ غيرُ مغيَّرٍ ولا مخلوق ولا حادثٍ ولا مبتدَعٍ ، فأمَّا الحروفُ المقطَّعة والأجسامُ والألوانُ والأصواتُ والمحدوداتُ وكلُّ ما في العالم من المكيَّفاتِ . . مخلوقٌ مبتدَع مخترعٌ .

وكذلك قالَتِ المعتزلة والجهميَّة والنجَّاريَّة : الإيمانُ مخلوقٌ على الإطلاق ، وقالَتِ الحشويَّة المجسِّمة : الإيمانُ قديمٌ على الإطلاق ، فسلكَ رضي الله عنه طريقةً بينهما وقال : الإيمانُ إيمانانِ : إيمانٌ لله فهو قديمٌ ؛

---

(١) جاء في هامش (هـ) حاشية : (قال القاضي عياض رحمه الله في كتاب « الشفا » : ولله درُّ من قال من العلماء والعارفين المحققين : التوحيدُ : إثباتُ ذاتٍ غيرِ مُشْبِهَةٍ للذوات ، ولا معطَّلة عن الصفات ـ قال : ـ وزاد هـٰذه النكتةَ الواسطيُّ رحمه الله بياناً ؛ فقال : ليس كذاته ذاتٌ ، ولا كاسمه اسمٌ ، ولا كفعله فعلٌ ، ولا كصفته صفةٌ ، إلا مِن جهة موافقةِ اللفظِ اللفظَ ، وجلَّتِ القدرة ـ في « الشفا » : « الذات » ، وهو الصواب ـ القديمةُ أن تكونَ لها صفةٌ حديثة ، كما استحالَ أن تكونَ للذات المحدثة صفةٌ قديمة .
قال الإمام أبو المعالي الجويني : مَنِ اطمأنَّ إلىٰ موجود انتهىٰ إليه فكره . . فهو مشبِّهٌ ، ومَنِ اطمأنَّ إلى النفيِ المحض . . فهو معطِّلٌ ، وإن قطعَ بموجودٍ اعترف بالعجزِ عن دَرَكِ حقيقتِهِ . . فهو موحِّدٌ) وانظر « الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ » (ص٢٤٤ـ ٢٤٥)

لقوله : ﴿ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ﴾ [الحشر : ٢٣] ، وإيمانٌ للخلْقِ فهو مخلوقٌ ؛ لأنَّه منهم يبدو ، وهم مثابون على إخلاصِهِ ، معاقبون على شكِّهِ .

وكذلك قالَتِ المرجئةُ : مَنْ أخلصَ لله سبحانه وتعالىٰ مرَّةً في إيمانه . . لا يُكفَّرُ بارتدادٍ ولا كفرٍ ، ولا يُكتَبُ عليه كبيرةٌ قطُّ ، وقالتِ المعتزلة : إنَّ صاحبَ الكبيرة مع إيمانه وطاعاتِهِ مئةَ سنة لا يخرجُ مِنَ النَّارِ قطُّ ، فسلكَ رضي الله عنه طريقةً بينهما وقال : المؤمنُ الموحِّدُ الفاسقُ هو في مشيئةِ الله تعالىٰ ؛ إن شاءَ عفا عنه وأدخلَهُ الجنَّةَ ، وإن شاءَ عاقبَهُ بفسقه ثم أدخلَهُ الجنَّةَ ، فأمَّا عقوبةٌ متصلة مؤبَّدة . . فلا تُجازىٰ بها كبيرةٌ منفصلةٌ منقطعة

وكذلك قالَتِ الرافضة : إنَّ للرسولِ صلواتُ الله عليه وسلامه ولعليٍّ عليه السلامُ شفاعةً من غيرِ أمرِ الله ولا إذنِهِ ؛ حتىٰ لو شفعا في الكفَّار . . قُبِلت ، وقالَتِ المعتزلة : لا شفاعةَ له بحالٍ ، فسلكَ رضي الله عنه طريقةً فقال بأنَّ للرسول صلواتُ الله عليه وسلامه شفاعةً مقبولةً في المؤمنين المستحقِّين للعقوبة ، يشفعُ لهم بأمرِ الله تعالىٰ وإذنِهِ ، ولا يشفعُ إلا لمن ارتضىٰ .

وكذلك قالَتِ الخوارج : بكفرِ عثمانَ وعليٍّ رضي الله عنهما ، ونصَّ هو رضي الله عنه علىٰ موالاتهما ، وتفضيلِ المقدَّم على المؤخر .

وكذلك قالَتِ المعتزلة : إنَّ أميرَ المؤمنين معاويةَ وطلحةَ والزبيرَ وأمَّ المؤمنين عائشةَ وكُلَّ مَن تبعَهم رضي الله عنهم . . على الخطأِ ، ولو شهدوا كُلُّهم بحبَّةٍ واحدةٍ . . لم تقبلْ شهادتهم ، وقالتِ الرافضة : إنَّ هٰؤلاءِ كُلَّهم كفارٌ ارتدوا بعد إسلامهم ، وبعضهم لم يسلموا ، وقالتِ الأمويَّة : لا يجوزُ عليهم الخطأ بحالٍ ، فسلكَ رضي الله عنه طريقةً بينهم وقال : كلُّ مجتهد مُصيب ، وكلُّهم على الحقِّ ، وإنَّهم لم يختلفوا في الأصول ، وإنَّما اختلفوا في الفروع ، فأدَّى اجتهادُ كلٍّ واحد منهم إلىٰ شيء ، فهو مصيبٌ ، وله الأجرُ والثواب علىٰ ذلك .

إلىٰ غير ذلك من أصول يكثرُ تعدادُها وتَذكارُها ، وهٰذه الطُّرُقُ التي سلكَها لم يسلكْها شهوةً وإرادةً ، ولم يحدِثْهَا بدعةً واستحساناً ؛ ولٰكنَّهُ أثبتَها ببراهينَ عقليَّةٍ مَخْبُورةٍ ، وأدلَّةٍ شرعية مسبورةٍ ، وأعلامٍ هاديةٍ إلى الحقِّ ، وحُججٍ داعيةٍ إلى الصواب والصدْقِ ؛ هي الطُّرُقُ إلى الله سبحانه وتعالىٰ ، والسبيلُ إلى النجاة والفوز ، مَنْ تمسَّكَ بها فازَ ونجا ، ومَنْ حادَ عنها ضلَّ وغوىٰ

فإذا كان أبو الحسنِ رضي الله عنه كما ذُكِرَ عنه من حُسْنِ الاعتقادِ ، مستصوبَ المذهبِ عند أهل المعرفة بالعلم والانتقادِ[1] ، يوافقُهُ في أكثرِ ما يذهبُ إليه أكابرُ العباد ، ولا يقدحُ في معتقده غيرُ أهل الجهلِ والعناد . فلا بُدَّ أن نحكيَ عنه معتقدَهُ علىٰ وجهِهِ بالأمانة ، ونجتنبَ أن نزيدَ فيه أو ننقصَ منه تركاً للخيانة ؛ ليُعلمَ حقيقةُ حاله في صحَّة عقيدته في أصولِ الديانة ، فاسمعْ ما ذكرَهُ في أوَّلِ كتابِهِ الذي سمَّاهُ بـ« الإبانة »[2] ؛ فإنَّه قال[*]

---

(١) في (ب) وحدها : (المذهب) بدل (المعرفة) .

(٢) لعل أقدم من أثبت نسبة هٰذا الكتاب للإمام الأشعري هو الحافظ البيهقي ؛ إذ صرَّح بالنقل عنه في كتابه « الاعتقاد » (ص ١٥٦) ، حيث قال : (وبمعناه ذكره أيضاً عليُّ بن إسماعيلَ في كتابه « الإبانة ») ، ويرى الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (١/ ١٣٣) أن الثابت من هٰذا الكتاب هو ما نقله الحافظ ابن عساكر هنا ، فقال وهو يحدث عن مسألة الإيمان وقبوله الزيادة والنقصان : (القول بقبوله للزيادة والنقص منصوص الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه في كتاب « الإبانة » في الفصل الثابت منها عنه ؛ الذي نقله الحافظ الكبير الثقة الثبت أبو القاسم ابن عساكر في كتاب « تبيين كذب المفتري » ، وهو الكتاب الذي يعتمدُ علىٰ نقله الأشاعرة) ، ويمكن أن يُزاد ما نقله الحافظُ البيهقي وهو أقربُ عهداً ، وهي سطورٌ متناغمة مع ما دوَّنه الإمام الأشعري وحفظَهُ عنه تلامذته ، وما وراء ذلك فلا يُردُّ ، بل هو محلُّ بحث ونظر ؛ إذ الاختلافاتُ الجذرية والكبيرةُ لنسخ الكتاب الخطية مؤذنةٌ بوجود أقلام هوىً عبثت فيه ، وقد رأيتَ أن جلَّ كُتبِ الإمام قد ضاعت أصولُها ، وغيابُها مع كثرتها وتوافر حملتها يبعد أن يكون بغير غرض ، مع معرفتنا بكون خصومه ممَّن يستحلُّون العبث والإتلاف ، وعند الله تجتمع الخصوم ، ويُحصَّلُ ما في الصدور . =

[قطعةٌ نفيسةٌ مسندةٌ من قِبَلِ المصنِّفِ لكتابِ «الإبانة» للإمام الأشعريّ]

الحمدُ لله الأحدِ الواحد ، العزيزِ الماجد ، المتفرِّد بالتوحيد ، المُتَمَجِّدِ بالتمجيد ، الذي لا تبلغُهُ صفاتُ العبيد ، وليس له مِثْلٌ ولا نديدٌ[1] ، وهو المبدئ المعيد ، جلَّ عن اتخاذِ الصاحبة والأبناء ، وتقدَّسَ عن مُلامسة النساء ، فليسَتْ له عِزَّةٌ تُنال[2] ، ولا حدٌّ يضربُ له فيه الأمثالُ ، لم يزلْ بصفاتِهِ أوَّلاً قديراً ، ولا يزالُ عالماً خبيراً[3]

= وهناك من المؤرِّخين ممَّن لا يرىٰ نسبةَ كتاب « الإبانة » للإمام الأشعري أصلاً ؛ فقد قال الصفدي في « الوافي بالوفيات » (١٩/١١٧) عند حديثه عن عبارة لإمام الحرمين : (والذي أظنُّهُ أنها دُسَّتْ في كلامه ، ووضعَها الحسدةُ له علىٰ لسانه ؛ كما وُضِعَ كتابُ « الإبانة » علىٰ لسان الشيخ أبي الحسن الأشعريِّ) .

(*) هنا ينتهي في (ب) الجزء الثالث من كتاب « التبيين » ، وبعده سماعات ، ثم استفتح الجزء الرابع .

(١) النديدُ : النِّدُّ ؛ وهو المثل والنظير

(٢) وفي مطبوع « الإبانة » (ص ٧) : (وتقدس عن ملابسة الأجناس والأرجاس ، ليست له صورة تقال) ، ونسخة كالمثبت .

(٣) جاء في هامش (هـ) حاشية : (سئل الشيخ الإمام أبو منصور العطاري المعروف بحَفَدَة ، عمن يصف الله سبحانه بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به الدليل العقلي ؛ فيصفه بالقدرة والكلام والعلم والسمع والبصر والإرادة والحياة ، وينفي عن الله تعالىٰ ما لا يجوز عليه من صفات الأجسام والجواهر والأعراض ، ويؤمن بالقدر خيره وشره ، ويؤمن بالقرآن وأنه كلام الله سبحانه قديم ليس بمخلوق ، وكيف قرئ وتلي وكتب وحفظ فهو كلام الله ، وما يزيد علىٰ ذلك ، ويؤمن بنعيم القبر وعذابه ومساءلة منكر ونكير ، ويؤمن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم كما صح في الحديث ، وكذلك لجماعة من الخواص ، ويؤمن بالحوض للنبي صلى الله عليه وسلم ، والصراط والميزان ، والجنة والنار وأنهما مخلوقتان شاهدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن نعيم أهل الجنة دائم لا يفنىٰ ، وكذلك عذاب أهل النار ، وأنه لا يخلد في النار أحد من المؤمنين ، وأن المؤمنين يرون ربهم عز وجل عياناً بأبصارهم لا في جهة ولا في مقابلة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، وأن الأئمة من قريش ، وأن أفضل الصحابة رضي الله =

سبقَ الأشياءَ علمُهُ[1] ، ونفذَتْ فيها إرادتُهُ ؛ فلم تعزُبْ عنه خفيَّاتُ الأمور ، ولم يغيِّرْهُ سوالفُ صروف الدهور ، ولم يلحقْهُ في خلْقِ شيءٍ ممَّا خلقَ كَلالٌ ولا تَعَبٌ ، ولا مسَّهُ لُغوبٌ ولا نَصب

خلقَ الأشياءَ بقدرتِهِ ، ودبَّرها بمشيئتِهِ ، وقهرَها بجبروتِهِ ، وذلَّلَها بعزَّته ؛ فذلَّ لعظمته المتكبِّرون ، واستكانَ لعِظَمِ ربوبيَّتِهِ المتعظِّمون ، وانقطعَ دون الرسوخِ في علمه الممترون[2] ، وذلَّتْ له الرقاب ، وحارَتْ في ملكوتِهِ فِطَنُ ذوي الألباب ، وقامَتْ بكلمتِهِ السماواتُ السَّبْعُ ، واستقرَّت الأرضُ المهاد ، وثبتت الجبالُ الرَّوَاسي ، وجرَتِ الرياحُ اللواقح ، وسارَ في جوِّ السماء السحابُ ، وقامَتْ علىٰ حدودها البحارُ ، وهو إلـٰهٌ قاهر ، يخضعُ له المتعزِّزون ، ويخشعُ له المترفِّعون ، ويَدينُ طوعاً وكرهاً له العالمون .

نحمدُهُ كما حمدَ نفسَهُ ، وكما رَبُّنا له أهلٌ ، ونستعينُهُ استعانةَ مَنْ فوَّضَ أمرَهُ إليه ، وأقرَّ أنَّه لا ملجأَ ولا منجىٰ منهُ إلا إليه ، ونستغفرُهُ استغفارَ مقرٍّ بذنبِهِ ، معترفٍ بخطيئته ، ونشهدُ أن لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، وحده لا شريكَ له ، إقراراً بوحدانيتِهِ ، وإخلاصاً لربوبيَّته ، وأنَّه العالمُ بما تُبطنُهُ الضَّمائرُ ، وتنطوي عليه السرائرُ ، وما تُخفيهِ النفوس ، وما تُجنُّ البحار ، وما تُواري الأسرار ، وما تغيضُ الأرحام وما تزداد ، وكلُّ شيءٍ عنده بمقدار

= عنهم العشرة ، وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، ويؤمن بكل ما قال الله سبحانه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ ما أراد الله وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، وأن الأجسام والأرواح تبعث بعد الموت . . ما حكمه ؟

أجاب رضي الله عنه : نعتقد هـٰذه الجملة من المؤمنين علىٰ منهاج السلف والحق المتوارث بينهم رضوان الله عليهم . والسائل هو الحافظ يوسف بن معاذ الدمشقي رحمه الله تعالىٰ) .

(١) وفي مطبوع « الإبانة » (ص ٨) : (استوفىٰ) بدل (سبق)

(٢) في (أ ، ب) : (المُمَيِّرون) ، وفي مطبوع « الإبانة » (ص ٨) : (العالمون) .

لا تُواريٰ منه كلمةٌ[1] ، ولا تغيبُ عنه غائبةٌ ، وما تسقطُ من ورقةٍ من شجرة ولا حبّةٍ في ظلمات الأرض ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتاب مبين ، ويَعلم ما يعملُ العاملون ، وإلىٰ أين ينقلبُ المنقلبون

ونستهدي الله بالهُدىٰ ، ونسألُهُ التوفيق لمجانبة الرَّدىٰ ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ونبيُّهُ ، ورسولُهُ إلىٰ خلْقِهِ ، وأمينُهُ علىٰ وحيه ، أرسلَهُ بالنور الساطع ، والسراجِ اللامع ، والحُجج الظاهرة ، والبراهينِ الزاهرة ، والأعاجيبِ القاهرة ، فبلَّغَ عن الله رسالاتِهِ ، ونصحَ له في بريَّاتِهِ ، وجاهدَ في الله حقَّ الجهاد ، ونصحَ له في البلاد ، وقاتل أهلَ العناد ؛ حتىٰ تمَّت كلمةُ الله وظهرَ أمرُهُ ، وانقاد الناسُ للحقِّ أجمعين ، حتىٰ أتاه اليقينُ ، لا وانياً ولا مُقصِّراً

فصلواتُ الله عليه من قائدٍ إلى الهُدىٰ ، ومُبيِّنٍ عن ضلالةٍ وعمىً ، وعلىٰ أهل بيتِهِ الطيِّبين ، وعلىٰ أصحابه المنتجبين ، وعلىٰ أزواجِهِ الطاهرات أمهاتِ المؤمنين .

صلواتُ الله علىٰ مَنْ أظهرَ الشرائع والأحكامَ ، والحلالَ والحرام ، وبيَّنَ لنا به شريعةَ الإسلام ، حتى انجلَتْ به عنَّا طَخيَاءُ الظلام[2] ، وانحسرَتْ به عنَّا الشبهاتُ ، وانكشفَتْ به عنَّا الغياباتُ[3] ، وظهرَتْ لنا به البيِّنات .

جاءَنا بكتابٍ عزيز ، لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا مِن خلفه ، تنزيلٌ من حكيم حميد ، جمعَ فيه علمَ الأوَّلين والآخرين ، وأكملَ به الفرائضَ والدين ؛

---

(١) وفي مطبوع « الإبانة » (ص ٩) : (عنه) بدل (منه) .

(٢) ليلة طخياء : شديدة الظلمة ، قد وارى السحابُ قمرَها ، والطخياءُ من الكلام : ما لا يفهم . انظر « تاج العروس » (ط خ ي) .

(٣) الغيابات : جمع غيابة ؛ وهو ما يستر ، قال تعالىٰ : ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ [يوسف : ١٠] ، وفي (أ ، ب ، هـ) (الغيايات) وهي السُّحب ، وأيضاً جمع غياية ، ومعناها : قعرُ البئر ، وفي (و) : (الغايات)

وهو صراطُ الله المستقيم ، وحبلُهُ المتين ، مَن تمسَّك به نجا ، ومَنْ خالفَهُ ضلَّ وغوىٰ ، وحثَّنا في كتابه على التمسُّكِ بسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر ٧] ، وقال ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ [النور :٦٣] ، وقال ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء ٨٣] ، وقال : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورىٰ : ١٠] ؛ يقول : إلىٰ كتاب الله وسنَّة نبيِّهِ صلى الله عليه وسلم ، وقال ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣ـ ٤] ، وقال : ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [يونس ١٥] ، وقال : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور ٥١] .

وأمرهم أن يسمعوا قولَهُ ، ويطيعوا أمرَهُ ، وقال ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء :٥٩] ، فأمرَهم بطاعةِ رسوله صلى الله عليه وسلم كما أمرَهم بطاعته ، ودعاهم إلى التمسُّك بسنَّة نبيِّهِ صلى الله عليه وسلم كما أمرَهم بالعمل بكتابه ، فنبذَ كثيرٌ ممَّنْ غلبَتْ عليه شِقْوتُهُ ، واستحوذَتْ عليه بليَّتُهُ . . سنَّةَ نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم وراءَ ظهورِهم ، ومالوا إلىٰ أسلافِهم ، وقلدوهم دينَهم ، ودانوا بديانتِهم ، وأبطلوا سُنَنَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ورفضوها وأنكروها وجحدوها ؛ افتراءً منهم على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين

وأوصيكم ـ عبادَ الله ـ بتقوى الله ، وأحذِّرُكم الدنيا ؛ فإنَّها حلوةٌ خَضِرة ، تغُرُّ أهلَها ، وتخدعُ سكَّانَها ، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف :٤٥] ، إنَّ امرأً لم يكن منها في حَبرَةٍ ، إلا أعقبَتْهُ بعدها

عَبْرةً[1] ، ولم يلقَ مِنْ سرَّائِها بطناً ، إلا منحَتْهُ مِنْ ضرَّائِها ظهوراً[2] ، غرَّارة غَرورٌ ما فيها ، فانيةٌ فانٍ مَنْ عليها ، كما حكمَ عليها ربُّها بقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن : ٢٦] .

فاعملوا ـ رحمَكم الله ـ للحياةِ الدائمة ، ولخلودِ الأبد ؛ فإنَّ الدنيا تنقضي عن أهلِها ، وتبقى الأعمالُ قلائدَ في رقابِ أهلِها .

واعلموا : أنَّكم ميِّتون ، ثم أنَّكم مِن بعد موتِكم إلىٰ ربِّكم تصيرون ؛ ليجزيَ الذين أساؤوا بما عملوا ، ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنىٰ ، وكونوا بطاعة ربِّكم عاملين ، وعمَّا نهاكم عنه مُنتهين .

أمَّا بعدُ :

فإنَّ كثيراً[3] مِنَ المعتزلة وأهلِ القدَرِ مالَتْ بهم أهواؤُهم إلى التقليد لرؤسائِهم ، ومَنْ مضىٰ مِن أسلافِهم ؛ **فتأوَّلوا القرآنَ علىٰ آرائِهم تأويلاً لم ينزِّلِ اللهُ به سلطاناً ، ولا أوضحَ به برهاناً ، ولا نقلوهُ عن رسولِ ربِّ العالمين ، ولا عن السلفِ المتقدِّمين** ، فخالفوا روايةَ الصحابة عن نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم في **رؤيةِ الله بالأبصار** ، وقد جاءَتْ في ذلك الرواياتُ من الجهاتِ المختلفات ، وتواترَتْ بها الآثارُ ، وتتابعَتْ بها الأخبار[4] .

وأنكروا شفاعةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ، وردُّوا الروايةَ في ذلك عن السلف المتقدِّمين[5] ، **وجحدوا عذابَ القبر** ، وأنَّ الكفَّارَ في

---

(١) في (ط) : (حيرة) بدل (حبرة) ، والصواب المثبت ، **والحبرة** : النعمة وسَعةُ العيش ورغده ، وفي « أساس البلاغة » (ح ب ر) : (**كلُّ حَبْرَةٍ بعدها عَبْرةٌ**) ، **والعَبْرة** : الدمعة .

(٢) كذا في النسخ ، وفي مطبوع « الإبانة » (ص ١٣) : (ظهراً) وهو لائق بالسجعة .

(٣) جاء في المطبوع من « الإبانة » (ص ١٤) زيادة : (من الزائغين عن الحق) .

(٤) انظر « نظم المتناثر » (٣٠٧) .

(٥) انظر « نظم المتناثر » (٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٤)

قُبُورِهم يُعذَّبون ، وقد أجمعَ علىٰ ذلك الصحابةُ والتابعون[١]

ودانوا بخلْقِ القرآن ؛ نظيراً لقولِ إخوانهم مِنَ المشركين الذين قالوا إنْ هـٰذا إلا قولُ البشر[٢] ، فزعموا أنَّ القرآنَ كقول البشر .

وأثبتوا : أنَّ العباد يَخلُقُون الشرَّ ؛ نظيراً لقول المجوس الذين يثبتون خالِقَينِ ؛ أحدُهما يخلقُ الخيرَ ، والآخرُ يخلقُ الشرَّ ، وزعمَتِ القدريةُ أنَّ الله تعالىٰ يخلقُ الخيرَ ، وأنَّ الشيطان يخلقُ الشرَّ

وزعموا أنَّ الله عزَّ وجلَّ يشاء ما لا يكون ، ويكون ما لا يشاء ، خلافاً لِمَا أجمعَ عليه المسلمون مِنْ أنَّ ما شاءَ الله كانَ ، وما لا يشاءُ لا يكونُ ، ورداً لقول الله تعالىٰ : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان : ٣٠] ، فأخبر أنَّا لا نشاءُ شيئاً إلا وقد شاءَ أن نشاءَهُ ، ولقوله ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، ولقوله : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة : ١٣] ، ولقوله تعالىٰ : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٦] ، ولقوله مخبراً عن شعيبٍ أنَّه قال : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ﴾ [الأعراف : ٨٩] ، ولهـٰذا سمَّاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجوسَ هـٰذه الأمَّة[٣] ؛ لأنَّهم دانوا بديانة المجوس ، وضاهَوا قولَهم .

وزعموا أنَّ للخير والشرِّ خالِقَينِ كما زعمَتِ المجوسُ ، وأنَّه يكونُ مِنَ الشرِّ ما لا يشاؤُهُ الله كما قالت المجوسُ ذلك[٤]

---

(١) انظر « نظم المتناثر » (١١٣)

(٢) قال ذلك الوليد بن المغيرة منكراً للوحي ونزول المَلَك بكلام الله تعالىٰ ، فحكىٰ سبحانه قوله : ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [المدثر ٢٥] .

(٣) رواه أبو داود (٤٦٩١) من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ومن فقهِ إضافة لفظ (مجوس) إلى (الأمة) : عدمُ إكفارهم كما نبَّهَ عليه حجة الإسلام الغزالي في « الإملاء »

(٤) في (و ، ط) : (يشاء) بدل (يشاؤه) .

وزعموا : أنَّهم يملكون الضَّرَّ والنفعَ لأنفسهم ؛ ردّاً لقول الله تعالىٰ : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس : ٤٩] ، وانحرافاً عن القرآن ، وعمَّا أجمعَ المسلمون عليه .

وزعموا : أنَّهم ينفردون بالقدرة علىٰ أعمالهم دون ربِّهم ، وأثبتوا لأنفسهم غنىً عن الله عزَّ وجلَّ ، ووصفوا أنفسَهم بالقدرة على ما لم يصفوا اللهَ بالقدرةِ عليه ؛ كما أثبتَتِ المجوسُ للشيطان مِنَ القدرةِ على الشرِّ ما لم يثبتوهُ لله عزَّ وجلَّ[١] ، فكانوا مجوسَ هـٰذه الأمَّة ؛ إذ دانوا بديانة المجوس ، وتمسَّكوا بأقوالِهم ، ومالوا إلىٰ أضاليلِهم .

وقنَّطوا الناسَ مِنْ رحمةِ الله ، وآيسوهم رَوحَهُ[٢] ، وحكموا على العصاةِ بالنار والخلود ، خلافاً لقول الله : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

وزعموا : أنَّ مَنْ دخلَ النار لا يخرجُ منها ، خلافاً لِمَا جاءَتْ به الروايةُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْرِجُ مِنَ ٱلنَّارِ قَوْماً بَعْدَ مَا ٱمْتَحَشُوا فِيهَا وَصَارُوا حُمَماً »[٣]

ودفعوا أن يكونَ لله وجهٌ ، مع قوله تعالىٰ : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، وأنكروا أن يكونَ لله يدانِ ، مع قوله : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] ، وأنكروا أن يكونَ له عينانِ[٤] ، مع قوله تعالىٰ : ﴿ تَجْرِي

---

(١) في (ب) وحدها : (من) بدل (على)

(٢) في (هـ) وحدها : (من روحه) ، والرَّوح : الرحمة .

(٣) رواه البخاري (٢٢ ، ٦٥٦٠) ، ومسلم (١٨٤) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وامتحشوا ـ بالبناء للفاعل ـ : احترقوا واسودُّوا ، وروي بالبناء للمفعول .

(٤) كذا عبارة الشيخ في « مقالات الإسلاميين » (ص ٢١٧) أيضاً بالتثنية ، وكذا نقله العلامة الآمدي في « أبكار الأفكار » (١/ ٤٥٦) ، وقال : (وقد اختلف المتكلِّمون في معناهما ؛ فقالت المشبهة : هما عينانِ بمعنى الجارحتين ، وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري في أحد =

﴿ بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، ولقوله ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، ونفوا ما رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله: « إِنَّ ٱللَّهَ يَنْزِلُ إِلَىٰ سَمَاءِ ٱلدُّنْيَا »[1]

وأنا ذاكرٌ ذلك إن شاء الله باباً باباً، وبه المعونةُ والتأييد، ومنه التوفيقُ والتسديد.

فإن قال قائلٌ قد أنكرْتُم قولَ المعتزلة والقدريَّةِ والجهميَّة والحروريَّة والرافضة والمرجئة! فعرِّفُونا قولَكُم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون

قيل له قولُنا الذي به نقولُ، وديانتُنا التي ندينُ بها التمسُّكُ بكتاب الله، وسنَّة نبيِّهِ صلى الله عليه وسلم، وما رُوِيَ عن الصحابةِ والتابعينَ وأئمةِ الحديث، ونحن بذلك معتصمونَ، وبما كان عليه أحمدُ بن حنبل ـ

= قوليه وجماعةٌ من السلف: هما صفتان نفسيتان كما قال في اليدين)، ولفظة (العين) قد وردت كما سترىٰ في الآيتين بالإفراد والجمع، والصفاتُ الخبرية تُثبتُ بلفظها كما وردت، ولا سبيلَ للاجتهاد فيها بنحو الاشتقاق والتصريف كما نبَّهَ عليه حجة الإسلام الغزالي في « إلجام العوام »، وقد ورد لفظُ التثنية في السنَّة؛ وهو ما رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٥٠٨)، والمروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (١٢٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنَّ العبدَ إذا قامَ في الصلاةِ.. فإنَّما هو بينَ عَيْنَيِ الرحمـٰنِ، فإذا التفتَ.. قال له الربُّ تباركَ وتعالىٰ: يا بنَ آدمَ؛ أقبلْ إليَّ، فإنِ التفتَ الثانيةَ.. قالَ له الربُّ: يا بنَ آدمَ؛ أقبلْ إليَّ، فإنِ التفتَ الثالثةَ أو الرابعةَ.. قال له الربُّ: يا بنَ آدمَ؛ لا حاجةَ لي فيكَ »، وقد أورد الإمام ابن فورك هـٰذا الحديثَ في « مشكل الحديث وبيانه » (ص ٢٥٨)، ومن جملة ما قاله (واعلم أن استعمال لفظ « العين » في البصر توسُّعٌ؛ لما ذكرنا أنَّه تسمية الشيء باسم محلِّه وباسم ما هو قائم به، وأن ذلك سائغ في اللغة).

(١) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وقال العلامة أبو حيان في « البحر المحيط » (٤/ ٣١٥) في قانون تفسير هـٰذه الآيات المتشابهات: (**جمهورُ الأمَّة أنَّها تفسَّرُ علىٰ قوانين اللغة ومجازِ الاستعارة وغيرِ ذلك من أفانين الكلام**).

نضَّرَ الله وجهَهُ ، ورفع درجتَهُ ، وأجزلَ مثوبتَهُ ـ قائلون[1] ، ولمنْ خالفَ قولَهُ قولَهُ مجانبون ؛ لأنَّه الإمامُ الفاضل ، والرئيسُ الكامل ؛ الذي أبانَ الله به الحقَّ عند ظهورِ الضلال ، وأوضحَ به المنهاجَ ، وقمعَ به بدعَ المبتدعين ، وزيغَ الزائغين ، وشكَّ الشاكين ، فرحمةُ الله عليه من إمامٍ مقدَّم ، وكبيرٍ مفهم ، وعلىٰ جميع أئمَّة المسلمين .

وجملةُ قولنا : أن نقرَّ بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما جاءَ من عند الله ، وما رواه الثقاتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا نردُّ من ذلك شيئاً ، وأنَّ اللهَ إلـٰهٌ واحد ، فردٌ أحد صمد ، لا إلـٰهَ غيرُهُ ، لم يتخذْ صاحبةً ولا ولداً ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، وأنَّ الجنَّة والنار حقٌّ ، وأنَّ الساعة آتيةٌ لا ريبَ فيها ، وأنَّ الله يبعثُ مَن في القبور .

وأنَّ الله استوىٰ علىٰ عرشه كما قال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[2] [طه : ٥] ،

---

(١) وإنما خصَّ ذكر الإمام أحمد من بين أئمة السنة السالفين ، وإن كانوا جميعاً علىٰ عَقْدٍ واحدٍ مجتمعين ؛ لأنَّه صار عَلَماً لأهل السنة أيام محنتهم مع خصومهم من القدرية ، ولمَّا كان الحنابلةُ يظنُّون بغير أتباع أحمد ما لا يُحمد . . ساق الشيخُ الأشعري الكلامَ هنا علىٰ نحو ما ترىٰ ؛ تحبُّباً وتوسُّطاً ، لا خوفاً ووجلاً كما وَهِمَ بذلك واهمون ، وأعقلُ الناس لمذهب الشيخ أتباعُهُ وتلامذته ، وما نقلَ واحدٌ منهم عنه خلافَ ما هو مُدوَّنٌ في كتبهم ، وسيأتي للحافظ المصنف ابن عساكر كلامٌ حول هـٰذه (ص ٦٣٦) ، يُبيِّنُ فيه أن أهل السنة ارتضوا طريقةَ الأشعري بعد سبرٍ واستقراء ، تلاهما موافقةٌ للأصول التي قُرِّرت في الكتاب والسنة وإجماع أهل الاعتبار في هـٰذا الشأن .

(٢) وفي مطبوع « الإبانة » (ص٢١) : (وأن الله تعالى استوىٰ على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواءً منزَّهاً عن المماسَّة والاستقرار ، والتمكُّن والانتقال ، لا يحملُهُ العرش ، بل العرشُ وحملتُهُ محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته ، وهو فوق العرش ، وفوق كلِّ شيء إلىٰ تخوم الثرىٰ ، فوقيةً لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء ، بل هو رفيعُ الدرجات عن العرش ، كما أنَّه رفيعُ الدرجات عن الثرىٰ ، وهو مع ذلك قريبٌ من كلِّ موجود ، وهو أقربُ إلى العبد من حبل الوريد ، وهو علىٰ كلِّ شيء شهيد) ، وهي=

وأنَّ له وجهاً كما قال ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[1] [الرحمن :٢٧] ، وأنَّ له يدينِ كما قال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة :٦٤] ، وقال ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[2] [ص :٧٥] ، وأنَّ له عينينِ بلا كيفٍ كما قال ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[3] [القمر :١٤]

وأنَّ مَنْ زعمَ أنَّ اسمَ الله غيرُهُ كانَ ضالاً[4]

وأنَّ لله عِلْماً كما قال : ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [النساء :١٦٦] ، وقولِهِ ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ [فاطر :١١]

ونُثبت لله قدرةً[5] كما قال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [فصلت :١٥] .

ونُثبت لله السمعَ والبصرَ، ولا ننفي ذلك كما نفتْهُ المعتزلةُ والجهميَّة والخوارجُ.

ونقول إنَّ كلامَ الله غيرُ مخلوق ، وإنَّه لم يخلقْ شيئاً إلا وقد قال له (كُنْ) فيكون ، كما قال ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل :٤٠] .

وأنَّه لا يكون في الأرض شيءٌ من خيرٍ وشرٍّ إلا ما شاءَ الله ، وأنَّ الأشياءَ تكون بمشيئةِ الله ، وأنَّ أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله الله ، ولا يستغني عن الله ، ولا يقدرُ على الخروج من علم الله

= مثبتة من إحدى النسخ المعتمد عليها ، فإن لم تكن من أصل « الإبانة ». . فما جاء فيها هو عينُ ما قرَّره تلامذةُ الشيخ الأشعري

(١) وفي مطبوع « الإبانة » (ص ٢٢) : (وأن له سبحانه وجهاً بلا كيف كما قال)

(٢) وفي مطبوع « الإبانة » (ص ٢٢) : (وأن له سبحانه يدين بلا كيف كما قال) .

(٣) انظر ما تقدَّم قريباً تعليقاً في ورود التثنية في لفظ (العين) في السنة

(٤) وفي مطبوع « الإبانة » (ص ٢٢) : (أسماء) بدل (اسم)

(٥) وفي مطبوع « الإبانة » (ص ٢٣) : (قوة) ، والقوة والقدرة بمعنىً هنا

وأنَّه لا خالقَ إلا الله ، وأنَّ أعمالَ العباد مخلوقةٌ لله مقدورةٌ له كما قال : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] ، وأنَّ العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يُخلقون كما قال : ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : ٣] ، وكما قال ﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [النحل : ٢٠] ، وكما قال ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [النحل : ١٧] ، وكما قال ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور : ٣٥] ، وهـٰذا في كتاب الله كثيرٌ

وأنَّ الله وَفَّقَ المؤمنين لطاعته ولطفَ بهم ، ونظرَ لهم وأصلحَهم وهداهم ، وأضلَّ الكافرين ، ولم يهدِهم ولم يلطفْ بهم بالإيمان ، كما زعمَ أهلُ الزيغِ والطغيان ؛ ولو لطفَ لهم(١) وأصلحَهم كانوا صالحين ، ولو هداهم كانوا مهتدين ؛ كما قال تبارك وتعالىٰ : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٨] ، وأنَّ الله يقدرُ أن يصلحَ الكافرين ويلطفَ لهم حتىٰ يكونوا مؤمنين ، ولـٰكنَّهُ أرادَ أن يكونوا كافرين كما عَلِمَ ، وأنَّه خذلَهم وطبعَ علىٰ قلوبهم .

وأنَّ الخير والشرَّ بقضاء الله وقدَرِهِ ، وأنَّا نُؤمنُ بقضاء الله وقدَرِهِ ؛ خيره وشرِّهِ ، وحلوِهِ ومُرِّهِ ، ونعلمُ أنَّ ما أصابنا لم يكن ليُخطئَنا ، وما أخطأَنا لم يكن ليُصيبَنا

وأنَّا لا نملكُ لأنفسنا نفعاً ولا ضرّاً إلا ما شاءَ اللهُ ، وأنَّا نُلجئ أمورَنا إلى الله ، ونُثبتُ الحاجة والفقر في كلِّ وقتٍ إليه .

---

(١) في (ط) : (بهم) ، يقال : لطفَ به وله ؛ إذا رفق به وأراه مودَّةً ، قال الحافظ الزبيدي في « تاج العروس » (ل ط ف) : (والمشهور تعديته بالباء ؛ كقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾ [الشورىٰ : ١٩] ، وجاء معدّىً باللام ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ [يوسف : ١٠٠]) .

ونقول : إنَّ القرآن كلامَ الله غيرُ مخلوق ، وإنَّ من قال بخلق القرآن كان كافراً

وندين أنَّ الله يُرىٰ بالأبصار يومَ القيامة كما يُرى القمرُ ليلةَ البدرِ ، يراهُ المؤمنون كما جاءَتِ الرواياتُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ونقول إنَّ الكافرين ـ إذا رآهُ المؤمنون ـ عنه محجوبون ؛ كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] ، وأنَّ موسىٰ سألَ الله الرؤيةَ في الدنيا ، وأنَّ الله تجلَّىٰ للجبل فجعلَهُ دكّاً ، وأعلمَ بذلك موسىٰ أنَّه لا يراهُ في الدنيا

ونرىٰ ألاَّ نكفِّرَ أحداً من أهل القِبلة بذنبٍ يرتكبُهُ ؛ كالزنا والسَّرَقِ وشربِ الخمر ، كما دانَتْ بذلك الخوارجُ ، وزعموا أنَّهم بذلك كافرون[١]

ونقول : إنَّ مَنْ عملَ كبيرةً من الكبائر وما أشبهَها مستحِلاً لها . . كان كافراً ؛ إذا كان غيرَ معتقدٍ لتحريمِها

ونقول : إنَّ الإسلام أوسعُ من الإيمان ، وليس كلُّ إسلام بإيمانٍ

وندين بأنَّه يُقلِّبُ القلوب ، وأنَّ القلوب بين إصبَعينِ من أصابعِهِ ، وأنَّه يضعُ السماوات علىٰ إصبَعٍ ، والأرضينَ علىٰ إصبَعٍ ، كما جاءتِ الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢]

وندين بألاَّ نُنزلَ أحداً من الموحِّدين[٣] المستمسكينَ بالإيمانِ جنَّةً ولا ناراً . . إلا مَنْ شهدَ له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجنَّة ، ونرجو الجنَّةَ للمذنبينَ ، ونخافُ عليهم أن يكونوا بالنار معذَّبينَ

---

(١) في (أ ، ب ، و) : (كافرين) .

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٤) من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٣) وفي مطبوع « الإبانة » (ص ٢٧) : (من أهل التوحيد) بدل (من الموحدين) .

ونقول : إنَّ الله يخرجُ من النار قوماً بعد ما امتَحَشوا بشفاعة محمدٍ صلى الله عليه وسلم[(١)]

ونؤمن بعذاب القبرِ

ونقول : إنَّ الحوضَ والميزان حقٌّ ، والصِّراط حقٌّ ، والبعث بعد الموت حقٌّ ، وإنَّ الله يُوقف العبادَ بالموقفِ ، ويحاسبُ المؤمنين ، وإنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ ، يزيدُ وينقص ، ونُسلِّمُ للروايات الصحيحةِ في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي رواها الثقاتُ عدلٌ عن عدلٍ حتىٰ تنتهيَ الروايةُ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وندين بحبِّ السلف الذين اختارَهم لصحبةِ نبيِّهِ ، ونُثني عليهم بما أثنىٰ اللهُ عليهم ، ونتولاَّهم .

ونقول : إنَّ الإمامَ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكرٍ رضي الله عنه ، وإنَّ الله تعالىٰ أعزَّ به الدِّينَ ، وأظهرَهُ على المرتدِّينَ ، وقدَّمَهُ المسلمون للإمامة كما قدَّمَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للصلاة[(٢)] ، ثم عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم عثمانُ بن عفان نضَّر الله وجهَهُ ، قتلَهُ قاتلوهُ ظُلماً وعدواناً ، ثم عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فهـٰؤلاء الأئمَّةُ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلافتُهم خلافةُ النبوَّة .

ونشهد للعشرةِ بالجنَّة الذين شهدَ لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم[(٣)]

ونتولَّىٰ سائرَ أصحابِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ونكفُّ عمَّا شجرَ

---

(١) انظر ما تقدم (ص ٣١٦) .

(٢) وفي مطبوع « الإبانة » (ص ٢٨) زيادة : (وسمَّوهُ بأجمعهم خليفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

(٣) رواه الترمذي (٣٧٤٨) من حديث سيدنا عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه .

بينَهم ، ونَدينُ اللهَ أنَّ الأئمَّةَ الأربعةَ[1] راشدون مهديُّون فضلاءُ ، لا يوازيهم في الفضل غيرُهم

ونصدِّق بجميع الرواياتِ التي ثبَّتَها أهلُ النقل ؛ مِن النزولِ إلىٰ سماء الدنيا ، وأنَّ الربَّ يقولُ هل مِنْ سائلٍ ؟ هل مِنْ مستغفرٍ ؟[2] ، وسائرِ ما نقلوهُ وأثبتوهُ ، خلافاً لِمَا قاله أهلُ الزيغ والتضليل

ونُعوِّل فيما اختلفنا فيه علىٰ كتابِ الله ، وسنَّةِ نبيِّهِ صلى الله عليه وسلم ، وإجماعِ المسلمين وما كان في معناه ، ولا نبتدعُ في دين الله بدعةً لم يأذنِ اللهُ بها ، ولا نقولُ على الله ما لا نعلمُ .

ونقول إنَّ اللهَ تعالىٰ يجيءُ يومَ القيامة كما قال : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر : ٢٢] ، وإنَّ الله تعالىٰ يَقرُبُ من عباده كيف يشاءَ كما قال[3] ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق : ١٦] ، وكما قال ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم : ٨ ـ ٩] .

ومِنْ دينِنا أن نصلِّيَ الجمعةَ والأعيادَ خلْفَ كلِّ برٍّ وغيرِه[4] ، وكذلك شروطُ الصلواتِ الجماعات[5] ؛ كما رُويَ عن عبد الله بن عمرَ أنَّه كان يصلِّي خلْفَ الحجَّاج[6]

---

(١) وفي مطبوع « الإبانة » (ص ٢٩) زيادة : (خلفاء)

(٢) رواه مسلم (٧٥٨) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) وفي مطبوع « الإبانة » (ص ٣٠) (وأن الله مقرب من عباده كيف شاء بلا كيف كما قال)

(٤) في (و ، ط) : (وفاجر) بدل (وغيره)

(٥) والعبارة في مطبوع « الإبانة » (ص ٣٠) : (ومن ديننا : أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وفاجر)

(٦) رواه البخاري (١٦٦٠) ، وقال الإمام الدميري في « النجم الوهاج » (٢/ ٣٦٠) : (وفي « الصحيحين » : صلى ابن عمر خلف الحجاج ، قال الشافعي : وكفىٰ به فاسقاً) .

وأنَّ المسحَ على الخفين في الحضر والسفر ، خلافاً لمَنْ أنكرَ ذلك

ونرى الدعاءَ لأئمة المسلمين بالصلاحِ ، والإقرارَ بإمامتهم ، وتضليلَ مَنْ رأى الخروجَ عليهم إذا ظهرَ منهم تركُ الاستقامة ، وندين بتركِ الخروجِ عليهم بالسيف ، وتركِ القتال في الفتنة .

ونُقرُّ بخروج الدجَّال كما جاءَتْ به الروايةُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]

ونؤمن بعذابِ القبر[2] ، ومُنْكَرٍ ونَكِيرٍ ، ومساءلتِهم المدفونينَ في قبورِهم

ونصدِّق بحديثِ المعراج[3]

ونصحِّح كثيراً مِنَ الرُّؤيا في المنام[4] ، ونقولُ : إنَّ لذلك تفسيراً

ونرى الصدقةَ عن موتى المؤمنين ، والدعاءَ لهم ، ونؤمنُ أنَّ اللهَ ينفعُهم بذلك

ونصدِّق بأنَّ في الدنيا سَحَرَةً ، وأنَّ السحْرَ كائنٌ وموجودٌ في الدنيا .

وندين بالصلاةِ علىٰ مَنْ ماتَ من أهل القِبلة ؛ مؤمنِهم وفاجرِهم ، ومواريثِهم .

ونُقرُّ أنَّ الجنَّة والنارَ مخلوقتانِ ، وأنَّ مَنْ ماتَ أو قُتلَ . . فبأجلِهِ ماتَ أو قُتلَ .

وأنَّ الأرزاقَ مِنْ قِبَلِ الله عزَّ وجلَّ ؛ يرزقُها عبادَهُ حلالاً وحراماً

---

(١) انظر « نظم المتناثر » (٢٩٠)

(٢) كذا مكرراً ، وقد تقدم ذكر ذلك قريباً

(٣) انظر « نظم المتناثر » (٢٥٨)

(٤) انظر « نظم المتناثر » (٢٧٤)

وأنَّ الشيطانَ يُوسوسُ للإنسانِ ، ويُشكِّكُهُ ويخبطُهُ ، خلافاً لقولِ المعتزلة والجهميّة ؛ كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة :٢٧٥] ، وكما قال: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ * مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس : ٤ـ٦] .

ونقول : إنَّ الصالحينَ يجوزُ أن يخصَّهم اللهُ بآياتٍ يُظهرُها عليهم(١)

وقولُنا في أطفالِ المشركين : إنَّ الله عزَّ وجلَّ يُؤجِّجُ لهم ناراً في الآخرةِ ، ثم يقولُ : اقتحموها ، كما جاءَتِ الروايةُ بذلك

وندين بأنَّ اللهَ تعالىٰ يعلمُ ما العبادُ عاملون ، وإلىٰ ما هم صائرون ، وما يكونُ وما لا يكونُ أن لو كانَ كيف كان يكونُ ، وبطاعةِ الأئمَّة ، ونصيحةِ المسلمين .

ونرىٰ مفارقةَ كلِّ داعيةٍ لبدعةٍ ، ومجانبةَ أهلِ الأهواء ، وسنحتجُّ لما ذكرناهُ مِنْ قولِنا وما بقيَ منه وما لم نذكرْهُ باباً باباً ، وشيئاً شيئاً(٢)

فتأمَّلوا ـ رحمَكم اللهُ ـ هٰذا الاعتقادَ ما أوضحَهُ وأبينَهُ ! واعترِفوا بفضلِ هٰذا الإمامِ العالمِ الذي شرحَهُ وبيَّنَهُ ، وانظروا سهولةَ لفظِهِ فما أفصحَهُ وأحسنَهُ ! وكونوا ممَّنْ قال اللهُ فيهم : ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر :١٨] ، وتبيَّنوا فضْلَ أبي الحسن واعرفوا إنصافَهُ ، واسمعوا وصْفَهُ لأحمدَ بالفضل واعترافَهُ ؛ لتعلموا أنَّهما كانا في الاعتقاد متَّفقَينِ ، وفي أصول الدِّين ومذهبِ السنَّة غيرَ مفترقَين

---

(١) أراد : كرامات الأولياء التي أنكرها كثير من المعتزلة

(٢) إلىٰ هنا ينتهي ما نقله المصنف من كتاب « الإبانة » من النسخة التي كانت بين يديه ، وتوافق من مطبوعه (ص ٧ـ ٣٣) .

ولم تزلِ الحنابلةُ ببغداد في قديم الدهر على ممرِّ الأوقات تعتضدُ بالأشعريَّةِ على أصحاب البدع[1] ؛ لأنَّهم المتكلِّمون من أهل الإثبات ، فمَنْ تكلَّم منهم في الردِّ على مبتدعٍ فبلسان الأشعريَّة يتكلَّمُ ، ومَنْ حقَّقَ منهم في الأصول في مسألة فمنهم يتعلَّم ، فلم يزالوا كذلك حتى حدثَ الاختلافُ في زمن أبي نصرٍ القُشيريِّ ووزارةِ النِّظَام[2] ، ووقعَ بينهم الانحرافُ من بعضِهم عن بعض لانحلالِ النِّظامِ .

وعلى الجملةِ فلم تزلْ في الحنابلةِ طائفةٌ تغلو في السنَّة ، وتدخل فيما لا يعنيها حبّاً للخفوفِ في الفتنة[3] ، ولا عارَ على أحمدَ رحمه الله مِنْ صنيعِهم ، وليسَ يتَّفقُ على ذلك رأيُ جميعِهم ؛ ولهـٰذا قال أبو حفصٍ عمرُ بن أحمد بن عثمان بن شاهينَ وهو من أقرانِ الدارقطنيِّ ومن أصحاب الحديث المتسنِّنينَ ما

---

(١) إذ كان وما زال من أعيان السادة الحنابلة من وعى طريقةَ الشيخ الأشعري في ذبِّهِ عن السنة ، وحطْمِ أهل البدعة ، فلم ينكروها ، بل عظَّموا أمرها وأشادوا بها ؛ كالإمام أبي محمد التميمي وابنه مثلاً ، وهـٰذا أمر سيذكره المصنف ، وهـٰذه كلماتٌ من الحافظ ابن عساكر تليِّن ما بين الطريقتين من تصلُّب ، وآلُ بني عساكر قد أُوذوا من قبل حنابلة زمانهم ؛ فقد قال الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » (٨/ ١٨٤) في ترجمة الشيخ فخر الدين ابن عساكر ، المتوفى سنة (٦٢٠ هـ) ، وهو من أعيان بني عساكر : (وكان بينه وبين الحنابلة ما يكون غالباً بين رعاع الحنابلة والأشاعرة ، فيذكر أنه كان لا يمرُّ بالمكان الذي يكون فيه الحنابلةُ ؛ خشيةَ أن يأثموا بالوقيعةِ فيه) .

(٢) وكان الوالي مؤيد الملك ابن نظام الملك السلجوقي الوزير العادل الصالح ، وقد قال العلامة المؤرخ ابن الأثير في « الكامل » (٨/ ٢٦١) في حوادث سنة (٤٦٩ هـ) : (في هـٰذه السنة : ورد بغدادَ أبو نصر بنُ الأستاذ أبي القاسم القشيري حاجّاً ، وجلس في المدرسة النظامية يعظُ الناسَ ، وفي رباط شيخ الشيوخ ، وجرى له مع الحنابلة فتنٌ ؛ لأنَّه تكلَّمَ على مذهب الأشعري ، ونصرَهُ ، وكثُر أتباعُهُ والمتعصِّبون له ، وقصدَ خصومه من الحنابلة ومن تبعهم سوقَ المدرسة النظامية ، وقتلوا جماعة)

(٣) في (هـ) وحدها : (للخفوق) بدل (للخفوف) ، والخفوف : الإسراع والعجلة .

١٥٨ـ قرأتُ على الشيخ أبي محمدٍ عبدِ الكريم بن حمزة بن الخضر بدمشقَ ، عن أبي محمدٍ عبدِ العزيز بن أحمدَ قال : حدثني أبو النجيبِ عبدُ الغفَّار بن عبد الواحد الأرمويُّ ، حدثنا أبو ذرٍّ عبدُ بن أحمد الهرويُّ قال سمعتُ ابن شاهينَ يقول : (رجلانِ صالحانِ بُلِيا بأصحابِ سوءٍ[١] : جعفرُ بن محمد ، وأحمدُ بن حنبل)

١٥٩ـ كتبَ إليَّ أبو القاسم العُكْبَرِيُّ يخبرني عن أبي المعالي عَزِيزي بن عبد الملك[٢] قال : (لمَّا تمَّ للهجرة مئتان وستون سنةً . . رفعَتْ أنواعُ البدع رؤوسَها ، وأسقَتْ عوامَّ الخلائقِ كؤوسَها ، حتىٰ أصبحَتْ آياتُ الدِّين منطمسة الآثار ، وأعلامُ الحقِّ مندرسةَ الأخبار ، فأظهرَ اللهُ سبحانه وتعالىٰ ناصرَ الحقِّ ، وناصحَ الخلْقِ ، محييَ السُّنَن ، مرضيَّ السَّنَن ؛ الإمامَ الرضيَّ الزكيَّ أبا الحسن ، سقى اللهُ بماء الرحمة تربتَهُ ، وأعلىٰ في غُرفاتِ الجِنان درجتَهُ ، مِنْ أصلٍ باذخِ الذُّرَا ، وشرفٍ شامخِ القوىٰ ؛ وهو أبو موسىٰ عبدُ الله بن قيس الأشعريُّ صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاضيهِ ، والمُستخلَفُ مِنْ قِبَلَ الخلفاءِ الراشدين والأئمَّة المهديين ؛ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ رضوانُ الله عليهم أجمعين . . على القضاءِ والصلوات ، والجيوشِ والغزوات ، والإمارةِ على المؤمنين ، وتعليمِ الشريعةِ للمسلمين ، وكان زوجَ

---

(١) في (أ ، ب ، هـ ، و) : (بلوا) بدل (بليا)

(٢) جاء في هامش (هـ) حاشية : (توفي عزيزي المذكور رحمه الله سنة أربع وتسعين وأربع مئة ، قال الحافظ أبو عبد الله ابن النجار في « تاريخه » : عزيزي بن عبد الملك بن منصور أبو المعالي الواعظ المعروف بشيذله ، من أهل جيلان ، كان فقيهاً فاضلاً حسن المعرفة بمذهب الشافعي ، ويعرف الأصول على مذهب الأشعري ، صنف كتباً كبيرة في الوعظ والتذكير وغير ذلك ، وكان فصيحاً حلو الكلام كثير المحفوظ ظريفاً مليح النوادر ، حدث بمشيخته وغيرها من مصنفاته ، وتقلد القضاء بباب الأزج في ذي القعدة من سنة ست وثمانين) انظر « ذيل تاريخ بغداد » (١٧/ ١٧٦) .

أمِّ كلثوم بنتِ الفضل بن العباس بن عبد المطلب ؛ وهي أمُّ أبي بُردةَ بن أبي موسى الأشعريِّ ؛ جدِّ الإمام أبي الحسن الأشعريِّ)

* وروىٰ دَعْلَجُ بن أحمد ، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبدُ الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن سماكِ بن حرب ، عن عياضٍ الأشعريِّ ، عن أبي موسى الأشعريِّ قال : قُرِئَتْ عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ . . . ﴾ [المائدة : ٥٤] الآيةَ ، فقال صلوات الله عليه وسلامه « **هُمْ قَوْمُكَ يَا أَبَا مُوسَىٰ ؛ أَهْلُ ٱلْيَمَنِ** »[١]

ومعلومٌ بأدلَّة العقول ، وبراهينِ الأصول : أنَّ أحداً من أولاد أبي موسىٰ لم يردَّ علىٰ أصحاب الأباطيلِ ، ولم يُبطلْ شُبَهَ أهل البدع والأضاليل ؛ بحججٍ قاهرةٍ من الكتاب والسنَّة ، ودلائلَ باهرةٍ من الإجماع والقياس . . إلا الإمامُ أبو الحسن الأشعريُّ ، وحديثُ أبي موسىٰ دليلٌ واضحٌ علىٰ فضيلة الإمام أبي الحسن الأشعريِّ رضي الله عنه ؛ فجاهدَ أعداءَ الحقِّ وقمعَهم ، وفرَّقَ كلمتَهم وبدَّدَ جمعَهم ؛ بالحُجج القاهرة العقليَّة ، والأدلَّة الباهرة السمعيَّة .

* * *

---

(١) تقدم برقم (٣٠) ، ويحتمل أن هـٰذه الرواية وما بعدها إلى آخر الباب من كلام أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك ، والله أعلم .

باب
ذكر بعض ما رُئي من المنامات التي تدل على أن أبا الحسن من مستحقي الإمامات[1]

١٦٠ـ حدثَني الشيخُ أبو عبد الله طَرْخانُ بن ماضي بن جَوْشَن المقرئ الفقيهُ الضَّريرُ[2] قال : جرىٰ بيني وبين والدي كلامٌ غضبتُ منه ، فخرجتُ إلىٰ مسجد السوس بالشاغور ، ونمتُ فيه نهاراً ، فبينما أنا نائمٌ رأيتُ في المنام كأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد دخل من باب الشبَّاك الذي مِنْ شرقيِّ المسجد ، فجلستُ وقلتُ : السلامُ عليك يا رسولَ الله ، فكان كالمغضب عليَّ ، وقال لي : أنت تقرأُ القرآنَ وتُغضِبُ أباكَ ؟!

فقلتُ : الآنَ أرجو أن يغفرَ اللهُ لي ما كان منِّي في حقِّ أبي بحضورِكَ ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قال : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء :١٠٧] ، فكأنَّه رضيَ عنِّي ، ودعا لي ، وأخذَ ليقومَ ، فسألتُهُ عن حديث أبي حميدٍ الساعديِّ في سؤالِهِ إيَّاهُ عن كيفيَّةِ الصلاةِ عليه صلى الله عليه وسلم[3] ، فقال : صدقَ أبو حميدٍ ، وأثنىٰ عليه .

---

(١) تقدَّم للإمام الأشعري فيما نقل المصنف من كتابه « الإبانة » قوله فيها : (ونصحِّحُ كثيراً مِنَ الرُّؤيا في المنام ، ونقولُ : إنَّ لذلك تفسيراً) .

(٢) الفقيه الشافعي ، وقد توفي بعد المصنف سنة (٥٩٥ هـ) ، وقد وُلد بحيِّ الشاغور بدمشق ، وكان إماماً بمسجد فيه .

(٣) هو ما رواه البخاري (٣٣٦٩) ، ومسلم (٤٠٧) عنه أنه قال : قالوا : يا رسول الله ؛ كيف نصلي عليك ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « قولوا : اللهمَّ ؛ صلِّ علىٰ محمد وأزواجه وذريته كما صلَّيتَ علىٰ آل إبراهيم ، وبارِكْ علىٰ محمد وأزواجه وذريته كما باركتَ علىٰ آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » ، وانظر « نظم المتناثر » (٧٨) .

وسألته عن قولِهِ لعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه « لاَ تُبْرِزْ فَخِذَكَ ، وَلاَ تَنْظُرْ إِلَىٰ فَخِذِ حَيٍّ وَلاَ مَيِّتٍ »[1] ، فقال : صدقَ ، أنا أمرتُهُ بذلك

ثم خرج من المسجد ، فاتَّبعتُهُ وقلتُ : يا رسولَ الله ؛ إنَّ قوماً يقولون : إنَّ الحرفَ مخلوقٌ ، وقوماً يقولون : غيرُ مخلوقٍ ، وقد تحيَّرْنا بينَهم ، فما ندري ما نقول ! فقال قُلْ كما قالَتِ الأشعريَّة ، فقلتُ : يا رسولَ الله ؛ كذا كما قالت الأشعرية ؟! ـ علىٰ وجهِ الاستنكار ـ ، فقال ثلاث مرات : قُلْ كما قالَتِ الأشعريَّةُ ، ثم توجَّهَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نحو قبلةِ الشاغور خارجاً من الباب وأنا أقولُ : هـٰذا المزمِّلُ ، هـٰذا المدَّثِّرُ ، وهو واضعٌ يديه علىٰ صدره كهيئة المصلي ، فوضعتُ يدي اليسرىٰ علىٰ يده وأنا أقولُ : هـٰذا المزمِّلُ ، هـٰذا المدَّثِّرُ .

ثم استيقظتُ ، وكانَتْ عندي « الرسالة القدسيَّة » للغزاليِّ[2] ، وكنتُ لا أُحسنُ رأيي فيها ، وأقولُ : ما أصنعُ بها ؟! فحَسُنَ رأيي فيها بعد ذلك ، فقرأتُها وقرأتُ غيرَها والحمدُ لله .

١٦١ـ وحكىٰ لي بعضُ أصحابنا ، عن أبي القاسم بن إبراهيم بن حسين الدقَّاقِ المعروفِ بالزبير رُؤيا رآها[3] ، فلقيتُهُ في الجامع بدمشقَ ، فسألتُهُ عن رؤياهُ وقلتُ له : بلغني أنَّك رأيتَ الفقيه أبا الحسنِ رحمه الله في المنام ، فقال : إِي والذي قبضَ رُوحَهُ ؛ لقد رأيتُهُ في المنام كأنَّهُ ها هنا ـ وأشار إلىٰ مكان من الجامع بقرْبِ بابِ البرادَةِ وحلقتِهِ[4] ـ وهو داخلٌ إلىٰ صدر المسجدِ ، فقال لي : يا أبا القاسم ؛ مذهبُ الأشعريِّ حقٌّ ، مذهبُ الأشعريِّ حقٌّ ،

---

(١) رواه أحمد في « مسنده » (١/١٤٦) ، وأبو داود (٣١٤٠) ، وابن ماجه (١٤٦٠) .

(٢) وهي التي شرح فيها « قواعد العقائد » ، وهي الفصل الثالث من الكتاب الثاني من كتُب « إحياء علوم الدين » .

(٣) في (أ ، ب ، هـ) : (بالزنبير) بدل (بالزبير) ، ومحتملة في (و) لهـٰذا الرسم .

(٤) في (ط) : (وخلفته) .

مذهبُ الأشعريِّ حقٌّ ، ثم استيقظتُ .

فقلتُ له ما قال لك إلا الحقَّ ؛ فإنَّهُ كان صادقَ اللهجة ، وهو في دارِ حقٍّ ؛ فلا يقولُ إلا الحقَّ .

١٦٢ـ حدثني أبو عليٍّ الحسنُ بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف الهَكَّارِيُّ وكتبَهُ لي بخطِّهِ قال رأيتُ في النوم كأنِّي دخلتُ داراً ، فرأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فيها مستلقياً علىٰ قفاه وأخمصُ قدميهِ إلىٰ جهة القِبلة ، فجلستُ محاذياً كتفَهُ اليسرىٰ ، فالتفتَ إليَّ وقال صلى الله عليه وسلم : لا تكنْ تتركُ دينَ الإسلام ، فقلتُ : حاشا لله يا رسولَ الله ! كيف أتركُ دينَ الإسلام ؟! ثم أخذتُ بكفِّه اليمنىٰ وقلتُ : هـٰأنا أُجدِّدُ الإسلامَ ؛ فقلتُ : أشهدُ أن لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، وأشهدُ أنَّكَ رسولُ الله

ثم قلتُ عقيب ذلك : يا رسولَ الله ؛ أرى الناس اختلفوا في الحرف والصوت ، الحقُّ مع مَن ؟ فقال عليه السلام : الحقُّ ما قاله أبو الحسن ، وكان في نفسي سؤالُهُ عن حَدَثِ الحروف وقدمِها ، فأجابني عليه السلام بما ذكرتُ[1]

* * *

(١) ولا يخفاك أن هـٰذه الرُّؤىٰ إنَّما هي تأنيساتٌ وتثبيتات ، ولم يبق من النبوة إلا المبشِّرات ، فهي تأكيدٌ للحقِّ الذي جاء به كتابُ الله وسنةُ مصطفاه عليه الصلاة والسلام وأجمع عليه أهل الإجماع ، وابتناؤُها صحَّةً وسلامةً إنما يكون علىٰ ذلك ، لا أنَّ المصنف يقرِّرُ صحَّة مذهب الإمام الأشعري وطريقتِهِ بها كما قد يُتوهَّمُ ! وبهـٰذا تعلمُ أن هـٰذه الرُّؤىٰ لو عُورضَتْ بمثلها من قبل المخالف. . لرجعنا إلىٰ تلك الأصول ، ولهـٰذا أخَّرَ المصنف الحديثَ عنها ، وسترىٰ له أمثالَها في ثنايا الكتاب .
وما أطيبَ قولَ حجة الإسلام إمامنا الغزالي في « المنقذ » وهو يستأنسُ بالرُّؤىٰ في تعديل منهج دعوته بأخرةٍ ؛ وجهره بالإصلاح : (وانضافَ إلىٰ ذلك مناماتٌ من الصالحين كثيرة متواترة ، وتشهدُ بأن هـٰذه الحركةَ مبدأُ خير ورشْدٍ قدَّرَها الله سبحانه علىٰ رأس هـٰذه المئة ، فاستحكم الرجاء) .

باب
ذكر بعض ما مُدِحَ به أبو الحسن من الأشعار
على وجه الإيجاز في إيرادها والاختصار

١٦٣ـ أنشدني الشيخُ الحافظُ أبو المحاسن عبدُ الرزاق بن محمد بن أبي نصر بن محمد الطَّبَسِيُّ بنيسابورَ قال : أنشدَنا إمامُ الأئمَّةِ أبو نصرٍ عبدُ الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القُشيريُّ لنفسِهِ[1] : [من السريع]

شَيْئَــانِ مَــنْ يَعْــذُلُنِــي فِيهِمَــا ... فَهْـوَ عَلَـى ٱلتَّحْقِيـقِ مِنِّـي بَـرِي
حُــبُّ أَبِــي بَكْــرٍ إِمَــامِ ٱلتُّقَــىٰ ... ثُـمَّ ٱعْتِقَـادِي مَـذْهَـبَ ٱلأَشْعَـرِي

١٦٤ـ وأنشدني غيرُ أبي المحاسن لبعضِهم في هٰذا المعنىٰ : [من السريع]

مَـنْ كَـانَ فِـي ٱلْحَشْـرِ لَـهُ عُـدَّةٌ ... تَنْفَعُـهُ فِـي عَـرْصَـةِ ٱلْمَحْشَـرِ
فَعُــدَّتِــي حُــبُّ نَبِــيِّ ٱلْهُــدَىٰ ... ثُـمَّ ٱعْتِقَـادِي مَـذْهَـبَ ٱلأَشْعَـرِي

١٦٥ـ أنشدني الشيخُ الزاهد أبو محمدٍ عبدُ الوارث بن عبد الغني الأصوليُّ[2] لبعضِهم ، وكتبَ إليَّ الشيخ أبو القاسم نصرُ بن نصر العُكْبَرِيُّ ،

---

(١) وأوردهما له الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٦٣) ، وعنىٰ بأبي بكر الإمامَ القاضي الباقلاني .

(٢) وقع في هامش (ب) : (قال الإمام الحافظ بهاء الدين ـ وهو القاسم ابن الحافظ ابن عساكر ـ : أظنُّ أنِّي سمعتُها من عبد الوراث) إذ توفي الإمام عبد الوارث بن عبد الغني المغربي التونسي المالكي الأصولي الزاهد سنة (٥٥٠ هـ) وعُمُرُ الحافظ بهاء الدين قرابةَ اثنين وثلاثين عاماً ، وقد قال عنه المصنف في « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٢٩٥) : (كان عالماً بعلم الكلام ، بصيراً به ، حسن الاعتقاد ، له قدم في العبادة ، قدم دمشق غيرَ مرَّة ، وكان يتردَّدُ منها إلىٰ حمص وحلب ويرجع إليها ، وكان له أصحاب ومريدون ، اجتمعتُ به غير =

يخبرني عن القاضي أبي المعالي عَزِيزي بن عبد الملك قال أنشدنا القاضي الإمامُ أبو الحسن هبةُ الله بن عبد الله السِّيبيُّ مُدرِّسُ ومُلقِّنُ ولي العهد في العالمين أبي القاسم عبدِ الله بن محمد بن الإمام أميرِ المؤمنين القائمِ بأمر الله عبدِ الله أبي جعفرٍ[1]

[من الطويل]

إِذَا كُنْتَ فِي عِلْمِ ٱلأُصُولِ مُوَافِقاً ... بِعَقْدِكَ قَوْلَ ٱلأَشْعَرِيِّ ٱلْمُسَدَّدِ

وَعَامَلْتَ مَوْلاَكَ ٱلْكَرِيمَ مُخَالِصاً ... بِقَوْلِ ٱلإِمَامِ ٱلشَّافِعِيِّ ٱلْمُؤَيَّدِ

وَأَتْقَنْتَ حَرْفَ ٱبْنِ ٱلْعَلاَءِ مُجَوِّداً[2] ... وَلَمْ تَعْدُ فِي ٱلإِعْرَابِ رَأْيَ ٱلْمُبَرِّدِ

فَأَنْتَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْيَقِينِ مُوَافِقٌ ... شَرِيعَةَ خَيْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدِ

١٦٦ـ أنشدني الشيخُ أبو الفتح ناصرُ بن عبد الرحمٰن القرشيُّ لبعضِهم :

[من مجزوء الخفيف]

أَصْبَحَ ٱلنَّاسُ فِي عَمىً ... بَيْنَ سَاهٍ وَمُمْتَرِي

جَعَلُوا دِينَهُمْ هَوىً ... وَٱلْهَوَىٰ غَيْرُ مُبْصِرِ

وَتَعَامَوْا عَنِ ٱلْهُدَىٰ ... لَيْسَ فِيهِمْ بِمُنْكَرِ

شَبَّهُوا ٱللهَ بِٱلْوَرَىٰ ... وَهْوَ مِنْ جَهْلِهِمْ بَرِي

حُرِمَ ٱلرُّشْدَ مَنْ غَدَا ... يَتَعَامَىٰ وَيَفْتَرِي

فَٱلْزَمِ ٱلْحَقَّ لاَ تَزِغْ ... وَٱعْتَقِدْ عَقْدَ ٱلأَشْعَرِي

= مرة ، وجرَتْ بيني وبينه مفاوضاتٌ في أصحاب الدعاوىٰ وذوي الرعونات من المنتسبين ، فرأيتُهُ منكراً لشأنهم ، مزرياً عليهم ، مؤثراً الكفَّ عنهم للسلامة من شرِّهم) .

(١) ورواها المصنف من الطريقين أيضاً في « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٢٩٥) .

(٢) وقد تقرأ في (و ، ط) : (مجرَّداً) ، أراد قراءة الإمام النحوي أبي عمرو بن العلاء رحمه الله تعالىٰ ، وكان أهل بغداد يميلون إليها ، وروى الخطيب في « تاريخ بغداد » (١/ ٧٠) عن ابنِ مجاهدٍ المقرئ قال : رأيتَ أبا عمرو بن العلاء في النوم ، فقلت له : ما فعلَ الله بك ؟ فقال لي : دعني ممَّا فعلَ الله بي ، من أقام ببغدادَ على السنة والجماعة ومات . . نُقل من جنة إلىٰ جنة .

١٦٧ـ أنشدني أبو محمدٍ عبدُ الله بن محمد الإسكندرانيُّ لأبي القاسمِ الخرزيِّ الإسكندرانيِّ[(١)] :

[من مجزوء الكامل]

خُـذْ مَـا بَـدَا لَـكَ أَوْ فَـدَعْ كَثُـرَتْ مَقَـالاَتُ ٱلْبِـدَعْ
إِنَّ ٱلنَّبِـيَّ ٱلْمُصْطَفَـىٰ دِينـاً حَنِيفِيّـاً شَـرَعْ
وَرَضَـىٰ[(٢)] بِـهِ لِعِبَـادِهِ رَبٌّ تَعَـالَـىٰ فَـٱرْتَفَـعْ
قَـدْ كَـانَ دِيـنٌ وَاحِـدٌ حَتَّـىٰ تَفَـرَّقَ مَـا ٱجْتَمَـعْ
قَـوْمٌ أَضَلَّهُـمُ ٱلْهَـوَىٰ وَٱلآخِـرُونَ لَهُـمْ تَبَـعْ
اَللهُ أَيَّـدَ شَيْخَنَـا وَبِـهِ ٱلْبَـرِيَّـةَ قَـدْ نَفَـعْ
اَلأَشْعَـرِيُّ إِمَـامُنَـا شَيْـخُ ٱلـدِّيَـانَـةِ وَٱلْـوَرَعْ
بَسَـطَ ٱلْمَقَـالَـةَ بِـٱلْهُـدَىٰ وَفَظِيـعَ حُجَّتِهِـمْ قَطَـعْ
حَتَّـىٰ اسْتُضِـيءَ بِنُـورِهِ وَٱللهُ مُتْقِـنُ مَـا صَنَـعْ
مَـنْ قَـالَ غَيْـرَ مَقَـالِـهِ أَخْطَـا ٱلطَّـرِيقَـةَ وَٱبْتَـدَعْ
لاَ يُنْكِـرَنَّ كَـلاَمَـهُ إِلاَّ أَخُـو جَهْـلٍ لُكَـعْ
أَهْـلُ ٱلْعُقُـولِ تَيَقَّظُـوا فَـٱلْفَجْـرُ فِـي ٱلأُفْـقِ ٱنْصَـدَعْ
نَسَبُـوا إِلَـىٰ رَبِّ ٱلْعُـلاَ مَـا قَـوْلُـهُ مِنْـهُ مَنَـعْ
زَعَمُـوا بِـأَنَّ كَـلاَمَـهُ مِثْـلُ ٱلْكَـلاَمِ ٱلْمُسْتَمَـعْ
فَبَـرِئْـتُ مِنْهُـمْ إِنَّهُـمْ رَكِبُـوا قَبِيحَـاتِ ٱلشَّنَـعْ[(٣)]

١٦٨ـ وأنشدني بعضُ أصحابِنا لبعضِ أهل العصر في وزنِ هٰذه الأبيات

[من مجزوء الكامل]

قُـلْ لِلْمُخَـالِـفِ يَـا لُكَـعْ كُـفَّ ٱللِّسَـانَ عَـنِ ٱلْبِـدَعْ

---

(١) في (ط) وحدها: (الجزري) بدل (الخرزي).
(٢) علىٰ لغة طيِّئ في قلب الكسرة فتحة، فتقلب الياء ألفاً؛ مراعاةً للوزن، أو بالياء الساكنة آخره للضرورة.
(٣) الشَّنَع: مصدر شَنُع؛ بمعنىٰ: قبح، وضبطت في (أ): (الشُّنع).

وَذَرِ ٱلتَّعَصُّبَ جَانِباً … وَٱللَّعْنَ لِلْعُلَمَاءِ دَعْ

فَظَلاَمُ جَهْلِكَ فِي ٱلْعَقِيـ … ـدَةِ قَدْ تَلاَشَىٰ وَٱنْقَشَعْ

لَمَّا بَدَا فَجْرُ ٱلْهُدَىٰ … مِمَّنْ يُنَزِّهُ وَٱنْصَدَعْ

وَغِرَاسُ مَا أَسْقَيْتَهُ … مَاءَ ٱلْخِدَاعِ قَدِ ٱنْقَلَعْ(1)

مَا أَنْتَ حِلْفَ زَهَادَةٍ … بَلْ أَنْتَ عَبْدٌ لِلطَّمَعْ

كَمْ تَزْرَعُ ٱلتَّشْبِيهَ فِي … سَبَخِ ٱلْقُلُوبِ فَمَا ٱنْزَرَعْ(2)

فَٱهْجُرْ دِمَشْقَ وَأَهْلَهَا … وَٱسْكُنْ بِبُصْرَىٰ أَوْ زُرَعْ(3)

فَهُنَاكَ يُمْكِنُ أَنْ يُصَـ … ـدَّقَ مَا تَقُولُ وَيُسْتَمَعْ

وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلأَشْعَرِ … يَّ عَدُوُّ أَصْحَابِ ٱلْبِدَعْ

فَهُوَ ٱلْمُجِيدُ ٱلذَّبِّ عَنْ … سُنَنِ ٱلرَّسُولِ وَمَا شَرَعْ

حَبْرٌ تَقِيٌّ عَالِمٌ … جَمَعَ ٱلدِّيَانَةَ وَٱلْوَرَعْ

رَفَعَ ٱلإِلَـٰهُ مَحَلَّهُ … عِنْدَ ٱلْبَرِيَّةِ فَٱرْتَفَعْ

وَٱخْتَارَ مَا قَالَ ٱلرَّسُو … لُ مِنَ ٱلأُصُولِ وَمَا ٱخْتَرَعْ

لَـٰكِنَّهُ نَصَبَ ٱلدَّلِيـ … ـلَ لِمَنْ تَسَنَّنَ وَٱتَّبَعْ

وَأَبَانَ أَنَّ ٱلْعَقْلَ لاَ … يَنْفِي ٱلصَّوَابَ ٱلْمُتَّبَعْ

مِنْ آيَةٍ أَوْ سُنَّةٍ … كَانَ ٱلرَّسُولُ بِهَا صَدَعْ

يَا حُسْنَ مَا أَبْدَىٰ لَنَا … وَجْهَ ٱلدَّلِيلِ وَمَا ٱنْتَزَعْ

فَغَدَا بِهِ شَمْلُ ٱلْهُدَىٰ … لِلْمُسْلِمِينَ قَدِ ٱجْتَمَعْ

---

(١) في (ط) وحدها : (انقطع)

(٢) يقال : موضع سَبَخٌ ؛ أي : مِلْحٌ ، لا ينبت .

(٣) وأحسب أن النبي عليه الصلاة والسلام إلىٰ هـٰذا المعنىٰ أشار بقوله الذي رواه الترمذي (٢١٩٢) من حديث سيدنا قرة بن إياس المزني رضي الله عنه مرفوعاً : « إذَا فسد أهلُ الشَّامِ . فلا خير فيكم » ، فأصل كلِّ الخير في سلامة الاعتقاد .

وَتفَـرَّقَـتْ فِـرَقُ ٱلضَّـلاَ ... لِ وَذَلَّ مَـذْمُـومُ ٱلشِّيَـعْ
وَتعَطَّلَـتْ مِمَّـنْ تَعَـ ... ـطَّـلَ بَعْـدَ كَثْـرَتِهِـمْ بُقَـعْ[1]
فَـلأَيِّ حِـزْبٍ مِنْهُـمُ ... قَصَـدَ ٱلْجِـدَالَ فَمَـا قَمَـعْ
مَـا أَمَّـهُ ذُو بِـدْعَـةٍ ... لِحِجَـاجِـهِ إِلاَّ ٱنْقَطَـعْ
لَـوْ لَـمْ يُصَنِّـفْ عُمْـرَهُ ... غَيْـرَ « ٱلإِبَـانَـةِ » وَ« ٱللُّمَعْ »
لَكَفَـىٰ فَكَيْـفَ وَقَـدْ تَفَـ ... ـنَّنَ فِـي ٱلْعُلُـومِ بِمَـا جَمَعْ
مَجْمُـوعَـةٌ تُـرْبِـي عَلَـى ٱلْـ ... ـمِئَتَيْـنِ مِمَّـا قَـدْ صَنَـعْ
لَـمْ يَـأْلُ فِـي تَصْنِيفِهَـا ... أَخْـذاً بِـأَحْسَـنِ مَـا ٱسْتَمَـعْ
فَهَـدَىٰ بِهَـا ٱلْمُسْتَـرْشِـدِيـ ... ـنَ فَمَـنْ تَصَفَّحَهَـا ٱنْتَفَـعْ
تُتْلَـىٰ مَعَـانِـي كُتْبِـهِ ... فَـوْقَ ٱلْمَنَـابِـرِ فِـي ٱلْجُمَـعْ
وَيَخَـافُ مِـنْ إِفْحَـامِـهِ ... أَهْـلُ ٱلْكَنَـائِـسِ وَٱلْبِيَـعْ
فَهُـوَ ٱلشَّجَـا فِـي حَلْـقِ مَـنْ ... تَـرَكَ ٱلْمَحَجَّـةَ وَٱبْتَـدَعْ
فَعَلَيْـهِ رَحْمَـةُ رَبِّـهِ ... مَـا غَـابَ نَجْـمٌ أَوْ طَلَـعْ

١٦٩ـ أنشدنا الشيخُ أبو الحسين الحسنُ بن المبارك بن محمدٍ البغداديُّ المعروفُ بابنِ الخلِّ ببغداد في المدرسة النِّظَامية لنفسِهِ مِن قصيدةٍ مَدَحَ بها الشيخَ الإمامَ أبا الفتوح محمدَ بن الفضل بن محمد الإسفراينيَّ رحمَهُ الله ، وذكرَ فيها الخلفاءَ ؛ فمنها قولُهُ : [من الرمل]

وَرَعَى ٱلْمُعْتَضِدُ ٱلنَّاسَ فَلَمْ ... يَـكُ لِلْمَظْلُـومِ إِلاَّ وَزَرَا
وَتَـلاَهُ ٱلْمُكْتَفِي بِـٱللهِ عَـنْ[2] ... كُـلِّ شَـيْءٍ يَقْـدُمُ ٱلْمُقْتَـدِرَا
وَٱسْتَشَاطَ ٱلنَّاسُ فِي عَصْرَيْهِمَا ... بِخِـلاَفٍ عَـمَّ حَتَّـى ٱشْتَهَـرَا

(١) في (ط) : (يعطِّل) بدل (تعطل) .
(٢) في (ب) : (المقتدر) بدل (المكتفي) .

مِنْهُـمُ مَـنْ شَبَّـهَ ٱللهَ وَمَـنْ ... لَـمْ يَقُـلْ ذَاكَ أَحَـالَ ٱلْقَـدَرَا
أَثْبَتُـوا رَبّـاً وَلَـٰكِـنْ زَعَمُـوا ... أَنَّـهُ مُمْتَنِـعٌ أَنْ يُبْصَـرَا
وَأَرَادَ ٱللهُ إِيضَـاحَ ٱلْهُـدَىٰ ... حِينَ زَاغُوا بِفَتىً مِنْ أَشْعَرَا
فِي صَمِيمِ ٱلنُّجُبِ ٱلأَنْصَارِ مِنْ ... خَيْـرِ مَـنْ يَـوْمَ حُنَيْـنٍ نَصَـرَا
أَوْضَحَ ٱلْحُجَّةَ حَتَّىٰ ظَهَرَتْ ... وَأَعَـزَّ ٱلْحَـقَّ حَتَّـى ٱسْتَظْهَـرَا

١٧٠ـ وأنشدنا أيضاً الشيخُ الأديب أبو الحسين ابنُ الخلِّ لنفسِهِ من قصيدةٍ مَدَحَ بها الشيخَ الإمامَ أبا المظفر أحمدَ بن الإمام أبي بكرٍ محمدِ بن أحمد بن الحسين الشاشيَّ رحمهما الله [من الخفيف]

حُجَّـةُ ٱلأَشْعَـرِيِّ حُجَّتُنَـا ٱلْعُلْـ ... ـيَا كَمَا قَدْرُهُ ٱلرَّفِيعُ ٱلْعَالِي
اَلْبَعِيدُ ٱلْمَدَىٰ أَبِي ٱلْحَسَنِ ٱلْمُحْـ ... ـسِنِ فِي ٱلنُّصْحِ لِلْوَرَىٰ غَيْرَ آلِ[1]
وَٱلَّذِي أَصَّلَ ٱلأُصُولَ بِوَصْفَيْ ... نَظَـرٍ بِـٱلْيَقِيـنِ وَٱسْتِـدْلاَلِ
لَمْ تَشُبْ صَفْوَ عَقْدِهِ شُبَهُ ٱلتَّشْـ ... ـبِيـهِ فِـي مَعْـزِلٍ عَـنِ ٱلإِعْتِـزَالِ
وَحَّـدَ ٱللهَ مُصْلِتـاً صَـارِمَ ٱلْحَـ ... ـقِّ مُطِيحـاً بِـهِ دَمَ ٱلضُّـلاَّلِ
قَصَـدَ ٱللهُ أُمَّـةً قَصَـدَتْـهُ ... بِـٱلشَّنَـاعَـاتِ بِـٱلْـوَبَا وَٱلْـوَبَالِ
جَهِلُـوا قَـدْرَهُ فَكُـلُّ سَفِيـهٍ ... مِنْهُـمُ جَـاهِـلٌ لِمَـا قَـالَ قَـالِـي

١٧١ـ وأُنْشِدتُ لبعضِ أهل التحقيقِ في مديحِهِ رحمَهُ الله : [رجز]

اَلأَشْعَـرِيُّ مَـا لَـهُ شَبِيـهُ
حَبْـرٌ إِمَـامٌ عَـالِـمٌ فَقِيـهُ
مَـذْهَبُـهُ ٱلتَّـوْحِيـدُ وَٱلتَّنْـزِيـهُ

---

(١) قوله : (أبي الحسن) بدلٌ من (الأشعري) لعدم الفاصل الأجنبي بين البدل والمبدل منه ، و(غير) : حال من الضمير المستتر في (المحسن) .

وَمَـا عَـدَاهُ ٱلنَّفْـيُ وَٱلتَّشْبِيـهُ

فِـي قَـوْلِـهِ عَلَـى ٱلْهُـدَىٰ تَنْبِيـهُ

وَلَيْـسَ فِيمَـا قَـالَـهُ تَمْـوِيـهُ

وَصَحْبُـهُ كُلُّهُـمْ نَبِيـهُ

مَـا فِيهِـمُ إِلاَّ ٱمْـرُؤٌ وَجِيـهُ

فَمَـنْ قَلَـىٰ أَصْحَـابَـهُ سَفِيـهُ

وَمَـنْ رَأَىٰ تَضْلِيلَهُـمْ مَعْتُـوهُ

١٧٢ـ أنشدني الشيخُ الفقيه الشهيدُ أبو الحجَّاج يوسفُ بن دوناسَ الفِنْدَلاوِيُّ رحمه الله فيما أرىٰ لبعضِهم بدمشقَ[١] : [من المجتث]

اَلأَشْعَـرِيَّـةُ قَـوْمٌ قَـدْ وُفِّقُـوا لِلصَّـوَابِ

لَـمْ يَخْـرُجُـوا فِـي ٱعْتِقَـادِ عَـنْ سُنَّـةٍ أَوْ كِتَـابِ[٢]

فَكُـلُّ مَـنْ زَاغَ عَنْهُـمْ مُصَيَّـرٌ لِعَـذَابِ[٣]

* ولبعضِهم في هٰذا المعنىٰ علىٰ هٰذا الوزنِ : [من المجتث]

اَلأَشْعَـرِيَّـةُ قَـوْمٌ قَـدْ وُفِّقُـوا لِلسَّـدَادِ

وَبَيَّنُـوا لِلْبَـرَايَـا طُـرّاً طَـرِيـقَ ٱلـرَّشَـادِ

وَنَـزَّهُـوا ٱللهَ عَمَّـا يَقُـولُ أَهْـلُ ٱلْعِنَـادِ

وَقَـدَّسُـوهُ عَـنِ ٱلْمِثْـلِ جَـلَّ وَٱلأَنْـدَادِ

---

(١) جاء في (و) زيادة مقحمة : (أنشدنا الحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم) وهو ابن المصنف .

(٢) جاء في (هـ ، ط) زيادة مقحمة : (قال شيخنا أبو محمد القاسم : أنشدنيهما عبد الوهاب بن عيسى اليشكري وزادني بعدهما) ، البيت الثالث ، وفيه (مصيره) .

(٣) جاء في هامش (ب) عند هٰذا البيت : (قال الإمام بهاء الدين ـ يعني : ابن المصنف ـ : أنشدناه عبد الوهاب بن عيسى اليشكري بعد أن أنشدنا البيتين اللذين قبله) ، ونحوه في (أ) .

وَنَـــزَّهُـــوهُ عَـــنِ ٱلـــزَّوْ ... جِ عَـــــــــزَّ وَٱلأَوْلاَدِ
وَهُـــمْ نَفَـــوْا عَنْـــهُ مَـــا لاَ ... يَصِـــحُّ فِـــي ٱلإِعْتِقَـــادِ
وَأَثْبَتُـــوا كُـــلَّ وَصْـــفٍ ... يَصِـــحُّ بِـــاٱلإِسْنَـــادِ
فَهُـــمْ بُـــدُورُ ٱلـــدَّيَـــاجِـــي ... وَهُـــمْ هُـــدَاةُ ٱلْعِبَـــادِ
وَهُـــمْ بِحَـــارُ عُلُـــومٍ ... وَهُـــمْ صُـــدُورُ ٱلْبِـــلاَدِ
وَهُـــمْ كِـــرَامُ ٱلسَّجَـــايَـــا ... وَهُـــمْ وُجُـــوهُ ٱلنَّـــادِي[1]
لَـــمْ يَخْـــرُجُـــوا عَـــنْ كِتَـــابٍ ... أَوْ سُنَّـــةٍ فِـــي ٱعْتِقَـــادِ
لَيْسُـــوا أُولِـــي تَعْطِيـــلٍ ... وَلاَ ذَوِي إِلْحَـــــــــادِ

١٧٣ـ أنشدني الشيخُ أبو زكريا يحيى بنُ محمد بنِ يحيىٰ ـ قدمَ من مصرَ ـ لبعضِ أهلِ العصر [من مجزوء الرجز]

إِنَّ ٱعْتِقَـــادَ ٱلأَشْعَـــرِي ... مِثْـــلُ عُقُـــودِ ٱلْجَـــوْهَـــرِ
مَـــا يُنْكِـــرُ ٱعْتِقَـــادَهُ ... غَيْـــرُ جَهُـــولٍ مُفْتَـــرِي
كَـــمْ يَـــدَّعِـــي تَقْصِيـــرَهُ ... مِـــنْ جَـــاهِـــلٍ مُقَصِّـــرِ
لَيْسَـــتْ لَـــهُ مَعْـــرِفَـــةٌ ... بِمُثْمِنَـــاتِ ٱلـــدُّرَرِ
يُـــرِيـــدُ أَنْ يَنَـــالَهَـــا ... جَهْـــلاً بِبَـــذْلِ ٱلْكِسَـــرِ
وَٱلـــدُّرُّ لاَ يُطْمَـــعُ فِـــي ... حُصُـــولِـــهِ لِمُعْسِـــرِ
فَمَـــنْ بَـــدَا إِفْـــلاَسُـــهُ ... فَلَيْـــسَ مِمَّـــنْ يَشْتَـــرِي
وَمَـــنْ غَـــدَا ذَا ثَـــرْوَةٍ ... حَصَّلَـــهُ بِـــاٱلْبِـــدَرِ
وَنَـــالَ مِنْـــهُ مَـــا ٱشْتَهَـــىٰ ... كَـــذَاكَ عِلْـــمُ ٱلأَشْعَـــرِي
مَـــنْ رَامَ أَنْ يَنَـــالَـــهُ ... وَهْـــوَ مِـــنَ ٱلْفَضْـــلِ عَـــرِي

---

(١) في (ط) وحدها : (النوادي) ، ويجوزُ في عروض وضرب المجتث : (مفعولن) مكان (فاعلاتن) دون التزام .

مَـــا ٱكْتَحَلَــتْ أَجْفَـــانُــهُ فِـــي دَرْسِـــهِ بِـــٱلسَّهَـــرِ

وَلاَ لَقَـــــىٰ مُبَــــرِّزاً[١] فِـــي حَضَـــرٍ أَوْ سَفَـــرِ

وَلاَ سَعَـــىٰ فِـــي جَمْعِـــهِ فِـــي أُصُـــلٍ أَوْ بُكَـــرِ

وَلاَ ٱغْتَــدَىٰ مُسْتَــرْشِـــداً فِيـــهِ فُحُـــولَ ٱلنَّظَـــرِ

يَنْظُـــرُ فِيمَـــا ذَكَـــرُوا بِـــٱلسَّبْـــرِ وَٱلتَّفَكُّـــرِ

كَمَـــنْ تَمَنَّـــىٰ سَفَهـــاً نَيْـــلَ ٱلسُّهَـــا وَٱلْمُشْتَـــرِي

أَوْ فَـــاتِـــحٍ قَـــدْ فَـــاتَـــهُ مِفْتَـــاحُ قُفْـــلٍ عَسِـــرِ

فَـــلاَ تُطِـــعْ فِـــي ذَمِّـــهِ كُـــلَّ عَـــدُوٍّ أَبْتَـــرِ

وَٱعْلَـــمْ يَقِينـــاً أَنَّـــهُ مِمَّـــا يَقُـــولُـــونَ بَـــرِي

فَهْـــوَ إِمَـــامٌ عَـــالِـــمٌ مَـــا فَضْلُـــهُ بِمُنْكَـــرِ

شُـــرِّفَ فِـــي عُلُـــومِـــهِ بِفَضْـــلِ طِيـــبِ ٱلْعُنْصُـــرِ

ذُو هِمَّـــةٍ بَكْـــرِيَّـــةٍ عَـــزْمـــاً وَعَـــدْلٍ عُمَـــرِي

وَرَأْفَـــةٍ نُـــورِيَّـــةٍ حِلْمـــاً وَعِلْـــمٍ حَيْـــدَرِي

مَـــا زَاغَ فِـــي ٱعْتِقَـــادِهِ عَـــنْ سُنَّـــةٍ أَوْ خَبَـــرِ

أَوْ حُجَّـــةٍ عَقْلِيَّـــةٍ تَصِـــحُّ فِـــي ٱلْمُعْتَبَـــرِ

مُـــوَحِّـــدٌ فِـــي عَقْـــدِهِ وَمُثْبِـــتٌ لِلْقَـــدَرِ

وَٱلْكَسْـــبَ لاَ يُنْكِـــرُهُ مِثْـــلَ ٱلْجَحُـــودِ ٱلْمُجْبِـــرِ

مُنَـــزَّهٌ لِـــرَبِّـــهِ عَـــنْ مُحْـــدَثَـــاتِ ٱلصُّـــوَرِ

وَعَـــنْ أُفُـــولِ ذَاتِـــهِ كَـــٱلشَّمْـــسِ أَوْ كَـــٱلْقَمَـــرِ

وَهَـــلْ تَكُـــونُ صُـــورَةٌ لِلْخَـــالِـــقِ ٱلْمُصَـــوِّرِ

لأَنَّـــهُ لَيْـــسَ بِـــذِي جِسْـــمٍ وَلاَ بِجَـــوْهَـــرِ

---

(١) انظر ما قيل في كلمة (رَضَىٰ) ، وأنها على لغة طيّئ (ص ٣٣٤) .

وَلاَ تُـــرَىٰ صِفَـــاتُـــهُ ... مِثْـــلَ صِفَـــاتِ ٱلْبَشَـــرِ
لأَنَّـــهُ جَـــلَّ عَـــنِ ٱلْـ ... ـحُـــدُوثِ وَٱلتَّغَيُّـــرِ
وَلَيْـــسَ يَنْفِـــي صِفَـــةً ... لَـــهُ كَنَفْـــيِ ٱلْمُنْكِـــرِ
بَـــلْ يُثْبِـــتُ ٱلْحَيَـــاةَ وَٱلْـ ... ـقُـــدْرَةَ لِلْمُقْتَـــدِرِ
وَٱلْعِلْـــمَ لَـٰكِـــنْ لاَ يَـــرَى ٱلْـ ... ـعِلْـــمَ كَعِلْـــمِ نَظَـــرِي
وَأَنَّـــــهُ أَرَادَ مَـــــا ... كَـــانَ مِـــنَ ٱلْمُقَـــدَّرِ
وَيُثْبِـــتُ ٱلسَّمْـــعَ كَمَـــا ... يُثْبِـــتُ وَصْـــفَ ٱلْبَصَـــرِ
وَيُثْبِـــتُ ٱلْقَـــوْلَ وَلاَ ... يَجْحَـــدُهُ كَـــٱلْقَـــدَرِي
وَلاَ يَـــرَى ٱلْمَسْطُـــورَ فِـــي ٱلْـ ... أَلْـــوَاحِ نَفْـــسَ ٱلأَسْطُـــرِ
وَيُثْبِـــتُ ٱسْتِـــوَاءَهُ ... كَمَـــا أَتَـــىٰ فِـــي ٱلسُّـــوَرِ
وَيُثْبِـــتُ ٱلنُّـــزُولَ لاَ ... كَهَـــابِـــطٍ مُنْحَـــدِرِ[1]
مِـــنْ غَيْـــرِ تَشْبِيـــهٍ كَمَـــا ... يُثْبِـــتُ أَهْـــلُ ٱلأَثَـــرِ
وَلاَ يُعَـــادِي أَحَـــداً ... مِـــنْ صَحْـــبِ خَيْـــرِ ٱلنُّـــذُرِ
بَـــلْ يَتَـــوَالَـــىٰ صَحْبَـــهُ ... وَٱلآلَ خَيْـــرَ ٱلْعِتَـــرِ
وَيَعْـــرِفُ ٱلْفَضْـــلَ لَهُـــمْ ... كَمَـــا أَتَـــىٰ فِـــي ٱلسِّيَـــرِ
وَلاَ يَـــرَى ٱلْمُسْلِـــمَ فِـــي ... بِـــدْعَتِـــهِ بِمُكْفَـــرِ
فَهَـــلْ تَـــرَىٰ فِـــي عَقْـــدِهِ ... مِـــنْ بِـــدْعَـــةٍ أَوْ مِـــنْ فَـــرِي
فَكُـــنْ بِـــهِ مُسْتَمْسِكـــاً ... فَـــإِنَّـــهُ ٱلْعَقْـــدُ ٱلسَّـــرِي
وَحِـــزْبُـــهُ زَيْـــنُ ٱلْـــوَرَىٰ ... أَكْـــرِمْ بِهِـــمْ مِـــنْ مَعْشَـــرِ
كَـــمْ بَحْـــرِ عِلْـــمٍ زَاخِـــرٍ ... وَبَـــدْرِ تِـــمٍّ مُقْمِـــرِ
مِنْهُـــمْ وَمِـــنْ مُقَـــدَّمٍ ... قَـــدْ حَـــازَ عِـــزَّ مَفْخَـــرِ

---

(١) في (ب) : (لهابط) بدل (كهابط)

وَنَالَ حُسْنَ مَنْظَرٍ حَقّاً وَطِيبَ مَخْبَرِ
لاَ يَمْتَرِي فِي فَضْلِهِمْ إِلاَّ حَسُودٌ مُمْتَرِي
هُمُ دَرَارِي أَنْجُمٍ وَهُمْ لآلِي أَبْحُرِ
بِحُبِّهِمْ يَنْجُو ٱلَّذِي يُحِبُّهُمْ فِي ٱلْمَحْشَرِ
فَرَحْمَةُ ٱللهِ عَلَىٰ أَمْوَاتِهِمْ فِي ٱلْحُفَرِ
وَأَيَّدَ ٱلْبَاقِينَ فِي ٱلْـ ـوِرْدِ وَحِينَ ٱلصَّدَرِ[1]

* * *

(١) جاء في (ب) : (بلغ السماع) .
وقبل ختمِ الحديثِ عن فضائل الشيخ الأشعري وأتباع مدرسته يحسن نقلُ ما قاله العلامة المحدث النحوي الإمام اللَّبْليُّ في « فهرسته » (ص ١٢١) حيث قال : (ولولا خوفُ الإطالة وخشيةُ السآمة . . لأوردتُ مِن كلام الأئمَّة فيه وثنائِهم عليه ، وذكرت مَن هو منتسبٌ من العلماء إليه ، ومَن هو على أئمَّةِ قادة مذهبه ، لـٰكن اقتصرت على هـٰذا النزر اليسير في ثناء الأئمَّة عليه ؛ في علمه وزهده وورعه واجتهاده في عبادته ، وتصديه للردِّ على المبتدعة وعلى الخارجين من الملَّة ، وعدد مصنفاته ، ناقلاً ذلك من كلام الأئمة الثقات الأثبات ؛ أئمة الهدىٰ ومصابيح الدجىٰ ، فصححوا الآثار ، ونفَوا التحريفَ والكذب عن الأخبار ، الذين لا ريبَ في عدالتهم ، ولا نزاعَ في أمانتهم ؛ كالإمام الحافظ أبي عبد الله النيسابوري إمام أهل الحديث في عصره ، وكالحافظ أبي نُعيم الأصبَهاني مصنف « حلية الأولياء » و« طبقة الأصفياء » وغيرهما من مصنفاته ، وكالإمام الحافظ شيخ السنة أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي مصنف كتاب « معرفة السنن والآثار » وغيرها ، وكالإمام الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي صاحب كتاب « تاريخ بغداد » وغيره ، وكالأمير الحافظ أبي نصر علي بن هبة الله بن ماكولا ، وكالإمام الحافظ فخر الحفاظ شيخ الإسلام محدِّث الشام ناصر السنة قامع البدعة أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الشافعي الدمشقي ، وغيرهم من الأئمَّة ممَّن هو مذكور في أثناء هـٰذا المجموع ، فعن هـٰؤلاء الأئمَّة الثقات الأثبات نقلتُ ما أوردته من أخبار الإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه وأصحابه ؛ لئلا يقعَ شكٌّ أو يتخالجَ فيما نوردُ مِن أخبارهم ريبٌ) .

بابُ

ذِكْرُ جماعةٍ مِنْ أعيانِ مشاهيرِ أصحابِهِ

إذْ كانَ فضلُ المقتدِي يدلُّ على فضلِ المُقتدَىٰ بهِ

وَقدْ قسمتُهُمْ خمسَ طبقاتٍ، وَجدْتُها على تصحيحِ قولِهِ مُتفقاتٍ :

فالطّبقةُ الأولى

هُمْ أصحابُهُ الّذينَ أخذُوا عنهُ(*)، وَمَنْ أدركَهُ مِمّنْ قالَ بقولِهِ أوْ تعلّمَ منهُ

(*) وأخَصُّهم أربعة ؛ فقد قال الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٦٨) : (وأخَصُّهم بالشيخ ـ أي : بالشيخ أبي الحسن الأشعري ـ أربعةٌ : ابن مجاهد ، وأبو الحسن الباهلي ، وبندار ، وأبو الحسن الطبري) .

فمنهم :

أبو عبد الله بن مجاهد البصري رحمه الله

١٧٤ـ **أخبرَنا** الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيم بن العباس الحسينيُّ الخطيبُ ، وأبو الحسن عليُّ بن أحمد بن منصور الغسَّاني الفقيهُ بدمشقَ ، وأبو منصورٍ محمدُ بن عبد الملك ابن خيرون المقرئ ببغدادَ قالوا حدثنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت الخطيبُ الحافظُ البغداديُّ قال (**محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد ، أبو عبد الله الطائيُّ المتكلِّم** : صاحبُ أبي الحسن الأشعريِّ ، وهو من أهل البصرة ، سكنَ بغدادَ ، **وعليه درسَ القاضي أبو بكرٍ محمدُ بن الطيِّب الكلام**[1] ، وله كُتُبٌ حسانٌ في الأصول[2] ،

---

(١) وهو الذي ألحَّ عليه بالمجاهرة في مناظرة القدرية وغيرهم من أهل البدع ، فقال له الإمام ابنُ مجاهد ـ وقد كان يأبى الظهور ـ : (إذا شرح الله لك صدرك لذلك . . فافعل) ، وانظر خبره معه فيما تقدَّم تعليقاً (ص ٢٦٦) .

(٢) قال القاضي عياض في « ترتيب المدارك » (٦/١٩٦) : (له كتابٌ في أصول الفقه على مذهب مالك ، ورسالتُهُ المشهورة في الاعتمادات على مذهب أهل السنة التي كتب بها إلى أهل باب الأبواب ، وكتاب « تهدية المتبصِّر ومعونة المستنصر » ، وتواليف أخرى) **فهو من أئمة السادة المالكية** ، ومن أعلام المحدثين ؛ فقد ذكر القاضي أيضاً أنه سمع « صحيح البخاري » من أبي زيد المروزي ، وأنه رأى سماعه في كتاب الأَصِيلي بخطِّهِ ، واستجاز الشيخ أبا محمد بن أبي زيد في كتابي « المختصر » و« النوادر » .

وروى عنه الخطيبُ في « تاريخ بغداد » (١/ ٣٦٠) لبعضِهم البيتينِ الذائعينِ في مدح علم الكلام ـ وسيأتيان من رواية المصنف من طريقه برقم (٣٨١) ـ وهما : [من الخفيف]

أيُّهـا المغتـدي ليطلـبَ علمـاً ... كـلُّ علـمٍ عبـدٌ لعلـمِ الكـلامِ

تطلـبُ الفقـهَ كـي تُصحِّـحَ حُكمـاً ... ثـمَّ أغفلْـتَ منـزلَ الأحكـامِ

وذكرَ لنا غيرُ واحد من شيوخنا عنه : أنَّه كان ثَخِينَ السِّتْرِ ، حَسَنَ التديُّن ، جميلَ الطريقة ، وكان أبو بكرٍ البَرْقانيُّ يُثْني عليه ثناءً حسناً ، وقد أدركَهُ ببغداد فيما أحسبُ ، والله أعلم)[1]

أبو بكر البرْقانِيُّ[2] هو أحمدُ بن محمد بن أحمد بن غالبِ الخوارزميُّ ، شيخُ الخطيب ، وكان فقيهاً حافظاً متقناً[3]

* * *

---

(١) أورده الحافظ الخطيب البغدادي في « تاريخه » (١/ ٣٦٠) .

(٢) بكسر الباء وفتحها كما نبَّه عليه الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٤/ ٤٧) .

(٣) ومما جاء في فضل الحافظ البرقاني : ما رواه الحافظ البغدادي في « تاريخه » (٥/ ١٤٠) قال : (دخل إليه محمد بن علي الصوري قبل وفاته بأربعة أيام ، فقال له : هـٰذا اليوم السادس والعشرون من جمادى الآخرة ، وقد سألتُ اللهَ أن يؤخِّرَ وفاتي حتىٰ يهلَّ رجب ؛ فقد رُوِيَ أن لله فيه عتقاءَ من النار ، عسىٰ أن أكون منهم ، قال الصوري : وكان هـٰذا القول يوم السبت ، فتوفي صبيحةَ يوم الأربعاء مستهلَّ رجب) .
توفي الإمام ابن مجاهد سنة (٣٧٠ هـ)

وَمِنهُم :

أبو الحسن الباهليُّ البصريُّ رحمه الله [1]

١٧٥ـ أخبرَني الشيخُ أبو المظفرِ أحمدُ بن الحسن بن محمد الشَّعِيريُّ ببِسْطامَ قال : أخبرنا جدِّي لأمِّي أبو الفضلِ محمدُ بن علي بن أحمد السَّهْلَكيُّ قال : حكىٰ لي واحدٌ من أهل العلم والتصوُّف عن القاضي أبي بكر بن الباقلانيِّ رحمه الله قال كنتُ أنا والأستاذُ أبو إسحاق الإسفرايينيُّ والأستاذ ابنُ فُورَكَ ـ رحمهما الله ـ معاً في درس الشيخ أبي الحسن الباهليِّ تلميذِ الشيخِ أبي الحسن الأشعريِّ

قال القاضي أبو بكرٍ كان الشيخُ الباهليُّ يدرِّس لنا في كلِّ جُمُعة مرَّةً واحدةً ، وكان منَّا في حجابٍ ؛ يرخي السترَ بيننا وبينَهُ كي لا نراه

قال : وكانَ مِنْ شدَّة اشتغالِهِ بالله تعالىٰ مثلَ والهٍ أو مجنونٍ ، لم يكنْ يعرفُ مبلغَ درسِنا حتىٰ نذكِّرَهُ ذلك !

قال : وكنَّا نسألُ عن سببِ النِّقابِ وإرسالِ الحجاب بينَهُ وبين هٰؤلاء الثلاثة كاحتجابِهِ عن الكلِّ ؟

فأجابَ : بأنَّكم ترون[2] السوقةَ ، وهم أهلُ الغفلة ، فتروني بالعينِ التي ترونَهم .

---

(١) وهو ممن اشتهر بكنيته ، ولم يذكروا اسمه ، قال عنه الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٦/ ٤٦٧) : (كان من أذكياء العالم ، مع الدين والتعبُّد)

(٢) في (أ) : (بأنهم يرون)، وفي (ب ، و) : (إنهم يرون) ، وفيما سيأتي : (يرونهم) .

قال : وكانَتْ له أيضاً جارية تخدمه ، فكان حالها أيضاً كحال غيرها معه من الحجاب وإرخاءِ الستر

١٧٦ـ قال أبو المظفر وسمعتُ جدِّي يقول : سمعتُ سفيانَ المتكلمَ الصوفيَّ رحمه الله يقول : سمعتُ أحمدَ الفريماني[١] رحمه الله يقول : سمعتُ الأستاذ أبا إسحاق رحمه الله يقول : **(كنتُ في جَنْبِ الشيخ أبي الحسن الباهليِّ كقطرة في البحر ، وسمعتُ الشيخ أبا الحسن الباهليَّ قال : كنت أنا في جَنْبِ الشيخ الأشعريِّ كقطرة في جنب البحر)**[٢]

* * *

---

(١) في (ط) وحدها : (الفرساني) ، وقد تقدمت رواية هذا الخبر برقم (١٣٦) عن (العريماني) بدل (الفريماني) إلا في (و) فهو موافق لما هنا ، والله أعلم بالصواب .

(٢) تقدم برقم (١٣٦) ، وذكره والذي قبله الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٦/ ٤٦٧) ، والإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٦٩) .
وممَّا يحسن إيراده هنا تذكيراً وتتميماً لترجمة الإمام الباهلي : ما تقدَّم ذكره للمصنف (ص ٢٧٨) حيث قال **(وممَّن تخرَّجَ به ـ يعني : الشيخ الأشعري ـ ممَّن اختلف إليه واستفاد منه : المعروف بأبي الحسن الباهليِّ** ، وكان إمامياً في الأوَّل ، رئيساً مقدَّماً ، فانتقل عن مذهبِهِم بمناظرةٍ جرَتْ له مع الشيخ أبي الحسن الأشعريِّ ، ألزمَهُ فيها الحُجَّة ، حتىٰ بانَ له الخطأُ فيما كان عليه من مذاهب الإماميَّة ، فتركها واختلفَ إليه ، ونشرَ علمَهُ بالبصرة ، واستفادَ منه الخلْقُ الكثيرون) .
توفي الإمام أبو الحسن الباهلي في العقد السابع من القرن الهجري الرابع ، والله أعلم .

وَمِنهم :

أبو الحسين بُندارُ بنُ الحسين الشيرازيُّ الصوفيُّ

خادمُ أبي الحسن رحمهما الله

١٧٧ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافرِ في كتابهِ قال : أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن يحيى بن إبراهيم المُزَكِّي ، أخبرنا أبو عبد الرحمـٰنِ محمدُ بن الحسين السلميُّ في كتاب « تاريخ الصوفية » قال : (بُندارُ بن الحسين بن محمد بن المهلب ، أبو الحسين : من أهل شيرازَ، سكن أرَّجانَ ، وكان عالماً بالأصول ، له اللسانُ المشهور في علم الحقيقة ، كان الشبليُّ يكرمُهُ ويقدِّمُهُ ، وبينه وبين محمدِ بن خفيفٍ مفاوضاتٌ في مسائلَ ، ردَّ علىٰ محمد بن خفيفٍ في مسألة الإغانة وغيرها[1] ، حين ردَّ محمدُ بن خفيف علىٰ أقاويل المشايخ ؛ فصوَّبَ بُندارٌ أقاويلَ المشايخ ، وردَّ عليه ما ردَّ عليهم)[2]

* قال أبو عبد الرحمـٰن السلميُّ سمعتُ عبد الواحد بن محمد يقول : (تُوفِّي بُندارٌ سنةَ ثلاث وخمسين وثلاث مئة ، وغسَّلَهُ أبو زرعةَ الطبريُّ)[3]

---

(١) في (ط): (الإيمان) بدل (الإغانة)، وهو تصحيف، ومسألة الإغانة: الباحثة في قوله عليه الصلاة والسلام: «إنه ليغان على قلبي. .»، نقل الإمام السلمي في «طبقات الصوفية» (ص٣٩٣) عن بندار قوله: (استحسنت لأبي بكر بن طاهر قوله في الإغانة: إن الله أطلع نبيه ﷺ على ما يكون في أمته من بعده من الخلاف، وما يصيبهم فيه، فكان إذا ذكر ذلك وجد إغانة في قلبه منه، فاستغفر لأمته ﷺ)، وجاء (ص ٤٦٩) أنها ثقل الأوامر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ٥] إلى حين التزامها والتلبُّس بها.

(٢) وحكىٰ هـٰذا أيضاً في « طبقات الصوفية » (ص ٤٦٧) ، وله ترجمة مقتضبة في « حلية الأولياء» (١٠/ ٣٨٤)، والبندارُ : الذي يكثرُ مِن جمعِ شيءٍ ، ويطلق على الحافظ للحديث .

(٣) كذا في « طبقات الصوفية » (ص ٤٦٧)

١٧٨ـ أخبرَنا الشيخُ أبو السعود أحمدُ بن علي بن محمد بن المُجْلِيِّ الواعظُ ببغداد ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن علي بن ثابتٍ الخطيبُ الحافظُ قال : أخبرنا محمدُ بن أبي علي الأصبَهانيُّ قال سمعتُ أبا بكر النسويَّ يقول : سمعتُ بُندارَ بن الحسين يقول : (مَن مشىٰ في الظُّلَمِ إلىٰ ذي النِّعَم . . أجلسَهُ علىٰ بساطِ الكرم ، ومَنْ قطعَ لسانَهُ بشَفْرةِ السكوت . . بُنيَ له بيتٌ في الملكوت ، ومَن واصلَ أهلَ الجهالة . . أُلبسَ ثوبَ البطالة ، ومَنْ أكثرَ ذكرَ الله تعالىٰ . . شغلَهُ عن ذكرِ الناس ، ومَنْ هربَ مِنَ الذنوب . . هُرِبَ به من النار ، ومَن رجا شيئاً . . طلبَهُ)[١]

* قال أبو بكرٍ الخطيبُ (بُندارُ بن الحسين الصوفيُّ : كان من أهل الفضل ، والمتميزين بالمعرفة والعلم ، ويُحكىٰ عنه حكاياتٌ كثيرة ، ولم نكتبْ له مسنداً غيرَ حديث واحدٍ :

أخبرنيهِ أبو سعدٍ أحمدُ بن محمد بن أحمد بن عبد الله المَالِينِيُّ ، أخبرنا أبو أحمدَ عبدُ الله بن عمر بن عبد العزيز السُّكَّريُّ قال : حدثنا أبو الحسينِ بُندارُ بن الحسين ، حدثنا إبراهيمُ بن عبد الصمد ، حدثنا الحسينُ بن الحسن ، حدثنا عبدُ الرحمـٰن بن مهدي ، حدثنا زهيرُ بن محمد ، عن موسى بن وَرْدانَ ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ٱلْمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالُّ »)[٢]

---

(١) أورده الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٢٢٥) .

(٢) يُخَالُّ : كذا في النسخ ، علىٰ لغة الإدغام وهي الأصل ، وكذا رواها الإمام ابن السبكي من طريق الحافظ الخطيب كما في مطبوع « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٢٢٥) ، يقال : خالَّ الرجلُ الرجلَ ؛ بمعنىٰ : صحبه وعاشره ، وفي (ط) وحدها : (يخالل) بالفكّ ، والحديث المرفوع رواه أبو داود (٤٣٨٨) ، والترمذي (٢٣٧٨) وقال : (هـٰذا حديث حسن غريب) .

١٧٩ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الحسن بن إسماعيلَ الفارسيُّ في كتابه ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ أبي زكريا بن أبي إسحاقَ ، أخبرنا محمدُ بن الحسين الصوفيُّ قال : سمعتُ عبدَ الواحد بن محمد يقول : سمعت بُنداراً يقول :

أوَّلُ ما دخلتُ على الشبليِّ وكان معي جَهازٌ نحوُ أربعينَ ألفَ دينارٍ[١] ، فنظرَ الشبليُّ في المرآةِ فقال : يا أبا [الحسينِ][٢] ؛ المرآةُ تقولُ : إنَّ ثَمَّ سببٌ[٣] ، فقلتُ : صَدَقَ المرآةُ ، فحملْتُ إليه ستَّ بِدَرٍ[٤] ، ثم بعد ذلك نظرَ في المرآة وقال : المرآةُ تقول : إنَّ ثَمَّ سببٌ ، فقلتُ : صدقَ المرآةُ ، فحملْتُ إليه ثلاثَ بِدَرٍ ، فكلَّما اجتمعَ عندي مِن جَهازي شيءٌ . . كان ينظرُ في المرآةِ ويقول : المرآة تقولُ إنَّ ثَمَّ سببٌ ، حتىٰ حملتُ جميعَ مالي إليه ، فنظرَ في المرآةِ وقال : المرآةُ تقولُ : ليسَ ثَمَّ سببٌ ، قلتُ : صدقَ المرآةُ[٥]

١٨٠ـ أخبرَنا الشيخُ أبو نصرٍ عبدُ الرحيم بن عبد الكريم بن هوازنَ في كتابه قال : سمعتُ أبي الأستاذَ أبا القاسم يقول : كان الأستاذُ أبو بكر بن فُورَكَ

---

(١) الجَهاز : ما يكون مع المسافر ويحتاج إليه ، وهو هنا مالُ التجارة كما تبيِّنُهُ الرواية الآتية ، قال سبحانه : ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ [يوسف : ٥٩] .

(٢) في جميع النسخ في هٰذا الموضع : (الحسن) ، وهو صدرَ الترجمة وفي كتب الترجمات : (أبو الحسين) .

(٣) كذا بالرفع باتفاق النسخ ، ويكون اسم (إنَّ) ضمير الشأن المحذوف ، وكُسرت لأنها حُكيت بالقول ، وتُفتح بتضمين (تقول) معنى : (تخبر) ، أو أنها (أنْ) الخفيفة بفتح الهمزة، وتكون زائدة، أو بكسرها، فتكون مخففة ، أو رسمت (سبب) على لغة ربيعة

(٤) البدرة : كيسٌ فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار . انظر « تاج العروس » (ب د ر) .

(٥) ذكرها الحافظُ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٠٩/١٦) عن السلمي ، وهو يكثر النقل عن « تاريخ الصوفية » له إن ترجم لهم ، وقد نعت الحافظ الذهبي بُنداراً بشيخ الصوفية ، والعلامةُ الصفدي في « الوافي بالوفيات » (١٠/ ١٨٤) ، واسم (إنَّ) في الخبر ضمير الشأن وقد حذف .

رحمه الله يحكي عن بُندار بن الحسين الشيرازيّ : أنَّه كانَ من أصحاب الشبليِّ ، وكان أبوهُ جَهَّزَهُ إلىٰ بغدادَ للتجارة ، فوقعَ إلىٰ مجلس الشبليّ ، فأثَّرَ فيه كلامُهُ ، فأمرَهُ الشبليُّ بالخروج عن المال ، فكان كلَّما حضرَ الشبليَّ . . نظرَ الشبليُّ في مرآةٍ عنده ، وكان يقول : المرآة تقول : قد بقيَ شيءٌ ، وكانَتِ المرآةُ على الحقيقةِ قلبَهُ ، فكان بندارٌ يقول : صدقَتِ المرآةُ .

وكان الشبليُّ يكثرُ النظرَ في المرآةِ ، فسُئِلَ عن ذلك ! فقال : بيني وبين الله عهدٌ إن ملتُ عنه . . عاقبني ، فأنا أنظرُ في كلِّ ساعةٍ في المرآة : هل اسودَّ وجهي ؟

فلمَّا لم يبقَ لبُندارٍ شيءٌ . . قال الشبليُّ المرآةُ تقولُ : لم يبقَ شيءٌ ، فقال صدقَتِ المرآةُ[1] ، فقال الشبليُّ : فاخرجِ الآنَ من الجاهِ ، فجعلَ يدورُ علىٰ معارفِهِ يُكدِي[2] ، فكان بعضُهم يقول : مسكينٌ ، وبعضُهم يقول : مجنونٌ

قال بندارٌ : فما كان شيءٌ أصعبَ عليَّ من الخروج من الجاهِ ، والرجلُ كلُّ الرجلِ مَن طُهِّرَ عن مُرَاءاة الخلْقِ .

١٨١ـ أخبرَنا الشيخُ أبو المظفر بنُ الأستاذ أبي القاسم القشيريُّ قال : قال لنا أبي : (أبو الحسينِ بندارُ بن الحسين الشيرازيُّ : كان عالماً بالأصول ، كبيراً في الحالِ ، صحبَ الشبليَّ ، مات بأرَّجَانَ سنةَ ثلاثٍ وخمسين وثلاث مئة .

قال بندارُ بن الحسين : لا تخاصمْ لنفسِكَ ؛ فإنَّها ليسَتْ لكَ ،

---

(١) في (هـ) وحدها : (صدقَتِ المرآةُ ، صدقَتِ المرآةُ) مكررة .

(٢) يقال : أكدىٰ يكدي ؛ إذا ألحَّ في المسألة ، وضبطت في (أ ، ب ، هـ) : (يُكدِّي) على المبالغة .

دعها لمالكِها يفعلُ بها ما يريدُ[1]

وقال بندارٌ : صحبةُ أهلِ البدعِ تورثُ الإعراضَ عن الحقِّ[2]

وقال بندارٌ : اتْرُكْ ما تهوىٰ لِمَا تأمُلُ)[3]

* * *

(١) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٤٦٨) .

(٢) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٤٦٩) .

(٣) روى قولَ بندار السلميُّ في « طبقات الصوفية » (ص ٤٦٨) ، وانظر « الرسالة القشيرية » (ص٢٢١)

ومنهم :

أبو محمدٍ الطبريُّ المعروفُ بالعراقيِّ رحمه الله

١٨٢ـ كتب إليَّ الشيخُ الإمامُ أبو نصرٍ عبدُ الرحيم بن عبد الكريم القُشيريُّ قال : أخبرنا الأستاذُ أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين بن علي الحافظُ ، أخبرنا أبو عبدِ الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ[1] قال : (**عبدُ الله بن علي بن عبد الله ، القاضي أبو محمدٍ الطبريُّ** ، ويُعرف بالعراقيِّ ، وأهلُ جُرجانَ يعرفونه بالمنجنيقيِّ ، وقد كان ولي قضاءَ جُرجانَ قديماً ، وقلَّما رأيتُ من الفقهاءِ أفصحَ لساناً منه ، **يناظرُ علىٰ مذهبِ الشافعيِّ في الفقه ، وعلىٰ مذهبِ الأشعريِّ في الكلام** ، وَرَدَ نيسابورَ غير مرةٍ ، وآخرُها أنِّي صحبتُهُ سنةَ تسعٍ وخمسين ـ يعني : وثلاثِ مئةٍ ـ مِن نيسابورَ إلىٰ بُخارىٰ ، ثم تُوفِّيَ بقربِ ذلك ببُخارىٰ رحمَهُ اللهُ)

سمعَ بخراسانَ : عمرانَ بن موسىٰ وأقرانَهُ ، **وبالعراق** : أبا محمد بن صاعدٍ وأقرانَهُ

رویٰ عنه الحاكم[2]

* * *

---

(١) يعني : الحاكم في « تاريخه » ، وانظر « الأنساب » للسمعاني (١٢/ ٤٤٨)

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٦/ ٢٤٣) ، و« طبقات الشافعيين » للحافظ ابن كثير (ص ٢٨٤) .

وَمِنهم :

أبو بكرٍ القفَّالُ الشَّاشيُّ الفقيهُ رحمه الله [1]

١٨٣ ـ قرأتُ على الشيخ أبي القاسمِ زاهرِ بن طاهر الشَّحَّامِيِّ ، عن أبي بكرٍ أحمدَ بن الحسين البيهقيِّ قال قال لنا الحاكم أبو عبدِ الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ : (**محمدُ بن علي بن إسماعيل ، الفقيهُ الأديب ، أبو بكرٍ الشاشيُّ إمامُ عصرِهِ بما وراء النهر للشافعيين ، وأعلمُهم بالأصول [2] ، وأكثرهم رحلة في طلب الحديث** .

---

(١) جاء في هامش (هـ) حاشية : (قال ابن الصلاح رحمه الله في كتاب « طبقات الفقهاء الشافعية » [١/ ٢٢٨] : محمد بن علي بن إسماعيل ، أبو بكر الشاشي القفال الكبير : علم من أعلام المذهب رفيع ، ومجمع علوم هو بها عليم ولها جَموع ، سمع ـ فيما حكاه الحاكم ـ الحديثَ بخراسان من الإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وأقرانه ، وبالعراق من عبد الله بن إسحاق المدائني ، ومحمد بن جرير الطبري ، وأبي بكر الباغندي ، في آخرين من طبقة تقع قبل طبقة البغوي وأقرانه ، وبالجزيرة من أبي عروبة وأقرانه ، وبالشام من أبي الجهم وأقرانه ، وبالكوفة من عبد الله بن ريذان وأقرانه ، وحدث .
روىٰ عنه الحاكم وغيره ، وكان ورد نيسابور أولاً على الإمام أبي بكر بن خزيمة ، ثم توجه إلى العراق وقد مات أبو العباس ابن سريج ، فأخذ عن أقرانه وبعض أصحابه .
وذكر الشيخ أبو إسحاق عنه أنه درس علىٰ أبي العباس ابن سريج ، والأظهر عندنا : أنه لم يدرك ابن سريج ، وهو الذي ذكره المطوعي في كتابه .
توفي رحمه الله بالشاش ، في ذي الحجة ، سنة خمس وستين وثلاث مئة ، حكاه الحاكم ، وقال الشيخ أبو إسحاق : مات سنة ست وثلاثين وثلاث مئة ، وهـٰذا وهمٌ قطعاً) .

(٢) وممَّا يبرز مكانته في الأصول : ما نقله الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٢٠٢) عن أبي محمد الجويني في « شرح الرسالة » : أنَّ القفال أخذَ علم الكلام عن الأشعري ، وأن الأشعري كان يقرأ عليه الفقه كما كان هو يقرأ عليه الكلام ، قال الإمام ابن السبكي مُعلِّقاً : (وهـٰذه الحكايةُ كما تدلُّ علىٰ معرفته بعلم الكلام ـ وذلك لا شكَّ فيه ـ كذلك تدلُّ علىٰ أنَّه أشعريٌّ) .

سمعَ بخراسانَ وبالعراقِ وبالجزيرةِ وبالشامِ .

تُوفِّي الفقيهُ أبو بكر القفَّالُ بالشَّاشِ في ذي الحجة سنةَ خمسٍ وستينَ وثلاثِ مئة

كتبتُ عنه وكتبَ عنِّي بخطِّ يدِهِ)[1]

١٨٤ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمد بن عمر بن السمرقنديِّ ببغداد ، حدثنا الشيخ الإمام أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن علي بن يوسف الشيرازيُّ الفيروزاباديُّ رحمه الله قال : (أبو بكرٍ ، محمدُ بن علي بن إسماعيلَ القفَّالُ الشاشيُّ : درسَ علىٰ أبي العباس ابن سُريجٍ[2] ، وكان إماماً ، وله مصنفاتٌ كثيرة ليس لأحدٍ مثلُها ، وهو أوَّلُ مَن صنَّفَ الجدلَ الحسنَ من الفقهاء ، وله كتابٌ في أصول الفقه ، وله « شرح الرسالة » ، وعنه انتشرَ فقهُ الشافعيِّ فيما وراء النهر)[3]

---

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٢٠١) .

(٢) قال الحافظ ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ٢٢٩) : (ذكر الشيخ أبو إسحاق عنه أنه درس علىٰ أبي العباس ابن سريج ، والأظهر عندنا : أنه لم يدرك ابن سريج) ، وقال الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٢٠٢) : (ومولده فيما ذكره ابن السمعاني سنة إحدىٰ وتسعين ومئتين ، فيكون عمره حين توفي ابنُ سريج سبعَ سنين ، ويكون قد جاوز العشرين يوم موت الأشعري بسنوات ، على الخلاف في وفاة الأشعري) .

(٣) انظر « طبقات الفقهاء » للإمام الشيرازي (ص ١١٢) ، وقد ذكر الإمام الشيرازي أنَّه مات في سنة ستٍّ وثلاثين وثلاث مئة ، ولم يحكِ المصنف ذلك فيما نقل عنه ، بل ذهب إلىٰ أن وفاته كانت سنة (٣٦٥ هـ) كما أثبته أوَّلاً ، وقد قال الحافظ ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ٢٢٩) : (قال الشيخ أبو إسحاق : « مات سنة ست وثلاثين وثلاث مئة » ، وهو وهم قطعاً) ، وانظر أيضاً « تهذيب الأسماء واللغات » (٢/ ٥٥٦) ، وقال في التفريق بين القفال الكبير والصغير : (واشترك القفَّالان في أنَّ كلَّ واحد منهما : أبو بكر القفال الشافعي ، لـٰكن يتميزانِ بما ذكرنا من مظانِّهما ، ويتميزانِ أيضاً بالاسم والنسب ؛ =

١٨٥ـ وبلغني أنَّه كان في أوَّلِ أمرِهِ مائلاً عن الاعتدالِ ، قائلاً بمذاهبِ أهل الاعتزالِ ، والله أعلم[١]

* * *

= فالكبيرُ شاشيٌّ ، والصغيرُ مروزيٌّ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٦/ ٣٤٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٢٠٠) .

(١) علَّقَ الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٢٠١) علىٰ كلمة الحافظ ابن عساكر فقال : (**قلت** : وهـٰذه فائدةٌ جليلة ، انفرجَتْ بها كربةٌ عظيمة ، وحسيكة في الصدر جسيمة ؛ وذلك أن مذاهب تُحكىٰ عن هـٰذا الإمام في الأصول لا تصحُّ إلا علىٰ قواعد المعتزلة ، وطالما وقعَ البحثُ في ذلك ، حتىٰ تُوهِّمَ أنَّه معتزليٌّ ، واستندَ المتوهِّمُ إلىٰ ما نُقِلَ أنَّ أبا الحسن الصفَّار قال : سمعتُ أبا سهلِ الصُّعلوكيَّ وسئل عن تفسير الإمام أبي بكر القفال ؛ فقال : قدَّسَهُ من وجهٍ ، ودنَّسَهُ من وجهٍ ؛ أي : دنَّسَهُ من جهة نصرة مذهب الاعتزال .

قلت : وقد انكشفَتِ الكربةُ بما حكاه ابن عساكر ، وتبيَّنَ لنا بها أنَّ ما كان من هـٰذا القبيل ؛ كقوله : « يجب العملُ بالقياسِ عقلاً ، وبخبرِ الواحد عقلاً » وأنحاءِ ذلك . . فالذي نراه أنَّه لمَّا ذهبَ إليه كان علىٰ ذلك المذهبِ ، فلمَّا رجعَ . . لا بدَّ أن يكونَ قد رجعَ عنه ؛ فاضبطْ هـٰذا) ، وقال : (لما وقفتُ علىٰ ما حكاه ابنُ عساكر . . انشرحَتْ نفسي له ، وأوقعَ اللهُ فيها أنَّ هـٰذه الأمورَ أشياءُ كان يذهبُ إليها عند ذهابه إلىٰ مذهب القوم ، ولا لومَ عليه في ذلك بعد الرجوع)

وَمِنهُم :

أبو سهلٍ الصُّعلوكيُّ النيسابوريُّ رحمه الله[1]

* ذكرَ الأستاذُ أبو بكر بن فُورَكَ : أنَّ أبا سهلٍ رحلَ إلى العراق وقتَ الشيخ أبي الحسن ، ودرس عليه .

١٨٦ـ كتبَ إليَّ الشيخُ أبو نصر بن أبي القاسم بن هوازنَ ، أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين البيهقيُّ قال : حدثنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظ قال : (**محمدُ بنُ سليمانَ بن محمد بن سليمان بن هارون ابن عيسى بن إبراهيم بن بشيرٍ الحنفيُّ[2] العِجْليُّ ، الإمامُ الهمام أبو سهلٍ الصُّعلُوكيُّ** : الفقيه الأديبُ اللغويُّ النحويُّ الشاعر ، المتكلِّمُ المفسِّر ، المفتي الصوفيُّ ، الكاتب العَرُوضيُّ ، حَبْرُ زمانه ، وبقيَّةُ أقرانِهِ ، رضي الله عنه .

وُلدَ سنةَ ستٍّ وتسعين ومئتين ، وسمعَ أوَّلَ ما سمعَ سنةَ خمسٍ وثلاثِ مئة ، طلبَ الفقهَ ، وتبحَّرَ في العلوم قبل خروجِهِ إلى العراقِ بسنينَ[3] ؛ فإنَّه

---

(١) جاء في هامش (هـ) حاشية : (ذكر الصعلوكيَّ هـٰذا أبو العباس النسوي الصوفي فقال : كان يقدم في علوم الصوفية ويتكلم فيها بأحسن كلام ، وصحب من أئمتهم المرتعشَ والشبليَّ وأبا علي الثقفيَّ وغيرهم ، وكان حسن السماع ، قال السلمي : وقال لي يوماً : عقوق الوالدين يمحوها التوبة ، وعقوق الأستاذينَ لا يمحوها شيء ! وقال السلمي أيضاً : سمعت الصعلوكي يقول : أقمت ببغداد سبع سنين ، ما مرت بي جمعة إلا ولي على الشبلي وقفة أو سؤال ، وسمعته يقول : دخل الشبلي علىٰ أبي إسحاق المروزي ، فرآني عنده ، فقال : ذا المجنون من أصحابك ؟ لا ، بل من أصحابنا) انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ١٥٨) .

(٢) نسبة إلىٰ بني حنيفة كما سيأتي التنبيه عليه في الخبر (١٨٧) الآتي .

(٣) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ (في التيمورية : بسنتين) انتهىٰ ، وهي إحدى النسخ التي اعتمدها .

ناظرَ في مجالسِ أبي الفضل البَلْعَمِيِّ[1] الوزيرِ سنةَ سبعَ عشرةَ وثلاثِ مئة ، وكان يُقدَّمُ في المجلس إذ ذاك ، ثم خرجَ إلى العراق سنةَ اثنتين وعشرين وثلاثِ مئة وهو إذ ذاكَ أوحدُ بينَ أصحابه[2]

ثم دخلَ البصرةَ ودرَّسَ بها سنينَ ، إلىٰ أنِ استدعيَ إلىٰ أصبَهانَ وأقام بها سنينَ ونزلَها[3] ، فلمَّا نُعي إليه عمُّهُ أبو الطيِّب[4] ، وعلمَ أنَّ أهلَ أصبَهانَ لا يُخلُّون عنه في انصرافِهِ . . خرجَ مختفياً منهم ، فوردَ نيسابورَ في رجبٍ سنةَ سبعٍ وثلاثين وثلاثِ مئة وهو على الرجوع إلى الأهل والولد والمستقرِّ من

---

(١) نسبة إلىٰ بلعم ؛ وهي بلد من بلاد الروم ، وكان أبو الفضل واحدَ عصره في العقل والرأي انظر « تاريخ الإسلام » (٢٤/ ٢٧٢) .
وجاء في هامش (هـ) حاشية : (البلعمي هـٰذا ـ بالعين المهملة ـ : هو محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمـٰن بن عبد الله بن عيسى بن رجاء بن معبد ، الوزير لإسماعيل بن أحمد صاحب خراسان .
قال ابن الصلاح : قرأت نسبه هـٰكذا في « الإكمال » لابن ماكولا ، ورفعه إلىٰ زيد مناة بن تميم ، وفيه أن جده رجاء استولىٰ علىٰ بلعم ـ وهي : بلد من بلاد الروم ـ حين دخلها مسلمة بن عبد الملك ، وأقام بها ، وكثر نسله بها ، فنسبوا إليها ، وكان أبو الفضل هـٰذا من أصحاب محمد بن نصر المروزي ، وينتحل اختياره ، قال الحاكم : سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه غير مرة يقول : كان البلعمي ينتحل مذهب الحديث ، قال ابن الصلاح : إذا أطلقوا هـٰذا هناك . . انصرف إلىٰ مذهب الشافعي) انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ٢٢٤) ، و« الإكمال » (٧/ ٢١٥)

(٢) في (هـ) وحدها : (من أصحابه) بدل (بين أصحابه) .

(٣) قوله : (إلىٰ أن استدعي إلىٰ أصبهان ، وأقام بها سنين) سقط من (أ ، ب) ، وانظر « الأنساب » للسمعاني (٨/ ٣٠٦) .

(٤) قال الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٥/ ١٤٥) (أحمد بن محمد بن سليمان الحافظ ، أبو الطيب الحنفي الصعلوكي النيسابوري ، عمُّ الأستاذ أبي سهل ، كان إماماً مقدَّماً في معرفة الفقه واللغة ، أدرك الأسانيد العالية ، وصنف في الحديث ، وأمسك عن الرواية بعد أن عُمِّرَ) ، وقال : (وكان إماماً في الشافعية) .

أصبَهان ، فلمَّا وردَ. . جلسَ لمأتمِ عمِّهِ ثلاثةَ أيام ، فكان الشيخُ أبو بكر بنُ إسحاقَ[1] يحضرُ كلَّ يومٍ فيقعدُ معه ، هـٰذا علىٰ قلَّةِ حركتِهِ وقعودِهِ عن قضاء الحقوق ، وكذلك كلُّ رئيسٍ ومرؤوس وقاضٍ ومفتٍ من الفريقين ، فلمَّا انقضَتْ الأيامُ للمعزَّىٰ . . عقدوا له المجلسَ غداةَ كلِّ يوم للتدريس والإلقاء ، ومجلسَ النظرِ عشيَّةَ الأربعاء ، واستقرَّتْ به الدارُ ، ولم يبقَ في البلد موافقٌ ولا مخالِفٌ إلا وهو مقرٌّ له بالفضل والتقدُّم ، وحضرَهُ المشايخُ مرَّةً بعد أخرىٰ يسألون أن يَنقُلَ مَن خلَّفَهم وراءَهُ بأصبَهانَ ، فأجابَ إلىٰ ذلك ، ودرَّسَ وأفتىٰ ، ورأسَ أصحابَهُ بنيسابورَ اثنتين وثلاثين سنةً

سمع بخراسان : أبا بكر بن خزيمةَ ، وأبا العباس الثقفيَّ ، وأبا عليٍّ أحمدَ بن عمر بن يزيد المُحَمَّداباذِيَّ ، وأبا العباس الأزهريَّ ، وأبا قريشٍ الحافظَ ، وأبا العباس الماسَرْجِسيَّ، وأقرانَهم .

وسمع بالرَّيِّ : أبا محمد بن أبي حاتِمٍ ، وأبا عبد الله أحمدَ بن خالد بن الحَزَوَّرِيِّ، وأقرانَهما .

وسمع بالعراقِ : أبا عبد الله المَحامِلِيَّ القاضيَ ، وأبا عبدِ الله محمدَ بن مخلد الدوريَّ ، وإبراهيمَ بن عبد الصمد الهاشميَّ ، وأبا بكرٍ محمدَ بن القاسم بن الأنباريِّ ، وأقرانَهم .

ثمَّ إنَّ الأستاذَ قعدَ للتحديث عشيةَ الجُمُعة ، وحدَّثَ الناس) .

قال أبو عبد الله[2] : (سمعتُ أبا بكرٍ أحمدَ بن إسحاق الإمامَ رحمه الله

---

(١) يعني : الإمام أحمد بن إسحاق النيسابوري الشافعي الفقيه المعروف بالصِّبْغِي ، وسيأتي ذكره في الخبر الآتي .

(٢) يعني : الحاكمَ شيخَ البيهقيِّ ، فالسياق له ، وهو الراوي عن الإمام أبي بكر بن إسحاق الصِّبْغِي .

غيرَ مرَّةٍ وهو يعوِّذُ الأستاذَ أبا سهل وينفثُ على دعائِهِ ويقول : « باركَ اللهُ فيكَ ، لا أصابَكَ العينُ » ، هٰذا في مجالسِ النظر عشيةَ السبت للكلام ، وعشيةَ الثلاثاء للفقهِ)

قال (وسمعتُ أبا عليٍّ الإسفرايينيَّ يقول : سمعتُ أبا إسحاقَ المروزيَّ يقول : ذهبَتِ الفائدةُ من مجلسنا بعد خروجِ أبي سهلٍ النيسابوري)

وقال : (سمعتُ أبا الطاهرِ الأنماطيَّ الفقيه بالرَّيِّ يقول سمعتُ الصاحبَ أبا القاسم ـ يعني : ابنَ عبَّاد ـ يقول لا نرىٰ مثلَهُ ، ولا رأىٰ هو مثلَ نفسِهِ) يعني : أبا سهل .

وقال : (سمعتُ أبا منصورٍ الفقيهَ يقول : سُئل أبو الوليدِ عن أبي بكرٍ القفَّال وأبي سهلٍ أيُّهُما أرجحُ ؟ فقال : ومَن يَقدِرُ أن يكونَ مثلَ أبي سهلٍ ؟!) .

وقال أبو عبد الله : (سمعتُ أبا الفضل بن يعقوب يقول : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بن أحمد البنوجرديَّ يقول : كنتُ في حَلْقةِ أبي بكرٍ الشافعيِّ الصيرفيِّ ، فسمعتُهُ يقول : خرجَ أبو سهل الصُّعلوكيُّ إلىٰ خراسانَ ولم يرَ أهلُ خراسانَ مثلَهُ)[1]

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٦/ ٤٢٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ١٦٧) ، فقد أوردا نقولاتِ الإمام الحاكم، وقوله: (البنوجردي) كذا، فلا يشتبهن بـ (البروجردي).
وجاء في هامش (هـ) حاشية (قال الحاكم : سمعت الأستاذ أبا سهل وقد دفع إليه مسألة ، فلمَّا قرأها لنفسه . . قرأها علينا ؛ فإذا فيها : [من الطويل]

تَمَنَّيْتُ شَهْرَ ٱلصَّوْمِ لاَ لِعِبَادَةٍ ... وَلَـٰكِنْ رَجَاءَ أَنْ أَرَىٰ لَيْلَةَ ٱلْقَدْرِ
فَأَدْعُو إِلَـٰهَ ٱلنَّاسِ دَعْوَةَ عَاشِقٍ ... عَسَىٰ أَنْ يُرِيحَ ٱلْعَاشِقِينَ مِنَ ٱلْهَجْرِ

فطلب الأستاذ قلماً ، وكتبَ في الوقت في آخرها : [من الطويل]

تَمَنَّيْتَ مَا لَوْ نِلْتَهُ فَسَدَ ٱلْهَوَىٰ ... وَحَلَّ بِهِ لِلْحَيْنِ قَاصِمَةُ ٱلظَّهْرِ =

١٨٧ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم بن السمرقنديّ قال : قال لنا الشيخُ الإمام أبو إسحاق الشيرازيُّ : (**أبو سهلٍ محمدُ بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون الصُّعلوكيُّ الحنفيُّ** : من بني حنيفةَ ، صاحبُ أبي إسحاق المروزيِّ ، ماتَ في آخرِ سنةِ تسعٍ وستين وثلاثِ مئة ، وكان فقيهاً أديباً شاعراً ، متكلِّماً صوفيّاً كاتباً[١] ، وعنه أخذَ ابنُهُ أبو الطيِّب وفقهاءُ نيسابورَ)[٢]

١٨٨ـ سمعتُ أبا المظفر بنَ القشيريِّ يقول : سمعتُ أبي الأستاذَ الإمام أبا القاسمِ يقول : سمعتُ أبا عبد الرحمـٰن السلميَّ يقول : وهبَ الأستاذُ أبو سهلٍ جُبَّتَهُ من إنسانٍ في الشتاء ، وكان يلبَسُ جُبَّةً للنِّساءِ حين يخرجُ إلى التدريس ؛ إذ لم تكن له جبَّةٌ أخرىٰ ، فقدمَ الوفدُ المعروفون من فارسَ فيهم في كلِّ نوعٍ إمامٌ من الفقهاء والمتكلِّمين والنحويِّين ، فأرسلَ إليه صاحبُ الجيش

= فَمَا فِي ٱلْهَوَىٰ طِيبٌ وَلاَ لَذَّةٌ سِوَىٰ مُعَانَاةِ مَا فِيهِ يُقَاسَىٰ مِنَ ٱلْهَجْرِ

روى الحاكم البيتين الأولين عن الزبير ، عن عمِّهِ مصعب ، وقال : دعوةُ مخلص .

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري سمعت الإمام أبا بكر بن فُورَكَ يقول : سُئل الأستاذُ أبو سهل عن جواز رؤية الله من طريق العقل ، فقال : الدليل عليه شوق المؤمنين إلىٰ لقائه ، والشوق إرادة مفرطة ، والإرادةُ لا تتعلَّق بالمحال ، فقال السائل : ومن الذي يشتاق إلىٰ لقائه ؟ فقال الأستاذ أبو سهل : يشتاقُ إليه كلُّ حرٍّ مؤمن ، فأمَّا من كان مثلك.. فلا يشتاق .

وامتنع من التحديث بعد أن عُمِّرَ ، قال الحاكم : فكنَّا نراه حسرة) انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ١٦٤) .

(١) ومن لطيف شعره رحمه الله تعالىٰ : ما رواه له الحافظ الذهبي في « تاريخه » (٢٦/ ٤٢٦) :

[من الطويل]

أنامُ علىٰ سهوٍ وتبكي الحمائمُ وليسَ لها جُرمٌ ومنِّي الجرائمُ
كذبتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاقلاً لما سبقتني بالبكاءِ الحمائمُ

وفي الشعر تضمينٌ لشطرِ بيتٍ لنصيب الأكبر، وانظر « شرح الحماسة » للتبريزي (٢/ ٩٧).

(٢) انظر « طبقات الفقهاء » (ص ١١٥) .

أبو الحسن ، وأمرَهُ بأن يركبَ للاستقبال ، فلبسَ دُرَّاعةً فوق تلك الجبَّة التي للنساءِ وركبَ[1] ، فقال صاحبُ الجيش إنَّه يستخفُّ بي ؛ إمامُ البلدِ يركبُ في جبَّةِ النسوانِ ؟! ثمَّ إنَّه ناظرَهم أجمعين ، وظهرَ كلامُهُ علىٰ كلامِ جميعِهم في كلِّ فنٍّ)[2]

١٨٩ـ أخبرَني الشيخُ أبو المظفر أحمدُ بن الحسن البِسْطاميُّ بقُومِسَ ، أخبرنا جدِّي أبو الفضل محمدُ بن علي بن أحمد بِبِسْطامَ قال : سمعتُ الشيخَ أبا البركاتِ ظفرَ بن القاضي الإمام نوحِ بن إسماعيل بن إبراهيم بن القاسم بن الحكم القَزْوِينيَّ قال سمعتُ أبا الحسن الأيوبيَّ المتكلِّم الواعظ رحمه الله قال : كان أبو نصرٍ الواعظُ رحمه الله حنيفيَّ المذهب ، وكان في زمن الأستاذِ الإمام أبي سهل الصُّعلوكيِّ رضي الله عنه انتقلَ من مذهبِ الرأيِ إلىٰ مذهب أصحابِ الحديث[3] ، فسُئل عن ذلك ، فقال : رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المنام مع أصحابه قاصداً لعيادةِ الأستاذِ أبي سهلٍ الصُّعلوكيِّ وكان مريضاً ، قال : فتبعتُهُ ، ودخلت معه عليه ، وقعدتُ بين يديِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم مُتفكِّراً ، قال : فقلت : إنَّ هـٰذا إمامُ أصحاب الحديث ، وإن ماتَ أخشىٰ أن يقعَ الخللُ فيهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لي : لا تفكَّرْ في ذلك ؛ إنَّ الله تعالىٰ لا يضيِّعُ عصابةً أنا سيِّدُها[4]

١٩٠ـ أخبرَنا الشيخ أبو نصر بن القشيريِّ إجازةً ، أخبرنا أبو بكرٍ البيهقيُّ قال : أنشدَنا أبو عبد الله الحافظُ قال أنشدَنا أبو منصورٍ محمدُ بن إبراهيم

---

(١) الدُرَّاعة : جبةٌ مشقوقةُ المقدَّم .

(٢) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٥٤١) .

(٣) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ١٧٠) : (وحكي أن أبا نصر الواعظ ـ وكان حنفياً في زمان الأستاذ أبي سهل ـ انتقل إلىٰ مذهب الشافعي) .

(٤) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ١٧٠) .

النحويُّ القُهُسْتانيُّ يمدحُ الأستاذَ أبا سهلٍ : [من الطويل]

إِمَـامَ ٱلْهُـدَىٰ إِنِّـي لِفِعْلِـكَ شَـاكِـرُ إِمَـامَ ٱلْهُـدَىٰ إِنِّـي بِـوُدِّكَ فَـاخِـرُ
أَبَـا سَهْـلٍ ٱلْحَبْـرَ ٱلْمُقَـدَّمَ أَصْبَحَـتْ لَـدَيَّ أَيَـادٍ مِنْـكَ غُـرٌّ ظَـوَاهِـرُ
أَأَكْفُـرُ إِحْسَـانـاً لَبِسْـتُ جَمَـالَـهُ إِذاً لَمْ تَلِدْنِي ٱلْمُحْصَنَاتُ ٱلطَّوَاهِرُ
أَبُو سَهْلٍ ٱلسَّبَّاقُ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ عَلَى ٱلْخَصْمِ سَيْفٌ صَارِمُ ٱلْحَدِّ بَاتِرُ
لَهُ مَكْرُمَاتٌ يَقْصُرُ ٱلْوَصْفُ دُونَهَا(١) وَمَـنْ رَامَ إِحْصَـاءً لَهَـا فَهْـوَ قَـاصِـرُ
خِصَـالُ أَبِـي سَهْـلٍ نُجُـومٌ مُضِيئَـةٌ وَأَلْفَـاظُـهُ ٱلْمُسْتَعْـذَبَـاتُ جَـوَاهِـرُ
وَهِمَّتُــهُ فَــوْقَ ٱلسِّمَــاكِ وَذِكْــرُهُ إِلَـىٰ كُـلِّ أَطْـرَافِ ٱلْبَسِيطَـةِ سَـائِـرُ
أَحَـارُ أَبَـا سَهْـلٍ وَفِيـكَ تَحَيُّـرِي وَمَا أَنَا فِي مُسْتَعْجِمِ ٱلأَمْرِ حَائِرُ
فَيَا عَجَبَا مِنْ وَاحِدٍ سَبَقَ ٱلْوَرَىٰ(٢) فَمَـا فِيهِـمُ مِثْـلٌ لَـهُ وَمُفَـاخِـرُ
لَعَمْـرِي لَقَـدْ أَحْيَـا ٱلشَّـرِيعَـةَ عِلْمُـهُ وَلَـوْلاَهُ أَضْحَـىٰ رَسْمُهَـا وَهْـوَ دَاثِـرُ
مُسَامِيهِ يَبْغِي أَبْعَدَ ٱلشَّأْوِ فِي ٱلْعُلاَ وَهَلْ مُدْرِكٌ شَأْوَ ٱلْمُهَمْلِجِ عَاثِرُ(٣)
أَلاَ أَقْصِـرُوا أَنَّـىٰ لَكُـمْ مِثْـلُ فَهْمِـهِ وَذلِكَ بَحْرٌ مَوْجُهُ ٱلدَّهْرَ زَاخِرُ(٤)
هُمُ يَسْهَرُونَ ٱللَّيْلَ فِي ضَبْطِ حُجَّةٍ تَـزُولُ إِذَا مَـا جَـاشَ لِلشَّيْـخِ خَـاطِـرُ
هُوَ ٱلصَّدْرُ وَٱلْمَتْبُوعُ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ وَعَـنْ رَأْيِـهِ ٱلْعَـالِـي مُبَـاهِيـهِ صَـادِرُ
أَغَــارُ عَلَيْــهِ حِيــنَ يَنْثُــرُ دُرَّهُ إِذَا وَطِـئَ ٱلْمَنْثُـورَ مِـنْ ذَاكَ بَـاقِـرُ
وَيُـوحِشُنِـي مَهْمَـا يُسَـامِيـهِ مُفْحَـمٌ كَلِيـلٌ بَطِـيءٌ بِـٱلسَّفَـاهَـةِ خَـابِـرُ

---

(١) في (ب ، و) : (تقصر) بدل (يقصر) .
(٢) قوله : (فيا عجبا) هو بالألف المنقلبة عن الياء ، فلا ينوَّن .
(٣) في (ط) : (وهل مدركٌ شأوَ المها قطُّ حافرُ) ، والمهملجُ : البرذون يمشي مشية سهلة في سرعة .
(٤) في (أ ، ب ، و) : (يوجد) بدل (موجه) .

وِدَادِي لَـهُ هَـزَّ ٱلْقَـرِيـضَ وَصَـاغَـهُ ... وَمَـا لِـيَ مِـنْ طَبْـعٍ وَمَـا أَنَـا شَـاعِـرُ

بَلَـوْتُ فَمَـا فِيهِـمْ سِـوَاكَ مُظَـاهِـرٌ ... فَـأَنْـتَ إِمَـامُ ٱلـدِّيـنِ عِنْـدِيَ ظَـاهِـرُ

بَقِيـتَ وَسَهْـلٌ مَـا أَقَـامَ مُتَـالِـعٌ[١] ... وَمَـا نَـاحَ قُمْـرِيٌّ وَغَـرَّدَ طَـائِـرُ

١٩١ـ أخبرَنا الشيخُ أبو المظفَّر بن الأستاذِ أبي القاسم القشيري ، أخبرنا أبي قال : سمعتُ أبا بكر بن إشكابَ يقول : رأيتُ الأستاذَ أبا سهلٍ الصُّعلوكيَّ في المنام على هيئة حسنةٍ لا توصفُ ، فقلتُ له : يا أستاذُ ؛ بمَ نلتَ هـٰذا ؟ فقال : بحسْنِ ظنِّي بربِّي ، بحسْنِ ظنِّي بربِّي[٢]

* * *

---

(١) سهلٌ : هو ولده الإمام أبو الطيب الصعلوكي ، ومُتالع : جبلٌ بنجد فيه عينٌ يقال لها : الخرَّارة .

(٢) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٣٦٣) .

وجاء في هامش (هـ) حاشية : (توفي الإمام أبو سهل الصعلوكي بنيسابور ، في رجب سنة أربع وأربع مئة رحمه الله) ، والصواب: أنه توفي سنة (٣٦٩هـ) كما تقدم (ص ٣٦٢) .

ومنهم :

أبو زيد المروزي رحمه الله

* ذكرَ أبو بكر بن فُورَكَ أنَّه ممَّنِ استفادَ مِن أبي الحسن الأشعريِّ من أهل خراسانَ .

١٩٢ـ قرأتُ علىٰ أبي القاسم زاهرِ بن طاهر المُعدَّل ، عن أبي بكر أحمدَ بن الحسين الحافظِ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ قال : (محمد بن أحمد بن عبد الله الفقيهُ الزاهدُ ، أبو زيدٍ المَروَزيُّ : وكان أحدَ أئمَّة المسلمين ، ومِن أحفظِ الناس لمذهب الشافعيِّ ، وأحسنِهم نظراً ، وأزهدِهم في الدنيا

قدمَ نيسابورَ غيرَ مرَّة ؛ أوَّلُها للتفقُّهِ قبل الخروج إلى العراق ، وبعدَهُ لمتوجَّهِهِ إلىٰ غزوِ الروم ، وقدمَها الكرَّةَ الخامسةَ متوجِّهاً إلى الحجِّ في شعبان سنةَ خمسٍ وخمسين وثلاثِ مئة ، وأقامَ بمكَّة سبعَ سنين ، وحدَّث بمكَّة وببغدادَ بـ « الجامع الصحيح » لمحمدِ بن إسماعيل عن الفَرَبْرِيِّ ، وهي أجلُّ الرواياتِ ؛ لجلالةِ أبي زيدٍ) .

قال أبو عبد الله[١] : (سمعتُ أبا بكرٍ البزَّازَ[٢] يقول : عادلْتُ الفقيهَ أبا زيدٍ من نيسابورَ إلىٰ مكَّةَ[٣] ، فما أعلمُ أنَّ الملائكةَ كتبَتْ عليه خطيئةً)[٤]

---

(١) يعني : الحاكم شيخ الإمام البيهقي في السند المذكور .

(٢) في (ط) : (البزار) .

(٣) عادلت : ركبتُ معه ، فكنت عدلاً له .

(٤) انظر « تاريخ بغداد » (١/ ٣٣٠) ، و« تاريخ دمشق » (٥١/ ٦٧) .

قال (وسمعتُ أبا الحسنِ محمدَ بن أحمد الفقيهَ ـ يعني ابنَ عبدوس بن حاتم الحاتميَّ النيسابوريَّ[1] ـ يقول سمعتُ أبا زيدٍ الفقيهَ المروزيَّ يقول : لمَّا عزمتُ على الرجوع إلىٰ خراسانَ من مكة . . تقسَّمَ قلبي بذلك ، وكنتُ أقولُ متىٰ يمكنُني هـٰذا والمسافةُ بعيدةٌ ، والمشقَّةُ لا أحتملُها ؟! فقد طعنْتُ في السنِّ ، فرأيتُ في المنام كأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قاعدٌ في صحن المسجد الحرام ، وعن يمينِهِ شابٌّ ، فقلتُ يا رسولَ الله ؛ قد عزمتُ على الرجوع إلىٰ خراسانَ والمسافةُ بعيدةٌ ، فالتفتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الشابِّ بجنبِهِ فقال : يا رُوحَ الله ؛ تصحبُهُ إلىٰ وطنِهِ ، قال أبو زيدٍ : فأُريتُ أنَّهُ جبريلُ عليه السلام ، فانصرفْتُ إلىٰ مروَ ، فلم أحسَّ بشيءٍ من مشقَّةِ السفرِ !

هـٰذا أو نحوه ؛ فإنِّي لم أرجعْ إلى المكتوبِ عندي من لفظِ أبي الحسن)[2]

١٩٣ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيم الحسينيُّ ، وأبو الحسنِ عليُّ بن أحمد بن منصور بن قُبيس الفقيهُ ، وأبو منصورٍ محمدُ بن عبد الملك ابن حسن بن خيرون قالوا قال لنا أبو بكرٍ أحمدُ بن عليٍّ الحافظُ (محمدُ بن أحمد بن عبد الله بن محمد ، أبو زيدٍ المروزيُّ الفقيهُ : سمعَ محمدَ بن عبد الله السعديَّ وجماعةً من أصحاب علي بن حُجر ، وأكثرَ عن أبي بكرٍ أحمدَ بن محمد بن عمر المنكدريِّ ، وكان أحدَ أئمَّةِ المسلمين ، حافظاً لمذهبِ الشافعيِّ ، حسنَ النظر ، مشهوراً بالزهد والورع .

---

(١) وهو الذي يقول فيه الحاكم : (حدثني الثقة) كما نبَّهَ عليه الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٧٣)

(٢) انظر « تاريخ دمشق » (٥١/ ٦٨)

وردَ بغدادَ وحدَّث بها ، فسمعَ منه وروىٰ عنه أبو الحسنِ الدارقطنيُّ ، ومحمدُ بن أحمد بن القاسم المَحامِلِيُّ[1]

وخرجَ أبو زيدٍ إلىٰ مكَّةَ ، فجاور بها ، وحدَّثَ هناك بكتاب « صحيح البخاري » عن محمد بن يوسف الفَرَبريِّ ، وأبو زيدٍ أجلُّ مَن روىٰ ذلك الكتاب)[2]

١٩٤ـ وقال لنا الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمد بن السمرقنديِّ : قال لنا الشيخُ أبو إسحاقَ الشيرازيُّ : (أبو زيدٍ ، محمدُ بن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزيُّ ، صاحبُ أبي إسحاقَ ، ماتَ بمروَ في رجبٍ سنةَ إحدىٰ وسبعين وثلاث مئة ، وكان حافظاً للمذهب ، حسنَ النظر ، مشهوراً بالزهدِ ، وعنه أخذَ أبو بكرٍ القفَّالُ المَروَزيُّ وفقهاءُ مروَ)[3]

* * *

---

(١) ومن أجلاَّء من روىٰ عنه أيضاً : الهيثم بن أحمد الصباغ ، وعبد الواحد بن مشماس ، وعبد الوهاب الميداني ، وأبو عبد الله الحاكم ، وأبو عبد الرحمـٰن السلمي ، وأبو بكر البرقاني ، والفقيه أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي ، نبَّهَ علىٰ ذلك الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٧٣) .

(٢) انظر « تاريخ بغداد » (١/ ٣٣٠)

(٣) انظر « طبقات الفقهاء » (ص ١١٥) .

ومنهم :

أبو عبد الله بن خفيف الشيرازي الصوفي رحمه الله[(١)]

١٩٥ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيل الفارسيُّ مساواةً في كتابه[(٢)] ، أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن يحيى بن إبراهيم المُزَكِّي ، أخبرنا أبو عبدِ الرحمـٰن محمدُ بن الحسين السلميُّ قال : (**محمدُ بن خفيف بن إسْفَكْشاذَ الضَّبيُّ**[(٣)] ، أبو عبدِ الله : المقيمُ بشيرازَ ، كانَتْ أُمُّهُ نيسابوريةً ، هو اليومَ شيخُ المشايخِ وتاريخُ الزمان ، لم يبقَ للقوم أقدمُ منه سنّاً ، ولا أتمُّ حالاً ووقتاً

صحب رُويماً ، والجريريَّ ، وأبا العباس بن عطاء ، ولقيَ الحسينَ بن منصور .

وهو مِن أعلمِ المشايخ بعلوم الظاهر ، متمسِّكاً بعلومِ الشريعة من الكتاب والسنة[(٤)] ، وهو فقيهٌ علىٰ مذهبِ الشافعيِّ

---

(١) جاء في هامش (هـ) حاشية : (ذكر أبا عبد الله بن خفيف [. . .] صاحبُهُ أبو العباس النسوي وقال : بلغَ ما لم يبلغه أحدٌ في العلم والخلق والجاه عند الخاصِّ والعامِّ ، وصار أوحدَ زمانه ، مقصوداً من الآفاق ، مفيداً في كلِّ نوع من العلوم ، مُبارَكاً علىٰ من يقصدُهُ ، رَفِيقاً بمريديه ، يبلغ كلامه مُراده ، قال : وصنف من الكتب ما لم يصنِّفه أحدٌ ، وانتفع به جماعةٌ حتىٰ صاروا أئمَّةً يُقتدىٰ بهم [. . .] ، وكانت له أسفار وبدايات ورياضات ، ولقي الشيوخ النُّسَّاك والزهَّاد ، ودخل العراق ، ولقي بها رويماً وابن عطاء والجريريَّ ، وعاشرَ بمكة الكَتَّاني والمُزيِّن وأقرانهما) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ١٥١) .

(٢) سقطت لفظة (مساواة) من (هـ ، ط) ، والمساواةُ : أن تساويَ في إسنادك الحديثَ لمصنفٍ ، وانظر « اختصار علوم الحديث » (ص ١٥٦)

(٣) في (د) : (إسفكشاد) بالدال المهملة .

(٤) وانظر الخبر (١٩٨) الآتي في بيان تمسكه بالسنة .

وقال أحمدُ بن يحيى الشيرازي : **ما أرى التصوُّفَ إلا ويختمُ بأبي عبدِ الله بن خفيفٍ** .

وقيلَ لأبي عبد الله بن خفيفٍ : إنَّ فلاناً تكلَّمَ في التصوُّف بكلامٍ عالي ![1] ، فقال : **إنَّهُ قامَ عليه التصوُّفُ رخيصاً ، فهو يبيعُهُ رخيصاً** .

نُعيَ إلينا سنةَ إحدىٰ وسبعين وثلاث مئة)[2]

١٩٦ـ كتبَ إليَّ الشيخُ أبو عليٍّ الحسنُ بن أحمد بن الحسن المقرئ ، أخبرَنا أبو نُعيم أحمدُ بن عبد الله بن أحمد الحافظُ قال : (ومنهم : **أبو عبد الله محمدُ بن خفيفٍ** : الحنيفُ الظريفُ ، له « **الفصولُ في الأصول** ، **والتحقُّقُ والتثبُّت في الوصول** »[3] ، لقيَ الأكابرَ والأعلام ، صحبَ : رويماً ، وأبا العباسِ بن عطاء ، وطاهراً المقدسيَّ ، وأبا عمرَ الدمشقيَّ ، كان شيخَ الوقتِ حالاً وعلماً ، **توفي سنةَ إحدىٰ وسبعين وثلاث مئة**)[4]

---

(١) كذا بإثبات الياء في النسخ ، وتثبت عند بعضهم في الوقف فقط ، وأما حال الوصل فلا خلاف في إسقاطها لفظاً .

(٢) نقله عن « تاريخ الصوفية » الحافظُ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٦/٥٠٧) ، وانظر « طبقات الصوفية » (ص ٤٦٢) ، وقال في خاتمة ترجمته : (**وكلُّ هـٰذه الحكاياتِ أخبرنيه أبو عبد الله محمد بن خفيفٍ رضي الله عنه إجازةً لي بخطِّهِ**) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٥٢/٤٠٦ـ٤٠٧) .

(٣) في « الحلية » (١٠/٣٨٥) : (النُّصول) بدل (الأصول) ، وفي (و) : (والتحقيق) بدل (والتحقق) ، وكلمة (النصول) أليق بكلمة (الوصول) للمقابلة ، وعليه فالمذكورُ عنوانٌ لكتاب واحد ، أو هما عنوانان ، والله أعلم .

(٤) انظر « حلية الأولياء » (١٠/٣٨٥) .

وجاء في هامش (هـ) حاشية : (ذكر الحافظ القاسم ابن عساكر رحمه الله تعالىٰ في « تاريخه » [٥٢/٤٠٧] قال : قال ابن خفيف : كنت بالبصرة مع جماعة من أصحابنا ، فوقف علينا صاحب مرقعة أعور فقال : من منكم ابن خفيف ؟ فأشاروا إليَّ ، فقال : تأذن=

١٩٧ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسمِ زاهرُ بن طاهر بن محمدٍ المستملي[١] قال أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين البيهقيُّ قال : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بن حمزة بن علي العلويَّ يقول : سمعتُ أبا عبدِ الله محمدَ بن عبد الله الشيرازيَّ يقول : (نظرَ أبو عبدِ الله بنُ خفيفٍ يوماً إلى ابنِ مكتومٍ وجماعةٍ من أصحابه يكتبون شيئاً ، فقالَ : ما هـٰذا ؟ فقالوا نكتبُ كذا وكذا ، فقال : اشتغلوا بتعلُّمِ شيءٍ ، ولا يغرنَّكم كلامُ الصوفية ؛ فإنِّي كنتُ أُخبِّئ محبرتي في جيبِ مرقَّعتي ، والكاغدَ في حجزةِ سراويلي ، وكنتُ أذهبُ خَفِيّاً إلىٰ أهلِ العلم[٢] ، فإذا علموا بي خاصموني ، وقالوا لا تفلحُ ، ثم احتاجوا إليَّ بعدَ ذلك)[٣]

= لي أن أسألك مسألة ؟ فقلت : لا ، قال ولمَ ؟ فقلت : لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين إلا اختار أيسره ؛ وأيسره : ألا تسألني ولا أحتاج أجيبك ، فقال لا بدَّ ! فقلت : هـٰذا غير ذاك ، فقل الآنَ ما شئت .

وذكر ابن عساكر أيضاً أن ابن خفيفٍ كان يقول : سألتُ الله تعالىٰ أن ألقاه ولا يكون لي شيء ولا لأحد عليَّ شيء ، ولا يكون علىٰ بدني من اللحم [شيءٌ] ، فمات وهو كذلك ، وله سبعة عشر يوماً لم يأكل شيئاً ، وكنا نشمُّ من فمه رائحة المسك وروائح الطيب شيئاً ما شممت مثله قط ، ولما قرب خروج روحه كان له سنة وأربعة أشهر لم يتحرك ، فمدَّ رجله وتمدد هو من تلقاء نفسه، وبعد ساعات مات ، وصلي عليه نحو من مئة مرة ، وحضر موته عالم غفير ، وكان موته في الثالث والعشرين من رمضان سنة إحدىٰ وسبعين وثلاث مئة ، وله مئة وأربع سنين) .

(١) في (و) : (السلمي) ، وهو ضمن سقطٍ من (ب) .

(٢) خَفِيّاً : سِرّاً ، ومنه : لقيته خَفيّاً ، وفي (ط) : (خفية) ، والمثبت موافق لما في « تاريخ دمشق » و« مختصره » أيضاً ، وقوله (ثم احتاجوا إليَّ بعد ذلك) دليلٌ أن القوم كانوا حريصين على العلم ، وإنما خافوا عليه الاشتغالَ بالعلم مع ترك العمل ، وهو إلىٰ ذلك لم يفارقهم ، بل كان يجلُّهم ، ويفرِّقُ بين علمائِهم وأصحابِ الأحوال منهم ؛ فقد كان يقول كما في « الرسالة القشيرية » (ص ١١٩) : (**اقتدوا بخمسةٍ من شيوخنا ، والباقون سلِّموا لهم حالَهم : الحارثُ بن أسد المحاسبي ، والجنيدُ بن محمد ، وأبو محمدٍ رويمٌ ، وأبو العباس بن عطاءٍ ، وعمرُو بن عثمان المكي ؛ لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق**)

(٣) ورواه المصنف في « تاريخ دمشق » (٥٢/ ٤١٤) .

١٩٨ـ سمعتُ الشيخَ أبا بكر محمدَ بن أحمد بن الحسن البُرُوجِرْدِيَّ ببغداد يقول : سمعتُ أبا سعدٍ عليَّ بن عبد الله بن أبي صادقٍ الحيريَّ بنيسابورَ يقول : سمعتُ أبا عبدِ الله محمدَ بن عبد الله بن باكويه الشيرازيَّ يقول : سمعتُ أبا عبد الله بن خفيفٍ يقول : كنتُ في ابتدائي بقيتُ أربعينَ شهراً أفطرُ كلَّ ليلةٍ بكفٍّ باقلاء ، فمضيتُ يوماً وافتصدتُ ، فخرجَ من عرقي شبيهُ ماءِ اللحم ، وغُشِيَ عليَّ ، فتحيَّرَ الفَصَّادُ ، وقال : ما رأيتُ جسداً بلا دمٍ إلا هذا ![1]

قال[2] : وسمعتُ أبا عبد الله يقول : (ما سمعتُ شيئاً مِن سننِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم إلا استعملتُهُ ؛ حتى الصلاةَ على أطرافِ الأصابع)[3]

١٩٩ـ سمعتُ الشيخَ أبا المظفرِ عبدَ المنعم بن عبد الكريم بن هوازنَ القشيريَّ يقول : سمعتُ أبي الأستاذَ أبا القاسمِ يقول : سمعتُ أبا عبد الله بن باكويه الشيرازيَّ يقول : سمعتُ أبا العباسِ الكرخيَّ يقول سمعتُ أبا عبد الله بن خفيفٍ يقول : (ضعفْتُ عن القيامِ في النوافل ، وقد جعلتُ بدلَ كلِّ رَكعة من أورادي ركعتينِ قاعداً ؛ للخبرِ : « صَلاَةُ ٱلْقَاعِدِ عَلَى ٱلنِّصْفِ مِنْ صَلاَةِ ٱلْقَائِمِ »)[4]

---

(١) ورواه المصنف في « تاريخ دمشق » (٤٠٩/٥٢) ، وزاد الحافظ الذهبي أوَّلَ الخبر في « تاريخ الإسلام » (٥٠٧/٢٦) : (وكان أبو عبد الله من أولاد الأمراء ، فتزهَّدَ ؛ حتى قال : كنتُ أذهبُ وأجمع الخِرَقَ من المزابل ، وأغسله ، وأصلح منه ما ألبسه) .

(٢) يعني : الحافظ ابن باكويه الشيرازي .

(٣) ورواه المصنف في « تاريخ دمشق » (٤٠٦/٥٢) ، وزاد الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٥٠٧/٢٦) : (وهي صعبةٌ) .

(٤) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٢٢٠) ، والخبر المرفوع رواه البخاري (١١١٥) من حديث سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنهما ، وبلفظه هنا النسائي في « السنن الكبرى » (١٣٧٥) من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما . =

٢٠٠ـ وسمعتُ أبا المظفرِ يقول سمعتُ أبي يقول سمعتُ الشيخ أبا عبد الله ابنَ باكويه الصوفيَّ يقول : سمعتُ أبا عبد الله بن خفيفٍ يقول (ما وجبَتْ عليَّ زكاةُ الفطر أربعين سنةً ، ولي قَبولٌ عظيمٌ بين الخاصِّ والعامِّ)[1]

٢٠١ـ سمعتُ أبا بكرٍ محمدَ بن أحمد الأسديَّ الجوهريَّ يقول سمعتُ عليَّ بن عبد الله النيسابوريَّ يقول : سمعتُ محمدَ بن عبد الله الصوفيَّ يقول : سمعتُ أبا أحمدَ الكبيرَ قال : كان أبو عبد الله إذا أرادَ أن يخرجَ إلىٰ صلاةِ الجُمُعة . . يقول لي هاتِ ما عندنا ، فأحملُ إليه كلَّ ما قد فُتِحَ من الذهب والفضة وغيره ، فيفرِّقُهُ كلَّهُ ، ثم يخرجُ إلىٰ صلاةِ الجمعةِ ، وكان كلَّ سنةٍ في أوانٍ يُخرجُ جميعَ ما عنده من الثياب ، حتىٰ لا يُبقي لنفسِهِ ما يخرجُ به إليَّ برّاً[2]

٢٠٢ـ وأخبرَنا أبو بكرٍ الجوهريُّ ، أخبرنا أبو سعدٍ الحِيريُّ ، أخبرنا أبو عبدِ الله بن باكويه قال : حدثنا أبو أحمدَ الصغيرُ قال : كان أمرني ـ يعني ابنَ خفيف ـ أن أُقدِّمَ إليه كلَّ ليلةٍ عشرَ حبَّاتِ زبيبٍ لإفطارِهِ ، قال : فأشفقتُ

= وممَّا رواه الإمام القشيري عنه في « رسالته » (ص ٢١٩) من مجاهداته في العبادة قوله (ربَّما كنتُ أقرأُ في ابتداءِ أمري في ركعةٍ واحدةٍ عشرةَ آلافِ مرَّةٍ : « قل هو اللهُ أحد » ، وربَّما كنتُ أقرأُ في ركعة واحدةٍ القرآنَ كلَّهُ ، وربَّما كنتُ أصلِّي من الغداة إلى العصرِ ألفَ ركعةٍ) .

(١) أورده الإمام القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٥٨٢) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٤١٦/٥٢) .

(٢) ورواه المصنف في « تاريخ دمشق » (٤١٦/٥٢) ، وقوله : (برّاً) جاء في « تاج العروس » (ب ر ر) : (خرج فلان برّاً : إذا خرج إلى البرِّ والصحراء ، وليس من قديم الكلام وفصيحه كما في « التهذيب ») .

عليه ليلةً ، فجعلتُها خمسَ عشرَةَ حبَّةً ، فنظرَ إليَّ وقال : مَن أمرَكَ بهٰذا ؟! وأكلَ منها عشرَ حبَّاتٍ ، وتركَ الباقيَ[1]

* * *

(١) انظر الخبر في « الرسالة القشيرية » (ص ٣٧٧) ، و« تاريخ دمشق » (٥٢/ ٤١٥) .
وانظر مستكملاً ترجمةَ الإمام ابن خفيف : ما تقدَّمَ من الأخبار برقم (١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٧٧) ، وفيها ذكر لقائه بالإمام الأشعري .
وجاء في هامش (هـ) حاشية : (قال ابن خفيف : سألني يوماً القاضي أبو العباس ابنُ سريج بشيراز ، وكنَّا نحضر مجلسه لدرس الفقه ، فقال لنا : محبةُ الله فرضٌ أو غيرُ فرض ؟ قلنا : فرض ، قال : ما الدلالةُ على فرضها ؟ فما فينا مَن أتى بشيءٍ ، فرجعنا إليه وسألناه الدليلَ على فرض محبة الله ، فقال : قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ . . . ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة : ٢٤] ؛ قال : فتواعدهم الله عز وجل على تفضيل محبتهم لغيره على محبَّته ، والوعيدُ لا يقعُ إلا على فرضٍ لازم وحَتْمٍ واجب) انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ١٥٥) .

ومنهم :

أبو بكرٍ الجُرجانيُّ المعروفُ بالإسماعيليِّ رحمه الله

٢٠٣ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسمِ بن أبي بكر الكُتبيُّ ، أخبرنا أبو القاسم إسماعيلُ بن مسعدة بن إسماعيل الجُرجانيُّ ، أخبرنا أبو القاسم حمزةُ بن يوسف السهميُّ الجُرجانيُّ في « تاريخ جُرجان » قال : (أحمدُ بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباسِ ، أبو بكرٍ الإسماعيليُّ الإمامُ ، رحمَهُ الله وبيَّضَ وجهَهُ ، وألحقَهُ بعبادِهِ الصالحين ، توفي يومَ السبت غُرَّة رجبٍ سنةَ إحدىٰ وسبعين وثلاث مئة ، وكان له أربعٌ وتسعون سنةً .

سمعتُ والدي أبا يعقوبَ يوسفَ بن إبراهيمَ يقول : سمعتُ أبي إبراهيمَ بن موسىٰ يقول كان أبو بكرٍ أحمدُ بن إبراهيم الإسماعيليُّ بارّاً بوالديه ، لحقتْهُ بركةُ دعائِهما)[١]

قال حمزةُ : (وسألني الوزيرُ أبو الفضل جعفرُ بن الفضل بن الفرات بمصرَ عن أبي بكرِ الإسماعيليِّ ، وما صنَّفَ وجمعَ ، وسِيَرِه[٢] ، فكنتُ أخبرُهُ بما صنَّفَ من الكتب وجمعَ من المسانيد والمُقِلِّينَ[٣] ، وتخريجِهِ علىٰ كتاب محمدِ بن إسماعيل البخاريِّ ، وجميعِ سيرِهِ ، فتعجَّبَ من ذلك وقال : لقد

---

(١) تاريخ جرجان (ص ١٠٨ـ١٠٩) .

(٢) في (ط) : (وعن سيره) ، والمثبت موافق لـ« تاريخ جرجان »

(٣) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (منها : « مسند عمر » ، هذَّبه في مجلدين ، قال الذهبي [في « الكاشف » (١/ ٥٦)] : « طالعته وعلقتُ منه ، وانبهرتُ بحفظ هـٰذا الإمام ، وجزمتُ بأنَّ المتأخِّرين علىٰ إياسٍ من أن يلحقوا المتقدِّمين في الحفظ والمعرفة ») انتهىٰ

كان رُزِقَ من العلم والجاهِ ، وكان له صيتٌ حسنٌ)[1]

وقال حمزةُ : (سمعتُ أبا الحسنِ الدارقطنيَّ الحافظَ يقول : كنتُ قد عزمتُ غيرَ مرَّةٍ أن أرحلَ إلىٰ أبي بكرِ الإسماعيليِّ ، فلم أُرزقْ)[2]

قال حمزةُ : (وكنتُ إذا حضرتُ مجلسَ الإمام أبي بكرِ الإسماعيليِّ ، ورأيتُهُ لم يتفوَّهْ بشيءٍ من تفسيرِ خبرٍ أو ضربِ مثلٍ أو حكايةٍ أو بيتِ شعرٍ أو نادرةٍ أو غيرِ ذلك من سائر العلوم . . إلا وتبادرَ جماعةٌ من الغرباء وأهلِ البلد علَّقوا وكتبوا ، خصوصاً أبو بكر البَرقانيُّ[3] ؛ فإنَّهُ قلَّما كان يتركُ شيئاً يجري إلا وهو يكتبُ ، وكذلك أبو القاسم الوَرَثانيُّ[4] ، وأبو جعفرٍ محمدُ بن علي بن دِلأَّن الجُرجانيُّ ، والفضلُ بن أبي سعد الهرويُّ ، وأبو الفضلِ المخزوميُّ البصريُّ ، وأبو سعدِ المالينيُّ ، وأبو القاسمِ عيسى بنُ عباد الدِّينَوَرِيُّ ، ويحيى الأَبْهَرِيُّ ، وأحمدُ بن عبد الرحمـٰن الشيرازيُّ ، وأبو بكرِ الجرجانيُّ[5] ، وعبد الرحمـٰن السِّجْزِيُّ ، وغيرُهم رحمَهُم الله ممَّن لا أحصي عددَهم ، وما من يومٍ إلا وكان بحضرتِهِ من الغرباءِ الجوَّالين ممَّن يفهمُ ويحفظُ مقدارُ أربعين أو خمسين نفساً ، وكنتُ أعلِّقُ عنه مقدارَ فهمي وحفظي ، وأنسخُ ممَّا علَّقَ عنه أبو بكرِ البَرقانيُّ ، وأبو جعفر بن دِلأَّن الجُرجانيُّ)[6]

٢٠٤ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمد بن السمرقنديِّ ، حدثنا

---

(١) تاريخ جرجان (ص ١١٠) .

(٢) تاريخ جرجان (ص ١١٠) .

(٣) كذا بالرفع بعد (خصوصاً) في جميع النسخ و«تاريخ جرجان» (ص١١١).

(٤) كذا في النسخ ، ولعل الصواب : (أبو الفرج) بدل (أبو القاسم) ، كما في « تاريخ جرجان » وكتب التراجم ، و« الأنساب » (ص ٣٠٨) .

(٥) كذا في النسخ ، ولعلَّ الصواب : (الجَرْجَرائي) كما هو في « تاريخ جرجان » المنقول عنه ، وانظر أيضاً « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ٣٩٠) .

(٦) تاريخ جرجان (ص ١١٠ـ ١١١) .

أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن عليٍّ الفقيهُ قال (أبو بكرٍ أحمدُ بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيليُّ ، مات سنةَ نيفٍ وسبعين وثلاثِ مئة ، وجمعَ بين الفقه والحديث ، ورئاسةِ الدِّين والدنيا ، وصنَّفَ الصحيحَ ، وأخذَ عنه ابنُهُ أبو سعدٍ وفقهاءُ جُرجان

وقال شيخنا القاضي الإمامُ أبو الطيِّب الطبريُّ رحمه الله : دخلتُ جُرجانَ قاصداً إليه وهو حيٌّ ، فماتَ قبل أن ألقاه ، جمعَ بين الأصول والفقه والحديث ، وصنَّف صحيحاً علىٰ شرط البخاري رحمَهُ الله يدلُّ علىٰ فضلٍ كثيرٍ لمن وقفَ عليه)[1]

٢٠٥ـ أخبرَنا الشريف أبو بكرٍ أحمدُ بن عبد الرحمـٰن بن أحمد المَرْوَزيُّ الواعظُ بدمشقَ قال قال لنا الشيخُ الحافظ أبو نصرٍ هبةُ الله بن عبد الجبَّار بن فاخر بن معاذ بن أحمد بن محمد السِّجْزِيُّ بسِجِسْتان : (أبو بكرٍ الإسماعيليُّ : شيخٌ كبير جليلٌ ثقةٌ مِنَ الفقهاء والمحدثين في عصرِهِ ، يَرجعُ إلىٰ علم وافرٍ ، ومعرفةٍ بالحديث صادقة ، ومروءةٍ ظاهرة ، وكانَتْ إليه الرحلةُ في زمانه[2] ، وهو أبو بكر أحمدُ بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيليُّ الجُرجانيُّ ، روىٰ عن أبي خليفةَ والمشايخ ، وُلدَ سنةَ سبعٍ وسبعين ومئتين ، وماتَ سنةَ إحدىٰ وسبعين وثلاثِ مئة) .

* * *

---

(١) انظر « طبقات الفقهاء » (ص ١١٦) .

(٢) في (ب) : (وكادت) بدل (وكانت) .

وَمِنهم :

أبو الحسن عبد العزيز بن محمد بن إسحاق الطبريّ المعروف بالدُّمَّل رحمه الله[1]

كان من أعيانِ أصحابِ أبي الحسن ، وممَّن تخرَّجَ به ، وخرجَ إلى الشام ، ونشرَ بها مذهبَهُ ، وكتبَ عن أبي جعفرٍ محمدِ بن جريرٍ الطبريِّ كتابَهُ في التفسير[2] ، وسمعَهُ منه .

ووقفتُ له قديماً علىٰ تأليفٍ في الأصول يدُلُّ علىٰ فضلٍ كثيرٍ ، وعلم غزيرٍ ، سمَّاهُ : كتاب « رياضة المبتدي وبصيرة المستهدي »[3]

* * *

---

(١) قوله : (بالدُّمَّل) كذا ضبطت في (أ ، ب ، هـ) ، وانظر « نزهة الألباب في الألقاب » للحافظ ابن حجر (٢٦٦/١) ، قال الحافظ الزبيدي في « تاج العروس » (د م ل) : (وفي « العباب » : سُمِّيَ به تفاؤلاً بالصلاح) .

(٢) المنعوت بـ « جامع البيان عن تأويل آي القرآن »

(٣) زاد المصنف في « تاريخ دمشق » (٣٣٩/٣٦) : (وكتاباً في الردِّ علىٰ جعفر بن حرب في نقض مسائله) ، وكان جعفر هـٰذا من المعتزلة .

ومنهم :

أبو الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري

صحبَ أبا الحسن رحمه الله بالبصرةِ مدةً ، وأخذ عنه وتخرَّج به واقتبسَ منه ، وصنَّفَ تصانيفَ عدَّةً تدلُّ على علمٍ واسع ، وفضلٍ بارع ، وهو الذي ألَّفَ الكتاب المشهور في « تأويل الأحاديث المشكلات الواردة في الصفات »

٢٠٦ـ أخبرَنا الفقيهُ أبو الفتح نصرُ الله بن محمد بن عبد القويِّ المِصِّيصِيُّ بدمشقَ قال : أخبرنا أبو القاسم عليُّ بن محمد بن علي ابن أبي العلاء المِصِّيصِيُّ بدمشقَ ، أخبرنا أبو الحسنِ محمدُ بن إبراهيم الفارِقِيُّ المعروف بابنِ الضَّرَّابِ بها ، أخبرنا أبو سعدٍ أحمدُ بن محمد بن أحمد بن الخليل المالينيُّ قال : أنشدنا أبو الحسن عليُّ ابن مهدي الطبريُّ لنفسهِ[١] [من السريع]

مَا ضَاعَ مَنْ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ ... يَقْدِرُ أَنْ يُصْلِحَ مِنْ شَانِهِ
فَإِنَّمَا ٱلدُّنْيَا بِسُكَّانِهَا ... وَإِنَّمَا ٱلْمَرْءُ بِإِخْوَانِهِ

قال : وأنشدني أبو الحسن عليُّ ابن مهديٍّ الطبريُّ لنفسِهِ[٢]

---

(١) ورواهما الإمامُ ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٤٦٦) من طريق المصنف .

(٢) ورواها الإمامُ ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٤٦٦) من طريق المصنف أيضاً ، وقوله : (سَو) هو السَّوء بحذف الهمزة ، والبو : الأحمق ، وقوله : (وَوْ) كأنها حكاية صوت المنكِر والمستغرب .
ونقل الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٤٦٧) عن أبي عبد الله الأسدي أنه قال : (كان شيخنا وأستاذنا أبو الحسن علي ابن مهدي الطبريُّ الفقيهُ مصنِّفاً للكتب في أنواع العلوم مفتناً ، حافظاً للفقه والكلام والتفاسير والمعاني وأيام العرب ، فصيحاً مبارزاً في النظر ، ما شُوهدَ في أيامه مثله) =

[من مجزوء الكامل]

إِنَّ ٱلـــزَّمَـــانَ زَمَـــانُ سَـــوْ وَجَمِيـــعُ هَـٰـذَا ٱلْخَلْـــقِ بَـــوْ
ذَهَـــبَ ٱلْكِـــرَامُ بِـــأَسْـــرِهِـــمْ وَبَقِيـــتُ فِـــي لَيْـــتَ وَلَـــوْ
فَـــإِذَا سَـــأَلْـــتَ عَـــنِ ٱلنَّـــدَىٰ فَجَـــوَابُهُـــمْ عَـــنْ ذَاكَ وَوْ

* * *

= توفي المترجم ـ كما في « معجم المؤلفين » (٧/ ٢٣٤) ـ في حدود سنة (٣٨٠ هـ) .

ومنهم :

أبو جعفرٍ السلميُّ البغداديُّ النَّقَّاشُ رحمه الله

٢٠٧ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيم الخطيبُ ، وأبو الحسن عليُّ بن أحمد الفقيهُ ، وأبو منصور محمدُ بن عبد الملك المقرئ قالوا قال لنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت الحافظُ (محمدُ بن أحمد بن العباس بن أحمد بن خلَّاد بن أسلم بن سهل بن مرداسٍ ، أبو جعفرٍ السلميُّ ، نقَّاشُ الفضَّة

سمعَ محمدَ بن محمد بن سليمان الباغَنْدِيَّ ، والحسنَ بن مَحْمِيٍّ المُخَرِّمِيَّ ، وعبدَ الله بن محمد البغويَّ ، وأبا بكرِ بن أبي داودَ السِّجِسْتانيَّ ، ويحيى بنَ محمد بن صاعد ، وأبا بكرِ بن مجاهد المقرئ

حدثنا عنه أبو عليِّ بنُ شاذانَ ، وأبو القاسم الأزهريُّ ، وعليُّ بن المحسن التَّنُوخيُّ

سألتُ الأزهريَّ عن أبي جعفرِ النَّقَّاش ، فقال : ثقةٌ

قال : وكان أحدَ المتكلِّمين على مذهب الأشعريِّ ، ومنه تعلَّم أبو عليِّ بنُ شاذانَ الكلامَ .

قال لنا عليُّ بن المحسن التَّنُوخِيُّ : مولدُ أبي جعفرِ النَّقَّاشِ للنصف من جُمادى الأولىٰ سنةَ أربعٍ وتسعين ومئتين) .

وقال أبو بكرٍ : (أخبرنا أحمدُ بن محمد العَتِيقِيُّ قال : سنةَ تسعٍ وسبعين

وثلاث مئة : فيها تُوفِّي أبو جعفرٍ الأشعريُّ النَّقَّاشُ يومَ الأحد أو الاثنين لستٍّ خلونَ من المحرَّم ، وكان ثقةً)[1]

* * *

(1) انظر « تاريخ بغداد » (1/ 342) .

ومنهم :

أبو عبد الله الأصبهاني المعروف بالشافعي رحمه الله

٢٠٨ـ حدثني أبو مسعود عبدُ الرحيم بن علي بن حَمْدٍ المُعدَّل بأصبَهانَ قال : أخبرنا أبو عليٍّ الحسنُ بن أحمد بن الحسن المقرئ ـ وأجازَهُ لي أبو عليٍّ الحدادُ[١] ـ قال أخبرنا أبو نُعيمٍ أحمدُ بن عبد الله بن أحمد الحافظُ الأصبَهانيُّ قال : (محمدُ بن القاسم ، أبو عبد الله الشافعيُّ مُتكلِّمٌ علىٰ مذهب أهل السنة ، ينتحلُ مذهبَ أبي الحسنِ الأشعريِّ[٢]

عادَ إلىٰ أصبَهانَ سنةَ ثلاث وخمسين وثلاث مئة ، وتُوفِّي بها في ربيع الأول يومَ الجمعة لاثنتي عشرةَ خلَتْ من سنة إحدىٰ وثمانين وثلاث مئة

سمع الكثيرَ بالعراق ، كثيرُ المصنَّفات في الأصول والفقه والأحكام)[٣]

* * *

---

(١) هو ممن حدَّث عنهم المصنف بالإجازة ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٣٠٥)

(٢) قوله : (ينتحل) قد يوهمُ الإنكار ، وليس كذلك ، فقائلُ ذلك ـ الحافظُ أبو نعيم ـ هو أيضاً علىٰ ذلك ، قال الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٥٤٩) نقلاً عن أبي طاهر السلفي : (وكان أبو نعيم في ذلك الوقت مهجوراً بسبب المذهب ، وكان بين الأشعرية والحنابلة تعصُّبٌ زائد يؤدي إلىٰ فتنة ، وقيل وقال ، وصداع طويل ، فقام إليه أصحابُ الحديث بسكاكين الأقلام ، وكاد الرجل يقتل)، ثم قال (قلت ما هٰؤلاء بأصحابِ الحديث ، بل فجرةٌ جَهَلة ، أبعدَ الله شرَّهم) .

(٣) انظر « تاريخ أصبَهان » (٢/ ٢٧١) ، وزاد : (روىٰ عن محمد بن سليمان المالكي ، والمادرائي ، واللؤلؤي)

وَمِنهُم :

أبو محمدٍ القرشيُّ الزهريُّ رحمه الله

٢٠٩ـ كتبَ إليَّ الشيخُ الإمام أبو نصرٍ عبدُ الرحيم بن عبد الكريم يخبرني قال : حدثنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين بن علي بن موسى الحافظُ قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظُ قال : (عبدُ الواحد بن أحمد بن القاسم بن محمد بن عبد الرحمـٰن الزهريُّ ، أبو محمدٍ المُذكِّر : من ولد عبد الرحمـٰن بن عوف ، وهو ابنُ أبي الفضل المتكلِّم الأشعريُّ[١]

سمعَ : أبا حامد بن بلال وأبا بكرٍ القطَّان وأقرانَهما ، ثمَّ صحبَني عند أبي النضرِ بطوسَ ، وعند المحبوبيِّ والسيَّاريِّ بمروَ ، وسمع معنا الكثيرَ .

وكان يصومُ الدهرَ ، ويختمُ القرآنَ في كلِّ يومين

تُوفِّي الزهريُّ رحمه الله بنيسابورَ غداةَ الخميس الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وثلاث مئة ، دخلتُ عليه يومَ وفاتِهِ باكراً ، فبكى الكثيرَ ، وقال : أستودعُكَ اللهَ أيُّها الحاكمُ ؛ فإنِّي راحلٌ)[٢]

* * *

---

(١) وعبارة الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ٥٣) : (ويعرف بابن أبي الفضل) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ٥٣) .

وجاء في هامش (ب): (آخر الجزء الرابع من كتاب « التبيين »، ويتلوه الجزء الخامس) .

ومنهم :

أبو بكرٍ البخاريُّ المعروفُ بالأُودنيِّ الفقيهُ رحمه الله[1]

٢١٠ـ كتب إليَّ الشيخُ الإمامُ أبو نصر بن الأستاذ أبي القاسم القشيريُّ قال : أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين الحافظُ ، أخبرنا أبو عبدِ الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ قال : (**محمدُ بن عبد الله بن محمد الفقيهُ ، أبو بكرٍ البخاريُّ ثم الأَودِنيُّ**[2] : **إمامُ الشافعيينَ بما وراءَ النهر في عصرِهِ بلا مدافعةٍ** .

قَدِمَ نيسابورَ سنةَ خمسٍ وستين ، وحجَّ ثم انصرفَ ، فأقام عندنا مدةً في سنة ستٍّ وستين ، وكان من أزهدِ الفقهاء وأورعِهم ، وأكثرِهم اجتهاداً في العبادة ، وأبكاهم على تقصيرِهِ ، وأشدِّهم تواضعاً وإخباتاً وإنابةً .

سمعَ ببخارىٰ أبا الفضلِ يعقوبَ بن يوسف العاصميَّ وأقرانَهُ ، وخرجَ إلىٰ أبي يعلىٰ بالنَّسفِ[3] ، فأكثرَ عنه وعن الهيثمِ بن كُليبٍ وأقرانِهما

---

(١) جاء في هامش (هـ) حاشية : (الأودني هـٰذا : نسبة إلىٰ قرية ببخارىٰ يقال لها : أودنة .
قال الأودني : سمعت شيوخنا رحمهم الله يقولون : دليلُ طول عمر الرجل اشتغالُهُ بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم
ومن غرائب الأودني : ما حكاه الرافعي : أنه وافق ابنَ سيرين ؛ فقال : العلة في الربا الجنسية ، فلا يجوز بيعُ مال بجنسه متفاضلاً ، ولا يشترط الطعم ولا النقد) انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ١٩٥) .

(٢) كذا ضبطه الإمام النووي ، وجوَّزَ ضمَّ الهمزة ، ويجوز في الدال الفتح أيضاً

(٣) وأبو يعلىٰ : هو عبدُ المؤمن بن خلف النسفي ، لا صاحب « المسند » ، ووقع التنبيه لكونهما متعاصرين رحمهما الله تعالىٰ .

تُوفِّي الفقيهُ أبو بكرٍ الأودنيُّ ببُخارىٰ سنةَ خمسٍ وثمانين وثلاث مئة)[1]

* * *

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ١١٠) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (٢/ ٤٨٠) ، وذكر أنه من أصحاب الوجوه ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ١٨٢) ، وقال الإمام في « نهاية المطلب » (٢/ ٤٦٠) في وصفه : (وكان من دأبه أن يضنَّ بالفقه علىٰ من لا يستحقُّهُ ، ولا يبديه ، وإن كان يظهرُ أثرُ الانقطاع عليه في المناظرة) .

ومنهم :

أبو منصور بن حمشاذ النيسابوري رحمه الله

٢١١ـ كتبَ إليَّ الأستاذُ أبو نصر بنُ الأستاذِ أبي القاسم القشيريُّ يخبرني قال : أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين الحافظُ ، أخبرَنا أبو عبدِ الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ قال : (**محمدُ بن عبد الله بن حَمْشاذَ ، أبو منصورٍ** الأديبُ الزاهد ، مِنَ العُبّاد العلماء المجتهدين .

درَس الأدبَ : على أبي عمرٍو الزَّرْدِيِّ ، وأبي حامدٍ الخارْزَنْجِيِّ ، وأبي عمرَ الزاهدِ وأقرانِهم ، **والفقهَ** بخراسانَ : على أبي الوليد ، وبالعراق على أبي علي بن أبي هريرة ، **والكلامَ** على أبي سهلٍ الخليطيِّ[1] ، **والمعانيَ** : على أبي بكرِ بن عبدوس ونظرائِهِ[2] .

وسمع بخراسان أبا حامد بن بلال البزَّاز ، وأبا بكرٍ محمدَ بن الحسين القطَّانَ وأقرانَهما ، **وبالعراق** : أبا عليٍّ الصفَّارَ ، وأبا جعفرٍ الرَّزَّازَ وأقرانَهما ، **وبالحجاز** : أبا سعيد بن الأعرابيِّ وأقرانَهُ .

ودخل اليمنَ ، فأدركَ بها الأسانيدَ العالية .

وكانَ من المجتهدينَ في العبادة ، الزاهدين في الدنيا ، **تجنَّبَ مخالطةَ السلاطين وأولياءَهم ، إلىٰ أن خرجَ من دارِ الدنيا وهو ملازمٌ لمسجدِهِ**

---

(١) قال الإمام ابن الصلاح في « طبقاته » (١/ ١٩٠) : (لا أعرف أبا سهل هـٰذا ، إلا أن يكون أبا سهلٍ محمدَ بن أحمد بن سهل الدَّشْتِيَّ المتكلِّم ، توفي سنة ثلاث وسبعين وثلاث مئة) .

(٢) قوله : (عبدوس) : كذا في (ط) ، وفي (أ) : (عبدش)، وفي (ب) : (عدس) ، وفي (و) : (عبدس) وتحتمل (عبدش) .

ومدرستِهِ ، قد اقتصرَ من بقيةِ أوقافٍ لسلفِهِ عليه علىٰ قوتِ يومٍ بيوم

تخرَّج به جماعةٌ من العلماءِ الواعظين ، وظهرَ له مِن مصنفاتِهِ أكثرُ من ثلاثِ مئة كتابٍ مصنَّف ! وقد ظهرَ لنا في غيرِ شيءٍ أنَّه كان مجابَ الدعوة[1]

تُوفِّي رحمه الله وقتَ الصبحِ يومَ الجُمُعة الرابعَ والعشرين من رجبٍ ، سنةَ ثمانٍ وثمانين وثلاثِ مئة ، وسمعتُهُ في مرضه الذي مات فيه يذكرُ مولده سنةَ ستَّ عشرَ وثلاثِ مئة ، فمات وهو ابنُ اثنتين وسبعين سنةً)[2]

* * *

---

(١) زاد الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ١٨٠) : (مرضَ أبو منصور الفقيهُ يومَ الأربعاء سادس عشر رجب ، واشتدَّ به المرضُ يوم الثلاثاء السابع من ابتداء مرضه ، فبكَّرتُ إليه وقد ثقُلَ لسانُه ، وكان يشيرُ بإصبعه بالدعاء ، ثم قال لي بجهد جهيد : تذكرُ قصَّةَ محمدِ بن واسع مع قتيبةَ بن مسلم ؟ فقلتُ : تفيدُ ، فقال : إن قتيبة كان يُجري علىٰ محمد بن واسع تلك الأرزاقَ وهو شيخٌ هرمٌ ضعيف ، فعوتبَ علىٰ ذلك ، فقال : إصبعُهُ في الدعاء أبلغُ في النصر من رماحِكم هـٰذه) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ١٢٨) ، وقال في حقِّهِ : (يخرُجُ أئمَّةً) ، و« طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ١٩٠) ، وزاد : (وغسَّلَهُ أبو سعدٍ الزاهد ، وصُلِّيَ عليه بباب معمر ، ودُفنَ بقربِ أحمد بن حرب الزاهد) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ١٧٩) .

وَمِنهم :

الشيخُ أبو الحسين بنُ سمعونَ البغداديُّ المذكِّرُ رحمه الله[1]

٢١٢ـ كتب إليَّ الشيخ أبو الحسنِ عبدُ الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسيُّ مِن نيسابورَ قال أخبرنا أبو بكرٍ محمدُ بن يحيى بن إبراهيم المُزكِّي ، حدثنا أبو عبدِ الرحمـٰن محمدُ بن الحسين بن موسى السلميُّ قال (محمدُ بن أحمد بن سمعونَ : كنيتُهُ : أبو الحسين ، من مشايخ البغداديين ، له لسانٌ عالٍ في هـٰذه العلوم ـ يعني : علوم أهل التصوف ـ ، لا ينتمي إلىٰ أستاذٍ ، وهو لسانُ الوقتِ ، والمرجوعُ إليه في آدابِ الظاهر ، يذهبُ إلىٰ أشدِّ المذاهبِ[2] ، وهو إمامُ المتكلِّمين علىٰ هـٰذا اللسانِ في الوقتِ ، لقيتُهُ وشاهدتُهُ) .

زاد غيرُ المزكِّي عن السلميِّ قال : (أبو الحسين بن سمعونَ ، الذي هو لسانُ الوقتِ ، والمُعبِّرُ عن الأحوال بألطفِ بيانٍ ، مع ما يرجعُ إليه من صحَّة الاعتقاد ، وصحبةِ الفقراء)[3]

---

(١) جاء في هامش (هـ) حاشية : (قال أبو نصر بن ماكولا الحافظ : «سمعون» بسين مهملة ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن العباس بن إسماعيل ، كُسِّر فقيل : سمعون ، سمع أبا بكر بن أبي داود ، وأحمد بن سليمان بن زبان الدمشقي ، وغيرهما ، وكان من الأعيان ، لم يُرَ مثله جودة لسان وسرعة خاطر وملاحة إشارة) انظر « الإكمال » (٤/ ٣٦٢) .

(٢) طلباً للورع ، وفي (ط) : (إلىٰ أسدِّ المذاهب) ، وعليه يكون من السداد ، لا من الشدة ، ولكلٍّ توجيهٌ وجيه .

(٣) انظر « تاريخ دمشق » (٥١/ ٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٧/ ١٥٢) .

٢١٣ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيم الحسينيُّ ، وأبو الحسنِ عليُّ بن أحمد الغسانيُّ ، وأبو منصورِ ابن خيرونَ قالوا : قال لنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت الحافظُ : (**محمدُ بن أحمد ابن إسماعيل بن عنبس بن إسماعيل ، أبو الحسينِ الواعظُ المعروفُ بابن سمعونَ** : كان واحدَ دهرِهِ وفردَ عصرِهِ في الكلام علىٰ علمِ الخواطر والإشارات ولسان الوعظ ، **دوَّنَ الناسُ حِكَمَهُ ، وجمعوا كلامَهُ**

وحدَّثَ عن : عبد الله بن أبي داود السِّجِسْتانيِّ ، وأحمدَ بن محمد بن سَلْمٍ المخرميِّ ، ومحمدِ بن مخلد الدوريِّ ، ومحمدِ بن جعفرِ المطيريِّ ، ومحمدِ بن محمد بن أبي حذيفةَ ، وأحمدَ بن سليمان بن زبَّان الدمشقيينِ ، وعمرَ بن الحسن الشيبانيِّ

حدثنا عنه : حمزةُ بن محمد بن طاهر الدقاقُ ، والقاضي أبو عليِّ بن أبي موسى الهاشميُّ ، والحسنُ بن محمد الخلالُ ، وأبو بكرِ الطاهريُّ ، وعبدُ العزيز بن علي الأزجيُّ ، وغيرُهم

وكان بعضُ شيوخِنا إذا حدَّثَ عنه قال : حدثنا الشيخُ الجليلُ المُنطَّقُ بالحكمة ، أبو الحسين بن سمعونَ .

وحدثني الحسنُ بن أبي طالب قال سمعتُ أبا الحسينِ بن سمعونَ يقول : **ولدتُ في سنة ثلاث مئة**)

وقال أبو بكر (أخبرني الحسنُ بن غالب بن المبارك المقرئ قال : سمعتُ أبا الفضل التميميَّ يقول : سمعتُ أبا بكرِ الأصبَهانيَّ ـ وكان خادمَ الشبليِّ ـ قال : كنتُ بين يدي الشبليِّ في الجامعِ يوم جمعةٍ ، فدخلَ أبو الحسين بنُ سمعونَ وهو صبيٌّ وعلىٰ رأسه قلنسوةٌ بشفاشكَ مُطلَّسٍ

بفوطةٍ ، فجازَ علينا وما سلَّمَ ، فنظرَ الشبليُّ إلىٰ ظهرِهِ وقال يا أبا بكرٍ ؛ **تدري أيْشٍ للهِ في هـٰذا الفتىٰ من الذخائر ؟!)**[1]

٢١٤ـ أخبرَنا الشيخُ الأمينُ أبو محمدٍ هبةُ الله بن أحمد بن محمد بن الأكفانيِّ قراءةً أو إجازةً قال : حدثنا أبو محمدٍ عبدُ العزيز بن أحمد بن محمد الكَتَّانيُّ ، أخبرنا أبو ذرٍّ عبدُ بن أحمد الهرويُّ الحافظُ إجازةً

وحدَّثني عنه[2] أبو النجيب عبدُ الغفَّار بن عبد الواحد الأُرْمَويُّ قال **(كان القاضي أبو بكرٍ الأشعريُّ وأبو حامدٍ يقبِّلانِ يدَ ابن سمعونَ إذا جاءاهُ ، وكان القاضي يقول : ربَّما خفيَ عليَّ من كلامِهِ بعضُ الشيء لدقَّتِهِ)**[3]

٢١٥ـ أخبرَنا الشيخ الفقيه أبو الفتح نصرُ الله بن محمد بن عبد القويِّ المِصِّيصِيُّ رحمه الله بدمشقَ قال حدثنا الفقيهُ أبو الفتحِ نصرُ بن إبراهيم بن نصر المقدسيُّ الزاهدُ رحمه الله قال : حدثنا عبيدُ الله بن عبد الواحد الزعفرانيُّ قال : حدثني أبو محمدٍ السنيُّ البغداديُّ صاحبُ ابنِ سمعونَ قال **كان ابنُ سمعونَ في أوَّل عمره ينسَخُ بأجرةٍ ، ويعودُ بأجرةِ نسخِهِ علىٰ نفسه وعلىٰ أمِّهِ ، وكان كثيرَ البرِّ لها** ، فجلسَ يوماً ينسَخُ وهي جالسةٌ بقربِهِ ، فقال لها : أحبُّ أن أحجَّ ، قالَتْ له يا ولدي ؛ كيف يمكنُكَ الحجُّ وما معك نفقةٌ ، ولا لي ما أنفقُهُ ؟! إنَّما عيشُنا من أجرةِ هـٰذا النسْخِ ! وغلبَ عليها النومُ ، فنامَتْ ، وانتبهَتْ بعد ساعة وقالت يا ولدي ؛ حُجَّ ، فقال لها منعْتِ قبل النومِ وأذنْتِ بعده ! قالت **رأيتُ الساعةَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو**

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١/ ٢٩٠) ، وفي الاستفهام فِراسةُ الشبلي فيه ، وبيانُ عظيمِ ما يصيرُ إليه .

(٢) القائل : هو الحافظ الكَتَّاني

(٣) انظر « تاريخ دمشق » (٥١/ ١٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٧/ ١٥٥) ، والقاضي أبو بكر : هو الإمام الباقلاني ، وأبو حامد : هو الإسفراييني إمام الشافعية في عصره .

يقول : دعيهِ يحجُّ ؛ فإنَّ الخيرةَ له في حجِّهِ في الآخرة والأُولىٰ ، ففرحَ ، وباعَ من دفاترِهِ ما له قيمةٌ ، ودفعَ إليها من ثمنها نفقةً لها ، وخرجَ مع الحُجَّاج ، وأخذَ العربُ الحُجَّاج ، وأخذوهُ في الجملة

قال ابنُ سمعونَ : فبقيتُ عُرْياناً ، ووجدتُ مع رجلٍ عباءةً كانَتْ علىٰ عدلٍ ، فقلت له : هبْ لي هـٰذه العباءةَ أسترْ نفسي بها ، فقال : خذْهَا ، فجعلتُ نصفَها علىٰ كتفي ، ونصفَها علىٰ وسطي ، وكان عليها مكتوبٌ : يا ربِّ ؛ سلِّمْ وبلِّغْ برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين ، وكنتُ إذا غلبَ عليَّ الجوعُ ، ووجدت قوماً يأكلون . . وقفْتُ أنظرُ إليهم ، فيدفعون إليَّ الكِسرةَ ، فأقتنعُ بها ذلك اليومَ .

ووصلتُ إلىٰ مكَّةَ ، فغسلْتُ العباءَةَ ، وأحرمْتُ بها ، وسألتُ أحدَ بني شيبةَ أن يدخلَني البيتَ ، وعرَّفتُهُ فقري ، فأدخلَني بعد خروجِ الناس وغَلَّقَ الباب ، فقلتُ : اللَّهمَّ ؛ إنَّكَ بعلمِكَ غنيٌّ عن إعلامي بحالي ، اللَّهمَّ ؛ ارزقْني معيشةً أستغني بها عن سؤالِ الناس ، فسمعتُ قائلاً يقول من ورائي : اللَّهمَّ ؛ إنَّه ما يحسنُ أن يدعوَكَ ، اللَّهمَّ ؛ ارزقه عيشاً بلا معيشةٍ ، فالتفتُّ ، فلم أرَ أحداً ! فقلتُ : هـٰذا الخضرُ أو أحدُ الملائكة ، فأعدتُ القولَ ، فأعادَ الدعاءَ ، فأعدتُ ، فأعادَ ثلاثَ مرَّات .

وعدتُ إلىٰ بغداد ، وكان الخليفةُ قد حَرَّمَ جاريةً من جواريهِ ، وأرادَ إخراجَها من الدار ، فكرهَ ذلك إشفاقاً عليها ، قال أبو محمد بن السنيِّ : فقال الخليفةُ اطلبوا رجلاً مستوراً يصلحُ أن تُزوَّجَ هـٰذه الجاريةُ به ، فقال مَنْ حضرَ : قد وصل ابنُ سمعونَ من الحجِّ ، وهو يصلحُ لها ، فاستصوبَ الخليفةُ قولَهُ ، وتقدَّمَ بإحضارِهِ وحضورِ الشهودِ ، فأُحضروا ، وزُوِّجَ بالجاريةِ ، ونُقِلَ معها من المال والثياب والجواهر ما تحملُ الملوكُ ، فكان ابنُ سمعونَ يجلسُ

على الكرسيِّ للوعظِ فيقولُ أيُّها الناسُ ؛ خرجتُ حاجّاً ، فكانَ من حالي كذا وكذا ـ ويشرحُ حالَهُ جميعَها ـ ، وهـٰأنا اليومَ عليَّ من الثيابِ ما ترونَ ، وطِيبي ما تعرفونَ ، ولو وطئْتُ على العِنبَةِ . . تألَّمْتُ من الدَّلالِ ، ونفسي تلكَ[1]

٢١٦ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسمِ عليُّ بن إبراهيمَ الخطيبُ ، والشيخُ أبو الحسنِ عليُّ بن أحمدَ الفقيهُ قالا حدثنا ، وأبو منصور محمدُ بن عبد الملك قال : أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن عليٍّ الخطيبُ قال : (حدثنا أبو بكرٍ محمدُ بن محمد الطاهريُّ قال : سمعتُ أبا الحسين بنَ سمعونَ يذكرُ أنَّه خرجَ من مدينة الرسولِ صلى الله عليه وسلم قاصداً بيتَ المقدسِ ، وحمل في صحبتِهِ تمراً صَيْحانيّاً ، فلمَّا وصلَ إلىٰ بيت المقدس . . تركَ التمرَ مع غيرِهِ من الطعامِ في الموضع الذي كانَ يأوي إليهِ ، ثم طالبتْهُ نفسُهُ بأكلِ الرُّطبِ ، فأقبلَ عليها باللائمةِ وقال مِن أين لنا في هـٰذا الموضعِ رطبٌ ؟! فلما كان وقتُ الإفطارِ . . عمدَ إلى التمر ليأكلَ منه ، فوجدَهُ رُطباً صَيْحانياً ! فلم يأكلْ منه شيئاً ، ثم عادَ إليه من الغدِ عشيةً ، فوجدَهُ تمراً علىٰ حالتِهِ الأولىٰ ، فأكلَ منه) أو كما قال[2]

٢١٧ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسم ، والشيخُ أبو الحسنِ قالا سمعنا أبا بكرٍ أحمدَ بن عليٍّ يقولُ .

وأخبرنا أبو منصورِ ابن خيرونَ قال أخبرنا أبو بكرٍ الخطيبُ قال : (سمعتُ أبا الحسنِ أحمدَ بن علي بن الحسن بن البادا[3] يقول سمعتُ

---

(١) رواه المصنف في « تاريخه » (٥١/ ١٠) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ١٥٢) .

(٢) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١/ ٢٩١)، والمصنف في « تاريخ دمشق » (٥١/ ١٣).

(٣) البادا : بفتح الباء الموحدة ، والدال المهملة بين ألفين ، كذا في « الأنساب » للسمعاني (٢/ ١٧) ، ونبَّهَ (٢/ ٢١) : أن العامة تذكره هكذا حتى عُرف به ، وأنه بالياء : (البادي) ؛ لأنه وُلِدِ مع أخٍ له فكان خروجه أوّلاً ، فسُمِّي بذلك .

أبا الفتحِ القوَّاسَ[1] يقول : لحقني إضاقةٌ وقتاً من الزمان[2] ، فنظرتُ فلم أجدْ في البيت غيرَ قوسٍ لي وخفَّينِ كنتُ ألبسُهما ، فأصبحتُ وقد عزمتُ علىٰ بيعِهما ، وكان يومُ مجلسِ أبي الحسين بنِ سمعونَ ، فقلتُ في نفسي : **أحضرُ المجلسَ ، ثم أنصرفُ فأبيعُ الخفَّينِ والقوسَ .**

قال : وكان القوَّاسُ قلَّما يتخلَّفُ عن حضورِ مجلسِ ابن سمعونَ .

قال أبو الفتح فحضرتُ المجلسَ ، فلمَّا أردتُ الانصرافَ . . **نادىٰ أبو الحسين : يا أبا الفتح ؛ لا تبعِ الخفَّينِ ولا تبعِ القوسَ ؛ فإنَّ اللهَ سيأتيك برزقٍ مِن عنده**) أو كما قال[3]

٢١٨ـ وأخبرَنا الشريفُ أبو القاسم ، والشيخُ أبو الحسنِ بنُ قُبيسٍ قالا : حدثنا ، وأبو منصورٍ الخيرونيُّ قال : أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن عليٍّ الخطيبُ قال : (حدَّثني رئيسُ الرؤساءِ شرفُ الوزراء أبو القاسم عليُّ بن الحسن قال : حدثني أبو طاهرٍ محمدُ بن علي بن العلاَّفِ قال : حضرتُ أبا الحسين بنَ سمعونَ يوماً في مجلسِ الوعظ وهو جالسٌ علىٰ كرسيِّهِ يتكلَّمُ ، وكان أبو الفتح القوَّاسُ جالساً إلىٰ جنب الكرسيِّ ، فغشيَهُ النعاسُ ونامَ ، فأمسكَ أبو الحسين عن الكلام ساعةً حتى استيقظ أبو الفتح ورفعَ رأسَهُ ، فقال له أبو الحسينِ : **رأيتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في نومِكَ ؟** قال : نعم ، فقال أبو الحسين : **لذلكَ أمسكتُ عن الكلامِ ؛ خوفاً أن تنزعجَ وتنقطعَ عمَّا كنتَ فيه**) أو كما قال[4]

---

(١) جاء في هامش (هـ) حاشية : (قال الدارقطني : كُنَّا نتبرك بأبي الفتح القواس ، وقال الخطيب : سمعتُ البرقاني والأزهري ذكرا أبا الفتح القواس فقالا : كان من الأبدال ، وقال لنا الأزهري : كان مُجاب الدعوة) انظر « تاريخ بغداد » (١٦/ ٤٧٦)

(٢) الإضاقة : الضيقُ ؛ يقال : أضاقه إضاقةً ، فهو ضيِّق .

(٣) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١/ ٢٩١) ، والمصنف في « تاريخ دمشق » (٥١/ ١٤) ، وانظر « صفوة الصفوة » (١/ ٥٥٠) .

(٤) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١/ ٢٩١)، والمصنف في « تاريخ دمشق » (٥١/ ١٤)، =

قال[1] (وحدثني رئيسُ الرؤساء أيضاً قال حكىٰ لي أبو عليٍّ بن أبي موسى الهاشميُّ قال : حكىٰ لي دُجَىَ مولى الطائعِ للهِ[2] قال أمرني الطائعُ لله بأن أوجِّهَ إلى ابن سمعونَ فأُحضِرَهُ دارَ الخلافة ، ورأيتُ الطائعَ علىٰ صفةٍ من الغضب ، وكان يُتَّقىٰ في تلك الحال ؛ لأنَّهُ كان ذا حدَّةٍ

فبعثتُ إلى ابن سمعونَ وأنا مشغولُ القلب لأجلِهِ ، فلمَّا حضرَ . . أعلمتُ الطائعَ حضورَهُ ، فجلس مجلسَهُ ، وأذنَ له في الدخول ، فدخلَ وسلَّمَ عليه بالخلافةِ ، ثم أخذَ في وعظِهِ ، فأوَّلُ ما ابتدأ به أن قال : رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ، وذكرَ خبراً وأحاديثَ بعده ، ثم قالَ : رُوِيَ عن أميرِ المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب كرَّمَ الله وجهَهُ ، وذكرَ عنه خبراً ، ولم يزلْ يجري في مَيدانِ الوعظِ حتىٰ بكى الطائعُ وسُمعَ شهيقُهُ ، وابتلَّ منديلٌ بين يديه بدموعِهِ ، فأمسك ابنُ سمعونَ حينئذٍ ، ودفعَ إليَّ الطائعُ دُرْجاً فيه طِيبٌ وغيرُهُ ، فدفعتُهُ إليه وانصرف .

= وانظر « صفوة الصفوة » (١/ ٥٥٢) .

وجاء في هامش (هـ) حاشية : (قال الحافظ أبو طاهر السلفي سمعت أبا عبد الله الحسين بن محمد بن لؤلؤ المرورّوذي الصوفي ببغداد يقول : سمعت أبا الحسن النهري يقول : وقف إنسان علىٰ أبي الحسين بن سمعون وهو في مجلس وعظه ، وكان قد وجد مثلوماً في فمه ، فقال : أيها الشيخ؛ ما علامة الصدق ؟ قال أن تخرج الحرام من الشدق ، قال : فرمىٰ بالذهب من فمه وذهب) .

(١) يعني : الحافظ الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » .

(٢) في (ط) : (دحىٰ) بدل (دجىٰ) ، وكان أسودَ اللون ، ويمكن أن يكون بالياء ؛ بمعنىٰ : شدة الظلام .

وجاء في هامش (هـ) حاشية : (الطائع لله أبو بكر ، عبد الكريم بن المطيع ، بويع له في اليوم الذي خلع أبوه فيه نفسَهُ ؛ يومَ الأربعاء ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاث مئة ، وسِنُّهُ ثمانٍ وأربعون سنة [. . .] أكبر سنّاً منه ولم تقلد الخلافة [. . .]) انظر « مورد اللطافة فيمن ولي من السلطنة والخلافة » لابن تغري بردي (١/ ٢٠٤) .

وعدتُ إلىٰ حضرةِ الطائع فقلتُ : يا مولاي ؛ رأيتُكَ علىٰ صفةٍ من شدَّة الغضب على ابنِ سمعونَ ، ثم انتقلْتَ عن تلك الصفة عند حضوره ، فما السببُ ؟ فقال رُفِعَ إليَّ عنه أنَّهُ يَتَنَقَّصُ عليَّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ، فأحببتُ أن أتيقَّنَ ذاك لأقابلَهُ عليه إن صحَّ ذلك منه ، فلمَّا حضرَ بين يديَّ . . افتتحَ كلامَهُ بذكر عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه والصلاةِ عليه ، وأعاد وأبدىٰ في ذلك ، وقد كانَ له مندوحةٌ في الرواية عن غيره ، وتركِ الابتداء به ، فعلمتُ أنَّهُ وُفِّقَ لما تزولُ به عنه الظِّنَّةُ ، وتبرأُ ساحتُهُ عندي ، ولعلَّهُ كُوشفَ بذلك) أو كما قال[١]

٢١٩ـ أخبرَنا الشريف أبو القاسم بن أبي الجنِّ ، والشيخ أبو الحسن بن قُبيسٍ ، وغيرُهما قالوا : حدثنا أبو بكرٍ أحمدُ بن عليٍّ الحافظُ قال : (أخبرنا أحمدُ بن محمد العتيقيُّ قال : سنةَ سبعٍ وثمانين وثلاثِ مئة : فيها تُوفِّيَ أبو الحسين بنُ سمعونَ الواعظُ ، يومَ النصف من ذي القعدة ، وكان ثقةً مأموناً) .

قال أبو بكر : (وذكرَ لي غيرُ العتيقيِّ : أنَّهُ تُوفِّي يومَ الخميس الرابع عشر من ذي القعدة ، ودُفنَ في داره بشارعِ العتَّابيينَ ، فلم يزلْ هناك حتىٰ نُقلَ في يوم الخميس الحادي عشر من رجبٍ سنة ستٍّ وعشرينَ وأربعِ مئةٍ ، فدفنَ ببابِ حربٍ ، وقيل لي : إنَّ أكفانَهُ لم تكنْ بَلِيَتْ بعدُ)[٢]

* * *

(١) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١/٢٩١) ، والمصنف في « تاريخ دمشق » (٥١/١٤) .
(٢) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١/٢٩٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (١٥/٦) .

وَمِنْهُم :

أبو عبد الرحمن الشُّرُوطيُّ الجرجانيُّ

٢٢٠ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم بن السمرقنديِّ ، أخبرنا أبو القاسم الجُرجانيُّ ، أخبرنا أبو القاسمِ حمزةُ بن يوسفَ قال (أبو عبد الرحمـٰن ، محمدُ بن إسماعيل بن أبي عبد الرحمـٰن القطَّانُ الشُّرُوطيُّ .

كان مُتكلِّماً علىٰ مذهب السنة ، وعالماً بالشُّرُوطِ وبالطبِّ[1] ، وكتبَ الحديثَ عن أبي يعقوبَ النحويِّ[2] ، ومَنْ في طبقتِهِ

تُوفِّي سنةَ تسعٍ وثمانين وثلاثِ مئة)[3]

* * *

---

(١) قوله : (عالماً بالشُّرُوط) يعني : بكتابة الصكوك والسجلاَّت ، وإليها نسبته .

(٢) كذا في النسخ ، ولعل الصواب ما في « تاريخ جرجان » (ص ٤٢٤) ، و« الأنساب » (٨/ ٨٦) : (البحري) ، وكذا سيأتي في ترجمة الإمام أبي نصر الإسماعيلي (ص ٤٣٨) في الخبر (٢٥٠) .

(٣) انظر « تاريخ جرجان » (ص ٤٢٤)

وَمِنهُم :

أبو عليٍّ الفقيهُ السَّرَخْسِيُّ رحمه الله

٢٢١ـ أخبرَني أبو نصرٍ عبدُ الرحيم بن أبي القاسم الإمام في كتابه إليَّ قال : أخبرنا أحمدُ بنِ الحسين البيهقيُّ قال : قال لنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحاكمُ الحافظُ (**زاهرُ بن أحمد بن محمد بن عيسى السَّرَخْسِيُّ ، أبو عليٍّ المقرئ** : الفقيهُ المحدِّثُ ، شيخُ عصرِهِ بخراسانَ

سمعَ بخراسانَ : أبا لبيدٍ محمدَ بن إدريسَ وأقرانَهُ ، وبالعراقِ : أبا القاسم البغويَّ ، وأبا محمد بنَ صاعد ، وأبا الحسنِ عليَّ بن عبد الله بن مبشر الواسطيَّ ، وأبا يعلىٰ محمدَ بن زهير الأُبُلِّيَّ وأقرانَهم[1]

وكانَتْ رحلتُهُ في سنةِ خمسَ عشرةَ وثلاثِ مئة ، وانصرفَ إلىٰ نيسابورَ سنةَ ثمانٍ وثلاثين وثلاثِ مئة ومشايخُنا متوافرون ، فأقامَ عندنا سنة يَحضرُ مجالسَ مشايخِنا ، وسمعتُ مناظرتَهُ إذ ذاك في مجلسِ الإمام أبي بكرٍ أحمدَ بن إسحاق وغيرِهِ ، وقد كان قرأ القرآنَ علىٰ أبي بكر بن مجاهدٍ ، وتفقَّهَ عندَ أبي إسحاق المَرْوَزيِّ ، ودرَس الأدبَ علىٰ أبي بكر بن الأنباريِّ ، ومحمدِ بن يحيى الصوليِّ وأقرانِهما

تُوفِّي زاهرُ بن أحمدَ الفقيهُ رحمه الله يومَ الأربعاء سلْخَ شهرِ ربيعِ الآخر من سنةِ تسعٍ وثمانين وثلاثِ مئة ، وهو ابنُ ستٍّ وتسعين سنةً ، رضي الله عنه

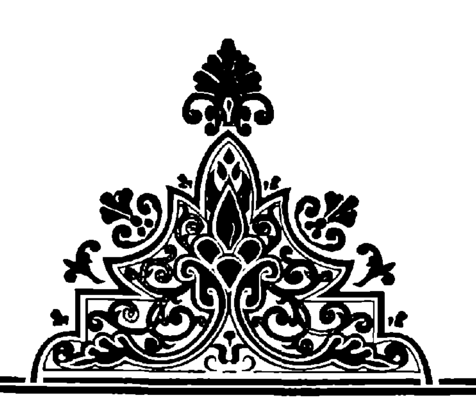
---

(١) في (ط) : (الأيلي) بدل (الأبلي) ، والصواب المثبت ، وانظر « لسان الميزان » (٧/ ١٤٢)

وأرضاه، وعن جميع أئمة المسلمين)[1]

* *

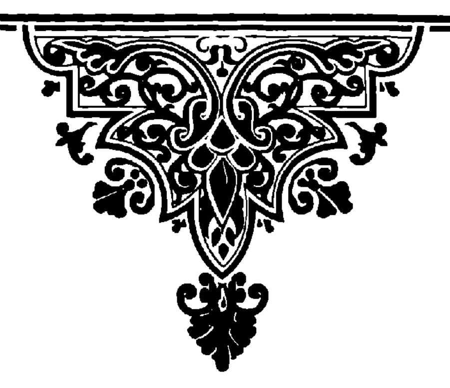
(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٧/ ١٨٠)، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٢٩٣)، وقال عنه الإمام ابن السبكي : (أخذَ علمَ الكلام عن الشيخ أبي الحسن الأشعريِّ رضي الله عنه) .
وهنا تنتهي الطبقة الأولىٰ من طبقات الأشاعرة ، والتي وصفها المصنف قبلُ (ص ٣٤٣) بقوله : (هم أصحابُهُ الذين أخذوا عنه ، ومَنْ أدركَهُ ممَّنْ قال بقولِهِ أو تعلَّمَ منه) ، وبيَّن هـٰذا المعنى الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٣٦٨) بقوله : (وربما كان في هـٰؤلاء من لم يثبتْ عندنا أنَّه جالَسَ الشيخَ ، ولـٰكن كلهم عاصروهُ ، وتمذهبوا بمذهبِهِ ، وقرؤوا كتبَهُ ، وأكثرُهم جالسَهُ وأخذَ عنه شفاهاً) .



ذِكرُ بعضِ الطّبقةِ الثّانيةِ

وهُمْ أصْحابُ أصْحابِهِ

مِمَّنْ سلَكَ مَسْلكَهُ فِي الأصُولِ وتَأدَّبَ بِآدابِهِ



فمنهم :

أبو سعدِ بنُ أبي بكرٍ الإسماعيليُّ الجُرجانيُّ رحمه الله

٢٢٢ـ أخبرَنا أبو القاسمِ بن أبي بكر الدلاَّلُ ، أخبرنا أبو القاسم بن أبي الفضل الجُرجانيُّ قال أخبرنا أبو القاسم حمزةُ بن يوسفَ بن إبراهيم السهميُّ في كتاب « تاريخ جرجانَ » قال

إسماعيلُ بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس ، أبو سعدٍ الإسماعيليُّ

كان إمامَ زمانِهِ ، مقدَّماً في الفقهِ وأصول الفقه والعربية والكتابة والشروطِ والكلام ، صنَّفَ في أصول الفقه كتاباً كبيراً سمَّاهُ « **تهذيبَ النظر** » ، وله كتابُ « **الأشربةِ** » ، ردٌّ على الجصَّاص

درَّسَ الفقهَ سنينَ كثيرة[١] ، وتخرَّجَ على يدِهِ جماعةٌ من الفقهاء من أهل جُرجانَ وطبرستانَ ، وغيرِهما من البلدان ، وكان فيه مِنَ الخصالِ المحمودة التي لا تحصىٰ ؛ مِنَ الورع الثخين ، والمجاهدةِ في العبادة والعلم ، والاهتمامِ بأمور الدين ، والنصيحةِ للإسلام ، وحسْنِ الخُلُقِ ، وطلاقةِ الوجه ، والسخاءِ في الإطعام ، وبذلِ المال ، وما لا أقدرُ أن أُحصيَهُ ، رحمةُ الله عليه ورضوانُهُ .

حججتُ معه في سنة أربع وثمانين ؛ حيث رجعَ من نصفِ البادية ، وحجَّ

---

(١) جاء في هامش (هـ) حاشية : (في رواية : درَّس الفقه والكلام) .

في سنة خمس وثمانين إلىٰ أن رجع إلىٰ وطنه ، كنتُ معه ، لم أرَهُ تغيَّرَ عن خُلُقِهِ النفيس ، كان معظَّماً مبجَّلاً في جميع البلدان

رویٰ عن : أبي بكرٍ محمدِ بن إبراهيم الشافعيِّ ، ومحمدِ بن إسحاق الفاكهيِّ ، ودَعْلَجٍ ، وعن الأصمِّ محمدِ بن يعقوب حديثاً واحداً ، وعن عبدِ الله بن عديٍّ كتابَ « الضعفاءِ » وجَمْعَهُ « مسندَ مالكِ بن أنس »

تُوفِّي ليلةَ الجمعةِ النصف من شهر ربيعِ الآخر سنةَ ستٍّ وتسعين وثلاثِ مئة ، وصلَّىٰ عليه أخوهُ أبو نصرٍ الإسماعيليُّ في صحراءِ بابِ الخندق في جمعٍ عظيمٍ ، لم أرَ مثلَ ذلك الجمع بجُرجانَ في تشييعِ جنازةِ أحدٍ قطُّ ، ودُفِنَ عند رأسِ والدِهِ أبي بكرٍ الإسماعيليِّ ، تُوفِّي وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنة .

وممَّا أكرمَهُ اللهُ به ، ورفعَ قدرَهُ به : أنَّهُ ماتَ وهو في صلاة المغربِ يقرأُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] ، ففاضَتْ نفسُهُ .

وممَّا أكرمَهُ اللهُ به : أنَّهُ حين قرُبَتْ وفاتُهُ ذهبَ منه جميعُ ما كان يملكُهُ مِنَ المالِ والضِّياع ، وكان يُوجِّهُ القطنَ إلىٰ باب الأبواب ، فغرقَ الجميعُ في البحر ، وكانَتْ له بضاعةٌ تُحملُ مِنْ أصبَهانَ ، فوقعَ عليها الأكرادُ فأخذوها ، وكان يُحملُ له مِنْ خراسانَ شيءٌ من الحنطةِ ، فوقعَ عليه قومٌ وأغاروا عليه ، وكانَ له ضيعةٌ بقريةٍ تُعرفُ بكوشكي(١) ، أمرَ قابوسُ بنُ وشمكيرَ(٢) أن تُقلعَ أشجارُها ، فقُلعَ جميعُ ذلك ، وكُبسَتِ القناةُ ، وقُبِضَ جميعُ ضياعِهِ .

وخَلَّفَ من الأولاد : أبا معمرٍ المفضل ، وأبا العلاء السري ، وأبا سعيد

---

(١) في « تاريخ جرجان » : (بكوسكرا) ، ولعلها (باب كوشك) ، وهي محلة في أصبَهان ، وانظر « معجم البلدان » (١/ ٣٠٩) .

(٢) هو الأمير شمسُ المعالي ، أبو الحسن ، قابوس بن أبي طاهر وشمكيرَ بن زيار بن وردانشاه الجيلي ، أميرُ جرجان وبلادِ الجيل وطبرستانَ ، وانظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٧٩) .

سعد[١] ، وأبا الفضلِ مسعدة ، وأبا الحسن مبشر[٢] ، وابنتين

فأمّا أبو معمرٍ : فصارَ إماماً مُقدَّماً في العلوم ، **وأبو العلاء** : فإنه أيضاً صارَ عالماً في الفقهِ والأدب .

حضرتُ يوماً مجلسَ الإمام أبي بكرٍ الإسماعيليِّ علىٰ باب دارِهِ ننتظرُ خروجَهُ ، فخرج الإمامُ أبو بكرٍ أحمدُ بن إبراهيم الإسماعيليُّ وهو مستبشرٌ وبيدِهِ جزءٌ ، فجلس وقال : أنشدني ابني أبو سعدٍ ، وأنشدَنا ، ثم أنشدَنا الإمامُ أبو سعدٍ بعد ما أنشدَنا والدُهُ عنه : [من الكامل]

إِنِّـي ٱدَّخَـرْتُ لِيَـوْمِ وِرْدِ مَنِيَّتِـي	عِنْـدَ ٱلإِلَـٰـهِ مِـنَ ٱلأُمُـورِ خَطِيـرَا
وَهُـوَ ٱلْيَقِيـنُ بِـأَنَّـهُ ٱلأَحَـدُ ٱلَّـذِي	مَـا زِلْـتُ مِنْـهُ بِفَضْلِـهِ مَغْمُـورَا
وَشَهَـادَتِـي أَنَّ ٱلنَّبِـيَّ مُحَمَّـداً	كَـانَ ٱلـرَّسُـولَ مُبَشِّـراً وَنَـذِيـرَا
وَبَـرَاءَتِـي مِـنْ كُـلِّ شِـرْكٍ قَـالَـهُ	مَـنْ لاَ يُقِـرُّ بِفِعْلِـهِ مَبْـرُورَا[٣]
وَمَحَبَّتِـي آلَ ٱلنَّبِـيِّ وَصَحْبَـهُ	كُـلاً أَرَاهُ بِـٱلْجَمِيـلِ جَـدِيـرَا
وَتَمَسُّكِـي بِـٱلشَّـافِعِـيِّ وَعِلْمِـهِ	ذَاكَ ٱلَّـذِي فَتَـقَ ٱلْعُلُـومَ بُحُـورَا
وَجَمِيلُ ظَنِّي بِٱلإِلَـٰهِ لِمَا جَنَتْ	نَفْسِي وَإِنْ جَرَمَتْ عَلَيَّ شُرُورَا[٤]
إِنَّ ٱلظَّلُـومَ لِنَفْسِـهِ إِنْ يَـأْتِـهِ	مُسْتَغْفِـراً يَجِـدِ ٱلإِلَـٰـهَ غَفُـورَا
فَـٱشْهَـدْ إِلَـٰهِـي أَنَّنِـي مُسْتَغْفِـرٌ	لاَ أَسْتَطِيـعُ لِمَـا مَنَنْـتَ شُكُـورَا
هَـٰذَا ٱلَّـذِي أَعْـدَدْتُـهُ لِشَـدَائِـدِي	وَكَفَـىٰ بِـرَبِّـي هَـادِيـاً وَنَصِيـرَا[٥]

---

(١) في (أ ، د) : (أسعد) ، ولعل المثبت أولىٰ ، لكنية المترجم به .

(٢) كذا وقعت أسماء أبنائه مرفوعة على القطع بعد الكنىٰ في جميع النسخ ، أو رسمت على لغة ربيعة .

(٣) في « تاريخ جرجان » : (مقدوراً) .

(٤) جرمَتْ : كسبَتْ ؛ يقال : جرمَ لأهله ؛ أي : كسبَ لهم ، وجارمُ أهله : كاسبهم .

(٥) إلىٰ هنا ينتهي النقلُ عن الحافظ السهمي من « تاريخ جرجان » (ص ١٤٧)

٢٢٣ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الحسنِ عليُّ بن أحمد بن منصور الغسانيُّ ، وأبو منصورٍ محمدُ بن عبد الملك المقرئ قالا قال لنا الشيخُ الإمام أبو بكرٍ أحمدُ بن علي بن ثابت الخطيبُ : (**إسماعيلُ بنُ أحمدَ بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس ، أبو سعدٍ الجُرجانيُّ المعروف بالإسماعيليِّ** : وردَ بغداد غيرَ مرَّةٍ ، وآخرُ ورودِهِ كان في حياة أبي الحسنِ الدارقطنيِّ

وحدَّث عن أبيه أبي بكرٍ الإسماعيليِّ ، وعن أبي العباسِ الأصمِّ النيسابوريِّ ، ومحمدِ بن أحمد بن حفص الدينوريِّ[1] ، ومحمدِ بن علي بن دُحيم الكوفيِّ ، وعبدِ الله بن عديٍّ الجُرجانيِّ

حدثنا عنه : محمدُ بن أحمد بن شعيب الرُّويانيُّ ، وأبو محمدٍ الخلالُ ، وعليُّ بن المحسن التنوخيُّ .

وكان ثقةً فاضلاً ، فقيهاً على مذهبِ الشافعيِّ ، وكان سخيّاً جواداً مُفْضِلاً على أهل العلمِ[2] ، والرئاسةُ بجُرجانَ إلى اليوم في ولدِهِ وأهل بيتِهِ)[3]

٢٢٤ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسمِ إسماعيلُ بن أحمد بن السمرقنديِّ قال : حدثنا الشيخُ الإمام أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن علي بن يوسف الشيرازيُّ قال : (**أبو سعدٍ ، إسماعيلُ بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيليُّ** ماتَ سنةَ ستٍّ وتسعين وثلاثِ مئة ، وجمعَ بين رئاسةِ الدين والدنيا بجُرجانَ ، وكان فقيهاً أديباً جواداً

أخذَ العلمَ : عن أبيه أبي بكرٍ الإسماعيليِّ ، وفيه وفي أخيه أبي نصرٍ وأبيهما أبي بكرٍ يقول الصاحبُ بن عبَّاد في « رسالته » « وأمَّا الفقيهُ

---

(١) في (ط) : (جعفر) بدل (حفص) .

(٢) في (ب) وحدها : (شيخاً) بدل (سخياً) .

(٣) انظر « تاريخ بغداد » (٦/٣٠٦)

أبو نصرٍ : فإذا جاءَ (حدثنا) و(أخبرنا) . . فصادعٌ وصادق ، وناقدٌ وناطق ، وأمَّا أنتَ أيُّها الفقيه أبا سعد : فمَنْ يراكَ كيف تُدرِّسُ وتفتي ، وتحاضر وتَرْوِي ، وتكتبُ وتملي . . علمَ أنَّك الحبرُ ابنُ الحبرِ ، والبحرُ ابنُ البحر ، والضياءُ ابنُ الفجر ، وأبو سعدِ بنُ أبي بكر ، فرحمَ اللهُ شيخَكم الأكبرَ ؛ فإنَّ الثناءَ عليه غُنمٌ ، والنساءَ بمثلِهِ عُقمٌ ، فليفخرْ به أهلُ جُرجانَ ، ما سال واديها ، وأذَّنَ مناديها »)[1]

٢٢٥ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الحسنِ بن أبي العباس الغسَّانيُّ ، حدثنا أحمدُ بن علي البغداديُّ قال : حدثني أبو سعدٍ إسماعيلُ بن علي بن الحسن الواعظُ الإستراباذيُّ قال : (**تُوفِّي أبو سعدٍ الإسماعيليُّ بجُرجانَ في شهرِ ربيعٍ الآخر من سنة ستٍّ وتسعين وثلاثِ مئة**)[2]

* * *

(١) انظر « طبقات الفقهاء » (ص١٢١) .

(٢) انظر « تاريخ بغداد » (٦/٣٠٧) .

وَمِنهم :

أبو الطيِّبِ بنُ أبي سهلٍ الصُّعلوكيُّ النيسابوريُّ رحمه الله

٢٢٦ـ كتبَ إليَّ الشيخُ أبو نصرٍ عبدُ الرحيم بن عبد الكريم بن هوازنَ قال : أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين بن عليٍّ الحافظُ قال : أخبرنا أبو عبدِ الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ قال (سهلُ بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان ابن موسى بن عيسى بن إبراهيم العجليُّ الفقيه الأديب ؛ أبو الطيِّبِ بن أبي سهلٍ الحنفيُّ الصُّعلُوكيُّ ، مفتي نيسابورَ وابنُ مفتيها ، وأكتبُ مَنْ رأينا مِنْ علمائِنا وأنظرُهم ، وقد كان بعضُ مشايخنا يقول : مَنْ أرادَ أن يعلمَ أنَّ النجيبَ ابن النجيب يكونُ بمشيئةِ الله سبحانه وتعالىٰ . . فلينظرْ إلىٰ سهلِ بن أبي سهلٍ

سمعَ : أباهُ الأستاذَ أبا سهلٍ ، وعنده تفقَّهَ ، وبه تخرَّجَ ، وسمعَ أبا العباسِ محمدَ بن يعقوبَ ، وأبا عليٍّ حامدَ بن محمد الهرويَّ ، وأبا عمرو بن نُجَيدٍ السلميَّ ، وأقرانَهم من الشيوخ

ودرَّسَ الفقهَ ، واجتمعَ إليه الخلْقُ اليومَ الخامس مِن وفاة الأستاذِ أبي سهلٍ سنة تسع وستين وثلاثِ مئة ، وقد تخرَّجَ به جماعةٌ من الفقهاء بنيسابورَ وسائرِ مدن خراسانَ ، وتصدَّروا للفتوىٰ والقضاء والتدريس ، وخُرِّجَتِ الفوائدُ من سماعاتِهِ ، وحدَّثَ وأملىٰ

وبلغني أنَّه وُضِعَ في مجلسه أكثرُ من خمس مئة محبرةٍ عشيَّةَ الجمعة الثالثَ والعشرين من المحرَّم ، سنةَ سبعٍ وثمانين وثلاثِ مئة

سمعتُ الأستاذَ أبا سهلٍ وذُكِرَ في مجلسِهِ عقلُ ولدِهِ سهلٍ وتمكينُهُ منه وعلوُّ همَّتِهِ ، وأكثروا وقالوا ، فلمَّا فرغوا قال الأستاذُ : **سهلٌ والدٌ !**[1]

ودخلتُ على الأستاذِ رحمَهُ اللهُ في ابتداءِ مرضه ، وسهلٌ غائبٌ إلىٰ بعض ضياعِهِ ، فكان الأستاذُ يشكو ما هو فيه ، فقال : **غَيبةُ سهلٍ أشدُّ عليَّ من هـٰذا الذي أنا فيه ، فلو حضرَ . . ما كنتُ أشكو ما بي** ، هـٰذا أو نحوه) .

قال أبو عبد الله[2] (وسمعتُ الرئيسَ أبا محمدٍ المِيكاليَّ[3] غيرَ مرَّةٍ يقول : **الناسُ يتعجَّبون من كتابة الأستاذِ أبي سهلٍ ، وسهلٌ أكتبُ منه !**)

قال : (وسمعتُ أبا الأصبغِ عبدَ العزيز بن عبد الملكِ وانصرفَ إلينا من نيسابورَ ونحن ببُخارىٰ ، فسألناهُ : ما الذي استفدتَ هـٰذه الكرَّةَ بنيسابورَ ؟ فقال : **رؤيةُ سهلِ بن أبي سهلٍ ؛ فإنِّي منذ فارقتُ وطني بأقصى المغرب وجئتُ إلىٰ أقصى المشرقِ . . ما رأيتُ مثلَهُ**)[4]

٢٢٧ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسمِ إسماعيلُ بن أحمد بن السمرقنديِّ قال : حدثنا الشيخُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن علي الفيروزاباديُّ الفقيهُ قال (**أبو الطيِّبِ ، سهلُ بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان الصُّعلُوكيُّ الحنفيُّ** : من بني حنيفةَ ، تفقَّهَ علىٰ أبيه أبي سهلٍ .

---

(١) هـٰذا كقول سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما في عبد الملك بن مروان : (ولدَ الناسُ أبناءً ، وولدَ مروانُ أباً) كما في « تاريخ دمشق » (٣٧/ ١٢١) .

(٢) يعني : الحاكم في « تاريخه » ، والسياق له

(٣) جاء في هامش (هـ) حاشية : (قال ابن الصلاح : وقد قيل : لم يكن بخراسان أكتبُ من أبي محمد الميكالي في وقته) انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ٤٨١) .

(٤) أورد هـٰذه الأخبار الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٣٩٣) عن الحاكم .

وكان فقيهاً أديباً ، جمعَ رئاسةَ الدين والدنيا ، وأخذَ عنه فقهاءُ نيسابورَ)[1]

٢٢٨ـ أخبرَنا الشيخُ أبو المعالي محمدُ بن إسماعيل بن محمد بن الحسين الفارسيُّ بنيسابورَ قال : أخبرنا الشيخُ أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين بن علي البيهقيُّ ، أخبرنا أبو عبدِ الله الحافظُ قال سمعتُ الشيخَ أبا الوليدِ حسَّانَ بن محمد الفقيهَ يقول : كنَّا في مجلسِ القاضي أبي العباسِ ابن سُريجٍ سنةَ ثلاث وثلاثِ مئة ، فقامَ إليه شيخٌ من أهل العلم فقال أبشرْ أيُّها القاضي ؛ فإنَّ الله يبعثُ على رأس كلِّ مئةٍ ـ يعني : سنةً ـ مَن يجدِّدُ لها ـ يعني : للأمَّةِ ـ أمرَ دينِها ، وإنَّه تعالى بعثَ على رأس المئة عمرَ بن عبد العزيز ، وتوفي سنةَ ـ يعني : ـ إحدى ومئة ، وبعثَ على رأسِ المئتينِ أبا عبد الله محمدَ بن إدريس الشافعيَّ ، وتُوفِّي سنةَ أربعٍ ومئتين ، وبعثَكَ على رأسِ الثلاثِ مئةٍ ، ثم أنشأَ يقولُ : [من الكامل]

اِثْنَانِ قَدْ مَضَيَا فَبُورِكَ فِيهِمَا ... عُمَرُ ٱلْخَلِيفَةُ ثُمَّ حِلْفُ ٱلسُّؤْدَدِ
اَلشَّافِعِيُّ ٱلأَلْمَعِيُّ مُحَمَّدٌ ... إِرْثُ ٱلنُّبُوَّةِ وَٱبْنُ عَمٍّ مُحَمَّدِ
أَبْشِرْ أَبَا ٱلْعَبَّاسِ إِنَّكَ ثَالِثٌ ... مِنْ بَعْدِهِمْ سَقْياً لِنَوْبَةِ أَحْمَدِ[2]

قال : فصاحَ أبو العباس القاضي وبكى ، وقالَ : قد نعى إليَّ نفسي

قال الشيخُ أبو الوليد : فماتَ القاضي أبو العباسِ في تلك السنةِ .

قال الحاكمُ أبو عبد الله فلمَّا رويتُ أنا هـٰذه الحكايةَ . . كتبوها ، وكان ممَّنْ كتبَها شيخٌ أديبٌ فقيه ، فلمَّا كان في المجلس الثاني . . قال لي بعضُ

---

(١) انظر « طبقات الفقهاء » (ص١٢٠) .

(٢) كذا في جميع النسخ (لنوبة أحمد) ، وفي (ط) وحدها : (لتربة أحمد) ، وابن سريج : هو أحمد بن عمر بن سريج ، أبو العباس البغدادي ، وفي (أ): (سُقياً) بالضم .

الحاضرين إنَّ هـٰذا الشيخَ قد زادَ في تلك الأبياتِ ذكْرَ الشيخِ أبي الطيِّب سهلِ بن محمد[1] ، وجعلَهُ علىٰ رأسِ الأربعِ مئةٍ ، فسألتُ ذلك الفقيهَ عنه ، فأنشدني قولَهُ في قصيدة مدحَهُ بها : [من الكامل]

وَٱلرَّابِعُ ٱلْمَشْهُورُ سَهْلُ مُحَمَّدٍ أَضْحَىٰ إِمَاماً عِنْدَ كُلِّ مُوَحِّدِ
يَأْوِي إِلَيْهِ ٱلْمُسْلِمُونَ بِأَسْرِهِمْ فِي ٱلْعِلْمِ إِنْ جَاؤُوا بِخَطْبٍ مُؤْيِدِ[2]
لاَ زَالَ فِيمَا بَيْنَنَا شَيْخَ ٱلْوَرَىٰ لِلْمَذْهَبِ ٱلْمُخْتَارِ خَيْرَ مُجَدِّدِ

قال الحاكم فسكتُّ ولم أنطقْ ، وغمَّني ذلك ، إلىٰ أن قَدَّرَ الله وفاتَهُ رحمَهُ اللهُ في تلك السنةِ[3]

٢٢٩ـ أنشدنا الشيخُ أبو حفصٍ عمرُ بن علي بن أحمد الطُّوسيُّ ثم النَّوقَانيُّ الفقيه المعروف بالفاضليِّ البَخْتَرِيِّ بنوقانَ قال أنشدنا الشيخُ الرئيس أبو إبراهيمَ أسعدُ بن مسعود العُتْبِيُّ إملاءً بنيسابورَ قال : أنشدني جدِّي الشيخُ أبو النضرِ ـ يعني العُتْبِيَّ النيسابوريَّ ـ لنفسِهِ فيما كتبَ إلى الإمام الصُّعلُوكيِّ [من الطويل]

أَلاَ أَيُّهَا ٱلشَّيْخُ ٱلإِمَامُ وَمَنْ بِهِ تَبَلَّجَ فَجْرُ ٱلدَّهْرِ عَنْ فَلَقِ ٱلْبِشْرِ
لَئِنْ كُنْتَ فِي ٱلدُّنْيَا وَأَنْتَ وِشَاحُهَا عِيَاناً فَإِنَّ ٱلدُّرَّ فِي صَدَفِ ٱلْبَحْرِ
وَلَمْ تَحْوِكَ ٱلدُّنْيَا لِأَنَّكَ دُونَهَا وَلَـٰكِنَّ لُبَّ ٱلشَّيْءِ يُحْرَزُ بِٱلْقِشْرِ

---

(١) جاء في هامش (هـ) حاشية (استفتي سهل الصعلوكي في اللعب بالشطرنج فكتب : إن سلمت اليدُ عن الخسران ، والصلاةُ عن النسيان . فذلك أنسٌ بين الخلان ، كتبه سهل بن محمد بن سليمان) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٤٠٠) .

(٢) **المُؤْيِدُ** : الأمر العظيم ، والداهية ، وفي (أ): (مؤبد) ، وفي (ط) : (مربد) .

(٣) ورواها المصنف في « تاريخ دمشق » (٥١/ ٣٤١) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١/ ٢٠٠) ، واختار أن مجدِّد القرن الثالث في الأصول هو الإمام الأشعري ، وفي الفروع القاضي ابن سريج الشافعي .

وَقَدْ صِينَ نَصْلُ ٱلسَّيْفِ تَحْتَ قِرَابِهِ   كَمَا صِينَ نُورُ ٱلْعَيْنِ فِي ٱلْجَفْنِ وَٱلشُّفْرِ

٢٣٠ـ سمعتُ أبا المظفر بن أبي القاسم القشيريَّ يقول : سمعتُ أبي يقول : سمعتُ أبا سعيدٍ الشَّحَّامَ يقول : رأيتُ الشيخَ الإمام أبا الطيِّبِ سهلَ الصُّعلوكيِّ في المنام[1] ، فقلتُ : أيُّها الشيخُ ، فقال : دع الشيخَ[2] ، فقلتُ : وتلك الأحوالُ التي شاهدتها ؟ فقال لم تغنِ عنَّا ، فقلتُ : ما فعلَ الله بكَ ؟ فقال : غفرَ لي بمسائلَ كانت تسألُ عنها العُجُزُ[3]

* * *

---

(١) كذا رسمت كلمة (سهل) في جميع النسخ بغير ألف ، على الإضافة ، أو على لغة ربيعة .
(٢) كذا في جميع النسخ ، وفي « الرسالة القشيرية » : (دعِ التشيخَ) .
(٣) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٧٦٢) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (١/ ١٥٧) من طريق الإمام القشيري .

ومنهم :

أبو الحسن بن داود المقرئ الداراني الدمشقي رحمه الله

٢٣١ـ أخبرَنا الشيخُ الأمين أبو محمدٍ هبةُ الله بن أحمد بن محمد بن الأكفانيِّ قال : حدثنا أبو محمدٍ عبدُ العزيز بنُ أحمدَ بن محمد بن علي التميميُّ الصوفيُّ الكَتانيُّ الحافظُ قال : سمعتُ جماعةً مِنْ شيوخنا يقولون تُوفِّي أبو الحسنِ عليُّ بن داود المقرئ الدَّارانِيُّ يومَ الأربعاء بعد العصر ، لستٍّ خلونَ من جُمادى الأولىٰ ، سنةَ اثنتينِ وأربعِ مئة

قال عبدُ العزيز قرأَ على ابنِ الأخرم ؛ يعني : أبا الحسن محمدَ بنَ النضر بن مُرٍّ بن الحُرِّ ، وانتهَتِ الرئاسةُ إليه في قراءة الشاميينَ .

حدَّث عن الحسنِ بن حبيب ، وخيثمةَ بنِ سليمان ، وغيرِهما ، لم أسمعْ منه ، وحضرتُ جنازتَهُ ، وكان ثقةً مأموناً ، مضىٰ علىٰ سدادٍ وأمرٍ جميل ، وكان يذهبُ إلىٰ مذهب أبي الحسن الأشعريِّ رحمَهُ اللهُ ، وكان يصلِّي بالناس في جامعِ دمشقَ[١]

٢٣٢ـ فسمعتُ الشيخَ الأمين أبا محمد بن الأكفانيِّ يحكي مِنْ حفظِهِ عن بعضِ مشايخه الذين أدركوا ذلك : أنَّ أبا الحسن بن داود كان يؤمُّ أهل داريَّا ، فماتَ إمامُ جامعِ دمشق ، فخرجَ أهلُ دمشقَ إلىٰ داريَّا[٢] ليأتوا به للصلاةِ

---

(١) انظر « ذيل مولد العلماء » للحافظ الكتاني (ص١٣١) .

(٢) جاء في هامش (هـ) حاشية : (في شوال سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة ، كذا ذكره في « تاريخ دمشق ») انظر « تاريخ دمشق » (٤١/ ٤٧٠) .

بالناس في جامعِ دمشق ، وكان فيمَنْ خرجَ معهم القاضي أبو عبدِ الله بن النَّصِيبيِّ الحسينيُّ ، وجِلَّةُ شيوخِ البلد ؛ كأبي محمد بن أبي نصر وغيره ، فلبسَ أهلُ داريَّا السلاحَ ، وقالوا : **لا نمكِّنُكم مِن أخذِ إمامِنا** ، فتقدَّم إليهم أبو محمد بن أبي نصر وقال : **يا أهلَ داريَّا ؛ أما ترضون أن يُسمعَ في البلاد : أنَّ أهلَ دمشقَ احتاجوا إلىٰ إمامِ أهل داريَّا يصلِّي بهم ؟** فقالوا : بلىٰ ، قد رضينا ، وألقوا السلاحَ

فقُدِّمَتْ له بغلةُ القاضي ليركبَها ، فلم يفعلْ ، وركبَ حمارةً كانَتْ له ، فلمَّا ركبَ . . التفتَ إلى ابنِ النَّصِيبيِّ فقال : أيُّها القاضي الشريفُ ؛ مثلي يصلحُ أن يكونَ إمامَ الجامع ، وأنا عليُّ بن داود ؛ كان أبي نصرانياً فأسلمَ ، وليس لي جَدٌّ في الإسلام ؟! فقال له القاضي : **قد رضيَ بك المسلمون**

فدخلَ معهم ، وسكنَ في أحدِ بيوت المنارة الشرقيَّة ، وكان يصلِّي بالناس ، ويقرئُهم في شرقيِّ الرواقِ الأوسطِ من الجامع ، **ولا يأخذُ علىٰ صلاتِهِ أجراً ، ولا يقبلُ ممَّن يقرأُ عليه بُرّاً** ، **ويقتاتُ من غلَّةِ أرضٍ له بداريَّا** ، ويحملُ من الحنطةِ ما يكفيهِ من الجمعة إلى الجمعة ، ويخرجُ بنفسِهِ إلىٰ طاحونةِ كُسْمِلِّينَ خارجَ باب السلامةِ[1] ، فيطحنُهُ ويعجنُهُ ويخبزُهُ ، ويقتاتُهُ طولَ الأسبوع ، أو كما قال

٢٣٣ـ وسمعتُ غيرَ أبي محمد بن الأكفانيِّ يذكرُ : أنَّهُ كان يقرأُ عليه رجلٌ مُبخَّلٌ له أولادٌ كانوا يشتهون عليه القطائفَ مدةً وهو يَمطُلُهم ، فأُلقي في رُوعِ أبي الحسن بن داودَ رحمَهُ اللهُ أمرُهم ، فسألَهُ أن يتَّخذَ له قطائفَ ، فبادرَ الرجلُ إلىٰ ذلك ؛ لأنَّ أبا الحسن لم تكن له عادةٌ بطلبِ شيءٍ ممَّن يقرأُ عليه ولا بقبولِهِ ، واشترىٰ سُكَّراً ولوزاً ، واتخذَها في إناءٍ واسع ، ثم أكلَ منها

(١) هٰكذا ضبطت لفظة (كُسْمِلِّين) في (أ ، ب ، و) ، وتصحفت في غالب الكتب .

فوجدَ لوزَها مُرّاً ، فمنعَهُ بخلُهُ من عملِ غيرها ، وحملَها إلى ابنِ داودَ متغافلاً ، فأكلَ منها واحدةً ، ثم قال له احملْها إلىٰ صبيانِكَ ، فجاءَ بها إلىٰ بيتِهِ ، فوجدَها حلوةً ، فأطعمَها أولادَهُ ، أو كما قال

٢٣٤ـ وسمعتُ الشيخَ الفقيه الإمامَ أبا الحسنِ عليَّ بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح السلميَّ يحكي عن بعضِ شيوخِهِ : أنَّ أبا الحسنِ بن داودَ لمَّا كان يصلي في جامعِ دمشقَ . . تكلَّم فيه بعضُ الحشويَّةِ ، فكتبَ إلى القاضي أبي بكر محمدِ بن الطيب بن الباقلانيِّ إلىٰ بغداد يعرِفُهُ ذلك ، ويسألُهُ أن يرسلَ إلىٰ دمشقَ مِن أصحابِهِ مَن يوضِّح لهم الحقَّ بالحُجَّةِ

فبعث القاضي تلميذَهُ أبا عبد الله الحسينَ بن حاتم الأذريَّ[1] ، فعقدَ مجلسَ التذكيرِ في جامع دمشقَ في حلقة أبي الحسن بن داودَ ، وذكر التوحيدَ ، ونزَّهَ المعبود ونفىٰ عنه التشبيهَ والتحديدَ ، فخرجَ أهلُ دمشقَ من

---

(١) جاء في هامش (هـ) حاشية : (قال أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف الرشاطي اللخمي في كتابه « اقتباس الأنوار في معرفة أنساب الصحابة ورواة الآثار » : الأذري : منسوب إلىٰ أذربيجان ؛ أبو عبد الله الحسين بن حاتم الأذري مؤلف كتاب « اللامع في أصول الفقه » ، وهو مختصر حسن في معناه ، وكان رحمه الله حسن الأخلاق ، مليح الدعابة ، وكان مولعاً بالحلواء ، وكان أصحابه قد علموا ذلك منه ، فمتىٰ حضر عندهم . . قدَّموا له في آخر الطعام الحلواء ، وإنَّ أحدَهم أغفلَ ذلك في بعض الأحيان ، فلمَّا أخذوا في الانصراف . . قال الأذري أفطرَ عندكم الصائمون ، وأكلَ طعامكم الأبرارُ ، وصلَّت عليكم نصفُ الملائكة ! فقيل له : إنَّما هو : وصلَّت عليكم الملائكة ! فقال : بقي النصفُ الثاني مع الحلواء
مات رحمه الله بالقيروان سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة ، مولدُ الرشاطي بن السيد لثمانٍ خلونَ من جُمادى الآخر سنة ست وستين وأربع مئة ، وتوفي شهيداً بالمرية عند تغلب العدو عليها صبيحة يوم الجمعة العشرين من جمادى الأول سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة ، رحمه الله تعالى) انظر « تراجم المؤلفين التونسيين » (١/ ٤٥) .

مجلسه وهم يقولون : أحدٌ أحدٌ[1]

هـٰذا معنىٰ ما ذكرَهُ لي رحمَهُ اللهُ ، وأقامَ أبو عبد الله الأذريُّ بدمشقَ مدَّةً ، ثم توجَّهَ إلى المغرب[2] ؛ فنشرَ العلم بتلك الناحيةِ ، واستوطنَ القيروانَ إلىٰ أن ماتَ بها رحمَهُ اللهُ

* * *

---

(١) وانظر هـٰذه الأخبار في « تاريخ دمشق » (٤١/ ٤٦٩) .

(٢) هو أحدُ عالمين من أصحاب الإمام الباقلاني نزلا المغرب ، وانظر (ص ٢٦٩) .

ومنهم :

القاضي أبو بكر بن الطيب بن الباقلاني البصري رحمه الله

٢٣٥ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسمِ عليُّ بن إبراهيم بن العباس الحسينيُّ ، والشيوخُ : أبو ترابٍ حيدرةُ بن أحمد بن الحسين الأنصاريُّ المقرئ ، وأبو الحسنِ عليُّ بن أحمد بن منصور الغسَّانيُّ الفقيهُ ، وأبو منصور محمدُ بن عبد الملك ابن خيرونَ قالوا قال لنا أبو بكر أحمدُ بن عليٍّ بن ثابت الخطيبُ : (محمد بن الطيِّب بن محمد ، أبو بكر القاضي ، المعروف بابن الباقلاَّني : المتكلِّمُ على مذهب الأشعريِّ ، من أهلِ البصرة

سكن بغداد ، وسمعَ بها الحديثَ من : أبي بكرِ بن مالك[1] ، وأبي محمدِ بن ماسِي ، وأبي أحمدَ الحسينِ بن عليٍّ النيسابوريِّ .

خرَّجَ له : محمدُ بن أبي الفوارس ؛ يعني : الحنبليَّ[2] ، وحدثنا عنه : القاضي أبو جعفر محمدُ بن أحمد السِّمنانِيُّ ، وكان ثقةً .

فأمَّا علمُ الكلام : فكان أعرفَ الناس به ، وأحسنَهُم خاطراً ، وأجودَهم لساناً ، وأوضحَهُم بياناً ، وأصحَّهم عبارةً ، وله التصانيفُ الكثيرة المنتشرة في الردِّ على المخالفين[3] ؛ من الرافضة والمعتزلة والجهميَّة والخوارج وغيرِهم .

---

(١) يعني : الإمام القطيعي ، راوي « مسند أحمد » عن ابنه عبد الله .

(٢) يعني : خرَّجَ له الفوائدَ .

(٣) ونقل القاضي عياض في « ترتيب المدارك » (٧/ ٤٩) عن العلامة الميورقي قال : (أنه حسبَ تآليفَ القاضي وإملاءاته ، من مولده إلىٰ موته ، فوجد أنها يقع لكلِّ يوم منه عشرون !) .

وحُدِّثْتُ : أنَّ ابنَ المعلم[1] شيخَ الرافضة ومُتكلِّمَها حضرَ بعضَ مجالسِ النظر مع أصحاب له ؛ إذْ أقبلَ القاضي أبو بكر الأشعريُّ ، فالتفتَ ابنُ المعلم إلىٰ أصحابه وقال لهم : قد جاءَكم الشيطانُ ، فسمعَ القاضي كلامَهُ وكان بعيداً من القوم ، فلمَّا جلسَ . . أقبل على ابنِ المعلم وأصحابه وقال لهم : قال الله تعالىٰ ﴿ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم : ٨٣] أي : إن كنتُ شيطاناً . . فأنتم كفَّار ، وقد أُرسلتُ عليكم)[2]

٢٣٦ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسم الخطيبُ ، وأبو الحسنِ بن قُبيسٍ الفقيهُ ، وأبو ترابٍ المقرئ قالوا : حدثنا ، وأبو منصور المقرئ قال : أخبرنا أبو بكر الحافظُ قال : (حدثنا أبو القاسم عليُّ بن الحسن بن أبي عثمان الدَّقاقُ ، وغيره : أنَّ الملك الملقَّبَ بعضدِ الدولة كان قد بعثَ القاضيَ أبا بكر بن الباقلانيِّ في رسالة إلىٰ ملك الروم[3] ، فلمَّا وردَ مدينتَهُ . . عرف الملكُ خبرَهُ ، وبُيِّنَ له محلُّهُ من العلم وموضعُهُ ، فأفكرَ الملكُ في أمرِهِ ، وعلمَ أنَّه لا يكفِّرُ له إذا دخلَ عليه[4] ؛ كما جرىٰ رسْمُ الرعية أن تقبِّلَ الأرضَ بين يدي الملوك ، ثم نَتَجَتْ له الفكرةُ أن يضعَ سريرَهُ الذي يجلسُ عليه وراءَ

---

(١) هو محمد بن محمد بن النعمان البغدادي ، المعروف بالشيخ المفيد ، قال الحافظ ابن حجر : (وكان كثير التقشُّف والتخشُّع والإكباب على العلم ، تخرج به جماعة ، وبرع في مقالة الإمامية) انظر « لسان الميزان » (٧/ ٤٨٦) .

(٢) انظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٤٥٥) .

(٣) في « ترتيب المدارك » (٧/ ٦٨) : (وكان سير القاضي الىٰ ملك الروم سنةَ نيف وثمانين وثلاث مئة) .

(٤) في (ط) : (وعلمه أنه لا يكفر) بدل (وعلم أنه لا يكفر) ، والتكفير : أن يخضع الإنسان لغيره وينحني ويطأطئ رأسه قريباً من الركوع ، كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه . انظر « تاج العروس » (ك ف ر) .

باب لطيفٍ لا يمكنُ لأحدٍ أن يَدخُلَ منه إلا راكعاً[1] ؛ ليدخلَ القاضي منه علىٰ تلك الحال ، فيكون عوضاً من تكفيرِهِ بين يديه .

فلمَّا وضع سريرَهُ في ذلك الموضعِ . أمرَ بإدخال القاضي من الباب ، فسارَ حتىٰ وصل إلى المكانِ ، فلمَّا رآهُ . . تفكَّرَ فيه ، ثم فطنَ بالقصَّةِ ، **فأدارَ ظهرَهُ وحنىٰ رأسَهُ راكعاً ، ودخلَ من الباب وهو يمشي إلىٰ خلفِهِ ، وقد استقبلَ الملكَ بدُبرِهِ حتىٰ صارَ بين يديه** ، ثم رفعَ رأسَهُ ونصبَ ظهرَهُ ، وأدارَ وجهَهُ حينئذٍ إلى الملك ، فعجبَ من فطنتِهِ ، ووقعَتْ له الهيبةُ في نفسه)[2]

٢٣٧ـ وأخبرَني الشيخُ أبو القاسم نصرُ بن نصر بن عليٍّ في كتابه إليَّ ، عن القاضي أبي المعالي عَزِيزي بن عبد الملك قال : وقيل إنَّه دخلَ إليه يوماً[3] ، فرأىٰ عنده بعضَ مطارنتِهِ ورهابنتِهِ ، فقال له مستهزئاً به : **كيف أنت ؟ وكيف الأهل والأولاد ؟** فتعجَّبَ الروميُّ منه ! وقال له : ذَكَرَ مَنْ أرسلَكَ في كتاب الرسالة أنَّك لسانُ الأمة ، ومتقدِّمٌ علىٰ علماء الملَّة ، أما علمتَ أنَّا نُنزِّهُ هـٰؤلاءِ عن الأهل والأولاد ؟!

فقال القاضي أبو بكر **أنتم لا تنزِّهون الله سبحانه وتعالىٰ عن الأهل والأولاد ، وتنزِّهونَهم ؛ فكأنَّ هـٰؤلاء عندكم أقدسُ وأجلُّ وأعلىٰ من الله سبحانه وتعالىٰ ! فوقعَتْ هيبتُهُ في نفس الروميِّ**[4]

٢٣٨ـ وبلغني أنَّ طاغيةَ الرومِ قال له وقصدَ توبيخه : أخبرني عن قصَّةِ عائشةَ زوجِ نبيِّكم وما قيل فيها ، فقال له القاضي أبو بكر **هما اثنتان قيل**

---

(١) كذا في (د) وحدها ، وفي سائر النسخ : (أحد) بدل (لأحد)

(٢) رواه الخطيب في « تاريخه » (٢/ ٤٥٥) ، وانظر « ترتيب المدارك » (٧/ ٥٧) .

(٣) يعني : ملك الروم في رحلته التي بعثه فيها عضد الدولة .

(٤) أورد الخبر بنحوه هنا القاضي عياض في « ترتيب المدارك » (٧/ ٦٨) .

فيهما ما قيلَ : زوجُ نبيِّنا ، ومريمُ بنت عمرانَ ؛ فأمَّا زوجُ نبيِّنا . . فلم تلد ، وأمَّا مريمُ . . فجاءَتْ بولدٍ تحمله علىٰ كتفِها ، وكلٌّ قد برَّأَها اللهُ ممَّا رُميَتْ به ، فانقطعَ الطاغيةُ ، ولم يُحِرْ جواباً

٢٣٩ـ وأنبأني أبو القاسمِ الواعظُ ، عن القاضي أبي المعالي أيضاً قال : سمعتُ الشيخَ أبا القاسم بنَ بَرْهانَ النحويَّ يقول : (مَنْ سمعَ مناظرةَ القاضي أبي بكر . . لم يستلذَّ بعدَها بسماع كلامِ أحدٍ من المتكلِّمين والفقهاء والخطباء والمترسِّلين ولا الأغاني أيضاً ؛ مِن طيبِ كلامه وفصاحتِهِ ، وحسنِ نظامِهِ وإشارتِهِ)

له التصانيفُ الكثيرةُ في الردِّ على المخالفين ؛ من المعتزلة ، والرافضة ، والخوارج ، والمرجئة ، والمشبِّهة ، والحشويَّة .

٢٤٠ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيم ، والشيخانِ ؛ أبو الحسن عليُّ بن أحمد ، وأبو ترابٍ حيدرةُ بن أحمد قالوا : سمعنا أبا بكر أحمدَ بن علي الخطيبَ يقول ، وأخبرنا الشيخُ أبو منصور ابن خيرونَ قال : أخبرنا أبو بكر الخطيبُ قال[1] : (سمعتُ أبا الفرج محمدَ بن عمران الخلاَّلَ يقول : كان وِردُ القاضي أبي بكر محمدِ بن الطيِّب في كلِّ ليلة عشرين ترويحةً ، ما تركَها في حضرٍ ولا سفر

قال : وكان كل ليلة إذا صلَّى العشاء وقضىٰ وردَهُ . . وضعَ الدواةَ بين يديه ، وكتب خمساً وثلاثين ورقةً تصنيفاً عن حفظه ، وكان يذكرُ أنَّ كَتْبَهُ بالمداد أسهلُ عليه من الكَتْبِ بالحبرِ[2] ، وإذا صلَّى الفجرَ . . دفعَ إلىٰ بعضِ أصحابِهِ ما صنَّفَهُ في ليلتِهِ ، وأمرَهُ بقراءته عليه ، وأملىٰ عليه الزياداتِ فيه .

---

(١) قوله : (وأخبرنا الشيخُ أبو منصور ابن خيرون قال . . .) سقط من (ب)

(٢) في (د) : (كَتْبَتَهُ) بدل (كَتْبَهُ) ، والمداد أعمُّ من الحِبْر .

قال أبو الفرج : وسمعتُ أبا بكرٍ الخوارزميَّ يقول : كلُّ مصنِّفٍ ببغداد إنَّما ينقلُ من كتب الناس إلىٰ تصانيفِهِ ، سوى القاضي أبي بكرٍ ؛ فإنَّ صدرَهُ يحوي علمَهُ وعلْمَ الناس)

وقالوا : حدثنا أبو بكرٍ أحمدُ بن علي الخطيبُ : (حدثنا عليُّ بن محمد بن الحسن الحربيُّ المالكيُّ قال : كان القاضي أبو بكر الأشعريُّ يَهمُّ بأن يختصرَ ما يصنِّفُهُ ، فلا يَقدِرُ علىٰ ذلك ؛ لسعةِ علمِهِ ، وكثرةِ حفظِهِ

قال: وما صنَّفَ أحدٌ خلافاً إلا احتاجَ أن يطالعَ كتبَ المخالفين ، غيرَ القاضي أبي بكرٍ ؛ فإنَّ جميعَ ما كان يذكرُ خلافَ الناس فيه صنَّفَهُ مِن حفظِهِ)[1]

قال أبو بكرٍ : (وحدثني القاضي أبو حامدٍ أحمدُ بن محمد بن أبي عمرٍو الأُسْتوائيُّ قال : كان أبو محمدٍ البافِيُّ[2] يقول : لو أوصىٰ رجلٌ بثلث مالِهِ أن يُدفعَ إلىٰ أفصحِ الناس . . لوجبَ أن يُدفعَ إلىٰ أبي بكرٍ الأشعريِّ)[3]

٢٤١ـ أخبرَني الشيخُ أبو القاسمِ نصرُ بن نصر في كتابه إليَّ ، عن القاضي أبي المعالي بنِ عبد الملك قال[4] : ذكرَ الشيخُ الإمام أبو حاتِمٍ محمودُ بن الحسين القَزْوِينيُّ : أنَّ ما كانَ يضمرُهُ القاضي الإمام أبو بكر الأشعريُّ رضي الله عنه مِن الورعِ والدِّيانة ، والزهدِ والصيانةِ . . أضعافُ ما كانَ يُظهرُهُ ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : إنَّما أُظهرُ ما أظهرُهُ ؛ غيظاً لليهود والنصارىٰ والمعتزلة والرافضة والمخالفين ؛ لئلاَّ يستحقروا علماءَ الحقِّ والدين ، وأُضمرُ

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٤٥٦) .

(٢) البافي نسبة إلىٰ باف بالباء والفاء الموحدتين ؛ قريةٌ من قرىٰ خوارزم ، وفي (أ): (الباقي) ، وفي (هـ ، ط) : (اليافي) .

(٣) انظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٤٥٦) .

(٤) هو القاضي أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك الملقب بشيذله ، وقد روىٰ عنه المصنف غير مرة .

ما أضمرُهُ ؛ فإنِّي رأيتُ آدمَ مع جلالتِهِ نُوديَ عليه بذَوْقةٍ ، وداودَ بنَظْرةٍ ، ويوسفَ بهَمَّةٍ ، ومحمد بخَطْرةٍ ، عليهم السلام[1]

قال القاضي أبو المعالي : وروى الإمامُ أبو عبد الله الحسينُ بن محمد الدَّامَغانِيُّ قال : لمَّا قدمَ القاضي الإمامُ أبو بكر الأشعريُّ بغداد . . دعاهُ الشيخُ أبو الحسن التميميُّ الحنبليُّ[2] رحمهما الله ـ **إمامُ عصرِهِ في مذهبِهِ ، وشيخُ مصرِهِ في رهطِهِ** ـ وحضرَ الشيخُ أبو عبد الله بنُ مجاهد[3] ، والشيخُ أبو الحسين محمدُ بن أحمد بن سمعونَ ، وأبو الحسن الفقيهُ ، فجرَتْ مسألةُ الاجتهاد بين القاضي أبي بكر وبين أبي عبدِ الله بنِ مجاهد ، **وتعلَّقَ الكلامُ بينهما إلىٰ أنِ انفجرَ عمودُ الصبح ، وظهر كلامُ القاضي عليه** رحمهما الله

وكان أبو الحسن التميميُّ الحنبليُّ يقول لأصحابه : **تمسَّكوا بهـٰذا الرجل ؛ فليس للسنَّةِ عنه غنىً أبداً**[4]

قال[5] : وسمعتُ الشيخَ **أبا الفضلِ التميميَّ الحنبليَّ** رحمه الله ـ وهو عبدُ الواحد بن أبي الحسن عبدِ العزيز بن الحارثِ ـ يقول : **اجتمعَ رأسي ورأسُ القاضي أبي بكر محمدِ بن الطيِّب علىٰ مِخدَّة واحدةٍ سبعَ سنينَ**[6]

---

(١) أورده الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ٩٠) ، وقوله (نُوديَ عليه) يعني ذُكرَتْ أخبارُهم بذلك في كتاب الله تعالىٰ بما يقضي العتابَ في حقِّهم ورفيعِ درجاتهم وعظيمِ مقاماتهم ، وتعليماً لورَّاثهم وأتباعِهم من أمَمِهم .

(٢) هو الإمام عبد العزيز بن الحارث التميمي الحنبلي ، كان من رؤساء الحنابلة وأكابر البغداديين في عصره ، والد أبي الفضل التميمي الآتي ذكره ، **والتميميون ممن أخذوا بطريقة الإمام الأشعري مع غيرهم من الحنابلة** .

(٣) في (ب) : (أبو عبد الله بن عبد الله) ، وتقدمت ترجمة ابن مجاهد (ص ٣٤٥) .

(٤) انظر الخبرين في « تاريخ الإسلام » (٢٦/ ٥٠٢) .

(٥) يعني : الإمام أبا عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني المتقدم ذكره في سند المصنف .

(٦) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ١٢٨) .

قال الشيخ أبو عبد الله[1] وحضرَ الشيخُ أبو الفضل التميميُّ يومَ وفاتِهِ العزاءَ حافياً مع إخوتِهِ وأصحابه ، وأمرَ أن يُنادىٰ بين يدي جنازتِهِ : هـٰذا ناصرُ السنَّة والدِّين ، هـٰذا إمامُ المسلمين ، هـٰذا الذي كان يَذُبُّ عن الشريعة ألسنةَ المخالفين ، هـٰذا الذي صنَّفَ سبعينَ ألفَ ورقةٍ ردّاً على الملحدين ، وقعدَ للعزاءِ مع أصحابه ثلاثةَ أيام فلم يبرحْ ، وكان يزورُ تربتَهُ كلَّ يوم جمعةٍ في الدار[2]

٢٤٢ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسم بن أبي الجنِّ[3] ، والشيخانِ ؛ أبو الحسن بن قُبيسٍ ، وأبو ترابٍ المقرئ قالوا : حدثنا ، والشيخُ أبو منصور محمدُ بن عبد الملك قال أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن عليٍّ الحافظُ قال (حدثني أبو الفضل عبيدُ الله بن أحمد بن علي المقرئ قال : مضيتُ أنا وأبو عليٍّ بن شاذانَ وأبو القاسمِ عبيدُ الله بن أحمد بن عثمان الصيرفيُّ إلىٰ قبر القاضي أبي بكر الأشعريِّ لنترحَّمَ عليه ، وذلك بعد موته بشهر ، فرفعتُ مصحفاً كان موضوعاً علىٰ قبرِهِ وقلتُ اللَّهمَّ ؛ بيِّنْ لي في هـٰذا المصحفِ

---

(١) يعني : الإمام الدامغاني المتقدم ذكره

(٢) أورده الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٠٦/٢٨) ، وأعقبه بكلمةٍ غضبىٰ فقال : (قلتُ : ما هـٰذا إلا ودٌّ عظيم بين هـٰذا الأشعريِّ وبين هـٰذا الحنبليِّ ، والتميميُّون معروفون بشيءٍ من الانحرافِ عن طريقة أحمد ؛ كما انحرف ابن عقيل وابن الجوزي وابن الزاغوني وغيرهم ، كما بالغ في الشقِّ الآخر القاضي أبو يعلىٰ ونحوه) ، فليتَهُ اكتفىٰ بصدر هـٰذه الكلمة ، ولـٰكن الحافظ الذهبي لا تروقُ له مسالكُ الاستدلالات العقلية ، وكثيراً ما يساوي بين الفلاسفة والأشعرية ! ولذا قال عنه وعن الحافظ المزيِّ رحمهما الله تعالىٰ تلميذُهما الإمام ابنُ السبكي في « طبقاته » (٢/ ٢٤) : (ولم يكن المزيُّ ولا الذهبيُّ يدريان شيئاً من المعقول) ، ثم أعقب هـٰذا بتنبيهٍ مهمٍّ إذ قال : (والذي أفتي به : أنه لا يجوز الاعتمادُ علىٰ كلام شيخنا الذهبيِّ في ذمِّ أشعري ، ولا شكرِ حنبليٍّ ، والله المستعان) .

(٣) هو أبو القاسم علي بن أبي الحسين إبراهيم الحسيني الخطيب ، وكان يُعرف بابن أبي الجنِّ ، وفي (ط) : (الحسين) بدل (الجن) .

حالَ القاضي أبي بكرٍ ، وما الذي آلَ إليه أمرُهُ ، ثم فتحتُ المصحفَ ، فوجدتُ مكتوباً فيه ﴿ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود ٢٨])[١]

وقال أبو بكرٍ الحافظ : (حدثني عبدُ الصمد بن سلامةَ المقرئ ، عن القاضي أبي عبد الله محمدِ بن عبد الله البيضاويِّ قال رأيتُ في المنام كأني دخلْتُ مسجدي الذي أُدرِّس فيه ، فرأيتُ رجلاً جالساً في المحراب ، وآخرَ يقرأ عليه ويتلو تلاوةً لا شيء أحسن منها ، فقلتُ مَن هـٰذا القارئ ؟ ومَن الذي يقرأ عليه ؟

فقيل أمَّا الجالسُ في المحراب . . فهو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأما القارئ عليه . . فهو أبو بكر الأشعريُّ يدرسُ عليه الشريعةَ)[٢]

٢٤٣ـ أنبأنا أبو القاسم العُكْبَرِيُّ ، عن القاضي أبي المعالي بن عبد الملك قال : وسمعتُ القاضي أبا الفرج قال : سمعتُ الطائيَّ يقول : كنتُ أشتهي أن أرى القاضيَ الإمام أبا بكر في النوم ، فلم يتَّفقْ لي ، فبتُّ ليلةً وصلَّيتُ على النبيِّ صلواتُ الله عليه وسلامُهُ ألفَ مرَّةٍ ، وسألتُ الله تعالىٰ ذلك ، ونمتُ .

فلمَّا كان سَحَراً . . رأيتُ في النومِ جماعةً حسنةً ثيابُهم ، بيضاً وجوهُهم ، طيبةً روائحُهم ، ضاحكةً أسنانُهم ، فقلتُ لهم : من أين جئتم ؟ فقالوا : مِنَ الجنَّة ، فقلتُ : ما فعلتم ؟ قالوا زرنا القاضيَ الإمام أبا بكر الأشعريَّ ، فقلتُ : وما فعلَ اللهُ به ؟ فقالوا : غفرَ الله له ، ورفعَ له في الدرجات .

قال : ففارقتهم ومشيتُ ، وكأني رأيتُ القاضي أبا بكر وعليه ثيابٌ حسنة وهو جالسٌ في رياضٍ خَضِرَةٍ نَضِرَةٍ، قال: فهممتُ أن أسألَهُ عن حالِهِ، فسمعتُهُ

(١) انظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٤٥٨) .
(٢) انظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٤٥٦) .

يقرأُ بصوت عالٍ : ﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۞ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴾ [الحاقة : ١٩ـ ٢٢] ، فهالني ذلك فرحاً ، وانتبهتُ)[١]

قال القاضي أبو المعالي وذكرَ أبو بكر الخطيبُ قال : (ماتَ القاضي أبو بكر الأشعريُّ يوم السبت الثالث والعشرين من ذي القعدة ، سنة ثلاثٍ وأربعِ مئة ، ودُفنَ في داره بنهرِ طابق)[٢]

قال أبو المعالي عن غيرِ الخطيب (ثم نُقل إلىٰ باب حربٍ ، ودُفنَ في تربةٍ بقرب قبرِ الإمام أبي عبد الله أحمدَ بن محمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه ، ومنقوشٌ علىٰ عَلَمٍ عند رأس تربتِهِ ما هـٰذه نسختُهُ : هـٰذا قبرُ القاضي الإمام السعيد ، فخرِ الأمَّة ، ولسان الملَّةِ ، وسيفِ السنَّة ، عمادِ الدين ، ناصرِ الإسلام ؛ أبي بكر محمدِ بن الطيِّب البصريِّ ، قدَّس الله روحَهُ ، وألحقَهُ بنبيِّهِ محمدٍ صلواتُ الله عليه وسلامُهُ ، ويُزارُ ويُستشفىٰ ويُتبرَّكُ به)[٣]

٢٤٤ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسم بن أبي الحسين[٤] ، والشيوخُ ؛ أبو القاسمِ[٥] بن أبي العباس ، وأبو ترابِ بن أحمدَ ، وأبو منصورِ بن عبد الملك قالوا أنشدنا أبو بكر أحمدُ بن علي البغداديُّ قال : أنشدني أبو نصرٍ عبدُ السيد بن محمد بن عبد الواحد الفقيهُ لبعضِهم يرثي القاضيَ أبا بكرٍ محمدَ بن الطيِّبِ[٦] : [من البسيط]

---

(١) انظر الخبر في « مرآة الجنان » (٣/ ٧) .
(٢) انظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٤٥٨) .
(٣) وستأتي (ص ٤٨١) في الخبر (٢٨٩) كلمة الحافظ الجبل الإمام الدارقطني في الإمام الباقلاني : (هـٰذا سيف السنة أبو بكر الأشعريُّ) .
(٤) في (ب) : (الحسن) ، وتقدمت الرواية عنه (ص ٣٩٦) ، وهو ابن أبي الجنِّ نفسه .
(٥) كذا في (ب) ، وفي سائر النسخ : (أبو الحسن) ، وللمصنف شيخان بهـٰذين الاسمين
(٦) انظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٤٥٨) .

أُنْظُرْ إِلَىٰ جَبَلٍ تَمْشِي ٱلرِّجَالُ بِهِ وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْقَبْرِ مَا يَحْوِي مِنَ ٱلصَّلَفِ
وَٱنْظُرْ إِلَىٰ صَارِمِ ٱلإِسْلاَمِ مُنْغَمِداً وَٱنْظُرْ إِلَىٰ دُرَّةِ ٱلإِسْلاَمِ فِي ٱلصَّدَفِ

٢٤٥ـ وأخبرنا الشريفُ أبو القاسم ، والشيخانِ أبو الحسن الغسَّانيُّ وأبو ترابِ الأنصاريُّ ، وأبو منصورِ ابن خيرونَ قالوا : أنشدنا أبو بكر الخطيبُ قال أنشدني أبو عبد الله محمدُ بن علي بن دِلاَّنَ قال : أنشدني أبو الحسن عليُّ بن عيسى السكريُّ لنفسِهِ يمدحُ القاضيَ أبا بكرٍ محمدَ بن الطيِّبِ من قصيدةٍ أوَّلُها[1] : [من الكامل]

يَـا عُتْـبُ هَـلْ لِتَعَتُّبِـي مِـنْ مَعْتَـبِ أَمْ هَلْ لَدَيْكِ لِرَاغِبٍ مِنْ مَرْغَبِ

إلىٰ أن قال

أَنَـا مَـنْ عَلِمْـتِ فَـلاَ تَظُنِّـي غَيْـرَهُ صَعْبٌ عَلَىٰ خَطْبِ ٱلزَّمَانِ ٱلأَصْعَبِ
لَـٰكِنَّنِـي طَـوْعٌ لِكُـلِّ خَـرِيـدَةٍ رَوْدِ ٱلشَّبَابِ وَكُلِّ خَوْدٍ خَرْعَبِ[2]
مِـنْ كُـلِّ سَـاجِيَـةِ ٱلْجُفُـونِ كَـأَنَّمَـا تَـرْنُـو إِذَا نَظَـرَتْ بِعَيْنَـيْ رَبْـرَبِ
بَيْضَـاءَ أَخْلَصَهَـا ٱلنَّعِيـمُ كَـأَنَّمَـا يَجْلُـو مُجَـرَّدُهَـا حُشَـاشَةَ مُقْضِـبِ
مَلَكَـتْ مُحِبَّـاتِ ٱلْقُلُـوبِ بِبَهْجَـةٍ مَخْلُـوقَـةٍ مِـنْ عِفَّـةٍ وَتَحَبُّـبِ
فَكَـأَنَّهَـا مِـنْ حَيْـثُ مَـا قَـابَلْتَهَـا شِيَـمُ ٱلإِمَـامِ مُحَمَّـدِ بْـنِ ٱلطَّيِّـبِ
اَلْيَعْـرُبِـيِّ فَصَـاحَـةً وَبَـلاَغَـةً وَٱلأَشْعَـرِيِّ إِذَا ٱعْتَـزَىٰ لِلْمَـذْهَـبِ
قَاضٍ إِذَا ٱلْتَبَسَ ٱلْقَضَاءُ عَلَى ٱلْحِجَا كَشَفَـتْ لَـهُ ٱلآرَاءُ كُـلَّ مُغَيَّـبِ
لاَ يَسْتَـرِيـحُ إِذَا ٱلشُّكُـوكُ تَخَـالَجَـتْ إِلاَّ إِلَـىٰ لُـبٍّ كَـرِيـمِ ٱلْمَنْصِـبِ
وَصَلَتْـهُ هِمَّتُـهُ بِـأَبْعَـدِ غَـايَـةٍ أَعْيَـا ٱلْمُـرِيـدَ لَهَـا سُلُـوكُ ٱلْمَطْلَـبِ

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٤٥٧) ، وستأتي ترجمة هـٰذا الشاعر (ص ٤٦٩) .
(٢) رود الشباب : غضَّة مفعمة بشبابها ، والخود : الفتاة الناعمة ، والخرعب : الشابة الرخصة الممتلئة الحسنة الخلق .

أَهْـدَىٰ لَـهُ ثَمَـرُ ٱلْقُلُـوبِ مَحَبَّـةً ... وَحَبَاهُ حُسْنَ ٱلذِّكْرِ مَنْ لَمْ يُحْبِبِ

مَـا زَالَ يَنْصُـرُ دِيـنَ أَحْمَـدَ صَـادِعـاً ... بِـٱلْحَـقِّ يَهْـدِي لِلطَّـرِيـقِ ٱلأَصْـوَبِ

وَٱلنَّـاسُ بَيْـنَ مُضَلَّـلٍ وَمُضَلِّـلٍ ... وَمُكَـذَّبٍ فِيمَـا أَتَـىٰ وَمُكَـذِّبِ

حَتَّى ٱنْجَلَتْ تِلْكَ ٱلضَّلاَلَةُ وَٱهْتَدَى ٱلـ ... ـسَّارِي وَأَشْرَقَ جُنْحُ ذَاكَ ٱلْغَيْهَبِ

بِمَحَـاسِـنٍ لَـمْ تُكْتَسَـبْ بِتَكَلُّـفٍ ... لَكِنَّهُـنَّ سَجِيَّـةٌ لِمُهَـذَّبِ

وَبَـدِيهَـةٍ تَجْنِـي ٱلصَّـوَابَ وَإِنَّمَـا ... تُجْنَى ٱلْفَوَائِدُ مِنْ لَبِيبٍ مُسْهِبِ[1]

شَـرَفـاً أَبَـا بَكْـرٍ وَقَـدْراً صَـاعِـداً ... يَخْتَبُّ فِي شَرْقِ ٱلْعُلاَ وَٱلْمَغْرِبِ[2]

مُتَنَقِّـلاً مِـنْ سُـؤْدَدٍ فِـي سُـؤْدَدٍ ... وَمُـرَدَّداً مِـنْ مَنْقَـبٍ فِـي مَنْقَـبِ[3]

أَعْـذِرْ حَسُـودَكَ فِـي ٱلَّـذِي أَوْلَيْتَـهُ ... إِذْ فَـازَ مِنْـهُ بِجِـدٍّ قِـدْحٍ أَخْيَـبِ[4]

فَلَقَـدْ حَلَلْـتَ مِـنَ ٱلْعَـلاَءِ بِـذُرْوَةٍ ... صَمَّاءَ تُسْفِرُ عَنْ حِمىً مُسْتَصْعَبِ

حَيِيَـتْ بِـكَ ٱلآمَـالُ بَعْـدَ مَمَـاتِهَـا ... وَٱلْغَيْثُ خِصْبٌ لِلْمَكَانِ ٱلْمُجْدِبِ

فَـإِذَا رَعَيْـنَ رَعَيْـنَ أَخْصَـبَ مَـرْتَـعٍ ... وَإِذَا وَرَدْنَ وَرَدْنَ أَعْـذَبَ مَشْـرَبِ

وَإِذَا صَـدَرْنَ صَـدَرْنَ أَحْمَـدَ مَصْـدَرٍ ... مِنْ خَيْرِ مُنْتَجَبٍ لأَكْرَمِ مُنْجِبِ[5]

أَنْصَبْـتَ نَفْسَـكَ لِلثَّنَـاءِ فَحُـزْتَـهُ ... إِنَّ ٱلثَّنَـاءَ عَـدُوُّ مَـنْ لَـمْ يَنْصَـبِ

وَإِذَا ٱلْكَـلاَمُ تَطَـارَدَتْ فُـرْسَـانُـهُ ... وَتَحَـامَـتِ ٱلأَقْـرَانُ كُـلَّ مُجَـرِّبِ

أَلْفَيْتَـهُ مِـنْ لُبِّـهِ وَجَنَـانِـهِ ... وَلِسَـانِـهِ وَبَيَـانِـهِ فِـي مِقْنَـبِ[6]

---

(١) في (ط) : (الفرائد) بدل (الفوائد) .

(٢) يقال : اختبَّ يختبُّ ؛ إذا عدا وأسرع .

(٣) المَنْقَبُ : الطريق ، أو هو المِنقَبُ ؛ وهو الرجل العلامة الفطن ، الكثير البحث عن الأشياء والتنقيب عليها

(٤) يقال : فاز بالقِدحِ الأخيب ؛ إذا فاز بالسهم الذي لا نصيب فيه من قداح الميسر ؛ وهي ثلاثة : المنيح ، والسفيح ، والوغد ، ومعنى (أَعْذِرْ) اجعله ذا عذر

(٥) المنتجَبُ : المختار ، والمنجِب : والد النجباء .

(٦) المِقْنَبُ : جماعة من الخيل والفرسان من ثلاثين لأربعين تجتمع للغارة

ذُو مَجْلِسٍ فَلَكٌ تُضِيءُ بُرُوجُهُ عَنْ كُلِّ أَزْهَرَ كَٱلصَّبَاحِ ٱلأَشْهَبِ
مُتَوَقِّدٌ إِلاَّ لَدَيْكَ ضِيَاؤُهُ وَٱلشَّمْسُ تَمْنَعُ مِنْ ضِيَاءِ ٱلْكَوْكَبِ
يَا سَيِّداً زَرَعَ ٱلْقُلُوبَ مَهَابَةً تُسْقَىٰ بِمَاءِ مَحَبَّةٍ لَمْ تَنْضُبِ
آنَسْتَنِي فَأَنِسْتُ مِنْكَ بِشِيمَةٍ بَيْضَاءَ تَأْنَسُ بِٱلثَّنَاءِ ٱلأَطْيَبِ
فَعَجَزْتُ فِي وَصْفِيكَ غَيْرَ مُقَصِّرٍ وَنَطَقْتُ فِي مَدْحِيكَ غَيْرَ مُكَذَّبِ
فَٱسْلَمْ سَلِمْتَ مِنَ ٱلزَّمَانِ وَصَرْفِهِ فَلأَنْتَ أَمْرَعُ مِنْ رَبِيعٍ مُخْصِبِ
فَإِذَا سَلِمْتَ لَنَا فَأَيَّةُ نِعْمَةٍ لَمْ نُعْطَهَا وَبَلِيَّةٍ لَمْ نُسْلَبِ[1]

* * *

(١) غير واضحة في (ب) ، وفي (هـ) : (تسلب) .

وَمِنهُم :

أبوعليٍّ الدَّقَّاقُ النيسابوريُّ، شيخُ أبي القاسمِ القُشيريِّ رحمهما الله

٢٤٦ـ كتب إليَّ الشيخُ أبو الحسنِ عبدُ الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسيُّ من نيسابورَ قال (الحسنُ بن عليِّ بن محمد بن إسحاق بن عبد الرحيم بن أحمدَ ، أبو عليٍّ الدقَّاقُ .

لسانُ وقته ، وإمامُ عصرِهِ ، نيسابوريُّ الأصل ، تعلَّم العربية ، وحصَّلَ علمَ الأصول ، وخرجَ إلىٰ مَرْوَ ، وتفقَّهَ بها ودَرَسَ على الخِضْرِيِّ[1] ، وأعادَ على الشيخِ أبي بكرٍ القفَّال المروزيِّ في درسِ الخضريِّ ، وبرعَ فيه[2]

ولما استمعَ ما كان يحتاجُ إليه من العلوم . . أخذَ في العملِ ، وسلكَ طريقَ التصوف ، وصحبَ الأستاذَ أبا القاسم النصراباذيَّ[3]

وتُوفِّي في ذي الحجة سنة خمس وأربع مئة)[4]

٢٤٧ـ أخبرنا الشيخُ أبو المظفر عبدُ المنعم بن عبد الكريم بن هوازنَ

---

(١) وهو الإمام محمد بن أحمد المروزي الخِضرِي ؛ نسبة لجدٍّ له ، أحد أعلام الشافعية .

(٢) وسمع الحديث من الكشميهني راويةِ « صحيح البخاري » عن الفربري ، وعن محمد بن عمر بن شبويه ؛ وهو أيضاً ممن روىٰ عن الفربري .

(٣) وعنه لبس الخرقة المعهودة عند القوم ، وكان يقول كما في « الرسالة القشيرية » (ص ٦١٥) : (أخذتُ هـٰذا الطريقَ عن النصراباذيِّ ، والنصراباذيُّ عن الشبليِّ ، والشبليُّ عن الجنيدِ ، والجنيدُ عن السريِّ ، والسريُّ عن معروفٍ الكرخي ، ومعروفٌ الكرخي عن داودَ الطائيِّ ، وداودُ الطائيُّ لقيَ التابعين)

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ١٤٠) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٣٢٩)

القشيريُّ بنيسابورَ قال أخبرنا والدي الأستاذُ أبو القاسم رحمه الله قال : (كنتُ في ابتداء وُصلتي بالأستاذ أبي عليٍّ عقدَ لي المجلسَ في مسجد المطرز[1] ، فاستأذنتُهُ وقتاً للخروجِ إلىٰ نَسا ، فأذنَ لي

فكنتُ أمشي معه يوماً في طريق مجلسِهِ ، فخطرَ ببالي : ليتَهُ ينوبُ عنِّي في مجالسي أيامَ غيبتي ، فالتفتَ إليَّ وقال أنوبُ عنك أيامَ غيبتِكَ في عقدِ المجالس .

فمشيتُ قليلاً ، فخطرَ ببالي أنَّه عليلٌ يشُقُّ عليه أن ينوبَ عنِّي في الأسبوع يومينِ ، فليتَهُ يقتصرُ علىٰ يومٍ واحد في الأسبوع ، فالتفتَ إليَّ وقال إن لم يمكنِّي في الأسبوع يومين[2] . . أنوبُ في الأسبوع مرَّةً واحدة .

فمشيتُ قليلاً ، فخطرَ ببالي شيءٌ ثالث ، فالتفتَ إليَّ وصرَّحَ بالإخبارِ عنه على القطعِ !)[3]

قال : (وكان الأستاذُ أبو علي رحمه الله لا يستندُ إلىٰ شيءٍ ، وكان يوماً في مَجْمَعٍ ، فأردتُ أن أضعَ وسادةً خلفَ ظهرِهِ لأنِّي رأيتُهُ غيرَ مستندٍ ، فتنحَّىٰ عن الوسادة قليلاً ، فتوهَّمتُ أنَّه توقَّى الوسادةَ لأنَّه لم يكن عليه خرقةٌ أو سَجَّادةٌ ، فقال : لا أريدُ الاستنادَ .

فتأمَّلتُ بعدَهُ حالَهُ ، فكانَ لا يستندُ إلىٰ شيءٍ)[4]

* * *

---

(١) مسجدٌ عريق من مساجد نيسابور .

(٢) فاعل (يمكن) ضمير مقدر يعود على النيابة .

(٣) حكاه في « الرسالة القشيرية » (ص ٥١٧) .

(٤) علَّق الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٤/ ٣٣٠) : (كأنه يعوِّد نفسَهُ تركَ الرفاهية) ، وقد حكاه في « الرسالة القشيرية » (ص ٥٩٤) .

والإمام أبو علي الدقاق أخصُّ شيوخ الإمام القشيري ، وقد قال عنه في « رسالته » =

ومنهم :

الحاكم أبو عبد الله بن البَيِّع النيسابوريُّ الحافظ رحمه الله(١)

٢٤٨ـ قرأتُ بخطِّ الشيخ أبي الحسن عليِّ بن سليمان اليمنيِّ ما ذكر أنَّه وقعَ إليه عن أبي حازمٍ عمرَ بن أحمدَ بن إبراهيمَ الحافظِ العَبْدُويِّ(٢) قال : (الإمامُ

= (ص٦١٥) : (لم أدخل أنا على الأستاذ أبي علي في وقت بدايتي إلا صائماً ، وكنت أغتسلُ قبله ، وكنت أحضرُ بابَ مدرسته غيرَ مرَّة فأرجعُ من الباب احتشاماً منه أن أدخلَ عليه ، فإذا تجاسرتُ مرَّة ودخلتُ المدرسةَ . . كنت إذا بلغت وسطَ المدرسة يصحبني شبهُ خدرٍ ، حتىٰ لو غُرزَ فيَّ إبرةٌ مثلاً لعلي كنتُ لا أحسُّ بها ، ثم إذا قعدتُ لواقعةٍ وقعَتْ لي . . لم أحتجْ أن أسألَهُ بلساني عن المسألة ، فكما كنتُ أجلسُ . كان يبتدئ بشرح واقعتي ، وغيرَ مرة رأيتُ منه هـٰذا عِياناً ، وكنت أفكِّرُ في نفسي كثيراً : أنه لو بعثَ الله عزَّ وجلَّ في وقتي رسولاً إلى الخلْقِ . . هل يمكنني أن أزيدَ من حشمتِهِ علىٰ قلبي فوق ما كان منه رحمه الله تعالىٰ ؟ فكان لا يتصورُ لي أنَّ ذلك ممكنٌ ، ولا أذكرُ أنِّي في طول اختلافي إلىٰ مجلسِهِ ، ثم كوني معه بعد حصول الوُصلة . . أن جرىٰ في قلبي أو خطرَ ببالي عليه قطُّ اعتراضٌ ، إلىٰ أن خرجَ رحمه الله تعالىٰ من الدنيا)

وجاء في هامش (هـ) حاشية : (قال الحافظ أبو طاهر السلفي رحمه الله : سمعت أبا سعد أحمد بن بنيمان بن عمر الصوفي بأبهرَ يقول سمعت علي بن الحسين البخاري الصوفي يقول : سئل أبو علي الدقاق بنيسابور في مجلس وعظه عن الفقر ، فلم يجب ، ثم أجاب فيها بعدُ ، فرُوجعَ في ذلك ، فقال : قد كان لي قميصان وقتَ السؤال ، وليس لصاحبِ قميصين الكلامُ في الفقر) انظر « معجم السفر » (٥٨) .

(١) قال العلامة السمعاني في « الأنساب » (٢/ ٤٠٠) : (هـٰذه اللفظة ـ البَيِّع ـ لمن يتولَّى البياعة والتوسط في الخانات بين البائع والمشتري من التجار للأمتعة ، واشتهرَ بهـٰذه النسبة الحاكمُ) ، وقد يقال : ابن البيَّاع .

(٢) قال في « اللباب » (٢/ ٣١٣) : (هكذا يقوله المحدثون ، هـٰذه النسبة إلىٰ « عبدُويه » بضم الدال ، وأما النحاة فيقولون : « عَبْدَوي » بفتح العين والدال) .

أبو عبد الله ، محمدُ بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الحافظُ : إمامُ أهل الحديث في عصرِهِ

مولدُهُ : صَبيحةَ يوم الاثنين ، الثالث من شهر ربيع الأول ، سنة إحدىٰ وعشرين وثلاث مئة

سمعَ بخراسانَ : أبا العباس بن يعقوب ، وأبا عبد الله الصفَّارَ ، وأبا العباس المحبوبيَّ ، وطبقتَهم .

وبالجبال أبا محمدِ بن حمدانَ الجَلاَّبَ ، وأبا جعفرِ بن عبيدِ الحافظَ الهمذانيَّ

وبالعراق : أبا عمرو بن السمَّاكِ ، وابنَ عقبةَ الشيبانيَّ ، وطبقتَهما

وبالحجاز أبا يحيىٰ نافلةَ عبدِ الله بن يزيدَ المقرئ[1] ، وأبا إسحاقَ بنَ فراسٍ المالكيَّ ، وأقرانَهما

وليسَ يمكنُ حصرُ شيوخِهِ ؛ فإنَّ معجمَهُ علىٰ شيوخه يقربُ من ألفي رجلٍ[2]

قرأَ القرآنَ علىٰ الصَّرَّامِ ، وابنِ الإمام بنيسابورَ[3] ، وبالعراق : علىٰ أبي علي بن النَّقَّار الكوفيِّ ، وأبي عيسىٰ بكار البغدادي

---

(١) النافلةُ ولد الولد ؛ قال تعالىٰ : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ [الأنبياء : ٧٢] ، فوُهبَ إسحاقَ بدعائه ، وزِيدَ يعقوبَ نافلةً ، ونافلة عبد الله محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن محمد بن عبد اللهبن يزيد ، أبو يحيى المكي انظر « غاية النهاية في طبقات القراء » لابن الجزري (٢/ ١٦٣)

(٢) جاء في هامش (هـ) حاشية : (ذكر الحافظ ابن شيرويه الحافظَ أبا عبد الله الحاكم رحمهما الله وقال : روىٰ عنه ابن لال مع جلالته) انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ٢٠١)

(٣) وابن الإمام : هو أحمد بن العباس بن عبيد الله ، أبو بكر البغدادي ، ويعرف بابن الإمام . انظر « تاريخ بغداد » (٥/ ٩٠) .

وتفقَّهَ عند الأئمةِ : أبي عليٍّ بن أبي هريرة بالعراق ، وأبي الوليد حسان بن محمد القرشيِّ ، وأبي سهلٍ محمد بن سليمان الحنفيِّ[1]

سمعتُهُ يقول : شربتُ ماءَ زمزمَ ، وسألتُ اللهَ أن يرزقني حسنَ التصنيف .

فوقعَ من تصانيفِهِ المسموعة في أيدي الناس ما يبلغُ ألفاً وخمسَ مئة جزءٍ منها : « الصحيحان »، و« العلل »، و« الأمالي » ، و« فوائد الشيخ »[2]، و« فوائد الخراسانيين » ، و« أمالي العشيات » ، و« التلخيص » ، و« الأبواب » ، و« تراجم الشيوخ »

فأمّا الكتب التي تفرَّدَ بإخراجها فـ « معرفة أنواع علوم الحديث » ، و« تاريخ علماء أهل نيسابور » ، وكتاب « مزكِّي الأخبار » ، و« المدخل إلىٰ علم الصحيح » ، وكتاب « الإكليل » في دلائل النبوة ، و« المستدرك على الصحيحين ، وما تفرَّد بإخراجه كلُّ واحدٍ من الإمامين » ، و« فضائل الشافعي » ، و« تراجم المسند علىٰ شرط الصحيحين » ، وغير ذلك .

أملىٰ بما وراء النهر سنةَ خمسٍ وخمسين ، وبالعراق سنةَ سبعٍ وستين .

ولازمَهُ : ابنُ المظفَّرِ ، والدارقطنيُّ[3] ، وأملىٰ ببغدادَ والرَّيِّ مدَّةً مِن حفظِهِ .

---

(١) في هامش (ب) علىٰ هيئةِ لحقٍ : (هو الصعلوكي من بني حنيفة ، شافعيُّ المذهب ، تقدَّم قريباً ، والحاكمُ من أصحابنا الفقهاء الشافعية المحدِّثين) ، وقد تقدمت ترجمته (ص٣٥٨) ، وأحسبها تعليقةً من زيادة ولدِ المصنف الإمام القاسم بهاء الدين

(٢) كذا في (أ ، ب ، و) ، وفي (د) : (الشيوخ) ثم صححت بالهامش فصارت : (الشيخ) ، وفي باقي النسخ : (النَّسْخ) ، ومحتملة في (ج)

(٣) كذا في النسخ ، وفي (و) وحدها مصحَّحاً : (ولازمَ ابنَ المظفَّرِ والدارقطنيَّ) ، وكلٌّ من ابن المظفر والدارقطني رويا عنه ، واعترفا بفضله ، مع كونهما شيخينِ له كما سيذكرهما ضمن مشايخه .

سمعَ عنه من المشايخ : أحمدُ بن أبي عثمان الحيريُّ الزاهدُ ابن الزاهد[1] ، والإمامُ أبو بكرٍ القَفَّالُ الشاشيُّ ، وأبو أحمدَ بن مطرِّفٍ ، والسيدُ أبو محمد ابنُ زُبارة العلويُّ ، وأبو عبد الله العُصْميُّ ، وأبو أحمدَ بن شعيب المزكِّي ، وأبو إسحاقَ إبراهيمُ بن محمد بن يحيىٰ .

ومن شيوخِ العراق : ابنُ أبي دارم ، وابنُ مظفَّرٍ ، والدارقطنيُّ ، وابنُ القصَّار الرازيُّ إمامُ أهل الرَّيِّ .

قُلِّدَ القضاء ـ يعني : بنَسا ـ سنةَ تسعٍ وخمسينَ في أيام حشمةِ السامانية ووزارة العُتْبيِّ ، ودخلَ الخليلُ بن أحمدَ السِّجْزِيُّ القاضي علىٰ أبي جعفرٍ العُتبيِّ يومَ الثاني من مفارقته الحضرة ، فقال هنَّأ اللهُ الشيخَ ؛ فقد جَهَّزَ إلىٰ نَسا ثلاثَ مئةِ ألفِ حديثٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتهلَّلَ وجهُهُ .

وقُلِّدَ بعد ذلك قضاءَ جُرجانَ ، فامتنعَ ، وكان الأميرُ أبو الحسن يستعينُ برأيِهِ ، وينفذُهُ للسفارةِ بينهم وبين البويهيَّةِ

فأمَّا مذاكرتُهُ : فذاكرَ الجِعابِيَّ ، وأبا جعفرٍ الهمَذانيَّ ، وأبا عليٍّ الحافظَ ، وكان يقبلُ عليه مِن بينِ أقرانِهِ .

قال وسمعتُ أبا أحمدَ الحافظَ[2] يقول : إن كانَ رجلٌ يقعدُ مكاني . . فهو أبو عبد الله

صحبَ مشايخَ التصوُّفِ : أبا عمرِو بن نُجيدٍ ، وأبا الحسن البُوشَنْجِيَّ ،

---

(١) فوالده هو الإمام سعيد بن إسماعيل الحيري ، صهر أبي حفص الحدَّاد زوج ابنته ، وانظر « الرسالة القشيرية » (ص ١٥٧) .

(٢) وهو الإمام الحافظ محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحاكم الكبير ، قال عنه الإمام أبو عبد الله الحاكم : (إمام عصره في الصنعة) ، وانظر ترجمته في « تاريخ دمشق » (٥٥/ ١٥٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٦/ ٦٣٧) .

وأبا سعيدٍ أحمدَ بن يعقوبَ الثقفيَّ ، وأبا نصرٍ الصفَّارَ ، وأبا القاسمِ الرازيَّ ، **وبالعراق** : جعفرَ ابن نُصيرٍ[1] ، وأقرانَهُ ، **وبالحجاز** أبا عمرٍو الزَّجَّاجيَّ ، وجعفرَ بن إبراهيمَ الحذَّاءَ ، وكان يكثرُ الاختلافَ إلى الشيخ أبي عثمانَ المغربيِّ[2] .

سمعتُ مشايخَنا يقولون : كان الشيخُ أبو بكر بن إسحاق ، وأبو الوليد.. **يرجعانِ إلىٰ أبي عبد الله في السؤالِ عن الجرحِ والتعديل ، وعللِ الحديث ، وصحيحِهِ وسقيمِهِ** .

قال وسمعتُ السلميَّ يقول : كتبتُ علىٰ ظهرِ جزءٍ من حديث أبي الحسين الحجَّاجيِّ « الحافظ » ، فأخذَ القلمَ وضربَ على « الحافظ » وقال : أَيْشٍ أحفظُ أنا ؟! أبو عبدِ الله بنُ البيَّاعِ أحفظُ مني ، وأنا لم أرَ من الحفَّاظ إلا أبا عليٍّ الحافظَ وابنَ عُقدةَ .

وسمعتُهُ يقول : سألتُ الدارقطنيَّ أيُّهما أحفظُ : ابنُ مندَهْ ، أو ابنُ البيِّعِ ؟ فقال : **ابنُ البيِّعِ أتقنُ حفظاً**) .

قال أبو حازمٍ[3] : (أقمتُ عند الشيخ أبي عبد الله العُصْميِّ قريباً من ثلاثِ سنينَ ، ولم أرَ في جملة مشايخِنا أتقنَ منه ولا أكثرَ تنقيراً ، **فكان إذا أشكلَ عليه شيءٌ أمرني أن أكتبَ إلى الحاكم أبي عبد الله ، فإذا وردَ جوابُ كتابه حكمَ به وقطعَ بقوله** .

---

(١) خادمُ شيخِ الطائفة الإمام أبي القاسم الجنيد والآخذُ عنه .

(٢) وهو الإمام سعيد بن سلام ، قال عنه الإمام القشيري في « الرسالة » (ص ٢٢٤) : (واحد عصره ، لم يوصف مثلُهُ قبله . . . ، مات بنيسابورَ سنة ثلاث وسبعين وثلاث مئة ، أوصىٰ بأن يصلي عليه الإمام أبو بكر بن فُورَكَ)

(٣) يعني : الحافظ عمر بن أحمد العبدوي ، والسياق بطوله كما ترىٰ عنه

انتخبَ على المشايخِ خمسينَ سنةً[1]

وحكى القاضي أبو بكر الحيريُّ أنَّ شيخاً من الصالحين حكىٰ : أنَّه رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المنام ، قال : فقلتُ له يا رسولَ الله ؛ بلغني أنَّك قلتَ : ولدتُ في زمن الملكِ العادل[2] ، وإنِّي سألتُ الحاكمَ أبا عبد الله عن هـٰذا الحديث ؛ فقال هـٰذا كذبٌ ، ولم يقلْهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي صدقَ أبو عبد الله)[3]

قال أبو حازمٍ : (أوَّلُ مَنِ اشتَهرَ بحفظ الحديث وعللِهِ بنيسابورَ بعد الإمامِ مسلمٍ : إبراهيمُ بن أبي طالب ، وكان يقابلُهُ النسائيُّ ، وجعفرٌ الفارَيابيُّ .

ثم أبو حامد بن الشرقيِّ ، وكان يقابلُهُ أبو بكرِ بنُ زياد النيسابوريُّ ، وأبو العباس بن سعيد

ثم أبو عليٍّ الحافظُ ، وكان يقابلُهُ أبو أحمد العسَّالُ ، وإبراهيمُ بن حمزة .

ثم الشيخانِ ؛ أبو الحسين ؛ يعني الحَجَّاجيَّ ، وأبو أحمدَ ؛ يعني :

---

(١) الانتخاب : الانتقاء ؛ كرواية عواليهم ، وما لا يوجد عند غيرهم .

(٢) يعني : كسرىٰ أنوشروان ، وكان شُهرَ بين قومه بهـٰذه الصفة .

(٣) قال الإمام البيهقي في « شعب الإيمان » ذيل الخبر (٤٨٣٠) : (كان شيخنا أبو عبد الله الحافظ قد تكلَّم أيضاً في بطلان هـٰذا الحديث ، ثم رأىٰ بعضُ الصالحين رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فحكىٰ له ما قال أبو عبد الله ، فصدَّقَهُ في تكذيب هـٰذا الحديث وإبطاله) ، ومثل هـٰذه الأخبار للاستئناس وإظهار الصلاح والفضل ، لا لتكون كلمة قاطعة في توهين أو تصحيح خبر كما ظن بعضهم ، وللإمام مسلم مثلُ هـٰذا ؛ فقد روىٰ في مقدمة « صحيحه » (١/١٩) عن علي بن مسهر قال : سمعت أنا وحمزة الزيات من أبان بن أبي عياش نحواً من ألف حديث ، قال عليٌّ : فلقيتُ حمزةَ ، فأخبرني أنَّه رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المنام ، فعرضَ عليه ما سمع من أبان ، فما عرفَ منها إلا شيئاً يسيراً ؛ خمسة أو ستة .

الحاكمَ ، وكان يقابلُهُما في عصرِهما أبو أحمد بنُ عديٍّ ، وأبو الحسين بنُ المظفَّر ، والدارقطنيُّ

وتفرَّد الحاكمُ أبو عبد الله في عصرِنا هـٰذا من غيرِ أن يقابله أحدٌ ؛ بالحجازِ ، والشام ، والعراقينِ ، والجبال ، والرَّيِّ ، وطبرستانَ ، وقُومِسَ ، وخراسانَ بأسرها ، وما وراءَ النهر .

جعلنا اللهُ تعالىٰ لهـٰذه النِّعمةِ من الشاكرين ، ولما يلزمُنا مِنْ تأديةِ مواجبِهِ من المؤدِّين ، وباركَ لنا في حياتِهِ ، ونفَّسَ في مدَّتِهِ ، وجعلَ ما أنعمَ عليه وعلينا بمكانِهِ موصولاً بالنعيمِ المقيم ؛ إنَّه سميعٌ قريب ، وصلَّى الله علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ)[1]

٢٤٩ـ أخبرنا الشيخُ أبو الحسنِ عبدُ الغافر بن إسماعيل في كتابِهِ قال : (محمدُ بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم ، أبو عبد الله الحافظُ .

روىٰ عن ألفِ شيخٍ أو أكثرَ من أهل الحديث .

وُلدَ في شهر ربيع الأول ، سنةَ إحدىٰ وعشرين وثلاث مئة ، وأخذ في التصنيف سنةَ سبعٍ وثلاثين وثلاثِ مئة ، وتُوفِّيَ في صفرٍ يومَ الثلاثاء ؛ الثالثَ منه ، سنةَ خمسٍ وأربعِ مئة)[2]

* * *

(١) انظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٩٣) ، و« طبقات الشافعية » للحافظ ابن الصلاح (١/ ١٩٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٨/ ١٢٢) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٥٥) ، والدعاء أيضاً من كلام الإمام أبي حازم المعاصرِ للإمام الحاكم ، كما نبَّهَ علىٰ ذلك الإمام ابن السبكي .

(٢) انظر « المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور » (ص ١٥) .

وَمِنْهُم :

أبو نصر بن أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني رحمه الله

٢٥٠ـ أخبرَنا أبو القاسمِ إسماعيلُ بن أحمد بن السمرقنديِّ ، أخبرنا أبو القاسم إسماعيلُ بن مسعدةَ الجُرجانيُّ ، أخبرنا أبو القاسم حمزةُ بن يوسف السهميُّ إجازةً أو سماعاً في « **تاريخ جرجان** » قال : (**أبو نصرٍ ، محمدُ بنُ أحمدَ بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيليُّ** : ترأَّسَ في حياة والدِهِ أبي بكرٍ الإسماعيليِّ وبعدَ وفاتِهِ إلىٰ أن تُوفِّيَ .

وكان له جاهٌ عظيم ، وقبولٌ عند الخاصِّ والعامِّ في كثيرٍ من البلدان ، وتُحَلُّ بكتابِهِ العُقَدُ .

وكان كَتَبَ الحديثَ الكثير : عن أبي يعقوبَ البحريِّ ، وأبي العباسِ الأصمِّ ، وبالعراقِ ، وبمكَّةَ ، وبالرَّيِّ ، وهمَذانَ .

وكان يعرفُ الحديثَ ويدري ، **وأوَّلَ ما جلسَ للإملاء في حياة والدِهِ أبي بكرٍ الإسماعيليِّ** ؛ في سنة ستٍّ وستين في مسجد الصفَّارين ، إلىٰ أن تُوفِّيَ والدُهُ ، ثم انتقلَ إلى المسجد الذي كان والدُه يُملي فيه ، ويملي كلَّ يومِ سبتٍ إلىٰ أن تُوفِّيَ .

وكانَتْ وفاتُهُ في يوم الأحد ، **وذُفنَ في يوم الاثنين لثلاثٍ بقينَ من شهرِ ربيعٍ الآخرِ** ، **سنةَ خمسٍ وأربعِ مئة** ، وصلَّىٰ عليه أبو معمرٍ الإسماعيليُّ)[١]

* * *

---

(١) تاريخ جرجان (ص ٤٥٢) ، وقد قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٤/ ٩٢) : (**قلتُ** : ذكره ابن عساكر في كتاب « التبيين » لكونه هو وأهل بيته من أجلاَّء الأشعريَّة ، =

ومنهم :

الأستاذ أبو بكر بن فورك الأصبهاني رحمه الله

٢٥١ـ أخبرَنا الشيخُ أبو نصرٍ عبدُ الرحيم بن عبد الكريم إجازةً ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسين الحافظُ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ قال (محمدُ بن الحسن بن فُورَكَ الأديبُ المتكلِّمُ الأصوليُّ الواعظُ النحويُّ ، أبو بكرٍ الأصبَهانيُّ

أقام أولاً بالعراق إلىٰ أن دَرَس بها علىٰ مذهب الأشعريِّ[١] ، ثم لمَّا وردَ الرَّيَّ . . سعَتْ به المبتدعةُ[٢] ، فعقدَ أبو محمدٍ عبدُ الله بن محمد الثقفيُّ مجلساً في مسجدِ رجاء[٣] ، وجمعَ أهلَ السنَّة ، وتقدَّمْنا إلى الأمير ناصرِ الدولة أبي الحسن محمدِ بن إبراهيمَ ، والتمسْنا منه المراسلةَ في توجيهِهِ إلىٰ

= وقولُ شيخنا الذهبي في ترجمة المذكور : « وزعم ابن عساكر أنه كان أشعرياً » ـ في « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ١٢٠) ، وفي « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٨٩) : (وذكر أبو القاسم ابن عساكر أنه كان أشعرياً) ـ لا يُتوهَّم منه أن الأمرَ عنده بخلاف ذلك ؛ فإنَّ أشعريَّةَ هـٰذا الرجلِ وأهل بيته أوضحُ من أن تخفىٰ ، ولـٰكنَّ شيخَنا علىٰ عادته في الإيهام ؛ غضّاً من الأشاعرة سامحَهُ الله)

(١) على الإمام أبي الحسن الباهلي كما تقدم في ترجمته (ص ٣٤٧)

(٢) العبارة عند الحافظ ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ١٣٦) : (قصدته المبتدعة) ، وفي « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٢٨) : (وشت به المبتدعة) ، وفي « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٧٢) : (فسعت به المبتدعة ، فراسلَهُ أهلُ نيسابور ، فوردَ عليهم ، وبنَوا له بها مدرسةً وداراً ، وظهرت بركتُهُ على المتفقِّهة) ، والمبتدعةُ الذين آذوه هم من الكرَّامية المشبِّهة كما ذكر في « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ١٣٠) .

(٣) يعني : المسجد المنسوب لرجاء بن معاذ .

نيسابورَ ، ففعلَ ، ووردَ نيسابورَ ، فبنىٰ له الدارَ والمدرسةَ مِنْ خانكاه أبي الحسن البُوشَنْجِيِّ ، وأحيا اللهُ تعالىٰ به في بلدنا أنواعاً من العلوم لمَّا استوطنَها ، وظهرَتْ بركتُهُ علىٰ جماعة من المتفقِّهة وتخرَّجوا به

سمعَ : عبدَ الله بن جعفرٍ الأصبهانيَّ ، وكَثُرَ سماعُهُ بالبصرة وبغدادَ ، وحدَّثَ بنيسابورَ)[1]

٢٥٢ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيل في كتابه إليَّ مِن نيسابورَ قال : (سمعتُ الشيخَ أبا صالحٍ أحمدَ بن عبد الملك المؤذِّنَ الحافظَ يقول : كان الأستاذُ أوحدُ وقتِهِ أبو عليٍّ الحسنُ بن عليٍّ الدقَّاقُ يعقدُ المجلس ، ويدعو للحاضرين والغائبينَ من أعيانِ البلد وأئمَّتِهم ، فقيل له : قد نسيتَ ابنَ فُورَكَ ولم تدعُ له ! فقال أبو عليٍّ : كيف أدعو له وكنتُ أُقسمُ على اللهِ البارحةَ بإيمانِهِ ؛ أن يشفيَ عِلَّتي ، وكان به وجعُ البطنِ تلك الليلةَ)[2] .

قال عبدُ الغافر بن إسماعيل : (محمدُ بن الحسن بن فُورَكَ ، أبو بكر : بلغَ تصانيفُهُ في أصول الدين ، وأصول الفقه ، ومعاني القرآن . . قريباً من المئة .

تُوفِّيَ سنةَ ستٍّ وأربع مئة .

وكان قد دُعيَ إلىٰ غَزْنَةَ[3] ، وجرَتْ له بها مناظرات ، وكان شديدَ الردِّ علىٰ أصحاب أبي عبد الله[4] ، ولمَّا عادَ من غَزْنَةَ . . سُمَّ في الطريقِ ، ومضىٰ

---

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٧٢) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٢٧) .
وجاء في هامش (هـ) حاشية : (ذكر الإمام الشهيد أبو الحجَّاج يوسف بن دوناس الفندلاوي أنه رُويَ : أن الإمام أبا بكر بن فورك ما نام في بيت فيه مصحف قط ، وأنه كان إذا أراد أن ينام أمرنا بالمصحف فأخرج إلىٰ موضع آخر حتىٰ ينام ؛ إعظاماً لكتاب الله عز وجل) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٢٩) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ١٤٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٢٨) .

(٣) غزنة : مدينة عظيمة في أوائل الهند من جهة خراسان .

(٤) يعني : ابن كرَّام ، شيخ الكرَّامية المشبِّهة .

إلىٰ رحمةِ الله[1] ، ونقُل إلىٰ نيسابورَ ودُفنَ بالحِيرَة ، ومشهدُهُ اليومَ ظاهرٌ يُستسقىٰ به ، ويُجابُ الدعاءُ عندَهُ)[2]

٢٥٣ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسمِ زاهرُ بن طاهر ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن الحسين البيهقيُّ الحافظُ قال سمعت الأستاذ أبا القاسم القُشيريَّ يقول سمعتُ الإمام أبا بكر بن فُورَكَ يقول حُملتُ مُقيَّداً إلىٰ شيرازَ لفتنةٍ في الدِّين ، فوافينا بابَ البلد مُصبِحاً ، وكنتُ مهمومَ القلب ، فلمَّا أسفرَ النهارُ . . وقعَ بصري علىٰ محرابٍ في مسجدٍ علىٰ باب البلد مكتوبٍ عليه : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر ٣٦] ، وحصلَ لي تعريفٌ من باطني أنِّي أُكفىٰ عن قريبٍ ، وكان كذلك ، وصرفوني بالعزِّ[3]

* * *

---

(١) ولهٰذا ينعت الإمام ابن فورك بالأستاذ الشهيد .

(٢) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ١٧) ، وانظر الحديث عن محنته في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٣٠) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ١٤٩) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٣٠) .

تتميمٌ : قال الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٢٩) : (ولمَّا حضرَتِ الوفاةُ واحدَ عصره ، وسيِّدَ وقتِهِ ؛ أبا عثمان المغربي . . أوصىٰ بأن يصلي عليه الإمام أبو بكر بن فورك ، وذلك سنةَ ثلاثٍ وسبعين وثلاثِ مئة .

وذكر الإمامُ الشهيد أبو الحجَّاج يوسف بن دوناس الفندلاويُّ المالكيُّ ـ المدفونُ خارجَ باب الصغير بدمشق ، وقبرُهُ ظاهرٌ معروفٌ باستجابة الدعاء عندَهُ ـ أنَّه رُويَ : أنَّ الإمام أبا بكر بن فورك ما نامَ في بيتٍ فيه مصحفٌ قطُّ ، وإذا أراد النومَ . . انتقلَ عن المكان الذي فيه ؛ إعظاماً لكتابِ الله عزَّ وجلَّ ، نقلتُ هٰذه الحكايةَ من خطِّ شيخنا الحافظ أبي العباس بن المظفر) .

وفيه أيضاً (٤/ ١٣٤) : (ومن كلام الأستاذ أبي بكر قال : « كلُّ موضعٍ ترىٰ فيه اجتهاداً ، ولم يكن عليه نورٌ . . فاعلمْ أنَّه بدعةٌ خفية » ، قلتُ : وهٰذا كلامٌ بالغ في الحسن ، دالٌّ علىٰ أنَّ الأستاذَ كثيرُ الذوق ، وأصلُهُ : قوله صلى الله عليه وسلم : « البرُّ ما اطمأنَّتْ إليهِ النفسُ ») ، وبعض هٰذا جاء في هامش (هـ) ، وأن الحافظ ابن الأثير ذكر الأستاذ ابن فورك في « جامع الأصول » (١١/ ٣١٩)

وَمِنهُم :

أبو سعدِ بنُ أبي عثمانَ النيسابوريُّ الخَرْكُوشيُّ الزاهد رحمه الله (١)

٢٥٤ـ قرأتُ على الشيخ أبي القاسم زاهرِ بن طاهرٍ الشَّحَّاميِّ ، عن أبي بكر أحمدَ بن الحسين البيهقيِّ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ قال : (**عبدُ الملك بنُ محمد بن إبراهيم ، أبو سعد بن أبي عثمان** : الواعظُ الزاهدُ .

تفقَّهَ في حداثةِ السنِّ ، وتزهَّدَ وجالسَ الزُّهَّادَ المجرَّدينَ ، إلىٰ أن جعلَهُ الله خَلَفاً لجماعةِ مَنْ تقدَّمَهُ مِنَ العُبَّادِ المجتهدين ، والزُّهَّاد القانعين

سمع بنيسابورَ أبا محمد يحيى بن منصور القاضيَ ، وأبا عمرو بن نُجيدٍ ، وأبا عليٍّ الرَّفَّاءَ الهرويَّ ، وأبا أحمدَ محمدَ بن محمد بن الحسن الشيبانيَّ ، وأقرانَهم .

وتفقَّهَ للشافعيِّ علىٰ أبي الحسنِ الماسَرْجِسِيِّ .

وسمع بالعراقِ بعد التسعين والثلاث مئة ، ثم خرجَ إلى الحجاز ، وجاورَ حرمَ اللهِ وأمنَهُ مكَّةَ ، وصحبَ بها العباد الصالحين ، وسمعَ الحديثَ من أهلِها

---

(١) قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٥/ ٢٢٣) : (**خَرْكوش** : بفتح الخاء المعجمة ، وسكون الراء ، وضم الكاف ، ثم واو ساكنة ، ثم شين معجمة ؛ **سكة بمدينة نيسابور**) ، وقد يقال : الخرجوشي ، قال الإمام السمعاني في « الأنساب » (٥/ ٨٦) : (ذكره أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي فقال : « أبو سعد الخرجوشي ، **ويقال بالكاف بالفارسية** ، منسوبٌ إلىٰ قرية بخراسانَ » ، هـٰكذا قال المقدسي) ، ثم قال : (ولا أدري : أبو سعدٍ هـٰذا نُسبَ إلىٰ هـٰذه السكَّة ، أو السكَّةُ نُسبت إلىٰ أبي سعد ؟) ، ثم ترجمه في محله .

والواردين ، وانصرفَ إلىٰ وطنِهِ بنيسابورَ ، وقد أنجزَ اللهُ له موعودَهُ علىٰ لسانِ نبيِّهِ المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم في حديث سُهيلٍ ، عن أبيهِ ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم : « **إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ عَبْداً . . نَادَىٰ جِبْرِيلَ : إِنَّ ٱللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَناً فَأَحِبُّهُ ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ بِذَلِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ ٱلسَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ ٱلْقَبُولُ فِي ٱلْأَرْضِ** »[١] ، فلزمَ منزلَهُ ومجلسَهُ ، وبذلَ النفسَ والمالَ والجاهَ للمستورينَ مِنَ الغرباءِ والفقراء المنقطعِ بهم ، حتىٰ صارَ الفقراءُ في مجالسِهِ كما حدَّثونا عن إبراهيم بن الحسين ، حدثنا عمرو بن عون ، حدثنا يحيى بن اليمان قال « كانَ الفقراءُ في مجلسِ سفيانَ كأمراءَ »[٢]

قد وفَّقَهُ اللهُ لعمارةِ المساجد والحِيَاض والقناطر والدُّرُوب ، وكسوةِ الفقراء العُراةِ من الغرباء والبلديَّةِ ، حتىٰ بنىٰ داراً للمرضىٰ بعد أن خَربَتِ الدورُ القديمة لهم بنيسابورَ ، ووكَّلَ جماعةً من أصحابه المستورينَ بتمريضِهم ، وحَمْلِ مياهِهم إلى الأطبَّاء[٣] ، وشراءِ الأدويةِ

ولقد أخبرني الثقةُ[٤] أنَّ اللهَ تعالىٰ ذكرُهُ قد شفىٰ جماعةً منهم ، فكساهم وزوَّدَهم إلى الرجوع إلىٰ أوطانِهم

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩) من طريق آخر ، ومسلم (٢٦٣٧) من طريق سهيل المذكور هنا

(٢) رواه ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (١/ ٩٧) ، والمصنف في « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٩٣)

(٣) إذ كان المريضُ يُحمل بَوْلُهُ للطبيبِ لينظرَ فيه ويعرفَ العلَّة ، وفي « الرسالة القشيرية » (ص ٣٥٧) : (قيل : مرضَ سفيانُ الثوري ، فعُرِضَ دليلُهُ ـ يعني دليل مرضه ؛ وهو البول ـ على الطبيب وكان كتابياً ، فقال : هـٰذا رجلٌ قطعَ الخوفُ كبدَهُ ، ثم جاء وجسَّ عِرْقَه ، ثم قال : ما علمتُ أن في الحنيفية مثلَهُ) .

(٤) لا يزال السياق للحاكم نقلاً عن « تاريخه » ، وقد مات الحاكم قبله

وقد صنَّفَ في علوم الشريعة ، ودلائلِ النبوَّة ، وفي سير العُبَّاد والزُّهاد . . كُتُباً نسخَها جماعةٌ من أهل الحديثِ وسمعوها منه ، وسارَتْ تلك المصنَّفاتُ في بلاد المسلمين ؛ تأريخاً لنيسابورَ وعلمائِها الماضين منهم والباقين

وكثيراً أقولُ إنْ لا يُباهىٰ بأجمعَ منه علماً وزهداً وتواضعاً ، وإرشاداً إلى الله تعالىٰ ذكرُهُ وإلىٰ شريعةِ نبيِّهِ المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، وإلى الزهدِ في الدنيا الفانيةِ ، والتزوُّدِ منها للآخرةِ الباقية ، زادَهُ الله توفيقاً ، وأسعدَنا بأيامِهِ ، ووفَّقَنا للشكرِ لله تعالىٰ ذكرُهُ بمكانِهِ ؛ إنَّه خيرُ معين ومُوفِّق)[١]

وقد روىٰ عنه الحاكمُ وهو أسندُ منه

٢٥٥ـ أخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو الحسن عليُّ بن أحمد الغسَّانيُّ بدمشقَ ، وأبو منصور عبدُ الرحمـٰن بن محمد الشيبانيُّ ببغدادَ قالا : قال لنا أبو بكرٍ أحمدُ بن علي بن ثابت الخطيبُ (عبدُ الملك بن أبي عثمانَ : واسمُ أبي عثمان : محمدُ بن إبراهيم ، ويُكنىٰ عبدُ الملك : أبا سعدٍ الواعظَ ، من أهل نيسابورَ .

قدم بغداد حاجّاً ، وحدَّثَ بها : عن يحيى بن منصورٍ القاضي ، وحامدِ بن محمد الهرويِّ ، ومحمدِ بن الحسن بن إسماعيل السَّرَّاجِ ، وأبي عمرو بن مطرٍ ، وإسماعيلَ بنِ نُجَيدٍ ، وأبي أحمدَ محمدِ بن محمد بن الحسن النيسابوريينَ ، ومحمدِ بن عبد الله بن جبيرٍ النَّسويِّ ، وبشرِ بن أحمدَ الإسفرايينيِّ ، وعليِّ بن بُنْدار بن الحسن الصوفيِّ[٢] ، وأبي إسحاقَ المُزكِّي ، وأبي سهلٍ الصُّعلُوكيِّ .

---

(١) انظر « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٩٠) .

(٢) كذا في جميع النسخ، وفي كتب الترجمات : (الحسين) بدل (الحسن) .

حدثنا عنه أبو محمدٍ الخلالُ ، والأزهريُّ ، وعبدُ العزيز الأَزَجيُّ ، والتَّنُوخيُّ

وقال لي التَّنُوخيُّ قدمَ علينا أبو سعدٍ الزاهدُ بغدادَ حاجّاً في سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاثٍ مئة ، وخرج إلىٰ مكَّةَ فأقامَ بها مجاوراً

قال أبو بكرٍ الخطيب وكان ثقةً صالحاً ورعاً ، زاد أبو منصور[1] زاهداً

سألتُ أبا صالحٍ أحمدَ بن عبد الملك النيسابوريَّ عن وفاة أبي سعدٍ ؛ فقال : في سنة ستٍّ وأربعِ مئة)[2]

٢٥٦ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيلَ إجازةً قال : (عبدُ الملك بن أبي عثمانَ محمدِ بن إبراهيم النيسابوريُّ ، أبو سعدٍ الزاهدُ الخَرْكُوشيُّ الواعظُ : الأستاذُ الكامل ، أحدُ أفرادِ خراسانَ علماً وزهداً وورعاً وخشيةً وطريقةً

تفقَّه علىٰ أبي الحسن المَاسَرْجِسيِّ ، ثم تركَ الجاهَ ، وجالسَ الزُّهَّادَ ، ولزمَ العملَ ، وحجَّ وجاورَ ، ثم رجعَ إلىٰ خراسانَ ، وكان يعملُ القلانسَ ، ويأمرُ ببيعِها بحيث لا يُدرىٰ أنَّها من صنعتِهِ ، ويأكلُ من كسبِ يدِهِ ، وبنىٰ في سكَّتِهِ المدرسةَ ، ودارَ المرضىٰ ، ووقفَ أوقافاً عليها ، ووضعَ في المدرسةِ خزانةً للكُتُبِ ، وصنَّفَ أعداداً من الكتب .

وتُوفِّي في جُمادى الأولىٰ ، سنةَ سبعٍ وأربعِ مئة)[3]

---

(١) يعني : عبد الرحمـٰن بن محمد الشيباني الراوي عن الخطيب البغدادي ، والسياق له في « تاريخه »

(٢) انظر « تاريخ بغداد » (١٠/ ٤٣١)

(٣) ذكر الإمام السمعاني في « الأنساب » (٥/ ٨٦) : أنه دُفنَ بالخانقاه المنسوبة إليه في سكة =

وقال عبد الغافر (سمعتُ أبا الفضل محمدَ بن عبيدِ الله الصَّرَّامَ الزاهدَ يقول : رأيتُ الأستاذَ يستسقي ويقولُ : [من المنسرح]

إِلَيْكَ جِئْنَا وَأَنْتَ جِئْتَ بِنَا وَلَيْسَ رَبٌّ سِوَاكَ يُغْنِينَا
بَابُكَ رَحْبٌ فِنَاؤُهُ كَرَمٌ تُؤْوِي إِلَىٰ بَابِكَ ٱلْمَسَاكِينَا

ثم يدعو ويقولُ : اللَّهمَّ ؛ اسقِنا

قال : فما أتمَّ ثلاثاً حتىٰ سُقينا كأفواهِ القِرَبِ)[1]

* * *

= خركوش ، وقد ترجمه (٥/ ١٠١) وقال : (وزرتُ قبرَهُ غير مرَّة)

(١) ورواه المصنف في « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٩٤) .

وَمِنْهُم :

القاضي أبو عمر محمد بن الحسين البسطامي رحمه الله[1]

٢٥٧ـ كتبَ إليَّ الشيخ الإمامُ أبو نصرٍ القُشيريُّ قال أخبرنا أبو بكرٍ البيهقيُّ ، أخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ الحاكمُ قال (**محمدُ بن الحسين بن محمد بن الحسين بن يحيى** : الفقيهُ المتكلِّمُ البارعُ الواعظُ ، **أبو عمرَ بنُ أبي سعيدٍ البَسْطاميُّ**[2]

سمعَ بأصبَهانَ : أبا القاسم سليمانَ بن أحمد اللَّخميَّ ، وأقرانَهُ

وبالعراق : أبا بكرِ بنَ مالك ، وأبا محمدِ بن ماسي ، وأقرانَهما

وسمعَ بالبصرة والأهواز ، ووردَ له العهدُ بقضاءِ نيسابورَ ، وقُرِئَ علينا العهدُ غداةَ الخميس ، الثالث من ذي القعدة ، سنةَ ثمانٍ وثمانين وثلاثِ مئة ، وأُجلسَ في مجلسِ القضاء في مسجد رجاء في تلك الساعة ، **وأظهرَ أهلُ الحديث مِن الفرح والاستبشارِ والنِّثارِ ما يطولُ شرحُهُ**[3] ، وكتبنا بالدعاءِ والشكر إلى السلطانِ أيَّده اللهُ وإلىٰ أوليائِهِ)[4]

---

(١) نسبة إلىٰ بَسْطام بفتح الباء ، كذا نصَّ عليه الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٤/ ١٤٠) ، وفي « تاج العروس » (ب س ط م) (**وبِسْطام** بلدٌ بقومس علىٰ طريق نيسابور ، ويفتح ، أو هو لحن ؛ أي : الفتح)

(٢) في (هـ ، ط) : (سعد) بدل (سعيد)

(٣) **النِّثار** : ما يُنثر فرحاً من نحو الجوز واللوز والسكر

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ١٨٠) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٤٠)

٢٥٨ـ حدثني الشيخُ أبو بكرٍ يحيى بنُ إبراهيمَ بن أحمد بن محمد السَّلَمَاسِيُّ بدمشقَ ، عن أبيه القاضي أبي طاهرِ بن أبي بكرٍ قال : قال أبو عليٍّ الحسنُ بن نصر بن كاكا المَرَنْدِيُّ الفقيه في ذكْرِ الأستاذِ أبي عثمان إسماعيلَ بنِ عبد الرحمـٰن الصابونيِّ ، قال : وذكرَ القاضيَ أبا عمرَ البَسْطاميَّ فقال : (كان منفرداً بلطائفِ السيادة ، معتمداً لمواقفِ الوِفادة ؛ سَفَرَ بين السلطانِ المعظَّم وبين مجلسِ الخلافة أيامَ القادرِ باللهِ[1] ، فأفتنَ أهلَ بغداد بلسانِهِ وإحسانه ، وبزَّهُم في إيرادِهِ وإصداره بصحَّة إتقانه ، ونكَّتَ في ذلك المشهدِ النبويِّ والمحفلِ الإماميِّ أشياءَ أُعجبَ بها كفاتُهُ ، وسلَّمَ الفضلَ له فيها حماتُهُ ، وقالوا : مثلُهُ فليكنْ نائباً عن ذلك السلطان المؤيَّدِ بالتوفيقِ والنصرة ، وافداً علىٰ مثلِ هـٰذه الحضرةِ ، حتىٰ صدرَ وحقائبُهُ مملوءةٌ من أصنافِ الإكرام ، وسهامُهُ فائزةٌ بأقصى المرام

ثمَّ كان شافعيَّ العلم ، شُريحيَّ الحُكْم ، سحبانيَّ البيانِ ، سَحَّارَ اللسان)[2]

٢٥٩ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسمِ عليُّ بن إبراهيم بن العباس ، والفقيهُ أبو الحسن عليُّ بن أحمد بن منصور ، وأبو منصورٍ محمدُ بن عبد الملك المقرئ قالوا : قال لنا أبو بكرٍ أحمدُ بن علي بن ثابت الخطيبُ : (محمدُ بن الحسين بن محمد بن الهيثم ، أبو عمرَ البَسْطاميُّ الواعظُ ، الفقيهُ علىٰ مذهبِ الشافعيِّ .

وليَ قضاءَ نيسابورَ ، وقدم بغداد ، وحدث بها عن : أحمدَ بن عبد الرحمـٰن بن الجارود الرَّقِّيِّ ، وسليمانَ بن أحمد الطبرانيِّ ، وأبي بكرٍ

---

(١) سَفَرَ بين القوم : توسَّط بينهم للإصلاح ، أو لمطلق السفارة .
(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٤٢) .

القَبَّابِ الأصبَهانيِّ ، وأحمدَ بن محمود بن خُرَّزاذَ الأهوازيِّ

حدثني عنه الحسنُ بن محمد الخلال ، وذكرَ لي أنَّهُ قدمَ بغداد في حياة أبي حامدٍ الإسفرايني

قال : وكانَ إماماً نظَّاراً ، وكان أبو حامدٍ يعظِّمُهُ ويُجِلُّهُ

حدَّثني أبو صالح أحمدُ بن عبد الملك المؤذنُ ، وأبو بكر محمدُ بن يحيى بن إبراهيم النيسابوريانِ قالا تُوفِّيَ أبو عمرَ البَسْطاميُّ بنيسابورَ في سنة سبعٍ وأربعِ مئة)[1]

٢٦٠- كتبَ إليَّ الشيخُ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيل قال (محمدُ بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن القاسم بن مالك ، أبو عمرَ بن أبي سعيدٍ البَسْطاميُّ : القاضي الإمامُ

تُوفِّيَ سنةَ ثمانٍ وأربعِ مئة ، وأعقبَ : الموفَّقَ ، والمؤيَّدَ)[2]

وقولُ عبدِ الغافر في نسبِهِ أصحُّ من قولِ الحاكم .

* * *

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٢٤٤) .

(٢) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ١٧) ، وزاد الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٤/ ١٤٢) : (ولدينِ إمامينِ)

وَمِنهُم :

أبو القاسم بن أبي عمرٍو البَجَليُّ البغداديُّ رحمه الله

٢٦١ـ أخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو الحسنِ بن قُبيسٍ ، وأبو منصورِ بن زُرَيقٍ قالا : قال لنا أبو بكرٍ أحمدُ بن عليٍّ الخطيبُ : (**عبدُ الواحد بن محمد بن عثمان ، أبو القاسم بن أبي عمرٍو البَجَليُّ**

سمعَ أحمدَ بن سلمانَ النَّجَّادَ ، وجعفراً الخُلْدِيَّ ، والحسنَ بنَ محمد بن موسى بن إسحاق الأنصاريَّ ، ومحمدَ بن الحسن بن زياد النَّقَّاشَ ، وهبةَ الله بنَ محمد بن حَبَشٍ الفرَّاءَ ، وجعفرَ بنَ محمد بن الحكم المؤدِّبَ ، ومحمدَ بنَ علي بن عَلون المقرئَ[1]

كتبنا عنه ، وكان ثقةً

تقلَّدَ القضاءَ من قِبَل أبي علي التَّنُوخيِّ على دقوقا وخانجانَ ، ومن قِبَل أبي الحسن الخَرَزِيِّ على جازِرَ[2] ، ثم وليَ قضاءَ عُكْبَرَا من قِبل أبي الحسين بن أبي محمد بن معروفٍ

وكان ينتحلُ في الفقه مذهبَ الشافعيِّ ، ويعرف أصولَ الفقهِ

وسمعتُهُ أملى عليَّ نسبَهُ ؛ فقال أبي محمدُ بنُ عثمانَ بنِ إبراهيم بن محمد بن خالد بن إسحاق بن الزِّبْرِقان بن خالد بن عبد الملك بن جرير بن عبد الله البَجَلي ؛ صاحبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) في (هـ) (غلبون) بدل (علون) ، والصواب المثبت ، وانظر ترجمته في « تاريخ الإسلام » (٢٥/ ٤٥١) .

(٢) في (هـ ، ط) : (الجزري) بدل (الخرزي) ، والصواب المثبت .

تُوفِّيَ ابنُ أبي عمرو في اليوم الذي مات فيه ابنُ مهدي ؛ وهو يومُ الاثنين الرابعَ عشرَ من رجبٍ ، سنةَ عشرٍ وأربعِ مئة ، ودُفنَ من الغدِ في مقبرةِ باب حرب)[١]

٢٦٢ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم بن السمرقنديِّ ، حدثنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن علي الشيرازيُّ لفظاً قال : (أبو القاسم ، عبدُ الواحد بن محمد بن عثمان البَجَليُّ ، ويُعرف بابنِ أبي عمرو .

ماتَ سنةَ عشرٍ وأربعِ مئة .

وكان فقيهاً أصوليّاً متكلِّماً ، له مُصنَّفاتٌ حسنةٌ في الأصول)[٢]

وذكرَهُ أبو الفضلِ ابنُ خيرونَ في « الوفيات »[٣] فقال : (الفقيهُ الشافعيُّ الأشعريُّ)[٤]

* * *

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١١/ ١٤)

(٢) انظر « طبقات الفقهاء » (ص ١٢٦) .

(٣) في (أ ، ب ، د) : (الوفات) ، وفي (هـ ، و) : (الوفآءت) كذا رسمت ، وفي (ج) : (الوفاتي) .

(٤) جاء في (ب) : (آخر الجزء الخامس من كتاب « التبيين » ، ويتلوه إن شاء الله في الذي يليه : « ومنهم أبو الحسن بن ماشاذه الأصبهاني رحمه الله » ، والحمد لله حقَّ حمده ، وصلى الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه ، فرغ من نسخه عشية يوم الجمعة الثاني من . . . ، من سنة إحدىٰ وثمانين وخمس مئة دمشق حماها الله ، في الدويرة السميساطية عمرها الله) ، ثم ابتدأ الجزء السادس ، وأوله : (بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، وصلى الله علىٰ محمد وآله وسلم تسليماً) .

وَمِنهُم :

أبو الحسن بن ماشاذه الأصبهاني رحمه الله

٢٦٣ـ حدثني الشيخُ أبو مسعودٍ عبدُ الرحيم بن علي بن حمد المُعدَّلُ بأصبَهانَ ، أخبرنا أبو عليٍّ الحسنُ بن أحمد بن الحسن المقرئ ـ وأجازَهُ لي أبو عليٍّ قال ـ : قال لنا أبو نُعيمٍ أحمدُ بن عبد الله الحافظُ : (علي بن محمد بن أحمد بن مِيْلَهْ ، أبو الحسن : يُعرفُ محمدٌ بـ « ماشاذه »

كانَ من شيوخِ الفقهاء ، أحدَ أعلامِ الصوفية

صحب أبا بكر عبدَ الله بن إبراهيم بن واضح ، وأبا جعفر محمدَ بن الحسن بن منصور ، وغيرَهما ، وزادَ عليهما في طريقتهما خُلُقاً وفتوَّةً .

جمعَ بين علم الظاهرِ والباطن ، لا تأخذُهُ في الله لومةُ لائمٍ ، كان ينكرُ علىٰ مشبِّهةِ الصوفية[1] وغيرِهم من الجُهَّال فسادَ مقالتِهم في الحلولِ والإباحةِ والتشبيهِ ، وغيرَ ذلك من جميع أخلاقهم ، وقبيحِ أفعالهم وأقوالهم ، فعدلوا

---

(١) في مطبوع « تاريخ أصبهان » (١/ ٤٤٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٨/ ٣٥٣) : (كان ينكر على المتشبِّهة بالصوفيّة) ، وهي أنزهُ في حقِّ القوم ؛ فقد قال حجَّةُ الإسلام إمامُنا الغزالي في « إحيائه » (٤/ ٣٥٠) : (ولو تُصُوِّرَ صوفيٌّ فاسق لتصوِّرَ صوفيٌّ كافر ، وفقيهٌ يهودي ، وكما أنَّ الفقيه عبارةٌ عن مسلم مخصوص. . فالصوفيُّ عبارةٌ عن عَدْلٍ مخصوص ، لا يقتصرُ في دينه على القدر الذي يحصل به العدالة) ، والتشبيهُ من أعظم كبائر الاعتقادات ، وقد يقعُ بين القوم من هو علىٰ مذهب التشبيه ، ويتداركُهُ الله بلطفه ، فينجِّيه من حمأته ؛ فقد قال الإمام القشيري في « رسالته » (ص ٩٠) : (سمعت الإمام أبا بكر بن فورك رحمة الله عليه يقول : سمعتُ أبا عثمان المغربيَّ يقول : كنتُ أعتقدُ شيئاً من حديث الجهة ، فلمَّا قدمتُ بغدادَ. . زالَ ذلك عن قلبي ، فكتبت إلىٰ أصحابنا بمكَّةَ : أنِّي أسلمتُ جديداً) .

عنه لما دعاهم إلى الحقِّ ؛ جهلاً وعناداً

تفرَّدَ في وقتِهِ بالروايةِ عن محمدِ بن محمد بن يونس الأبهريِّ ، وأبي عمرو بنِ حكيم ، [و] المَصَاحفيِّ[1] ، والأَسْوَاريِّ ، وغيرِهم

تُوفِّيَ يومَ الفطر ضحوةَ يوم الأربعاء ، سنةَ أربعَ عشرةَ وأربعِ مئة ، ودُفنَ من يومه ، رحمةُ الله عليه ورضوانُهُ)[2]

* * *

(١) سقطت الواو من النسخ ، ولا بدَّ منها ، لأن أبا عمرو : هو أحمدُ بن محمد بن إبراهيم بن حكيم ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٥/٨٧) ، والمصاحفي : هو أحمدُ بن محمد بن إبراهيم بن زياد أبو علي ، وانظر « تاريخ أصبهان » (١/١٧٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٨/٣٥٣) .

(٢) انظر « تاريخ أصبهان » (١/٤٤٩) ، وقال الحافظ أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/٤٠٦) (وختم التحقيق بطريقة المتصوفة بأبي الحسن علي بن ماشاذه ؛ لِمَا أولاه الله من فنون العلم ، والسخاء والفتوة ، وسلوكه مسلكَ الأوائل في البذل والعطاء والإنفاق ، والتبرّي والتعرّي من التملُّك والإمساك ، وكان عارفاً بالله عالماً ، وفقيهاً عاملاً ، عالماً بالأصول ، وبارعاً في الفروع ، له من الأدب الحظُّ الجزيل ، والخلقُ الحسن الجميل) .

ومنهم :

الشريفُ أبو طالبِ بنُ المُهتدي الهاشميُّ الدمشقيُّ رحمه الله

٢٦٤ـ أخبرَنا الشيخُ الأمينُ أبو محمد هبةُ الله بن أحمد الأكفانيُّ قال : حدثنا أبو محمدٍ عبدُ العزيز بن أحمد الكتانيُّ قال : (**تُوفِّيَ شيخُنا الشريفُ أبو طالبٍ عبدُ الوهَّاب بن عبد الملك بن المهتدي باللهِ الفقيهُ** . . **يومَ الاثنين العاشر من شهر رمضان ، سنةَ خمسَ عشرةَ وأربعِ مئة** .

حدَّث عن : أبي عبد الله محمدِ بن إبراهيمَ بن مروان وغيرِهِ بشيءٍ يسير .

وكان فقيهاً حافظاً للفقهِ ، **يذهبُ إلىٰ مذهب أبي الحسن الأشعريِّ** رحمَهُ اللهُ)[١]

* * *

---

(١) انظر « ذيل مولد العلماء » (ص١٥٠) ، ورواه المصنف في « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٣٣٥) .

ومنهم :

أبو معمرِ بنُ أبي سعدِ بنِ أبي بكرٍ الجُرجانيُّ رحمه الله

٢٦٥ـ أخبرَنا أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمد بن عمر ، أخبرنا أبو القاسم إسماعيلُ بن مسعدةَ بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم الجُرجانيُّ ، أخبرنا أبو القاسمِ حمزةُ بن يوسف بن إبراهيم السهميُّ سماعاً أو إجازةً في كتاب « تاريخ جرجان » الذي ألَّفَهُ قال : (**أبو معمرٍ ، المفضلُ بنُ إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيليُّ الإمامُ**

روىٰ عن : جدِّه الإمامِ أبي بكر أحمدَ بن إبراهيم الإسماعيليِّ الكتبَ الكثيرةَ ، وسمعَ منه كتابَهُ « الجامع » علىٰ « جامع الصحيح » للبخاريِّ ، وغيرَهُ من المجموعاتِ والتصانيف والمشايخِ والأمالي

وقد حفظَ له والدُهُ الإمامُ أبو سعدٍ الإسماعيليُّ سماعَهُ ، وحملَهُ إلىٰ بغداد ومكَّةَ في سنة أربعٍ وثمانين وثلاثِ مئة ، وبقيَ هناك إلىٰ أن حجَّ في سنة خمسٍ وثمانين ، ورجع في سنة ستٍّ وثمانين إلىٰ جُرجانَ ، **وقد كان سمعَ ببغداد من** : أبي الحسن الدارقطنيِّ أكثرَ كتبِهِ ومصنفاتِهِ ، وكتبَ عن أبي حفصِ بن شاهينَ ، وعن أبي الحسنِ الجيليِّ[١] ، وغيرِهم .

وبمكَّةَ عن يوسفَ بن الدَّخِيل ، وأبي زرعةَ الجَنْبيِّ الجُرجانيِّ[٢] ، وجماعةٍ .

وجلسَ للإملاءِ بعد موتِ عمِّهِ أبي نصرِ الإسماعيليِّ رحمَهُ اللهُ .

---

(١) في مطبوع « تاريخ جرجان » : (الختلي) .

(٢) في مطبوع « تاريخ جرجان » : (الكشي) بدل (الجنبي) .

سمعتُ أبا بكرٍ الإسماعيليَّ رحمه الله يقول : ابني هـٰذا ـ أبو معمرٍ ـ له سبعُ سنينَ ، يحفظُ القرآنَ ، وتعلَّمَ الفرائضَ ، وأجابَ في مسألةٍ أخطأَ فيها بعضُ قضاتِنا

وقد كان وَهَبَ له ما كانَ عندَهُ عن محمدِ بنِ عثمانَ بن أبي شيبةَ ، لم يقرأْهُ بعدَ ذلك لأحدٍ ، وأخِير ما حدَّثَ به سمعَ أبو معمرٍ وأبو العلاءِ[1] ، ثمَّ لم يقدرْ أحدٌ علىٰ جميعِهِ إلا أحاديثَ خرَّجَها في مواضعَ .

وكانَ إليه القضاءُ منذ ماتَ والدُهُ الإمامُ أبو سعدٍ الإسماعيليُّ)[2]

* * *

---

(١) قوله : (وأخير) كذا في (أ ، ب ، و) وفيما سواها : (آخر)، وعبارة السهمي في «تاريخ جرجان» (ص ٤٦٤): (ولم يقرأ لأحد بعد ما سمع أبو معمر وأبو العلاء، وخصَّ أبا العلاء بتفسير شبل بن عباد).

(٢) تاريخ جرجان (ص ٤٦٤) ، وفيه : (الفتيا) بدل (القضاء) ، وفي « الأنساب » (١/٢٤٣) : (وتوفي في الرابع والعشرين من ذي الحجة ، سنة إحدىٰ وثلاثين وأربع مئة ، وصلىٰ عليه أخوه أبو الفضل) .

وَمِنهُم :

أبو حازم العبدويُّ النيسابوريُّ الحافظ رحمه الله [1]

٢٦٦ـ أخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو منصورٍ محمدُ بن عبد الملك بن الحسن بن خيرونَ ببغدادَ ، وأبو الحسنِ عليُّ بن الحسن بدمشقَ قالا قال لنا الشيخُ أبو بكرٍ أحمدُ بن علي بن ثابت الحافظُ : (**عمرُ بنُ أحمدَ بن إبراهيم بن عبدويه بن سَدُوس بن عليِّ بن عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن عتبةَ بن مسعود ، أبو حازمٍ الهُذَليُّ العبدُويُّ الأعرجُ** : من أهل نيسابورَ .

سمع : إسماعيلَ بن نُجيدٍ السلميَّ ، ومحمدَ بنَ عبد الله السَّلِيطيَّ ، ومحمدَ بنَ جعفر بن مطر ، وأبا بكر الإسماعيليَّ ، ومحمدَ بن الحسن بن إسماعيل المقرئ ، وأبا بكر محمدَ بن علي القفَّالَ ، وإبراهيمَ بن محمد النصراباذيَّ ، وعليَّ بن بُنْدارٍ الصيرفيَّ ، وإسماعيلَ بن عبد الله بن مِيكالَ ، ومحمدَ بن عبد الله بن علي السِّمَّذيَّ [2] ، وعليَّ بن أحمد بن عبد العزيز الجُرجانيَّ ، وبشرَ بن أحمد الإسفرايينيَّ ، وعبدَ الله بن محمد بن علي بن زياد ، وخَلْقاً يتَّسعُ ذكرُهم من أهل نيسابورَ وهَرَاةَ وغيرِهما

وقَدِم بغدادَ قديماً ، وحدَّثَ بها ، فسمعَ منه أبو إسحاقَ الطبريُّ المقرئ ، ومحمدُ بن أبي الفوارس ، وأحمدُ بن محمد بن الآبنُوسيِّ ،

---

(١) ضُبطت لفظة (العبدوي) في (هـ) بفتح الدال وضمها ، وكُتب تحتها : (معاً بخطِّ ابن الصلاح) ، وانظر ما تقدم تعليقاً (ص ٤٣١) .

(٢) وقيل : بكسر الميم المشددة ، وفي « الأنساب » (٧/ ٢١٦) : (هـٰذه النسبة إلى السمذ ؛ وهو نوع من الخبز الأبيض الذي يعملُهُ الأكاسرةُ والملوك) .

وأبو عبد الله بنُ الكاتب في آخرينَ .

وحدَّثنا عنه : التَّنُوخيُّ ، وأبو يعلىٰ أحمدُ بن عبد الواحد

وبقيَ أبو حازمٍ حيّاً حتىٰ لقيتُهُ بنيسابورَ ، وكتبتُ عنه الكثيرَ ، وكان ثقةً صادقاً ، عارفاً حافظاً ، يسمعُ الناسُ بإفادتِهِ ، ويكتبون بانتخابِهِ .

كتبَ إليَّ أبو عليٍّ الحسنُ بن علي الوَخْشيُّ من نيسابورَ يذكرُ أنَّ أبا حازمٍ ماتَ في يوم عيدِ الفطر ، من سنة سبعَ عشرةَ وأربعِ مئة)[1]

٢٦٧ـ كتب إليَّ الشيخ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسيُّ قال : (عمرُ بن أحمدَ بن إبراهيم بن عبدويه. . .) ، ثم ساق نسبه كما تقدَّم ، وقال : (سمعتُ الشيخَ أبا صالحٍ أحمدَ بن عبد الملك يقول : سمعت أبا حازمٍ يقول : كتبتُ بخطِّي عن عشرةٍ من شيوخي عشرةَ آلافِ جزءٍ ، عن كلِّ شيخٍ ألفَ جزء ، سوىٰ ما اشتريتُهُ ؛ فذكرَ منهم : الإمامَ أبا بكر الإسماعيليَّ، وأبا الحسن الحَجَّاجيَّ الحافظَ ، والحاكمَ أبا أحمدَ الحافظَ) .

قال عبد الغافر (انتخبَ عليه الحاكمُ أبو عبد الله ، وحدَّث عنه ، وانتشرَتْ فوائدُهُ في الآفاق ، وتُوفِّي فجأةً ليلةَ الأربعاء ، الثاني من شوالٍ سنةَ سبعَ عشرةَ وأربعِ مئة ، وصلَّىٰ عليه الأستاذُ الإمام الإسفرايِنيُّ)[2]

* * *

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١١/ ٢٧١) ، وانظر ما قال فيه أيضاً في الخبر (٢٧٢) .

(٢) انظر «المنتخب من كتاب السياق» (ص٣٦٦)، و« تاريخ الإسلام » (٢٨/٤٢٨)، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٥/ ٣٠٠). وجاء في هامش (هـ): (تنبيهٌ: ذكرَ أبا حازمٍ هـٰذا الحاكمُ في «تاريخه»، وماتَ قبله ، فذكرَ تقدُّمَهُ في السماع ، والرحلة في طلب الحديث ، وأنه سمع بنيسابور بعد الخمسين والثلاث مئة ، ثم أدركَ الإمامَ أبا بكر الإسماعيلي وأكثرَ عنه ، وأدرك بهراةَ الأسانيدَ العالية ، وسمع بالعراق والحجاز ، وحدَّثَ بانتخاب الحاكم عليه ، وروىٰ عنه، والله أعلم .
وذكر أبو الفضل الفلكيُّ في « ألقابه » : أن كنيته أبو حفص ، وجعل أبا حازم من باب اللقب ، وقال : إليه المنتهىٰ في الكثرة والمعرفة) .

ومنهم :

الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني رحمه الله

٢٦٨ـ كتب إليَّ الشيخُ أبو نصرٍ عبدُ الرحيم بن عبد الكريم بن هوازنَ قال أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن الحسين البيهقيُّ ، أخبرنا الحاكمُ أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ قال (إبراهيمُ بنُ محمد بن إبراهيم الفقيهُ الأصوليُّ المُتكلِّمُ المُقدَّمُ في هـٰذه العلوم ، أبو إسحاقَ الإسفراينيُّ الزاهدُ .

انصرفَ من العراق بعد المُقامِ بها ، وقد أقرَّ له أهلُ العلم بالعراق وخراسانَ بالتقدُّمِ والفضل ، فاختارَ الوطنَ ، إلىٰ أن جُرَّ بعد الجهدِ إلىٰ نيسابورَ[1] ، وبُنيَ له المدرسةُ التي لم يُبنَ بنيسابورَ قبلَها مثلُها ، ودرَّس فيها وحدَّث

سمع بخراسانَ الشيخَ أبا بكرٍ الإسماعيليَّ وأقرانَهُ ، وبالعراق : أبا بكر محمدَ بن عبد الله الشافعيَّ ، وأبا محمد دَعْلَجَ بن أحمد السِّجْزيَّ ، وأقرانَهما)[2] .

٢٦٩ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمد قال : حدثنا الشيخُ الإمامُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن علي بن يوسفَ الفيروزاباديُّ من لفظه قال (أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن محمد الإسفراينيُّ وكان فقيهاً مُتكلِّماً أصوليّاً ، وعليه دَرَسَ شيخُنا القاضي أبو الطيِّب أصولَ الفقه بإسفراينَ ، وعنه أخذَ الكلامَ والأصولَ عامَّةُ شيوخ نيسابورَ)[3]

٢٧٠ـ كتب إليَّ الشيخُ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيل الفارسيُّ قال :

---

(١) في (ط) : (خرج) بدل (جرَّ) .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/٢٥٦) ، وذكر أنه كان يلقَّب : ركن الدين .

(٣) انظر « طبقات الفقهاء » (ص١٢٦) .

(إبراهيمُ بنُ محمد بن إبراهيم بن مهرانَ : الأستاذُ الإمام أبو إسحاقَ الإسفرايِنيُّ ، أحدُ من بلغ حدَّ الاجتهاد من العلماء ؛ لتبحُّرِهِ في العلوم ، واستجماعِهِ شرائط الإمامة ؛ من العربيةِ ، والفقهِ ، والكلامِ ، والأصولِ ، ومعرفةِ الكتاب والسنة ، وكان مِنَ المجتهدين في العبادةِ ، المبالغين في الورعِ والتَّحرُّج ، ذكرَهُ الحاكمُ في « التاريخ » لعلوِّ منزلتِهِ ، وكمالِ فضله ، وذكرَ أنَّه حُمِلَ إلىٰ نيسابورَ استدعاءً وإكراهاً ؛ للاحتياجِ إليه .

وانتخبَ عليه الحاكمُ أبو عبد الله عشرةَ أجزاء[1]

وقال أبو صالح المؤذِّن[2] : سمعتُ أبا حازمٍ العبدويَّ الحافظَ يقول[3] : كان الإمامُ يقول لي بعد ما رجعَ من إسفرايِنَ أشتهي أن يكونَ موتي بنيسابورَ ؛ حتىٰ يصلِّيَ عليَّ جَمْعُ نيسابورَ ، فتُوفِّيَ بعد هـٰذا الكلام بنحوٍ من خمسةِ أشهر ، يومَ عاشوراءَ سنةَ ثمانِ عشرةَ وأربعِ مئة ، وصلَّىٰ عليه الإمامُ الموفَّق[4]

وحكىٰ لي من أثقُ به[5] أنَّ الصاحبَ بن عبَّاد كان إذا انتهىٰ إلىٰ ذكرِ

---

(١) زاد الحافظ السمعاني في « الأنساب » (١/ ٢٢٥) : (وخرج له أبو بكر بن منجويه الحافظ الأصبَهانيُّ ألفَ حديث ، وعُقد له مجلسُ الإملاء بنيسابورَ بمسجد عقيل) .

(٢) في « المنتخب من كتاب السياق » (ص ١٢٧) (سمعت أبا صالح المؤذن يقول) ، وصرَّح عبد الغافر بالرواية عنه في ترجمته

(٣) وأبو حازم ـ وقد تقدمت ترجمته قبيلُ ـ روىٰ هـٰذا الخبر عنه وتوفي قبل الأستاذ الإسفرايني ، بل هو الذي صلَّىٰ عليه رحمهما الله تعالىٰ .

(٤) زاد في « المنتخب من كتاب السياق » (ص ١٢٧) : (وكان يوماً مطيراً ، ثم طلعت الشمس بعد الظهر ، وحمل إلىٰ مقبرة الحيرة . . . ، ودُفنَ في مشهد أبي بكر الطوسيِّ ، ثم ورد ابنُه في خلْقٍ عظيم ونقلوهُ بعد ثلاثٍ ، وصلَّوا عليه في ميدان الحسين ، وحملوهُ إلىٰ إسفرايِنَ ، ودُفنَ في مشهدِهِ ، والناس يتبرَّكون به ويزورونه ، وتُستجابُ عنده الدعواتُ) ، ونقله السمعاني في « الأنساب » (١/ ٢٢٥) وزاد : (زرتُ قبره بإسفرايِنَ ، وذكرته في « الأصولي ») .

(٥) جعل الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٤/ ٢٧٥) هـٰذا الكلام من كلام الحافظ ابن =

الباقلانيِّ وابن فُورَكَ والإسفرايينيِّ ـ وكانوا متعاصرينَ من أصحاب الأشعريِّ ـ قال لأصحابِهِ ابنُ الباقلانيِّ بحرٌ مغرِقٌ ، وابنُ فُورَكَ صِلٌّ مُطرِقٌ ، والإسفرايينيُّ نارٌ تُحرِقُ ، وكأنَّ روحَ القُدُس نفثَ في رُوعِهِ ؛ حيث أخبرَ عن حال هـٰؤلاء الثلاثةِ بما هو حقيقةُ الحالِ فيهم)[1]

وفوائدُ هـٰذا الإمامِ وفضائلُهُ وأحاديثه وتصانيفُهُ . . أكثرُ وأشهرُ مِن أن تُستوعبَ في مجلداتٍ ، فضلاً عن أطباقٍ وأوراق[2]

* * *

= عساكر ، لا من كلام عبد الغافر ، وهو في « المنتخب من كتاب السياق »

(١) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ١٢٧) .
وقال شيخ الإسلام الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (٢/ ٤٦٣) : (وكان الأستاذ أحد الثلاثة الذين اجتمعوا في عصر واحد علىٰ نصر مذهب الحديث والسنَّة في المسائل الكلامية ، القائمين بنصرة مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ؛ وهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني ، والقاضي أبو بكر الباقلاني ، والإمام أبو بكر بن فُورَك ، وكان الصاحبُ بن عباد يثني عليهم الثناءَ الحسن ، مع أنه معتزليٌّ مخالفٌ لهم ، لـٰكنَّهُ أنصفَهم)

(٢) جاء في هامش (هـ) حاشية : (قال ابن الصلاح : ومما تفرد به الأستاذ أبو إسحاق عن أصحابنا : أنه كان لا يجوز الكرامات ، حكىٰ ذلك عنه الأستاذ أبو القاسم القشيري وغيره ، وهي زلة كبيرة) انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ٣١٤)
وجاء أيضاً في هامش (هـ) حاشية : (قال الحافظ أبو سعد السمعاني : كان يوم موت الشيخ أبي إسحاق الإسفرايني يوماً مطيراً ، ثم طلعت الشمس بعد الظهر ، ونقل إلىٰ مقبرة الحيرة ودُفنَ بها ، ثم ورد ابنه في خلق عظيم من أهل إسفراين ، ونقلوه بعد ثلاث ، وصلَّوا عليه في ميدان الحسين ، وحملوه الىٰ إسفراين ، ودُفن في مشهده ، وهو اليومَ ظاهرٌ ، والناسُ يتبرَّكون به ويزورونه ، ويُستجابُ عنده الدعاء ، زرتُ قبره) .
تنبيهٌ : قال الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » (٢/ ٣١٥) وهو يتحدَّث عن الكرامات (وإني لأعجب من منكرها ، وأخشى عليه مقت الله ، ويزداد تعجبي عند نسبة إنكارها إلى الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني وهو من أساطين أهل السنة والجماعة ! على أن نسبة إنكارها إليه على الإطلاق كذبٌ عليه، والذي ذكره الرجل في مصنفاته أن الكرامات لا تبلغ مبلغ خرق العادة . . . ، ثم مع هـٰذا قال إمام الحرمين وغيره من أئمتنا : هـٰذا المذهب متروك .

ومنهم :

أبو علي بن شاذان البغدادي رحمه الله

تأخَّرَتْ وفاتُهُ رحمَهُ اللهُ

٢٧١ـ أخبرَنا الشيخُ أبو منصورٍ محمدُ بن عبد الملك المقرئ ، وأبو الحسنِ عليُّ بن الحسن بن سعيد قالا : قال لنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت الحافظُ : الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذَانَ بن حرب بن مِهران ، أبو عليٍّ البزازُ

وُلِدَ في ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلةً خلَتْ من شهر ربيع الأول ، سنةَ تسعٍ وثلاثين وثلاثِ مئة ، كذلك قرأتُ بخطِّ أبيه

وسمع : عثمانَ بن أحمد الدَّقَّاقَ ، وأحمدَ بن سليمان العَبَّادانيَّ ، وأحمدَ بن سلمان النجَّادَ[١] ، وخَلْقاً غيرَهم يطولُ ذكرُهم .

كتبنا عنه ، وكان صدوقاً ، صحيحَ الكتاب ، وكان يَفهمُ الكلامَ على مذهبِ الأشعريِّ

وكتب عنه جماعةٌ من شيوخنا ؛ كأبي بكر البَرْقانيِّ ، ومحمدِ بن طلحةَ ، وأبي محمدِ الخلالِ ، وأبي القاسم الأزهريِّ ، وعبد العزيز الأَزَجيِّ ، وغيرِهم

سمعتُ أبا الحسن بن رزقويه يقول : أبو عليٍّ بن شاذَانَ ثقةٌ .

وسمعتُ الأزهريَّ يقول : أبو عليٍّ بن شاذَانَ مِن أوثقِ مَن برَأَ الله في

---

(١) في (ب ، هـ ، ط) : (سليمان) بدل (سلمان) .

الحديث ، وسماعي منه أحبُّ إليَّ من السماع من غيره ، أو كما قال)

وقال أبو بكرٍ الخطيبُ : (حدثني محمدُ بن يحيى الكرمانيُّ قال : كنَّا يوماً بحضرة أبي علي بن شاذانَ ، فدخلَ علينا رجل شابٌّ لا يعرفُهُ منَّا أحد ، فسلَّم ثم قال : أيُّكم أبو عليٍّ بن شاذانَ ؟ فأشرنا له إليه ، فقال له : أيُّها الشيخُ ؛ رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال لي : سَلْ عن أبي علي بن شاذانَ ، فإذا لقيتَهُ . . فأقرئْهُ منِّي السلامَ ، ثم انصرفَ الشابُّ ، فبكىٰ أبو علي وقال ما أعرفُ لي عملاً أستحقُّ به هـٰذا ، اللَّهمَّ إلاَّ أن يكونَ صبري علىٰ قراءةِ الحديث عليَّ ، وتكريرَ الصلاةِ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم كلَّما جاءَ ذكرُهُ .

قال الكرمانيُّ : ولم يلبثْ أبو عليٍّ بعد ذلك إلا شهرين أو ثلاثة حتىٰ ماتَ)

قال أبو بكرٍ : (تُوفِّيَ ابنُ شاذانَ في ليلة السبت مُستهلَّ المحرَّمِ ، من سنة ستٍّ وعشرين وأربعِ مئة ، بعد صلاة العَتَمة ، ودُفن من الغد ، وحضرتُ الصلاةَ علىٰ جنازته)[1]

قلتُ : وكان حنيفيَّ الفروعِ[2]

* * *

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (٧/ ٢٨٨) ، والترجمة بتمامها منه .

(٢) كذا وقعت النسبة لمذهب الإمام أبي حنيفة في جُلِّ الكتاب .

وَمِنهُم :

أبو نعيم الحافظ الأصبهاني رحمه الله

تأخَّرَتْ وفاتُهُ

٢٧٢ـ كتبَ إليَّ الشيخُ أبو الحسنِ عبدُ الغافر بن إسماعيل يذكرُ قال (أحمدُ بنُ عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهرانَ سبطُ محمد بن يوسف البنَّاءِ الصوفيِّ ، الشيخُ الإمامُ أبو نُعيمٍ الحافظُ

واحدُ عصره في فضلِهِ وجمعِهِ ومعرفته ، صنَّفَ التصانيف المشهورة ؛ مثلَ « حلية الأولياء وطبقة الأصفياء »[1] ، وغيرِ ذلك من الكتب الكبيرة في أنواع علوم الحديث ، والحقائق ، وشاعَ ذكرُهُ في الآفاق ، واستفادَ الناسُ من تصانيفِهِ لحُسنِها

تُوفِّيَ بأصبَهانَ في صفرٍ سنةَ ثلاثين وأربعِ مئة

وبلغني أنَّهُ وُلدَ في رجبٍ سنة ستٍّ وثلاثين وثلاثِ مئة ، وأنَّه تُوفِّي يومَ الاثنين الحادي والعشرين من المحرَّم سنةَ ثلاثين ، ودُفنَ من يومه بعد صلاة الظهر ، وبلغَ أربعاً وتسعينَ سنةً

سمعتُ مَن يحكي عن أبي بكرٍ أحمدَ بن علي بن ثابت الخطيب قال : لم

---

(١) قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٤/ ٢٣) : (ومن مصنفاته : « حلية الأولياء » ، وهي من أحسن الكتب ، كان الشيخُ الإمام الوالد رحمه الله كثيرَ الثناء عليها ، ويحبُّ تسميعَها ، وله أيضاً كتاب « معرفة الصحابة » ، وكتاب « دلائل النبوة » ، وكتاب « المستخرج على البخاري » ، وكتاب « المستخرج على مسلم » ، وكتاب « تاريخ أصبهان » ، وكتاب « صفة الجنة » ، وكتاب « فضائل الصحابة » ، وصنف شيئاً كثيراً من المصنفات الصغار) .

ألقَ مِنْ شيوخي أحفظَ من أبي نُعيم الحافظ ، وأبي حازمٍ العبدويِّ الأعرجِ

وذكرَ لي الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن محمد الأصبَهانيُّ عمَّنْ أدركَ من شيوخ أصبَهانَ أنَّ السلطانَ محمودَ بن سُبُكْتِكِينَ لمَّا استولىٰ علىٰ أصبَهانَ. ولَّىٰ عليها والياً مِن قِبَلِهِ ، ورحلَ عنها ، فوثبَ أهلُ أصبَهانَ به فقتلوهُ ، فرجعَ محمودٌ إليها ، وأمَّنَهم حتى اطمأنُّوا ، ثم قصدَهم يومَ الجمعة في الجامع ؛ فقتلَ منهم مقتلةً عظيمةً ، وكانوا قبلَ ذلك قد منعوا أبا نُعيمٍ الحافظَ من الجلوس في الجامع ؛ فسَلِمَ ممَّا جرىٰ عليهم ، وكان يُعدُّ ذلك مِن كرامةِ أبي نُعيمٍ رحمَهُ اللهُ)[1]

* * *

(١) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ٩٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٩/ ٢٧٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٨) ، وانظر ما تقدَّم تعليقاً (ص ٣٨٣) ، وفي « تاريخ الإسلام » (٢٩/ ٢٧٧) : (قال ابن المفضل الحافظ : قد جمع شيخُنا السلفي أخبارَ أبي نعيم ، وذكر من حدَّث عنه ، وهم نحو ثمانين رجلاً) .
وجاء في هامش (هـ) : (قال أبو نعيم عبيد الله بن الحسن : سمعت بعضَ أصحابنا يقول : رأيت في المنام وكأن قائلاً يقول لي : مَنْ أحبَّ أن تستجاب دعوته . . فليدعُ عند قبر أبي نعيم سبط محمد بن يوسف) .
وأنقل الترجمة بتمامها من الأصول المنقول عنها في « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٤٥٩) : (وقال السلفي سمعت أحمد بن مردويه يقول : كان أبو نعيم في وقته مرحولاً إليه ، ولم يكن في أفقٍ من الآفاق أسندُ ولا أحفظُ منه ، كان حفَّاظُ الدنيا قد اجتمعوا عنده ، فكان كلَّ يوم نوبةُ واحدٍ منهم ، يقرأ ما يريدُهُ إلىٰ قريب الظهر ، فإذا قام إلىٰ داره . . ربما كان يُقرأ عليه في الطريق جزءٌ ، وكان لا يضجرُ ، لم يكن له غداءٌ سوى التصنيف أو القراءة عليه
قال السيد حمزة بن العباس العلوي كان أصحاب الحديث يقولون : بقي أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير ، لا يوجد شرقاً ولا غرباً أعلىٰ منه إسناداً ، ولا أحفظُ منه .
وكانوا يقولون : لما صنف كتاب « الحلية » . . حمل الكتاب إلىٰ نيسابور حالَ حياته ، فاشتروه بأربع مئة دينار !) .

ومنهم :

أبو حامدٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بن محمدِ بن دِلُّويه الأُستوائيُّ الدَّلويُّ رحمه الله

٢٧٣ـ قال لنا أبو الحسن أحمدُ بن علي بن قُبيس الغسانيُّ ، وأبو منصور عبدُ الرحمـٰن بن محمد بن زُرَيق الشيبانيُّ ، قال لنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت الخطيبُ في « تاريخ بغداد » : (أحمدُ بنُ محمدِ بن أحمد بن محمد بن دِلّويه ، أبو حامدٍ الأُسْتُوائيُّ ، ويُعرف بالدِّلُّويِّ ، وأُسْتوا التي نُسبَ إليها : قريةٌ من قرىٰ نيسابورَ

سمع : أبا أحمدَ محمدَ بن محمد بن إسحاق الحافظَ ، وأبا العباس أحمدَ بن محمد بن إسحاق الأنماطيَّ ، وأبا سعيد عبدَ الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازيَّ ، ومحمدَ بن عبد الله الجوزقيَّ ، ونحوَهم .

وقَدِم بغداد فسمعَ من : الدارقطنيِّ وطبقتِهِ ، واستوطنَ بغداد إلىٰ حين وفاتِهِ ، وولي القضاء بعُكْبَرَا من قِبَلِ القاضي أبي بكر محمدِ بن الطيِّب .

وكان ينتحلُ في الفقه مذهبَ الشافعيِّ ، وفي الأصول مذهبَ الأشعريِّ ، وله حظٌّ من معرفة الأدبِ والعربية ، وحدَّث شيئاً يسيراً

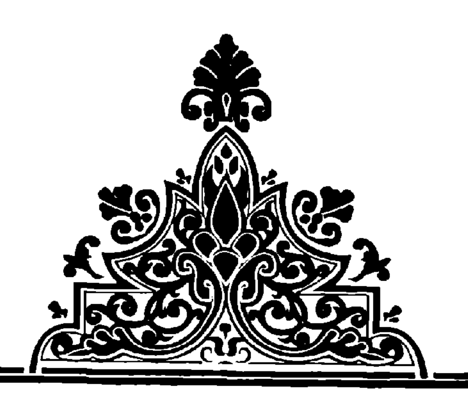
كتبتُ عنه ، وكان صدوقاً

وماتَ في ليلة الثلاثاء الثامنِ والعشرين من شهر ربيعٍ الأول ، سنةَ أربعٍ وثلاثين وأربعِ مئة ، ودُفنَ في صبيحةِ تلك الليلة في مقبرة الشونيزيِّ)[1]

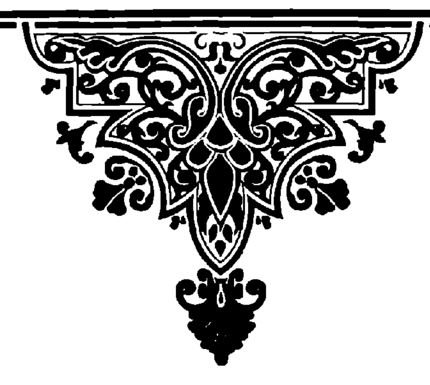
* * *

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ١٤١) ، وجاء في هامش (ب) : (بلغ السماع) .



ذِكْرُ بعضِ المشهورِينَ مِنَ الطَّبقةِ الثَّالثةِ مِنهُمْ مِمَّنْ لَقِيَ أَصحابَ أَصحابِهِ وأَخذَ العِلْمَ عنهُمْ



فمنهم :

أبو الحسن السُّكَّرِيُّ البغداديُّ الشاعرُ رحمه الله

وهو قديمُ المولد ، متقدِّمُ الوفاةِ

٢٧٤ـ أخبرَنا الشيخُ أبو منصور محمدُ بن عبد الملك ابن خيرونَ ، وغيرُهُ قالا : قال لنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت الحافظُ (**عليُّ بنُ عيسى بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أبان بن أصفرُوخ**[١] ، **أبو الحسن الفارسيُّ** : المعروفُ بالسكريِّ الشاعر[٢] ، أصلُهُ من نِفَّرَ ؛ وهو بلدٌ على النَّرْسِ من بلاد الفرس .

وكان مولدُ عليِّ بن عيسىٰ ببغداد يومَ الخميس لخمسٍ خلونَ مِن صفرٍ ، سنةَ سبعٍ وخمسين وثلاثِ مئة .

وصحبَ القاضيَ أبا بكرٍ محمدَ بن الطيِّب الأشعريَّ ، ودَرَس عليه الكلام ، وكان يحفظُ القرآنَ والقراءاتِ ، وكان مُتفنِّناً في الأدبِ ، وله ديوانُ شعرٍ كبيرٌ ، وكلُّهُ إلا اليسيرَ منه في مدحِ الصحابة ، والردِّ على الرافضةِ ، والنقضِ علىٰ شعرائِهم

وتُوفِّيَ يومَ الثلاثاء سلْخ شعبان ، من سنة ثلاثَ عشرةَ وأربعِ مئة ، ودُفنَ من الغد في مقبرة باب الديرِ التي فيها قبرُ معروفِ الكَرْخيِّ رحمَهُ اللهُ)[٣]

* * *

---

(١) في (و) : (أفروخ) .

(٢) تقدَّم بعض شعره في مدح القاضي الباقلاني (ص ٤٢٦) برقم (٢٤٥) .

(٣) انظر « تاريخ بغداد » (١٢/ ١٧) .

وَمِنهم :

أبو منصور الأيوبي النيسابوري رحمه الله

٢٧٥ـ كتبَ إليَّ الشيخُ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيل قال : (محمدُ بنُ الحسن بن أبي أيوبَ ، أبو منصورٍ : الأستاذ الإمامُ ، حُجَّةُ الدِّين ، صاحبُ البيان ، والحُجَّة والبرهانِ ، واللسانِ الفصيح ، والنظرِ الصحيح ، أنظرُ مَنْ كان في عصرِهِ ومَنْ تقدَّمَهُ ومَنْ بعدَهُ على مذهب الأشعريِّ

واتَّفقَ له أعدادٌ من التصانيف المشهورة المقبولة عند أئمَّةِ الأصول ؛ مثلُ « تلخيص الدلائل »

تلمَذَ للأستاذ أبي بكرِ بن فُورَكَ في صباهُ وتخرَّجَ به ، ولزمَ طريقتَهُ ، وجدَّ واجتهدَ في فقرٍ وقلَّةٍ من ذات اليد ، حتىٰ كان يُعلِّقُ دروسَهُ ويطالعُها في القمراءِ ؛ لضيقِ يدِهِ عن تحصيل دُهنِ السراج ، وهو مع ذلك يكابدُ الفقرَ ويلازمُ الورع ، ولا يأخذُ من مال الشبهةِ شيئاً ، إلىٰ أن نشأ في ذلك ، وصارَ من منظوري أصحابِ الإمام ، وظهرَتْ بركةُ خدمتِهِ عليه ، فأدَّى الحالُ إلىٰ أن زوَّجَ منه ابنتَهُ الكبرىٰ ، وكان أنفذَ من الأستاذِ وأشجعَ منه .

تُوفِّيَ في ذي الحجة سنةَ إحدىٰ وعشرين وأربعِ مئة ، ودُفن بمقبرة شاهَنْبَرَ)[١] .

---

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٥٧٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٤٧) ، وشاهنبرُ : محلَّةٌ بأعلىٰ نيسابور ، وهـٰذا الإمامُ الجليل هو الذي طلبَ من الإمام البيهقيِّ تصنيفَ كتاب « الأسماء والصفات » ، فقد قال الحافظ البيهقي فيه (ص ٢٦٧) : (ومعنىٰ هـٰذا فيما كتب إليَّ الأستاذ أبو منصور محمدُ بن الحسن بن أبي أيوب الأصولي رحمه الله ، الذي كان يحثُّني علىٰ تصنيف هـٰذا الكتاب ؛ لما في الأحاديث المخرَّجة فيه من العون علىٰ ما كان فيه من نصرة السنَّة وقمعِ البدعة ، ولم يقدَّرْ في أيام حياته) والقمراء : ضوء القمر .

ومنهم :

القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي البغدادي رحمه الله

٢٧٦ـ أخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو الحسنِ عليُّ بن أحمد بن قُبَيس بدمشقَ ، وأبو منصورٍ عبدُ الرحمـٰن بن محمد بن عبد الواحد بن زُريقٍ ببغداد قالا قال لنا الشيخُ الحافظ أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت (عبدُ الوهَّابِ بنُ علي بن نصر بن أحمدَ بن الحسين بن هارونَ بن مالكٍ ، أبو محمدٍ الفقيهُ المالكيُّ .

سمعَ : أبا عبد الله بن العسكريِّ ، وعمرَ بن محمد بن سَبَنْكَ ، وأبا حفصٍ بن شاهين

وحدَّثَ بشيءٍ يسير ، كتبتُ عنه ، وكان ثقةً ، ولم نلقَ مِنَ المالكيينَ أفقهَ منه

وكان حسنَ النظر ، جيدَ العبارة ، وتولَّى القضاء ببادَرايَا وباكُسايَا[1] ، وخرجَ في آخرِ عمرِهِ إلىٰ مصرَ ، فماتَ بها في شعبانَ من سنة اثنتين وعشرين وأربعِ مئة)[2]

٢٧٧ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمدَ قال حدثنا الشيخُ أبو إسحاق إبراهيمُ بن علي بن يوسفَ الفقيهُ لفظاً قال أبو محمد ، عبدُ الوهَّاب بن علي بن نصر : أدركتُهُ وسمعتُ كلامَهُ في النظر ، وكان قد رأىٰ

---

(١) بلدتانِ بين بغداد وواسط .

(٢) انظر « تاريخ بغداد » (١١/ ٣٢) .

أبا بكرٍ الأَبْهَريَّ ، إلا أنَّه لم يسمعْ منه شيئاً[١] ، وكان فقيهاً شاعراً متأدِّباً ، وله كتبٌ كثيرة في كلِّ فنٍّ مِنَ الفقه ، وخرجَ في آخرِ عمرِهِ إلىٰ مصرَ ، وحصلَ له هناك حالٌ من الدنيا بالمغاربة ، **ومات بمصرَ سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة** ، وأنشدَ في خروجِهِ من بغداد [من الطويل]

سَلاَمٌ عَلَىٰ بَغْدَادَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... وَحُقَّ لَهَا مِنِّي سَلامٌ مُضَاعَفُ
فَوَٱللهِ مَا فَارَقْتُهَا عَنْ قِلىً لَهَا ... وَإِنِّـي بِشَطَّـيْ جَـانِبَيْهَـا لَعَـارِفُ
وَلَـٰكِنَّهَا ضَاقَتْ عَلَيَّ بِأَسْرِهَا ... وَلَمْ تَكُنِ ٱلأَرْزَاقُ فِيهَا تُسَاعِفُ
وَكَانَتْ كَخِلٍّ كُنْتُ أَهْوَىٰ دُنُوَّهُ ... وَأَخْـلاَقُـهُ تَنْـأَىٰ بِـهِ وَتُخَـالِـفُ[٢]

*

---

(١) قال القاضي عياض في « ترتيب المدارك » (٧/ ٢٢١) : (قوله : « **لم يسمع من أبي بكرٍ** » غيرُ صحيح ، بل حدَّثَ عنه وأجازه) ، وجاء في « الديباج المذهب » (٢/ ٢٦) : (وقيل له : مع مَنْ تفقهتَ ؟ قال : صحبتُ الأبهريَّ ، وتفقَّهتُ مع أبي الحسن بن القصَّار ، وأبي القاسم بن الجلاب ، والذي أفتحَ أفواهَنا وجعلنا نتكلَّم القاضي أبو بكرِ بنُ الطيِّب) .

(٢) انظر « طبقات الفقهاء » (ص ١٦٨) ، والأبيات في « يتيمة الدهر » (٥/ ٧٤) للشاعر ابن المطرز ، ولذا قال القاضي عياض في « ترتيب المدارك » (٧/ ٢٢٤) : (وقرأت في بعض الأخبار أن الشعرَ ليس من قوله) ، وانظر أيضاً « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٣٣٧)

ومنهم :

أبو الحسن النُّعَيْمِيُّ البصريُّ رحمه الله

٢٧٨ـ أخبرَنا الشيخ أبو منصور محمدُ بن عبد الملك بن الحسن بن خيرونَ ، وأبو الحسن عليُّ بن الحسن قالا قال لنا أبو بكر أحمدُ بن علي الحافظُ (عليُّ بنُ أحمدَ بن الحسن بن محمد بن نُعيم ، **أبو الحسن البصريُّ ، المعروفُ بالنُّعَيْمِيِّ** .

سكنَ بغداد ، **وحدَّث بها عن** أحمدَ بن محمد بن العباس الأَسْفاطيِّ ، ومحمدِ بن أحمد بن الفيض الأصبَهانيِّ ، وعليِّ بن عمر السكريِّ ، وأحمدَ بن عبيد الله النَّهْرِتيرِيِّ ، وعليِّ بن محمدَ بن موسى التَّمَّارِ ، ومحمدِ بن عديِّ بن زحرٍ المِنْقَريِّ ، وأبي أحمدَ بن سعيد العسكريِّ ، ومحمدِ بن أحمد بن حماد بن سفيانَ الكوفيِّ ، وأبي المفضلِ الشيبانيِّ ، والحسينِ بن أحمد بن دينارِ الدَّقَّاقِ ، وعبدِ الله بن محمد بن اليَسَعِ الأنطاكيِّ ، وغيرِهم من طبقتِهم .

كتبتُ عنه ، **وكان حافظاً عارفاً مُتكلِّماً شاعراً**)[1]

٢٧٩ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم بنُ السمرقنديِّ ، حدثنا الشيخُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن علي الشيرازيُّ قال : (**أبو الحسن ، عليُّ بنُ أحمدَ النُّعَيْميُّ** : درس بالأهواز ، وكان فقيهاً عالماً بالحديثِ ، مُتأدِّباً متكلِّماً)[2]

٢٨٠ـ أنشدَنا الشيخُ أبو محمدٍ هبةُ الله بن أحمد بن علي المقرئ إمامُ جامع

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١١/ ٣٣٠)

(٢) انظر « طبقات الفقهاء » (ص ١٣١)

دمشقَ إملاءً قال أنشدنا أبو الحسين عاصمُ بن الحسين العاصميُّ ببغداد قال أنشدني أبو الحسنِ عليُّ بن أحمد بن الحسن بن محمد بن نُعيمٍ البصريُّ المعروفُ بالنُّعَيميِّ لنفسِهِ رحمَهُ اللهُ : [من المتقارب]

إِذَا أَظْمَأَتْكَ أَكُفُّ ٱللِّئَامِ ... كَفَتْكَ ٱلْقَنَاعَةُ شِبْعاً وَرِيَّا

فَكُنْ رَجُلاً رِجْلُهُ فِي ٱلثَّرَىٰ ... وَهَامَةُ هِمَّتِهِ فِي ٱلثُّرَيَّا

أَبِيّاً لِنَائِلِ ذِي ثَرْوَةٍ ... تَرَاهُ بِمَا فِي يَدَيْهِ أَبِيَّا

فَإِنَّ إِرَاقَةَ مَاءِ ٱلْحَيَاةِ ... دُونَ إِرَاقَةِ مَاءِ ٱلْمُحَيَّا

رواها أبو بكر الخطيبُ ، عن محمدِ بن الصوريِّ ، عن النُّعَيميِّ[1]

٢٨١ـ أخبرَنا الشيخُ أبو منصورٍ محمدُ بن عبد الملك المقرئ ببغداد ، وأبو الحسنِ بنُ سعيد **قالا** حدثنا أحمدُ بن علي بن ثابت الخطيبُ قال (سمعتُ محمدَ بن عليٍّ الصوريَّ يقول **لم أرَ ببغداد أحداً أكملَ من النُّعَيميِّ ، كان قد جمعَ معرفةَ الحديثِ والكلامِ والأدبِ ، ودرَس شيئاً من فقهِ الشافعيِّ**

قال وكان أبو بكر البَرْقانيُّ يقول **هو كاملٌ في كلِّ شيءٍ لولا بَأْوٌ فيه**)[2]

٢٨٢ـ قالا وأخبرنا أحمدُ بن علي الخطيبُ قال (حدثنا البَرْقانيُّ بعد موتِ النُّعَيميِّ قال : **رأيتُ النُّعَيميَّ في منامي بهيئةٍ جميلة وحالةٍ صالحة**

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١١/ ٣٣١)

(٢) انظر « تاريخ بغداد » (١١/ ٣٣٠) ، قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٥/ ٢٣٨) : (قال النووي : البأْوُ ـ بباء موحدة بعدها همزة ـ : هو العجبُ)

ثم قال البَرْقانيُّ قد كان شديدَ العصبيّةِ في السنَّة ، وكان يعرفُ مِنْ كلٍّ علمٍ شيئاً

مات النُّعَيميُّ في يوم الاثنين مستهلَّ ذي القعدة ، سنةَ ثلاثٍ وعشرين وأربعِ مئة)[١]

* *

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١١/ ٣٣١) .

ومنهم :

أبو طاهر بن خراشة الدمشقي المقرئ رحمه الله

٢٨٣ـ أخبرَنا الشيخُ الأمين أبو محمدٍ هبةُ الله بن أحمد الأكفانيُّ ، حدثنا أبو محمدٍ عبدُ العزيز بن أحمد بن محمد الكَتَّانيُّ قال (تُوفِّيَ شيخُنا أبو طاهرٍ ، الحسينُ بن محمد بن عامر الآبِليُّ المقرئ ، إمامُ جامع دمشقَ . . يومَ الأربعاء السابعَ من شهرِ ربيع الآخر ، من سنة ثمانٍ وعشرين وأربعِ مئة

حدَّث عن يوسفَ بنِ القاسم المَيَانَجيِّ ، والحسينِ بن إبراهيم بن أبي الزَّمزام الفرائضيِّ ، وغيرِهما

وكان ثقةً نبيلاً مأموناً ، يذهبُ إلىٰ مذهبِ الأشعريِّ)[١]

* * *

---

(١) انظر « ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم » للحافظ أبي محمد الكتاني (ص ١٧٥) ، و« تاريخ دمشق » (١٤/٣٠٩) .

ومنهم :

الأستاذ أبو منصور النيسابوريُّ المعروف بالبغداديِّ رحمه الله

٢٨٤ـ حدثني الشيخُ أبو بكر يحيى بنُ إبراهيمَ بن أحمدَ بن محمد السَّلَمَاسيُّ ، عن أبيه القاضي أبي طاهر قال : قال أبو عليٍّ الحسنُ بن نصر بن كاكا المَرَنْديُّ الفقيهُ في ذكْرِ أبي عثمانَ الصابونيِّ : أنَّه ذكرَ أبا منصور المتكلِّمَ .

قال أبو عليٍّ : وكنتُ قد أهملتُ ذكرَ اسمه ونسبِهِ ؛ اعتماداً علىٰ شهرتِهِ ، فقال لي أبو عثمانَ : قيِّدْ ذكرَهُ بإثبات اسمِهِ ، وأزلِ الشبهةَ عن فضلِهِ ، وأثبتْ فوق الكنيةِ : عبدَ القاهر بنَ طاهرٍ ؛ لئلا يُظَنَّ أنَّكَ أردتَ أبا منصور الآخرَ .

فكانَ ، وأشارَ إلىٰ خلافٍ في الاعتقاد كان بينَهما[١] ، ومهما نفيتُ الاحتمالَ والشِّرْكةَ ، ورفعتُ الظنَّ والشبهةَ . . بانَ أنِّي أردتُ ببياني أبا منصور البغداديَّ .

ثم قال أبو عثمانَ : كانَ من أئمَّةِ الأصول وصدورِ الإسلام بإجماعِ أهل الفضل والتحصيل ، بديعَ الترتيب ، غريبَ التأليفِ في التهذيب ، يراهُ الجِلَّةُ صدراً مُقدَّماً ، ويدعوهُ الأئمَّةُ إماماً مفخَّماً ، ومِن خرابِ نيسابورَ : أنِ اضطُرَّ مثلُهُ إلىٰ مفارقتِها إلىٰ حيث خُلِقَ منه[٢] ، وتُوفِّيَ بإسفراينَ ، وبها قبرُهُ رحمَهُ اللهُ

---

(١) في (ط) وحدها : (فكأنه أشار . . .) بدل (فكان ، وأشار . . .) ، ومعنى (فكان) : فعملت بما أمرَ من إثبات الاسم فوق الكنية .

(٢) إشارة إلىٰ ما رواه أحمد في « فضائل الصحابة » (٥٢٨) عن سوار بن عبد الله بن سوار قال : كان أبي يوماً يحدث قوماً ، وكان فيما حدثهم : أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم مرَّ بقبر =

وقال أبو علي المَرَنْديُّ : وحدثني أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الفقيهُ قال : لمَّا حصل أبو منصور بإسفراينَ . . ابتهجَ الناسُ بمَقْدمِهِ إلى الحدِّ الذي لا يُوصفُ ، فلم يبقَ إلا يسيراً حتىٰ ماتَ

واتَّفقَ أهلُ العلم علىٰ دفنِهِ بجنبِ أبي إسحاقَ إبراهيمَ بن محمدٍ المُتكلِّمِ الإسفرايني ، فقبراهما متجاورانِ تجاورَ تلاصقٍ ، كأنَّهما نجمانِ جمعَهما مَطْلِعٌ ، وكوكبانِ ضمَّهما برجٌ مرتفِعٌ

قال : وإنَّما انتقلَ إلىٰ إسفراينَ ؛ لأنَّ حالَها كان بعدُ متماسكاً بعضَ التماسك[1]

٢٨٥ـ كتب إليَّ الشيخُ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيل النيسابوريُّ قال في « ذيل تاريخ نيسابور » (عبدُ القاهر بن طاهر بن محمد البغداديُّ ، أبو منصورٍ : الأستاذُ الإمام الكامل ذو الفنون ، الفقيهُ الأصوليُّ ، الأديبُ الشاعر النحويُّ ، الماهرُ في علم الحساب ، العارفُ بالعَرُوض .

وردَ نيسابورَ مع أبيه أبي عبد الله طاهرٍ ، وكان ذا مالٍ وثروة ومروءة ، ونفقةٍ علىٰ أهلِ العلم والحديث ، وابنُهُ أنفقَ ماله علىٰ أهل العلم حتى افتقر ، صنَّفَ في العلوم[2] ، وأربىٰ علىٰ أقرانِهِ في الفنون ، ودرَّسَ في سبعةَ عشرَ

= يحفرُ ، فقال : « قبرُ مَنْ هـٰذا ؟ » قالوا : قبرُ فلان الحبشي ، قال : « يا سبحانَ اللهِ ! سِيقَ مِنَ أرضِهِ وسمائِهِ إلى التربةِ التي خُلِقَ منها » ، قال أبي : يا سوارُ ؛ ما أعلمُ لأبي بكر وعمر فضيلةً أفضلَ من أن يكونا خُلقا من التربةِ التي خُلقَ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٩/ ٢٦٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ١٣٨) ، وكان قد وقع في نيسابور فتنة التركمانية كما سيذكر .

(٢) وقد ذكر الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٥/ ١٤٠) جملةً وافرة من تصانيفه ، وممَّا ذكر : كتاب « التفسير » ، وكتاب « فضائح المعتزلة » ، وكتاب « الفَرق بين الفِرق » ، وكتاب « فضائح الكرامية » ، وكتاب « تأويل متشابه الأخبار » ، ونقل عن الحافظ ابن الصلاح أنه قال : =

نوعاً من العلوم ، وكان قد درسَ على الأستاذ أبي إسحاقَ الإسفرايينيِّ ، **وأقعدَهُ بعدَهُ في مسجدِ عقيلٍ للإملاءِ مكانَهُ** ، وأملىٰ سنينَ ، واختلفَ إليه الأئمَّةُ فقرؤوا عليه ؛ مثلُ الإمام ناصرِ المروزيِّ ، وأبي القاسم القُشيريِّ ، وغيرهما .

وحدَّث عن : الإسماعيليِّ ، وأبي أحمد بن عديٍّ

خرج من نيسابورَ في أيام التركمانيَّةِ وفتنتهم إلىٰ إسفراينَ ، **فماتَ بها سنةَ تسعٍ وعشرين وأربعِ مئة**)[1]

٢٨٦ـ أنشدَنا الشيخُ أبو حفصٍ عمرُ بن علي بن أحمد الفاضليُّ بنُوْقانَ[2]

قال : أنشدنا أبو الحسن عليُّ بن أحمد بن محمد المدينيُّ المؤذِّنُ بنيسابورَ

قال : أنشدنا الأستاذُ الإمام أبو منصور البغداديُّ لنفسِهِ : [من الرجز]

يَـا مَـنْ عَـدَا ثُـمَّ ٱعْتَـدَىٰ ثُـمَّ ٱقْتَـرَفْ ... ثُـمَّ ٱنْتَهَـىٰ ثُـمَّ ٱرْعَـوَىٰ ثُـمَّ ٱعْتَـرَفْ

أَبْشِــرْ بِقَــوْلِ ٱللهِ فِــي آيَــاتِــهِ ... ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[3]

= (ورأيت له كتاباً في معنىٰ لفظتي التصوُّف والصُّوفي ، **جمعَ فيه من أقوال الصوفية ألفَ قولٍ مرتَّبة علىٰ حروف المعجم**) ، ثم قال : (وجميعُ تصانيفه بالغةٌ في الحسن أقصى الغايات) .

(١) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ٣٩٤) .

(٢) **نوقان** : إحدى قصبتي طوسَ ، والثانية : الطابران ، وضبطها الحافظ السمعاني بفتح النون وسكون الواو ، والإمام ياقوت بضم النون ، وانظر « الأنساب » (١٣/ ٢٠٦) ، و« معجم البلدان » (٥/ ٣١١) .

(٣) الآية من سورة الأنفال (٣٨) ، وروى البيتين السمعاني في « معجم الشيوخ » (ص ١٤٤) ، وأوردهما الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٥/ ١٣٩) ، ثم قال : (**قلتُ : في استعمال مثلِ الأستاذِ أبي منصور مثلَ هـٰذا الاقتباس في شعرِهِ فائدةٌ** ؛ فإنه قدوةٌ في العلم والدِّين ، وبعضُ أهل العلم ينهىٰ عن مثل ذلك ، وربما شدَّد فيه ، وجنح إلىٰ تحريمه ، **والصوابُ الجواز** ، ثم الأحسنُ تركه تأدُّباً مع الكتاب العزيز ، ونظيرُهُ ضربُ الأمثال من القرآن ، وتنزيله في النكت الأدبية ، وهـٰذا فنٌّ لا تسمحُ نفس الأديب بتركه ، واللائق بالتقوىٰ أن يُترك ، **وأكثرُ الناس رأيتُ تشدُّداً في ذلك المالكيةُ ، ومع هـٰذا فقد فعله كثيرٌ من فقهائهم**) .

ومنهم :

أبو ذرٍّ الهرويُّ الحافظُ رحمه الله

٢٨٧ـ أخبرَنا الشيخانِ؛ أبو الحسن عليُّ بن أحمد الفقيه ، وأبو منصور محمدُ بن عبد الملك المقرئ قالا قال لنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت الحافظُ : (عبدُ بن أحمدَ بن محمد ، أبو ذرٍّ الهرويُّ

سافرَ الكثيرَ، وحدَّثَ ببغداد عن أبي الفضل بن خَمِيرويه الهَرَويِّ ، وأبي منصور النَّضْرويِّ، وبشرِ بن محمد المزنيِّ، وطبقتِهم، وكنتُ لما حدَّثَ غائباً.

خرجَ أبو ذرٍّ إلىٰ مكَّةَ ، فسكنَها مدةً ، ثم تزوَّجَ في العرب ، وأقام بالسَّرَواتِ ، وكان يحجُّ في كلِّ عامٍ ، ويقيمُ بمكَّةَ أيامَ الموسم ويحدِّثُ ، ثم يرجعُ إلىٰ أهلِهِ ، وكتبَ إلينا مِن مكَّةَ بالإجازةِ بجميعِ حديثه

وكان ثقةً فاضلاً ، ضابطاً ديِّناً ، وكان يذكرُ أنَّ مولدَهُ في سنة خمسٍ أو ستٍّ وخمسين وثلاثِ مئة ، يشكُّ في ذلك ، وماتَ بمكَّةَ لخمسٍ خلونَ من ذي القعدة ، سنة أربعٍ وثلاثين وأربعِ مئة)[١]

٢٨٨ـ أخبرَنا الشيخُ أبو محمدٍ هبةُ الله بن أحمدَ الأكفانيُّ قال : حدثني أبو عليٍّ الحسينُ بن أحمد ابن أبي حريصةَ قال: (بلغني أنَّ أبا ذرٍّ عبدَ بن أحمدَ الهرويَّ الحافظَ رحمَهُ اللهُ تُوفِّيَ في شهور سنة أربعٍ وثلاثين وأربعِ مئة، وكان مقيماً بمكَّةَ، وبها مات، وكان علىٰ مذهبِ مالك ، وعلىٰ مذهب أبي الحسن الأشعريِّ)[٢]

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١١/ ١٤٢)

(٢) انظر « ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم » للحافظ الكتاني (ص١٨٢) ، و« تاريخ دمشق » للمصنف (٣٧/ ٣٩٣)

٢٨٩ـ سمعتُ الشيخَ الحافظَ أبا الحسن عليَّ بن سليمان بن أحمد الأندلسيَّ يقول : سمعتُ أبا عليٍّ الحسنَ بن عليٍّ الأنصاريَّ البَطَلْيَوْسيَّ[١] يقول سمعتُ أبا عليٍّ الحسنَ بن إبراهيم بن تقيٍّ الجُذَاميَّ المالِقيَّ[٢] يقول : سمعتُ بعضَ الشيوخ يقول (قيلَ لأبي ذرٍّ الهرويِّ أنت مِنْ هَرَاةَ ، فمِن أين تمذهبْتَ لمالكٍ والأشعريِّ ؟! فقال : سببُ ذلك : أني قدمت بغداد لطلبِ الحديث ، فلزمتُ الدارقطنيَّ ، فلمَّا كان في بعض الأيام كنتُ معه ، فاجتازَ به القاضي أبو بكرِ بنُ الطيِّبِ ، فأظهرَ الدارقطنيُّ من إكرامِهِ ما تعجبتُ منه ، فلمَّا فارقَهُ . قلتُ له : أيُّها الشيخُ الإمامُ ؛ مَنْ هـٰذا الذي أظهرتَ مِنْ إكرامِهِ ما رأيتُ ؟ فقال : أوَما تعرفُهُ ؟! قلتُ لا ، فقال : هـٰذا سيفُ السنَّة ؛ أبو بكرٍ الأشعريُّ ، فلزمتُ القاضيَ منذ ذلك ، واقتديتُ به في مذهبيه جميعاً) أو كما قال[٣]

* * *

(١) قال الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٣٩٢) : (وقد لقيته ، ولم أسمعْهَا منه) ، وانظر « التكملة لكتاب الصلة » للإمام ابن الأبار القضاعي (١/ ٢٠٩) ، ووقع في هامش (ب) هنا : (قال الإمام بهاء الدين : هو إجازةٌ لي من الأنصاريِّ ، وأظنُّ أني سمعته من المرادي) ، وبهاء الدين : هو القاسم ابن الحافظ ابن عساكر

(٢) في (هـ) وحدها : (بقاء) بدل (تقي) .

(٣) ورواه المصنف في « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٣٩٢) .

وجاء في هامش (هـ) حاشية : (قال الإمام أبو القاسم حاتِمُ بن محمد بن عبد الرحمـٰن بن حاتِمٍ التميمي المعروف بابن الطرابلسيِّ في كتابه « تشبيه الرجال الذين لقيتهم بالأبصار » : أبو ذرٍّ عبدُ بن أحمد بن محمد بن عبد الله الهروي : طرأ إلى الحجاز بعد انصرافي عن مكة حرسها الله تعالىٰ ، وكان خيِّراً صالحاً ، متقلِّلاً من الدنيا ، أخبرني أبو محمدٍ عبدُ الله بن سعيد الشنتجياني ـ كذا ، ولعله : الشنتجالي ؛ نسبة إلىٰ شنتجالة بالأندلس ـ صاحبُنا وغيره قال : من رأىٰ أبا ذرٍّ رآهُ علىٰ هدْيِ السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، تعظيماً له وإجلالاً ، وكان مالكيّاً ، يبصرُ الحديث وعللَهُ ، =

وَمِنهُم :

أبو بكرٍ الدمشقيُّ الزاهدُ المعروفُ بابنِ الجَرْميِّ رحمه الله (1)

٢٩٠ـ أخبرَنا الشيخُ أبو محمد هبةُ الله بن أحمد المُعدَّلُ ، حدثنا أبو محمد عبدُ العزيز بن أحمد الصوفيُّ قال : (حدثني نجا بن أحمدَ العطَّارُ قال : تُوفِّيَ أبو بكر محمدُ بن الجرميِّ بن الحسين المقرئ في صفرٍ سنة ستٍّ وثلاثين وأربعِ مئة

حدَّث عن : ابنِ أبي الزَّمزام ، والفضلِ بن جعفر ، وغيرِهما

قال عبدُ العزيز : وكان يذهبُ إلىٰ مذهب أبي الحسن الأشعريِّ رحمَهُ اللهُ)(2) .

= ويعرف الرجال ويميزهم ، وله تواليفُ حِسانٌ في معانٍ . . .) .

وجاء في هامش (هـ) أيضاً حاشية (قال السِّلَفي : سألت الإمام أبا نصر المؤتمن بن أحمد الساجي عن أبي ذر الهروي ، فقال : كان ثقة ورعاً ، سمعت الأنصاري يقول : قرأت عليه حديث جابر الطويل في المناسك ، وأومأتُ بالجزء ليأخذه ، فقال لي : ضعه ، فلستُ علىٰ وضوءٍ ، ولم يمسَّهُ)

وذكر القاضي عياض في « ترتيب المدارك » (٧/ ٢٣٣) من تآليف الحافظ أبي ذر الهروي « المسند الصحيح المخرج على البخاري ومسلم » ، و« السنة والصفات » ، و« فضائل يوم عاشوراء » ، و« مسانيد الموطآت » ، و« كرامات الأولياء » ، و« الرؤىٰ والمنامات » ، و« شهادة النبي وأصحابه » ، و« ما روي في بسم الله الرحمٰن الرحيم » ، وغيرها

(1) أورد المصنف اسمه في « تاريخ دمشق » (٥٣/ ٣٤٢) فقال : (**محمد بن عبد الله بن الحسين بن هارون بن يحيىٰ ، أبو بكر الحمصي المقرئ الزاهد ، يلقب أبوه بالجرمي ، نزيل دمشق**) لذا لقبه هنا بالدمشقي .

(2) انظر « ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم » (ص ١٨٥) ، و« تاريخ دمشق » (٥٣/ ٣٤٢) .

٢٩١ـ سمعتُ الشيخَ الفقيه الإمامَ أبا الحسن عليَّ بن المُسلَّم السُّلميَّ رحمَهُ اللهُ يحكي عن بعضِ شيوخِهِ : (أنَّ أبا بكرٍ بنَ الجَرْميِّ كان من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، وأنَّه صادفَ في بعض الأيام أحمالاً من الخمرِ قد أُتِيَ بها لوالي دمشقَ جيشِ ابنِ الصَّمْصامةِ الوالي من قِبَل المصريين[١] ، وكان جيشٌ هـٰذا عاتياً جبَّاراً ، فأراقَها كلَّها أبو بكر عند بيتِ لَهْيَا ، وكان جيشٌ ينزلُ في بيت لَهْيَا ، فأُبلغَ جيشٌ الخبرَ ، فأمرَ بإحضارِهِ ، فسألَهُ عن أشياء من القرآن والحديثِ والفقه ، فوجدَهُ عالماً بما سألَهُ عنه ، فنظرَ إلىٰ شاربِهِ ، فوجدَهُ مقصوصاً ، ثم نظر إلىٰ أظافيرِهِ ، فوجدها مقلَّمةً ، فأمرَ بأن يُنظرَ إلىٰ عانتِهِ ، فوجدوهُ قد حلقَ عانتَهُ ، فقال له جيشٌ : اذهبْ ، فقد نجوتَ منِّي ، ولو وجدتُ فيك ما أحتجُّ به عليكَ . . لم تنجُ) هـٰذا معنىٰ ما ذكره

وسمعتُهُ أيضاً يقول : (لمَّا بلغَ جيشٌ في مرضِهِ الذي ابتُلِيَ به ما بلغَ ، وكان أصابَهُ الجُذامُ ، وألقىٰ ما في بطنه من أمعائِهِ ، حتىٰ كان يقولُ لأصحابه : اقتلوني وأريحوني من الحياة ؛ لشدَّةِ ما كان ينالُهُ مِنَ الألم ، قال لأصحابِهِ رأيتُ كأنَّ أهلَ دمشقَ كلَّهم رَمَوْني بالسهام فأخطؤوني غيرَ رجلٍ واحدٍ أصابَني سهمُهُ ، ولا أسمِّيه ؛ لأنِّي لو سمَّيتُهُ . . لعبدَهُ أهلُ دمشقَ ، فكانوا يرون أنَّ الذي أصابتْهُ دعوةُ ابنِ الجَرْميِّ هـٰذا ، وكان جيشٌ سفَّاكاً للدم ، شديدَ التعدِّي على الأموال ، مظهراً لسبِّ السلفِ)[٢]

* * *

(١) هو أبو الفتح جيش بن محمد بن الصمصامة المغربي الكتامي ، وابن أخت أمير جيوش المصريين أبي محمود إبراهيم بن جعفر الكتامي ، وَلِيَ للفاطميين دمشقَ من قبل خاله ، ومات سنة (٣٩٠هـ) ، وانظر « تاريخ دمشق » للمصنف (١١/٣٤٥) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٧/١٩٦) .

وَمِنْهُم :

الإمامُ أبو محمدٍ الجُوينيُّ والدُ الإمام أبي المعالي رحمه الله

٢٩٢ـ كتبَ إليَّ الشيخ أبو الحسنِ عبدُ الغافر بن إسماعيل الفارسيُّ قال : (عبدُ الله بنُ يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حَيويه الجُوَينيُّ ثم النيسابوريُّ ، أبو محمد الإمام ، ركنُ الإسلام ، الفقيهُ الأصوليُّ ، الأديبُ النحويُّ ، المفسِّرُ ، أوحدُ زمانه

تخرَّجَ به جماعةٌ من أئمَّة الإسلام ، وكان لصيانتِهِ وديانتِهِ مهيباً محترماً بين التلامذة ، ولا يجري بين يديهِ إلا الجِدُّ ، والحثُّ والتحريضُ على التحصيل

له في الفقه تصانيفُ كثيرةُ الفوائدِ ؛ مثلُ « التبصرة والتذكرة » ، و« مختصر المختصر » ، وله « التفسير الكبير » المشتملُ علىٰ عشرةِ أنواع في كلِّ آية

تُوفِّيَ في ذي القعدة سنةَ ثمانٍ وثلاثين وأربعِ مئة ، ولم يخلِّفْ مثلَهُ في استجماعِهِ .

وسمعتُ[١] خالي الإمامَ أبا سعيد ـ يعني : عبدَ الواحدِ بن عبد الكريم القُشيريَّ ـ يقول : كان أئمَّتُنا في عصرِهِ والمحقِّقون من أصحابنا يعتقدون فيه مِنَ الكمالِ والفضل والخصال الحميدة ؛ أنَّه لو جازَ أن يبعثَ اللهُ نبيّاً في

(١) القائل : هو الحافظ عبد الغافر صاحب « التاريخ » ، لأن الإمام عبد الكريم القشيري جدُّهُ لأمِّه .

عصرِهِ . لَمَا كان إلا هو ؛ من حسنِ طريقتِهِ وورعِهِ وزهده ، وديانتِهِ في كمالِ فضله)[١]

٢٩٣ـ حدثني القاضي أبو بكر يحيى بنُ إبراهيم بن أحمد بن محمد السَّلَمَاسيُّ بدمشقَ ، عن أبيه أبي طاهرٍ قال قال أبو علي الحسنُ بنُ نصر بن كاكا المـَرَنْديُّ الفقيهُ : حدثني أبو القاسم بن منصور بن رَامُش[٢] ـ علىٰ ذكْرِ أبي محمد الجوينيِّ ـ قال (مِنْ ألطفِ أخلاقِهِ وأحسنِها أنَّه رجلٌ ركينُ الجملة[٣] ، وافرُ العقل ، جادٌّ في أمرِهِ كلِّهِ ، لا ترىٰ فيه شيئاً مِنَ الرعونة ؛ لمساواةِ ظاهرِهِ باطنَهُ ، وموافقةِ سرِّهِ علانيتَهُ ، وزهدِهِ في الرئاسةِ التي صارَتْ تطلبُهُ وهو يهربُ منها ، وترغبُ فيه وهو يبعدُ عنها)[٤]

* * *

(١) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ٣٠١) ، و« طبقات الفقهاء الشافعية » للحافظ ابن الصلاح (١/ ٥٢١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ٧٤)

(٢) كذا بضمِّ الميم كما نبَّهَ لذلك الحافظ السمعاني في « الأنساب » (٦/ ٤٤) ، وضُبط في (د) بكسرها ، وفي « تاج العروس » (ر م ش) : (رامش كعالِم : عَلَمٌ) ، واسم أبي القاسم : عبد الرحيم . انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ٣٥٢) .

(٣) جاء في « تاج العروس » (ر ك ن) : (الركينُ كأمير : الجبلُ العالي الأركان) أراد الوقار .

(٤) جاء في هامش (هـ) حاشية : (ذكر أبو حامد ابن جيلياسي التركي : أن الشيخ أبا محمد الجويني تفقَّه أولاً علىٰ أبي يعقوب الأبيوردي بناحية جوين ، ثم قدمَ نيسابورَ واجتهد في تحصيل العلوم على أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي ، ثم ارتحلَ إلىٰ مروَ ، وقصدَ الشيخ أبا بكر عبد الله بن أحمد القفال المروزي ، ولازم درسه حتىٰ تخرَّج به مذهباً وخلافاً ، وأتقنَ طريقتَهُ ، وعاد إلىٰ نيسابورَ سنة سبع وأربع مئة ، وقعدَ للتدريس والفتوىٰ ، ومجلس المناظرة ، وتعليم الخاص والعام ، وكان ماهراً في إلقاء الدروس ، قال : وكان يحتاط في أداء الزكاة ، حتىٰ كان يؤدِّي في سنة واحدة مرَّتين ؛ حذراً من نسيان النية ، أو دفعِها إلىٰ غير المستحقِّ) انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ٥٢٠) .

وَمِنهُم :

أبو القاسم بن أبي عثمان الهمذاني البغدادي رحمه الله

٢٩٤ـ أخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو الحسن عليُّ بن أحمد بن قُبيس ، وأبو منصور محمدُ بن عبد الملك ابن خيرونَ ؛ قال عليٌّ حدثنا ، وقال محمدٌ : أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت الخطيبُ قال : (**عليُّ بنُ الحسن بن محمد بن المـُنْتَاب ، أبو القاسم ، المعروف بابنِ أبي عثمانَ الدَّقَّاق**

سمع أبا بكرِ بنَ مالك القَطِيعِيَّ ، وأبا محمدِ ابنَ ماسي ، وعليَّ بنَ محمد بن سعيد الرزَّازَ ، وأبا الحسين الزينبيَّ ، وعبدَ العزيز بن جعفر الخِرَقيَّ ، وأبا حفصِ بنَ الزيَّاتِ ، وعليَّ بنَ إبراهيم بن أبي عزَّة العطارَ ، وأبا الحسين بن البوَّاب ، وأبا بكرِ بن شَاذَانَ

كتبتُ عنه ، وكان شيخاً صالحاً صدوقاً ديِّناً ، حسنَ المذهب ، يسكنَ نهرَ القلاَّئينَ[1]

وسألتُهُ عن مولده ، فقال : في ذي الحجَّة من سنة خمسٍ وخمسين وثلاثِ مئة

ومات في يوم السبت ، السابع والعشرين من شهر ربيع الأول ، سنةَ أربعينَ وأربعِ مئة ، ودُفنَ في مقبرة الشونيزيِّ)[2]

* * *

---

(١) القلاَّؤون : جمع قلاء ؛ للذي يقلي السمكَ وغيره ، وهي محلَّة كبيرة ببغداد . انظر « الأنساب » (٥/ ٣٢٢)

(٢) انظر « تاريخ بغداد » (١١/ ٣٨٩)

وَمِنْهُم :

أبو جعفرٍ السِّمنانيُّ قاضي الموصلِ رحمه الله [1]

٢٩٥ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيم الحسينيُّ ، والشيخُ أبو الحسن عليُّ بن أحمد الغسانيُّ ، وأبو منصور محمدُ بن عبد الملك الخيرونيُّ قالوا قال لنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت الخطيبُ

(**محمدُ بنُ أحمدَ بن محمد بن أحمدَ بن محمد بن محمود ، أبو جعفرٍ القاضي السِّمْنانيُّ**

سكن بغداد ، وحدَّث بها عن عليِّ بن عمر السكريِّ ، وأبي الحسن الدارقطنيِّ ، وأبي القاسم بن حَبابةَ ، وغيرِهم من البغداديينَ ، وعن نصرِ بن أحمدَ بن الخليل الموصليِّ

كتبتُ عنه ، وكان ثقةً عالماً فاضلاً سخياً ، حسنَ الكلام ، عراقيَّ المذهب ـ يعني : حنيفيّاً [2] ـ ، ويعتقدُ في الأصول مذهبَ الأشعريِّ [3] ، وكان له في دارِهِ مجلسُ نظرٍ يحضرُهُ الفقهاءُ ويتكلَّمون .

سمعتُ السِّمْنَانيَّ سُئِلَ عن مولدِهِ ، فقال : ولدتُ في سنة إحدىٰ وستينَ وثلاثِ مئة

---

(١) السمناني : بسكون الميم وتفتح أيضاً ، وهو من أعلام السادة الحنفية، وانظر « الطبقات السنية في تراجم الحنفية » (ص ٣١٠) ، وهو منسوب إلىٰ سِمْنان العراق

(٢) يعني : حنفيّاً علىٰ مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ ، وكذا وقعت النسبة في النسخ ، بل في جُلِّ الكتاب .

(٣) ذكر الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٦٥١) : أنه لازم القاضي الباقلاني حتىٰ برع في الكلام ، وبه تخرَّج الإمام أبو الوليد الباجي في العقليات

ومات بالمَوْصِل وهو على القضاء بها ، وكانَتْ وفاتُهُ في يوم الاثنين ، السادس من شهر ربيع الأول ، من سنة أربعٍ وأربعين وأربعِ مئة)[1]

* * *

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١/ ٣٧٢)

ومنهم :

أبو حاتم الطبريُّ المعروفُ بالقزوينيِّ رحمه الله

٢٩٦ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمد بن السمرقنديِّ قال حدثنا الشيخُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن عليٍّ الشيرازيُّ لفظاً قال : (ومنهم : شيخُنا أبو حاتِمٍ ، محمودُ بن الحسن الطبريُّ ، المعروفُ بالقَزْوِينيِّ[١]

تفقَّهَ بآمُلَ على شيوخِ البلد ، ثم قدم بغداد ، وحضرَ مجلسَ الشيخ أبي حامدٍ ، ودرسَ الفرائضَ على الشيخ أبي الحسين بنِ اللبَّان ، وأصولَ الفقهِ على القاضي أبي بكرٍ الأشعريِّ رحمَهُ اللهُ

وكان حافظاً للمذهبِ والخلاف ، صنَّفَ كُتُباً كثيرةً في الخلافِ والمذهب والأصولِ والجدل ، ودرَّسَ ببغداد وآمُلَ ، ولم أنتفعْ بأحدٍ في الرحلة كما انتفعتُ به وبالقاضي أبي الطيِّبِ الطبريِّ ، وتُوفِّيَ بآمُلَ)[٢]

* * *

(١) قال الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (٢/٢٠٧) بعد نقله لكلام الإمام الشيرازي : (وقال غيره في نسبه : هو محمودُ بن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد ابن عكرمةَ بن أنس بن مالك الأنصاري الطبري ، من أهل آمُل طبرستانَ ، واشتهرَ بالقزويني) .

(٢) انظر « طبقات الفقهاء » (ص ١٣٠) ، وقال الحافظ ابن كثير في « طبقات الشافعيين » (ص ٣٩٩) : (سمع بالري من : حمدِ بن عبد الله ، وأحمدَ بنِ محمد البصير ، ثم رجعَ إلىٰ وطنه ، وصار شيخَ تلك البلاد في العلم والفقه) .

وَمِنهُم :

أبو الحسن رشأ بن نظيفٍ المقرئ الدمشقيّ رحمه الله

٢٩٧ـ أخبرَنا الشيخُ أبو محمد بن الأكفانيِّ الأمينُ ، حدثنا عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكَتَّانيُّ قال : (تُوفِّيَ شيخُنا أبو الحسن رشأُ بن نظيفِ بنِ ما شاءَ اللهُ[(١)] يومَ السبت بعد صلاةِ العصر ، السابع والعشرين من المحرَّم ، سنةَ أربعٍ وأربعين وأربعِ مئة ، ودُفنَ يومَ الأحد .

وكان ثقةً مأموناً ، مضىٰ علىٰ سدادٍ وأمرٍ جميلٍ

حدَّث عن عبدِ الوهَّابِ بن الحسن بن الوليد الكِلاَبيِّ ، وغيره من المصريين ، والعراقيين ، وغيرهم .

انتهَتْ إليه الرئاسةُ في قراءةِ ابن عامرٍ رحمَهُ اللهُ ، قرأَ على ابنِ داودَ وغيره)[(٢)]

* * *

(١) قوله : (ما شاء الله) عَلَمٌ علىٰ جدِّه ، من باب التسمية بالمركب الإسنادي ، وليس جهلاً بنسبه كما قد يتبادر .

(٢) انظر « ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم » (ص ١٩١) ، و« تاريخ دمشق » (١٨/١٤٩)

ومنهم :

أبو محمد الأصبهاني المعروف بابن اللبان رحمه الله

٢٩٨ـ أخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو الحسن عليُّ بن أحمد الفقيهُ بدمشقَ ، وأبو النجم بدرُ بن عبد الله الشِّيحِيُّ التاجرُ ببغداد قالا قال لنا الشيخ أبو بكر أحمدُ بن علي الخطيبُ : (عبدُ الله بن محمد بن عبد الرحمـٰن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن النُّعمان بن عبد السلام بن حبيب بن حُطَيطِ بن عقبةَ بن خُثَيمِ بن وائل بن مُهانةَ بن تيم الله بن ثعلبةَ بن عُكابةَ بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، أبو محمدٍ الأصبَهانيُّ ، المعروف بابن اللبَّانِ أحدُ أوعية العلم ، ومن أهل الدِّين والفضل .

سمع بأصبهانَ : أبا بكر بن المقرئ ، وإبراهيمَ بن عبد الله بن خورشيد قُولَهْ[١] ، وعليَّ بن محمد بن أحمد بن مِيلهْ ، وغيرَهم ، وسمع ببغداد : أبا طاهر المُخَلِّص ، وبمكةَ : أبا الحسن أحمدَ بن إبراهيم بن فراس .

وكان ثقةً ، صحبَ القاضيَ أبا بكرٍ الأشعريَّ ، ودرسَ عليه أصول الديانات ، وأصول الفقه ، ودرسَ فقهَ الشافعيِّ علىٰ أبي حامد الإسفرايِنيِّ ، وقرأَ القرآنَ بعدَّةِ روايات ، ووليَ قضاء إِيذَجَ

وحدَّث ببغداد ، فسمعنا منه ، وله كتبٌ كثيرة مصنَّفةٌ ، وكان من أحسنِ الناس تلاوةً للقرآن ، ومن أوجزِ الناس عبارةً في المناظرة ، مع تديُّنٍ جميلٍ ،

---

(١) قال الحافظ الزبيدي في « تاج العروس » (ق و ل) : (وقُولةُ ـ بالضمِّ ـ : لقب ابن خُرَّشيد . . . ، وأصله : خُورشيد بالتخفيف ، فارسية بمعنى الشمس ، وهو شيخ أبي القاسم القشيري صاحب « الرسالة ») ، وفي (أ): (خُرَّشِيذ) وهاؤه أعجمية .

وعبادة كثيرةٍ ، وورع بيِّنٍ ، وتقشُّف ظاهرٍ ، وخُلُقٍ حسنٍ

وسمعتُهُ يقول : حفظتُ القرآنَ ولي خمسُ سنينَ

أدركَ ابنُ اللبَّانِ شهرَ رمضان من سنة سبعٍ وعشرين وأربعِ مئة وهو ببغداد ، فصلَّىٰ بالناس صلاةَ التراويح في جميع الشهر ، وكان إذا فرغَ من صلاته بالناس في كلِّ ليلة . . لا يزال قائماً في المسجد يصلِّي حتىٰ يطلعَ الفجرُ ، فإذا صلَّىٰ . . درَّسَ أصحابَهُ

وسمعتُهُ يقول : لم أضعْ جنبي للنومِ في هـٰذا الشهرِ ليلاً ولا نهاراً

وكان وردُهُ كلَّ ليلةٍ فيما يصلِّي لنفسِهِ سُبُعاً مِنَ القرآن ، يقرؤُهُ بترتيلٍ وتمهُّل ، ولم أرَ أجودَ ولا أحسنَ قراءةً منه

مات بأصبَهانَ في جُمادى الآخرة من سنة ستٍّ وأربعين وأربعِ مئة)[1]

وسمعتُ ببغداد مَن يحكي : أنَّ أبا يعلى بنَ الفرَّاء وأبا محمد التميميَّ شيخَيِ الحنابلةِ كانا يقرأانِ علىٰ أبي محمدِ بن اللبَّانِ الأصولَ في دارِهِ ، وكلُّ واحدٍ منهما يخفي ذلك عن صاحبِهِ ، فاجتمعا يوماً في دهليزِهِ ، فقال أحدُهما لصاحبِهِ : ما جاءَ بك ؟ فقال : الذي جاءَ بك ، فقال : اكتمْ عليَّ وأكتمَ عليك ، واتَّفقا علىٰ ألا يعودا إليه بعد ذلك ؛ خوفاً أن يطَّلعَ عوامُّهُم علىٰ حالِهما في القراءةِ عليه[2]

* * *

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١٠/١٤٣) .

(٢) حكاه الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٣٠/١٣٢) عن المصنِّف ، فأما أبو محمد التميمي . . فلا غرابةَ في قراءته عليه ، وإنما الشأن في القاضي أبي يعلى الفراء ! ولذا اختصر الخبرَ في « سير أعلام النبلاء » (١٧/٦٥٤) فقال : (وقيل إنَّ القاضيَ أبا يعلى الحنبليَّ قرأ عليه في الأصول سرّاً) .

وَمِنهم :

أبو الفتح سُليم بن أيوب الرازي رحمه الله

٢٩٩ـ حدثنا الشيخُ الفقيه أبو الحسن عليُّ بن المُسلَّم مِن لفظِهِ قال حدثني أبو نصر أحمدُ بن محمد بن سعيد الطُّرَيثيثيُّ قال : سمعتُ الفقيه سُلَيماً رحِمَهُ اللهُ يقول : دخلتُ بغداد في حداثتي أطلبُ علمَ اللغة ، فكنتُ آتي شيخاً ـ ذكرَهُ ـ ، فبكَّرْتُ في بعض الأيام إليه ، فقيل لي : هو في الحمَّام ، فمضيتُ نحوهُ ، فعبرتُ في طريقي على الشيخ أبي حامدٍ الإسفرايينيِّ وهو يُملي ، فدخلتُ المسجدَ وجلستُ مع الطلبة ، فوجدتُهُ في كتاب الصيام في هٰذه المسألة : (إذا أولجَ ثم أحسَّ بالفجرِ فنزعَ) ، فاستحسنتُ ذلك ، وعلَّقتُ الدرسَ علىٰ ظهرِ جزءٍ كان معي ، فلمَّا عدتُ إلىٰ منزلي ، وجعلتُ أعيدُ الدرسَ . حلا لي ، وقلتُ : أُتمُّ هٰذا الكتابَ ـ يعني : كتابَ الصيام ـ ، فعلَّقتُ كتابَ الصيام ، ولزمت الشيخَ أبا حامدٍ حتىٰ علَّقتُ عليه جميعَ التعليق[(١)]

٣٠٠ـ قال[(٢)] : وسمعتُ أبا نصرٍ يقول : سمعتُ سُلَيماً يقول : (وضعَتْ منِّي صُورُ ، ورَفَعَتْ مِنْ أبي الحسن بنِ المَحامِلِيِّ بغدادُ)[(٣)]

---

(١) قال الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ٢٣١) : (وله عنه « التعليقة » المشهورة ، وله مصنفاتٌ كثيرة في التفسير ، والحديث وغريب الحديث ، والعربية ، والفقه ، وكان إماماً جامعاً لأنواع من العلوم ، ومحافظاً علىٰ أوقاته ، فلا يصرفُها في غير طاعة ، وهو الذي نشرَ العلمَ بصُورَ المدينةِ المعروفة بساحل دمشق ، وعليه تفقَّهَ الشيخ أبو الفتح نصر المقدسي الزاهد ، وأخذ طرائقه الجميلة) .

(٢) هو أبو الحسن علي بن المسلَّم شيخُ المصنف .

(٣) انظر الخبرين في « مرآة الجنان » (٣/ ٥٠) .

٣٠١ـ قرأتُ بخطِّ شيخِنا أبي الفرج غيثِ بن عليِّ بن عبد السلام التَّنُوخيِّ الصُّوريِّ (غرقَ أبو الفتح سُليمُ بن أيوبَ الرازيُّ في بحر القُلزُمِ عند ساحل جُدَّة بعد عودِهِ من الحجِّ ، في صفرٍ سنة سبعٍ وأربعين وأربعِ مئة ، وكان قد نَيَّفَ على الثمانين ، حدَّثني بذلك ابنُهُ إبراهيمُ

وكان فقيهاً جيِّداً ، مشاراً إليه في علمِهِ ، صنَّفَ الكثيرَ في الفقه وغيرِهِ ، ودرَّسَ وحدَّثَ عن أبي حامدٍ الإسفرايينيِّ وغيره ، حدثنا عنه جماعةٌ[١]

وهو أوَّلُ مَن نشرَ هـٰذا العلم بصُورَ ، وانتفعَ به جماعةٌ ، وكان أحدَ مَن تفقَّهَ عليه بها الفقيهُ أبو الفتح نصرُ بن إبراهيم المقدسيُّ

وحُدِّثْتُ عنه[٢] أنَّه كان يحاسبُ نفسَهُ على الأنفاس ؛ لا يدعُ وقتاً يمضي عليه بغيرِ فائدة ؛ إمَّا ينسخُ ، أو يُدرِّسُ ، أو يقرأُ ، ونسخَ شيئاً كثيراً

ولقد حدَّثني عنه شيخُنا أبو الفرج الإسفرايينيُّ[٣] : أنَّه نزلَ يوماً إلىٰ دارِهِ ورجعَ ، فقال : قد قرأتُ جزءاً في طريقي

قال : وحدَّثني المؤملُ بن الحسن : أنَّه رأىٰ سُلَيماً حَفِيَ عليه القلمُ ، فإلىٰ أن قَطَّهُ جعلَ يُحرِّكُ شفتيهِ ، فعلمَ أنَّه يقرأُ بإزاءِ إصلاحِهِ القلمَ ؛ لئلا يمضيَ عليه زمانٌ وهو فارغٌ) أو كما قال[٤]

* * *

---

(١) في (ب) : (جماعته) .

(٢) لا يزال الكلام لشيخ المصنِّف أبي الفرج التنوخي الصوري ، وكذا السياق لنهاية الترجمة ، ونقله الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ٢٣١) عن المصنف الإمام ابن عساكر مباشرة .

(٣) هو الإمام المحدث سهل بن بشر الإسفرايني الصوفي ، المتوفى سنة (٤٩١هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ١٦٢)

(٤) رواه المصنف في « تاريخ دمشق » (٧٢/ ٢٥٨) .

=

ومنهم :

أبو عبد الله الخبّازيّ المقرئ النيسابوريّ رحمه الله

٣٠٢ـ كتب إليّ الشيخ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيل الفارسيُّ قال (محمدُ بنُ عليٍّ بن محمد بن الحسن الأستاذُ الإمام المقرئ ، أبو عبد الله الخَبّازيُّ .

تُوفِّيَ في شهر رمضانَ ، سنةَ سبعٍ وأربعين وأربعِ مئة[1] ، وصلّىٰ عليه الصابونيُّ ـ يعني : أبا عثمانَ ـ ، ورحلَ إلى الكُشْمِيهَنيِّ لسماع « الصحيح » ، فسمعَهُ وقُرِئَ عليه ، وكان الاعتمادُ في وقتِهِ علىٰ سماعِه ونسختِهِ ، وكان يحيي الليلَ بالقراءة والدعاء والبكاء ، حتىٰ قيل إنّه كان مستجابَ الدعوة ، لم يُرَ بعدَهُ مثلُهُ)[2]

٣٠٣ـ سمعتُ الشيخَ أبا المحاسن عبدَ الرزّاق بن محمد الطَّبَسيَّ بنيسابورَ يحكي عن بعضِ مشايخِهِ أنَّه لمَّا امتُحن أصحابُنا بنيسابورَ في أيام

= وجاء في هامش (هـ) حاشية : (حكىٰ الحافظ أبو طاهر السلفي : أن الفقيه سُليماً هـٰذا سُئل بثغر صُورَ عمَّن له مالٌ وافر لا يعرف كمِّيَّتَهُ : كيف يخرجُ الزكاة ؟ فتوقّف ساعة ، ثم قال : يخرجُها علىٰ غالب ظنِّه ، ثم لا يردُّ سائلاً يقصده بوجهٍ) .

وجاء فيها حاشية أخرىٰ أيضاً : (ذكر ابن الصلاح أنه قيل لسليم : ما الفرقُ بين مصنفاتك ومصنفاتِ المحامليِّ ؟ قال : الفرقُ بينهما أن تيكَ صُنِّفَتْ بالعراق ، ومصنفاتي صنفتُها بالشام) انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ٤٧٩) .

(١) في مطبوع « المنتخب من كتاب السياق » (ص ٤٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٤٥)، و« الوافي بالوفيات » (٤/ ٩٦) ، و« توضيح المشتبه » (٢/ ٤٦٠) : أنه توفي سنة (٤٤٩ هـ) ، ولعله الصواب .

(٢) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ٤٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٠/ ٢٣٥) .

الكُنْدُريّ[1] كان فيهم مَنْ خرجَ عن البلدِ ، وفيهم مَنْ أجابَ إلى التَبَرّي من المذهب ، وإنَّ الخبازيَّ امتنعَ من الإجابة ، ولم يخرجْ مِنَ البلدِ ، ولازمَ بيتَهُ إلىٰ أن ماتَ صابراً علىٰ دينِهِ ، معتصماً بقوَّةِ يقينِهِ

*

---

(١) تقدَّم الحديث عن هٰذه المحنة في الأخبار (١٢٧ـ ١٣٠) ، والمترجَم من جملة من كتبَ بشأنها

ومنهم :

أبو الفضل بن عمروس البغدادي المالكي رحمه الله[1]

٣٠٤ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسم عليُّ بنُ إبراهيمَ بن العباس العلويُّ ، والشيخُ أبو الحسن عليُّ بن أحمد بن منصور الغسَّانيُّ ، وأبو منصورٍ ابنُ خيرونَ قالوا قال لنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت الخطيبُ الحافظُ

(**محمدُ بنُ عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عُمْرُوسٍ ، أبو الفضل البزَّازُ**[2]

كان أحدَ الفقهاء علىٰ مذهبِ مالكٍ[3] ، وكان أيضاً من حفَّاظ القرآن ومُدرِّسيه

سمع أبا القاسم بنَ حَبابةَ وأبا حفصِ بنَ شاهينَ ، وأبا طاهرِ المُخَلِّصَ ، وأبا القاسمِ بنَ الصيدلانيِّ

كتبتُ عنه ، وكان دَيِّناً ثقةً مستوراً[4] ، وإليه انتهت الفتوىٰ في الفقه علىٰ مذهب مالك ببغداد ، وقَبِلَ قاضي القضاة أبو عبدِ الله الدَّامَغَانيُّ شهادتَهُ ، وكان يسكنُ ببابِ الشام

سألتُ أبا الفضل عن مولدِهِ ، فقال في رجبٍ من سنة اثنتينِ وسبعين

---

(١) كذا ضبطها بوزان عُصْفُور الحافظُ الزبيدي في « تاج العروس » (ع م ر س)، ونصَّ على المترجم وقال: (وفتحُهُ من لحنِ المحدِّثين وتحريفهم ؛ لعوز بناء فَعْلُول سوىٰ صَعْفُوق ، وهو نادر)، وبفتح العين عند الحافظ السمعاني في « الأنساب » (٩/ ٣٦٩) ، وذكر المترجم أيضاً .

(٢) في (و) : (البزَّار) ، وتراوحَتْ هـٰذه النسبةُ له في مطبوعات كتب الترجمات .

(٣) ذكره العلامة ابن فرحون في « الديباج المذهب » (ص ٢٧٣) ، وجعله من الطبقة التاسعة من أهل المشرق .

(٤) في (أ): (ميسوراً).

وثلاثِ مئة ، وبلغنا ونحن بدمشقَ : أنَّه ماتَ في أوَّلِ المحرَّم من سنة اثنتينِ وخمسين وأربعِ مئة)[1]

٣٠٥ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمد بن عمر بن السمرقنديِّ قال : حدثنا الشيخُ الإمام أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن علي بن يوسف الشيرازيُّ لفظاً قال : (ومنهم : أبو الفضلِ بن عُمْرُوسِ البغداديُّ ، وكان فقيهاً أصولياً صالحاً

مات سنة اثنتينِ وخمسينَ وأربعِ مئة)[2]

* * *

(١) انظر « تاريخ بغداد » (٣/ ١٤٢)

(٢) انظر « طبقات الفقهاء » (ص ١٦٩) .

وَمِنهُم :

الأُستاذُ أبو القاسم الإسفرايِنيُّ رحمه الله

٣٠٦ـ كتبَ إليَّ الشيخُ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسيُّ قال : (عبدُ الجبَّار بنُ علي بن محمد بن حَسكانَ : الأستاذُ الإمامُ، أبو القاسم، المتكلِّمُ الإسفرايينيُّ الأصمُّ، المعروفُ بالإسْكافِ .

شيخٌ كبير جليلٌ من أفاضلِ العصر ، ورؤوسِ الفقهاء والمتكلِّمين مِنْ أصحاب الأشعريِّ ، إمامُ دويرةِ البيهقيِّ ، له اللسانُ في النظرِ والتدريس ، والقَدَمُ في الفتوىٰ ، مع لزومِ طريقةِ السلف ؛ من الزهدِ والفقر والورع ، كان عديمَ النظير في فنِّه ، ما رُئِيَ مثلُهُ .

قرأ عليه إمامُ الحرمين الأصولَ ، وتخرَّجَ بطريقته

عاشَ عالماً عاملاً ، وتُوفِّيَ يومَ الاثنين الثامن والعشرين من صفرٍ ، سنةَ اثنتينِ وخمسين وأربعِ مئة)[١]

* * *

(١) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ٣٧٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٩٩/٥)

وَمِنهم :

أبو بكر النيسابوري البيهقيُّ الحافظ رحمه الله

٣٠٧ـ قال لنا الشيخُ أبو بكر البغداديُّ : قال لنا أبو عليٍّ إسماعيلُ بن أحمد : (مولدُ والدي الإمامِ شيخِ السنَّة أبي بكر البيهقيِّ : في شعبانَ سنةَ أربعٍ وثمانينَ وثلاثِ مئة ، وتُوفِّيَ في جُمادى الأولىٰ سنةَ ثمانٍ وخمسين وأربعِ مئة)[١]

٣٠٨ـ سمعتُ الشيخَ أبا بكرٍ محمدَ بنَ عبد الله بن أحمد بن حبيب العامريَّ ببغداد يقول : سمعتُ مَن يحكي عن الإمام أبي المعالي الجُوَينيِّ أنَّه قال : (ما مِنْ شافعيٍّ إلا وللشافعيِّ عليه مِنَّةٌ ، إلا أحمدَ البيهقيَّ ؛ فإنَّ له على الشافعيِّ مِنَّةً ؛ لتصانيفِهِ في نُصرةِ مذهبِهِ وأقاويله) أو كما قال[٢]

٣٠٩ـ كتب إليَّ الشيخ أبو الحسن الفارسيُّ قال (أحمدُ بنُ الحسين بن علي بن عبد الله بن موسىٰ ، أبو بكرٍ البيهقيُّ : الإمامُ الحافظ الفقيهُ الأصوليُّ الدَّيِّنُ الورِعُ ، واحدُ زمانه في الحفظ ، وفردُ أقرانِهِ في الإتقان والضبط ، من كبار أصحاب الحاكم أبي عبد الله الحافظ والمكثرينَ عنه ، ثم الزائدُ عليه في أنواعِ العلوم .

كتب الحديثَ وحفظَهُ مِنْ صباه ، إلىٰ أن نشأَ وتفقَّهَ وبرعَ فيه ، وشرعَ في الأصول ، ورحلَ إلى العراق والجبال والحجاز .

ثم اشتغلَ بالتصنيفِ ، وألَّفَ مِنَ الكتب ما لعلَّهُ يبلغُ قريباً من ألف جزءٍ ممَّا لم يَسبقْهُ إليه أحدٌ .

---

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ١٦٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٨) .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٠)

جمعَ في تصانيفِهِ بين علمِ الحديث والفقهِ ، وبيانِ علل الحديث ، والصحيحِ والسقيم ، وذكْرِ وجوهِ الجمْعِ بين الأحاديث ، ثم بيانِ الفقه والأصول ، وشرْحِ ما يتعلّقُ بالعربية

استدعىٰ منه الأئمَّةُ في عصره الانتقالَ إلىٰ نيسابورَ من الناحية ؛ لسماع كتابِ « المعرفة » وغيرِ ذلك من تصانيفِهِ ، فعادَ إلىٰ نيسابور سنة إحدىٰ وأربعين وأربعِ مئة ، وعقدوا له المجلسَ لقراءة كتاب « المعرفة » ، وحضرَهُ الأئمَّة والفقهاءُ ، وأكثروا الثناءَ عليه والدعاءَ له في ذلك ؛ لبراعتِهِ ومعرفته وإفادته .

وكان رحمَهُ اللهُ علىٰ سيرة العلماء ، قانعاً من الدنيا باليسيرِ ، مُتجمِّلاً في زهدِهِ وورعه ، وبقيَ كذلك إلىٰ أن تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ بنيسابورَ يومَ السبت العاشرَ من جُمادى الأولىٰ، سنةَ ثمانٍ وخمسين وأربعِ مئة، وحُمل إلىٰ خُسرَوْجِرْدَ)[1] .

٣١٠ـ أنبأني الشيخُ أبو بكر محمدُ بن عبد الله ابن حبيبٍ قال: أخبرنا الإمامُ

---

(١) انظر « المنتخب » (ص ١٠٨) ، وخسروجرد : قصبة بناحية بيهق .
وجاء في هامش (هـ) حاشية : (قال ابن الصلاح : أبو بكر البيهقي الخسروجردي : من أهل خسروجرد ؛ قصبة بناحية بيهق ، تفقه علىٰ ناصر المروزي ، وأخذ علم الحديث من الحاكم .
كان إماماً قيماً بنصرة مذهب الشافعي وتقريره ، مصنفاً كثير التصنيف ، قوي التحقيق ، جيد التأليف ، ظاهر الإنصاف ، بعيداً من الاعتساف .
قال أبو سعد السمعاني ما معناه : إنه كان جامعاً بين علمي الحديث والفقه ، وكان من كبار أصحاب الحاكم أبي عبد الله ، وعليه تخرج في الحديث ، عني بكتب الحديث وحفظه من صباه إلىٰ أن نشأ ، وتفقه وبرع في الفقه ، واشتغل بالأصول ، ورحل إلى الجبال والعراق والحجاز ، وأكثر تصانيفه بدائع لم يسبق بها ، جمع فيها بين علم الحديث والفقه ، ونفع الله تعالىٰ بها الطالبين والمسترشدين ، وبقي بنيسابور مدة ، ثم عاد إلىٰ خسروجرد ، ثم قدم نيسابور ثانياً ثم ثالثاً وحدث بتصانيفه ، وكثرت الاستفادة منه ، وانتشرت الرواية عنه) انظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ٣٣٢) .

شيخُ القضاة أبو عليٍّ إسماعيلُ بنُ أحمدَ بن الحسين البيهقيُّ قال[1] حدثنا والدي الإمامُ الحافظ أبو بكر أحمدُ بن الحسين قال حين ابتدأتُ بتصنيفِ هـٰذا الكتاب ـ يعني «معرفة السنن والآثار» ـ وفرغتُ من تهذيب أجزاءٍ منه . . سمعتُ الفقيه أبا محمدٍ أحمدَ بنَ أبي عليٍّ يقول ـ وهو مِنْ صالحي أصحابي ، وأكثرِهم قراءةً لكتابِ الله عزَّ وجلَّ ، وأصدقِهم لهجةً ـ : رأيتُ الشافعيَّ في المنام وبيدِهِ أجزاءٌ من هـٰذا الكتابِ وهو يقولُ : قد كتبتُ اليومَ من كتاب الفقيه أحمدَ سبعةَ أجزاءٍ ، أو قال : قرأتُها ، ورآه يعتَدُّ بذلك .

قال : وفي صباح ذلك اليوم رأىٰ فقيهٌ آخرُ من إخواني يُعرف بعمرَ بن محمد في منامِهِ الشافعيَّ رحمَهُ اللهُ قاعداً علىٰ سريرٍ في مسجدِ الجامع بخُسرَوْجِرْدَ وهو يقولُ : قد استفدتُ اليومَ من كتاب الفقيه أحمدَ حديثَ كذا وكذا

قال وحدثنا والدي قال وسمعتُ الفقيهَ أبا محمدٍ الحسنَ بن أحمد السمرقنديَّ الحافظَ يقول : سمعتُ الفقيهَ أبا بكر محمدَ بن عبد العزيز المروزيَّ الخَبُوجرديَّ يقول : رأيتُ في المنام كأنَّ تابوتاً علا في السماءِ يعلوهُ نورٌ ، فقلت : ما هـٰذا ؟ فقال : هـٰذا تصنيفاتُ أحمدَ البيهقيِّ

قال شيخُ القضاة : وسمعتُ أنا هـٰذه الحكاياتِ الثلاثَ أيضاً مِنَ الفقيهِ أبي محمد ، ومِنْ عمرَ بن محمد ، ومِنَ الحسنِ بن أحمد السمرقنديِّ جميعاً لفظاً[2]

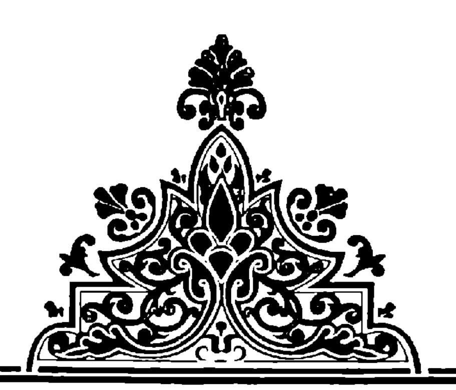
* * *

---

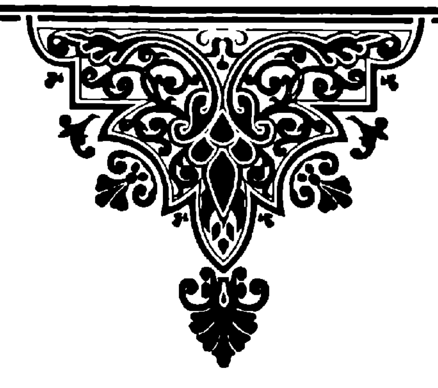
(١) جاء في هامش (هـ) حاشية : (توفي إسماعيل بن الإمام أبي بكر البيهقي سنة سبع وخمس مئة ، وكانت ولادته سنة ثمان وعشرين وأربع مئة) .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١١) .

وجاء في هامش (هـ) حاشية : (ذكره الحافظ عبد الله بن يوسف الجرجاني في كتابه « طبقات الشافعيين » فقال : كان فقيهاً حافظاً للآثار زاهداً ، كان يصوم الدهر منذ ثلاثين سنة ، جمع الفقه والحديث ، وصنَّف في كلِّ نوع ، رحمه الله تعالىٰ) ، وانظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ٣٣٥) .



ذِكرُ بعضِ المشهورِينَ مِنَ الطَّبقةِ الرّابعة المُستبصِرةِ بِتبصيرهِ وإيضاحِهِ في الاقتداءِ والمتابعة



فمنهم :

أبو بكرٍ البغداديُّ الحافظ المعروفُ بالخطيبِ رحمه الله

٣١١ـ قرأتُ على الشيخ أبي محمد عبدِ الكريم بن حمزةَ بن الخضر السلميِّ بدمشقَ ، عن أبي نصرٍ عليِّ بن هبة الله بن علي بن جعفر الحافظِ المعروف بابنِ ماكُولا قال : (إنَّ أبا بكرٍ أحمدَ بن علي بن ثابت الخطيبَ البغداديَّ كان أحدَ الأعيان ممَّنْ شاهدناهُ ؛ معرفةً وإتقاناً وحفظاً وضبطاً لحديثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفنُّناً في علله وأسانيده ، وخبرةً برُواته وناقليه ، وعلماً بصحيحِهِ وغريبه ، وفردِهِ ومُنْكَره ، وسقيمِهِ ومطروحِهِ ، ولم يكن للبغداديينَ بعدَ أبي الحسن عليِّ بن عمر الدارقطنيِّ مَن يَجري مَجراهُ ، ولا قامَ بعده منهم بهـٰذا الشأنِ سواهُ .

وقد استفدنا كثيراً من هـٰذا اليسيرِ الذي نُحْسِنُهُ به وعنه ، وتعلَّمنا شطراً من هـٰذا القليلِ الذي نعرفُهُ بتنبيهِهِ ومنه ، فجزاهُ الله تعالىٰ عنَّا الخيرَ ولقَّاهُ الحُسنَىٰ ، ولجميعِ مشايخنا وأئمَّتنا ، ولجميعِ المسلمين)[1]

٣١٢ـ أنبأنا الشيخُ أبو الفرج بن أبي الحسن بن الأرمنازيِّ[2] ، حدثنا أبو الفرجِ الإسفرايينيُّ قال : كان الشيخ أبو بكر الخطيبُ معنا في طريق الحجِّ ،

---

(١) انظر « تهذيب مستمر الأوهام » للحافظ ابن ماكُولا (ص ٥٧) ، وكلامه هنا هو في مفتتح هـٰذا الكتاب ، و« تاريخ دمشق » (٥/ ٣٥) ، وابن ماكُولا الذي أقرَّ بفضل شيخِهِ عليه ، وكان من الأمراء الكبار : قد ذكر الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٥٧٠) : أن شيخه الخطيبَ قد روىٰ عنه .

(٢) هو غيثُ بن علي بن عبد السلام التنوخي الصوري، تقدمت رواية المصنف عنه (ص ٤٩٤).

فكان يختم كلَّ يومٍ خَتمةً إلىٰ قربِ الغيابِ قراءةً بترتيلٍ ، ثم يجتمعُ عليه الناسُ وهو راكبٌ يقولون : حدِّثنا ، فيحدِّثُهم ، أو كما قال[(١)]

وقال أبو الفرج أيضاً   قال أبو القاسم مكيُّ بن عبد السلام المقدسيُّ كنتُ نائماً في منزلِ الشيخ أبي الحسن بن الزعفرانيِّ ببغداد ليلةَ الأحد ، الثاني عشر من شهر ربيعِ الأول ، سنة ثلاثٍ وستِّين وأربعِ مئة ، فرأيتُ في المنام عند السَّحَر كأنَّا اجتمعنا عند الشيخ الإمام أبي بكر الخطيب في منزلِهِ بباب المراتب ؛ لقراءة « التاريخ » على العادة ، فكأنَّ الشيخَ الإمامَ أبا بكر جالسٌ ، والشيخُ الفقيه أبو الفتح نصرُ بن إبراهيم عن يمينه ، وعن يمين الفقيهِ نصرٍ رجلٌ جالسٌ لم أعرفْهُ ، فسألتُ عنه ، فقلتُ   من هٰذا الرجلُ الذي لم تجرِ عادتُهُ بالحضور معنا ؟ فقيل لي : هٰذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، جاءَ ليسمعَ « التاريخ » ، فقلتُ في نفسي   هٰذه جلالةٌ للشيخ أبي بكرٍ ؛ إذ يحضرُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم مجلسَهُ ، وقلتُ في نفسي : وهٰذا أيضاً ردٌّ لقولِ مَن يعيبُ « التاريخ » ، ويذكرُ أنَّ فيه تحاملاً علىٰ أقوام .

وشغلني التفكُّر في هٰذا عن النهوضِ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسؤالِهِ عن أشياءَ كنتُ قد قلتُ في نفسي   أسألُهُ عنها ، فانتبهتُ في الحال ، ولم أكلمْهُ صلى الله عليه وسلم[(٢)]

٣١٣ـ قرأتُ بخطِّ الشيخ الأمينِ أبي الفضل أحمدَ بن الحسن ابن خيرونَ الباقلانيِّ ببغداد سنةَ ثلاث وستين وأربعِ مئة : (**مات أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت بن أحمدَ بن مهدي الخطيبُ الحافظُ ضحوةَ نهار يوم الاثنين ، ودُفنَ يومَ**

---

(١) انظر « تاريخ دمشق » (٥/٣٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٨/٢٧٩) .

(٢) انظر « تاريخ دمشق » (٥/٣٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٣١/١٠٨) .

الثلاثاء من ذي الحجَّةِ بباب حربٍ إلىٰ جنبِ بشْرِ بن الحارث[1] ، وصُلِّيَ عليه في جامعِ المنصور ، وصَلَّىٰ عليه القاضي أبو الحسين محمدُ بن علي بن المهتدي بالله .

وتصدَّقَ بجميع ماله ؛ وهو مئتا دينارٍ ، وفرَّقَ ذلك علىٰ أصحاب الحديث والفقهاء والفقراء في مرضه، ووصَّىٰ أن يُتصدَّقَ بجميع ما يُخلِّفُهُ من ثيابٍ وغيرها، وأوقفَ جميعَ كُتُبِهِ على المسلمين ، وأُخرِجَتْ جنازتُهُ من حُجرَةٍ تلي المدرسةَ النِّظَاميَّةَ من نهر مُعَلَّىٰ ، وتبعه الفقهاء والخلق العظيم ، وحُملَتِ الجنازةُ ، وعُبِرَ بها على الجسر ، وحُملَتْ إلىٰ جامعِ المنصور ، وكان بين يدي الجنازةِ جماعةٌ ينادون : هـٰذا الذي كان يَذُبُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هـٰذا الذي كان ينفي الكذبَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هـٰذا الذي كان يحفظُ حديثَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وعُبِرَ بالجنازةِ في الكرخ ومعها الخَلْقُ العظيم ، وكان اجتماعُ الناس في جامعِ المنصور ، وحضرَ جميعُ الفقهاء وأهلُ العلم ونقيبُ النقباء ، وتبعَ الجنازةَ خلْقٌ عظيمٌ إلىٰ بابِ حرب .

---

(١) يعني : الإمام بشراً الحافي ، أحد أعلام الصوفية و« الرسالة القشيرية » .
ومن لطيف الأخبار في دفن الحافظ البغدادي ما حكاهُ الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٢٨٧) عن أبي البركات إسماعيل ابن أبي سعد الصوفي قال (كان الشيخ أبو بكر ابن زهراء الصوفي ـ وهو المسند الفقيه أحمد بن علي الطريثيثي ـ برباطنا قد أعدَّ لنفسه قبراً إلىٰ جانب قبرِ بشر الحافي ، وكان يمضي إليه كلَّ أسبوع مرة وينامُ فيه ، ويتلو فيه القرآنَ كلَّهُ ، فلمَّا مات أبو بكرٍ الخطيب . . كان قد أوصىٰ أن يدفنَ إلىٰ جنب قبر بشر ، فجاءَ أصحابُ الحديثِ إلى ابنِ زهراء ، وسألوه أن يدفنوا الخطيبَ في قبره ، وأن يؤثرَهُ به ، فامتنعَ وقال موضعٌ قد أعددتُهُ لنفسي يؤخذُ مني ؟! فأخبروا والدَهُ بالخبر ، فقال له : أنا لا أقولُ لك أعطِهم القبر ، ولـٰكن أقولُ لك لو أنَّ بشراً الحافي في الأحياء وأنت إلىٰ جانبه ، فجاء أبو بكرٍ الخطيب ليقعدَ دونَكَ . . أكان يحسنُ بك أن تقعدَ أعلىٰ منه ؟ قال : لا ، بل كنتُ أقومُ وأجلسُهُ مكاني ، قال : فهكذا ينبغي أن تكون الساعةَ ، فطابَ قلبُهُ ، وأذنَ لهم) .

وخُتمَ على القبرِ خَتَماتٌ ، رضي الله عنه وغفرَ له ، وألحقَهُ بعبادِهِ الصالحين ، فلقد انتهىٰ إليه علمُ الحديث وحفظُهُ ؛ له ستةٌ وخمسون مصنَّفاً في علمِ الحديث[1] ؛ فمنها « تاريخ بغداد » ؛ مئةٌ وستَّةُ أجزاء ، ولد سنة إحدىٰ وتسعين وثلاث مئة)[2]

٣١٤ـ أخبرَنا الشيخُ الأمينُ أبو محمد هبةُ الله بن أحمدَ الأكفانيُّ : (حدثنا أبو محمد عبدُ العزيز بن أحمد الكَتَّانيُّ الحافظُ قال : وردَتْ كُتُبُ جماعةٍ من بغداد إلىٰ دمشقَ ، كلُّ واحدٍ يذكرُ في كتابه أنَّ الإمامَ الحافظَ أبا بكر أحمدَ بن علي بن ثابت بن أحمدَ بن مهدي الخطيبَ البغداديَّ رحمَهُ اللهُ تُوفِّيَ يوم الاثنين ضُحىٰ نهارِ السابع من ذي الحجَّةِ ، من سنةِ ثلاثٍ وستين وأربعِ مئة ، وحُملَ يومَ الثلاثاء إلى الجانب الغربيِّ ، ودفن بالقرب من قبر أحمدَ بن حنبلٍ ، عند قبرِ بشرِ بن الحارث ، رحمَهما الله

وكان أحدَ مَنْ حملَ جنازتَهُ الفقيهُ الإمام أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن علي الشيرازيُّ .

وأنَّه كان معه مئتا دينارٍ ، فتصدَّقَ بها في علَّتِهِ ، فانتهىٰ فراغُهَا بموته ، وكان رحمَهُ اللهُ يذكرُ أنَّهُ وُلدَ يوم الخميس لستٍّ بقينَ من جُمادى الآخرة ، من سنة اثنتينِ وتسعين وثلاثِ مئة .

وأنَّهُ أسمعَ الحديثَ وهو ابنُ عشرين سنةً ، وكتبَ عنه شيخُهُ أبو القاسم الأزهريُّ عبيدُ الله بن أحمدَ بن عثمانَ في سنة اثنتي عشرة ، وكتبَ عنه شيخُهُ أبو بكر أحمدُ بن محمد بن أحمدَ بن غالبٍ البَرْقانيُّ الخوارزميُّ الحافظُ في سنة تسعَ عشرةَ وأربعِ مئة .

---

(١) في (هـ) وحدها : (وحُفظَ له ستةٌ وخمسون مصنفاً في علم الحديث) ، والمثبت موافق للمصدر .

(٢) انظر « تاريخ دمشق » (٥/ ٣٩)

وكان قد علَّقَ الفقهَ عن القاضي أبي الطيِّبِ طاهرِ بن عبد الله الطبريِّ ، وأبي نصرِ بن الصبَّاغِ

وكان يذهبُ إلىٰ مذهبِ أبي الحسن الأشعريِّ رحمَهُ اللهُ)[١]

زادنا أبو محمد بن الأكفانيِّ (وكان قد رحلَ إلىٰ نيسابورَ ، وأصبهانَ ، والبصرةِ ، وغيرها ، وكان مُكثراً من الحديث ، عانياً بجمعه ، ثقةً حافظاً متقناً متيقظاً متحرِّزاً مصنِّفاً ، رحمَهُ اللهُ ورضي عنه)[٢]

* * *

---

(١) انظر « ذيل ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم » للحافظ أبي محمد الأكفاني (ص ٣٢) ، و« تاريخ دمشق » (٣٩/٥) .

(٢) انظر « ذيل ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم » (ص ٣٤) ، وعلَّق الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٣٢) علىٰ أن الخطيب كان أشعرياً بقوله (قلتُ : وهو مذهب المحدثين قديماً وحديثاً إلا من ابتدع فقال بالتشبيه وعزاهُ إلى السنَّة ، أو من لم يدرِ مذهبَ الأشعريِّ فردَّهُ بناءً علىٰ ظنٍّ فيه ظنَّهُ ، والفريقان من أصاغرِ المحدِّثين وأبعدِهم عن الفطنة .

وقال شيخنا الذهبي ـ انظر « تاريخ الإسلام » « ٣١/ ٩٢ » ـ هنا عقيبَ قول الكتَّاني : « إنَّ الخطيبَ كان يذهب إلىٰ مذهب الأشعري » ما نصُّهُ : « قلتُ : مذهبُ الخطيب في الصفات : أنها تُمرُّ كما جاءت ، صرح بذلك في تصانيفه » ، قلتُ وهـٰذا مذهبُ الأشعريِّ ؛ فقد أُتيَ الذهبي من عدم معرفتِهِ بمذهب الشيخ أبي الحسن ؛ كما أُتيَ أقوامٌ آخرون ، وللأشعريِّ قولٌ آخرُ بالتأويل) .

وَمِنهم :

الأستاذ أبو القاسم القُشَيْرِيُّ النيسابوريُّ ثمَّ الأُسْتوائيُّ رحمه الله

٣١٥ـ أخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو الحسن عليُّ بن أحمدَ بن منصور ، وأبو منصور محمدُ بن عبد الملك بن الحسن قالا قال لنا الشيخ أبو بكر أحمدُ بن علي الحافظُ : (عبدُ الكريم بن هوازنَ بن عبد الملك بن طلحةَ بن محمد ، أبو القاسم القُشَيريُّ النيسابوريُّ .

سمع أحمدَ بن محمد بن عمرَ الخفَّافَ ، ومحمدَ بن أحمدَ بن عبدوسٍ المُزَكِّي ، وأبا نُعيمٍ عبدَ الملك بن الحسن الإسفرايينيَّ ، وعبدَ الرحمـٰن بن إبراهيمَ بن محمد المُزَكِّي[1] ، ومحمدَ بن الحسن بن فُورَكَ ، والحاكمَ أبا عبد الله بن البيِّع ، ومحمدَ بن الحسين العلويَّ ، وأبا عبد الرحمـٰن السُّلميَّ .

وقدمَ علينا في سنة ثمانٍ وأربعينَ وأربع مئة ، وحدَّث ببغداد ، وكتبنا عنه ، وكان ثقةً[2]

وكان يعظُ ، وكان حَسَنَ الموعظةِ ، مليحَ الإشارة ، وكان يعرف الأصولَ علىٰ مذهب الأشعريِّ ، والفروعَ علىٰ مذهب الشافعيِّ

سألتُ القُشيريَّ عن مولده ، فقال في ربيع الأول من سنةِ ستٍّ وسبعين وثلاثِ مئة)[3]

---

(١) وفي (هـ ، ط) : (وعبد الرحيم) بدل (وعبد الرحمـٰن) ، والصواب المثبت .

(٢) قوله : (وكان ثقة) سقط من (هـ ، ط) .

(٣) انظر « تاريخ بغداد » (١١/ ٨٣) ، وقد ترجم له في حياته ؛ إذ الحافظ البغداديُّ توفي قبله بسنتين تقريباً .

كان ينبغي أن يكونَ في الطبقة الثالثة ، وإنَّما أخَّرتُهُ لتأخُّرِ وفاته

٣١٦ـ كتبَ إليَّ الشيخُ أبو الحسنِ عبدُ الغافر بن إسماعيل الفارسيُّ قال (عبدُ الكريم بن هوازنَ بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القُشَيريُّ ، أبو القاسم الإمامُ مطلقاً ، الفقيهُ المتكلِّمُ ، الأصوليُّ المفسِّر ، الأديب النحويُّ ، الكاتب الشاعر ، لسانُ عصرِهِ ، وسيِّدُ وقته ، وسرُّ الله بين خَلْقِهِ ، شيخُ المشايخ ، وأُستاذُ الجماعة ، ومُقدَّم الطائفة ، ومقصود سالكي الطريقة ، وبُندار الحقيقة ، وعينُ السعادة ، وقطبُ السيادة ، وحقيقة الملاحة

لم يرَ مثلَ نفسِهِ ، ولا رأى الراؤونَ مثلَهُ في كمالِهِ وبراعتِهِ ، جمعَ بين علومِ الشريعة والحقيقة[1] ، وشرحَ أحسنَ الشرحِ أصولَ الطريقة .

أصلُهُ : من ناحية أُسْتُوا[2] ، من العربِ الذين وردوا خُراسانَ وسكنوا النواحيَ ، فهو قُشيريُّ الأب ، سُلَميُّ الأمِّ ، وخالُهُ أبو عقيل السُّلميُّ من وجوهِ دهاقينِ ناحيةِ أُسْتُوا

تُوفِّيَ أبوه وهو طفلٌ ، فوقع إلىٰ أبي القاسم الأَليمانيِّ[3] ، فقرأ الأدبَ والعربية عليه ؛ بسببِ اتصالِهِ بهم ، وقرأ علىٰ غيره .

وحضرَ البلدَ ، واتفقَ حضورُهُ مجلسَ الأستاذِ الشهيدِ أبي عليٍّ الحسنِ بن عليٍّ الدَّقَّاقِ ، وكان لسانَ وقته ، فاستحسنَ كلامَهُ ، وسلكَ طريقَ الإرادة ، فقَبِلَهُ الأستاذُ ، وأشار عليه بتعلُّمِ العلم ، فخرجَ إلىٰ درسِ الشيخ الإمام أبي بكر محمدِ بن بكر الطوسيِّ ، وشرعَ في الفقهِ حتىٰ فرغَ من التعليق ، ثم اختلفَ بإشارته إلى الأستاذِ الإمام أبي بكرِ بن فُورَكَ ، وكان المقدَّمَ في

---

(١) في (أ ، هـ ، و) : (علم) بدل (علوم) .

(٢) وهي اليوم بلدةٌ من بلاد إيران .

(٣) وأبو القاسم علي بن الحسين الأليماني من شيوخ أبي منصور الثعالبي صاحب « اليتيمة » ، فهو من أعيان الأدباء .

الأصول ، حتىٰ حصَّلَها وبرعَ فيها ، وصار من أوجهِ تلامذته وأشدِّهم تحقيقاً وضبطاً ، وقرأ عليه أصولَ الفقه وفرغ منه .

ثم بعد وفاةِ الأستاذِ أبي بكرٍ اختلفَ إلى الأستاذ أبي إسحاقَ الإسفرايينيِّ ، وقعدَ يسمعُ جميعَ دروسه ، وأتىٰ عليه أيامٌ ، فقال له الأستاذُ : هـٰذا العلمُ لا يحصلُ بالسماع !

وما توهَّمَ فيه ضبطَ ما يسمعُ ، فأعادَ عنده ما سمعَهُ منه ، وقرَّرَهُ أحسنَ تقريرٍ من غير إخلالٍ بشيء ، فتعجَّبَ منه ، وعرفَ محلَّهُ وأكرمَهُ ، وقال : ما كنتُ أدري أنَّكَ بلغتَ هـٰذا المحلَّ ، فلستَ تحتاجُ إلىٰ درسي ، بل يكفيكَ أن تطالعَ مصنَّفاتي ، وتنظرَ في طريقي ، وإن أشكلَ عليك شيءٌ . . طالعتَني به .

ففعلَ ذلك ، وجمعَ بين طريقتِهِ وطريقةِ ابنِ فُورَكَ ، ثم نظرَ بعد ذلك في كتب القاضي أبي بكرِ بن الطيِّبِ ، وهو مع ذلك يحضرُ مجلسَ الأستاذِ أبي عليٍّ ، إلىٰ أنِ اختارَهُ لكريمتِهِ ، فزوَّجَها منه ، وبعد وفاة الأستاذ عاشرَ أبا عبد الرحمـٰن السلميَّ[1] ، إلىٰ أن صارَ أستاذَ خُراسانَ ، وأخذَ في التصنيف ، فصنَّفَ « التفسير الكبير » قبل العشر وأربع مئة ، ورتَّبَ المجالس[2] .

وخرج إلى الحجِّ في رُفقةٍ فيها الإمامُ أبو محمد الجُوَينيُّ ، والشيخُ أحمدُ البيهقيُّ ، وجماعةٌ من المشاهير ، فسمعَ معهم الحديثَ ببغداد والحجاز من مشايخِ عصره .

وكان في علم الفروسية واستعمالِ السلاحِ وما يتعلَّقُ به . . من أفرادِ العصر ، وله في ذلك الفنِّ دقائقُ وعلومٌ انفردَ بها .

---

(١) وكان لا يخلو أيام صحبته للإمام أبي علي الدقاق من زيارات للشيخ السلمي ، وانظر « الرسالة القشيرية » (ص ٥٢٠) ، وقد أكثر من الرواية عنه ؛ ففي « الرسالة » وحدها قرابة (١٦٠) خبراً ؛ من مرفوع ومقطوع وحكاية وقول .

(٢) يعني : في حياة شيخيه الدقاق والسلمي .

وأمَّا المجالسُ في التذكير ، والقعودُ فيما بين المريدينَ ، وأسئلتُهم عن الوقائع ، وخوضُهُ في الأجوبة ، وجريانُ الأحوال العجيبة فكلُّها منه وإليه ، أجمعَ أهلُ العصر علىٰ أنَّهُ عديمُ النظيرِ فيها ، غيرُ مشارَكٍ في أساليبِ الكلام على المسائل ، وتطييبِ القلوب ، والإشاراتِ اللطيفةِ المستنبطةِ من الآيات[1] ، والأخبارِ من كلام المشايخ ، والرموزِ الدقيقة ، وتصانيفِهِ فيها المشهورة . . . إلىٰ غيرِ ذلك ، من نظمِ الأشعار اللطيفةِ علىٰ لسان الطريقة

ولقد عقدَ لنفسِهِ مجلسَ الإملاءِ في الحديث سنةَ سبعٍ وثلاثين وأربعِ مئة ، فكان يملي إلىٰ خمس وستين ، يُذَنِّبُ أماليَهُ بأبياته ، وربَّما يتكلَّمُ على الأحاديث بإشاراتِهِ ولطائفِهِ ، وله في الكتابةِ طريقةٌ أنيقة رشيقة ، تُبِرُّ على النظْمِ .

ولقد قرأتُ[2] فصلاً ذكرَهُ عليُّ بن الحسن في « دمية القصر »[3] ؛ وهو أن قال : الإمامُ زينُ الإسلام أبو القاسم : جامعٌ لأنواع المحاسن ، تنقادُ له صِعابها ذُلُلَ المـرَاسن ، فلو قرعَ الصخرَ بسوط تحذيره . . لذابَ ، ولو رُبِطَ إبليسُ في مجلسِ تذكيرِهِ . . لتابَ ، وله فصْلُ الخطاب في فضْلِ النطق المستطاب ، ماهرٌ في التكلُّم علىٰ مذهبِ الأشعريِّ ، خارجٌ في إحاطتِهِ بالعلوم عن الحدِّ البشريِّ ، كلماتُهُ للمستفيدين فرائدُ وفوائد ، وعتباتُ منبرِهِ للعارفين وسائدُ ، وله شعرٌ تتتوَّجُ به رؤوسُ معاليه[4] ؛ إذا خُتمَتْ به أذنابُ أماليه) .

قال عبدُ الغافر : (وقد أخذَ طريقَ التصوف من الأستاذ أبي عليٍّ الدَّقَّاق ، وأخذها أبو عليٍّ عن أبي القاسم النَّصْراباذِيِّ ، والنَّصْراباذِيُّ عن الشبليِّ ،

---

(١) ككتاب « لطائف الإشارات » ، والحافظ عبد الغافر قد قرأه عليه كما في « وفيات الأعيان » (٣/ ٢٢٥)

(٢) لا يزال الكلام للحافظ عبد الغافر الفارسي ، سبط المترجم الإمام القشيري .

(٣) دمية القصر (٢/ ٩٩٤) للإمام أبي الحسن الباخرزي عصريِّ المترجم الإمام القشيري .

(٤) تتتوَّج : في (هـ) : (يتوج) ، وفي (ط) : (يتتوج)

والشبليُّ عن الجُنَيدِ ، والجنيدُ عن السَّرِيِّ السَّقَطِيِّ ، والسَّرِيُّ عن معروفٍ الكرخيِّ ، ومعروفٌ عن داودَ الطائيِّ ، وداودُ لقيَ التابعين ، هٰكذا كان يذكرُ إسنادَ طريقتِهِ

ومن جملةِ أحوالِهِ : ما خُصَّ به من المحنةِ في الدِّين والاعتقاد[1] ، وظهورِ التعصُّبِ بين الفريقين في عَشْرِ سنة أربعين ، إلىٰ خمسٍ وخمسين وأربع مئة ، وميلِ بعضِ الولاة إلى الأهواء ، وسعْيِ بعضِ الرؤساء والقضاة إليه بالتخليطِ ، حتىٰ أدَّىٰ ذلك إلىٰ رفعِ المجالس ، وتفرَّقَ شملُ الأصحاب ، وكان هو المقصودَ من بينهم حسداً ، حتى اضطرَّته الحالُ إلىٰ مفارقةِ الأوطان ، وامتدَّ في أثناء ذلك إلىٰ بغدادَ ، ووردَ علىٰ أمير المؤمنين القائمِ بأمر الله ، ولقيَ فيها قَبولاً ، وعُقد له المجلسُ في منازلِهِ المختصَّة به ، وكان ذلك بمحضرٍ ومرأىً منه ، ووقع كلامه من مجلسه الموقعَ ، وخرجَ الأمرُ بإعزازِهِ وإكرامِهِ .

وعاد إلىٰ نيسابورَ ، وكان يختلفُ منها إلىٰ طوسَ بأهلِهِ وبعضِ أولاده ، حتىٰ طلعَ صبْحُ النوبةِ المباركة ؛ دولة السلطان ألب أرسلانَ في سنة خمس وخمسين وأربع مئة ، فبقيَ عشرَ سنين في آخرِ عمرِهِ مُرفَّهاً محترماً ، مطاعاً مُعظَّماً ، وأكثرُ صَفْوِهِ في آخرِ أيَّامِهِ التي شاهدناهُ فيها أخيراً إلىٰ أن تُقرأَ عليه كُتُبُهُ والأحاديثُ المسموعةُ له ، وما يؤولُ إلىٰ نصرةِ المذهب .

بلغَ المنتمون إلية آلافاً ، ملؤوا بذكرِهِ وتصانيفِهِ أطرافاً

ومن نثرِهِ[2] : الكَرَمُ ـ أطالَ الله بقاءَ الشيخ ـ يهدي المتوسِّمَ إلىٰ صاحبه ،

---

(١) تقدم الحديث عن هٰذه المحنة في الأخبار (١٢٧ ـ ١٣٠)

(٢) ويظهر أن أصل هٰذا النثر كان رسالةً لأحدِ الأعيان المقرَّبين من عميد الملك الكُنْدُري ، ولعلَّه قصد الاجتماع به لشأن المحنة المذكورة ، وتأييد الفرقة المنصورة ، وكان ذلك قبل خروجه من نيسابور ، والله أعلم .

ويقضي للمؤمِّلِ بنُجْحِ مطالبِهِ ، وإنِّي أجلتُ صواعدَ قصدي في كلِّ قُطرٍ أَشِيم بَرْقَ الحريَّةِ ، وأعملتُ قواصدَ فكري في كلِّ نحوٍ أستنشقُ نسيمَ الفتوَّةِ ؛ فما فاحَ إلا مِن بابِهِ نَشْرُهُ ، وما لاحَ إلا مِن جنابِهِ بِشْرُهُ ، فتعرَّفتُ إليه بأنِّي ممَّنْ هداهُ إلىٰ وُدِّهِ بقاءُ عهده ، وحداهُ علىٰ قصدِهِ ضياءُ مجدِهِ ، وأرجو أنَّهُ إذا عَجَمَ عُودَ ولائي . . استصلبَهُ[١] ، وإذا قيَّدَ قلبي بإحسانِهِ . . ما سيَّبَهُ ، والله عزَّ وجلَّ يديمُ تمكينه ، ويحرسُ عن الغيرِ نعمتَهُ ودينَهُ بمنِّهِ ؛ إن وجدَ الشيخُ في مجلسِ العميد فراغاً ، وللنطقِ مساغاً . . طالعَهُ بأنَّ فلاناً إلى الباب متردِّدٌ ، وبإقامةِ رسْمِ الزيارة مستعدٌ ، وليس يشكو تحمُّلَهُ خجلةَ الحجابِ ، ولـٰكنَّهُ يشكرُ تجمُّلَهُ بحضورِ الباب ، والسلام

تُوفِّيَ صبيحةَ يومِ الأحد قبل طلوعِ الشمس ، السادسَ عشرَ من شهر ربيع الآخر ، سنةَ خمسٍ وستين وأربعِ مئة ، ودُفنَ في المدرسة بجنبِ الأستاذِ أبي عليٍّ الدقَّاق)[٢]

* *

---

(١) يقال : عجمت العود ؛ إذا عضضته لتعرف صلابتَهُ من رخاوته ، والمراد : الاختبار ومعرفة حقيقة الأمر

(٢) إلىٰ هنا ينتهي كلام الحافظ عبد الغافر سبط المترجم ، وقد نُقل عنه في حاشية هامش (هـ) ، وجاء فيها : (وصلَّىٰ عليه ابنُهُ الأكبرُ أبو سعد عبدُ الله مع الخلق الكثير ، وما عُهدَ قبلهم اجتماعٌ مثلُهُ ، ودُفن في المدرسة بجانب شيخه الأستاذ أبي عليٍّ الدقاق ، ولزم الأئمةُ الأخوالُ ـ يعني : أبناءَ الإمام القشيري ـ رأسَ تربته ليلاً ونهاراً ، وكانوا يبيتون عندها ، ولم يدخل أحدٌ منهم بيتَهُ ، ولا مسَّ ثيابه ولا كتبه ولا أجزاء منها إلا بعد سنين ؛ احتراماً وتعظيماً

ومن عجائب ما وقع أن الفرس التي كان يركبها ، وكانت رمكة أُهديت إليه من قريب عشرين سنة ، ما كان يركب غيرها ، وما ركبها أحدٌ بعده ، وحكي أنها لم تعتلف بعد وفاته حتىٰ نفقت يوم الجمعة سادس يوم وفاته انصرافنا من الجمعة ، فأُخبرنا أنها سقطت في الإصطبل ، وكان ذلك من نوادر ما رأيناه)، وهي حاشية مؤثرة .

ومنهم :

أبو عليّ بن أبي حريصة الهمذاني الدمشقيّ الفقيه رحمه الله

٣١٧ـ قال لي الشيخُ الأمينُ أبو محمد هبةُ الله بن أحمدَ الأكفانيُّ : (تُوفِّيَ أبو عليٍّ الحسينُ بن أحمدَ بن المظفر بن أحمدَ بن سليمان بن المتوكل بن أبي حريصةَ الهمَذانيُّ رحمَهُ اللهُ ..يومَ الثلاثاء ، السادس والعشرين من المحرم ، من سنة ست وستين وأربع مئة

وكان قد كتبَ الكثيرَ ، وحدَّثَ باليسير ، وكان فقيهاً على مذهبِ مالك ، ويذهبُ مذهبَ أبي الحسن الأشعريِّ)[1]

* * *

(١) انظر « ذيل ذيل مولد العلماء ووفياتهم » (ص ٣٨) ، ورواه المصنف في « تاريخ دمشق » (١٤/ ٣٠) .

ومنهم :

أبو المظفر الإسفراييني الفقيه رحمه الله

٣١٨ـ كتب إليّ الشيخ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيل الفارسيُّ قال (شاهفُورُ بنُ طاهر بن محمد الإسفرايينيُّ ، أبو المظفر الإمامُ الكامل ، الفقيهُ الأصوليُّ المفسر ، ارتبطَهُ نظامُ المُلكِ بطوسَ ، وتُوفِّيَ سنةَ إحدىٰ وسبعين وأربعِ مئة)[١]

* * *

---

(١) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ٢٥٣) ، وفي « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٩/٣٢٨) نقلاً عن الحافظ عبد الغافر : (وصنَّفَ التفسير الكبير المشهور ، وصنَّفَ في الأصول ، وسافرَ في طلب العلم ، قال : وسمعَ من أصحاب الأصمِّ ، قال : وكان له اتصالُ مصاهرةٍ بالأستاذ أبي منصور البغدادي) ، ومن مؤلفاته المشتهرة في علم الكلام : « التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين » وهو مطبوع .

ومنهم :

الشيخُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عليِّ بنِ يوسفَ الشيرازيُّ ثم الفيروزاباديُّ رحمه الله [1]

الفقيهُ الزاهد ، والنَّاسكُ العابدُ ، ذو التصانيفِ الحسنة ، والتواليفِ المستحسنة

سكنَ بغداد ، وسمع الحديث بها من أبي علي بن شَاذانَ ، وأبي بكرٍ البَرْقانيِّ ، وغيرِهما ، وتفقَّهَ علىٰ جماعة ؛ منهم القاضي أبو الطيِّب الطبريُّ ، وأبو أحمدَ عبدُ الوهَّاب بنُ محمد بن عمرَ بن محمد بنِ رامينَ ، وأبو عبد الله محمدُ بن عبد الله بن أحمدَ البيضاويُّ ، وأبو القاسم منصورُ بن عمرَ الكرخيُّ البغداديونَ ، وأبو حاتِمٍ محمودُ بن الحسن الطبريُّ ، وأبو عبد الله محمدُ بن عمرَ الشيرازيُّ ، وغيرُهم .

ودَرَّسَ ببغداد بالمدرسة النِّظَاميّة ، وهو صاحبُ كتابِ « المهذَّب » وكتابِ « التنبيه » في المذهب ، و« النكت » في الخلاف ، و« اللمع » في أصولِ الفقه ، وغير ذلك من الكتب[2]

وكان يظنُّ به بعضُ مَن لا يفهمُ أنَّهُ مخالفٌ للأشعريِّ ؛ لقولِهِ في كتابِهِ في أصول الفقه : (وقالت الأشعريَّةُ : إنَّ الأمرَ لا صيغةَ له)[3] ، وليسَ ذلك لأنَّه

---

(١) وفي « طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (بكسر الفاء) ، وكان المترجم يلقَّب بجمال الدين ، وأمير المؤمنين بين الفقهاء .

(٢) انظر « المنتظم » (١٦/ ٢٢٨) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (٢/ ٤٦٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٢١٥) .

(٣) انظر « اللمع » (ص ٣٨)

لا يعتقدُ اعتقادَهُ ؛ وإنَّما قال ذلك لأنَّهُ خالفَهُ في هٰذه المسألةِ بعينها ، كما خالفَهُ غيرُهُ فيها من الفقهاء ، فأرادَ أن يبيِّنَ أنَّ هٰذه المسألةَ ممَّا انفردَ بها أبو الحسن

وقد ذكرنا في كتابنا هٰذا عنه فتواهُ فيمَنْ خالفَ الأشعريَّةَ واعتقدَ تبديعَهم[١] ؛ وذلك أوفىٰ دليلٍ علىٰ أنَّهُ منهم

٣١٩ـ وجدتُ بخطِّ أخي أبي الحسين هبةِ الله بن الحسن بن هبة الله[٢] ، للرئيسِ أبي الخطَّاب عليِّ بن عبد الرحمٰن بن عيسى بن علي بن داودَ بن الجرَّاحِ الكاتبِ البغداديِّ ؛ في الشيخ أبي إسحاقَ إبراهيمَ بن عليٍّ الشيرازيِّ رحمَهُ اللهُ : [من البسيط]

سُقْياً لِمَنْ أَلَّفَ « ٱلتَّنْبِيهَ » مُخْتَصِراً ... أَلْفَاظَهُ ٱلْغُرَّ وَٱسْتَقْصَىٰ مَعَانِيهِ

إِنَّ ٱلإِمَامَ أَبَا إِسْحَاقَ صَنَّفَهُ ... للهِ وَٱلدِّينِ لاَ لِلْكِبْرِ وَٱلتِّيهِ

رَأَىٰ عُلُوماً عَنِ ٱلأَفْهَامِ شَارِدَةً ... فَحَازَهَا ٱبْنُ عَلِيٍّ كُلَّهَا فِيهِ

لاَ زِلْتَ لِلشَّرْعِ إِبْرَاهِيمُ مُنْتَصِراً ... تَذُودُ عَنْهُ أَعَادِيهِ وَتَحْمِيهِ[٣]

---

(١) انظر حول هٰذا : (ص ٥٦٨ ، ٥٧٣ ، ٥٩٩) .
وجاء في هامش (هـ) حاشية (قال الحافظ أبو طاهر السِّلفيُّ : سألتُ الحافظ أبا نصرٍ المؤتمن الساجي عن أبي إسحاق الشيرازي ، فقال : انتهت إليه رئاسة أصحاب الشافعي ببغداد ، وكان يرجع إلىٰ زهد حقيقي ، وحسن باطن)

(٢) الفقيه المقرئ المسند صائنُ الدين ابن عساكر ، الأخ الأكبر للمصنف ، توفي سنة (٥٦٣ هـ) .

(٣) انظر « تهذيب الأسماء واللغات » (٢/ ٤٦٦) ، وحقُّ كلمتي (معانيه ، أعاديه) الفتح ، وسكنتا للضرورة ، بل ذلك جائز في السعة أيضاً ، وفيه من أخباره أنه رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال له يا شيخ ، فكان يفرح بذلك ويقول سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم شيخاً
وكان يقول : كنتُ أعيدُ كلَّ درس مئة مرة ، وإذا كان في المسألة بيتُ شعرٍ يُستشهدُ به . . =

٣٢٠ـ أنشدَنا أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمد بن السمرقنديِّ ببغداد قال : أنشدنا الشيخُ الإمام أبو إسحاقَ الشيرازيُّ لنفسِهِ : [من الوافر]

سَأَلْتُ ٱلنَّاسَ عَنْ خِلٍّ وَفِيٍّ ... فَقَالُوا مَا إِلَىٰ هَـٰذَا سَبِيلُ
تَمَسَّكْ إِنْ ظَفِرْتَ بِوُدِّ حُرٍّ ... فَإِنَّ ٱلْحُرَّ فِي ٱلدُّنْيَا قَلِيلُ[١]

٣٢١ـ أخبرَني أبو محمد هبةُ الله بن أحمدَ بن الأكفانيِّ قال : (تُوفِّيَ الإمامُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عليِّ بن يوسف الفيروزاباديُّ الشيرازيُّ الشافعيُّ رحمَهُ اللهُ .. في جُمادى الآخرة سنةَ ستٍّ وسبعين وأربع مئة)[٢]

= حفظتُ القصيدةَ كلَّها من أجله ، وكان يوماً يمشي وبعضُ أصحابه معه ، فعرضَ له في الطريق كلبٌ ، فحسرَهُ صاحبه ، فنهاه الشيخُ وقال أما علمتَ أن الطريق بيني وبينه مشتركٌ ؟! ودخل يوماً مسجداً ليأكل فيه شيئاً علىٰ عادته ، فنسي ديناراً ، فذكره في الطريق ، فرجع ووجده ، فتركه ولم يمسه ، وقال ربَّما وقعَ من غيري ، ولا يكون ديناري

وقد نقل الإمام النووي عن أبي الوفاء ابن عقيل أنه قال : شاهدتُ شيخنا أبا إسحاق لا يخرج شيئاً إلىٰ فقير إلا أحضرَ النية ، ولا يتكلَّمُ في مسألة إلا قدَّم الاستعاذةَ بالله تعالىٰ ، وأخلصَ القصد في نصرة الحق ، ولا صنَّف شيئاً إلا بعد ما صلَّىٰ ركعات ، فلا جرمَ شاع اسمه واشتهرت تصانيفه شرقاً وغرباً ببركة إخلاصه .

(١) انظر « المنتظم » (١٦/ ٢٣٠)
وجاء في هامش (هـ) حاشية : قال السِّلفيُّ : أنشد أبو الحسين عاصم بن الحسن في الشيخ أبي إسحاق : [من الوافر]

تَـرَاهُ مِـنَ ٱلـذَّكَـاءِ نَحِيفَ جِسْمٍ ... عَلَيْـهِ مِـنْ تَـوَقُّـدِهِ دَلِيـلُ
إِذَا كَـانَ ٱلْفَتَـىٰ ضَخْـمَ ٱلْمَعَـالِـي ... فَلَيْـسَ يَضُـرُّهُ ٱلْجِسْـمُ ٱلضَّئِيـلُ

وانظر « معجم السفر » (ص ١٢٤)

(٢) انظر « ذيل ذيل مولد العلماء » (ص ٦٠) ، و« المنتخب من كتاب السياق » (ص ١٢٤) .

وقال في موضع آخر (في ليلةِ الأحد الحادي وعشرين من جُمادى الآخرة)[1]

* *

---

(۱) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٢٢٩)

وجاء في هامش (هـ) حاشية : ومن شعر أبي إسحاق : [من السريع]

أُفٍّ لِدُنْيَانَا وَتُفٍّ لَهَا مَحِلَّةٌ تَقْتُلُ مَنْ حَلَّهَا

أَصْحَابُهَا قَدْ طَلَبُوا عِزَّهَا وَٱللهُ قَدْ عَرَّفَهُمْ ذُلَّهَا

وانظر « معجم السفر » (ص ١٥٥) ، ولم يتَّفق له الحجُّ لفقره ، وكان شديد التواضع ، وممَّا روي عنه كما في « تاريخ الإسلام » للحافظ الذهبي (٣٣/ ١٦٠) : أنه لمَّا وصل إلىٰ ساوةَ .. خرجَ إليه من النسوة الصوفيات جماعةٌ ، وما منهن إلا مَن بيدها سبحةٌ ، وألقوا الجميعَ إلى المحفَّةِ ، وكان قصدهُنَّ أن يلمسَها الشيخ أبو إسحاق بيده ، فتحصلَ لهنَّ البركةُ ، فجعلَ يمرُّها علىٰ بدنِهِ وجسده ، وتبرَّكَ بهِنَّ ، ويقصدُ في حقِّهِنَّ ما قصدنَ في حقِّه

ومنهم :

الإمام أبو المعالي الجُوَيْنيُّ النيسابوريُّ رحمه الله

٣٢٢ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الحسن بن أبي عبد الله بن أبي الحسين الأديبُ في كتابه[١] قال : (عبدُ الملك بن عبد الله بن يوسف الجُوَينيُّ ، أبو المعالي : ابنُ ركنِ الإسلام أبي محمدٍ ، إمامُ الحرمين ، فخرُ الإسلام ، إمامُ الأئمَّة على الإطلاق ، حبرُ الشريعة ، المجمعُ علىٰ إمامته شرقاً وغرباً ، المقِرُّ بفضلِهِ السُّرَاةُ والحداةُ عُجْماً وعُرْباً[٢] ، مَن لم ترَ العيونُ مثلَهُ قبلَهُ ، ولا ترىٰ بعده .

ربّاهُ حِجْرُ الإمامة، وحَرَّك سَاعدُ السعادة مهدَهُ، وأرضعَهُ ثديُ العلم والورع، إلىٰ أن ترعرعَ فيه ويَفَعَ[٣] ، أخذَ من العربية وما يتعلَّقُ بها أوفرَ حظٍّ ونصيبٍ ، فزادَ فيها علىٰ كلِّ أديب ، ورُزِقَ من التوسُّع في العبارة وعلوِّها ما لم يُعهدْ مِن غيره حتىٰ أنسىٰ ذكر سَحبانَ ، وفاقَ فيها الأقران ، وحملَ القرآنَ ، وأعجزَ الفصحاءَ اللُّدَّ ، وجاوزَ الوصفَ والحَدَّ ، وكلُّ مَنْ سمعَ خبرَهُ أو رأىٰ أثرَهُ ؛ فإذا شاهدَهُ . . أقرَّ بأنَّ خُبْرَهُ يزيدُ كثيراً على الخبر ، ويُبِرُّ علىٰ ما عهدَ من الأثر[٤]

---

(١) يعني : « السياق في تاريخ نيسابور » ، والترجمة بتمامها للحافظ عبد الغافر الفارسي فيه .

(٢) السُّراة : جمع سارٍ ، وهو من يسير ليلاً ، والسُّرىٰ : سير الليل ، والحُداة : جمع حادٍ ؛ مغني الإبل ليحملها على الإسراع ، والسَّراة بالفتح : السادة ، وفي (ط) : (الحراة) بدل (الحداة) .

(٣) قال الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ١٨٢) : (قوله : « ترعرع » أي : تحرَّك ونشأ ، وقوله : « يفع » صوابه : « أيفع » بهمزة ، يقال : أيفع الغلامُ ؛ أي : ارتفع ، فهو يافع ، وغلامٌ يَفَعٌ ؛ أي : مرتفع) .

(٤) قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٥/ ١٨٢) : (قوله : « ويُبِرُّ علىٰ ما عهد من الأثر » =

وكان يذكرُ دروساً يقعُ كلُّ واحدٍ منها في أطباقٍ وأوراق ، لا يتلعثمُ في كلمة ، ولا يحتاجُ إلى استدراكِ عثرةٍ ، مَرّاً فيها كالبرق الخاطف ، بصوتٍ مطابق كالرعدِ القاصف ، يُنزَفُ فيه المبرِّزون ، ولا يُدركُ شأوَهُ المتشدِّقون المتعمِّقون ، وما يوجدُ منه في كتبهِ من العبارات البالغة كُنهَ الفصاحة غيضٌ مِن فيضِ ما كان على لسانه ، وغَرْفةٌ من أمواجِ ما كان يُعهَدُ مِن بيانِهِ

تفقَّه في صباهُ على والدِهِ ركنِ الإسلام ، فكان يُزْهَىٰ بطبعِهِ وتحصيله ، وجودةِ قريحته وكياسةِ غريزته ؛ لما يُرىٰ فيه من المخايل ، فخلفَهُ فيه مِن بعدِ وفاته ، وأتىٰ علىٰ جميعِ مصنَّفاتِهِ فقلَّبَها ظهراً لبطنٍ ، وتصرَّفَ فيها وخرَّج المسائلَ بعضَها علىٰ بعض ، ودرَّسَ سنينَ .

ولم يَرضَ في شبابِهِ بتقليد والدِهِ وأصحابِهِ ، حتىٰ أخذَ في التحقيق ، وجدَّ واجتهدَ في المذهب والخلافِ ومجالسِ النظر ، حتىٰ ظهرَتْ نجابتُهُ ، ولاحَ علىٰ أيّامِهِ همَّةُ أبيه وفراستُهُ ، وسلكَ طريقَ المباحثة ، وجمعَ الطرقَ بالمطالعة والمناظرة والمنافثة ، حتىٰ أربىٰ على المتقدمين ، وأنسىٰ تصرُّفاتِ الأوَّلينَ ، وسعىٰ في دينِ الله سعياً يبقىٰ أثرُهُ إلىٰ يوم الدين .

ومِن ابتداءِ أمرِهِ : أنه لمَّا توفيَ أبوه . . كان سنُّهُ دونَ العشرين أو قريباً منه ، فأُقعدَ مكانَهُ للتدريس ، فكان يقيمُ الرسمَ في درسه ، ويقومُ منه ويخرجُ إلىٰ مدرسة البيهقيِّ ، حتىٰ حصَّلَ الأصول وأصولَ الفقه على الأستاذ الإمام أبي القاسم الإسكافِ الإسفرايينيِّ ، وكان يواظبُ علىٰ مجلسِهِ ، وقد سمعته يقولُ في أثناء كلامه : كنتُ علَّقتُ عليه في الأصول أجزاءً معدودةً ، وطالعتُ في نفسي مئة مجلَّدة .

= أي يزيد ويعلو ، وهو بضم الياءِ آخرِ الحروف ، وأبرَّ فلان علىٰ أصحابه ؛ أي علاهم) .

وكان يصلُ الليلَ بالنهار في التحصيل ، حتىٰ فرغَ منه ، ويُبكِّرُ كلَّ يومٍ ـ قبل الاشتغال بدرسِ نفسِهِ ـ إلىٰ مسجدِ الأستاذ أبي عبد الله الخبازيِّ يقرأُ عليه القرآنَ ، ويقتبسُ مِنْ كلِّ نوعٍ من العلوم ما يمكنُهُ ، مع مواظبته على التدريس ، وينفقُ ما ورثَهُ وما كان له من الدَّخْل علىٰ أُجراءِ المتفقِّهة ، ويجتهدُ في ذلك ، ويواظبُ على المناظرة ، إلىٰ أن ظهرَ التعصُّبُ بين الفريقينِ[1] ، واضطربت الأحوالُ والأمور ، فاضطُرَّ إلى السفرِ والخروجِ عن البلد ، فخرجَ مع المشايخ إلى المعسكر ، وخرجَ إلىٰ بغداد يطوفُ مع المعسكر ، ويلتقي بالأكابر من العلماء ويُدارسُهم ويناظرُهم ، حتىٰ تهذَّبَ في النظرِ وشاعَ ذكرُهُ

ثم خرج إلى الحجاز وجاورَ بمكةَ أربعَ سنين ، يُدرِّس ويفتي ، ويجمعُ طرق المذهب ، ويقبلُ على التحصيل ، إلىٰ أنِ اتَّفقَ رجوعُهُ بعد مضي نوبةِ التعصُّب ، فعادَ إلىٰ نيسابورَ وقد ظهرَ نوبةُ ولاية السلطانِ ألب أرسلان ، وتزيَّنَ وجهُ المُلك بإشارةِ نظامِ المُلك ، واستقرَّتْ أمورُ الفريقين ، وانقطعَ التعصُّبُ ، فعادَ إلى التدريسِ ، وكان بالغاً في العلم نهايتَهُ ، مستجمعاً أسبابَهُ ، فبُنيتِ المدرسةُ الميمونةُ النِّظَاميَّةُ ، وأُقعدَ للتدريس فيها ، واستقامَتْ أمورُ الطلبة ، وبقيَ علىٰ ذلك قريباً من ثلاثينَ سنةً غيرَ مُزَاحَمٍ ولا مُدافعٍ ، مُسلَّمٌ له المحرابُ والمنبرُ والخطابةُ والتدريسُ ومجلسُ التذكير يومَ الجمعة والمناظرةُ ، وهجرَتْ له المجالسُ ، وانغمرَ غيرُهُ من الفقهاء بعلمِهِ وتسلُّطِهِ ، وكسدَتِ الأسواق في جنبِهِ ، ونفقَ سوقُ المحقِّقينَ مِنْ خواصِّهِ وتلامذته ، وظهرَتْ تصانيفُهُ ، وحضرَ درسَهُ الأكابرُ والجمْعُ العظيم من الطلبة .

وكان يقعدُ بين يديه كلَّ يومٍ نحوٌ من ثلاثِ مئة رجلٍ من الأئمَّة ومن الطلبة ، وتخرَّجَ به جماعةٌ من الأئمَّة والفحولِ وأولادِ الصدور ، حتىٰ بلغوا محلَّ

---

(١) يعني : المحنة المشار إليها في الأخبار (١٢٧ـ ١٣٠) .

التدريسِ في زمانه ، وانتظمَ بإقبالِهِ على العلم ومواظبتِهِ على التدريس والمناظرة والمباحثة أسبابٌ ومحافلُ ومجامعُ ، وإمعانٌ في طلب العلم ، وسوقٌ نافقةٌ لأهلِهِ لم تُعهدْ قبله ، واتصلَ به ما يليقُ بمنصبِهِ من القبولِ عند السلطان والوزير والأركان ، ووفورِ الحشمةِ عندهم ؛ بحيث لا يُذكرُ غيرُهُ ، فكان المخاطبَ والمشارَ إليه ، والمقبولُ مَنْ قَبِلَهُ ، والمهجورُ مَنْ هجرَهُ ، والمـُصَدَّرُ في المجالس مَن ينتمي إلىٰ خدمتِهِ ، والمنظورُ إليه مَنْ يغترفُ في الأصولِ والفروعِ من طريقتِهِ .

واتَّفقَ منه تصانيفُ برسْمِ الحضرة النِّظَاميَّةِ ؛ مثلُ « النظامي » ، و« الغياثي »[1] ، وإنفاذُها إلى الحضرة ، ووقوعُها موقعَ القبولِ ، ومقابلتُها بما يليقُ بها مِنَ الشُّكرِ والرضا والخِلَعِ الفائقةِ ، والمراكبِ الثمينة والهدايا والمرسوماتِ[2] ، وكذلكَ كذلكَ[3] ، إلىٰ أن قُلِّدَ زعامةَ الأصحاب ورئاسةَ الطائفة ، وفوِّضَ إليه أمورُ الأوقاف ، وصارَتْ حشمتُهُ وَزَرَ العلماءِ والأئمَّة والقضاة ، وقولُهُ في الفتوىٰ مرجعَ العظماء والأكابرِ والولاة .

واتَّفقَتْ له نهضةٌ في أعلىٰ ما كان من أيَّامِهِ إلىٰ أصبَهانَ ؛ بسببِ مخالفةِ بعضٍ من الأصحاب ، فلقيَ بها من المجلس النِّظَامي ما كان اللائقَ بمنصبِهِ من الاستبشار ، والإعزازِ والإكرامِ بأنواع المبارِّ ، وأُجيبَ بما كان فوقَ مطلوبِهِ ، وعادَ مُكرَّماً إلىٰ نيسابورَ ، وصارَ أكثرُ عنايته مصروفاً إلىٰ تصنيف المذهب الكبير المسمىٰ بـ « نهاية المطلبِ في دِرايةِ المذهبِ » ، حتىٰ حرَّرَهُ وأملاهُ ، وأتىٰ فيه مِنَ البحثِ والتقرير ، والسبك والتنقير ، والتدقيقِ والتحقيق . . بما

---

(١) كتاب « الغياثي » هو المسمَّىٰ بـ « غياث الأمم في التياث الظلم » ، ولعل المراد بـ « النظامي » : « الرسالة النظامية في علم الكلام » ، المشهورة بـ « العقيدة النظامية »

(٢) في (هـ ، ط) : (المثمنة) بدل (الثمينة)

(٣) في (هـ ، د ، ط) : (وكذلك) دون تكرار .

شفى الغليلَ ، وأوضحَ السبيلَ ، ونبَّهَ على قدرِهِ ومحلِّهِ في علم الشريعة ، ودرَّسَ ذلك للخواصِّ مِنَ التلامذة ، وفرغَ منه ومن إتمامِهِ ، فعقدَ مجلساً لتتمَّةِ الكتابِ ، حضرَهُ الأئمَّةُ والكبار ، وخُتِمَ الكتابُ على رسمِ الإملاء والاستملاء ، وتبجَّحَ الجماعةُ بذلك ، ودَعَوا له وأثنَوا عليه ، وكان من المعْتدِّينَ بإتمام ذلك ، الشاكرين لله عليه ، فما صُنِّفَ في الإسلام مثلُهُ قبلَهُ ، ولا اتَّفقَ لأحدٍ ما اتَّفقَ له

ومَنْ قاسَ طريقتَهُ بطريقةِ المتقدِّمينَ في الأصول والفروع وأنصفَ . . أقرَّ بعلوِّ منصبِهِ ، ووفورِ تعبِهِ ونَصَبِهِ في الدِّين ، وكثرةِ سهرِهِ في استنباط الغوامض ، وتحقيقِ المسائل وترتيبِ الدلائل[١]

ولقد قرأتُ[٢] فصلاً ذكرَهُ عليُّ بن الحسن بن أبي الطيِّبِ الباخَرْزيُّ في كتاب « دمية القصر » مشتملاً على حالِهِ ؛ وهو فقد كان في عصرِ الشباب غيرَ مستكملٍ ما عهدناهُ عليه من اتِّساقِ الأسباب ؛ وهو أن قال : « فتى الفِتْيانِ ، ومَنْ أنجبَ به الفَتَيانِ[٣] ، ولم يُخَرِّجْ مثلَهُ المفتيانِ ؛ عنيتُ النعمانَ بن ثابتٍ ، ومحمدَ بن إدريسَ ، فالفقهُ فقهُ الشافعيِّ ، والأدبُ أدبُ الأصمعيِّ ، وحُسنُ بصرِهِ بالوعظ للحسنِ البصريِّ ، وكيفما هو فهو إمامُ كلِّ إمامٍ ، والمستعلي بهمَّتِهِ على كلِّ هُمَامٍ ، والفائزُ بالظَّفَرِ على إرغام كلِّ ضِرْغامٍ ، إذا تصدَّرَ للفقه فالمزنيُّ مِنْ مُزنتِهِ قطرةٌ ، وإذا تكلَّمَ فالأشعريُّ مِنْ وَفرَتِهِ شَعرةٌ ،

---

(١) هنا ينتهي في (ب) الجزء السادس من هـٰذه النسخة المباركة ، وخاتمته : (والحمد لله حق حمده ، آخر الجزء السادس من كتاب التبيين ». . .) ، وأثبتت بعضَ السماعات ، ثم استفتح الجزء السابع بقوله : (بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، وصلى الله على النبي محمد وآله وسلم) .

(٢) لا يزال الكلام للحافظ عبد الغافر الفارسي نقلاً عن « تاريخه » .

(٣) الفتيانِ : الليل والنهار

وإذا خطبَ ألجمَ الفصحاءَ بالعِيِّ شقاشقُهُ الهادرةُ ، ولثَّمَ البلغاءَ بالصمت حقائقُهُ البادرة[١] ، ولولا سَدُّهُ مكانَ أبيه بسُدِّهِ الذي أفرغَ علىٰ قُطرِهِ قِطْرَ تَأَبِّيهِ . . لأصبحَ مذهبُ الحديث حديثاً[٢] ، ولم يجدِ المستغيثُ منهم مغيثاً »)[٣]

قال أبو الحسن[٤] : (هـٰذا وهو وَحَقِّ الحقِّ فوقَ ما ذكرَهُ ، وأعلىٰ ممَّا وصفَهُ ؛ فكمْ مِنْ فضْلٍ مشتملٍ على العباراتِ الفصيحة العالية ، والنكتِ البديعة النادرة في المحافل منه سمعناهُ ! وكم مِن مسائلَ في النظرِ شهدناهُ ، ورأينا منه إفحامَ الخصوم وعهدناه ! وكم مِن مجلسٍ في التذكير للعوامِّ مسلسلِ المسائل ، مشحونٍ بالنُّكَتِ المستنبطةِ مِن مسائلِ الفقه ، مشتملةً علىٰ حقائقِ الأصول ، مُبْكِيةً في التحذير ، مفرحةً في التبشير ، مختومةً بالدعوات وفنونِ المناجاة . . حضرناهُ ! وكم مِن مَجْمَعٍ للتدريس حاوٍ للكبار من الأئمَّة وإلقاءِ المسائل عليهم والمباحثةِ في غورِها . . رأيناه ، وحصَّلنا بعضَ ما أمكننا منه وعلَّقناهُ ، ولم نَقْدُرْ ما كنَّا فيه مِن نضرةِ أيامِهِ ، وزهرةِ شهورِهِ وأعوامِهِ . . حقَّ قدره ، ولم نشكرِ اللهَ تعالىٰ عليه حقَّ شكرِهِ ، حتىٰ فقدناه وسُلبناه !

---

(١) قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٥/ ١٨٣) : (قول الباخرزي في « دمية القصر » « حقائقه البادرة » أي : الحادة ، والبادرةُ : الحدَّة أو البديهة ؛ فإن البادرة تطلق عليهما) .

(٢) قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٥/ ١٨٣) : (قوله : « ولولا سَدُّهُ مكانَ أبيه » سَدُّ : بفتح السين ، وهو مضافٌ إلى الفاعل ، و« مكانَ » مفعوله ، قوله : « بسُدِّهِ » بضم السين ، ويجوز فتحها ؛ أي : بحاجزه ، والسُّدُّ : الجبل والحاجز ، قوله : « أفرغَ علىٰ قُطْرِهِ » القُطْرُ بضم القاف : هو الناحية ، قوله : « قِطْر » بكسر القاف وسكون الطاء ؛ وهو النحاس المذاب ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا ﴾ [الكهف : ٩٦] ، ومذهبُ الحديث مذهبُ الشافعية ، وذلك اصطلاح أهل خراسان ؛ إذا أطلقوا أصحاب الحديث . . يعنون الشافعية) .

(٣) دمية القصر (٢/ ١٠٠٠) .

(٤) يعني : الحافظ عبد الغافر الفارسي نقلاً عن « تاريخه » ، والسياق له .

وسمعتُهُ في أثناء كلامٍ يقول : أنا لا أنامُ ولا آكلُ عادةً ، وإنَّما أنامُ إذا غلبني النومُ ، ليلاً كان أو نهاراً ، وآكلُ إذا اشتهيتُ الطعامَ أيَّ وقتٍ كان

وكان لذَّتُهُ ولهوُهُ وتنزُّهُهُ في مذاكرةِ العلم ، وطلبِ الفائدة مِنْ أيِّ نوعٍ كان ، ولقد سمعتُ الشيخ أبا الحسن عليَّ بن فَضَّال بن علي المجاشِعيَّ النحويَّ القادمَ علينا سنة تسعٍ وستين وأربعِ مئة يقول وقد قبلَهُ الإمام فخرُ الإسلام ، وقابلَهُ بالإكرام ، وأخذَ في قراءة النحو عليه والتلمذة له بعد أن كان إمامَ الأئمَّةِ في وقته ، وكان يحملُهُ كلَّ يوم إلىٰ دارِهِ ، ويقرأُ عليه كتابَ « إكسير الذهب في صناعة الأدب » مِنْ تصنيفه ؛ فكان يحكي يوماً ويقول : ما رأيتُ عاشقاً للعلمِ ـ أيَّ نوعٍ كان ـ مثلَ هٰذا الإمام ؛ فإنَّه يطلبُ العلمَ للعلمِ ، وكان كذلك

ومِن حميدِ سيرتِهِ أنَّهُ ما كان يستصغرُ أحداً ، حتىٰ يسمعَ كلامَهُ شادياً كان أو متناهياً ، فإن أصابَ كياسةً في طبعٍ أو جرياً علىٰ منهاجِ الحقيقة . . استفادَ منه صغيراً كانَ أو كبيراً ، ولا يستنكفُ عن أن يَعزيَ الفائدةَ المستفادة إلىٰ قائلِها ، ويقولَ إنَّ هٰذه الفائدة مما استفدته من فلان ، ولا يحابي أيضاً في التزييفِ إذا لم يرضَ كلاماً ولو كان أباهُ أو أحداً من الأئمَّة المشهورين .

وكان مِنَ التواضع لكلِّ أحدٍ بمحلٍّ يُتخيَّلُ منه الاستهزاءُ لمبالغتِهِ فيه ، ومِنْ رقَّةِ القلب بحيث يبكي إذا سمعَ بيتاً أو تفكَّرَ في نفسِهِ ساعةً ، وإذا شرعَ في حكايةِ الأحوال ، وخاضَ في علومِ الصوفيّة في فصولِ مجالسِهِ بالغدواتِ . . أبكى الحاضرين ببكائِهِ ، وقطرَ الدماء من الجفون بزعقاتِهِ ونَعَراته وإشاراته ؛ لاحتراقِهِ في نفسه ، وتحقُّقِهِ بما يجري مِنْ دقائقِ الأسرار

هٰذه الجملةُ نُبَذٌ ممَّا عهدناهُ منه إلى انتهاءِ أجله ، فأدركَهُ قضاءُ الله الذي لا بدَّ منه ، بعدَ ما مرضَ قبل ذلك مرضَ اليرقان ، وبقيَ فيه أياماً ، ثم برَأَ

منه ، وعادَ إلى الدرسِ والمجلس ، وأظهرَ الناسُ من الخواصِّ والعوامِّ السرورَ بصحَّتِهِ وإقبالِهِ مِن علَّتِهِ ، فبعد ذلك بعهدٍ قريبٍ مرضَ المرضةَ التي تُوفِّيَ منها ، وبقيَ فيها أياماً ، وغلبَتْ عليه الحرارةُ التي كانَتْ تدورُ في طبعِهِ[1] ، إلىٰ أن ضعُفَ وحُملَ إلىٰ بُشْتَنِقانَ[2] ؛ لاعتدالِ الهواء ، وخفَّةِ الماء ، فزادَ الضعفُ ، وبدَتْ مخايلُ الموت ، وتُوفِّيَ ليلةَ الأربعاء بعد صلاةِ العتمة ، الخامس والعشرين من شهر ربيعٍ الآخر ، من سنة ثمانٍ وسبعين وأربعِ مئة

ونُقلَ في الليلة إلى البلدِ ، وقامَ الصياحُ مِنْ كلِّ جانب ، وجزعَ الفِرَقُ عليه جزعاً لم يعهدْ مثلُهُ ، وحُملَ بين الصلاتينِ مِن يوم الأربعاء إلىٰ ميدانِ الحسين ، ولم تفتحِ الأبوابُ في البلد ، ووُضِعَتِ المناديلُ عن الرؤوسِ عاماً[3] ؛ بحيث ما اجترأَ أحدٌ علىٰ سَتْرِ رأسِهِ من الرؤوسِ والكبار ، وصلّىٰ عليه ابنُهُ الإمامُ أبو القاسمِ بعد جَهْدٍ جهيدٍ ، حتىٰ حُمِلَ إلىٰ دارِهِ مِنْ شدَّة الزحمة وقتَ التطفيل ، ودُفنَ في داره ، وبعد سنينَ نُقلَ إلىٰ مقبرةِ الحسين .

وكُسِرَ منبرُهُ في الجامع المنيعيِّ ، وقعدَ الناس للعزاء أياماً عزاءً عامّاً ، وأكثرَ الشعراءُ المراثيَ فيه ، وكان الطلبةُ قريباً من أربعِ مئة نفرٍ يطوفون في البلدِ نائحينَ عليه ، مكسِّرينَ المحابرَ والأقلام ، مبالِغينَ في الصياحِ والجزع[4]

---

(١) في (ط) : (تزور) بدل (تدور) .

(٢) قال الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ١٨٤) : (بشتنقان ـ بضم الباء الموحدة ، والشين المعجمة ، والتاء المثناة ، والنون الساكنة ، والقاف ـ : قريةٌ علىٰ نصف فرسخ من بلد نيسابور) ، ووقع ذلك حاشية في هامش (ج) ، وضبطها ياقوت بكسر النون .

(٣) في (د ، ج) : (علىٰ) بدل (عن) ، وفي (أ): (عامًّا) بالتشديد.

(٤) قال الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٤٧٦) : (قلتُ : هـٰذا كان من زي الأعاجم ، لا من فعل العلماء المتَّبعين) ، وجاء في « تاريخ الإسلام » (٣٢/ ٢٣٩) : (وهـٰذا من فعل الجاهلية والأعاجم ، لا من فعل أهل السنَّة والاتباع) ، قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٥/ ١٨٤) : (وقد حكىٰ شيخنا الذهبيُّ كسرَ المنبر والأقلام =

وكان مولدُهُ ثامنَ عشر المحرَّم ، سنةَ تسعَ عشرةَ وأربعِ مئة ، وتوفي وهو ابنُ تسعٍ وخمسين سنةً رحمَهُ اللهُ

سمعَ الحديثَ الكثير في صباهُ من مشايخَ ؛ مثل الشيخِ أبي حسانَ ، وأبي سعدِ بن عَلِيِّك[1] ، وأبي سعدِ النضروي ، ومنصورِ بن رَامِشْ ، وجمعَ له كتابَ « الأربعين » ، فسمعناهُ منه بقراءتي عليه ، وقد سمعَ « سنن الدارقطني » من أبي سعدِ بن عليك ، وكان يعتمدُ تلك الأحاديثَ في مسائلِ الخلاف ، ويذكرُ الجرحَ والتعديلَ منها في الرواة[2]

= والمحابر ، وأنهم أقاموا على ذلك حولاً ، ثم قال : « وهـٰذا من فعل الجاهلية والأعاجم ، لا من فعل أهل السنة والاتباع » ، قلتُ : وقد حارَ هـٰذا الرجلُ ما الذي يؤذي به هـٰذا الإمام ؟! وهـٰذا لم يفعلْهُ الإمامُ ، ولا أوصىٰ به أن يُفعلَ حتىٰ يكون غضّاً منه ، وإنَّما حكاه الحاكون إظهاراً لعظمةِ الإمام عند أهل عصره ، وأنَّه حصلَ لأهل العلم علىٰ كثرتهم ؛ فقد كانوا نحو أربع مئة تلميذ.. ما لم يتمالكوا معه الصبرَ ، بل أدَّاهم إلىٰ هـٰذا الفعلِ ، ولا يخفىٰ أنَّه لو لم تكن المصيبةُ عندهم بالغةً أقصى الغايات.. لما وقعوا في ذلك ، وفي هـٰذا أوضحُ دَلالة لمَن وفَّقَهُ الله علىٰ حالِ هـٰذا الإمام رضي الله عنه ، وكيف كان شأنُهُ فيما بين أهلِ العلم في ذلك العصر المشحونِ بالعلماء والزهَّاد)

ويحسنُ التنبيهُ هنا أيضاً على الأكذوبةِ المفتراة التي أسندها الحافظُ ابن الجوزي في « المنتظم » (١٦/ ٢٤٦) عن محمد بن علي الهريري أنه قال : دخلتُ عليه في مرضِهِ الذي مات فيه وأسنانُهُ تتناثرُ مِن فيهِ ، ويسقطُ منه الدودُ ، لا يُستطاع شمُّ فيهِ ، فقال : هـٰذا عقوبةُ تعرُّضي بالكلام ، فاحذره !

وهـٰذا ممَّا يُقطع بكذبه مع توافرِ الأخبار المعارضة ومتانة أسانيدها ، والمتحدِّثُ بأمثال هـٰذا صاحبُ هوىً لا تروقُ له طريقة المتكلمين ، وتقريعُهُ واجبٌ ؛ صيانةً لعِرْضِ إمامٍ انعقدَتْ خناصرُ أهل العلم والورع علىٰ جلالته .

(١) كذا ضُبطت في (هـ) ، وفي « تبصير المنتبه » (٣/ ٩٦٦) : (وبكاف قبلها ياء مثقلة ، قيده ابن ناصر وغيره ، وقيَّده بعض الحفاظ باختلاس كسرة اللام وفتح الياء وخفف ، قال ابن نقطة : وهـٰذا عندي أصح) .

(٢) في هـٰذا السياق ردٌّ على الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى الذي قال في إمام الحرمين بأنه لا يدري الحديث ، قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٥/ ١٨٧) : (أما قوله : « كان=

وظنّي أنَّ آثارَ جِدِّهِ واجتهادِهِ في دين الله يدومُ إلىٰ قيام الساعة ، وإنِ انقطعَ نسلُهُ من جهة الذكور ظاهراً . . فنشرُ علمِهِ يقومُ مقامَ كلِّ نسبٍ ، ويغنيه عن كلِّ نَشَبٍ مكتسب[١]

واللهُ تعالىٰ يسقي في كلِّ لحظةٍ جديدةٍ تلك الروضةَ الشريفةَ عزالي رحمتِهِ ، ويزيدُ في ألطافِهِ وكرامته ، بفضلِهِ ومنَّتِهِ ، إنَّه وليُّ كلِّ خير

وممَّا قيلَ عند وفاته [من الوافر]

قُلُوبُ ٱلْعَالَمِينَ عَلَى ٱلْمَقَالِي وَأَيَّامُ ٱلْوَرَىٰ شِبْهُ ٱللَّيَالِي
أَيُثْمِرُ غُصْنُ أَهْلِ ٱلْفَضْلِ يَوْماً وَقَدْ مَاتَ ٱلإِمَامُ أَبُو ٱلْمَعَالِي[٢]

* * *

= لا يدري الحديث » . . فإساءةٌ علىٰ مثل هـٰذا الإمام لا تنبغي ، وقد تقدَّم في كلام عبد الغافر اعتمادُهُ الأحاديثَ في مسائل الخلاف ، وذكره الجرح والتعديل فيها ، وعبدُ الغافر أعرفُ بشيخه من الذهبي ، ومن يكون بهـٰذه المثابةِ كيف يقالُ عنه : لا يدري الحديث ؟! وهبْ أنه زلَّ في حديث أو حديثين أو أكثرَ ؛ فلا يوجبُ ذلك أن يقول : لا يدري الفن) ، ثم ذكر مسألة تصحيحه لحديث الاجتهاد المروي عن سيدنا معاذ بن جبل ، وقد أجاب عن ذلك الإمام ابن السبكي فقال : (وما هـٰذا الحديث وحده ادَّعى الإمام صحته وليس بصحيح ، بل قد ادَّعىٰ ذلك في أحاديث غيره ، ولم يوجب ذلك عندنا الغضَّ منه ، ولا إنزالَهُ عن مرتبته الصاعدة فوق آفاق السماء ، ثم الحديث رواه أبو داود والترمذي ، وهما من دواوين الإسلام ، والفقهاءُ لا يتحاشون من إطلاق لفظ الصحاح عليهما ، لا سيما « سنن أبي داود » ، فليس هـٰذا كبير أمر)

(١) النَّشَب : المال والعقار .

(٢) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ٣٣١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ١٧٤) ، وقد ساقه الإمام ابن السبكي بتمامه ، وقال : (وقد ساقه بكماله الحافظ ابن عساكر في كتاب « التبيين »)

ومنهم :

الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي رحمه الله

متأخِّرُ الوفاة ، أدركنا جماعةً ممَّن أدركه وتفقَّه به[1] ، وكان قد تفقَّهَ عند أبي الفتح سُليم بن أيوبَ الرازيِّ بصُورَ ، ثم رحلَ إلىٰ ديارِ بكرٍ وتفقَّهَ عند أبي عبد الله محمدِ بن بيانٍ الكازَرُونِي الفقيه[2]

وسمعَ الحديث بدمشقَ وغيرها من جماعة ، ودرَّسَ العلمَ ببيت المقدس مدَّةً ، ثم انتقلَ إلىٰ صُورَ ، فأقامَ بها عشرَ سنين ينشرُ العلم بها مع كثرةِ المخالفين له من الرافضة ، ثم انتقلَ منها إلىٰ دمشقَ ، فأقامَ بها تسعَ سنينَ يحدِّثُ ويدرِّس ويفتي ، علىٰ طريقةٍ واحدة مِنَ الزهدِ في الدنيا ، والتنزُّهِ عن الدنايا ، والجرْيِ علىٰ منهاجِ السلف ؛ مِنَ التقشُّف وتجنُّبِ السلاطين ، ورفْضِ الطمع ، والاجتزاءِ باليسير ممَّا يصلُ إليه مِنْ غلَّةِ أرضٍ كانَتْ له بنابُلُسَ ، يأتيه منها ما يقتاتُهُ ، ولا يقبلُ مِنْ أحدٍ شيئاً

٣٢٣ـ سمعتُ مَنْ يحكي : أنَّ تاجَ الدولة تُتُشَ بن ألب أرسلان زارَهُ يوماً ، فلم يقمْ له ، وسأله عن أحلِّ الأموال التي يتصرَّفُ فيها السلطانُ ، فقال الفقيهُ : أحلُّها أموالُ الجزية ، فخرجَ مِنْ عنده ، وأرسلَ إليه بمبلغٍ من المال ، وقال : هٰذا من مالِ الجزية ، ففرقْهُ على الأصحاب ، فلم يقبلْهُ ، وقال : لا حاجةَ بنا إليه ، فلمَّا ذهبَ الرسولُ . لامَهُ الفقيهُ أبو الفتح نصرُ الله بن محمد وقال له : قد علمتَ حاجتَنا إليه ، فلو كنتَ قبلتَهُ وفرَّقتَهُ فينا ! فقال له : لا تجزعْ من فوته ،

---

(١) وبهٰذا الإدراك يلحق الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالىٰ بالطبقة الخامسة من طبقات الأشاعرة.

(٢) وفي « الأنساب » : (بإسكان الزاي) من (الكازروني) .

فسوف يأتيك من الدنيا ما يكفيكَ فيما بعدُ ، فكان كما تفرَّسَ فيه رحمَهُ اللهُ

٣٢٤ـ وسمعتُ بعضَ مَنْ صحبَهُ يقول لو كان الفقيهُ أبو الفتح في السلفِ . لم تقصرْ درجتُهُ عن واحدٍ منهم ؛ لـٰكنَّهم فاتوهُ بالسبق ، وكانَتْ أوقاتُهُ كلُّها مستغرَقةً في عملِ الخير ؛ إمَّا في نشرِ علم ، وإمَّا في إصلاحِ عمل

* وحُكِيَ عن بعضِ أهل العلم أنَّه قال : صحبتُ إمامَ الحرمين أبا المعالي الجُوَينيَّ بخراسانَ ، ثم قدمتُ العراقَ فصحبتُ الشيخ أبا إسحاقَ الشيرازيَّ ، فكانَتْ طريقتُهُ عندي أفضلَ من طريقة أبي المعالي ، ثم قدمْتُ الشامَ ، فرأيتُ الفقيهَ أبا الفتح ، فكانَتْ طريقتُهُ أحسنَ مِنْ طريقتيهما جميعاً[١]

٣٢٥ـ سمعتُ الشيخ الفقيه أبا الفتح نصرَ الله بن محمد بن عبد القويِّ المِصِّيصِيَّ يقول : تُوفِّيَ الفقيه أبو الفتح نصرُ بن إبراهيمَ في يوم الثلاثاء التاسعِ من المحرم ، سنة تسعين وأربع مئة بدمشقَ ، وخرجنا بجنازتِهِ بعد صلاة الظهر ، فلم يمكنَّا دفنُهُ إلىٰ قريبِ المغرب ؛ لأنَّ الناسَ حالوا بيننا وبينه ، وكان الخلْقُ مُتوفراً ، ذكرَ الدمشقيون أنَّهم لم يروا جنازةً مثلَها ، وأقمنا علىٰ قبرِهِ سبعَ ليالٍ ، نقرأُ كلَّ ليلة عشرينَ ختمةً[٢]

* * *

---

(١) ووقع في هامش (هـ) حاشية : (قال الحافظ أبو طاهر السلفي : سألت الحافظ أبا نصر المؤتمن بن أحمد الساجي عن الفقيه نصرٍ النابُلُسي ، فقال : ما رأيت مثله في تحقُّقِهِ في تحين الورع وعمارة الوقت ، والاحتساب في نشر العلم وتأييد الإسلام) .

(٢) انظر « تاريخ دمشق » (٦٢/ ١٥)، وفيه بشأن تاريخ وفاته : (وذكر أبو محمد بن الأكفاني : أنه توفيَ يوم الثلاثاء العاشر، وذكر أبو محمد بن صابر : أنه الحادي عشر ، وذكر أبو عبد الله ابن قُبيس : أنه مات في العشر الثاني من المحرم سنة تسعين ، ودفن بباب الصغير) .
ووقع في هامش (هـ) حاشية : (وقبره بباب الصغير بجنب قبر معاوية وأبي الدرداء ، يكثرُ الناس زيارتَهُ والدعاء عنده ، وسمعنا الشيوخ يقولون : يستجاب الدعاء عنده يوم السبت رضي الله عنه) وهو من كلام الإمام النووي ، وانظر« تهذيب الأسماء واللغات » =

ومنهم :

أبو عبد الله الطبري نزيل مكة رحمه الله

٣٢٦ـ كتب إليَّ الشيخ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيل قال (الحسينُ بن علي ، أبو عبد الله الطبريُّ الإمامُ : نزيلُ مكةَ

تفقَّهَ على الشريف ناصرِ بن الحسين العمريِّ المَرْوَزيِّ بنيسابورَ ، وتخرَّجَ وأقامَ بنيسابورَ مدَّةً ، ثم خرجَ إلىٰ مكةَ ، وجاءنا نعيُهُ سنةَ تسعٍ وتسعين)[1]

وذُكرَ أنَّه تُوفِّيَ في شهر رمضان ، سنة ثمانٍ وتسعين وأربعِ مئة ، وكان يفتي ويدرِّسُ ويروي الحديثَ بمكةَ ، وله بها عَقِبٌ[2]

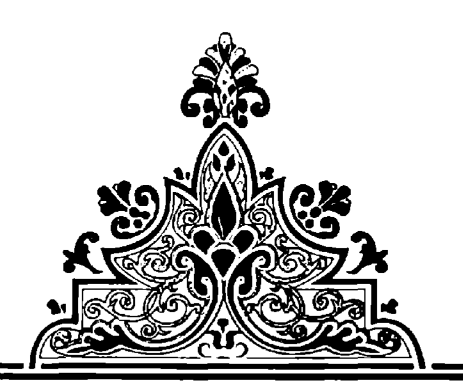
* * *

= (٢/٤٢٦) ، وجاء فيه أيضاً : (وصحبه الغزاليُّ متبرِّكاً به حين قدم الغزاليُّ دمشقَ متزهداً ، وله حكاياتٌ عجيبة في الورع يطول الكتاب بذكرها) .

(١) انظر « المنتخب » (ص ٢٠١) .

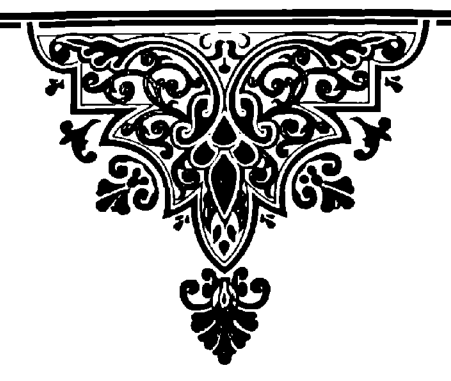
(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٤/ ٢٧٦) ، ونقل فيه عن ابن سكرة أنه قال : هو شافعيٌّ أشعري جليل ، قال : وكان أسندَ من بقيَ في « صحيح مسلم » يعني : بمكةَ ، وقال : جرتْ بينه وبين أبي محمد هياج بن عبيد الشافعي وغيره من الحنابلة ممن يقول من أصحاب الحديث بالحرف والصوت. . خطوبٌ ، وجاء في « مرآة الجنان » (٣/ ١٢٣) : (قال الذهبي : وجرت له فتن وخطوبٌ مع هياج بن عبيد وأهل السنة بمكة ، وكان عارفاً بمذهب الأشعري . انتهىٰ كلامه .

قلتُ : اسمعوا هٰذا الكلامَ العجيب! كيف جعل أهل السنة هم المخالفون لمذهب الأشعريِ؟! وهٰذا ممَّا يدلك على اعتقاده لمذهب الظاهرية الحشوية ، مع دلائل أخرىٰ متفرقة في كتابه) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٣٤٩) ، قال الإمام ابن السبكي : (والأقرب أنه توفيَ سنة خمس وتسعين وأربع مئة ، لا أدري : بمكةَ أم بأصبهانَ)



ذِكْرُ بَعْضِ الْمَشْهُورِينَ مِنَ الطَّبَقَةِ الْخَامِسَةِ

الَّتِي أَدْرَكْتُ بَعْضَهَا بِالْمُعَاصَرَةِ وَبَعْضَهَا بِالرُّؤْيَةِ وَالْمُجَالَسَةِ



فمنهم :

أبو المظفَّر الخَوافيُّ النيسابوريُّ رحمه الله[1]

٣٢٧ـ أخبرَني أبو الحسن بن أبي عبد الله الفارسيُّ في كتابه قال (أحمدُ بنُ محمد بن المظفَّر ، أبو المظفَّرِ الخَوافيُّ الإمامُ المشهور ، أنظرُ أهل عصرِهِ ، وأعرفُهم بطريق الجدلِ في الفقه ، له العبارةُ الرشيقة المهذَّبة ، والتضييقُ في المناظرة على الخصم ، والإرهاقُ إلى الانقطاع

تفقَّهَ على : الشيخ الفقيه أبي إبراهيمَ الضَّريرِ ، وكان مباركَ النفس ، وهـٰذا الإمامُ أحمدُ كيِّسَ الطبعِ[2] ، فتخرَّجَ به بعضَ التخرُّج ، ثم وقعَ بعدَهُ إلىٰ خدمةِ إمام الحرمين وصحبتِهِ ، وبرَعَ عنده حتىٰ صارَ من أوحدِ تلامذتِهِ وأصحابِهِ القدماء ، وكان من جملة منادميهِ بالليالي والأيام ؛ بطولِ صحبتِهِ ، ولاعتدادِ الإمام بمكانه ، وكان معجباً به وبكلامِهِ ، ثم ترفَّعَ عن الإعادةِ في درسه ، فكان يدرِّسُ بنفسِهِ ، وتختلفُ إليه طائفةٌ

تُوفِّيَ بطوسَ سنةَ خمسِ مئة ، وكان حسنَ العقيدة ، وَرِعَ النفس ، ما عُهِدَ منه هناتٌ قطُّ كما عُهِدَ من غيره)[3]

* * *

---

(١) الخوافي : نسبة إلىٰ خواف ، وهي بفتح الخاء المعجمة وآخرها فاء بعد الواو والألف ؛ قريةٌ من أعمال نيسابور . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٦٣) .

(٢) يشبه أن تكون هـٰذه العبارة من ناحية الصنعة النحوية كقوله سبحانه في حكاية قول السيدة سارة : ﴿ وَهَـٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا ﴾ [هود : ٧٢] .

(٣) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ١١٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٦٣) .
وجاء في هامش (هـ) حاشية : (قال الحافظ أبو طاهر السِّلفيُّ رحمه الله : سمعتُ الفقهاء=

وَمِنْهُم :

الإمام أبو الحسن الطبري المعروف بإلكيا رحمه الله (1)

٣٢٨ـ كتبَ إليَّ الشيخ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيل قال (عليُّ بنُ محمد بن علي ، إلْكِيا الهرَّاسي ، أبو الحسن الإمامُ البالغ في النظرِ مبلغَ الفحول

وردَ نيسابورَ في شبابه وقد تفقَّهَ ، وكان حسنَ الوجهِ ، مطابقَ الصوت للنظر ، مليحَ الكلام ، فحصَّلَ طريقةَ إمامِ الحرمين وتخرَّج به فيها ، وصارَ مِن وجوهِ الأصحاب ورؤوسِ المعيدين في الدرس ، وكان ثانيَ الغزاليِّ ، بل أملحَ وأطيبَ في النظر والصوت ، وأبينَ في العبارة والتقرير منه ، وإن كان الغزاليُّ أحدَّ وأصوبَ خاطراً ، وأسرعَ بياناً وعبارةً منه ، وهٰذا كان يعيدُ الدرسَ علىٰ جماعةٍ حتىٰ تخرَّجوا به ، وكان مواظباً على الإفادة والاستفادة ، ثم اتَّصلَ بعد موت إمام الحرمين بمجدِ الملك في زمان بَرْكْيَارُقَ (2) ، وحظيَ عنده ، ثم

= ببغدادَ يقولون : كان أبو المعالي الجُوَيني يقول في تلامذته إذا ناظروا : التحقيقُ للخوافي ، والجريانُ للغزالي ، والبيانُ لإلكيا) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٣٥١) ، وجاء في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٢٠٢) : (الحدسيات) بدل (الجريان) ، وفيه (٦/ ١٩٦) : (كان إمام الحرمين يصفُ تلامذته فيقولُ : الغزالي بحرٌ مغدق ، وإلكيا أسدٌ مخرِّق ، والخوافي نارٌ تحرق) ، وانظر الخبر المتقدم برقم (٢٧٠)

(١) إلكيا : لفظة فارسية ، وهو الكبير القدر المقدَّم . انظر « تاريخ الإسلام » (٣٥/ ٩٢) .

(٢) كذا رسمت في النسخ ، وعند ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (١/ ٢٦٨) بزيادة واو : (بركياروق) ناصّاً عليها ، وكذا في عامّة كتب الترجمات .

خرجَ إلى العراق ، فأقامَ مدَّةً يُدرِّسُ ببغداد في المدرسة النِّظَامِيَّة إلىٰ أن تُوفِّيَ فيها)[1]

٣٢٩ـ وذكر شيخُنا الشيخُ أبو محمد بن الأكفانيِّ ولم أسمعْهُ منه قال (تُوفِّيَ الإمام شمسُ الإسلام ، أبو الحسن عليُّ بن محمد الطبريُّ الشافعيُّ المعروف بإِلْكِيا الهرَّاسِ . بغداد ، يومَ الخميس مستهلَّ المحرَّم ، سنةَ أربعٍ وخمسِ مئة)

٣٣٠ـ سمعتُ الشيخَ أبا الفضل محمدَ بن محمد بن محمد بن عطاف المَوْصليَّ الفقيهَ ببغداد يقول : شهدتُ دفنَ إِلْكِيا رحمَهُ اللهُ في تربةِ الشيخ أبي إسحاقَ الشيرازيِّ رحمَهُ اللهُ ، وحضرَ دفنَهُ الشريفُ أبو طالب الزينبيُّ ، وقاضي القضاة أبو الحسنِ بنُ الدَّامَغانِيِّ ، وكانا مقدَّمَي أصحابِ أبي حنيفة رحمَهُ اللهُ ، وكان بينه وبينهما منافسةٌ في حال حياتِهِ ، فوقف أحدُهما عند رأسِ قبره ، والآخرُ عند رجليه ، فقال ابنُ الدَّامَغانِيِّ متمثِّلاً[2] [من الوافر]

وَمَـا تُغْنِـي ٱلنَّـوَادِبُ وَٱلْبَـوَاكِـي ... وَقَدْ أَصْبَحْتَ مِثْلَ حَدِيثِ أَمْسِ

وأنشدَ الزينبيُّ متمثِّلاً[3] : [من الكامل]

عَقِـمَ ٱلنِّسَـاءُ فَمَـا يَلِـدْنَ شَبِيهَـهُ ... إِنَّ ٱلنِّسَـــاءَ بِمِثْلِـــهِ عُقْـــمُ

٣٣١ـ أنشدَنا الشيخُ أبو الحجَّاجِ يوسفُ بن عبد العزيز بن علي اللَّخْميُّ المَيُورْقيُّ الأندلسيُّ الفقيه المالكيُّ بدمشقَ قال : أنشدنا أبو محمد المَرَنْديُّ

---

(١) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ٣٩٦) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٣١) .

(٢) البيت لعمرو بن معدي كرب ضمن أبيات رواها المصنف ضمن خبر في « تاريخ دمشق » (٤٦/ ٤٩٦) .

(٣) البيت لأبي دهبل الجمحي ضمن أبيات كما في « عيون الأخبار » (١/ ٢٧٨) .

الخطيبُ يرثي الإمامَ السعيدَ شمسَ الإسلام علمَ الهدىٰ أبا الحسنِ عليَّ بن محمد الطبريَّ رحمَهُ اللهُ : [من الكامل]

قِـفْ بِـٱلـدِّيَـارِ مُسَـائِـلاً أَطْـلاَلَهَـا ... مُسْتَعْلِمـاً عَـنْ رَسْمِهَـا أَحْـوَالَهَـا
إِنْ كَـانَ تَعْلَـمُ مَـا يَقُـولُ مَعَـاهِـدٌ ... دَرَسَتْ وَخَيَّمَتِ ٱلْخُطُوبُ خِلاَلَهَا
وَعَفَـا مَعَـارِفَهَـا وَغَيَّـرَ رَسْمَهَـا ... رِيـحٌ تَجُـرُّ عَلَـى ٱلثَّـرَىٰ أَذْيَـالَهَـا
طَـوْراً وَطَـوْراً عَـارِضٌ مُتَهَلِّـلٌ ... كَمَـدَامِعِـي لَمَّـا رَأَتْ تَـرْحَـالَهَـا
مَـا لِلْمَنَـازِلِ لَا تُكَلِّـمُ دَاعِيـاً ... مَـا حَـالُهَـا مَـاذَا عَـرَاهَـا مَـا لَهَـا
أَتُـرَىٰ لِفَقْـدِ إِمَـامِنَـا عَلَـمِ ٱلْهُـدَىٰ ... صَمَّـتْ فَمَـا إِنْ جَـاوَبَـتْ سُؤَّالَهَـا
يَـا لِلْمَكَـارِمِ وَٱلْفَضَـائِـلِ بَعْـدَهُ ... يَـا لِلْعُلُـومِ وَلِلشَّـرَائِـعِ يَـا لَهَـا
يَـا لِلْمَحَـاسِنِ وَٱلْمَحَـاضِرِ وَٱلنَّدَىٰ ... سَلَـبَ ٱلْمَنَـايَـا شَمْسَهَـا وَجَمَـالَهَـا
رُفِعَـتْ بِـهِ رَايَـاتُ دِيـنِ مُحَمَّـدٍ ... فَـٱلآنَ صَـرْفُ ٱلْحَـادِثَـاتِ أَمَـالَهَـا
بُلُّـوا ٱلْخُـدُودَ بِـأَدْمُـعٍ مُنْهَلَّـةٍ ... إِنَّ ٱلـرَّزِيَّـةَ أَفْجَعَـتْ عُـذَّالَهَـا
يَـا مِحْنَـةً صَـدَعَ ٱلْقُلُـوبَ هُجُـومُهَـا ... وَٱسْتَنْـزَلَـتْ مِـنْ عُلْـوِهَـا آجَـالَهَـا
وَمُصِيبَـةً جَلَّـتْ وَعَـمَّ وُقُـوعُهَـا ... زُمَـرَ ٱلأَنَـامِ نِسَـاءَهَـا وَرِجَـالَهَـا
دُكَّتْ لِمَصْرَعِهِ ٱلْجِبَالُ وَزُعْزِعَتْ ... وَٱلأَرْضُ مِنْـهُ زُلْـزِلَـتْ زِلْـزَالَهَـا
لَهَفِي عَلَى ٱلإِسْلاَمِ غَابَتْ شَمْسُهُ ... بَعْـدَ ٱلشُّـرُوقِ فَـوَاصَلَـتْ آصَـالَهَـا
أَيْـنَ ٱلَّـذِي سَـادَ ٱلْبَـرِيَّـةَ كُلَّهَـا ... وَهَـدَىٰ إِلَـىٰ سُبُـلِ ٱلْهُـدَىٰ ضُـلاَّلَهَـا
نَصَرَ ٱلشَّرِيعَةَ بَعْدَ مَا نَشَرَ ٱلْوَرَىٰ ... لِلْمُنْكَـرَاتِ عَلَـى ٱلْبَسِيـطِ ظِـلاَلَهَـا
فَـٱلْيَـوْمَ تَبْلَـىٰ فِـي ٱلتُّـرَابِ مَحَـاسِـنٌ ... لَـمْ تُلْـفِ فِـي كُـلِّ ٱلْـوَرَىٰ أَمْثَـالَهَـا
وَشَمَـائِـلٌ رَقَّـتْ فَحَـاكَـتْ رِقَّـةً ... قَطْرَ ٱلسَّحَائِبِ مَازَجَتْ جِرْيَالَهَا
إِنِّـي لأَعْجَـبُ كَيْـفَ وَارَتْ تُـرْبَـةٌ ... بَحْـراً وَلَـمْ يَغْـرَقْ بِـهِ مَـنْ هَـالَهَـا
أَمْ كَيْفَ يُدْفَنُ فِي ٱلثَّرَىٰ شَمْسُ ٱلضُّحَىٰ ... وَٱلشَّمْـسُ يُحْـرِقُ حَـرُّهَـا مَـنْ نَـالَهَـا

مَـاذَا يُقَـالُ لِمَعْشَـرٍ هَجَـرُوا ٱلْكَـرَىٰ ... وَتَجَاوَزُوا عُفْرَ ٱلزُّبَىٰ وَرِمَالَهَا[1]
وَتَحَقَّقَـتْ نَيْـلَ ٱلـرَّجَـاءِ نُفُـوسُهُـمْ ... فَـأَبَـى ٱلـزَّمَـانُ مُخَيِّبـاً آمَـالَهَـا
مَـنْ مُبْلِـغٌ عَنَّـا إِلَيْـهِ تَحِيَّـةً ... تَبْقَىٰ فَلاَ يَخْشَى ٱلزَّمَانُ زِيَالَهَا[2]
وَمُخَبِّـرٌ أَنَّ ٱلنُّفُـوسَ بِـأَسْـرِهَـا ... شَـوْقـاً إِلَيْـهِ تَشْتَهِـي آجَـالَهَـا
نَقْضِـي بِـأَوْرَادِ ٱلـدُّعَـاءِ حُقُـوقَـهُ ... مَـا قَـابَلَـتْ رِيحُ ٱلْجَنُوبِ شَمَـالَهَـا
وَنُعَـوِّدُ ٱلصَّبْـرَ ٱلْجَمِيـلَ نُفُـوسَنَـا ... إِنَّ ٱلـرِّضَـا بِقَضَـائِـهِ أَوْلَـىٰ لَهَـا[3]

* *

---

(١) الزُّبَى : جمع زُبْية ؛ وهي الرابية لا يعلوها الماء ، ومن ذلك قولهم : بلغ السيل الزُّبَى .

(٢) الزِّيال : المفارقة ، مصدر زايل .

(٣) جاءت حاشية في هامش (هـ) هي للحافظ ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (٢/ ٦٤٣) ، قال : (عليُّ بن محمد بن علي ، القاضي أبو الحسن الطبري الآمليُّ من أهل آمل طبرستان ، قال أبو سعد السمعاني : كان إماماً فاضلاً ، وحدَّثَ ، سمع ببلده عبد الله بن جعفر الخبازي الحافظ ، وببغدادَ أبا الغنائم ابن المأمون ، وأبا جعفر ابن المسلمة ، وابن النَّقُور ، ومن الغرباء : أبا يعلى الخليلي القزويني ، وطبقتهم ، روىٰ عنه ابن أخته أبو جعفر محمدُ بن الحسين بن أميركا القاضي بطبرستان
وقد اشترك أبو الحسن هـٰذا وإلكيا الإمامُ : في الاسم ، والكنية ، واسم الأب ، والجدِّ ، والطبريَّة ، وهو أسنُّ من إلْكِيَا ؛ فإنَّه سمع من إملاء الحافظ الخبازي سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة ، ومولد إلْكِيا سنة خمسين ، ولأبي الحسن هـٰذا شعرٌ في رثاء إمام الحرمين ، وهو من نظرائه) .

وَمِنهُم :

الإمامُ أبو حامدٍ الطُّوسيُّ الغزاليُّ رحمه الله [1]

٣٣٢ـ أخبرَنا الشيخ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيلَ الفارسيُّ في كتابه قال (محمدُ بنُ محمد بن محمد ، أبو حامدٍ الغزاليُّ حُجَّةُ الإسلام والمسلمين ، إمامُ أئمَّة الدِّين

مَن لم ترَ العيونُ مثلَهُ لساناً وبياناً ونطقاً ، وخاطراً وذكاءً وطبعاً ، شدا طَرَفاً في صباهُ بطوسَ مِنَ الفقه على الإمام أحمدَ الرَّاذَكانيِّ[2] ، ثم قدمَ نيسابورَ مختلفاً إلىٰ درسِ إمام الحرمين في طائفة مِنَ الشُّبَّان مِنْ طوسَ ، وجدَّ واجتهد حتىٰ تخرَّجَ عن مدَّةٍ قريبة ، وبزَّ الأقرانَ ، وحَمَلَ القرآن ، وصارَ أنظرَ أهل زمانه ، وواحدَ أقرانِهِ في أيام إمام الحرمين

وكان الطلبةُ يستفيدون منه ، ويُدَرِّسُ لهم ويرشدُهم ، ويجتهدُ في نفسه ، وبلغَ الأمرُ به إلىٰ أن أخذَ في التصنيف ، وكان الإمامُ مع علوِّ درجتِهِ وسموِّ عبارته وسرعةِ جَرْيِهِ في النطق والكلامِ . . لا يصفي نظرَهُ إلى الغزاليِّ سرّاً[3] ؛ لإنافتِهِ عليه في سرعةِ العبارة وقوَّة الطبع ، ولا يطيبُ له تصدِّيهِ للتصانيفِ وإن

---

(١) وقد نقل العلامة الفيومي في « المصباح المنير » (غ ز ل) عن بعض أسباط حجة الإسلام أنه قال له : (أخطأ الناس في تثقيل اسم جدِّنا ، وإنَّما هو مخفَّفٌ ؛ نسبة إلىٰ غَزالةَ) وهي قرية من قرىٰ طوس .

(٢) يقال : شدا من العلم ؛ إذا أخذ طرفاً منه فأحسنه ، وفي (هـ ، ط) : (شذا) ، والصواب المثبت .

(٣) في (ط) : (يُصْغِي) بدل (يصفي) ، ومحتملة في (ب) ، ولكلٍّ توجيهٌ وجيه ، و(سرّاً) في (ط) وحدها : (ستراً) .

كان متخرِّجاً به منتسباً إليه ، كما لا يخفىٰ من طبعِ البشر ، ولـٰكنه يظهرُ التبجُّحَ به والاعتدادَ بمكانِهِ ظاهراً ، خلافَ ما يضمرُهُ[١]

ثم بقيَ كذلك إلى انقضاءِ أيام الإمام ، فخرجَ من نيسابورَ ، وصارَ إلى المعسكر[٢] ، واحتلَّ مِن مجلس نِظام المُلك محلَّ القبولِ ، وأقبل عليه الصاحبُ لعلوِّ درجتِهِ وظهورِ اسمه ، وحسنِ مناظرتِهِ وجَرْيِ عبارته ، وكانَتْ تلك الحضرةُ محطَّ رِحالِ العلماءِ ، ومقصدَ الأئمَّة والفصحاء ، **فوقعَتْ للغزاليِّ اتفاقاتٌ حسنةٌ مِنَ الاحتكاكِ بالأئمَّة ، وملاقاةِ الخصوم اللُّدِّ** ، **ومناظرةِ الفحول، ومناقرةِ الكبار** ، فظهرَ اسمُهُ في الآفاق ، وارتفقَ بذلك أكملَ الارتفاق ، حتىٰ أدَّتِ الحالُ به إلىٰ أن رُسِمَ للمصيرِ إلىٰ بغداد ؛ للقيامِ بتدريس المدرسة الميمونةِ النِّظَامية بها ، فصارَ إليها ، وأُعجبَ الكلُّ بتدريسِهِ ومناظرتِهِ ، وما لقيَ مثلَ نفسِهِ ، وصارَ بعدَ إمامةِ خراسانَ إمامَ العراق

ثم نظرَ في علمِ الأصول وكانَ قد أحكمَها ، فصنَّفَ فيه تصانيفَ ، **وجدَّدَ المذهبَ في الفقه** ، **فصنَّفَ فيه تصانيفَ** ، وسبَكَ الخلافَ ، فحرَّرَ فيه أيضاً تصانيفَ ، وعلَتْ حشمتُهُ ودرجتُهُ في بغداد ، حتىٰ كانَتْ تغلبُ حشمةَ الأكابر والأمراءِ ودارِ الخلافة[٣] ، فانقلبَ الأمرُ مِن وجهٍ آخرَ ؛ **وظهرَ عليه بعدُ مطالعةٌ للعلومِ الدقيقة ، وممارسةٌ للكتبِ المصنَّفةِ فيها**[٤] ، وسلكَ طريقَ التزهُّدِ

---

(١) والحافظ عبد الغافر ممَّن اجتمعَ بهما ، وقد لازم إمام الحرمين مدة أربع سنوات كما في « وفيات الأعيان » (٣/ ٢٢٥) ، فلعلَّه لَحظَ هـٰذا منه ، وقد أحالَ ذلك علىٰ طبع البشر ، والله تعالىٰ يتولَّى السرائر

(٢) قريباً من نيسابور

(٣) كذا في (هـ ، ط) ، وفي سائر النسخ : (حتىٰ كان يغلبُ حشمةَ الأكابر . . .)

(٤) ذكر في « المنقذ » أنه طالع كتب الحارث المحاسبي ، و« قوت القلوب » لأبي طالب المكي ، والمأثور عن أبي القاسم الجنيد والشبلي والبسطامي رحمهم الله تعالىٰ .

والتألُّه ، وترْكِ الحشمةِ ، وطرْحِ ما نالَ مِنَ الدرجة ، والاشتغالِ بأسبابِ التقوىٰ وزادِ الآخرة ، فخرجَ عمَّا كان فيه ، وقصدَ بيتَ الله تعالىٰ وحجَّ ، ثم دخلَ الشام ، وأقامَ في تلك الديارِ قريباً مِنْ عشْرِ سنينَ يطوفُ ويزورُ المشاهدَ المعظَّمة

وأخذَ في التصانيفِ المشهورة التي لم يُسبَق إليها ؛ مثلِ « إحياء علوم الدين » ، والكتب المختصرة منها ؛ مثلِ « الأربعين »[1] ، وغيرِها مِنَ الرسائلِ التي مَنْ تأمَّلَها . . علمَ محلَّ الرجلِ من فنون العلم

وأخذَ في مجاهدةِ النفس ، وتغييرِ الأخلاق ، وتحسينِ الشمائل ، وتهذيبِ المعاش ؛ فانقلبَ شيطانُ الرُّعونةِ ، وطلبُ الرئاسة والجاه ، والتخلُّقُ بالأخلاق الذميمةِ . . إلىٰ سكونِ النفس ، وكرمِ الأخلاق ، والفراغِ عن الرسوم والتزييناتِ[2] ، والتزيّي بزيِّ الصالحين ، وقصرِ الأمل ، ووقفِ الأوقاتِ علىٰ هداية الخلْقِ ، ودعائِهم إلىٰ ما يعنيهم مِنْ أمرِ الآخرة ، وتبغيضِ الدنيا والاشتغالِ بها على السالكين[3] ، والاستعدادِ للرحيلِ إلى الدار الباقيةِ ، والانقيادِ لكلِّ مَن يتوسَّمُ فيه أو يشَمُّ منه رائحةَ المعرفةِ ، والتيقُّظ لشيءٍ من أنوارِ المشاهدة ، حتىٰ مَرَنَ علىٰ ذلك ولانَ

ثم عادَ إلىٰ وطنِهِ ، لازماً بيتَهُ ، مشتغلاً بالتفكُّر ، ملازماً للوقتِ ، مقصوداً نفيساً ، وذُخراً للقلوبِ ولكلِّ مَن يقصِدُهُ ويدخلُ عليه ، إلىٰ أن أتىٰ علىٰ ذلك مدَّةٌ ، وظهرَتِ التصانيفُ ، وفشَتِ الكتبُ .

---

(١) وهو أعظمُ مختصرٍ لكتابه « إحياء علوم الدين » ، حذف منه كتاب العلم وما لا تعظم الحاجةُ إليه ، ثم أعاد ترتيب كتبه علىٰ أبواب ، وفي « الأربعين » بعضُ الاختيارات العقدية التي تنمُّ عن طورٍ معرفيٍّ لا يُرىٰ فيما قبله من الكتب .

(٢) في (هـ) : (الترتيبات) .

(٣) في هامش (هـ) : (لعله : تنغيص) يعني : بدل (تبغيض) .

ولم تبدُ في أيامه مناقضةٌ لما كان فيه ، ولا اعتراضٌ لأحدٍ على ما آثرَهُ ، حتى انتهَتْ نوبةُ الوزارة إلى الأجلِّ فخرِ الملك جمالِ الشهداءِ تغمَّدَهُ الله برحمتِهِ ، وتزيَّنَتْ خراسانُ بحشمتِهِ ودولته ، وقد سمعَ وتحقَّقَ بمكان الغزاليِّ ودرجتِهِ ، وكمالِ فضلِهِ وحالته ، وصفاءِ عقيدتِهِ ، ونقاءِ سيرته ، فتبرَّكَ به ، وحضرَهُ وسمعَ كلامَهُ ، فاستدعىٰ منه ألاَّ يُبقيَ أنفاسَهُ وفوائده عقيمةً لا استفادةَ منها ، ولا اقتباسَ من أنوارها ، وألحَّ عليه كلَّ الإلحاح ، وتشدَّدَ في الاقتراحِ ، إلىٰ أن أجابَ إلى الخروجِ ، وحُملَ إلىٰ نيسابورَ .

وكان الليثُ غائباً عن عرينِهِ ، والأمرُ خافياً في مستورِ قضاء الله ومكنونِهِ ، فأُشيرَ عليه بالتدريس في المدرسة الميمونة النِّظَاميَّةِ عمرَهَا الله ، فلم يجدْ بُدّاً من الإذعان للولاةِ ، ونوىٰ بإظهار ما اشتغلَ به هدايةَ الشُّداة ، وإفادةَ القاصدينَ ، دون الرجوعِ إلىٰ ما انخلعَ عنه ، وتحرَّرَ عن رقِّهِ ؛ مِنْ طلبِ الجاه ، ومماراةِ الأقران ، ومكابرة المعاندين ، وكم قُرِعَ عصاهُ بالخلافِ والوقوعِ فيه[١] ، والطعنِ فيما يذرُهُ ويأتيه ، والسعايةِ به والتشنيعِ عليه ! فما تأثَّرَ به ، ولا اشتغلَ بجواب الطاعنين ، ولا أظهرَ استيحاشاً بغَمِيزَةِ المخلِّطين[٢] .

ولقد زرتُهُ مراراً ، وما كنتُ أَحْدِسُ في نفسي[٣] ـ مع ما عهدتُهُ في سالفِ الزمان عليه مِنَ الزَّعارَّةِ وإيحاش الناس[٤] ، والنظرِ إليهم بعينِ الازدراء والاستخفاف بهم كبراً وخُيلاءَ ؛ واغتراراً بما رُزقَ مِنَ البسطةِ في النُّطْقِ والخاطر والعبارة ، وطلبِ الجاه والعلوِّ في المنزلة ـ أنَّهُ صارَ على الضدِّ ، وتصفَّىٰ عن

---

(١) كذا ضُبط الفعل (قُرِعَ) بالبناء للمفعول في (ب ، هـ) .

(٢) الغميزة : المَطعن ، والعيب ، والضعف في العمل .

(٣) يقال : فلان يحدِس ـ بكسر الدال وتضم ـ إذا قال بالظن والتوهُّم .

(٤) الزعارة ـ بتشديد الراء وتخفف ـ : الشراسةُ وسوء الخلق .

تلك الكدورات ، وكنتُ أظنُّ أنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بجلبابِ التكلُّفِ ، متنمِّسٌ بما صارَ إليه[1] ، فتحقَّقْتُ بعد السبرِ والتنقيرِ أنَّ الأمرَ علىٰ خلاف المظنون ، وأنَّ الرجل أفاقَ بعد الجنون

وحكىٰ لنا في ليالٍ كيفيةَ أحوالِهِ ؛ من ابتداءِ ما ظهرَ له سلوكُ طريقِ التألُّه ، وغلَبَةِ الحالِ عليه[2] ، بعد تبحُّرِهِ في العلوم ، واستطالتِهِ على الكلِّ بكلامِهِ ، والاستعدادِ الذي خصَّهُ الله به ؛ في تحصيلِ أنواع العلوم ، وتمكُّنِهِ من البحثِ والنظر ، حتىٰ تبرَّمَ مِنَ الاشتغال بالعلوم العريَّةِ عن المعاملة ، وتفكَّرَ في العاقبةِ وما يجدي وينفعُ في الآخرة

فابتدأَ بصحبةِ الفَارْمَذيِّ[3] ، وأخذَ منه استفتاحَ الطريقةِ ، وامتثلَ ما كان يشيرُ به عليه مِنَ القيامِ بوظائفِ العبادات ، والإمعانِ في النوافل ، واستدامةِ الأذكار ، والجدِّ والاجتهاد ؛ طلباً للنجاة ، إلىٰ أن جازَ تلك العِقاب[4] ، وتكلَّفَ تلك المشاقَّ ، وما تحصَّلَ علىٰ ما كان يطلبُهُ مِنْ مقصوده .

ثمَّ حكىٰ أنَّهُ راجعَ العلومَ ، وخاضَ في الفنون ، وعاودَ الجدَّ والاجتهاد في كتبِ العلوم الدقيقة ، والتقىٰ بأربابِها ، حتى انفتحَ له أبوابُها ، وبقيَ مدَّةً في الوقائعِ وتكافؤِ الأدلَّة وأطرافِ المسائل

ثمَّ حكىٰ أنَّه فُتِحَ عليه بابٌ من الخوف ؛ بحيث شغلَهُ عن كلِّ شيءٍ ،

---

(١) المتنمِّس : المُلَبِّس أمره على الناس ؛ إذ التنميسُ التلبيسُ .

(٢) في (هـ ، ط) : (وغلبَتِ الحالُ . . .)

(٣) جاء في هامش (هـ) حاشية : (قال أبو سعد السمعاني في كتاب « الأنساب » [١٠/ ١٢٤] : الفارْمَذي : نسبة إلىٰ فارْمَذ ؛ قريةٍ من قرىٰ طوسَ ، ينسب إليها الشيخ الزاهدُ أبو عليٍّ الفضلُ بن محمد بن علي ، لسانُ خراسان وشيخُها ، صاحبُ الطريقة والحقيقةِ فيها) ، وقد ذكر شيخه الفارمذي في « إحيائه » و« المقصد الأسنىٰ » ، ودون تصريح باسمه في « ميزان العمل »

(٤) العِقاب : جمع عقبة ، كما تجمع على عقبات .

وحملَهُ على الإعراض عمَّا سواه ، حتىٰ سهلَ ذلك ، وهـٰكذا هـٰكذا إلىٰ أنِ ارتاضَ كلَّ الرياضة ، وظهرَتْ له الحقائقُ ، وصارَ ما كنَّا نظنُّ به نامُوساً وتَخَلُّقاً ، طبعاً وتحقُّقاً ، وأنَّ ذلك أثرُ السعادةِ المقدَّرةِ له من الله تعالىٰ

ثمَّ سألناهُ عن كيفية رغبتِهِ في الخروج مِنْ بيتِهِ ، والرجوعِ إلىٰ ما دُعيَ إليه مِنْ أمرِ نيسابورَ[١] ؛ فقال معتذراً عنه ما كنتُ أجوِّزُ في ديني أن أقفَ عن الدعوةِ ، ومنفعةِ الطالبينَ بالإفادة ، وقد حُقَّ عليَّ أن أبوحَ بالحقِّ وأنطقَ به وأدعوَ إليه

وكان صادقاً في ذلك ، ثمَّ تركَ ذلك قبلَ أن يُتركَ ، وعادَ إلىٰ بيتِهِ ، واتخذَ في جواره مدرسةً لطلبةِ العلم ، وخانَقاه للصوفيةِ[٢] ، وكان قد وزَّعَ أوقاتَهُ علىٰ وظائفِ الحاضرين ؛ مِنْ ختْمِ القرآن ، ومجالسةِ أهل القلوب ، والقعود للتدريس ؛ بحيث لا تخلو لحظةٌ مِنْ لحظاتِهِ ولحظاتِ مَن معه عن فائدةٍ ، إلىٰ أن أصابَهُ عينُ الزمان ، وضَنَّ الأيامُ به علىٰ أهل عصرِهِ ، فنقلَهُ الله إلىٰ كريمِ جوارِهِ ، بعد مقاساةِ أنواعٍ من القصد ، والمناوأةِ من الخصوم ، والسعْيِ به إلى الملوك ، وكفايةِ الله تعالىٰ وحفظِهِ وصيانتِهِ عن أن تنوشَهُ أيدي النكباتِ ، أو ينهتكَ سترُ دينِهِ بشيء من الزلاَّت .

وكانَتْ خاتمةُ أمرِهِ[٣] إقبالَهُ علىٰ حديثِ المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، ومجالسةَ أهله ، ومطالعةَ « الصحيحين » البخاريِّ ومسلمٍ ، اللذين هما حُجَّةُ الإسلام[٤] ، ولو عاشَ لسبقَ الكلَّ في ذلك الفنِّ بيسيرٍ من الأيام

---

(١) يشبهُ أن يكون هـٰذا السؤال سببَ تأليفه « المنقذ من الضلال » ، كما صرَّح في فاتحته .

(٢) الخانَقاه ـ بفتح النون ـ : بقعة يسكنها أهل الصلاح والخير والصوفية ، معرب : فانه كاه ، والهاء في آخره ساكنة ؛ لأنها أعجمية كما سبق التنبيه إليه .

(٣) في (ب) : (عاقبة) بدل (خاتمة) .

(٤) أما الخبر الذي يُروىٰ بأنه مات و« صحيح البخاري » علىٰ صدره . . فمفترىً لا يعرفُ له =

يستفرغُهُ في تحصيله ، ولا شكَّ أنَّه سمعَ الأحاديثَ في الأيام الماضية[1] ، واشتغلَ في آخر عمرِهِ بسماعها ، ولم تتفقْ له الرواية ، ولا ضررَ ، فما خَلَّفَهُ من الكتب المصنَّفة في الأصول والفروع وسائرِ الأنواع . يُخلِّدُ ذكرَهُ ، ويقرِّرُ عند المطالعين المنصفينَ المستفيدين منها أنَّهُ لم يخلِّفْ مثلَهُ بعدَهُ

ومضىٰ إلىٰ رحمةِ الله تعالىٰ يومَ الاثنين ، الرابعَ عشرَ مِنْ جُمادى الآخرة ، سنةَ خمسٍ وخمسِ مئة ، ودُفنَ بظاهر قصبةِ طابران ، واللهُ تعالىٰ يخصُّه بأنواع الكرامة في آخرتِهِ ، كما خصَّه بفنونِ العلم في دنياه بمنِّهِ ، ولم يعقبْ إلا البناتِ[2] ، وكان له مِنَ الأسباب إرثاً وكسباً ما يقومُ بكفايتِهِ ، ونفقةِ أهله وأولادِهِ ، فما كان يباسطُ أحداً في الأمور الدنيوية ، وقد عُرضَتْ عليه أموالٌ فما قبلَها ، وأعرضَ عنها ، واكتفىٰ بالقدْرِ الذي يصونُ به دينَهُ ، ولا يحتاجُ معه إلى التعرُّضِ لسؤالٍ ومنالٍ مِنْ غيره)[3]

٣٣٣ـ سمعتُ الشيخَ الإمامَ الفقيه أبا القاسم سعدَ بن علي بن أبي القاسم

= إسنادٌ أو حكايةٌ في كتاب يعوِّلُ عليه ، وقد روى الحافظ ابن الجوزي في « الثبات عند الممات » (ص ١٧٨) عن أخي حجة الإسلام الإمام أحمد الغزالي أنه قال : (لمَّا كان يوم الاثنين وقتَ الصبح . . توضأ أخي أبو حامدٍ وصلَّىٰ ، وقال : عليَّ بالكفن ، فأخذَهُ وقبَّلَه ، وتركَهُ علىٰ عينيه ، وقال : سمعاً وطاعةً للدخول على الملك ، ثم مدَّ رجليه واستقبلَ القبلةَ ، وماتَ قبل الإسفار) .

(١) فقد ثبت سماعه لـ « صحيح البخاري » روايةً من أبي سهل الحفصي وكان قد سمعه من الكشميهني ، كما قرأ « الصحيح » بطوس علىٰ أبي الفتيان الرؤاسي ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٣٣٤) ، و« تذكرة الحفاظ » (٤/ ١٢٣٩) ، وانظر سماعه لـ « سنن أبي داود » عن الحاكم أبي الفتح الحاكمي الطوسي ، وكتاب « مولد النبي صلى الله عليه وسلم » لابن أبي عاصم في « المنتخب من كتاب السياق » (ص ٧٤) وما بعدها

(٢) منهن ستُّ النساء التي ذكرها عرضاً الفيومي في « المصباح المنير » (غ ز ل) .

(٣) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ٧٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٢٠٤) .

ابن أبي هريرةَ الإسفرايينيَّ الصوفيَّ الشافعيَّ بدمشقَ[1] قال سمعتُ الشيخَ الإمامَ الأوحدَ زينَ القرَّاء جمالَ الحرم أبا الفتح عامرَ بن نحام بن عامر العربيَّ الساويَّ بمكةَ حرسها الله يقول :

دخلتُ المسجدَ الحرام يومَ الأحد فيما بين الظهرِ والعصر ، الرابعَ عشر من شوالٍ ، سنةَ خمسٍ وأربعين وخمسِ مئة ، وكان بي نوعُ تكسُّرٍ ودورانِ رأسٍ ؛ بحيث إنِّي لا أقدرُ أن أقفَ أو أجلسَ لشدَّةِ ما بي ، فكنت أطلبُ موضعاً أستريحُ فيه ساعةً علىٰ جنبي ، فرأيتُ بابَ بيتِ الجماعةِ للرباطِ الرَّامُشتيِّ عند باب العَزْوَرَةِ مفتوحاً ، فقصدتُهُ ودخلتُ فيه ، ووقعتُ علىٰ جنبي الأيمن بحذاءِ الكعبة المشرَّفة ، مفترشاً يدي تحت خدِّي ؛ لكيلا يأخذني النومُ فتنتقضَ طهارتي ، فإذا برجلٍ مِن أهل البدعةِ معروفٍ بها جاءَ ونشرَ مصلاَّه علىٰ بابِ ذلك البيتِ ، وأخرج لُويحاً من جيبه أظنُّهُ كان من الحجرِ ، وعليه كتابةٌ ، فقبَّلَهُ ووضعَهُ بين يديه وصلَّىٰ صلاةً طويلة مرسلاً يديه فيها علىٰ عادتهم ، وكان يسجدُ علىٰ ذلك اللُّويحِ في كلِّ مرةٍ ، فإذا فرغَ مِنْ صلاتِهِ . . سجدَ عليه وأطالَ فيه ، وكان يمعكُ خدَّهُ مِنَ الجانبين عليه ، ويتضرَّعُ في الدعاء ، ثم رفعَ رأسَهُ وقبَّلَهُ ، ووضعَهُ علىٰ عينيه ، ثم قبَّلَهُ ثانياً وأدخلَهُ في جيبِهِ كما كان .

قال : فلمَّا رأيتُ ذلك . . كرهتُهُ واستوحشْتُ منه ذلك ، وقلتُ في نفسي ليتَ كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حيّاً فيما بيننا ؛ ليخبرَهم بسوءِ صنيعِهم وما هم عليه مِنَ البدعة ، ومع هٰذا التفكُّرِ كنتُ أطرُدُ النومَ عن نفسي كي لا يأخذَني فتفسدَ طهارتي .

---

(١) علَّقَ العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ (« حدثنا بهٰذه الحكاية الشيخُ الإمام أبو جعفر أحمدُ بن أبي بكر القرطبي قال : سمعتُ الشيخَ أبا الفتح عامرَ بن النحَّام ، وذلك بحضرة شيخنا أبي محمد القاسم في حين سماعنا لهٰذا الكتاب عليه ، ومن أثبت اسمه في السماع سمعها من لفظ الشيخ أبي جعفر » . هٰكذا في هامش الأصل) انتهىٰ .

فبينا أنا كذلك إذ طرأَ عليَّ النعاسُ وغلبَني ، فكأنِّي بين اليقظةِ والمنام ، فرأيتُ عَرْصةً واسعةً فيها ناسٌ كثيرون واقفين ، وفي يدِ كلٍّ واحد منهم كتابٌ مجلدٌ ، قد تحلَّقوا كلُّهم علىٰ شخصٍ ، فسألتُ الناسَ عن حالِهم ، وعمَّن في الحلقة ، قالوا : هو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهٰؤلاءِ أصحابُ المذاهبِ ، يريدون أن يقرؤوا مذاهبَهم واعتقادَهم مِنْ كتبِهم علىٰ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ويصحِّحُوها عليه .

قال : فبينا أنا كذلك أنظرُ إلى القوم إذ جاءَ واحدٌ من أهل الحلقة وبيدِهِ كتابٌ ، قيل : إنَّ هٰذا هو الشافعيُّ رضي الله عنه ، فدخلَ في وسط الحلقة ، وسلَّمَ علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فرأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في جمالِهِ وكمالِهِ مُتلبِّساً بالثياب البيض المغسولةِ النظيفةِ ؛ مِنَ العِمامةِ والقميصِ وسائرِ الثياب علىٰ زيِّ أهلِ التصوف ، فردَّ عليه الجوابَ ، ورحَّبَ به ، وقعدَ الشافعيُّ بين يديهِ ، وقرأَ مِنَ الكتاب مذهبَهُ واعتقادَهُ عليه .

وبعد ذلك جاءَ شخصٌ آخرُ ـ قيل : هو أبو حنيفةَ رضي الله عنه ـ وبيدِهِ كتابٌ ، فسلَّمَ ، وقعدَ بجنب الشافعيِّ ، وقرأَ مِنَ الكتاب مذهبَهُ واعتقادَهُ ، ثمَّ أتىٰ بعده كلُّ صاحب مذهبٍ ، إلىٰ أن لم يبقَ إلا القليلُ ، وكلُّ مَن يقرأُ يقعدُ بجنب الآخر .

فلمَّا فرغوا . . إذا واحدٌ مِنَ المبتدعةِ الملقبة بالرافضةِ قد جاءَ وفي يدِهِ كراريسُ غيرُ مجلَّدة ، فيها ذكْرُ عقائدِهم الباطلة ، وهمَّ أن يدخلَ الحلقةَ ويقرأَها علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجَ واحدٌ ممَّنْ كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، وزجرَهُ وأخذَ الكراريسَ مِنْ يدِهِ ورمىٰ بها إلىٰ خارجِ الحلقةِ[1] ، وطردَهُ وأهانَهُ .

---

(١) في (و ، ط) : (رماها) بدل (ورمىٰ بها)

قال فلمَّا رأيتُ أنَّ القومَ قد فرغوا ، وما بقيَ أحدٌ يقرأُ عليه شيئاً . . تقدمتُ قليلاً ، وكان في يدي كتابٌ مجلَّدٌ ، فناديتُ وقلتُ يا رسولَ الله ؛ هـٰذا الكتابُ معتقدي ومعتقدُ أهل السنَّة ، لو أذنتَ لي حتىٰ أقرأَهُ عليك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم وأيشِ ذاك ؟ قلتُ : يا رسولَ الله ؛ هو « قواعد العقائد » الذي صنَّفَهُ الغزاليُّ[1]

فأذنَ لي في القراءةِ ، فقعدتُ وابتدأتُ :

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب « قواعد العقائد »

وفيه أربعةُ فصولٍ :

الفصل الأوّل

في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام

فنقولُ وبالله التوفيقُ :

الحمدُ للهِ المبدئ المعيدِ ، الفعَّالِ لما يريدُ ، ذي العرشِ المجيد ، والبطشِ الشديد ، الهادي صفوةَ العبيدِ ، إلى المنهجِ الرشيد ، والمسلكِ السديد ، المنعِمِ عليهم بعدَ شهادةِ التوحيد ، بحراسةِ عقائدِهم عن ظلماتِ التشكيكِ والترديد ، السائقِ بهم إلى اتباعِ رسولِهِ المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم واقتفاءِ صحبِهِ الأكرمين المكرمين بالتأييدِ والتسديد[2] ، المتجلِّي لهم في ذاتِهِ وأفعالِهِ بمحاسنِ أوصافِهِ التي لا يدركُها إلا مَنْ ألقى السمعَ وهو شهيد .

---

(١) انظر « إحياء علوم الدين » (١/ ٣٣١) ، وما بين معقوفين في هـٰذه « الرسالة » زيادةٌ أثبتت منه

(٢) في (ب ، و ، ط) : (السابق) بدل (السائق) ، وفي « قواعد العقائد » من « الإحياء » (١/ ٣٣١) : (السائق لهم) بدل (السائق بهم)

[التوحيدُ] : المـُعرِّفِ إيَّاهم في ذاتِهِ أنَّهُ واحدٌ لا شريكَ له ، فردٌ لا مثلَ له ، صمدٌ لا ضدَّ له ، منفرِدٌ لا ندَّ له ، وأنَّه قديمٌ لا أوَّلَ له ، أزليٌّ لا بدايةَ له ، مستمرُّ الوجودِ لا آخرَ له ، أبديٌّ لا نهايةَ له ، قيُّومٌ لا انقطاعَ له ، دائمٌ لا انصرامَ له ، لم يزلْ ولا يزالُ موصوفاً بنعوتِ الجلال ، لا يَقضي عليه بالانقضاءِ تصرُّمُ الآبادِ وانقراضُ الآجال ، بل هو الأوَّلُ والآخر ، والباطنُ والظاهر

التنزيهُ : وأنَّهُ ليسَ بجسمٍ مصوَّرٍ ، ولا جوهرٍ محدودٍ مقدَّرٍ ، وأنَّه لا يماثلُ الأجسامَ ، لا في التقديرِ ولا في قبولِ الانقسام ، وأنَّه ليس بجوهرٍ ولا تحلُّهُ الجواهر ، ولا بعرضٍ ولا تحلُّهُ الأعراض ، بل لا يماثلُ موجوداً ، ولا يماثلُهُ موجودٌ ، وليسَ كمثلِهِ شيءٌ ، ولا هو مثل شيء ، وأنَّه لا يحدُّهُ المقدارُ ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تحيطُ به الجهاتُ ، ولا تكتنفُهُ الأرضونَ والسماوات

وأنَّه استوىٰ على العرش على الوجهِ الذي قالَهُ ، وبالمعنى الذي أرادَهُ ؛ استواءً منزَّهاً عن المماسَّةِ والاستقرار ، والتمكُّن والحلول والانتقال ، لا يحملُهُ العرشُ ، بل العرشُ وحَمَلتُهُ محمولون بلطْفِ قدرتِهِ ، ومقهورون في قبضتِهِ ، وهو فوقَ العرشِ ، وفوقَ كلِّ شيءٍ إلىٰ تخومِ الثرىٰ ؛ فوقيَّةً لا تزيدُهُ قرباً إلى العرشِ والسماء ، بل هو رفيعُ الدرجات عن العرشِ ، كما أنَّه رفيعُ الدرجات عن الثرىٰ ، وهو مع ذلك قريبٌ مِنْ كلِّ موجودٍ ، وهو أقربُ إلى العبيدِ مِنْ حبلِ الوريد ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ شهيد ؛ إذ لا يماثلُ قربُهُ قربَ الأجسام ، كما لا تماثلُ ذاتُهُ ذاتَ الأجسام .

وأنَّه لا يَحُلُّ في شيء ، ولا يَحُلُّ فيه شيءٌ ، تعالىٰ عن أن يحويَهُ مكان ، كما تقدَّسَ عن أن يحدَّهُ زمانٌ ، بل كانَ قبلَ أن خلَقَ الزمانَ والمكان ، وهو الآنَ علىٰ ما عليه كان .

وأنَّه بائنٌ مِنْ خلقِهِ بصفاتِهِ ، وليسَ في ذاتِهِ سواهُ ولا في سواهُ ذاتُهُ ، وأنَّه مقدَّسٌ عن التغيُّرِ والانتقال ، لا تحلُّهُ الحوادثُ ، ولا تعتريهِ العوارضُ ، بل لا يزالُ في نعوتِ جلالِهِ منزَّهاً عن الزوال ، وفي صفاتِ كمالِهِ مستغنياً عن زيادةِ الاستكمال

وأنَّه في ذاتِهِ معلومُ الوجودِ بالعقول ، مرئيُّ الذاتِ بالأبصار ، نعمةً منه ولطفاً بالأبرارِ في دارِ القرار ، وإتماماً للنعيمِ بالنظرِ إلىٰ وجهِهِ الكريم

[الحياةُ و] القدرةُ : وأنَّه حيٌّ قادرٌ ، جبَّارٌ قاهرٌ ، لا يعتريهِ قصورٌ ولا عجزٌ ، ولا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نوم ، ولا يعارِضُهُ فَناءٌ ولا موتٌ

وأنَّه ذو المُلك والملكوت ، والعزَّةِ والجبروت ، له السلطانُ والقهر ، والخلْقُ والأَمْر ، السماواتُ مطوياتٌ بيمينِهِ ، والخلائقُ مقهورون في قبضتِهِ

وأنَّه المتفرِّد بالخلْقِ والاختراع[1] ، المتوحِّدُ بالإيجادِ والإبداع ، خلقَ الخلقَ وأعمالَهم ، وقدَّرَ أرزاقَهم وآجالَهم ، لا يشذُّ عن قبضتِهِ مقدور ، ولا يعزبُ عن قدرتِهِ تصاريفُ الأمور ، لا تُحصىٰ مقدوراتُهُ ، ولا تتناهىٰ معلوماتُهُ

العلمُ : وأنَّه عالمٌ بجميعِ المعلومات ، محيطٌ علمُهُ بما يجري في تُخوم الأرضين إلىٰ أعلى السماوات ، لا يعزبُ عن علمِهِ مثقالُ ذرَّةٍ في الأرضِ ولا في السماء ، بل يعلمُ دبيبَ النملةِ السوداءِ ، على الصخرةِ الصمَّاء ، في الليلةِ الظلماء ، ويدركُ حركةَ الذَّرِّ في جوِّ الهواء ، ويعلمُ السرَّ وأخفىٰ ، ويطَّلعُ علىٰ هواجسِ الضمائر ، وحركاتِ الخواطر ، وخفيَّاتِ السرائر ؛ بعلمٍ قديمٍ أزليٍّ لم يزلْ موصوفاً في أزلِ الآزال ، لا بعلمٍ متجدِّدٍ حاصلٍ في ذاتِهِ بالحلولِ والانتقال .

---

(١) في (هـ ، و ، ط) : (المنفرد) بدل (المتفرد) .

الإرادةُ : وأنَّه مريدٌ للكائناتِ ، مدبِّرٌ للحادثات ، ولا يجري في المُلك والملكوت قليلٌ أو كثير ، صغيرٌ أو كبير ، خيرٌ أو شرٌّ ، نفعٌ أو ضرٌّ ، إيمانٌ أو كفر ، عرفانٌ أو نُكْر ، فوزٌ أو خُسْرٌ ، زيادةٌ أو نقصان ، طاعةٌ أو عصيان ، كفرٌ أو إيمان. إلا بقضائِهِ وقدره ، وحُكْمِهِ ومشيئتِهِ ؛ فما شاءَ كان ، وما لم يشأْ لم يكن

لا يخرجُ عن مشيئتِهِ لفتةُ ناظرٍ ، ولا فلتةُ خاطرٍ ، بل هو المبدئ المعيد ، الفعَّالُ لما يريد ، لا رادَّ لحُكمِهِ ، ولا معقبَ لقضائِهِ ، ولا مهربَ لعبدٍ عن معصيتِهِ إلا بتوفيقِهِ ورحمته ، ولا قوَّة على طاعتِهِ إلا بمحبَّتِهِ وإرادتِهِ ، لو اجتمعَ الإنسُ والجنُّ والملائكةُ والشياطينُ على أن يحرِّكوا في العالم ذرَّةً أو يسكنوها دونَ إرادتِهِ ومشيئتِهِ. . عجزوا عنه .

وأنَّ إرادتَهُ قائمةٌ بذاتِهِ في جملة صفاتِهِ ، لم يزلْ كذلك موصوفاً بها ، مريداً في أزلِهِ لوجودِ الأشياء في أوقاتِها التي قدَّرَها ، فوُجِدَتْ في أوقاتِها كما أرادَهُ في أزلِهِ من غير تقدُّمٍ وتأخُّرٍ ، بل وقعَتْ على وَفْقِ علمِهِ وإرادتِهِ من غير تبدُّلٍ وتغيُّرٍ ، دبَّرَ الأمورَ لا بترتيبِ أفكار وتربُّصِ زمان ؛ فلذلك لم يشغلْهُ شانٌ عن شانٍ

السمعُ والبصرُ وأنَّه تعالى سميعٌ بصيرٌ ، يسمعُ ويرى ، لا يعزبُ عن سمعِهِ مسموعٌ وإن خَفِيَ ، ولا يغيبُ عن رؤيتِهِ مرئيٌّ وإن دقَّ ، لا يحجبُ سمعَهُ بُعدٌ ، ولا يدفعُ رؤيتَهُ ظلامٌ ، يرى مِنْ غيرِ حدقةٍ وأجفان ، ويسمعُ مِنْ غيرِ أصمخةٍ وآذان ، كما يعلمُ بغيرِ قلب ، ويبطشُ بغيرِ جارحةٍ ، ويخلُقُ بغيرِ آلةٍ ؛ إذ لا تشبهُ صفاتُهُ صفاتِ الخلْقِ ، كما لا تشبهُ ذاتُهُ ذاتَ الخلْق .

الكلامُ وأنَّه متكلِّمٌ ؛ آمرٌ ناهٍ ، واعدٌ متوعِّدٌ ؛ بكلامٍ أزليٍّ قديمٍ قائمٍ بذاتِهِ ، لا يشبهُ كلامَ الخلْق ؛ فليس بصوتٍ يَحدُثُ مِنِ انسلالِ هواءٍ واصطكاكِ

أجرامٍ ، ولا بحرفٍ ينقطعُ بإطباقِ شَفَةٍ أو تحريكِ لسان

وأنَّ القرآنَ والتوراةَ والإنجيلَ والزبورَ كتُبُهُ المنزَّلةُ علىٰ رسلِهِ ، وأنَّ القرآنَ مقروءٌ بالألسنة ، مكتوبٌ في المصاحف ، محفوظٌ في القلوب ، وأنَّه مع ذلك قديمٌ قائمٌ بذاتِ الله تعالىٰ ، لا يقبلُ الانفصالَ والفراق ، بالانتقالِ إلى القلوبِ والأوراق .

وأنَّ موسىٰ عليه السلام سمعَ كلامَ الله بغيرِ صوتٍ ولا حرفٍ ، كما يرى الأبرارُ ذاتَ اللهِ تعالىٰ مِنْ غيرِ جوهرٍ ولا عَرَضٍ .

وإذ كانَتْ له هٰذه الصفاتُ . . كان حيّاً ، عالماً ، قادراً ، مريداً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلِّماً ؛ بالحياةِ ، والعلمِ ، والقدرةِ ، والإرادةِ ، والسمعِ ، والبصرِ ، والكلامِ ، لا بمُجرَّدِ الذات

الأفعالُ : وأنَّه لا موجودَ سواهُ إلا وهو حادثٌ بفعلِهِ ، وفائضٌ مِنْ عدلِهِ علىٰ أحسنِ الوجوهِ وأكملِها ، وأتمِّها وأعدلِها[١] ، وأنَّه حكيمٌ في أفعالِهِ ، عادلٌ في أقضيتِهِ ، ولا يقاسُ عدلُهُ بعدْلِ العباد ؛ إذِ العبدُ يُتصوَّرُ منه الظلمُ بتصرُّفِهِ في ملكِ غيره ، ولا يُتصوَّرُ الظلمُ مِنَ الله تعالىٰ ؛ فإنَّه لا يصادفُ لغيرِهِ ملكاً حتىٰ يكون تصرُّفُهُ فيه ظلماً ، فكلُّ ما سواهُ ؛ مِنْ جنٍّ وإنسٍ ، وشيطانٍ ومَلَكٍ ، وسماءٍ وأرضٍ ، وحيوانٍ ونباتٍ ، وجوهرٍ وعَرَضٍ ، ومُدرَكٍ ومحسوسٍ . . حادثٌ اخترعَهُ بقدرتِهِ بعد العدمِ اختراعاً ، وأنشأهُ إنشاءً بعدَ أن لم يكنْ شيئاً ، إذ كانَ في الأزلِ موجوداً وحدَهُ ولم يكنْ معَهُ غيرُهُ ، فأحدثَ الخلْقَ بَعدُ إظهاراً لقدرتِهِ[٢] ، وتحقيقاً لما سبقَ مِنْ إرادتِهِ ، وحَقَّ في الأزلِ مِنْ

---

(١) هٰذا موطنٌ من المواطن التي تشهد للكلمة المشهورة : (ليس في الإمكان أبدع مما كان) .

(٢) في (هـ) : (بعدَهُ) بدل (بعدُ)

كلمتِهِ[1] ، لا لافتقارِهِ إليه وحاجتِهِ

وأنَّه تعالىٰ متفضِّلٌ بالخلْقِ والاختراعِ والتكليفِ لا عن وجوب ، ومتطوِّلٌ بالإنعام والإصلاحِ لا عن لزوم ، فلهُ الفضلُ والإحسان ، والنعمةُ والامتنان ؛ إذ كان قادراً علىٰ أن يصبَّ علىٰ عبادِهِ أنواعَ العذاب ، ويبتليَهم بضروبِ الآلامِ والأوصاب ، ولو فعلَ ذلك لكان منه عدلاً ، ولم يكنْ قبيحاً ولا ظُلماً

وأنَّه يثيبُ عبادَهُ على الطاعات بحكمِ الكرمِ والوعد ، لا بحكم الاستحقاقِ واللزوم؛ إذ لا يجبُ عليه فعلٌ، ولا يتصوَّرُ منه ظلمٌ ، ولا يجبُ لأحد عليه حَقٌّ، وأنَّ حقَّهُ في الطاعاتِ وجبَ على الخلْقِ بإيجابِهِ علىٰ لسان أنبيائِهِ ، لا بمجرَّدِ العقل ، ولـٰكنَّهُ بعثَ الرسلَ ، وأظهرَ صدقَهم بالمعجزاتِ الظاهرة ، فبلَّغوا أمرَهُ ونهيَهُ ، ووعدَهُ ووعيدَهُ ، فوجبَ على الخلْقِ تصديقُهم فيما جاؤوا به .

معنى الكلمةِ الثانية ؛ وهي شهادةُ الرسولِ صلى الله عليه وسلم :

وأنَّه تعالىٰ بعثَ النبيَّ الأميَّ القرشيَّ محمداً صلى الله عليه وسلم برسالتِهِ إلىٰ كافَّةِ العربِ والعجم ، والجنِّ والإنس

قال : فلمَّا بلغتُ إلىٰ هـٰذا رأيتُ البشاشةَ والتبسُّمَ في وجهِهِ صلى الله عليه وسلم ؛ إذِ انتهيتُ إلىٰ نعتِهِ وصفتِهِ ، فالتفتَ إليَّ وقال : **أينَ الغزاليُّ** ؟ فإذا بالغزاليِّ كأنَّه كان واقفاً على الحلقةِ بين يديه ، فقال : هـٰأنذا يا رسولَ الله ، وتقدَّمَ وسلَّمَ علىٰ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فردَّ عليه الجوابَ ، وناولَهُ يدَهُ العزيزةَ ، والغزاليُّ يقبِّلُ يدَهُ ، ويضعُ خدَّيهِ عليها تبرُّكاً به وبيدِهِ العزيزة المباركةِ ، ثم قعدَ .

قال : فما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أكثرَ استبشاراً بقراءةِ أحدٍ

---

(1) حَقَّ ـ بفتح الحاء هنا ـ : ثبتَ ووجب ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر : ٧١] .

مثلَ ما كان بقراءتي عليه « قواعد العقائد » ، ثمَّ انتبهتُ من النوم وعلىٰ عينيَّ أثرُ الدمع ممَّا رأيتُ مِنْ تلك الأحوال والمشاهدات والكرامات ؛ فإنَّها كانت نعمةً جسيمة مِنَ الله تعالىٰ ، سيما في آخرِ الزمانِ مع كثرةِ الأهواء .

فنسألُ اللهَ تعالىٰ أن يثبِّتنا علىٰ عقيدةِ أهل الحقِّ ، ويحيينا عليهِ ويميتَنا عليها ، ويحشرَنا معهم ومع الأنبياءِ والمرسلين ، والصدِّيقين والشهداء والصالحين ، وحسُنَ أولـٰئك رفيقاً ؛ فإنَّه بالفضل جديرٌ ، وعلىٰ ما يشاءُ قدير

قال الشيخُ الإمام أبو القاسم الإسفراينيُّ : هـٰذا معنىٰ ما حكىٰ لي أبو الفتحِ الساويُّ أنَّه رآهُ في المنام ؛ لأنَّه حكاه لي بالفارسيَّة ، وترجمتُهُ أنا بالعربية

وتتمَّةُ الفصل الأول من فصول « قواعد العقائد » ، الذي به يَتمُّ الاعتقادُ ، ولم يتَّفقْ قراءتُهُ إيَّاه علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومِنَ المصلحة إثباتُهُ ؛ ليكونَ الاعتقادُ تامّاً في نفسه غيرَ ناقصٍ لمن أرادَ تحصيله وحفظَهُ ، بعد قوله : (وأنَّه تعالىٰ بعثَ النبيَّ الأميَّ القرشيَّ محمداً صلى الله عليه وسلم برسالتِهِ إلىٰ كافَّة العربِ والعجم ، والجنِّ والإنس)

فنسخَ بشرعِهِ الشرائعَ إلا ما قرَّرَ ، وفضَّلَهُ علىٰ سائر الأنبياء ، وجعلَهُ سيِّدَ البشر ، ومنعَ كمالَ الإيمان بشهادة التوحيدِ[1] ؛ وهو قولُ لا إلـٰهَ إلا اللهُ . ما لم يقترنْ به شهادةُ الرسولِ ؛ وهو قولُ محمدٌ رسولُ الله ، وألزمَ الخلْقَ تصديقَهُ في جميعِ ما أخبرَ عنه مِنَ الدنيا والآخرة .

وأنَّه لا يَتقبَّلُ إيمانَ عبدٍ حتىٰ يُوقنَ بما أخبرَ عنه بعد الموت ، وأوَّلُهُ سؤالُ مُنْكَر ونَكِير ؛ وهما شخصانِ مهيبان هائلان ، يُقعدانِ العبدَ في قبره سويّاً ذا روحٍ وجسد ، فيسألانِهِ عن التوحيدِ والرسالة ، ويقولانِ مَنْ ربُّك ؟

---

(١) قوله : (كمال الإيمان) أراد تحقُّق ماهية الإيمان ؛ إذ لا إيمانَ أصلاً مع نفي نبوته عليه الصلاة والسلام ، فهو ليس ككمال الإيمان الثابت والحاصل ببعض الأعمال الصالحة

وما دينُكَ ؟ ومَنْ نبيُّكَ ؟ وهما فتّانا القبر ، وسؤالُهما أوَّلُ فتنةِ القبرِ بعد الموت

وأن يؤمنَ بعذاب القبر ، وأنَّه حقٌّ وحكمةٌ وعدلٌ ، على الجسم والروح ، على ما يشاء ، ويؤمنَ بالميزان ذي الكِفَّتينِ واللسان ، وصفتُهُ في العِظَمِ أنَّه مثلُ طباق السماواتِ والأرض ، تُوزنُ فيه الأعمالُ بقدرةِ الله تعالىٰ ، والسَّنْجُ يومئذٍ[1] مثاقيلُ الذَّرِّ والخردلِ ؛ تحقيقاً لتمامِ العدْلِ ، وتطرحُ صحائفُ الحسنات في صورةٍ حسنة في كِفَّةِ النور ، فيثقلُ بها الميزانُ علىٰ قدْرِ درجاتِها عند الله بفضلِ الله تعالىٰ ، وتطرحُ صحائفُ السيئات في كِفَّةِ الظُّلمة ، فيخِفُّ بها الميزانُ بعدْلِ الله تعالىٰ

وأن يؤمنَ بأنَّ الصراطَ حقٌّ ؛ وهو جسرٌ ممدودٌ علىٰ متنِ جهنَّم ، أحدُّ مِنَ السيف ، وأدقُّ مِنَ الشَّعَر ، تزلُّ عليه أقدامُ الكافرين بحكمِ الله تعالىٰ ، فيهوي بهم إلى النار ، ويثبتُ عليه أقدامُ المؤمنين ، فيُساقون إلىٰ دارِ القرار

وأن يؤمنَ بالحوضِ المورود ؛ حوضِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، يشربُ منه المؤمنون قبل دخولِ الجنة ، وبعد جوازِ الصراط ، مَنْ شربَ منه شَرْبةً . لم يظمأْ بعدَها أبداً ، عَرْضُهُ مسيرةُ شهر ، ماؤُهُ أشدُّ بياضاً مِنَ اللبن ، وأحلىٰ مِنَ العسل ، حولَهُ أباريقُ عددُها عددُ نجوم السماء ، فيه ميزابانِ يصبَّانِ مِنَ الكوثر

ويؤمنَ بيومِ الحساب ، وتفاوتِ الخلْقِ فيه إلىٰ مُناقَشٍ في الحساب ، وإلىٰ مسامحٍ فيه ، وإلىٰ مَنْ يدخلُ الجنَّةَ بغير حساب ؛ وهم المقرَّبون ، فيسألُ مَنْ شاءَ مِنَ الأنبياء عن تبليغِ الرسالة ، ومَنْ شاءَ مِنَ الكفَّار عن تكذيبِ المرسلين ، ويسألُ المبتدعةَ عن السنَّة ، ويسألُ المسلمين عن الأعمال

---

(١) السَّنْج ـ ويقال : الصَّنج ـ : المثقال الذي يُوزن به (وحدة الوزن) .

ويؤمنَ بإخراج الموحِّدينَ مِنَ النار بعد الانتقامِ ، حتىٰ لا يبقىٰ في جهنَّمَ موحِّدٌ بفضْلِ الله تعالىٰ

ويؤمنَ بشفاعةِ الأنبياءِ ، ثم العلماء ، ثم الشهداء ، ثم سائرِ المؤمنين ، كلٌّ علىٰ حسبِ جاهِهِ ومنزلتِهِ ، ومَنْ بقيَ مِنَ المؤمنين ولم يكنْ له شفيعٌ . . أُخرجَ بفضْلِ الله تعالىٰ ، ولا يخلَّدُ في النارِ مؤمنٌ ، بل يخرجُ منها مَنْ كان في قلبِهِ مثقالُ ذرَّةٍ مِنَ الإيمان

وأن يعتقدَ فضْلَ الصحابة وترتيبَهم ، وأنَّ أفضلَ الناسِ بعد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ، ثم عمرُ ، ثم عثمانُ ، ثم عليٌّ ، رضي الله عنهم ، وأن يحسنَ الظنَّ بجميعِ الصحابة ، ويثنيَ عليهم كما أثنى اللهُ تعالىٰ ورسولُهُ عليه السلامُ . . عليهم أجمعين

فكلُّ ذلك ممَّا وردَتْ به الأخبارُ ، وشهدَتْ به الآثارُ ، فمَنِ اعتقدَ جميعَ ذلك موقناً به . . كان من أهلِ الحقِّ وعصابةِ السنَّة ، وفارقَ رهطَ الضلالِ والبدعة .

فنسألُ اللهَ تعالىٰ كمالَ اليقين ، والثباتَ في الدِّين ، لنا ولكافَّةِ المسلمين ؛ إنَّه أرحمُ الراحمين ، وصلَّى الله علىٰ محمد وآلِهِ أجمعين[١]

* * *

---

(١) ونقله عنه الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٢٢٧) ، وما بين معقوفين زيادة من « الإحياء » .

ومنهم :

الإمام أبو بكر الشاشي رحمه الله

واسمه : محمدُ بنُ أحمدَ بن الحسين

تفقَّه على الشيخِ أبي إسحاقَ الشيرازيِّ وغيره ، وكان معيداً له ، ووليَ التدريسَ بالمدرسة النِّظَاميَّة وغيرها ببغداد ، وله تصانيفُ كثيرةٌ حسنة

وتفقَّه به جماعةٌ أئمَّة ؛ كالقاضي الإمام أبي العباس بن الرُّطَبِيِّ ، وابنيه أبي المظفر ، وأبي محمد ؛ ابني أبي بكر ، وغيرهم[١]

٣٣٤ـ وذكر شيخُنا الشيخ أبو محمد بنُ الأكفانيِّ (أنَّه ماتَ في يوم السبت الخامس والعشرين من شوالٍ ، سنةَ سبعٍ وخمسٍ مئة) .

قال : (وإليه انتهَتِ الرئاسةُ لأصحاب الشافعيِّ رحمةُ الله عليه ببغداد)[٢]

* * *

---

(١) انظر « المنتظم » (١٧/ ١٣٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٥/ ١٦٥) : وفيه أنه (كان أشعرياً أصولياً) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٧٠) ، وهو صاحب « حلية العلماء » المعروف بـ« المستظهري » ، و« الشافي شرح الشامل »

وجاء في هامش (هـ) حاشية : (قال السلفيُّ : سألت الإمام أبا بكرٍ الشاشيَّ عن مولده ، فقال : سنةَ سبعٍ وعشرين وأربعِ مئة بميَّافارقين) .

(٢) جاء في هامش (هـ) حاشية : (قال ابن السمعاني إمامٌ ورع ، دَيِّنٌ ثقة ، فقيهٌ عالم ، عاملٌ بعلمه ، مهيبٌ وقور ، متواضعٌ لأهل الدين والخير ، قال أبو القاسم الزنجاني : كان أبو بكرٍ الشاشيُّ يتفقَّهُ معنا ، وكان يُسمَّى الجنيد ؛ لدينِهِ وورعه ، وعلمه وزهده) ، وانظر قول الزنجاني في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٧٠) .

ومنهم :

الإمامُ أبو القاسمِ الأنصاريُّ النيسابوريُّ رحمه الله

٣٣٥ـ سمعتُ الشيخ أبا بكرٍ محمدَ بن عبد الله ابن حبيب الفقيهَ العامريَّ ببغدادَ ، وحدثنا عنه بحديث يُحسِنُ عليه الثناءَ ويقول : (كان عالماً ، إماماً في التفسيرِ وعلم الأصول)

٣٣٦ـ وذكر الشيخُ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيلَ فيما كتب إليَّ قال : (سلمانُ بنُ ناصرِ بن عمرانَ بن محمد بن إسماعيلَ بن إسحاقَ بن يزيدَ بن زياد ، أبو القاسم الأنصاريُّ الإمام الدَّيِّنُ الوَرِعُ الزاهد ، فريدُ عصره في فنِّهِ[١] ، وكان له معرفةٌ بالطريقةِ ، وقدمٌ في التصوُّف ، ونظر دقيقٌ ، وفكرٌ في المعاملة ، وتصاونٌ في النفس ، وعفافٌ في الطُّعم[٢]

وكان حسنَ الطريقة ، دقيقَ النظر ، واقفاً علىٰ مسالكِ الأئمَّة وطرقِهم في علمِ الكلام ، بصيراً بمواضعِ الإشكال ، مع قصورٍ في تقرير لسانه ، وكانَتْ معرفتُهُ فوق نُطقِهِ ، ومعناه أوفرَ مِنْ ظاهرِهِ وفحواه ، وعاش عيشَ الأبرارِ ، علىٰ سيرةِ السلف الصالحين .

وتُوفِّيَ صبيحةَ يومِ الخميس ، الثاني والعشرين مِنْ جُمادى الآخرة ، سنةَ اثنتي عشرة وخمسِ مئة)[٣]

* * *

(١) وجاء في « المنتخب من كتاب السياق » : (عزيز عصره في وقته) ، وفي « تاريخ دمشق » : (فريد عصره في فقهِ)

(٢) وفي (هـ) وحدها : (وكفاف) بدل (وعفاف) .

(٣) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ٢٤٩) ، و« تاريخ دمشق » (٢١/ ٤٧٦)

ومنهم :

الإمامُ ابنُ الإمامِ أبو نصرِ بنُ أبي القاسمِ القُشَيريُّ رحمه الله

٣٣٧ـ كتب إليَّ الشيخُ أبو الحسن بن إسماعيلَ الفارسيُّ[١] قال (عبدُ الرحيم بنُ عبد الكريم بن هوازنَ القُشَيريُّ ، أبو نصرٍ إمامُ الأئمَّة ، وحبرُ الأمَّةِ ، وهو الأوَّلُ مِنْ ولدِ الإمام بعد العُصْبَةِ الدقَّاقيَّة مِنْ أولاده[٢] ، أشبهُهُم به خَلْقاً ، حتىٰ كأنَّه شُقَّ منه شقّاً ، ربَّاهُ أحسنَ تربيةٍ وزقَّهُ العربيةَ في صباه زقّاً ، حتىٰ تخرَّجَ به وبرعَ فيها ، وكمُلَ في النثرِ والنظم ، فحازَ فيهما قصَبَ السَّبْقِ ، وكان يبثُّ السحرَ بأقلامه على الرَّقِّ

استوفى الحظَّ الأوفىٰ مِنْ علم الأصول والتفسير تلقِّياً مِن والدِهِ ، ورُزقَ مِنَ السُّرعةِ في الكتابة ما كان يكتبُ كلَّ يومٍ طاقاتٍ على الاعتيادِ ، لا يلحقُهُ فيه كبيرُ مشقةٍ ، حتىٰ حصَّلَ أنواعاً من العلومِ الدقيقة والحساب الذي يُحتاجُ فيه إلىٰ علمِ الشريعة

لمَّا تُوفِّيَ أبوه انتقل إلىٰ مجلس إمامِ الحرمين ، وواظبَ علىٰ درسه وصُحبَتِهِ ليلاً ونهاراً ، ولزمَهُ عشيّاً وإبكاراً ، حتىٰ حصَّلَ طريقته في المذهب

---

(١) والمترجَمُ يكون خالَهُ ، وقد روى المصنِّفُ عن الإمام أبي نصرِ القشيري بالإجازة ، نبَّهَ علىٰ ذلك الحافظُ ابن كثير في « طبقاته » (ص ٥٥١)

(٢) كذا شُكلت كلمةُ (العصبة) في (هـ) ، وقد نقل الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٧/ ١٦٠) كلام الحافظ عبد الغافر ولم ينقل هـٰذا العبارة ، بل ذكر قبل نقلها فقال : (هو الرابعُ من أولاد الأستاذ أبي القاسم ، وأكثرُهم علماً ، وأشهرُهم اسماً ، والكلُّ من السيدة الجليلة فاطمة بنت الأستاذ أبي عليٍّ الدَّقَّاق)

والخلاف ، وجدَّدَ عليه الأصولَ[1] ، وكان الإمامُ يعتدُّ به ويستفرغُ أكثرَ أيامِهِ معه ، مستفيداً منه بعض مسائل الحساب في الفرائض والدور والوصايا[2]

فلمَّا فرغَ مِنْ تحصيل الفقهِ . . تأهَّبَ للخروج إلى الحجِّ ، وحين وصلَ إلىٰ بغداد وعقدَ المجلس ، ورأىٰ أهلُ بغداد فضلَهُ وكمالَهُ ، وعاينوا خصالَهُ . . بدا له مِنَ القبول عندهم ما لم يُعهَدْ مثلُهُ لأحدٍ قبلَهُ ، وحضرَ مجلسَهُ الخواصُّ ، ولزمَ الأئمَّةُ ـ مثلُ الإمام أبي إسحاقَ الشيرازيِّ رحمَهُ الله الذي هو فقيهُ العراقِ في وقته[3] ـ عتبةَ منبرِهِ ، وأطبقوا علىٰ أنَّهم لم يرَوا مثلَهُ في تبحُّرِهِ ، وخرجَ إلى الحجِّ ، ولمَّا عادَ كان القبولُ غضّاً ، وزائداً علىٰ ما كان مِنْ قبلُ ، وبلغَ الأمرُ في التعصُّب له مبلغاً كادَ يؤدِّي إلى الفتنة[4]

وقلَّما كان يخلو مجلسُهُ عن إسلامِ جماعةٍ من أهل الذمَّةِ ، وخرجَ بَعدُ مِنْ قابلٍ راجعاً إلى الحجِّ في أكملِ حُرمةٍ وترفُّهٍ في خدمةٍ من أمير الحاجِّ وأصحابه ، وعادَ إلىٰ بغداد وأمرُ القبولُ بحاله ، والفتنةُ مُشرَئبَّةٌ تكاد تضطرمُ ، فبعثَ إليه نظامُ المُلك يستحضرُهُ مِنْ بغداد ؛ يعني إلىٰ أصبَهانَ ، فأكرمَ موردَهُ ، وبقيَ أهلُ بغداد عطاشاً إليه وإلىٰ كلامِهِ ، منهم من لم يفطرْ عن الصوم سنين بعده ، ومنهم من لم يحضرْ من بعده مجلسَ تذكيرٍ قطُّ

---

(١) في (ط) : (جرد) بدل (وجدد)

(٢) قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٧/ ١٦٢) (وأعظمُ ما عظم به أبو نصرٍ : أن إمام الحرمين نقلَ عنه في كتاب الوصية من « النهاية » ، وهـٰذه مرتبة رفيعة)

(٣) قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٧/ ١٦٢) : (وبالجملة : كان رجلا معظَّماً ، حتىٰ عند مشايخه ؛ فلقد أطنبَ شيخُهُ الشيخُ أبو إسحاق الشيرازيُّ في الثناء عليه ، وكذلك شيخُهُ إمامُ الحرمين) .

(٤) قال الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٧/ ١٦٢) : (والفتنة المشار إليها في كلام عبد الغافر : فتنة الحنابلة ؛ فإن الأستاذ أبا نصرٍ قامَ في نصرة مذهب الأشعريِّ ، وباح بأشدِّ النكير علىٰ مخالفيه ، وغبَّرَ في وجوه المجسِّمة) ، وغضّاً : ناصراً لم يتغيَّر .

وأشارَ الصاحبُ عليه بالرجوعِ إلىٰ خراسانَ ، ووصلَهُ بصلاتٍ سنيَّةٍ ، ودخلَ قَزْوينَ ، ولقيَ بها قبولاً تامّاً ، وحصلَ منهم علىٰ قريبٍ مِنْ ألفِ دينارٍ ، ولمَّا عادَ استقبلَهُ الأئمَّة والصدورُ ، وكان يواظبُ بعد ما لقيَ مِنَ القبول علىٰ درْسِ الإمام إمامِ الحرمين ، ويشتغلُ بزيادة التحصيلِ ، وكان أكثرُ صفوِهِ في آخر أيامِهِ إلى الرواية ، قلَّما يخلو يومٌ مِنْ أيامه إلا ما شاءَ الله عن مجلسٍ للحديثِ أو مجلسينِ .

وتُوفِّيَ عديمُ النظير ، فريدُ الوقت ، بقيةُّ أكابر الدنيا ؛ ضحوةَ يوم الجمعة ، الثامن والعشرين من جُمادى الآخرةِ ، سنةَ أربعَ عشرةَ وخمسِ مئةٍ)[1]

---

(١) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص ٣٢٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١٥٩/٧) .

وجاء في هامش (هـ) حاشية : قال السمعاني وكان يحفظُ حكاياتٍ وأشعاراً كثيرةً ، وحُكيَ أنَّه كان يحفظُ خمسين ألفَ نصفِ بيتٍ ، وأنَّه كان يحبُّ العزلة والانزواء ، فلمَّا انقرضت الجوينيَّةُ ، وصار مقدَّماً .. احتاج إلى الخروج ، وحضورِ المحافل للتهاني والتعازي ، فخرجَ يوماً إلىٰ تعزية بعض الناس ، وكان يوماً كثيرَ الوحل ، فأصابَ ثيابَهُ وتلوَّث ، فلمَّا رجع إلىٰ منزله أنشد [من مجزوء الكامل]

لَهَفِـي عَلَـىٰ مَـا كُنْـتُ فِيـ ... ـهِ مِـنَ ٱلْفَـرَاغَـةِ وَٱلـدَّعَـهْ
قَـدْ كَـانَ قَلْبِـي سَـالِيـاً ... فَقَلَـى ٱلسُّلُـوَّ وَوَدَّعَـهْ

قال ابن الصلاح : الفراغة ؛ بالهاء تستعملها العجم ، ولا أصلَ لها في اللغة نعلمه ، فالله أعلم

وأنشد [من البسيط]

دَعْنِي فَإِنَّ غَرِيمَ ٱلشَّيْبِ لاَزَمَنِي ... هَـٰذَا زَمَانُكَ فَٱفْرَحْ فِيهِ لاَ زَمَنِي

وقال : سمعتُ والدي يقول : ليكنْ لك في اليوم والليلةِ ساعةٌ تحضرُ فيها بقلبك ، وتخلو بربِّكَ ، وترفعُ إليه فقرَكَ ، وتقول : تداركْ قلبي بشظيَّةٍ مِن إقبالك ، بذرَّةٍ من إفضالِكَ . [من الكامل]

هَـا إِنْ مَـدَدْتُ يَـدِي إِلَيْـكَ فَـرُدَّهَـا ... بِـٱلْفَضْـلِ لاَ بِشَمَـاتَـةِ ٱلأَعْـدَاءِ

و(إن) في البيت بمعنى (قد) =

ومن ظريفِ ما حُكيَ مِنْ أحوالِهِ قال مرضتُ بمكَّةَ مرضاً شديداً مَخُوفاً أيستُ فيه مِنَ الحياة ، فدخلَ عليَّ شيخٌ مكيٌّ لم أعرفْهُ ولم أطلبْهُ وبيدِهِ مفتاحُ الكعبة ، وهو مِنْ بني شيبة خَزَنَةِ البيت ، فقال لي : افتحْ ، ففتحتُ فمي ، فأدخلَ المفتاحَ في فمي وأدارَهُ فيه ، ثم مسحَ سائرَ أعضائي بذلك المفتاحِ على لينٍ ورفقٍ ، فبرأتُ مِنْ علَّتي وكأنَّما أُنْشِطتُ مِنْ عقالٍ ؛ ببركةِ ذلك المفتاح ، وعافاني اللهُ في الوقت[1]

[وممَّا وقعَ إلى الإمامِ العالم ، الحافظِ الثقة ؛ بهاءِ الدِّينِ ، ناصرِ السنة ، محدِّثِ الشام ؛ أبي محمدٍ القاسم ـ بعد وفاة والدِهِ الإمام العالمِ الحافظ ، شيخ الإسلام ، أبي القاسم عليِّ بن الحسن بن هبة الله الشافعيِّ رحمه الله[2] ـ مِنَ الفوائدِ التي تليقُ بهـٰذا الكتابِ . . محضرٌ بخطٍّ بعضِ أصحاب الإمامِ العالم أبي نصرٍ عبدِ الرحيم بن الأستاذ أبي القاسم القُشَيريِّ ، فيه خُطُوطُ الأئمَّةِ بتصحيح مقالِهِ ، وموافقتِهِ في اعتقادِهِ ، على الوجهِ الذي هو مذكورٌ في هـٰذا الكتابِ ، فأوقفَنا عليه شيخُنا أبو محمدٍ القاسم ، وأسمعَناهُ ، وأمرنا بكتابتِهِ ، فاكتتبناهُ على ما هو عليه ، وأثبتناهُ في هـٰذه الترجمةِ اللائقة به[3] ؛ وهو

= وانظر « طبقات الفقهاء الشافعية » للإمام ابن الصلاح (١/٥٤٨) ، و« طبقات الشافعيين » (ص ٥٥١)، وتقدم برقم (١٦٣) بيتانِ من شعره في مدح القاضي الباقلاني والإمام الأشعري .

(١) إلىٰ هنا تنتهي ترجمة الإمام عبد الرحيم القشيري ، وما سيأتي بين معقوفين إنما هو زيادةٌ مقحمة من ابنِ المصنِّف الإمامِ الحافظ بهاء الدين القاسم بعد وفاة أبيه المصنِّف كما ترىٰ في طالعتها ، وهو الآمرُ بزيادتها ، وقد ارتأىٰ كما يظهرُ أن يكون موضعَها في ترجمة الإمام الأصولي عبد الرحيم بن الأستاذ الإمام القشيري ؛ لمناسبة ذلك ، وهي وثيقة تاريخية جديرة بالاهتمام كما سترىٰ ، ثبتت في جميع النسخ خلا (و) ، وسيأتي تعليق للعلامة الكوثري في بيان حال هـٰؤلاء الأئمة ، وتنتهي هـٰذه الزيادة (ص ٥٧٤) .

(٢) جاء في (هـ) في هـٰذا الموضع : (مؤلف هـٰذا الكتاب ، رحمهما الله) .

(٣) وأثبتناه : في (هـ) : (فأُثبتَ) يعني : المحضر المذكور

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يشهدُ مَنْ ثبتَ اسمُهُ ونسبُهُ ، ووضحَ نهجُهُ ومذهبُهُ ، واخْتبرَ دينُهُ وأمانتُهُ ؛ من الأئمَّةِ الفقهاء ، والأماثلِ العلماء ، وأهلِ القرآن ، والمعدَّلينَ الأعيان ، وكتبوا خُطوطَهم المعروفة ، بعباراتِهم المألوفة ، مسارعينَ إلىٰ أداءِ الأمانةِ ، وتوخَّوا في ذلك ما تحظرُهُ الديانةُ[1] ؛ مخافةَ قوله تعالىٰ ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٤٠] : أنَّ جماعةً مِنَ الحشويةِ والأوباش الرَّعاعِ المتوسِّمين بالحنبليّة . . أظهروا ببغدادَ مِنَ البدعِ الفظيعةِ ، والمخازي الشنيعةِ ، ما لم يتسمحْ به ملحدٌ ، فضلاً عن موحِّدٍ ، ولا تجوَّزَ به قادحٌ في أصلِ الشريعة ولا معطلٌ ، ونسبوا كلَّ مَن ينزِّهُ الباريَ ـ تعالىٰ وجلَّ ـ عن النقائصِ والآفات ، وينفي عنه الحدوثَ والتشبيهات ، ويقدِّسُهُ عن الحلولِ والزوال ، ويعظِّمُهُ عن التغيُّرِ مِنْ حالٍ إلىٰ حال ، وعن حلولِهِ في الحوادث ، وحدوثِ الحوادثِ فيه . . إلى الكفرِ والطغيان ، ومنافاةِ أهل الحقِّ والإيمان ، وتناهَوا في قذف الأئمَّة الماضين ، وثَلْب أهل الحقِّ وعِصابةِ الدِّين ، ولعنِهم في الجوامعِ والمشاهد ، والمحافلِ والمساجد ، والأسواقِ والطرقات ، والخلوةِ والجماعات ، ثم غرَّهم الطمعُ والإهمالُ ، ومدَّهم في طغيانِهم الغيُّ والضلال . . إلى الطعنِ فيمَنْ يعتضدُ به أئمَّةُ الهدىٰ ، وهو للشريعة العُرْوةُ الوثقىٰ ، وجعلوا أفعالَهُ الدينيَّةَ ، معاصيَ دَنيَّةً ، وترقَّوا مِنْ ذلك إلى القدحِ في الشافعيِّ رحمةُ الله عليه وأصحابِهِ

واتَّفق عَودُ الشيخِ الإمام الأوحد أبي نصر بن الأستاذ الإمام زينِ الإسلام أبي القاسمِ القُشَيريِّ رحمةُ الله عليه مِنْ مكَّةَ حرسَها الله ، فدعا الناسَ إلى التوحيد ، وقدَّسَ الباريَ عن الحوادثِ والتحديد ، فاستجابَ له أهلُ التحقيقِ

---

(١) في (هـ) : (تحضره) بدل (تحظره) .

مِنَ الصدورِ الأفاضل ، والسادةِ الأماثل ، وتمادَتِ الحشويَّةُ في ضلالتِها ، والإصرارِ علىٰ جهالتِها ، وأَبَوا إلاَّ التصريحَ بأنَّ المعبودَ ذو قدمٍ وأضراسٍ ولهواتٍ وأناملَ ، وأنَّه ينزلُ بذاتِهِ ، ويتردَّدُ علىٰ حمارٍ في صورةِ شابٍّ أمردَ ، بشعرٍ قطط ، وعليه تاجٌ يلمعُ ، وفي رجليهِ نعلانِ مِنْ ذهبٍ ، وحُفظَ ذلك عنهم وعلَّلوهُ ، ودوَّنوهُ في كتبِهم وإلى العوامِّ ألقَوه ، وأنَّ هـٰذه الأخبارَ لا تأويلَ لها ، وأنَّها تجرىٰ علىٰ ظواهرِها ، وتُعتقدُ كما وردَ لفظُها ، وأنَّه تعالىٰ يتكلَّمُ بصوتٍ كالرعد ، وكصهيلِ الخيل ، وينقمون علىٰ أهلِ الحقِّ ؛ لقولهم إنَّ اللهَ تعالىٰ موصوفٌ بصفاتِ الجلال ، منعوتٌ بالعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والحياة ، والإرادة ، والكلام ، وهـٰذه الصفات قديمةٌ ، وأنَّه يتعالىٰ عن قبول الحوادث ، ولا يجوزُ تشبيهُ ذاته بذاتِ المخلوقينَ ، ولا تشبيهُ كلامِهِ بكلام المخلوقينَ

ومِنَ المشهور المعلومِ أنَّ الأئمةَ الفقهاءَ على اختلافِ مذاهبهم في الفروع كانوا يصرِّحون بهـٰذا الاعتقاد ، ويدرِّسونَهُ ظاهراً مكشوفاً لأصحابِهم ، ومَنْ هاجرَ مِنَ البلاد إليهم ، ولم يتجاسرْ أحدٌ علىٰ إنكاره ، ولا تجوَّزَ متجوِّزٌ بالردِّ عليهم ، دون القدحِ والطعن فيهم ، وأنَّ هـٰذه عقيدةُ أصحابِ الشافعيِّ رحمةُ الله عليه ، يدينون اللهَ تعالىٰ بها ، ويلقونَهُ باعتقادِها ، ويبرؤون إليه مِنْ سواها ، مِنْ غيرِ شكٍّ فيها ولا انحرافٍ عنها ، وما لهـٰذه العصابةِ مستندٌ ، ولا للحقِّ مغيثٌ يُعتمد . إلا اللهُ تعالىٰ ، ورأفةُ المجلسِ السامي الأجَلِّيِّ العـالمـي العـادلـي القـوامـيِّ النِّظَـامـيِّ الـرَّضَـويِّ ، أمتعَـهُ اللهُ بحيـاةٍ يـأمـنُ خطوبَها ، باسمةٍ فلا يعرفُ قُطُوبَها ، فإن لم ينصرْ ما أظهرَهُ ، ويشيِّدْ ما أسَّسَهُ وعمرَهُ ، بأمرٍ جزم ، وعزمٍ حتمٍ ، يزجرُ أهلَ الغواية عن غيِّهم ، ويردعُ ذوي العنادِ عن بغيهم ، ويأمرْ بالمبالغةِ في تأديبِهم . رجعَ الدِّينُ بعد تبسُّمِهِ قَطُوباً ، وعادَ الإسلامُ كما بدأَ غريباً ، وعيونُهم ممتدَّةٌ إلى الجواب بنيلِ المأمولِ

والمراد ، وقلوبُهم متشوِّفةٌ إلى النصرةِ والإمداد .

فإن هو لم ينعمِ النظرَ في الحادث الذي طرقَهم ، ويصرفْ معظمَ هممِهِ العالية إلى الكارثِ الذي أزعجَهم وأقلقَهم ، ويكشفْ عن الشريعةِ هـٰذه الغُمَّةَ ، ويحسمْ نزغاتِ الشيطان بين هـٰذه الأمَّة . . كان عن هـٰذه الظُّلامَةِ يومَ القيامة مسؤولاً ؛ إذ قد أدَّتْ[1] إليه النصائحُ والأماناتُ ، مِنْ أهلِ المعارف والديانات ، وبرئوا مِنْ عُهدة ما سمعوهُ ، بما أدَّوْهُ إلىٰ سمعِهِ العالي وبلَّغوهُ ، والحجةُ لله تعالىٰ متوجِّهةٌ نحوَهُ ، بما مكَّنَهُ في شرقِ الأرض وغربِها ، وبسطَ قدرتَهُ في عُجْمِها وعُرْبها ، وجعلَ إليه القبضَ والإبرامَ ، واصطفاهُ مِنْ جميعِ الأنام ، فما تُردُّ نواهيه وأوامرُهُ ، ولا تُعصىٰ مراسمُهُ وزواجرُهُ ، واللهُ تعالىٰ بكرمِهِ يوفِّقُهُ ويسدِّدُهُ ، ويؤيدُ مقاصدَهُ ويرشدُهُ ، ويقفُ فكرتَهُ وخواطرَهُ علىٰ نصرة ملَّتِهِ ، وتقويةِ دينه وشريعتِهِ ، بمنِّهِ ورأفته ، وفضلِهِ ورحمته

صورة الخطوط

ـ وفيه بخطِّ الإمام أبي إسحاق الشيرازي رضي الله عنه : الأمرُ علىٰ ما ذُكِرَ في هـٰذا المحضرِ ؛ مِنْ حالِ الشيخِ الإمام الأوحد أبي نصرٍ عبدِ الرحيم بن عبد الكريم القُشَيريِّ ، أكثرَ اللهُ في أئمَّةِ الدِّين مثلَهُ ؛ مَنْ عقدَ المجالس ، وذكرَ الله عزَّ وجلَّ بما يليقُ به ؛ مِنْ توحيدِهِ وصفاتِهِ ، ونفْيِ التشبيهِ عنه ، وقمعَ المبتدعةَ مِنَ المجسمة والقدرية وغيرهم ، ولم أسمعْ منه غيرَ مذهبِ أهل الحقِّ من أهل السنَّة والجماعة[2] ، وبه أدينُ اللهَ عزَّ وجلَّ ، وإيَّاه أعتقدُ ، وهو الذي أدركتُ أئمَّةَ أصحابنا عليه ، واهتدىٰ به خلْقٌ كثيرٌ من المجسِّمة ، وصاروا كلُّهم علىٰ مذهب أهل الحقِّ ، ولم يبقَ مِنَ المبتدعة إلا نفرٌ يسير ، فحملَهم

---

(١) في (ط) وحدها : (أُدِّيَتْ)، والمثبت بمعنى: انتهت إليه.

(٢) في (هـ) : (مذاهب) بدل (مذهب) .

الحسدُ والغيظُ علىٰ سبِّهِ ، وسبِّ الشافعيِّ وأئمَّةِ أصحابه ونُصَّارِ مذهبه ، وهـٰذا أمرٌ لا يجوزُ الصبرُ عليه ، ويتعيَّنُ على المولىٰ ـ أعزَّ اللهُ نصرَهُ ـ التنكيلُ بهـٰذا النفرِ اليسير ؛ الذين تولَّوا كِبْرَ هـٰذا الأمر ، وطعنوا في الشافعيِّ وأصحابِهِ ؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أقدرَهُ ، وهو الذي بدأَ في هـٰذا البلدِ بإعزازِ هـٰذا المذهبِ[1] ؛ بما بنىٰ فيه مِنَ المدرسةِ التي مات كلُّ مبتدعٍ من المجسمة والقدرية غيظاً منها[2] ، وبما يرتفعُ فيها مِنَ الأصواتِ بالدعاءِ لأيامه ، استجابَ اللهُ فيه صالحَ الأدعية ، ومتىٰ أهملَ نصرهم لم يكن له عذرٌ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ

وكتبَ إبراهيمُ بن عليٍّ الفيروزاباديُّ

ـ وبخط الطبري : الأمرُ علىٰ ما ذُكِرَ في هـٰذا المحضرِ مِنْ حالِ الشيخِ الإمام الأوحد أبي نصرٍ عبدِ الرحيم بن عبد الكريم القُشَيريِّ ، جمَّلَ اللهُ الإسلامَ به ، وكثَّرَ في أئمَّة الدِّين مثلَهُ ؛ مَنْ عقدَ المجالس ، وذكرَ الله عزَّ وجلَّ بما وصفَ به نفسه؛ مِنَ التنزيه ، ونفْيِ التشبيهِ عنه ، وقمعَ المبتدعةَ مِنَ المجسمةِ والقدريَّة وغيرهم ، ولم نسمعْ منه غيرَ مذهبِ أهل الحقِّ مِن أهلِ السنَّة والجماعة ، وبه ندينُ اللهَ عزَّ وجلَّ ، وهو الذي كانَ عليه أئمَّةُ أصحابنا ، واهتدىٰ به خلقٌ كثيرٌ ؛ من المجسِّمة واليهود والنصارىٰ ، فصاروا أكثرُهم علىٰ مذهب أهلِ الحقِّ ، ولم يبقَ مِنَ المبتدعة إلا نفرٌ يسير ، فحملَهم الحسدُ والغيظُ علىٰ سبِّهِ وسبِّ الشافعيِّ رضي الله عنه ونُصَّار مذهبه ، حتىٰ ظهرَ ذلك بمدينةِ السلام ، وهـٰذا أمرٌ لا يحلُّ الصبرُ عليه، ويتعيَّنُ علىٰ مَن بيدِهِ قوامُ الدين والنظرُ في أمور المسلمين أن ينظرَ في هـٰذا ، ويزيلَ هـٰذا المنكرَ ؛ فإنَّ مَنْ يقدرُ علىٰ إزالتِهِ ويتوقفُ فيه . . يأثمُ ، ولا نعلمُ اليومَ مَنْ جعلَ اللهُ سبحانه أمْرَ عبادِهِ إليه إلا

---

(١) في (أ ، هـ) : (العالم) بدل (البلد) ، وفي (ط) : (برأ) بدل (بدأ) .
(٢) يعني : المدرسة النظامية ببغداد ، وتبعتها نظاميات نيسابور وبلخ وهراة وغيرها .

المولىٰ أعزَّ اللهُ أنصاره ، فيتعيَّنُ عليه الإنكارُ علىٰ هـٰذه الطائفة ، والتنكيلُ بهم ؛ لأنَّ الله سبحانه أقدرَهُ علىٰ ذلك ، وهو المسؤولُ عنه غداً إن توقَّفَ فيه ، وصارَ قصدُ المبتدعة أكثرُه معاداةُ الفقهاء ، الذين هم سكَّانُ المدرسة الميمونة ، فإنَّهم يموتون غيظاً منهم ؛ لما هم عليه من مذاكرةِ علم الشافعيِّ وإحياءِ مذهبه

وكتبَ الحسينُ بنُ محمد الطبريُّ

ـ **وبخطِّ عبيد الله الكرخي** : الأمرُ علىٰ ما شُرِحَ في صدرِ هـٰذا المحضر .

وكتبَ عُبيدُ الله بنُ سلامةَ الكرخيُّ

ـ **وبخطِّ الشاشي** : الأمرُ علىٰ ما ذُكِرَ في هـٰذا المحضرِ مِنْ حال الشيخِ الإمام الأوحد أبي نصرٍ عبدِ الرحيم بن عبد الكريم القُشَيريِّ أدامَ اللهُ حراستَهُ ؛ مَنْ عقدَ المجالس للوعظ والتذكيرِ في المدرسة النظامية المعمورة والرباط ، وأطنبَ في توحيدِ الله عزَّ وجلَّ ، والثناءِ عليه بما يستوجبُهُ مِنْ صفاتِ الكمال ، وتنزيهِهِ عن النقائص ، ونفْيِ التشبيهِ عنه ، واستوفىٰ في الاعتقادِ ما هو معتقدُ أهل السنة بأوضحِ الحججِ ، وأقوى البراهين ، فوقعَ في النفوس كلامُهُ ، ومالَ إليه الخلْقُ الكثير مِنَ العامَّةِ ، **ورجعَ جماعةٌ كثيرةٌ عن اعتقاد التجسيم والتشبيه ، واعترفَتْ بأنَّها الآنَ بانَ لها الحقُّ** ، فحسدَهُ المبتدعةُ المجسِّمةُ وغيرُهم ، فحملَهم ذلك علىٰ بسْطِ اللسان فيه غيظاً منه ، وسبِّ الشافعيِّ رحمةُ الله عليه وأئمَّةِ أصحابه ومَنْ ينصرُهم ، وتظاهروا مِنْ ذلك بما لا يمكنُ الصبرُ معه ، ويتعيَّنُ علىٰ مَنْ جعلَ اللهُ إليه أمرَ الرعيَّة أن يتقدَّمَ في ذلك بما يحسمُ مادَّةَ الفساد ؛ لأنَّ سببَ ذلك فرطُ غيظِهم مِنِ اجتماعِ شمْلِ العصابة الشافعيَّة في الاشتغالِ بالعلم بعمارة المدرسةِ الميمونة ، وتوفُّرِهم على الدعاء لأيامِ مَنْ به عزُّهم ، ولا عذرَ للتفريطِ في ذلك

وكتبَ محمدُ بنُ أحمد الشاشيُّ

ـ وبخطِّ الخاطب : الأمرُ علىٰ ما ذُكِرَ فيه

وكتبَ سعدُ الله بنُ محمد الخاطبُ

ـ وبخطِّ البغدادي : الأمرُ على المشروحِ في هـٰذا الصدرِ مِن حالِ الشيخِ الإمام الأوحد أبي نصرٍ عبدِ الرحيم بن عبد الكريم القُشَيريِّ ، أكثرَ اللهُ في أئمَّة أهل العلم مثلَهُ ؛ مَنْ عقدَ المجالس ونشرَ العلم ، ووصفَ الله تعالىٰ بما وصفَ به نفسَهُ ؛ مِن توحيدِهِ وصفاته ، ونفْيِ التشبيهِ عنه ، وقمعَ أهلَ البدع من المجسمة والقدرية وغيرِهم ، ولم أسمعْ منه عُدُولاً عن مذاهبِ أهل الحقِّ والسنة ، والدينِ القويم والمنهجِ المستقيم ، الذي به يُدانُ اللهُ تعالىٰ ويُعبدُ ، ويُعملُ به ويُعتقدُ ، واهتدىٰ بهديِهِ خلْقٌ مِنَ المخالفين ، وصارَ إلىٰ قولِهِ ومعتقدِهِ جمعٌ كثيرٌ إلا مَنْ شقيَ به مِنَ الحاسدين ؛ فأخلدوا إلىٰ ذمِّهِ وسبِّهِ وسبِّ أئمَّة الشافعيين ، وقدحوا في الشافعيِّ وأصحابِهِ ، وصرَّحوا بالطعنِ فيهم في الأسواقِ وعلىٰ رؤوس الأشهاد ، وهـٰذه غمةٌ ورِدَّة ، لا يُرجىٰ لكشفِها بعد الله تعالىٰ إلا المجلسُ السامي الأجلِّيُّ النظاميُّ القواميُّ العادليُّ الرَّضَويُّ ، أمتعَ اللهُ الدنيا والدينَ ببقائه ، وحرسَ على الإسلام والمسلمين ظليلَ ظلِّهِ ونعمائِهِ ، ويفعلُ اللهُ ذلك بقدرتِهِ وطَوْلِهِ ومشيئتِهِ

وكتبَ الحسينُ بنُ أحمد البغداديُّ

ـ وبخط شيذلَهْ : حضرتُ المدرسةَ النِّظَاميةَ المنصورةَ المعمورةَ أدامَ اللهُ سلطانَ إعزازِها ، والرباطَ المقدَّسَ للصوفيَّة أجابَ اللهُ صالحَ أدعيتِهم في المسلمين ؛ مجالسَ هـٰذا الشيخ الأجلِّ ، الإمامِ ناصر الدين ، محيي الإسلام ، أبي نصرٍ عبدِ الرحيم بن الأستاذ الإمام زينِ الإسلام أبي القاسمِ القُشَيريِّ ، أحسنَ اللهُ عن الشريعة جزاءَهُ ، فلم أسمعْ منه قطُّ إلا ما يجبُ علىٰ كلِّ مكلَّفٍ علمُهُ ، وتصحيحُ العقيدةِ به ؛ مِنْ علْمِ الأصول ، وتنزيهِ الحقِّ سبحانه

وتعالىٰ ، ونفْيِ التشبيهِ عنه ، وإقماعِ الأباطيل والأضاليل ، وإظهارِ الحقِّ والصدق ، حتىٰ أسلمَ علىٰ يده ببركةِ التوحيد والتنزيهِ مِنْ أنواع أهل الذمَّةِ عشراتٌ ، ورجعَ إلى الحقِّ وعَلِمَ الصدقَ مِن المبتدعة مِئينٌ[1] ، وتبعَهُ خلْقٌ غيرُ محصورٍ ؛ بحيث لم يستطعْ أحدٌ ممَّن تقدَّمَ أو علماءِ العصر أن يشقُّوا غبارَهُ في مثلِ ذلك ؛ فخامرَهم الحسدُ وعداوةُ الجهل ، وحملَهم على الطعنِ فيه عدواناً وبهتاناً ، ثم تمادىٰ بهم الجهلُ إلى اللعن الظاهرِ للإمام الشافعيِّ ـ قدَّسَ الله روحَهُ ـ وسائرِ أصحابه عجماً وعرباً، وقائلو ذلك شرذمةٌ مِنْ ناشئةِ أغبياءِ المجسِّمة، وطائفةٌ مِنْ أرذالِ الحشوية، استغنوا مِنَ الإسلام بالاسم ، ومن العلْمِ بالرسم ، وتبعَهم سُوقَةٌ لا نسبَ لهم ولا حسب، وتظاهرَتْ هٰذه اللعنةُ منهم في الأسواق، ولم يستحسنْ أحدٌ مِنْ أصحابِهِ ـ كثَّرَهم اللهُ ـ دفعَ السفاهةِ بالسفاهة ، والسيئةِ بالسيئة .

ويجبُ على الناظرِ في أمور المسلمينَ ؛ الذي قدِ انتشرَ في المشارقِ والمغارب علمُهُ وعدلُهُ ، وأمرُهُ ونهيُهُ ، الذي أطاعَتْهُ بناتُ صدورِ الأولياء والأعداء[2] رغبةً ورهبةً . نصرتُهُ، ومدُّ ضَبْعيهِ[3] ، والشدُّ علىٰ يديه ، وتقديمُ كلمتِهِ العليا ، وتدحيضُ كلمةِ أعدائِهِ السفلىٰ ، فالصبرُ في الصدمة الأولىٰ ؛ وهٰذه الصدمةُ التي كانَتْ قلوبُ أصحاب الشافعيِّ ـ كثَّرَهم اللهُ ـ وَغِرَةً وَغِلةً شَغِلةً بها منذ سنينَ[4] ، فانقشعَ ذلك ، وانكشفَ في هٰذه الأيام المؤيَّدةِ ، المنصورةِ المؤبدة ، النظاميَّةِ القواميَّةِ، العالميَّة العادليَّة ، نصرَها اللهُ وأعلاها ،

---

(١) كذا على لغة، وفي (ط) وحدها: (مئات).

(٢) بنات الصدر خَلَلُ عظامه ، وهو مجاز ؛ والمراد هنا : حديث النفس وخواطرها ، وكأنه مهيمن عليهم ، ويقال : غلبتني بناتُ الصدر ؛ وهي الهموم ، وانظر « أساس البلاغة » (ب ن ي) ، و« تاج العروس » (ص د ر) ، وفي (ط) : (الذي لطاعته بنات صدور . . .) .

(٣) مدُّ الضبعين يُستعملُ كنايةً عن السرعة .

(٤) الوغر : الغيظ ، والوغل : الدخول في الشيء والاشتغال به

وقد وقفَ تمامه على الأمرِ الماضي المنصور منه ؛ فإنَّ في شعبةٍ مِنْ شُعَبِ عنايتِهِ ونصرتِهِ وكلمتِهِ للدين الذي مدَّ أطرارَهُ كفايةً وبلاغاً ، وعلى الغارس تعهُّدُ غِراسِهِ ؛ فضلاً وتعصباً في كلِّ وقتٍ

وكتبَ عَزيزيُّ بنُ عبدِ الملك شَيْذَلَهْ في التاريخ حامداً لله ، ومصلِّياً علىٰ محمدٍ النبيِّ وعلىٰ آله وصحبه ، وسلَّم وشرَّف وكرَّم .

وفي المكتوب أيضاً مثالُ استفتاءٍ في معتقدِ أبي نصرِ القشيريِّ رحمه الله للشيخِ أبي إسحاقَ رضي الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ما يقول سيدُنا الشيخ الأجلُّ ، السيد الإمام ، جمالُ الإسلام ، أحسنَ اللهُ توفيقَهُ . . في اعتقادِ الشيخ الإمامِ أبي نصر بن القشيريِّ أطال الله بقاءَهُ وفي مذهبه ؟ وهل سيدُنا الشيخ الأجلُّ الإمامُ على اعتقادِهِ ومذهبِهِ أم لا ؟ واعتقادُ أبي الحسن الأشعريِّ صحيحٌ أم لا ؟ بيِّنْ لنا في ذلك ما تزولُ به شكوكُنا وأنت مأجورٌ

صورة الجواب بخطِّ الشيخ أبي إسحاق رحمه الله الجواب وبالله التوفيق : أنَّ مذهبَ الإمام أبي نصرٍ مذهبي ، واعتقادَهُ اعتقادي ، وهو على مذهبِ أهلِ الحقِّ ، وأبو الحسن الأشعري إمامُ أهل السنة ، وعامَّةُ أصحاب الشافعيِّ على مذهبه في بلاد الإسلام ، ومذهبه مذهبُ أهل الحقِّ .

وكتبَ إبراهيمُ بن علي الفيروزبادي

وتحت خطِّهِ ما صورته : أجاب بمثلِهِ معنىً لا لفظاً الشيخُ أبو الخطاب ابن الحلويني ، وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر القيرواني ، والإمام أسعد الميهني رحمه الله ، والشيخ أبو الوفا بن عقيل ، والشيخ أبو منصور بن الرزاز ، والشيخ أبو الفتوح الإسفراييني الواعظ رحمه الله ، والشيخ الإمامُ أبو الحسن بن الخلِّ رحمه الله ، والشيخ أبو الحسن عليُّ بن الحسين الغزنوي

رحمه الله ، والشيخ أبو الحسين أحمد بن إسماعيل القزويني ، والشيخ الإمامُ عمر بن أحمد بن عمر الخطِيبي الزنجاني ، رضي الله عنهم أجمعين[1]][2]

* * *

(١) جاء في هامش (هـ) : (أصل هذه الفتوى بيد الشيخ أبي الفضل بن أبي القاسم بن طاهر بن سعيد بن أبي سعيد بن أبي الخير الميهني الصوفي) .

(٢) هنا ينتهي محضر العلماء في الذبِّ عن صاحب الترجمة ، والذي ألحقه بالكتاب ابنُ المصنف الإمامُ الحافظ بهاءُ الدين القاسم ، ومعه الاستفتاء المذكور .

علَّق العلاَّمة الكوثري رحمه الله تعالىٰ (وأصحاب الخطوط في هٰذه المحضرِ هم كبارُ أئمَّة المذهب الشافعيِّ ببغداد في ذلك العهد

أما إبراهيم بن علي الفيروزابادي : فهو إمامُ الأئمَّة أبو إسحاق الشيرازي ، صاحب « التنبيه » و« المهذب » و« النكت » و« اللمع » و« التبصرة » و« الملخص » و« المعونة » و« الإشارة » و« طبقات الفقهاء » وغيرها في الفقه والجدل والخلاف والأصلين والتراجم ، ولا يجهل قدرَ هٰذا الإمام في العلم والورع إلا مَن لا يعبأُ اللهُ به ، وقد اعترفَ بإمامته علماءُ الفِرق ، وشهرتُهُ تغني عن كلِّ إطراء ، وتوفي سنة ست وسبعين وأربع مئة عن ثلاث وثمانين سنة ، وتولىٰ غسلَهُ الإمام المشهور أبو الوفاء ابن عقيل الحنبليُّ .

وأما الحسين بن محمد الطبريُّ فهو الإمامُ البارع الحسين بن محمد بن علي الطبريُّ جد الطبريَّينَ بالحجاز ، مِنْ أنجب أصحاب الإمام أبي إسحاق الشيرازي ، جرَتْ بينه وبين الحنابلة القائلين بالحرف والصوت خطوب ، درَّسَ بالنِّظَامية ببغدادَ ، وألَّفَ « العدة شرح الإبانة » وغيرها ، توفي في حدود سنة خمس وتسعين وأربع مئة .

وأما محمد بن أحمد الشاشي فهو الإمام حافظ المذهب ، أبو بكر الشاشي ، مصنف « المستظهري » ، ومؤلف « الشافي شرح الشامل » ، صيته الذائع يغنينا عن التبسُّط في ترجمته ، وكان معيداً لدرس أبي إسحاق الشيرازي ، توفي سنة سبعٍ وخمسٍ مئة ، عن ثمانٍ وسبعين سنة ، ودُفن في قبر شيخه أبي إسحاق

وأما الحسين بن أحمد البغدادي : فهو الإمام الكبير أبو عبد الله ابن البقَّال ، الفقيه البارع النظار ، من أصحاب القاضي أبي الطيب ، وممن ولي القضاء بحريم دار الخلافة ، توفي سنة سبع وسبعين وأربع مئة عن ستٍّ وسبعين سنة

وأما عزيزيُّ بن عبد الملك شيذلَهْ : فهو الإمام أبو المعالي الجيلي مؤلف « البرهان » من أقدم ما أُلِّفَ في علوم القرآن ، كان فقيهاً نظاراً واعظاً ، حلوَ الكلام بارعاً ، صنَّفَ كُتباً =

ومنهم :

شيخنا الإمام أبو عليٍّ الحسنُ بن سلمانَ الأصبهانيُّ رحمه الله

كان أبوه أديباً من أهل النهروان ، يُعرف بابن الفتىٰ ، فسكن أصبَهانَ ، وكان يؤدِّب أولادَ نِظام المُلك ، ووُلدَ له الحسنُ بأصبَهانَ ، فتأدَّب بأبيه ، وتفقَّهَ على الإمام أبي بكر محمدِ بن ثابت الخُجَنْدِيِّ مدرِّسِ مدرسة نظام المُلك بأصبَهانَ ، وعلىٰ غيره ، ووليَ قضاءَ خوزستانَ

ثم وليَ تدريسَ المدرسة النِّظَاميَّةِ ببغداد إذ كنتُ بها ، وكان ممَّن يملأُ

= كثيرة ، وجمع لنفسه مشيخة ، قدم بغداد قبل الأربعين وأربع مئة ، وبها توفي سنة أربع وتسعين وأربع مئة ، ودفن مقابل تربة الإمام أبي إسحاق الشيرازي رحمهم الله تعالىٰ ، ترجمه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » ترجمة وافية ، وترجمه المصنف .

ولما طفح كيلُ فتن الحشوية الذين لا يكادون يفقهون حديثاً. اضطُرَّ أكابرُ العلماء المعروفون بكمال الهدوء والتؤدة والأناة إلىٰ قمعِ فتنتِهم ؛ بالسعْيِ لدىٰ وليِّ الأمر سعياً حثيثاً ورفع الإمام أبو إسحاق الشيرازي وأصحابه هـٰذا المحضرَ إلىٰ نظام الملك منتصرينَ للشيخ أبي نصر بن القشيري ، فعاد جواب نظام الملك إلىٰ فخر الدولة وإلى الإمام أبي إسحاق بإنكار ما وقع والتشديد علىٰ خصوم ابن القشيري ، وذلك سنة تسع وستين وأربع مئة ، فسكن الحال ثم أخذ الشريفُ أبو جعفر بن أبي موسىٰ ـ وهو شيخ الحنابلة إذ ذاك ـ وجماعتُهُ يتكلمون في الشيخ أبي إسحاق ، ويبلغونه الأذىٰ بألسنتهم ، فأمر الخليفةُ بجمعهم والصلْحِ بينهم بعد ما ثارت بينهم فتنة هائلة ، قتل فيها نحو من عشرين قتيلاً ، فلمَّا وقعَ الصلح وسكَن الأمر . . أخذ الحنابلة يشيعون أن الشيخ أبا إسحاق تبرأ من مذهب الأشعري ، فغضب الشيخ لذلك غضباً لم يصل أحدٌ إلىٰ تسكينه ؛ حتىٰ كتبَ إلىٰ نظام الملك يشكو أهلَ الفتن ، فعاد الجوابُ في سنة سبعين وأربع مئة إلى الشيخ باستجلاب خاطره وتعظيمه ، والأمر بتأديبِ الذين أثاروا الفتنة ، وبأن يسجن الشريف أبو جعفر ، فهدأ الحال ، وسكن جأش الشيخ ، وانقمعَتِ الحشويةُ بعد أن تنفَّس أهلُ السنة الصعداء ، وإلى الله عاقبة الأمور) انتهىٰ

العينَ جمالاً ، والأذنَ بياناً ، ويُربي على أقرانِهِ في النظر ؛ لأنَّه كان أفصحَهُم لساناً

وخرجَ عن بغداد ، ثم عادَ إليها وقد شرعَ في عقدِ مجالس التذكير ، وأنشأَ الخُطَبَ في التوحيدِ التي هو فيها عديمُ النظير ، وظهرَ له القبولُ التامُّ ، ولكن لم تمتدَّ له فيه الأيامُ

٣٣٨ـ فوردَ عليَّ بعد عَودي من بغداد كتابُ الشريف أبي المعمرِ المباركِ بنِ أحمدَ بن عبد العزيز الأنصاريِّ يذكرُ : أنَّه تُوفِّيَ في يوم الاثنينِ ، الخامسِ من شوالٍ سنةَ خمسٍ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ

٣٣٩ـ وبلغني عن غير أبي المعمر أنَّه سُئل في بعض مجالسِهِ عن علامة قبولِ الصَّومِ ؛ فقال : أن نموتَ في شوالٍ ، قبل التلبُّسِ بسيِّئِ الأعمال

فماتَ في شوالٍ بعد تأدية صومِ شهر رمضانَ ! وأظهرَ أهلُ بغداد عليه مِنَ الجزع ما لم يُعهدْ مثلُهُ ، ودُفِنَ بتربة الشيخ أبي إسحاق[١]

* *

---

(١) انظر ترجمته في « المنتظم » (١٧/٢٦٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٩/٦١١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٦٢) .

وَمِنهُم :

الشيخُ الإمامُ أبو سعيدٍ أسعدُ بن أبي نصرِ بنِ الفضلِ العمريُّ الميهنيُّ رحمه الله[1]

صاحبُ « التعليق » ، المحشوّ بالتحقيق ، المُبرِّزُ في علم الخلاف ، المشهورُ في سائر البلدان والأطراف

تفقَّهَ بمَرْوَ على الشيخ الإمام أبي المظفَّر منصورِ بن محمد بن عبد الجبار السَّمعانيِّ المَرْوَزيِّ .

وقرأَ الأصولَ علىٰ كِبَرِ السنِّ علىٰ شيخنا الإمام أبي عبد الله محمدِ بن الفضل الفُراويِّ رحمَهُ اللهُ

واشتغلَ بخدمة بعضِ أسباب السلطان ، ثمَّ وليَ تدريسَ المدرسة النظاميَّةِ ببغدادَ غيرَ مرةٍ ، وعلَّقَ عنه جماعةٌ مِنَ الفقهاءِ وانتفعوا بطريقتِهِ ، وكان مشهوراً بحسْنِ النظر ، موصوفاً بقوَّةِ الجدل ، ونسخَ بـ« تعليقتِهِ » سائرَ التعاليق .

شاهدتُهُ ببغدادَ ، ولم أسمعْ منه شيئاً

٣٤٠ـ وتُوفِّيَ بهمَذانَ في سنة سبعٍ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ ، علىٰ ما كتبَ به إليَّ أبو المعمر[2]

* * *

---

(١) ويُكنىٰ أيضاً بأبي الفتح ، وكلاهما صحيح ، وانظر « طبقات الشافعيين » للحافظ ابن كثير (ص ٥٦٦) .

(٢) انظر « المنتظم » (١٧/ ٢٥٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٦٣٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٤٢)

ومنهم :

شيخنا الشريف الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن جني العثماني الديباجي المقدسي رحمه الله [1]

ولدَ سنةَ اثنتين وستينَ وأربعِ مئةٍ ببيروتَ مِنْ ساحلِ دمشقَ ، ولقيَ الفقيه أبا الفتح نصرَ بن إبراهيم المقدسيَّ رحمَهُ اللهُ ببيتِ المقدس ، ولزمَ صاحبَهُ القاضيَ يحيى بن يحيى المقدسيَّ الذي خلَّفَهُ في مدرستِهِ بعد خروجِهِ عن بيت المقدس ، وتفقَّهَ أيضاً بالقاضي حسينِ الطبريِّ نزيلِ مكَّةَ

وسكن بغدادَ ، وكان يفتي بها ويناظرُ ويذكِّر ، وكانت مجالسُ تذكيره قليلةَ الحشْوِ ، مشحونةً بالفوائد ، على طريقةِ تذكير المتقدِّمين

وكان كما كتبَ إليه بعضُ أهل الفضل متمثلاً في حقِّهِ بقول بعض الشعراء [من السريع]

مُبَارَكُ ٱلطَّلْعَةِ مَيْمُونُهَا   يَصْلُحُ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ

٣٤١ـ كتبَ إليَّ الشريف أبو المعمر يذكرُ : **أنَّه مات يومَ الأحد ، السابعَ عشرَ من صفرٍ ، سنة سبعٍ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ**[2]

* *

---

(١) في مطبوع « تاريخ دمشق » و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (حيي) بدل (جني) ، وفي مطبوع « معجم الشيوخ » للمصنف : (حبي)

(٢) انظر « المنتظم » (١٧/ ٢٧٩) ، و« تاريخ دمشق » (٥١/ ١٦٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٨٨)

ومنهم :

شيخنا القاضي الإمام أبو العباس أحمد بن سلامة بن عبيد الله بن مخلد المعروف بابن الرُّطبي رحمه الله

من أهل كرخ بَعْقوبا[1]

تفقَّهَ بالشيخِ أبي إسحاقَ إبراهيمَ بن عليٍّ الشيرازيِّ بشيرازَ ، ثم لزمَ الشيخَ الإمامَ أبا بكر الشاشيَّ بعد وفاةِ الشيخ أبي إسحاقَ ، ورحلَ إلىٰ أصبَهانَ وتفقَّهَ بالإمام أبي بكر محمدِ بن ثابت بن الحسين الخُجَنْدِيِّ مدرِّسِ النِّظَاميَّةِ بأصبَهانَ ، وسمعَ بها شيئاً من الحديث ، ورجعَ إلى العراق

وكان يتزهَّدُ في ابتداء أمره ، ثم تقدَّمَ عند الخلفاء ، ووليَ قضاء نهر مُعلَّىٰ ببغداد ، والحسبةَ والنظرَ في الوقوف ، وفي أمر تُرَب الخلفاء ، والصلاة بأمير المؤمنين ؛ المسترشد بالله رحمَهُ اللهُ ، وتأديبَ ولده أبي جعفر المنصور الراشد بالله .

وكان مُقدَّماً في المعرفة بالمذهب والخلاف ، حسنَ المناظرة ، حلوَ العبارة

٣٤٢ـ سمعتُ الشيخَ أبا عبد الله المقدسيَّ وقال له بعضُ الفقهاء : لقد ظهر اليومَ كلامُ القاضي أبي العباس علىٰ كلام الشيخ الإمام أسعد ، فقال : ومتىٰ لم يظهرْ كلامُ القاضي علىٰ كلامه ؟!

---

(١) يعني : لا من كرخ بغداد ؛ إذ بين بعقوبا وبغداد عشرةُ فراسخ .

٣٤٣ـ ماتَ ليلةَ الاثنينِ مستهلَّ رجبٍ سنة سبعٍ وعشرين وخمسِ مئةٍ ، ودُفنَ في تربةِ الشيخ أبي إسحاقَ الشيرازيِّ ، كتبَ إليَّ بذلك أبو المعمر[1]

* * *

---

(١) انظر « المنتظم » (١٧/ ٢٧٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٦١٠) ، وقال عنه الحافظ الذهبي : (أحد أذكياء العصر) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٦/ ١٨) .

ومنهم :

شيخنا الإمام أبو عبد الله الفُراويُّ النيسابوريُّ رحمه الله[1]

٣٤٤ـ حدثَني الشيخُ أبو المحاسن عبدُ الرزاق بن محمد بن أبي نصرٍ الطَّبَسِيُّ بنيسابورَ قال وجدتُ بخطِّ أبي مسعودٍ الفضلِ بن أحمدَ الصاعديِّ[2] قال : حكىٰ لي الأميرُ أبو الحسن عليُّ بن الحسن السِّيمَجُوريُّ القاينيُّ[3] رحمَهُ اللهُ يومَ السبت سلْخَ رجبٍ عظَّمَ الله بركتَهُ ، سنةَ ثلاثٍ وخمسين وأربعِ مئة قال

إنِّي كنتُ أوَّلَ مِنْ أمسِ بين النائم واليقظان ، فرأيتُ كأنَّكَ حضرتَ عندي وقلتَ لي : إنَّ الصوفيةَ جعلوا ولدَكَ محمداً نائبهم في عقد المجلس ، فكما سمعتُ منكَ هـٰذا المقال . . رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جالساً كشبهِ المتَّكئ ، حاسراً عن رأسِهِ ، وبجنبهِ شخصٌ علمتُ أنَّه عائشةُ رضي الله عنها ، ثم إنَّ ولدَكَ أنشدَ بين يدي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم القصيدةَ المنظومةَ في الاعتقاد التي مفتتحُها : [من الوافر]

بِحَمْـــدِ ٱللهَ أَفْتَتِـــحُ ٱلْمَقَـــالاَ ... وَقَـدْ جَلَّـتْ أَيَـادِيـهِ تَعَـالَـىٰ

(١) شُكلَتْ في (هـ) بفتح الفاء وضمِّها ، وكتب عليهما (معاً) ، وفي هامشها حاشية (فراوة في الثغر بين خوارزم وخراسان ، علىٰ رأس الحدِّ) .

(٢) وهو والد الإمام أبي عبد الله الفراوي ، وانظر ترجمته في « المنتخب » (ص ٤١١) .
وجاء في هامش (هـ) حاشية : (قال أبو سعد السمعاني : ما رأيتُ في شيوخي مثلَهُ ، وقال : للفُراوي ألفُ راوي) ، وانظر « التقييد » للحافظ ابن نقطة (ص ١٠٣) .

(٣) نسبة إلى قاين ؛ بلد قريب من طبس ، بين نيسابور وأصبهان .

من إنشاءِ الأستاذ الإمامِ أبي القاسم عبدِ الكريم بن هوازنَ القُشَيريِّ[1] ، ثمَّ إنَّه جرىٰ علىٰ لسان ولدكَ محمدٍ في أثناء إنشادِهِ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم هـٰذه القصيدةَ . . شيءٌ ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كيف قلتَ ؟ كالمستدركِ عليه ، فرجعَ إلىٰ أبياتٍ قبلَها ، فأنشدَها بين يديهِ مع البيتِ المنتهي إليه ، فأنشدَها علىٰ حسَبِ ما رضيَ عليه السلام ، إلىٰ أن فرغَ من إنشادِ تمام القصيدة ، ثم قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جعلتُكَ نائبي في عقدِ المجلس ، ثمَّ في الحال جاءَتْ فاطمةُ عليها السلام وجلسَتْ بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وبين عائشةَ ، فقال لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُغَرِّمُها ؛ يعني علىٰ ما فاتَها بعد قيامِها مِنْ جنبِهِ حالَ إنشادِ هـٰذا الصبيِّ ، ورأيتُ علىٰ ولدِكَ في تلك الحالةِ ثياباً بيضاً .

ثم ذكر الأميرُ أبو الحسن السِّيمَجُوريُّ هـٰذه الرؤيا بين يدي جماعةِ الصوفية بنيسابورَ في خانقاه الشيخ أبي عبدِ الرحمـٰن السلميِّ ، فكلُّهم أُعجبوا بهـٰذه البِشارة ، وتُوفِّيَ الأميرُ أبو الحسن رحمَهُ اللهُ في شهر رمضانَ سنةَ ثلاثٍ وخمسين وأربعِ مئة

٣٤٥ـ وكتب إليَّ الشيخُ أبو الحسن عبدُ الغافر بن إسماعيلَ قال : (ذكر لي الإمامُ محمدٌ أنَّه لما فرغَ من زيارة قبرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم حين كان بالمدينة ، وأرادَ أن يخرجَ مِنَ المسجد . تذكَّرَ هـٰذه الرؤيا ، فوقفَ واستأذنَ مِنَ الروضة في عقد المجلس كما أشارَ إليه في الرؤيا ، فوجدَ شبهَ تعريفٍ أنَّه أُذنَ له فيه ، واللهُ أعلم)[2]

---

(١) وفي (ط) : (إنشاد) بدل (إنشاء) .

(٢) جاء في هامش (هـ) حاشية : (قال أبو سعد السمعانيُّ : وكان له ـ يعني : الفراوي ـ مجلس الإملاء كلَّ أحد بعد العصر في مسجد المطرّز ، ولعله أملىٰ أكثر من ألفِ مجلسٍ ، =

قال عبدُ الغافر (وهـٰذا وأمثالُهُ ممَّا يُشاهد مِنْ أحواله وسيرته عِياناً. لا يُحتاجُ إلى الاستضاءةِ فيه بنقل رؤيا أو حكايةٍ)

وقال عبدُ الغافر أيضاً (محمدُ بن الفضل بنِ أحمدَ ، أبو عبد الله الصاعديُّ الفُراويُّ الإمام فقيه الحرم ، البارعُ في الفقه والأصول ، الحافظُ للقواعد ، نشأَ بين الصوفية في حُجُورهم ، ووصلَ إليه بركاتُ أنفاسهم

سمعَ التصانيفَ والأصولَ من الإمام زين الإسلام[1] ، ودرسَ عليه الأصولَ والتفسيرَ ، ثم اختلفَ إلىٰ مجلس إمام الحرمين ، ولازمَ درسَهُ ما عاش ، وتفقَّهَ عليه ، وعلَّقَ عنه الأصول ، وصارَ مِنْ جملةِ المذكورين مِنْ أصحابِهِ

وخرجَ حاجّاً إلىٰ مكَّةَ ، وعقدَ المجلس ببغداد وسائرِ البلاد ، وأظهرَ العلمَ بالحرمين وكان منه بهما أثرٌ ، وذكَّرَ ونشرَ العلم ، وعادَ إلىٰ نيسابورَ ، وما تعدَّىٰ قطُّ حدَّ العلماء ، ولا سيرةَ الصالحينَ ؛ مِنَ التواضع والتبذُّلِ في الملابس والمعايش[2] ، وتستَّرَ بكِتْبَةِ الشروط[3] لاتصالِهِ بالزمرة الشَّحَّاميَّة مصاهرةً[4] ؛ ليصونَ بها عرضَهُ وعلمَهُ عن توقُّعِ الإرفاقِ[5] ، ويتبلَّغَ بما يكتسبُهُ

= وما ترك الإملاء إلىٰ أن مات ، قال أبو سعدٍ: أذكر أنَّا في شهر رمضان سنة ثلاثينَ حملنا محفَّته علىٰ رقابنا إلىٰ قبر مسلم بن الحجاجِ بنصراباذ؛ لإتمام « الصحيح » عند قبر المصنِّفِ ، فبعد أن فرغَ القارئ من قراءة الكتاب بكىٰ ، ودعا ، وأبكى الحاضرين ، وقال : لعلَّ هـٰذا الكتاب لا يقرأ عليَّ بعد هـٰذا ، قال : وما قُرئ بعد ذلك كما جرىٰ علىٰ لسانه ، رحمه الله تعالى) انتهىٰ مستكملاً بعضها من « طبقات الفقهاء الشافعية » للحافظ ابن الصلاح (١/ ٢٣٩)

(١) يعني : الإمام القشيري صاحب « الرسالة » .

(٢) في (و) : (المعاش) .

(٣) يعني : عمل بكتابة الصكوك والسجلات ونحو هـٰذا ، ويقال لمن يعمل بذلك : الشروطي

(٤) ومن أعلام هـٰذه الزمرة المباركة : الحافظان زاهرٌ ووجيهٌ الشحَّاميَّانِ .

(٥) الإرفاق ـ بكسر الهمزة ، أو بفتحها علىٰ أنه جمع ـ: الإحسان المقدَّم من الناس أو المعونة

منها في أسباب المعيشة مِنْ فنون الأرزاق ، وقعدَ للتدريس في المدرسة الناصحيَّةِ برأس سكَّة عمَّارٍ ، وإفادةِ الطلبةِ فيها ، وقامَ بإمامة مسجد أبي بكر المطرِّزِ ، وقد سمعَ المسانيدَ والصحاحَ ، وأكثرَ عن مشايخِ عصرِهِ ؛ مثلِ : أبي الحسين عبدِ الغافر ، وأبي سعد الجَنْزَرُوذِيِّ ، وأبي سعيدٍ الخشَّابِ الصوفيِّ ، وطبقتِهم .

وله مجالسُ الوعظِ والتذكير المشحونةُ بالفوائدِ والمبالغةِ في النصح ، وحكاياتِ المشايخ وذكْرِ أحوالهم)[١]

وإلى الإمام محمدٍ الفُراويِّ كانَتْ رحلتي الثانية[٢] ؛ لأنَّه كان المقصودَ بالرحلة في تلك الناحية ؛ لما اجتمعَ فيه مِنْ علوِّ الإسناد ، ووفورِ العلم ، وصحَّةِ الاعتقاد ، وحسنِ الخُلُق ، ولينِ الجانب ، والإقبالِ بكلِّيَّتِهِ على الطالب .

فأقمتُ في صحبتِهِ سنةً كاملةً ، وغنمتُ من مسموعاته فوائدَ حسنةً طائلةً ، وكان مُكرِماً لموردي عليه ، عارفاً بحقِّ قصدي إليه ، ومرضَ مرضةً في مدَّة مقامي عنده نهاهُ الطبيب عن التمكين مِنَ القراءة عليه فيها ، وعرَّفَهُ أنَّ ذلك ربَّما كان سبباً لزيادة تألُّمِهِ ، فقال : لا أستجيزُ أن أمنعَهم مِنَ القراءة ، وربَّما أكونُ قد حُبِستُ في الدنيا لأجلِهم ، فكنتُ أقرأُ عليه في حالة مرضِهِ وهو مُلقىً على فراشِهِ .

ثم عُوفيَ من تلك المرضةِ ، وفارقتُهُ متوجِّهاً إلىٰ هَراةَ ، فقالَ لي حين

---

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٦١٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ١٦٧) .

(٢) يعني : رحلته إلىٰ بلاد خراسان عن طريق أذربيجان ، وامتدَّت قرابةَ أربع سنوات ، وعاد إلىٰ دمشق سنة (٥٣٣ هـ) ، وكانت رحلته الأولىٰ إلىٰ بغداد وبلاد العراق سنة (٥٢٠ هـ) ، وكان قد عاد إلىٰ دمشق قبل رحلته الثانية .

ودَّعتُهُ بعد أن أظهرَ الجزعَ لفراقي ربما لا نلتقي بعد هـٰذا[1] ، فكان كما قال ، فجاءَنا نعيُهُ إلىٰ هَراةَ ، وكان موتُهُ في العشرِ مِنْ شوالٍ سنةَ ثلاثين وخمسِ مئة ، ودُفِنَ في تربةِ أبي بكر بن خزيمةَ[2] .

* * *

(١) وفي (ط) : (تلقاني بعد هـٰذا)

(٢) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (« قال الشيخُ الإمامُ أبو جعفر وجدتُ بخطِّ تاج الدين البندهي : وكان موتُ أبي عبد الله الفُراوي رحمه الله في السادس من شوالٍ سنةَ ثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، وهو ابن مئة سنة وخمسة أشهر ، ودفن في تربة ابن خزيمة » ، كذا في هامش الأصل) انتهىٰ .
وجاء في هامش (هـ) حاشية : (مات الإمام محمدٌ الفراويُّ في السادس من شوالٍ سنة ثلاثينَ وخمسِ مئة ، وهو ابن مئة سنة وخمسة أشهرٍ ، ودفن عند قبر الإمامِ محمدِ بن إسحاقَ بن خزيمةَ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٩/٦١٨) .

ومنهم :

شيخنا الإمام أبو سعدٍ إسماعيلُ بنُ أبي صالحٍ أحمدَ بنِ عبد الملكِ بن عليِّ ابن عبدِ الصَّمدِ النيسابوريُّ المعروفُ بالكَرْمانيِّ رحمه الله[1]

سُئلَ عن مولدِهِ وأنا أسمعُ ، فقال في أوائلِ ذي القعدةِ سنةَ اثنتين وخمسين وأربعِ مئة

تفقَّهَ على الأستاذِ أبي القاسم القُشَيريِّ ، والإمام أبي المعالي الجُوَينيِّ ، وكان إماماً في الأصولِ والفقه ، حسنَ النظر ، مُقدَّماً في التذكير

سمعَ الحديثَ الكثير بإفادةِ والده أبي صالح الحافظ المعروف بالمؤذِّنِ ، وخرَّجَ له والدُهُ الفوائدَ ، وسكن كرمانَ إلىٰ أن ماتَ بها ، وكان وجيهاً عندَ سلطانِها ، معظَّماً في أهلِها ، محترماً بين العلماءِ في سائر البلاد[2]

لقيتُهُ ببغدادَ سنةَ إحدىٰ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ وسمعتُ منه ، وسألَهُ بعضُ البغداديينَ : هل قرأتَ كتابَ « الإرشاد » على الإمام أبي المعالي ؟ فقال : نعم ، فاستأذنه في قراءتِهِ عليه ، فأذن له ، فشرع في قراءته علىٰ عادة أصحاب الحديث ، فلمَّا قرأَ منه نحو صفحةٍ . . قال له : إنَّ هٰذا العلمَ لا يُقرأُ كما يُقرأ

---

(١) قال الإمام السمعاني في « الأنساب » (١١/ ٨٥) : (وقيل : بفتح الكاف ، وهو الصحيح ، غير أنه اشتَهر بكسر الكاف)

(٢) جاء في هامش (هـ) حاشية : (سمعَ من أبي سعدٍ هٰذا الحافظُ أبو الفضل محمدُ بن طاهر المقدسيُّ ، وحدَّثَ عنه في « معجم البلدان » ، نقل ذلك الشيخُ أبو عمرو بن الصلاح) ، وانظر « طبقات الفقهاء الشافعية » (١/ ٤٢٥) .

الحديثُ للروايةِ ، وإنَّما يقرأُ شيئاً فشيئاً للدراية ، فإن أردتَ أن تقرأه كما قرأناهُ وإلا فاتركْهُ

ماتَ سنةَ إحدىٰ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ بكرمانَ ، وبلغَتْني وفاتُهُ وأنا بأصبَهانَ[1]

* *

---

(١) انظر « المنتظم » (١٧/ ٣٣٠) ، و« المنتخب » (ص ١٥٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٩/ ٦٢٦) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٤٤)

ومنهم :

شيخنا الإمام أبو الحسن السُّلَمِيُّ الدمشقيُّ رحمه الله

وهو أبو الحسن ، عليُّ بن المُسلَّمِ بن محمدِ بن علي بن الفتحِ بن علي السُّلَميُّ ، ابنُ ابنةِ أبي بكر محمدِ بن عقيلِ الشهرزوريِّ .

ولدَ سنةَ خمسين وأربعِ مئةٍ ، أو سنةَ اثنتينِ وخمسينَ

وتفقَّهَ أوَّلاً بالقاضي أبي المظفَّر عبدِ الجليل بن عبد الجبَّار المَرْوَزيِّ نزيلِ دمشقَ وغيره ، وعُنيَ بنفسه بكثرةِ المطالعة والتكرار ، ولمَّا قدمَ الفقيهُ أبو الفتح نصرُ بن إبراهيمَ المقدسيُّ . . لازمَهُ ، وكان معيداً لدرسِهِ ، ولزمَ الإمامَ أبا حامد الغزاليَّ مدَّةَ مُقامِهِ بدمشقَ ، وهو الذي أمرَهُ بالتصدُّرِ بعد موت الفقيه نصرٍ ، وكان يُثني علىٰ علمِهِ ، ويصفُ حسنَ فهمِهِ[1]

وانتهىٰ إليه أمرُ التدريس والفتيا والتذكيرِ بدمشقَ ، فكان أجرىٰ أهلِ زمانِهِ قلماً بالفتوىٰ ، وأغزرَهم علماً ، مع التواضعِ وقلَّةِ الدعوىٰ ، عالماً بالتفسير ، والأصول والفقه والتذكير ، والفرائضِ والحساب والمناسخات ، وتعبيرِ المنامات ، مع ما رُزِقَ مِن لينِ الجانب ، وسلامةِ الصدر ، وقضاءِ حقوق الناس ، والتوفُّرِ علىٰ نشرِ العلم ، والإرشادِ إلى الحقِّ ، وتحرِّي الصدقِ ، إلىٰ أن قبضَهُ اللهُ إلىٰ رحمتِهِ ساجداً في الركعة الثانية مِنْ صلاة الصبح ، يومَ الأربعاء

---

(١) وجاء في « تاريخ دمشق » (٤٣/ ٢٣٦) : أن الإمام الغزاليَّ قال فيه : (خلَّفتُ بالشام شابّاً إن عاشَ . . كان له شأنٌ) ، قال المصنف (فكان كما تفرَّسَ فيه رحمه الله ، ودرَّس في حلقتِهِ في الجامع مدَّةً) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٣١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٣٥) .

الثالثَ عشرَ من ذي القعدة ، سنةَ ثلاث وثلاثين وخمسِ مئة[1]

* * *

(١) انظر « تاريخ دمشق » (٤٣/ ٢٣٦) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٣٥)
وجاء في هامش (هـ) حاشية : (قال جمال الإسلام أبو الحسن عليُّ بن المسلم السلميُّ صاحب هـٰذه الترجمة ، مما نقله الإمام أبو محمد عبد الرحمـٰن عرف بأبي شامة عنه قول أئمة أهل السنة : إنه لا يجوز أن يقال : اللفظُ بالقرآن مخلوقٌ ولا غير مخلوقٍ ؛ لما فيه من إبهام القول بخلق القرآن ، أو نفي خلق أفعال العباد ، وكلاهما باطل ؛ لأن من قال : « لفظي بالقرآن » أي : القرآنُ بلفظي ، فهي ضمن قولِهِ : إنه يتكلم بكلام الله عز وجل ، فإذا قال : « مخلوقٌ » . . اقتضىٰ كون القرآن مخلوقاً ؛ لأن لفظه مخلوقٌ ، وإذا قال : « غير مخلوقٍ » وأفعالُ العباد مخلوقةٌ . . فهـٰذا خرجَ لفظه الذي هو فعله عن أن يكون مخلوقاً لله تعالىٰ ، وقولُ الإنسان « لفظي بالقرآن » يشتملُ علىٰ صفة العبد ؛ وهو صوته ، وعلى القرآن الذي هو كلامُ الله تعالىٰ ، فكلامُ الله غيرُ مخلوقٍ ، وصفةُ العبد مخلوقةٌ)

ومنهم :

شيخنا الإمام أبو منصور محمود بن أحمد بن عبد المنعم ابن ماشاذه الأصبهاني الفقيه الواعظ المفسر رحمه الله[1]

مِنْ أعيانِ العلماء ، ومشاهيرِ الفضلاء الفهماء .

قدمَ بغداد حاجّاً سنةَ أربعٍ وعشرين وخمسِ مئة حين كنتُ بها ، فلم يبقَ بها مِنَ المذكورين أحدٌ إلا تلقَّاهُ إلىٰ ظاهرِها وسُرُّوا بقدومِهِ السرورَ التامَّ ، وأظهرَ أميرُ المؤمنين المسترشدُ بالله الإكرامَ له والاحترامَ ، وعقدَ المجلسَ في جامع القصر ، وسُرَّ بكلامه أئمَّةُ العصر ، وحضرتُ مجلسَهُ مراراً

ثم لقيتُهُ بأصبَهانَ سنةَ اثنتينِ وثلاثينَ ، وحضرتُ مجلسَ إملائِهِ وتذكيرِهِ ، وشاهدتُ جماعةً انتفعوا بإرشادِهِ وتبصيره ، وعاينتُ علوَّ مرتبتِهِ في بلدِهِ ، وحشمتَهُ في نفسِهِ وولده .

٣٤٦ـ وتُوفِّيَ في الحادي عشر من شهر ربيعٍ الآخر ، سنة ستٍّ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ فجأةً بأصبَهانَ ، كتبَ إليَّ بوفاتِهِ ثقةٌ[2]

* * *

---

(١) وهو من جوبار ؛ قرية من قرىٰ مرو ، فيقال له : الجُوبارِيُّ ، وكان مولده سنة (٤٥٨ هـ) انظر « الأنساب » (٣/ ٣٧٣) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٦/ ٤٢٩) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٨٥)

ومنهم :

الإمامُ أبو الفتوحِ محمدُ بنُ الفضلِ بنِ محمدِ بنِ المعتمدِ الإسفراينيُّ رحمه الله

أجرأُ مَنْ رأيتُهُ لساناً وجَناناً ، وأكثرُهُم فيما يُوردُ إغراباً وإحساناً ، وأسرعُهُم عند السؤال جواباً ، وأسلسُهُم عند الإيراد خطاباً ، مع ما رُزقَ بعد صحَّة العقيدةِ مِنَ السجايا الكريمة ، والخصالِ الحميدة ؛ مِن قلَّة المُراءاةِ لأبناءِ الدنيا[1] ، وعدمِ المبالاة بذوي الرتبةِ العليا ، والإقبالِ على إرشادِ الخلْقِ ، وبذلِ النفس في نُصرة الحقِّ ، والصلابةِ في الدين ، وإظهارِ صحَّة اليقين ، وما ينضافُ إلىٰ هـٰذه الشِّيمِ ، مِنْ سَعةِ النفس وشدَّةِ الكرم ، والتحلِّي بالتصوُّف والزهادة ، والتخلِّي لوظائفِ العبادة ، والاستحقاقِ لوصف السيادة ، والفوزِ في آخرِ عمرِهِ بالشهادة

٣٤٧ـ بلغَني : أنَّه لمَّا وقعَتْ له تلك الواقعةُ ببغدادَ[2] . . اجتمعَ إليه جماعةٌ مِنْ أصحابه ، وشكَوا إليه ما يتوقَّعونَهُ من وحشةِ فراقِهِ ، فقال لعلَّ في ذلك خِيرةً .

وحَكَىٰ : أنَّ بعضَ المشايخ جرىٰ له مثلُ واقعته ، وقيل له كما قيل له ، فقال : لعلَّ في ذلك خيرةً ، فقيل له : وأيُّ خِيرةٍ في ذلك ؟! فقال لعلِّي أموتُ وأُقبرُ إلىٰ جنبِ رجل صالحٍ ، فكان كما وقعَ له

---

(١) في (ط) : (المراعاة) بدل (المراءاة) ، وما في سائر النسخ موافقٌ لما في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ١٧١) .

(٢) سيذكرُ أنه أُصيبَ بمرضٍ ببطنه كان سبباً لشهادته في غربته .

خرجَ مِنْ بغدادَ متوجِّهاً إلىٰ خراسانَ ، فأصابَهُ مرضُ البطن ، فماتَ غريباً مبطوناً شهيداً ، ودُفنَ بِبِسْطامَ إلىٰ جنب قبرِ أبي يزيدَ البِسْطاميِّ في شهور سنةِ ثمانٍ وثلاثين وخمسِ مئة

وحكىٰ جماعةٌ مِنْ أهل بِسْطامَ أنَّ قيِّمَ مسجدِ أبي يزيدَ البِسْطاميِّ رآهُ في المنام وهو يقولُ غداً يجيءُ أخي ، ويكونُ في ضيافتي ، فقدمَ الشيخ أبو الفتوح ، وعُملَ له وقتٌ ، وأقام ثلاثةَ أيامٍ ببِسْطامَ ، ثم مات .

٣٤٨ـ وبلغَني مِن وجهٍ آخرَ أنَّ قيِّمَ مسجدِ أبي يزيدَ قد رأىٰ أبا يزيدَ في النومِ في الليلة التي في صبيحتِها دُفنَ الإمامُ أبو الفتوح وهو يقولُ له : غداً يُقبرُ إلىٰ جنبي رجلٌ صالحٌ ، فاحفر له قبراً ، فأصبحَ القيِّمُ وحفرَ له القبرَ ، وتلقى الصحبةَ التي قُدمَ به فيها ، فوجدَهُ قد ماتَ ، فدفنَهُ إلىٰ جنبهِ

وقد كنتُ لازمتُ حضورَ مجالسه ببغداذَ ، وداومتُ الاستماعَ لكلامِهِ والاستلذاذَ ، فما رأيتُ مثلَهُ واعظاً ولا مذكِّراً ، ولا شاهدتُ نظيرَهُ مُرشداً مُبصِّراً

٣٤٩ـ سمعتُ الشريفَ أبا العباس الجوهريَّ[1] يقول حكىٰ لي خادمُ رباطِ أبي يزيدَ ببِسْطامَ : أنَّه رأىٰ أبا يزيدَ البِسْطاميَّ في المنامِ يكنسُ الرباطَ ويملأُ الآنيةَ التي فيه ماءً ! فقلت : أنا أكفيكَ ، فقال : إنَّه يقدمُ في غدٍ ضيفٌ أحبُّ أن أتولَّىٰ خدمتَهُ ، أو كما قال ، فاستيقظتُ ووجدتُ الآنيةَ ملأىٰ ماءً ، وقدمَ علينا الشيخُ أبو الفتوح رحمَهُ اللهُ

٣٥٠ـ وسمعتُ أبا يعقوبَ يوسفَ بنَ أحمد بن إبراهيم بن محمد الشيرازيَّ[2] وكتبَ لي بخطِّهِ يقول : سمعتُ عيسى بن عيسى بن أبي موسىٰ

---

(١) في (أ ، و) : (العباسي) بدل (العباس) مع بياض بين كلمة (أبا) و(العباسي) .

(٢) في (هـ ، ط) (أبا يعقوب يوسف بن الشيرازي) مع بياض بين كلمة (ابن) =

خادمَ الصوفية ببِسْطامَ[1] يقول رأيتُ الشيخَ أبا يزيدَ في المنام ، فقال لي قد وصلَ إلينا ضيفٌ فأكرموهُ ، فقدمَ بعد هٰذه الرؤيا بأيامٍ الشيخُ أبو الفتوح الإسفرايينيُّ ، وماتَ عن قريبٍ ، فآثرتُهُ بموضعٍ كنتُ ادَّخرته لنفسي لأُقبَرَ فيه بالقربِ مِنْ تربة الشيخ أبي يزيدَ رحمةُ الله عليه ؛ إذ كان أوصاني الشيخُ بإكرامِهِ في النوم

٣٥١ـ وسمعتُ خطيبَ بِسْطامَ يقول نزلتُ في حفرةِ الشيخ أبي الفتوحِ ، فكان بين حافَتَيِ القبرِ وصدري أربعُ أصابعَ ، فتناولتُهُ وتحيرتُ مِنَ الضِّيقةِ ، فإذا أنا بعد ذلك بسَعةٍ كثيرةٍ في القبرِ ، وكأنَّه أُخذَ مِنْ يدي ، فأخذني الغَشْيُ[2] ، وأُصعدتُ مِنَ القبرِ وأنا لا أعقلُ[3]

*

= و(الشيرازي) ، وأبو يعقوب الشيرازي كان بعد المترجم شيخ الصوفية بالرباط الأرجواني المنسوب إلى الأرجوانية والدة الخليفة المقتدي بأمر الله .

(١) في (هـ ، ط) : (سمعت عيسى بن أبي موسىٰ خادم الصوفية ببسطام) .

(٢) وفي (و) : (العِيُّ) بدل (الغشي) ، والغشي : الإغماء ، والعِيُّ : العجز

(٣) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ١٧٠) ، ومما قال عنه : (وكان أوحدَ وقته في مذهب الأشعريِّ ، وله في التصوف قدمٌ راسخ ، وكلام دقيق) .

ومنهم :

شيخُنا الإمامُ أبو الفتحِ نصرُ اللهِ بنُ محمّدِ بنِ عبدِ القويِّ المِصّيصيُّ الأشعريُّ نسباً ومذهباً رحمه الله

خاتمُ الجماعةِ موتاً وذكراً ، وأحدُّهم خاطراً في الأصولِ والفقه وفكراً

قرأَ علمَ الكلام علىٰ أبي عبدِ الله محمدِ بن عتيق بن محمد القيروانيِّ المتكلِّمِ بصُورَ عندَ اجتيازِهِ إلى العراقِ[١] ، وصحبَ الفقيهَ أبا الفتح نصرَ بن إبراهيمَ المقدسيَّ مدَّةَ مُقامِهِ بصُورَ ودمشقَ ، وخلفَهُ بعد وفاته في حلقتِهِ ، مقتدياً بأفعاله في نشر العلم بقدر طاقتِهِ ، محترماً عند الولاة والرعية ، متحلِّياً بالأوصافِ المرضية ، إلىٰ أن ماتَ ليلةَ الجمعة الثاني من شهر ربيعٍ الأول من سنة اثنتينِ وأربعين وخمسِ مئة .

وكان مولدُهُ سنةَ ثمانٍ وأربعين وأربعِ مئة

وقد سمعَ الحديثَ مِنَ الإمام أبي بكر الخطيب وغيره[٢]

* * *

(١) ومحمد بن عتيق أخذ عن أبي عبد الله الأَذَري صاحبِ ابن الباقلاني

(٢) انظر « تاريخ دمشق » (٦٢/ ١٠) ، و« المنتظم » (١٨/ ٦١) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٧/ ١٢٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٣٢٠) ، وهو آخر من حدث بدمشق عن الخطيب البغدادي .

وجاء في هامش (هـ) حاشية : (روى الحافظ أبو طاهر السِّلفيُّ في كتاب « معجم السفر » له عن الفقيه نصر الله هـٰذا عن أبي بكرٍ ، ثم قال أبو الفتح هـٰذا كان كبيرَ فقهاء الشافعية بدمشقَ هو وابن الشهرزوري ، وكلاهما من تلامذةِ نصر بن أبي حائط المقدسيِّ ، وابنُ الشهرزوري أكبرُ وأسند ، ونصر الله أزكىٰ وأزهد . =

[خاتمة الكلام على طبقات الأشعرية]

فهٰذا آخرُ ما يسَّرَ اللهُ عزَّ وجلَّ لي ذكرَهُ ؛ ممَّن اشتَهرَ من العلماء من أصحابه وشرحتُ أمرَهُ ، ومَنْ لم أذكرْ منهم أكثرُ ممَّن ذكرتُ ، والمقصودُ منه إظهارُ فضلِهِ بفضل أصحابه كما أشرتُ

ولولا خوفي مِنَ الإملال للإسهاب ، وإيثاري الاختصارَ لهٰذا الكتاب . . لتتبَّعتُ ذكرَ جميع الأصحاب ، وأطنبتُ في مدحِهم غايةَ الإطناب ، وكنتُ أكونُ بعد بذلِ الجهد فيه مقصِّراً ، ومِنْ تقصيري بالإخلال بذكر كثيرٍ منهم معتذراً ، فكما لا يمكنني إحصاءُ نجوم السماء ، كذلك لا أتمكَّنُ من استقصاءِ ذكر جميع العلماءِ ، مع تقادمِ الأزمان والأعصار ، وكثرةِ المُشتهِرينَ في البلدان والأمصار ، وانتشارِهم في الأقطار والآفاق ؛ مِنَ المغرب والشام وخراسانَ والعراق ، فاقنعوا مِنْ ذكر حزبِهِ بمَنْ سُمِّيَ ووُصفَ ، واعرفوا فضلَ مَن لم يُسمَّ لكم بمَنْ سُمِّيَ وعُرفَ ، ولا تسأموا أنْ مُدحَ الأعيان وقُرِّظَ الأئمَّة ؛ فعند ذكْرِ الصالحين تنزلُ الرحمة[1]

= وسألتُ نصرَ الله عن مولده ، فقال : ولدت سنة ثمانٍ وأربعين في إحدى الجُمادين باللاذقية ، قال : ودخلتُ أصبَهانَ سنة اثنتين وثمانين ، وسمعت بها من ابن شكرويه وسليمان والنظام الوزير ، ولم أسمعْ ببغدادَ علىٰ غير أبي محمد التميمي ، ودخلت مصرَ غير مرةٍ ، فلم أسمع بها شيئاً ، وسمعتُ علىٰ أبي بكرِ الخطيب بصُور وأنا صبيٌّ مع أبي القاضي أبي عبد الله سنة ست وخمسين) .

(١) ساق بعضَ هٰذه العبائرِ المليحات الإمامُ ابن السبكي في « طبقاته » (٣/ ٣٧٢) ، ثم قال : (قلتُ : ولقد أهمل علىٰ سعة حفظه من الأعيان كثيراً ، وترك ذكر أقوامٍ كان ينبغي حيث =

* * *

= ذكر هـٰؤلاءِ أن يشمِّرَ عن ساعد الاجتهاد في ذكرهم تشميراً ، لـٰكنه استوعبَ الأولىٰ ـ يعني : الطبقة الأولىٰ ـ أو كاد ، واستغرق فلم يفته إلا بعض الآحاد) ، ثم ذكر مشاهير فاتته طبقة طبقة ، إلىٰ أن نشب في ذكر طبقة سادسة ثم سابعة

وإتماماً للفائدة يحسن إيرادُ هـٰذه الاستدراكات في هـٰذا الموضع من الكتاب : قال رحمه الله في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٧٢) : (ومن الثانية : أبو الحسن البلياني المالكي ، وأبو الفضل المُمْسيُّ المالكي المقتول ظلماً ، وأبو القاسم عبد الرحمـٰن بن عبد المؤمن المكي المالكي تلميذ ابن مجاهد ، وأبو بكر الأبهري ، وأبو محمد بن أبي زيد ، وأبو محمد بن التبان ، وأبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله القلانسي .

ومن الثالثة من المالكية : أبو عمران الفاسي .

ومن الرابعة : أبو إسحاق التونسي المالكي ، وأبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي ، وقاضي القضاة الدامغاني الحنفي ، وقاضي القضاة أبو بكر الناصح الحنفي .

ومن الخامسة : أبو الوليد الباجي ، وأبو عمر بن عبد البر الحافظ ، وأبو الحسن القابسي ، والحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر ، والحافظ أبو الحسن المرادي ، والحافظ أبو سعد بن السمعاني ، والحافظ أبو طاهر السلفي ، والقاضي عياض بن محمد اليحصبي ، والإمام أبو الفتح الشهرستاني ـ [وفي ذكر بعضهم هنا نظر] ـ .

ومن السادسة : الإمام فخر الدين الرازي ، وسيف الدين الآمدي ، وشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ أبو عمرو ابن الحاجب المالكي ، والشيخ جمال الدين الحَصيري الحنفي ، وصاحب « التحصيل » و« الحاصل » ، والخُسْرَوْشاهيُّ .

ومن السابعة : شيخ الإسلام تقي الدين ابن دقيق العيد ، والشيخ علاء الدين الباجي ، والشيخ الإمام الوالد ، والشيخ صفي الدين الهندي ، والشيخ صدر الدين ابن المرحل ، وابن أخيه الشيخ زين الدين ، والشيخ صدر الدين سليمان بن عبد الحكم المالكي ، والشيخ شمس الدين الحريري الخطيب ، والشيخ جمال الدين الزملكاني ، والقاضي جمال الدين ابن جملة ، والشيخ شهاب الدين ابن جميل ، وقاضي القضاة شمس الدين السروجي الحنفي ، والقاضي شمس الدين ابن الحريري الحنفي ، والقاضي عضد الدين الإيجي الشيرازي) ، والخسروشاهي : هو عبد الحميد بن عيسىٰ تلميذ الإمام الرازي ، و« التحصيل » : لسراج الدين الأرموي ، و« الحاصل » : لتاج الدين الأرموي .

[لا عبرة بالسواد الأعظم في أصول الدين والاعتقاد

فإن قيل : إنَّ الجمَّ الغفيرَ في سائر الأزمان ، وأكثرَ العامَّة في جميع البلدان . . لا يقتدون بالأشعريِّ ولا يقلِّدونَهُ ، ولا يرونَ مذهبَهُ ولا يعتقدونَهُ ، وهم السوادُ الأعظمُ ، وسبيلهم السبيلُ الأقومُ

قيل : لا عبرةَ بكثرة العوامِّ ، ولا التفاتَ إلى الجهَّالِ الأغتام[1] ، وإنَّما الاعتبارُ بأرباب العلم ، والاقتداءُ بأصحابِ البصيرةِ والفهْمِ[2] ، وأولـٰئك في

---

(١) الأغتام : جمع غُتْمي ، وهو الذي لا يفصح . انظر « تاج العروس » (غ ت م)

(٢) وهـٰذا عينُ ما نبَّهَ عليه إمام الحرمين في « التلخيص » (٣/ ٤٣١) إذ قال : (لا معوَّل على السواد الأعظم في أصل الدين ؛ فإن سواد الكفرة أعظمُ من سوادنا ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام في شرذمة قليلة العدد ، وليس المعني باتباع السواد الأعظم الاتباعَ في أصول الدين) .
وقال الإمام الرازي في « معالم أصول الدين » (ص ٨١) : (الغالب علىٰ أهل العالم : دينُ التشبيه ومذهب المجسمة) .
ومع هـٰذا يقال : يجب التنبُّه إلىٰ أن المصنف لم يسلِّم بهـٰذه الكثرة ، ثم لم يبرِّئ مخالفَ طريقة الأشعري من التقليد ، بل هو مقلِّدٌ لغير الأشعري ، وهـٰذا لا يخرجه عن الإثم عند الله تعالىٰ كما يفهم من كلام الإمام الجويني ، وعلى القول الراجح من صحَّة إيمان المقلِّد .
أما ما يحتجُّ به من الفطرة : فقد قال الإمام ابن عبد البر في « التمهيد » (١٨/ ٧٧) : (يستحيلُ أن تكون الفطرةُ المذكورة في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « كلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرةِ » الإسلامَ ؛ لأن الإسلام والإيمان قولٌ باللسان ، واعتقادٌ بالقلب ، وعملٌ بالجوارح ، وهـٰذا معدومٌ من الطفل ، لا يجهلُ بذلك ذو عقل ، والفطرة لها معانٍ ووجوهٌ في كلام العرب ، وإنما أجزأ الطفل المرضع عند من أجاز عتقه في الرقاب الواجبة لأنَّ حكمَهُ حكمُ أبويه ، وخالفَهم آخرون فقالوا : لا يجزئ في الرقاب الواجبة إلا من صام وصلىٰ) ، وعليه يحمل كلام السلف الصالح في تفسير الفطرة بالإسلام ؛ بمعنىٰ : أنه لو =

أصحابِهِ أكثرُ ممَّن سواهم ، ولهم الفضلُ والتقدُّمُ علىٰ مَنْ عداهم ، علىٰ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قال[1] ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود : ٤٠] ، وقال عزَّ من قائلٍ ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣][2] ، وقد قال الفضيلُ بن عياض ما

٣٥٢ـ أخبرَنا أبو القاسم زاهرُ بن طاهر فيما قرأتُهُ عليه ، عن أبي بكر أحمدَ بنِ الحسين الحافظِ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ قال : سمعتُ أبا إسحاقَ المُزكِّي يقول حدثني أبو القاسم عبدُ الرحمـٰن بن محمد بن الحسن الواعظُ ، حدثنا محمدُ بن أبي حمزةَ المروزيُّ ، عن أحمدَ بنِ أيوبَ المُطَّوِّعيِّ قال : قال الحسنُ بن زياد : كلمةٌ سمعتُها مِن الفضيل بن عياض ؛ قال الفضيلُ (لا تستوحشْ طُرُقَ الهُدَىٰ لقلَّةِ أهلِهَا ، ولا تَغترَّنَّ بكثرةِ الهالكينَ)[3]

* * *

= خُلِّي . لكان قابلاً للإسلام ؛ فهو من باب إطلاق القابل على المقبول .

(١) في (و) : (فإن اللهَ عزَّ وجلَّ قال) .

(٢) والاستدلالُ بالآيتين الكريمتين من باب الإشارة ، لا القطعِ كما لا يخفىٰ ، وحسبُك ما ذكر المولىٰ سبحانه في وصف مَنْ آمن مِن بني إسرائيل ـ مع رؤيتهم عظيماً من المعجزات الحسيَّة علىٰ يدي نبيِّ الله سيدنا موسىٰ عليه وعلىٰ نبيِّنا الصلاة والسلام ـ إذ قال : ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ [يونس : ٨٣]

(٣) قال النووي في « التبيان » (ص ١١٦) (رواه الحاكم أبو عبد الله بإسناده) ، ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٢٤٠) من قول أحمدَ المطوعي .

[أقوال أعلام من العلماء في بيان حكم من يلعن الأشاعرة

فمَنْ ذمَّ ـ بعد وقوفِهِ علىٰ كتابي هـٰذا ـ حزبَ الأشعريِّ . . فهو مفترٍ كذَّابٌ ، عليه ما على المفتري

٣٥٣ـ وقد وجدتُ في جزءٍ بخطِّ بعضِ الثقاتِ سؤالاً يعقبُهُ ما أذكرُهُ بعدُ مِنَ الجوابات ، نقلتُهُ علىٰ نصِّهِ ونسختِهِ ؛ ليقفَ عليه مَن ينتفعُ بمعرفته ؛ وهو

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قولُ السَّادة الجِلَّةِ الأئمَّة الفقهاء ، أحسنَ الله توفيقَهم ورضيَ عنهم ، في قومٍ اجتمعوا علىٰ لعنِ فرقة الأشعريَّةِ وتكفيرِهم ؟ ما الذي يجبُ عليهم في هـٰذا القولِ ؟ يُفتونا في ذلك مُنعِمينَ مثابينَ إن شاء اللهُ

ـ الجوابُ وبالله التوفيق : إنَّ كلَّ مَن أقدمَ علىٰ لعن فرقةٍ من المسلمينَ وتكفيرهم . . فقدِ ابتدعَ وارتكبَ ما لا يجوزُ الإقدامُ عليه[1] ، وعلى الناظرِ في الأمور ـ أعزَّ اللهُ أنصارَهُ ـ الإنكارُ عليه ، وتأديبُهُ بما يرتدعُ هو وأمثالُهُ عن ارتكابِ مثله .

وكتب محمدُ بن عليٍّ الدَّامَغانيُّ

ـ وبعده : الجوابُ وبالله التوفيق إنَّ الأشعريَّةَ أعيانُ السنة ، ونُصَّارُ

---

(١) قال إمامنا حجة الإسلام الغزالي في « إحيائه » (٥/ ٤٤٥) : (في لعن أصناف المبتدعة خطرٌ ؛ لأن معرفة البدعة غامض ، فما لم يرد فيه لفظٌ مأثور . . فينبغي أن يمنع منه العوامُّ ؛ لأن ذلك يستدعي المعارضةَ بمثله ، ويثيرُ نزاعاً بين الناس وفساداً)

الشريعة ، انتصبوا للردِّ على المبتدعةِ من القدريَّةِ والرافضة وغيرهم ، فمَنْ طعنَ فيهم . . فقد طعنَ على أهل السنة ، وإذا رُفعَ أمرُ مَنْ يفعلُ ذلك إلى الناظرِ في أمر المسلمينَ . . وجبَ عليه تأديبُهُ بما يرتدعُ به كلُّ أحدٍ

وكتب إبراهيمُ بن عليٍّ الفيروزاباديُّ[1]

ـ وبعده : جوابي مثلُهُ .

وكتبَ محمدُ بن أحمد الشاشيُّ[2]

فهٰذه أجوبةُ هٰؤلاء الأئمَّةِ ، الذين كانوا في عصرهم علماءَ الأمَّةِ ؛ فأمَّا قاضي القضاة أبو عبد الله الحنيفيُّ الدَّامَغاني[3] . . فكان يُقال له في عصره أبو حنيفة الثاني ، وأمَّا الشيخ الإمام أبو إسحاق . . فقد طبَّقَ ذكرُ فضلِهِ الآفاقَ ، وأمَّا الشيخ الإمام أبو بكر الشاشي . . فلا يخفىٰ محلُّهُ علىٰ مُنْتَهٍ في العلم ولا ناشي

فمَن وفَّقه الله للسداد ، وعصمَهُ مِنَ الشقاق والعنادِ . . انتهىٰ إلىٰ ما ذكروا ، واكتفىٰ ممَّا عنه أخبروا ، واللهُ يعصمُنا مِنْ قول الزور والبهتانِ ، ويغفرُ لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ويجعلُنا مِنَ التابعين لهم بالإحسان ، ويحشرُنا معهم في غُرفِ الجِنَان

* * *

---

(١) وهو الإمام أبو إسحاق الشيرازي الشافعي ، وما هنا موطن مما عناهُ المصنفُ من قبلُ بقوله في ترجمة هٰذا الإمام الجليل (ص ٥١٩) : (وقد ذكرنا في كتابنا هٰذا عنه فتواهُ فيمَنْ خالفَ الأشعريَّةَ واعتقدَ تبديعَهم) .

(٢) هنا ينتهي السؤال مع أجوبته

(٣) قوله : (الحنيفي) نسبة لمذهب الإمام أبي حنيفة ، وكذا وقعت هٰذه النسبة في هٰذا الكتاب .

[توجيه ما ورد في ذم علم الكلام عن الأئمة الأعلام]

فإن قيل : غايةُ ما تَمدحونَ به أبا الحسن أن تثبتوا أنَّه مُتكلِّمٌ ، وتدلُّونا على أنَّه بالمعرفة برسوم الجدل مترسِّمٌ ، ولا فخرَ في ذلك عند العلماء من ذوي التسنُّنِ والاتباع ؛ لأنَّهم يرونَ أنَّ مَن تشاغلَ بذلك مِنْ أهل الابتداع ، وقد حُفِظَ عن غير واحدٍ من علماء الإسلام ، عيبُ المتكلِّمينَ وذمُّ الكلام ، ولو لم يذمَّهُم غيرُ الشافعيِّ رحمَهُ اللهُ . . لكفى ؛ فإنَّه قد بالغَ في ذمِّهم وأوضحَ حالَهم وشفى ، وأنتم تنتسبون إلى مذهبه ! فهلا اقتديتم في ذلك به ! فممَّا جاءَ في ذلك ما

٣٥٤ـ أخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله الحسينُ بن عبد الملك بن الحسين الخلاَّلُ بأصبَهانَ ، أخبرنا أبو طاهر أحمدُ بن محمود بن أحمدَ الثقفيُّ[١] ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن إبراهيمَ بن المقرئ ، حدثنا مُفضَّلُ بن محمد الجَنَديُّ[٢] ، حدثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ الطبريُّ ، حدثنا أبو يوسفَ القاضي ، عن مجالدٍ ، عن الشعبيِّ أنَّه قال : (**مَنْ طلبَ الدينَ بالكلام . . تزندقَ ، ومَنْ طلبَ المالَ بالكيمياء . . أفلسَ ، ومَنْ حدَّثَ بغرائبِ الحديث . . كُذِّبَ**)[٣]

هكذا رواها هـٰذا الطبريُّ عن أبي يوسفَ ، ورواها غيرُهُ عن أبي يوسفَ مِنْ قوله ، وهو أشبهُ بالصواب

---

(١) وفي (و) : (أحمد بن محمود بن أحمد بن أحمد الثقفي) .

(٢) في (و) : (الخُجَنْدِي) ، والمثبت من سائر النسخ هو الصواب .

(٣) ورواه ابن نقطة في « التقييد » (ص ٤٦١) بطريق المصنف نفسه

٣٥٥ـ أخبرَناها الشيخُ أبو المعالي محمدُ بن إسماعيلَ بن محمد بن الحسين الفارسيُّ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن الحسين بن علي البيهقيُّ ، أخبرنا أبو سعد أحمدُ بن محمد المالِينِيُّ ، (ح)

وأخبرَناها الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمدَ بن السمرقنديِّ ، أخبرنا أبو القاسم إسماعيلُ بنُ مسعدةَ الجُرجانيُّ ، أخبرنا أبو القاسم حمزةُ بن يوسفَ السهميُّ ؛ قالا[١] أخبرنا أبو أحمدَ بنُ عَديٍّ ، حدثنا جعفرُ بن محمد بن الحسن بن المستفاضِ الفريابيُّ ، حدثني بشرُ بن الوليد قال سمعتُ أبا يوسفَ يقول (مَنْ طلبَ الدينَ بالكلام . . تزندقَ ، ومَنْ طلبَ غرائبَ ـ وقال السهميُّ غريبَ ـ الحديث . . كُذِّبَ ، ومَنْ طلبَ المالَ بالكيمياء . . أفلسَ)[٢]

قال أبو بكرٍ البيهقيُّ : (ورُوِيَ هـٰذا أيضاً عن مالك بن أنسٍ)[٣]

قال : (وإنَّما يريدُ ـ والله أعلم ـ بالكلام كلامَ أهل البدع ؛ فإنَّ في عصرِهما إنَّما كان يُعرفُ بالكلام أهلُ البدع ، فأمَّا أهلُ السنة . . فقلَّما كانوا يخوضون في الكلام ، حتى اضطُرُّوا إليه بعدُ)[٤]

فهـٰذا وجهٌ في الجواب عن هـٰذه الحكاية ، وناهيكَ بقائله أبي بكرٍ البيهقيِّ ! فقد كان من أهل الرواية والدراية[٥]

---

(١) يعني : الإمامين المالِيني والسهمي .

(٢) ورواه ابن عدي في « الكامل » (٨/ ٤٦٦) ، واللالكائي في « السنة » (٣٠٥) ، والخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص١٤٢) من وجه آخر عن أبي يوسف ، وروىٰ الخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (١٤٨١) هـٰذا الأثر بعينه من قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه الهروي في « ذم الكلام » (٨٥٩) .

(٤) انظر « مناقب الشافعي » (١/ ٤٦٢ـ ٤٦٧) ، ففيه معنىٰ كلامه رحمه الله

(٥) قال الإمام النووي في « مجموعه » (١/ ٦٢) عن الإمامين البيهقيِّ والخطيبِ عند حديثه عن =

وتحتملُ وجهاً آخرَ ؛ وهو أن يكون المرادُ بها أن يُقتصرَ علىٰ علم الكلام ، ويُترك تعلُّمُ الفقه الذي يُتوصَّلُ به إلىٰ معرفة الحلال والحرام ، ويُرفضَ العمل بما أُمِرَ بفعله من شرائع الإسلام ، ولا يُلتزمَ فعلُ ما أَمَرَ به الشارعُ وتركُ ما نهىٰ عنه من الأحكام

٣٥٦ـ وقد بلغَني عن حاتِمِ بن عُنْوان الأصمِّ[١] ـ وكان مِنْ أفاضل الزُّهَّاد وأهل العلم ـ أنَّه قال (**الكلامُ أصلُ الدِّين ، والفقهُ : فرعُهُ ، والعملُ ثمرُهُ ؛ فمَنِ اكتفىٰ بالكلام دون الفقه والعمل . . تزندقَ ، ومَنِ اكتفىٰ بالعمل دون الكلام والفقه . . ابتدعَ ، ومَنِ اكتفىٰ بالفقه دون الكلام والعمل . . تفسَّقَ ، ومَنْ تفنَّنَ في الأبواب كلِّها . . تَخلَّصَ**)

وقد رُوِيَ مثل قول حاتمٍ الأصمِّ عن بعض أهل العلم :

٣٥٧ـ أخبرَناه الشيخُ أبو القاسم زاهرُ بن طاهر المُعدَّلُ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن الحسين الحافظُ قال سمعتُ السُّلميَّ ـ يعني أبا عبد الرحمـٰن ـ يقول : سمعتُ أبا بكر الرازيَّ يقول سمعتُ غَيْلانَ السمرقنديَّ يقول سمعتُ أبا بكر الوراقَ يقول (**مَنِ اكتفىٰ بالكلام مِنَ العلم دون الزهد والفقه[٢] . . تزندقَ ، ومَنِ اكتفىٰ بالزهد دون الفقه والكلام . . ابتدعَ ، ومَنِ**

= مراسيل سعيد بن المسيَّب : (فهـٰذا كلام البيهقيِّ والخطيبِ ، وهما إمامان حافظان ، فقيهان شافعيان ، مضطلعان من الحديث والفقه والأصول ، والخبرة التامة بنصوص الشافعيِّ ومعاني كلامه ، ومحلُّهُما من التحقيق والإتقان والنهاية في الفرقان بالغاية القصوىٰ والدرجة العليا) ، وقد مرَّت بك ترجمةُ المصنف لهما ضمن طبقات الأشعرية .

(١) يقال له : ابن عنوان ، وابن علوان ؛ كما يقال : عنونت الكتاب وعلونته ، وكلاهما صحيح .

(٢) في (هـ ، ط) : (من العمل) بدل (من العلم)

اكتفىٰ بالفقه دون الزهد والورع. . تفسقَ ، ومَنْ تفنَّنَ في الأمور كلِّها. . تخلَّصَ)[1]

وأمَّا قولُ الشافعيِّ فيه

٣٥٨ـ فأخبرَنا الشيخُ أبو الأعزِّ قراتكينُ بن الأسعد الأزجيُّ ، أخبرنا أبو محمد الحسنُ بن علي بن محمد الجوهريُّ ، أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن عبد العزيز بن مردكَ ، أخبرنا أبو محمد عبدُ الرحمـٰن بن أبي حاتم الرازيُّ ، حدثنا يونسُ بن عبد الأعلى المصريُّ قال : سمعتُ الشافعيَّ يقول : (لَأَنْ يُبتلى المرءُ بكلِّ ما نهى اللهُ عنه سوى الشرك. . خيرٌ له مِنَ الكلام ، ولقد اطلعتُ مِنْ أهل الكلام علىٰ شيءٍ ما ظننتُ أنَّ مسلماً يقولُ ذلك)[2]

٣٥٩ـ وأخبرَنا قراتكينُ بنُ الأسعد ، أخبرنا الحسنُ بن علي ، أخبرنا عليُّ بن عبد العزيز ، أخبرنا عبدُ الرحمـٰن بن أبي حاتمٍ ، حدثنا أحمدُ بن أصرمَ المزنيُّ مِن ولدِ عبد الله بن المغفَّل قال : قال أبو ثورٍ سمعتُ الشافعيَّ يقول : (ما تردَّىٰ أحدٌ بالكلام فأفلحَ)[3]

٣٦٠ـ وأخبرَنا الشيخُ الفقيهُ أبو الفتح نصرُ الله بن محمد بن عبد القويِّ المِصِّيصِيُّ بدمشقَ ، أخبرنا أبو البركات أحمدُ بن عبد الله بن علي بن طاوسٍ المقرئ البغداديُّ بدمشقَ قال أخبرنا أبو القاسم عبيدُ الله بنُ أحمد بن عثمان

---

(١) ورواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٢٢٤) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/ ٢٣٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٦٩٣) .

(٢) ورواه ابن أبي حاتم في « آداب الشافعي » (ص ١٣٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١١١)

(٣) ورواه ابن أبي حاتم في « آداب الشافعي » (ص ١٤٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١١١) ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (١/ ٤٦٣)

الصيرفيُّ[١] ، أخبرنا أبو عليٍّ الحسنُ بن الحسين بن حَمَكانَ الفقيهُ ، حدثني الزبيرُ بن عبد الواحد ، حدثني أبو عبدِ الله محمدُ بن يوسف الهرويُّ بدمشقَ قال : رأيتُ في كتابٍ عن أبي بكرٍ محمدِ بن الجُنيد صاحبِ أبي ثورٍ قال سمعتُ أبا ثورٍ يقول : سمعتُ الشافعيَّ يقول **(مَنِ ابتلِيَ بالكلام .. لم يُفلحْ)**

٣٦١ـ وأخبرَنا الفقيهُ أبو الفتح ، أخبرنا أبو البركات البغداديُّ ، أخبرنا أبو القاسم الأزهريُّ ، أخبرنا أبو عليٍّ بنُ حَمَكانَ ، حدثني الزبيرُ بنُ عبد الواحد ، حدثني محمدُ بن يحيى بنِ آدمَ الحرشيُّ بمصرَ ، حدثنا محمدُ بن عبد الله بن عبد الحكم قال سمعتُ الشافعيَّ يقول : **(لو علمَ الناسُ ما في الكلامِ في الأهواء .. لفرُّوا منه كما يُفَرُّ من الأسدِ)**[٢]

٣٦٢ـ وأخبرَنا الشيخ أبو الأعزِّ الأزجيُّ ، أخبرنا أبو محمد الجوهريُّ ، أخبرنا أبو الحسنِ بنُ مردكَ ، أخبرنا أبو محمد بن أبي حاتم الرازيُّ ، أخبرنا الربيع بن سليمانَ المراديُّ قال : رأيتُ الشافعيَّ وهو نازلٌ في الدرجة ، وقومٌ في المجالس يتكلَّمون بشيءٍ من الكلام ، فصاحَ فقال : **إمَّا أن تجاورونا بخيرٍ ، وإمَّا أن تقوموا عنَّا**[٣]

فإنَّما عنى الشافعيُّ بذلك كلامَ البدعيِّ ، المخالفَ عند اعتبارِهِ للدليل الشرعيِّ

---

(١) في (و) : (عبد الله) بدل (عبيد الله) ، والمثبت هو الصواب .

(٢) ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١١١/٩) وفيه : (يفرون) بدل (يفر) ، وابنُ عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٩٤١/٢) ، والمصنف في « تاريخ دمشق » (٣١٠/٥١)

(٣) ورواه ابن أبي حاتم في « آداب الشافعي » (ص ١٤١) ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (٤٥٩/١) .

فقد بيَّن زكريا بن يحيى الساجيُّ في روايته هٰذه الحكايةَ عن الربيع أنَّه أرادَ بالنهْيِ عن الكلام قوماً تكلَّموا في القدر ، فلذلك حكمَ بالتبديع[١] ، **ويدلُّ عليه ما**

٣٦٣ـ أخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل الفُراويُّ ، أخبرنا أبو عثمانَ إسماعيلُ بن عبد الرحمٰن الصابونيُّ ، أخبرنا خالي أبو الفضل عمرُ بن إبراهيمَ الزاهدُ ، أخبرنا أبو العباس عبدُ الله بن محمد بن جعفرٍ البُوشَنْجِيُّ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ بن خزيمةَ قال : سمعتُ يونسَ بن عبد الأعلىٰ يقول : جئتُ الشافعيَّ بعد ما كلَّمَ حفصَ الفردِ[٢] ، فقال : **(غبتَ عنَّا يا أبا موسىٰ ! لقد اطلعتُ مِنْ أهل الكلام علىٰ شيءٍ واللهِ ما توهمتُهُ قطُّ ، ولأن يُبتلى المرءُ بكلِّ ما نهى اللهُ عنه ما خلا الشركَ بالله . . خيرٌ له مِنْ أن يُبتلىٰ بالكلام)**[٣]

فالشافعيُّ رحمه الله إنَّما عنىٰ بمقاله كلامَ حفص الفردِ القدريِّ وأمثاله ، **ويدلُّ عليه ما**

٣٦٤ـ أخبرَنا قراتكينُ بن الأسعد ، أخبرنا الحسنُ بن علي ، أخبرنا عليُّ بن عبد العزيز ، أخبرنا عبدُ الرحمٰن بن أبي حاتم ، حدثنا يونسُ بن عبد الأعلىٰ قال : قال لي الشافعيُّ : **(يعلمُ الله يا أبا موسىٰ ؛ لقد اطلعتُ مِنْ أصحاب الكلام علىٰ شيءٍ لم أظنَّهُ يكونُ ، ولأن يُبتلى المرءُ بكلِّ ذنبٍ نهى اللهُ**

---

(١) انظر « مناقب الشافعي » (١/ ٤٦٠) .

(٢) كذا في النسخ ، وكذا سيأتي ، على الإضافة والله أعلم ؛ وذلك لتكلُّمه في الجوهر الفرد ، فأضيف إليه ، وكان الإمام الشافعي يسميه حفصَ المنفردِ كما سيأتي .

(٣) ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١١١) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢/ ٩٣٩) .

عزَّ وجلَّ عنه ما عدا الشركَ به . . خيرٌ له مِنَ الكلام) ، قال يونسُ : يعني : في الأهواء[1]

٣٦٥ـ وأخبرَنا الشيخُ الفقيهُ أبو الحسن عليُّ بن المُسلَّم بن محمد السُّلميُّ ، أخبرنا أبو نصر الحسينُ بن محمد بن أحمدَ بن طلاب الخطيبُ بدمشقَ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن أحمدَ بن عثمانَ بن أبي الحديد السلميُّ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن بشر الزَّنْبَريُّ المعروفُ بالعَكَريِّ بمصرَ قال سمعتُ الربيعَ بن سليمانَ يقول سمعتُ الشافعيَّ يقول : (**لأنْ يلقى اللهَ عزَّ وجلَّ العبدُ بكلِّ ذنبٍ خلا الشركَ . . خيرٌ له من أن يلقاهُ بشيءٍ مِنَ الأهواء**)[2]

٣٦٦ـ وأخبرَنا الشيخُ الفقيهُ أبو الفتح نصرُ الله بن محمد المِصِّيصِيُّ ، أخبرنا أبو البركات أحمدُ بن عبد الله المقرئ ، أخبرنا أبو القاسم عبيدُ الله بن أحمدَ الأزهريُّ ، أخبرنا الحسنُ بن الحسين الفقيهُ ، حدثنا الزبيرُ بن عبد الواحد الأسداباذيُّ ، حدثنا محمدُ بن علي المدائنيُّ بمصرَ ، حدثنا الربيعُ بن سليمانَ قال : سمعتُ محمدَ بن إدريسَ الشافعيَّ رحمه الله يقول (**لأن يلقى اللهَ العبدُ بكلِّ ذنبٍ ما خلا الشركَ . . خيرٌ له مِنْ أن يلقاهُ بشيءٍ مِنْ هـٰذه الأهواءِ**)

وذلك أنَّه رأىٰ قوماً يتجادلون في القدرِ بين يديه ، فقال الشافعيُّ في كتاب الله المشيئةُ له دون خلقِهِ ، والمشيئةُ إرادةُ الله ؛ قال الله ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان : ٣٠] ، فأعلمَ عزَّ وجلَّ أنَّ المشيئةَ له

---

(١) ورواه ابن أبي حاتم في « آداب الشافعي » (ص١٣٧) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢/ ٩٣٩) دون ذكر تفسير الإمام يونس بن عبد الأعلىٰ ، والروايات الآتية تؤكد هـٰذا التفسير .

(٢) ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١١١) ، والبيهقي في « الاعتقاد » (٢٤٢) ، و« مناقب الشافعي » (١/ ٤٥٢) .

وكان يُثبتُ القدَرَ[1]

٣٦٧ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو الأعزِّ قراتكينُ بن الأسعد ، أخبرنا الحسنُ بن علي أبو محمد ، أخبرنا عليُّ بن عبد العزيز ، أخبرنا عبدُ الرحمـٰن بن أبي حاتِمٍ ، حدثنا الربيعُ بن سليمانَ قال : حضرتُ الشافعيَّ وكلمَهُ رجلٌ في المسجد الجامع في مسألةٍ ، فطالَ مناظرتُهُ إيَّاه ، فخرجَ الرجلُ إلىٰ شيءٍ من الكلام ، فقال له : دعْ هـٰذا ؛ فإنَّ هـٰذا مِنَ الكلام .

قال أبو محمد بن أبي حاتِمٍ : قال الحسنُ بن عبد العزيز الجرويُّ : كان الشافعيُّ ينهى النهيَ الشديدَ عن الكلام في الأهواءِ ويقول : أحدُهم إذا خالفَهُ صاحبُهُ . قال : كفرتَ ، والعلمُ إنَّما يُقال فيه أخطأتَ[2]

ولعلَّ الشافعيَّ رضي الله عنه إنَّما أراد أنَّ صاحبَ الكلام لا يفلحُ في غالبِ مظنونِهِ إذا لم يتعلَّمْ مِنْ علمِ الفقهِ ما يُصلحُ به أمرَ دينِهِ ؛ كما أراد الزَّنْجيُّ بقولِهِ له حين رآهُ ينظرُ في جزءٍ معه يشتملُ علىٰ حديثٍ وجدَهُ فيه ، أو سمعَهُ[3] ، وذلك فيما :

٣٦٨ـ أخبرَنا الشيخُ أبو الفرج سعيدُ بن أبي الرجاء بن أبي منصور الصيرفيُّ

---

(١) ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١١٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٢٠٦) ، و« مناقب الشافعي » (١/ ٤٥٢) وقد بيَّنَ فيه أن قوله : (وذلك أنه رأىٰ قوماً . . .) روي عن غير الربيع ، وفيه : (فأعلمَ خلقَهُ أن المشيئة له) .

(٢) ورواه ابن أبي حاتم في « آداب الشافعي » (ص١٤٢) ، واللالكائي في « السنة » (١/ ١٦٥) .

(٣) الزنجي : فقيه مكة ، وأحد رواة القراءة عن ابن كثير الداري ؛ مسلم بن خالد الزنجي ، وقد لازمه الإمام الشافعيُّ وتفقَّه به حتىٰ أذنَ له بالفتيا ، وكان أشقر مثل البصلة ، فتسميته بالزنجي بالضدِّ ، والنقَّاد علىٰ أنه حسن الحديث ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٨/ ١٧٦)

بأصبَهانَ ، أخبرنا أبو الفتح منصورُ بن الحسين بن علي بن القاسم الكاتبُ ، وأبو طاهر أحمدُ بن محمود بن أحمدَ الأديبُ قالا أخبرنا أبو بكر محمدُ بن إبراهيمَ بن المقرئ ، حدثنا حسينُ بن محمد بن غوث الدمشقيُّ قال سمعتُ المزنيَّ يقول: سمعتُ الشافعيَّ يقول : مرَّ بي مُسلمُ بن خالدٍ وأنا أنظرُ في كتابٍ، فقال : ما هـٰذا يا أبا عبد الله ؟ قلتُ : حديثٌ ، قال : ليسَ تفلحُ أبداً[1]

وإنَّما أراد مسلمٌ الزَّنْجيُّ : أنَّ صاحبَ الحديث إذا كان يسمعُهُ أو يرويهِ ، وهو لا يعرفُ ناسخَهُ مِن منسوخِهِ ولا يقفُ علىٰ معانيه ؛ لعدمِ معرفتِهِ بأمرِ دينه والفقهِ فيه . . فهو بعيدٌ مِنَ الفلاح فيما يذرُهُ منه أو يأتيه

والكلامُ المذموم كلامُ أصحابِ الأهوية[2] ، وما يزخرفُهُ أربابُ البدعِ المُرْدِية ، فأمَّا الكلامُ الموافقُ للكتابِ والسنَّة ، الموضحُ لحقائقِ الأصول عند ظهور الفتنة . . فهو محمودٌ عند العلماءِ ومَنْ يعلمُهُ ، وقد كان الشافعيُّ يحسنُهُ ويفهمُهُ ؛ وقد تكلَّمَ مع غير واحدٍ ممن ابتدع ، وأقامَ الحجَّةَ عليه حتى انقطع[3] ، وقد :

---

(١) ورواه ابن المقرئ في « معجمه » (ص ٧٩٧) .

(٢) في (و) : (أهل) بدل (أصحاب)

(٣) المتتبع لكلام الأئمة الأعلام من أهل السنة في ذمِّ علم الكلام يجب عليه أن يتنبَّه إلى الأسماء التي اقترنَتْ مع هـٰذا الذمِّ ؛ ليرىٰ أمثال حفص الفرد ، وعمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، وجهم بن صفوان ، ويرىٰ أمثال صبيغ التميمي ، والجعد بن درهم ، وغيلان الدمشقي ، وهـٰؤلاء من رؤوس أهل الضلال والبدع في زمن السلف ، وهم من أصحاب الأهواء الذين ذكرهم الشيخ ، ومن الذين لهم نصيبٌ من قول الله تعالىٰ : ﴿ وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ [غافر ٥] ، وقال : ﴿ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران : ٦٦] ، أمَّا متكلمو أهل السنة . . فهم ممَّن لهم الوراثةُ عن سيدنا نوح علىٰ نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام حين قال له قومه كما قال تعالىٰ : ﴿ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾ [هود : ٣٢] ، فهـٰذا هو الجدل المبارك المنوَّرُ الذي نُعت بأخرةٍ بعلم الكلام .

٣٦٩ـ أخبرَنا الشيخانِ ؛ الفقيهُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل الفُراويُّ ، وأبو الحسين عبيدُ الله بن محمد بن أحمدَ البيهقيُّ قالا : أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن الحسين البيهقيُّ ، أخبرنا أبو عبد الرحمـٰن السلميُّ قال سمعتُ عبدَ الله بن محمد بن علي بن زيادٍ يقول : سمعتُ محمدَ بن إسحاقَ بن خزيمةَ يقول سمعتُ الربيعَ يقول لمَّا كلَّمَ الشافعيُّ حفصَ الفردِ[١] ، فقال حفصٌ : القرآنُ مخلوقٌ ، فقال له الشافعيُّ رحمَهُ الله : كفرتَ باللهِ العظيم[٢]

٣٧٠ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو الأعزِّ قُراتكينُ بن الأسعد ، أخبرنا الحسنُ بن علي الجوهريُّ ، أخبرنا عليُّ بن عبد العزيز بن مردكَ ، أخبرنا أبو محمد عبدُ الرحمـٰن بن أبي حاتِمٍ قال : في كتابي عن الربيع بن سليمان قال[٣] : حضرتُ الشافعيَّ ، أو حدثني أبو شعيب[٤] : ألا إنِّي أعلمُ أنَّه حضرَ عبدُ الله بن عبد الحكم ، ويوسفُ بن عمرو بن يزيدَ ، وحفصُ الفردِ ، وكان الشافعيُّ يسمِّيه المنفردَ ، فسأل حفصٌ عبدَ الله بن عبد الحكم فقال : ما تقولُ في القرآن ؟ فأبىٰ أن يجيبَهُ ، فسأل يوسفَ بن عمرو بن يزيدَ ، فلم يجبْهُ ، فكلاهما أشارَ إلى الشافعيِّ ، فسأل الشافعيَّ ، **فاحتجَّ عليه الشافعيُّ**[٥] ، **فطالَتْ فيه المناظرةُ** ، فقامَ الشافعيُّ بالحجَّة عليه بأنَّ القرآنَ كلامَ الله غيرُ مخلوقٍ ، وكفَّرَ حفصَ الفردِ ، قال الربيع فلقيتُ حفصاً في

---

(١) كذا بالإضافة كما تقدم برقم (٣٦٣) ، وإن كانت هنا تحتمل الرفع على الفاعلية

(٢) ورواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/٢٠٦) ، و« الأسماء والصفات » (ص ٢٤٤) ، وفيه ذكر الخلاف في معنىٰ قوله : (كفرت بالله العظيم) أنها علىٰ حقيقتها ، أو أن المعنىٰ كفرٌ دون كفر ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة ٤٤] ، وهو القول المحرر ، ورواه أيضاً المصنف في « تاريخ دمشق » (٥١/٣١٢) .

(٣) في (د) : (في كتاب الربيع) بدل (في كتابي عن الربيع) .

(٤) في (د) : (وحدثني) بدل (أو حدثني) .

(٥) في (أ ، و) : (واحتجَّ) بدل (فاحتج)

المسجد بعدُ ، فقال : أرادَ الشافعيُّ قتلي[1]

٣٧١ـ وأخبرَنا الشيخُ الفقيهُ أبو الفتح نصرُ الله بن محمد الشافعيُّ ، أخبرنا أبو البركات أحمدُ بن عبد الله المقرئ ، أخبرنا أبو القاسم عبيدُ الله بن أحمدَ الصيرفيُّ ، أخبرنا أبو علي بن حَمَكانَ قال حدثني الزبيرُ بن عبد الواحد ، حدثني عبدُ الله بن محمد بن عبد الله الشافعيُّ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ الخفافُ قال سمعتُ أبا العباس البغداديَّ يقول سمعتُ الحسنَ بن عبد العزيز الجرويَّ قال : سمعتُ الشافعيَّ يقول : **(ما ناظرتُ أحداً أحببتُ أن يُخطئَ إلا صاحبَ بدعةٍ ؛ فإنِّي أُحبُّ أن ينكشفَ أمرُهُ للناس)**[2]

٣٧٢ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو الحسن عليُّ بن أحمد بن قُبيسٍ ، حدثنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت الخطيبُ ، حدثني عبيدُ الله بن أبي الفتح ، أخبرنا الحسنُ بن الحسين الهمَذانيُّ الفقيهُ ، حدثني الزبيرُ بن عبد الواحد ، حدثني أبو عيسىٰ يوسفُ بن يعقوب بن مِهرانَ الأنماطيُّ ببغدادَ ، حدثنا أبو سليمانَ داودُ بن علي الأصبهانيُّ ، حدثني الحارثُ بن سُريجٍ النقَّالُ قال دخلتُ على الشافعيِّ يوماً وعنده أحمدُ بن حنبل والحسينُ القلاَّس ، وكان الحسينُ أحدَ تلاميذ الشافعيِّ المقدَّمين في حفظ الحديث ، وعنده جماعةٌ مِنْ أهل الحديث ، والبيتُ غاصٌّ بالناس ، وبين يديه إبراهيمُ بن إسماعيلَ بن عُليَّةَ وهو

---

(١) ورواه ابن أبي حاتم في « آداب الشافعي » (ص ١٤٩) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ٢٤٣) ، وفي « مناقب الشافعي » (١/ ٤٥٥) ، والمصنف في « تاريخ دمشق » (٥١/ ٣٨٢) ، وفي المطبوعات : (إلا أني) بدل (ألا إني) فليتأمل

(٢) ورواه المصنف في « تاريخ دمشق » (٥١/ ٣٨٤) ، وروى الحافظ البيهقي في « مناقب الشافعي » (١/ ١٧٥) عن الإمام الشافعيِّ أنه قال **(ما ناظرتُ أحداً علمتُ أنه مقيمٌ علىٰ بدعة)** ، وقد يقال : ناظر رحمه الله تعالىٰ أناساً كانوا مقيمين على البدع ! قال الحافظ البيهقي : (قلتُ : وهٰذا لأن المقيمَ على البدعة قلَّما يرجعُ بالمناظرة عن بدعته ، وإنَّما كان يُنَاظِرُ مَن يرجو رجوعَهُ إلى الحقِّ إذا بَيَّنَه له ، وبالله التوفيق)

يكلِّمُهُ في خبرِ الواحد ، فقلتُ يا أبا عبد الله ؛ عندك وجوهُ الناسِ وقد أقبلتَ علىٰ هـٰذا المبتدع تُكلِّمُهُ ؟! فقال لي وهو يبتسمُ : كلامي لهـٰذا بحضرتِهم أنفعُ لهم مِنْ كلامي لهم ، قال فقالوا صدقَ ، قال فأقبلَ عليه الشافعيُّ فقال : ألستَ تزعمُ أنَّ الحجَّةَ هي الإجماعُ ؟ قال فقال : نعم ، فقال له الشافعيُّ : خبِّرني عن خبرِ الواحد العدلِ ؛ أبإجماعٍ دفعتَهُ أم بغيرِ إجماعٍ ؟ قال : فانقطعَ إبراهيمُ ولم يجبْ ، وسُرَّ القومُ بذلك[١]

٣٧٣ـ كتبَ إليَّ القاضي أبو عبد الله الحسينُ بن أحمدَ بن علي بن فُطَيمةَ البيهقيُّ قاضي خُسْرَوْجِرْدَ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن الحسين بن علي البيهقيُّ قال : (إنَّما أراد الشافعيُّ رحمه الله بهـٰذا كلامَ حفصٍ وأمثالِهِ من أهل البدع ، وهـٰكذا مرادُهُ بكلِّ ما حُكيَ عنه في ذمِّ الكلام وذمِّ أهله ، غيرَ أنَّ بعضَ الرواة أطلقه ، وبعضَهم قيَّده ، وفي تقييد مَنْ قيَّده دليلٌ علىٰ مراده)

قال البيهقيُّ (أخبرنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا عبدُ الله بن محمد بن حيَّانَ ، حدثنا محمدُ بن عبد الرحمـٰن بن زياد قال : سمعتُ أبا الوليد بن الجارود يقول دخلَ حفصُ الفردِ على الشافعيِّ فقال لنا : لأنْ يلقى اللهَ العبدُ بذنوبٍ مثلِ جبال تِهامةَ . . خيرٌ له من أن يلقاه باعتقادِ حرفٍ ممَّا عليه هـٰذا الرجل وأصحابه[٢]

وكان يقول بخلْقِ القرآن

فهـٰذه الروايات تدلُّ علىٰ مرادِهِ بما أُطلقَ عنه فيما تقدَّمَ وفيما لم يذكرْ ها هنا

وكيف يكونُ كلامُ أهل السنة والجماعة مذموماً عندَهُ وقد تكلَّمَ فيه ، وناظرَ

---

(١) ورواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٦/ ٢٠)

(٢) وهو نصٌّ من إمامٍ عظيم على أن كبائر الأعمال دون كبيرةٍ في الاعتقاد .

مَنْ ناظرَهُ ، وكشفَ عن تمويهِ مَن ألقىٰ إلىٰ سمع بعض أصحابه مِن أهل الأهواء شيئاً ممَّا هم فيه ؟! وقد ذكرنا قبلَ هـٰذا مناظرتَهُ مع حفصٍ في زيادة الإيمان ونقصانه ، وذَكَرَ للحميديِّ أحسنَ ما يحتجُّ به علىٰ أهل الإرجاء ، وذَكَرَ لابنِ هَرِمٍ ما يحتجُّ به علىٰ مَنْ أنكرَ الرؤيةَ

وقرأتُ في كتابِ أبي نُعيم الأصبَهانيِّ حكايةً عن الصاحب بن عبَّاد أنَّه ذكرَ في كتابه بإسنادِهِ عن إسحاقَ أنَّه قال قال أبي كلَّمَ الشافعيُّ يوماً بعضَ الفقهاء ، فدقَّقَ عليه وحقَّقَ ، وطالبَ وضيَّقَ ، فقلتُ : يا أبا عبد الله ؛ هـٰذا لأهلِ الكلام ، لا لأهلِ الحلالِ والحرام ! فقال : أحكمنا ذاك قبلَ هـٰذا)[1]

وذكر البيهقيُّ بعضَ ما

٣٧٤ـ أخبرَنا به الشيخ الفقيهُ أبو الفتح نصرُ الله بن محمد ، أخبرنا أبو البركات أحمدُ بن عبد الله ، أخبرنا أبو القاسم عبيدُ الله بن أحمدَ ، أخبرنا الحسنُ بن الحسين بن حَمَكانَ ، حدثني أبو أحمدَ عبيدُ الله بن أحمدَ بن إسماعيلَ العطارُ الجَرْباذْقانِيُّ بِجَرْباذْقانَ ، حدثني عليُّ بن محمد بن أبان الطبريُّ القاضي ، حدثنا أبو يحيى الساجيُّ ، حدثنا المزنيُّ قال : لمَّا وافى الشافعيُّ مصرَ . قلتُ في نفسي : إن كان أحدٌ يُخرجُ ما في ضميري ، وتعلَّقَ به خاطري مِنْ أمرِ التوحيد . . فهو ، فصرتُ إليه وهو جالسٌ في مسجد مصرَ ، فلمَّا جثوتُ بين يديه . . قلتُ له : إنَّه قد هَجَسَ في ضميري مسألةٌ في التوحيد[2] ، فعلمتُ أنَّ أحداً لا يعلمُ علمَكَ ، فما الذي عندك ؟ فغضبَ ، ثم

---

(١) انظر « مناقب الشافعي » (١/ ٤٥٤ـ٤٥٧) .

(٢) في (و) : (هجز) بدل (هجس) ، وكذا فيما سيأتي ، وهي لغة في (هجس) ، والمراد : المسارَّةُ والنبأُ الخفي .

قال لي : أتدري أين أنت جالسٌ ؟ قلتُ نعم ، أنا جالس بفسطاطِ مصرَ في مسجدِها بين يدي أبي عبد الله محمدِ بن إدريسَ الشافعيِّ ، قال هيهاتَ ! إنَّك بتَارَانَ وجُنبلانَ[1] ، يضربُكَ تيَّارُهُ وأنت لا تعلمُ ، وهـٰذا هو الموضعُ الذي غرِقَ فيه فرعونُ

أبلغَكَ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرَ بالسؤال عن ذلك ؟ فقلتُ لا

فقال : هل تكلَّمَ فيه الصحابةُ ؟ فقلتُ : لا

فقال لي : تدري كم نجمٍ في السماء ؟[2] ، قلتُ : لا

قال : فكوكبٌ مِنَ هـٰذه الكواكب الذي تراهُ تعرفُ جنسيَّتَهُ ؟[3] ، طلوعَهُ ؟ أفولَهُ ؟[4] ، ممَّ خُلِقَ ؟ قلتُ لا

قال : فشيءٌ تراه بعينِكَ خَلْقٌ ضعيفٌ مِنْ خلْقِ الله لستَ تعرفُهُ . . تتكلَّمُ في علْمِ خالقِهِ ؟!

ثم سألني عن مسألةٍ في الوضوءِ ، فأخطأتُ فيها ، ففرَّعَها علىٰ أربعةِ أوجهٍ ، فلم أُصبْ في شيءٍ منه ، ثم قال لي : شيءٌ تحتاجُ إليه في اليومِ مراراً خمسةً تدعُ تعلُّمَهُ ، وتتكلَّفُ علْمَ الخالق ؟! إذا هجسَ في ضميرِكَ ذلك . . فارجعْ إلى الله تعالىٰ ، وإلىٰ قولِهِ عزَّ وجلَّ ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۞ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . ﴾ [البقرة : ١٦٣ ـ ١٦٤] الآيـةَ ،

---

(١) وفي (أ ، د ، و) (بثاران) ، وكذا فيما سيأتي ، والمثبت هو الصواب ، وسيأتي بيان معناه .

(٢) كذا وقعت كلمة (نجم) تمييزاً مجروراً لـ(كم) الاستفهامية ، وليس في نسخةٍ نصبُهُ ، وجرُّ تمييزِها قولٌ لبعض النحاة انظر « مغني اللبيب » (١/ ٢٥٥)

(٣) في (هـ) وحدها : (أتعرف) بدل (تعرف)

(٤) في (هـ ، ط) : (وأفوله)

فاستدِلَّ بالمخلوقِ على الخالق ، ولا تتكلَّفْ علْمَ ما لا يبلغُهُ عقلُكَ ، فقلتُ فقد تبتُ إن عدتُ في ذلك

وزاد البيهقيُّ فيها : (ولأن يُبتلى العبدُ بكلِّ ما خَلَقَ اللهُ مِنْ مضارِّهِ . . خيرٌ له مِنْ أن يُبتلىٰ بالكلام)[1]

قال البيهقيُّ : (تارانُ في بحر القُلْزُم ، يقال : فيها غرقَ فرعونُ وقومُهُ ، فشبَّهَ الشافعيُّ المزنيَّ فيما أوردَ عليه بعضُ أهل الإلحاد ولم يكنْ عنده جوابٌ . . بمَنْ ركبَ البحرَ في الموضع الذي أُغرقَ فيه فرعونُ وقومُهُ ، وأشرفَ على الهلاك ، ثم علَّمَهُ جوابَ ما أُوردَ عليه حتىٰ زالَتْ عنه تلك الشبهةُ ، وفي ذلك دلالةٌ علىٰ حسنِ معرفتِهِ بذلك ، وأنَّه يجبُ الكشفُ عن تمويهاتِ أهل الإلحاد عند الحاجةِ إليه ، وأرادَ بالكلام ما وقعَ فيه أهلُ الإلحاد مِنَ الإلحاد ، وأهلُ البدعِ من البدع ، واللهُ أعلم

فأمَّا استحبابُهُ تركَ الخوضِ فيه والإعراضَ عن المناظرةِ فيه ، مع معرفتِهِ به : فأخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ[2] قال : سمعتُ أبا الفضل الحسنَ بن يعقوبَ العدلَ يقول سمعتُ أبا أحمدَ محمدَ بن روحٍ يقول : كنا علىٰ باب الشافعيِّ نتناظرُ في الكلام ، فخرجَ إلينا الشافعيُّ ، فسمعَ بعضَ ما كنَّا فيه ، فرجعَ عنَّا ، فما خرجَ إلينا إلا بعدَ سبعة أيامٍ ، ثم خرجَ فقال : ما منعني مِنَ الخروج إليكم علَّةٌ عرضَتْ ، ولـٰكن لِمَا سمعتُكُم تتناظرون فيه ، أتظنُّونَ أنِّي لا أحسنُهُ ؟! لقد دخلتُ فيه حتىٰ بلغتُ منه مبلغاً ، وما تعاطيتُ شيئاً إلا وبلغتُ فيه مبلغاً ، حتى الرمْيَ ؛ كنتُ أرمي بين الغرضينِ فأصيبُ مِنْ عشرة تسعةً ، ولـٰكنَّ الكلامَ

---

(١) انظر « مناقب الشافعي » (١/ ٤٥٨) مختصراً ، وقد أشار إليه المصنف بقوله (بعض ما) ، و« تاريخ دمشق » (٥١/ ٣٨١)

(٢) ما يزال الكلام للإمام البيهقي فيما سيرويه عن شيخه الحاكم .

لا غايةَ له ، تناظروا في شيءٍ إن أخطأتُم فيه . . يُقال لكم : أخطأتُم ، لا تناظروا في شيءٍ إن أخطأتُم فيه . . يُقال لكم : كفرتُم)[١]

قال البيهقيُّ : (وفي حكايةِ المزنيِّ عن الشافعيِّ دلالةٌ علىٰ أنَّه كان قد تعلَّمَ الكلامَ وبالغَ فيه ، ثم استحبَّ تركَ المناظرةِ فيه عند الاستغناءِ عنها ، وإنَّما ذمَّ مذهبَ القدرية ؛ ألا تراه قال « بشيءٍ من هـٰذه الأهواءِ » ؟![٢] ، واستحبَّ تركَ الجدال فيه ، وكأنَّه تبعَ ما رويناهُ عن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال « **لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ ٱلْقَدَرِ وَلَا تُفَاتِحُوهُمْ** . . . » الحديثَ[٣] ، أو غيرَ ذلك من الأخبار الواردةِ في معناه[٤]

وعلىٰ مثلِ ذلك جرىٰ أئمتُنا في قديم الدهرِ عند الاستغناء عن الكلام فيه ، فإذا احتاجوا إليه . . أجابوا بما في كتابِ الله عزَّ وجلَّ ، ثم في سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنَ الدلالة علىٰ إثبات القدَرِ للهِ عزَّ وجلَّ ، وأنَّه لا يجري في ملكوتِ السماوات والأرض شيءٌ إلا بحكْمِ الله وتقديرِهِ وإرادتِهِ .

وكذلك في سائر مسائلِ الكلام اكتفَوا بما فيهما مِنَ الدلالة علىٰ صحَّةِ قولهم ، حتىٰ حدثَتْ طائفةٌ سَمَّوا ما في كتاب الله مِنَ الحُجَّةِ عليهم متشابهاً ، وقالوا نتركُ القولَ بالأخبار أصلاً ، وزعموا أنَّ الأخبارَ التي حُملَتْ عليهم لا تصحُّ في عقولهم ، فقامَ جماعةٌ مِنْ أئمَّتنا رحمَهم الله بهـٰذا العلمِ ، وبيَّنوا لمَنْ وُفِّقَ للصواب ورُزقَ الفهْمَ : أنَّ جميعَ ما وردَ في تلك الأخبارِ صحيحٌ في

---

(١) انظر « مناقب الشافعي » (١/ ٤٥٨ـ٤٥٩)

(٢) يعني : في الخبر رقم (٣٦٦) .

(٣) رواه أبو داود (٤٧١٠) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٠/ ٢٠٤) ، و« الاعتقاد » (٢٣٤) .

(٤) انظر ما أورده الحافظ البيهقي في « الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد » (ص ٣٠٧ـ ٣١٠) .

العقول ، وما ادعَوه في الكتاب مِنَ التشابهِ باطلٌ في المعقول[1] ، وحين أظهروا بدعَهم ، وذكروا ما اغترَّ به أهلُ الضَّعف مِنْ شُبهِهم . . أجابوهم ، فكشفوا عنها بما هو حُجَّةٌ عندهم ، كما فعل الشافعيُّ فيما حكينا عنه ؛ لوجوبِ الأمر بالمعروف والنهْيِ عن المنكر ، وما في ترْكِ إنكارِ المنكر والسكوتِ عليه مِنَ الفساد والتعدِّي .

وكانوا في القديم إنَّما يعرفونَ بالكلام أهلَ الأهواء ، فأمَّا أهل السنة والجماعة . . فمُعوَّلُهم فيما يعتقدون الكتابُ والسنَّة ، فكانوا لا يُسمَّون بتسميتِهم ، وإنَّما يعني والله أعلم بقولِهِ ـ يعني « مَن ارتدىٰ بالكلامِ . . لم يُفلحْ » ـ كلامَ أهلِ الأهواء ؛ الذين تركوا الكتابَ والسنَّة ، وجعلوا مُعوَّلَهم عقولَهم ، وأخذوا في تسويةِ الكتاب عليها ، وحين حُملت عليهم السنة بزيادة بيانٍ لنقض أقاويلهم اتهَمُوا رواتها وأعرضوا عنها !

فأمَّا أهلُ السنَّة فمذهبُهم في الأصول مبنيٌّ على الكتاب والسنة ، وإنَّما أخذَ مَنْ أخذَ منهم في العقلِ إبطالاً لمذهبِ مَنْ زعمَ أنَّه غيرُ مستقيم على العقل ، وبالله التوفيق)[2]

قال البيهقيُّ (ولاستحبابِ الشافعيِّ ومَنْ كان في عصره مِنْ أئمَّتِنا تركَ الخوض في الكلام ، وتركَ الاشتهار به عند الاستغناءِ عنه . . معنىً آخر ؛ وهو أنَّ الشافعيَّ حين قدمَ العراقَ في خلافةِ الرشيدِ كان قد دخلَ على المأمونِ باستدعائِهِ دخولَهُ عليه ، ورأىٰ تقريبَهُ بشراً المَرِيسيَّ وأمثالَهُ مِنْ أهلِ

---

(١) في (هـ ، ط) : (العقول) ، والمثبت موافقٌ للأصل المنقول عنه ، ثم مثالُ المتشابه الذي ادَّعته هـٰذه الطائفة دعوى القدرية أنَّ قوله سبحانه : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان : ٣٠] من المتشابه ، وأن قوله تعالى : ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت : ٤٠] من المحكم ، وهـٰكذا .

(٢) انظر « مناقب الشافعي » (١/ ٤٦٠ـ٤٦٣)

البدع[1] ، وحين عادَ إلى العراق في خلافةِ المأمون شاهدَ غلبةَ أهل الأهواء على مجلسِهِ[2] ، وأحسَّ ببعضِ ما رأىٰ أهلُ السنة مِنْ غلبةِ أهل الأهواء في

---

(١) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (وكان بشرُ بن غياث علىٰ كِبَرِ محلِّهِ في الفقه مِنَ المُصرِّينَ في مسألة خلق القرآن ، وكم نهاهُ أبو يوسف عن ذلك ولم ينتهِ ! حتىٰ طردَهُ من مجلسه ، وقال له : لا تنتهي أو تفسدَ خشبة ؛ « يريد : الصلبَ » ، ولما بلغَ ذلك الرشيدَ . . قال : عليَّ إن أظفرني الله به أن أقتله

فظنَّ من ذلك أبو العلاء صاعدُ بن أحمدَ بن أبي بكر الرازيُّ في كتابه « الجمع بين الفتوىٰ والتقوىٰ في مهمات الدين والدنيا » . . أنه وقعَ ما تفرَّسَ فيه أبو يوسف ؛ فصُلبَ في عهد الرشيد ! وليس كذلك ، بل كان بشرٌ مختفياً طولَ خلافة الرشيد ، ومع شدَّةِ تطلُّبِهِ له لم يظفرْ به ، كما ذكره عدةٌ من الأثبات ، فبعيدٌ أن يقرِّبَهُ المأمون في عهد والده ، ويشاهدَ ذلك الشافعي

وقد يُعوِّلُ البيهقيُّ علىٰ مَن لا يُعوَّلُ عليه في التاريخ ، علىٰ أنَّ أقوال المؤرخين في حقِّ بشرٍ لا تخلو عن اضطراب يحتاجُ إلىٰ تمحيص ، وإنَّما كان تعرُّفُ الشافعيِّ ببشرٍ في الحجاز بعد رحلته الأولىٰ إلى العراق ، ونزل عنده في رحلته الثانية في عهد الأمين ، فعيَّرَتْهُ أمُّهُ فانتقل ، وبينهما مناظراتٌ معروفةٌ) انتهىٰ .

(٢) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (خطأٌ ؛ لأنَّ الشافعيَّ توفيَ بمصرَ يوم الجمعة ، آخر يومٍ من رجب سنة أربعٍ ومئتينِ ، والمأمون أجمعَ الناسُ علىٰ خلافته ببغدادَ يوم الخميس ، لخمسٍ بقينَ من المحرم سنةَ ثمانٍ وتسعينَ ومئةٍ ، وأقام بخراسانَ إلىٰ أول سنة أربعٍ ومئتين ، ثم دخل بغدادَ لأربعَ عشرةَ ليلةً خلت من صفر سنةَ أربعٍ ومئتين ، ولم يشهرْ عن الشافعيِّ أنه خرج من مصرَ بعد دخوله إليها ، وأقام فيها إلىٰ أن توفِّيَ في التاريخ المقدَّم ذكرُهُ .

ومن العجبِ : أن المصنِّفَ ألَّفَ « تاريخ دمشق » وذكر ترجمةَ المأمون ومولده ، وموطنه ووفاته وتاريخ خلافته ، وكذلك ذكر ترجمة الشافعيِّ ومولده ووفاته ، وقد تحقَّقَ أنه توفيَ بمصرَ بعد دخول المأمون بغدادَ بخمسةِ أشهرٍ ، ويغلطُ مثل هـٰذا الغلط ! عفا الله عنا وعنه . انتهىٰ ما في هامش الأصل بخطِّ محمد بن إسماعيلَ الآمديِّ .

وكان الشافعيُّ رضي الله عنه بعد أن تفقَّهَ علىٰ مسلم بن خالدٍ المكي ، وسمع « الموطأ » علىٰ مالك . . انتقل إلى اليمن ، وتولَّى العمل عند بعض الولاة ؛ لضيق ذات يده ، وبقيَ هناك يتقلَّبُ في الأعمال ، ويتمرَّنُ في الرمي ، ويتوسَّعُ في اللغة والشعر وأيام العرب ؛ نحوَ سبعَ عشرةَ سنة ، وفي سنة أربعٍ وثمانينَ ومئةٍ ـ بعد وفاة أبي يوسف بسنتينِ ـ قبضوا عليه بتهمة الممالأة مع العلويين هناكَ ضدَّ العباسية ، فحملوه إلىٰ بغدادَ في عهد الرشيد ، ولم =

عصرِهِ ، ثم بما أصابَهم مِنَ المحنة في أيام المعتصم والواثق ، فحينَ شاهدَ الشافعيُّ أمثالَ ذلك[(١)] ، وأحسَّ ببعضِ ما كان وراءَ ذلك ، مع كراهيتِهِ وكراهيةِ

= يكن إذ ذاك في موقع الإمامة ، ولمَّا برئت ساحتُهُ من التهمة . . بقيَ بالعراق يطلبُ العلم عند محمد بن الحسن وغيره ، ولقيَ من محمد كلَّ مراعاة ، وهٰذه القَدْمة أوَّلُ رحلاته الثلاثِ إلى العراق ، وثانيتُها سنةَ خمسٍ وتسعينَ ومئةٍ في عهد الأمين ، وأقامَ ببغدادَ في هٰذه الرحلة وهو في موضعِ الإمامة والقدوة ينشرُ العلم ، فأخذ منه إذ ذاك أصحابُهُ العراقيون رواةُ القديم ، ثم خرجَ إلى الحجاز ، وثالثتُها وهي الأخيرة سنةَ ثمانٍ وتسعينَ ومئةٍ ، وكانت بعد أن أجمعَ الناس على خلافة المأمون ببغدادَ ، فمكث بها أشهراً ، ثم خرجَ وأنزلَ رحلَهُ بمصرَ أوَّلَ سنة مئتينِ ، وكان المأمون بخراسانَ مدَّة بقاء الشافعيِّ ببغدادَ في رحلتيه الأخيرتين ، ولم يجتمع بالمأمون فيهما حتماً ، وبمثل ذلك ردَّ الحافظ ابن حجر في « اللسان » [١١٧/٨] على المعافى بن زكريا النهرواني ما يرويه في « الجليس » بطريق معمر بن شبيب : أنه سمعَ المأمونَ يقول : امتحنتُ الشافعيَّ في كل شيءٍ فوجدتُهُ كاملاً ، وقد بقيَتْ خصلة ؛ وهو أن أسقيه من النبيذ ما يغلب على الرجلِ الجيِّدِ العقل ، قال : فحدثني ثابتٌ الخادم أنَّه استدعى به ، فأعطاه رطلاً ، فقال يا أمير المؤمنين ؛ ما شربتُهُ قطُّ ، فعزمَ عليه ، فشربه ، ثم والى عليه عشرينَ رطلاً ، فما تغيَّرَ عقلُهُ ، ولا زالَ عن حجَّتِهِ . انتهى
والذي أراه أنَّ المرادَ بالشافعيِّ في هٰذه الحكاية : هو أبو عبد الرحمٰن أحمدُ بن يحيى الشافعيُّ المتكلِّمُ ، لا الإمامُ محمدُ بن إدريس الشافعي ، وأبو عبد الرحمٰن هٰذا هو أوَّلُ مَنْ خلَفَ الشافعيَّ ببغدادَ في الذبِّ عن أصوله ومذهبه ، والنصرِ لقوله ، حتى عُرفَ بالشافعيِّ ، وكان من كبار العلماء ، ثم انضمَّ إلى ابن دؤاد في المحنة كما هو مشهور ، وكان أحدَ العشرينَ الذين اختارَهم المأمونُ لمجلسِهِ والكلام بحضرته ، وسمَّاهم : إخوتَهُ ، وهو الحقيقُ بهٰذه الحكاية ، وإن التبس على المعافى .
وما ورد بطريق واحدٍ : إما أن يردَّ بجملته ، أو يقبلَ بجملته ، ومع ذلك فقد أورد ابنُ حجر صدرَ هٰذه الحكاية في « مناقب الشافعيِّ » ، وهٰذا غريبٌ من مثله ، سامحه الله
وجملةُ القول : أن قَدْمة الشافعيِّ الأخيرةَ كانت في خلافة المأمون ، فلا خدشةَ في كلام المصنف من هٰذه الناحية ، وأمَّا مشاهدته غلبةَ أهل الأهواء على مجلس المأمون . . فممَّا لا يمكن ؛ لأن المأمونَ لم يكن إذ ذاك ببغدادَ ، بل بخراسانَ ، اللهمَّ إلا أن يراد بذلك ما شاهدَهُ ببغدادَ من آثار غلبة أهل الأهواء على مجلسه ، والله أعلم) انتهى
ولا يخفاك أن المصنف قد نقل هٰذا كلَّهُ عن الحافظ البيهقي من كتابه « مناقب الشافعي »

(١) إنما قال : (أمثال ذلك) لأنه رحمه الله تعالى لم يدرك أيام خلافة المعتصم وابنه الواثق

أمثالِهِ مِنْ أهل الورع الدخولَ على السلاطين والاختلاطَ بهم.. استحبَّ لأصحابِهِ تَرْكَ الخوض فيه ؛ لئلا يُدْعَوا إلىٰ مجالسِهم للمناظرةِ فيه ، ولئلا يكونَ ذلك سبباً لمحنتِهم ؛ ولهـٰذا قال لأبي يعقوب البويطيِّ رحمه الله)[1] ؛ يعني ما :

٣٧٥ـ أخبرَنا الشيخُ الفقيهُ أبو الحسن عليُّ بن المُسلَّم ، أخبرنا أبو نصر الحسينُ بن محمد الخطيبُ ، أخبرنا محمدُ بن أحمدَ السلميُّ ، أخبرنا محمدُ بن بشرٍ العَكَريُّ قال سمعتُ الربيعَ يقول كنتُ عند الشافعيِّ أنا والمزنيُّ وأبو يعقوبَ البويطيُّ ، فنظرَ إلينا ؛ فقال لي أنت تموتُ في الحديث ، وقال للمزنيِّ : هـٰذا لو ناظرَهُ الشيطانُ.. قطعَهُ أو جدلَهُ ، وقال للبويطيِّ أنت تموتُ في الحديد ، قال الربيعُ : فدخلتُ على البويطيِّ أيامَ المحنة ، فرأيتُهُ مقيَّداً إلىٰ أنصافِ ساقيه مغلولةً يدُهُ ؛ يعني : إلىٰ عنقِهِ[2]

قال البيهقيُّ : (فكان كما تفرَّسَ ؛ وذلك لأنَّه كان شديداً علىٰ أهل البدع ، ذابّاً بالكلامِ عن أهل السنَّة ، فدُعِيَ في أيام الواثقِ إلى القول بخلْقِ القرآن ، فامتنعَ منه ، فحُملَ مُقيَّداً مِنْ مصرَ إلى العراق ، حتىٰ ماتَ في أقيادِهِ محبوساً ثابتاً علىٰ دينِهِ ، صابراً علىٰ ما أصابَهُ من الأذىٰ ، رحمةُ الله ورضوانُهُ عليه

ومشهورٌ عند أهل العلمِ ما أصابَ أحمدَ بن حنبل رحمَهُ الله في أيام المعتصمِ من الحبس والضرب ، وما أصابَ أحمدَ بن نصر الخزاعيَّ في أيام الواثق مِنَ القتل والصلب ، وما أصابَ غيرَهما مِنَ المحنة العظيمة ، حتىٰ

---

(١) انظر « مناقب الشافعي » (١/ ٤٦٣ـ ٤٦٥) ، وتتمة كلامه الآتي بنحوه مسنداً للمصنف : (أما أنت يا أبا يعقوب.. فستموت في حديدك) .

(٢) ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١٣٩) بدون قول الربيع آخراً ، والمصنف في « تاريخ دمشق » (٥١/ ٤٠٧)

أجابَ بعضُهم إلىٰ ما دُعِيَ إليه ؛ خوفاً علىٰ نفسِهِ ، أعاذَنا اللهُ مِنْ أمثالِها(١)

---

(١) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ : (بل أجابوا كلُّهم ، ولم يصبرْ طولَ المحنة غيرُ أربعةِ نفرٍ ؛ وهم أحمدُ بن نصرٍ الخزاعيُّ ، ومحمدُ بن نوحٍ ، وأحمدُ بن حنبل ، ونُعيم بن حمَّاد ، وكلُّهم من المراوزة .

مات محمدُ بن نوحٍ في طريقه إلىٰ طرسوسَ أثناء وفاة المأمون ، ومات نُعيمُ بن حمادٍ في سجن الواثق ، وقُتِلَ الخزاعيُّ في عهد الواثق أيضاً ، وضُربَ أحمدُ في عهد المعتصم ، ولم يسلمْ من الأربعة غيرُ أحمدَ رضي الله عنهم .

وقيل لأحمدَ أوَّلَ ما امتحن : ما تقول في القرآن ؟ قال : كلامُ الله ، قيل أمخلوقٌ هو ؟ قال : كلامُ الله ، ما أزيدُ عليها ، ثم امتحن بما في رقعة الامتحان ؛ وهو « أشهد أن لا إلـٰه إلا الله أحداً فرداً ، لم يكن قبله شيء ، ولا يشبهُهُ شيء من خلقه في معنىً من المعاني ، ولا وجهٍ من الوجوه » ، فقال أحمدُ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ ١١] ، وأمسكَ عن « ولا يشبهه شيءٌ من خلقه في معنىً من المعاني ، ولا وجهٍ من الوجوه » ، وجرىٰ ما هو معروف .

وكان أحمدُ بعد رفع المحنة في عهد المتوكِّل يتشدَّدُ فيمن أجابوا ، وينهىٰ عن الرواية عنهم ، غيرَ سبعة منهم ؛ وهم : يحيى بن معين ، وأبو خيثمةَ ، وأحمدُ الدورقي ، وسعدويه ، والقواريريُّ ، وسجادة ، وخلف المخرميُّ ، قال ابن الجوزي في « مناقب أحمد » : « كان أحمد رضي الله عنه يرى الذين أجابوا لم يُكرهوا إكراهاً يبيحُ لهم الإجابة ، ومن ثمة كان يتشدَّد فيهم » انتهىٰ .

ويشكل أن يكون من في طبقة أحمد من كبار المحدثين أجابوا فيما لا يسوغُ لهم الإجابة فيه ، فينسدَّ طريقُ الرواية في هـٰذه الطبقة إلا من هـٰؤلاء السبعة ، ولعلهم كانوا لا يرونَ النفيَ والإثباتَ متواردينِ علىٰ شيء واحد ، فأجابوا في الكلام اللفظيِّ ، وأما الكلام النفسي . . فهو القديم ؛ لكونه صفةً لله غيرَ بائنة منه ، وكان ظاهرُ الامتحان في الكلام اللفظيِّ . ولو كان بين الجماعة أمثالُ أبي محمد عبد الله بن سعيد القطان ، والحارث بن أسد ، وعبد العزيز المكي ؛ من متكلِّمة أهل السنة في هـٰذه الطبقة ، المجيدين في النظر . . لربما هانَ الأمرُ ، ووقعَ التفاهمُ بينهم ، ولم تستمرَّ ذيولُ هـٰذه المحنة بأضرارٍ هامَّة تقعدُ بالمسلمين عن سبيل اعتلائِهم ، وتعوقُهم عن مواصلتِهم السعيَ في وسائل رقيِّهم المجيد ، ولـٰكن تقاعدَ هـٰؤلاء عن أن ينوبوا عن جماعة المحدِّثين في المناظرة ؛ إما تورُّعاً من أن يطؤوا بساطَ الأمراء كما يقول الباقلاني ، أو لما في أنفسهم من سابقِ طعونِ المحدثين فيهم ؛ لاشتغالهم بالكلام والنظرِ للذبِّ عن السنَّة ، فظنُّوا أنهم يعترفون بوجوب هـٰذا =

والذي يبين هـٰذا ما أخبرنا أبو عبد الله الحافظُ[1] قال سمعتُ عبدَ الله بن محمد الخُوَاريَّ يقول سمعتُ أبا نعيمٍ ـ يعني عبدَ الملك بن محمد الإستراباذيَّ ـ يقول : سمعتُ أبا القاسم الأنماطيَّ ـ يعني عثمانَ بن سعيد بن بشار أستاذَ ابنِ سُريجٍ ـ يقول : جالستُ المزنيَّ عشرَ سنين ، فلمَّا كان بأخرةٍ . . اجتمعنا في جنازةٍ بعضِ أصحابه ، فقلنا : يتحدثون بمذهبِ المزنيِّ ، وينسبونَهُ إلىٰ أنَّه يتكلَّمُ في القرآن ، ويقول بالمخلوقِ ، فلو سألناه ؟

قال فتقدَّمنا إليه ، فقلنا يا أبا إبراهيمَ ؛ إنَّا لنسمعُ منك هـٰذا العلمَ ، ونحبُّ أن يُؤخذَ عنا ما نسمعُ منك ، والناس يذكرونك أنَّك ساكتٌ عن القول بما يقولُ أهلُ الحديثِ في القرآن ، ونحن نعلمُ أنَّك تقولُ بالسنَّة ، وعلىٰ مذهبِ أهل الحديث ، فلو أظهرتَ لنا ما تعتقدُهُ .

فأجابَنا فقال : أنا لم أعتقدْ قطُّ إلا أنَّ القرآنَ كلامَ الله غيرُ مخلوقٍ ، ولـٰكنِّي كرهتُ الخوضَ في هـٰذا ؛ مخافةَ أن يكثرَ عليَّ وأطالبَ بالنظرِ في هـٰذا ، وأشتغلَ عن الفقه

فلمَّا كان من الغدِ . . بعثَ إليه رئيسٌ من رؤساء الجهميَّة بمصر يُقالُ له : ابنُ الأصبغ[2] رسولاً فقال : يا أبا إبراهيمَ ؛ بعثني إليك فلانٌ ، وهو يقول : لم تزلْ تمسكُ عن الخوضِ في القرآن والكلام فيه ، فما الذي بدا لك الآنَ ؟ وقد بلغني أنَّك أجبتَ بكذا وكذا ، فما حجَّتك فيما أجبتَ أنَّ القرآن غيرُ مخلوقٍ ؟ فنظرَ إلينا وقال : ألم أقلْ لكم : إنِّي كنتُ أمتنعُ من أجلِ أنِّي أطالبُ بمثلِ هـٰذا ؟!

= العلم إذا واجهوا الامتحانَ بأنفسهم ، وخاب ظنُّهم ، ووقع ما وقع ؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً) انتهىٰ .

(١) ما يزال الكلام للإمام البيهقي فيما سيرويه عن شيخه الحاكم

(٢) في (ب ، د ، هـ ، و) : (الإصبع)

قال أبو القاسم : فقلتُ أنا أتولىٰ عنك جوابه ، قال : شأنُكَ

فمضيتُ إليه ، فقلتُ له إنَّ رسولَكَ جاءَ إلىٰ أبي إبراهيمَ بكذا وكذا ، فجئتُ لأتولَّىٰ عنه الجوابَ ، وأنا أحدُ مَنْ تحمَّلَ عنه العلمَ ، فقال ما حجَّتُكَ ؟ فقلت له أقولُ القرآن غير مخلوق ، وأدلُّ عليه بكتابِ الله ، وسنَّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإجماعِ أمَّته ، ومِنْ حُججِ العقول التي ركَّبَها الله في عباده .

قال : فأوردتُ عليه ذلك ، فبقي متحيِّراً)[1]

قال البيهقيُّ : (فالمزنيُّ رحمه الله كان رجلاً ورعاً زاهداً ، يتجنَّبُ السلاطينَ ، فامتنعَ مِنَ الكلام مخافةَ أن يُبتلىٰ بالدخولِ عليهم ، مع ما شاهدَ مِنْ محنةِ البويطيِّ وأمثالِهِ من أهل السنَّة في أيام المعتصم والواثق

وفي كلِّ ذلك دلالةٌ علىٰ أنَّ استحبابَ مَنِ استحبَّ مِن أئمَّتنا تركَ الخوض في الكلام إنَّما هو للمعنى الذي أشرنا إليه ، وأنَّ الكلامَ المذمومَ إنَّما هو كلامُ أهل البدع الذي يخالفُ الكتاب والسنة ؛ فأمَّا الكلامُ الذي يوافقُ الكتابَ والسنة ، ويبيِّنُ بالعقل والعبرة . . فإنَّه محمودٌ مرغوبٌ فيه عند الحاجة ، تكلَّمَ فيه الشافعيُّ وغيرُهُ من أئمَّتِنا رضي الله عنهم عند الحاجة ، كما سبقَ ذكرنا له)[2]

وقد كان عبدُ الله بنُ يزيدَ بنِ هرمزَ المدنيُّ شيخُ مالكِ بن أنس أستاذِ الشافعيِّ رحمَهم الله . . بصيراً بالكلام ، والردِّ علىٰ أهل الأهواء ، كما

٣٧٦ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمدَ بن السمرقنديِّ ، أخبرنا

---

(١) انظر « مناقب الشافعي » (١/ ٤٦٥ـ٤٦٧)
(٢) انظر « مناقب الشافعي » (١/ ٤٦٥) .

أبو بكر محمدُ بن الحسن بن هبة الله الطبريُّ ، أخبرنا أبو الحسين محمدُ بن الحسين بن الفضل القطَّانُ ، أخبرنا أبو محمد عبدُ الله بن جعفرٍ النحويُّ ، حدثنا أبو يوسفَ يعقوبُ بن سفيانَ الفارسيُّ ، حدثنا محمدُ بن أبي زكير ، أخبرنا ابن وهْبٍ قال قال مالكٌ كان ابنُ هرمزَ رجلاً كنتُ أحبُّ أن أقتديَ به[١] ، وكان قليلَ الكلام ، قليلَ الفتيا ، شديدَ التحفُّظِ ، وكان كثيراً ممَّا يفتي الرجلَ ثم يبعثُ في أثرِهِ فيردُّهُ إليه حتىٰ يخبرَهُ بغيرِ ما أفتاه

قال[٢] **وكان بصيراً بالكلامِ ، وكان يردُّ علىٰ أهل الأهواء ، وكان مِنْ أعلمِ الناسِ بما اختلفَ الناسُ فيه مِنْ هٰذه الأهواء**[٣]

قال وحدثنا يعقوبُ ، حدثنا أبو الحسن أحمدُ بن أبي الحواريِّ قال سمعتُ مروانَ ـ يعني ابن محمدٍ ـ ، عن مالكٍ قال جلستُ إلى ابنِ هرمزَ ثلاثَ عشرةَ سنةً ، قال وكنتُ في الشتاء قدِ اتخذتُ سراويلَ محشواً ، كنَّا نجلسُ معه في الصحن في الشتاء ، قال فاستحلفني ألاَّ أذكرَ اسمَهُ في الحديث[٤]

وقد اشتهرَ غيرُ واحدٍ من علماء الإسلام ، ومِنْ أهل السنَّة قديماً . بعلمِ الكلام

٣٧٧ـ أخبرَنا الشيخُ أبو نصر عبدُ الرحيم بن عبد الكريم بن هوازنَ إجازةً ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن الحسين بن عليٍّ الحافظُ ، أخبرنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ قال سمعتُ أبا بكر محمدَ بن عبد الله بن يوسفَ الحفيدَ مِنْ أصلِ

---

(١) وفي (ب) : (أبو هرمز) بدل (ابن هرمز) .

(٢) يعني : أبا محمد النحوي

(٣) رواه يعقوب بن سفيان الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (١/ ٦٥٢) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (٢/ ٤٢٣)

(٤) رواه يعقوب بن سفيان الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (١/ ٦٥٥) .

كتابه[1] يقول سمعتُ الحسينَ بن الفضل البجليَّ رحمه الله يقول دخلتُ على زهيرِ بن حربٍ بعد ما قدمَ مِنْ عند المأمونِ وقدِ امتحنَهُ ، فأجابَ إلى ما سألَهُ ، فكان أوّل ما قال لي يا أبا عليٍّ ؛ تكتبُ عن المرتدِّين ؟! فقلت معاذَ الله ! ما أنت بمرتدٍّ ، وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل : ١٠٦] ، فوضعَ اللهُ عن المكرَهِ ما يسمعُهُ في القرآن

ثم سألتُهُ عن أشياءَ يطولُ ذكرُها ، فقال : أشدُّها علينا أن قال لنا ما تقولون في عيسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟ قلنا مَنْ عيسى يا أميرَ المؤمنين ؟ قال ابنُ مريمَ ، قلنا : رسولُ الله ، قال : وكلمتُهُ ؟ قلنا : نعم ، قال : فما تقولون فيمَنْ قال ليس عيسى كلمةَ الله ؟ قلنا : كافرٌ يا أميرَ المؤمنين ، قال فقال لنا أليس عيسى كلمةَ الله ؟ قلنا بلى ، قال : فمخلوقٌ أم غيرُ مخلوقٍ ؟ قلنا مخلوقٌ ، قال : فمَنْ زعمَ أنَّه غيرُ مخلوقٍ ؟ قلنا : كافرٌ يا أميرَ المؤمنين ، قال فما تقولون في القرآن ؟ قلنا : كلامُ الله عزَّ وجلَّ ، قال مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ ؟ قلنا : غيرُ مخلوقٍ ، قال فمَنْ زعمَ أنَّ عيسى غيرُ مخلوقٍ وهو كلمةُ الله ؟ قلنا كافرٌ ، قال : يا سبحانَ الله ! عيسى كلمةُ الله ومَنْ نفى الخلْقَ عنه كافرٌ ، والقرآنُ كلمةُ الله ومَنْ يُثبتُ الخلقَ عليه كافرٌ ؟!

قال الحسين فأعلمتُهُ ما يجبُ من القول ، وقلتُ له قد كان المكيُّ يختلفُ إليكم[2] ، ويقولُ لكم : إنِّي أعلمُ من هٰذا البابِ ما لا تعلمون ،

---

(١) في (ب) : (يوسف بن الحفيد) بدل (يوسف الحفيد) ، والصواب المثبت ؛ إذ الحفيد لقب له ، وانظر « إكمال الإكمال » (٢/ ٢٦٦)

(٢) وهو عبد العزيز بن يحيى المكي ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٢/ ١٤٤ـ ١٤٥) ، وفيه قال الإمام ابن السبكي : (وكتاب « الحيدة » المنسوب إليه فيه أمورٌ مستشنعةٌ ، لٰكنَّه ـ=

فتعلَّموا ذلك منِّي ، فتحمِلُكُم الرئاسةُ علىٰ ترك ذلك ! ويقول لكم : يكون لكم ما تعلمتوهُ منِّي عُدَّةً تعتدُّونها لأعدائِكم ، فإن هجموا يوماً . . لم تحتاجوا إلىٰ طلبِ العُدَّةِ ، فإن احتجُوا بعد ذلك عليكم ولم يحضرْكم الأعداءُ . . لم يضرَّكم الإعدادُ للعدَّةِ ، فتأبَون ذلك !

والحُجَّةُ في هـٰذا الباب كيتَ وكيتَ[1] ، فقال والله ؛ لوددتُ أنِّي كنتُ أعلمُ هـٰذا كما نعلمُهُ يومَ دخلتُ على المأمونِ وأنَّ ثُلُثَ روايتي ساقطةٌ عنِّي ، ثم نظرَ إلىٰ يحيى بن معين وهو معه ، فقال له : وأنا أقولُ كما تقول

فقال لي زهيرٌ فعلِّم ابني ؛ فإنَّه حَدَثٌ ، فخلوتُ به في المسجد ، فعلَّمتُهُ ذلك ، ثم انصرفتُ

قال محمدُ بن عبد الله الحاكمُ (الحسينُ بن الفضل البجليُّ صاحبُ عبد العزيز المكيِّ المقدَّمِ في معرفةِ الكلام)

٣٧٨ـ أخبرَني الشيخُ أبو القاسم نصرُ بن نصرٍ الواعظُ في كتابِهِ ، عن القاضي أبي المعالي بن عبدِ الملك[2] قال (مَنِ اعتقدَ أنَّ السلفَ الصالحَ

= كما قال شيخنا الذهبي ـ لم يصحَّ إسنادُهُ إليه ، ولا ثبتَ أنَّه من كلامه ، فلعلَّهُ وُضعَ عليه) ، فقد كانت له مناظرة مع بشر المريسي في مسألة خلق القرآن .

(١) قال الحافظ البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ١٨٩) (وقوله في عيسىٰ عليه السلام : إنَّه رسول الله وكلمته ؛ فإنَّما يريد به أنَّه بكلمة الله تعالىٰ صارَ مكوَّناً من غير أب ، أو أنه رسول الله وعن كلمتِهِ يتكلَّم ، والأول أشبهُ بالتخصيص ، وقد بيَّنَ الله تعالىٰ ذلك بقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ [النساء : ١٧١] يعني ـ والله أعلم ـ : أوحىٰ كلمته إلىٰ مريم ، فصار عيسىٰ مخلوقاً بكلمتِهِ من غير أب ، ثم بيَّنَ الكلمةَ التي أوحىٰ إلىٰ مريم ، فصار عيسىٰ بها مخلوقاً ، فقال : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] ، فأخبر أن عيسىٰ إنَّما صار مكوَّناً بكلمة « كن » ، كما صار آدم بشراً بكلمة « كن » ، وبالله التوفيق) .

(٢) يعني : القاضي عزيزي بن عبد الملك المعروف بـ (شيذله) ، وتقدمت الرواية عنه .

رضي الله عنهم نَهَوا عن معرفة الأصول وتجنَّبوها ، أو تغافلوا عنها وأهملوها . فقد اعتقدَ فيهم عجزاً ، وأساءَ بهم ظنّاً ؛ لأنَّهُ يستحيلُ في العقل والدين عند كلِّ مَنْ أنصفَ مِنْ نفسِهِ أنَّ الواحدَ منهم يتكلَّمُ في مسألةِ العولِ ، وقضايا الجدِّ ، وكميَّةِ الحدود ، وكيفيةِ القصاص ؛ بفصولٍ ، ويباهلُ عليها ويلاعنُ ، ويجاثي فيها ويبالغُ[1] ، ويذكرُ في إزالةِ النجاسات عشرينَ دليلاً لنفسِهِ وللمخالف ، ويشقِّقُ الشَّعَرَ في النظرِ فيها . . ثم لا يعرفُ ربَّهُ الآمرَ خلقَهُ بالتحليل والتحريم ، والمكلِّفَ عبادَهُ للترك والتعظيم ! فهيهاتَ أن يكون ذلك !

وإنَّما أهملوا تحريرَ أدلَّتِهِ ، وإقرارَ أسئلتِهِ وأجوبتِهِ ؛ فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ بعثَ نبيَّنا محمداً صلواتُ الله عليه وسلامُهُ[2] ، فأيَّدَهُ بالآياتِ الباهرة ، والمعجزاتِ القاهرة ، حتىٰ أوضحَ الشريعةَ وبيَّنَها ، وعلَّمَهم مواقيتَها وعيَّنَها ، فلم يَترك لهم أصلاً مِنَ الأصول إلا بناهُ وشيَّدَهُ ، ولا حُكْماً مِنَ الأحكام إلا أوضحَهُ ومهَّدَهُ ؛ لقوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] ، فاطمأنَّتْ قلوبُ الصحابة لما عاينوا مِنْ عجائب الرسولِ ، وشاهدوا مِنْ صدق التنزيل ببدائِهِ العقول ، والشريعةُ غضَّةٌ طريَّةٌ ، متداولةٌ بينهم في مواسِمِهم ومجالسِهم ، يعرفون التوحيدَ بمشاهدةِ الوحْيِ والسماع ، ويتكلَّمون في أدلَّةِ الوحدانيَّة بالطباعِ ، مستغنينَ عن تحريرِ أدلَّتِها ، وتقويمِ حُجَجِها وعللِها ، كما أنَّهم كانوا يعرفون تفسيرَ القرآن ، ومعانيَ الشعر والبيان ، وترتيبَ النحو والعَروض ، وفتاوى النوافلِ

---

(١) يقال : جاثيتُ ركبتي إلى ركبته ، وتجاثَوا على الرُّكَب في الخصومة مجاثاةً وجِثاءً ، وجاثيته ؛ إذا لازمته وكلَّمته ، وكذا يقال في خصومةٍ عند سلطان أو حاكم .

(٢) في (ب) : (بعث إلينا) بدل (بعث نبينا) .

والفروض ؛ مِنْ غيرِ تحريرِ العلَّة ، ولا تقويمِ الأدلَّة

ثمَّ لمَّا انقرضَتْ أيَّامُهم ، وتغيَّرَتْ طباعُ مَنْ بعدَهم وكلامُهم ، وخالطَهم مِنْ غيرِ جنسِهم ، وطالَ بالسلف الصالح والعرب العرباء عهدُهُم . . أشكلَ عليهم تفسيرُ القرآن ، ومرنَ عليهم غلطُ اللسان ، وكثُرَ المخالفون في الأصول والفروع ، واضطُرُّوا إلىٰ جمْعِ العَروض والنحو ، وتمييزِ المراسيل مِنَ المسانيد ، والآحادِ عن التواتر ، وصنَّفُوا التفسيرَ والتعليق ، وبيَّنوا التدقيقَ والتحقيقَ ، ولم يقلْ قائلٌ : إنَّ هـٰذه كلَّها بِدَعٌ ظهرَتْ ، أو إنَّها محالات جُمِعَتْ ودُوِّنتْ ، بل هو الشرعُ الصحيحُ ، والرأيُ الصريحُ ، وكذلك هـٰذه الطائفةُ كثَّرَ اللهُ عَدَدَهم ، وقوَّىٰ عُدَدَهم .

بل هـٰذه العلومُ أولىٰ بجمعِها ؛ لحرمةِ معلومِها ؛ فإنَّ مراتبَ العلومِ تترتَّبُ علىٰ حسب معلوماتها ، والصنائعَ تَكْرُمُ علىٰ قدْرِ مصنوعاتِها ، فهي مِنْ فرائضِ الأعيانِ ، وغيرُها إمَّا مِنْ فرائض الكفايات ، أو كالمندوبِ والمستحبِّ ؛ فإنَّ مَنْ جَهِلَ صفةً من صفات معلومِهِ . . لم يعرفِ المعلومَ علىٰ ما هو به ، ومَنْ لم يعرفِ الباريَ سبحانَهُ علىٰ ما هو به . . لم يستحقَّ اسمَ الإيمان ، ولا الخروجَ يومَ القيامة مِنَ النيرانِ)[1]

---

(١) وقع في هامش (هـ) حاشية : (قال الرماني رحمه الله تعالىٰ في « تفسيره » : أجلُّ علوم الدين: علمُ الأصول ؛ وهو علمُ الكلام الذي يُعرفُ اللهُ عز وجل به ، وما يجوزُ عليه وما لا يجوزُ عليه ، وبه يُعرفُ رسولُهُ صلى الله عليه وسلم ، وما يجوزُ عليه وما لا يجوزُ عليه ، وبه تُقام الحجَّةُ علىٰ كلِّ مبطِلٍ ومبتدِعٍ وكافرٍ وملحد ، وبه تُحَلُّ شبهُهم ، وتكشفُ تمويهاتُهم ، وكلُّ ما خاف الإنسان بتركِ النظرِ فيه ضرراً يلحقُهُ . . فعليه النظرُ ليسلمَ من ذلك الضرر ، وكلَّما كان الخوفُ من الضرر أشدَّ . . كان النظرُ أوجبَ ، وكلُّ ما كان يُخاف منه أعظم . . كان النظرُ أوكدَ ، ولا شيءَ أعظمُ ممَّا يُخاف منه عذاب الأبد ، وفوت نعيم الجنة ليس عنه عوضٌ ؛ وذلك بالإعراض عن النظرِ إلىٰ معرفة الله تعالىٰ وشكرِ نعمه ، وإذا كان النظرُ في أمر تدبير أمر الدنيا هي خير في الإعراض عنه بضرر فهو واجبٌ لازم . . فالنظرُ في أمر تدبير =

٣٧٩ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم عبدُ الرحمـٰن بن الحسن بن أحمدَ الجُرجانيُّ الصوفيُّ المعروفُ بالشَّعْريِّ بنيسابورَ قال سمعتُ أبا الحسن عليَّ بن أحمدَ المدينيَّ يقول سمعتُ الإمامَ أبا محمد عبدَ الله بن يوسف الجُوَينيَّ يقول : رأيتُ إبراهيمَ الخليلَ عليه السلام في المنام ، فأهويتُ لأن أُقبِّلَ رجليهِ ، فمنعني مِنْ ذلك تكريماً لي ، فاستدبرتُ فقبَّلْتُ عقبيهِ ، فأوَّلْتُ الرفعةَ والبركةَ تبقىٰ في عقبي ، ثم قلتُ يا خليلَ الله ؛ ما تقولُ في علم الكلام ؟ فقال يُدفعُ به الشُّبَهُ والأباطيلُ[١]

٣٨٠ـ أخبرَنا الشيخُ الإمامُ أبو نصر عبدُ الرحيم بن عبد الكريم بن هوازنَ إجازةً قال : سُئِل أبي الأستاذُ أبو القاسم القُشَيريُّ رحمه الله فقيلَ له أربابُ التوحيد هل يتفاوتون فيه ؟

فقال : إن فرَّقتَ بين مصلٍّ ومصلٍّ ، وعلمتَ أنَّ هـٰذا يصلِّي وقلبُهُ مشحونٌ بالغفلات ، وذاك يصلِّي وقلبُهُ حاضرٌ . . ففرِّقْ بين عالمٍ وعالمٍ ؛ هـٰذا لو طرأَتْ عليه مشكلةٌ . . لم يمكنْهُ الخروجُ منها ، وهـٰذا يقاومُ كلَّ عدوٍّ للإسلام ، ويَحُلُّ كلَّ معضلةٍ تَعِنُّ في مقامِ الخصام ، وهـٰذا هو الجهادُ الأكبر ؛ فإنَّ الجهادَ في الظاهر مع أقوامٍ معيَّنينَ ، وهـٰذا جهادٌ مع جميعِ أعداءِ الدين ، وهو آياتٌ بيِّناتٌ في صدور الذين أوتوا العلم

وللخراجِ في البلد قانون معروفٌ ، إذا أشكلَ خراجُ بقعةٍ . . رجعَ الناس إلىٰ ذلك القانون ، وقانونُ العلم بالله قلوبُ العارفين به .

فرواةُ الأخبار خُزَّانُ الشرع ، والقرَّاءُ مِنَ الخواصِّ ، والفقهاءُ حفظةُ الشرع ، وعلماءُ الأصول هم الذين يعرفون ما يجبُ ويستحيلُ ويجوزُ

= الآخرة أوجب وألزم ؛ إذ كان ما يُخاف من ضرره أكبر وأعظم) .

(١) في (ب ، و) : (تُدفع) بدل (يدفع) .

في حقِّ الصانع ، وهم الأقلُّون اليومَ

رَمَى ٱلدَّهْرُ بِٱلْفِتْيَانِ حَتَّىٰ كَأَنَّهُمْ　　بِأَكْنَافِ أَطْرَافِ ٱلسَّمَاءِ نُجُومُ[(١)]

وَقَـدْ كُنَّـا نَعُـدُّهُـمُ قَلِيـلاً　　فَقَدْ صَارُوا أَقَلَّ مِنَ ٱلْقَلِيـلِ[(٢)]

قَلَّتْ عنايةُ الناس بعلم الأصول ؛ إذ ليس فيه وَقْفٌ ورِفْقٌ يأكلونه ، فميلُهم إلىٰ ما يقرِّبُهم مِنَ الدنيا ، ويولِّيهم الأوقافَ والقضاء ، والطريقُ أيضاً مشكلٌ ، فهو علم عزيزٌ ، والطريقُ إلى الأعزَّةِ عزيزٌ ، وقد يُرىٰ بعضُ الجواهر أُثبِتَ له ذَرَّةٌ مِنَ العزِّ ، فلا يُوجدُ إلا عند الخواصِّ ، فهو وإن كان حجراً غيرَ مبتذلٍ ؛ فما الظنُّ بجوهرِ المعرفة ؟!

٣٨١ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيمَ العلويُّ ، وأبو الحسن عليُّ بن أحمد الغسانيُّ قالا : حدثنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابتٍ الخطيبُ ، أخبرنا أبو طالب عمرُ بن إبراهيمَ الفقيهُ الزهريُّ ، حدثنا الحسنُ بن الحسين الشافعيُّ الهمَذانيُّ قال أنشدني أبو عبد الله بنُ مجاهدٍ المتكلِّمُ لبعضِهم　[من الخفيف]

أَيُّهَـا ٱلْمُغْتَـدِي لِيَطْلُـبَ عِلْمـاً　　كُـلُّ عِلْـمٍ عَبْـدٌ لِعِلْـمِ ٱلْكَـلاَمِ

تَطْلُبُ ٱلْفِقْهَ كَيْ تُصَحِّحَ حُكْماً　　ثُـمَّ أَغْفَلْـتَ مُنْـزِلَ ٱلأَحْكَـامِ[(٣)]

٣٨٢ـ أخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل الفُراويُّ قال : قال لنا الأستاذُ أبو القاسم عبدُ الكريم بن هوازنَ القُشَيريُّ

إنَّ الأشعريَّ لا يشترطُ في صحَّةِ الإيمانِ ما قالوهُ ـ يعني مَنْ شنَّعَ عليه أنَّ

---

(١) البيت من الطويل ، أورده مع بيت آخر الجاحظُ في « البيان والتبيين » (٤/ ٥٣) دون نسبة ، وفيه : (الفقر) بدل (الدهر) ، ووجه تشبيههم بالنجوم في تفرُّقها

(٢) البيت من الوافر ، وهو مع آخر عند الوشَّاء في « الموشىٰ » (ص ١٩) دون نسبة

(٣) ورواهما الخطيب في « تاريخ بغداد » (١/ ٣٦٠) .

أغمارَ العوامِّ عنده غيرُ مؤمنين ؛ لأنَّهم خليُّونَ عن علمِ الكلام ـ ، بل هو وجميعُ أهل التحصيل من أهل القبلة يقولون يجبُ على المكلَّفِ أن يعرفَ الصانعَ المعبودَ بدلائلِهِ التي نصبَها علىٰ توحيدِهِ ، واستحقاقَه نعوتَ الربوبيَّةِ ، وليس المقصودُ استعمالَ ألفاظ المتكلِّمين ؛ مِنْ لفظِ الجوهر والعرض ، وإنَّما المقصودُ حصولُ النظرِ ، والاستدلال المؤدِّي إلىٰ معرفةِ الله ، وإنَّما استعملَ المتكلِّمون هـٰذه الألفاظَ علىٰ سبيل التقريبِ والتسهيل على المتعلِّمين ، والسلفُ الصالح وإنْ لم يستعملوا هـٰذه الألفاظَ . . فلم يكن في معارفِهم خللٌ ، والخَلَفُ الذين استعملوا هـٰذه الألفاظَ لم يكن ذلك منهم لطريقِ الحقِّ مباينةً ، ولا في الدين بدعةً ، كما أنَّ المتأخِّرينَ مِنَ الفقهاء عن زمان الصحابة والتابعين استعملوا ألفاظَ الفقهاء ؛ مِن لفظ العلَّةِ والمعلول والقياسِ وغيره ، ثم لم يكن اشتغالُهم بذلك بدعةً ، ولا خلوُّ السلف عن ذلك كان لهم نقصاً ، وكذلك شأنُ النحويِّين والتصريفيِّينَ ونقلةِ الأخبار في ألفاظٍ تختصُّ بها كلُّ فِرقةٍ منهم

[التأصيلُ لعلمِ الكلامِ مِنَ الكتابِ والسنَّةِ ، وبيانُ كونِهِ بدعةً حسنةً] :

فإن قالوا[١] : إنَّ الاشتغالَ بعلمِ الكلام بدعةٌ ، ومخالفةٌ لطريقةِ السلف

قيل : لا يختصُّ بهـٰذا السؤال الأشعريُّ دون غيرِهِ من متكلِّمي أهل القبلة[٢] ، ثمَّ الاسترواحُ إلىٰ مثلِ هـٰذا الكلامِ صفةُ الحشوية ؛ الذين لا تحصيلَ لهم .

وكيف يُظَنُّ بسلفِ الأمة أنَّهم لم يسلكوا سبيلَ النظر ، وأنَّهم اتصفوا

---

(١) لا يزال الكلام للإمام القشيري رحمه الله تعالىٰ ، وسيأتي التنبيه لتمامه .

(٢) إذ كلٌّ من جمع أدلَّةَ العقول لنصرة النقول . . فهو متكلِّم علىٰ مصطلح المتكلِّمين شاء أم أبىٰ ، فلا يكاد يخرج من الفرق الإسلامية من أهل القبلة عن الأخذ بالكلام ـ سواء أصاب أو أخطأ ـ إلا الحشوية الظاهرية ، بل حتىٰ هـٰؤلاء بأخرة أخذوا بطرف منه وهم لا يشعرون

بالتقليد ؟! حاشَ للهِ أن يكونَ ذلك وصفَهم ! ولقد كان السلفُ مِنَ الصحابة مستقلِّينَ بما عرفوا من الحقِّ ، وسمعوا مِنَ الرسول صلواتُ الله عليه مِنْ أوصاف المعبود ، وتأمَّلوهُ مِنَ الأدلَّة المنصوبةِ في القرآن وأخبارِ الرسول عليه السلام في مسائلِ التوحيد ، وكذلك التابعون وأتباعُ التابعين ؛ لقرْبِ عهدِهم مِنَ الرسول عليه السلام

فلمَّا ظهرَ أهلُ الأهواء ، وكثُرَ أهل البدع ؛ مِنَ الخوارج ، والجهميَّة ، والمعتزلة ، والقدريَّة ، وأوردوا الشُّبَهَ . . انتَدَبَ أئمَّةُ أهل السنَّة لمخالفتِهم ، والإيصاء للمسلمين بمباينة طريقتهم ، فلمَّا أشفقوا على القلوب أن تخامرَها شبهُهم . . شرعوا في الردِّ عليهم ، وكشْفِ شبهِهم ، وأجابوهم عن أسئلتِهم ، وحامَوا عن دينِ الله بإيضاحِ الحُجَج ، ولمَّا قال الله تعالىٰ ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل ١٢٥] . . تأدَّبوا بآدابِهِ سبحانه ، ولم يقولوا في مسائلِ التوحيد إلا بما نبَّهَهم اللهُ سبحانَهُ عليه في محكمِ التنزيل

والعجبُ ممَّن يقولُ : ليس في القرآن علمُ الكلام ! والآياتُ التي هي في الأحكامِ الشرعيَّةِ نجدُها محصورةً ، والآياتُ المنبِّهةُ علىٰ علمِ الأصول نجدُها توفي علىٰ ذلك وتربي بكثيرٍ

وفي الجملةِ : لا يجحدُ علمَ الكلامِ إلا أحدُ رجلينِ

- **جاهلٌ** ركنَ إلى التقليدِ ، وشَقَّ عليه سلوكُ طُرُقِ أهل التحصيل ، وخلا عن طُرُقِ أهل النظر ، **والناسُ أعداء ما جهلوا** ، فلمَّا انتهىٰ عن التحقُّقِ بهٰذا العلمِ[1] . . نهى الناسَ ؛ ليُضِلَّ كما ضَلَّ .

- **أو رجلٌ** يعتقدُ مذاهبَ فاسدةً ، فينطوي علىٰ بِدَعٍ خفيَّةٍ ، يلبِّسُ على

---

(١) في (ب) : (التخلُّق بهٰذا العلم) ، وفي (و) : (التحقيق بهٰذا العلم) .

الناس عَوارَ مذهبِهِ ، ويعمِّي عليهم فضائحَ عقيدتِهِ ، ويعلمُ أنَّ أهل التحصيل مِنْ أهل النظرِ هم الذين يهتكون السِّتْرَ عن بدعِهم ، ويُظهرون للناس قُبْحَ مقالاتِهم ، والقلاَّبُ لا يحبُّ مَنْ يميِّزُ النقودَ ، والخللُ فيما في يدِهِ مِنَ النقود الفاسدة ، لا في الصرَّافِ ذي التمييزِ والبصيرة ، وقد قال الله تعالىٰ ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩][1]

فهٰذا ما حضرني مِنْ مدْحِ الكلام والمتكلِّمين ، وذكْرِ بعضِ مَنْ كان يَعلَمُهُ مِنْ علماءِ المسلمين

* *

(١) إلىٰ هنا ينتهي ما ساقه المصنف عن الإمام القشيري رحمه الله تعالىٰ ، وهو قطعةٌ من رسالته المشهورة بـ « شكاية أهل السنة » ، وقد تقدمت (ص ٢٤١) في الخبر (١٣٠) مع تمامها تعليقاً ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٤٢٠) .

[نصرةُ الإمام الأشعري للمذاهب الأربعة ، وبيانُ أنَّ الأخذ بطريقته ليس على سبيل التقليد]

فإن قال بعضُ الجُهَّال مِنَ المبتدعة: لسنا نعرفُ غيرَ المذاهب الأربعة ، فمِنْ أين أتىٰ هـٰذا المذهبُ الخامسُ الذي اخترعتموهُ ؟!

ولمَ رضيتم لأنفسِكم بالانتساب إلى الأشعريِّ الذي اتبعتموهُ ؟!

وهلاَّ اقتنعتم بالانتسابِ إلى الإمام الألمعيِّ ؛ أبي عبد الله محمدِ بن إدريسَ الشافعيِّ ؛ فإنَّهُ أولىٰ بالانتسابِ إليه ممَّنْ سواه ، وأحقُّ بالانتماءِ إلىٰ مذهبِهِ ممَّن عداه ؟!

قلنا: هـٰذا قولٌ عريٌّ عن الصدق ، وقائلُهُ بعيدٌ عن الحقِّ ، فمَنْ ذا الذي حصرَ المذاهبَ بالعددِ الذي حصرتم ؟!

ومَنْ يُصحِّحُ لكم مِنْ قولِكم ما ذكرتم ؟!

بل المذاهبُ لكثرتها لا تنحصرُ بهـٰذا العددِ الذي عددتم ، **ولو كانَتْ منحصرةً به لم يحصلْ لكم بذلك ما قصدتم** ، وكأنَّكم لم تسمعوا بمذهبِ الليثِ بن سعدٍ المصريِّ ، وعثمانَ بن سليمان البَتِّيِّ البصريِّ ، وإسحاقَ بن راهويه الخُراسانيِّ ، وداودَ بنِ عليٍّ الأصبهانيِّ ، وغيرِهم من علماءِ الإسلام[1] ، الذين اختلفوا في الفتاوىٰ والأحكامِ ، **لا في أصولِ الدين** ،

---

(١) علَّق العلامة الكوثري رحمه الله تعالىٰ: (كسفيانَ الثوريِّ ، وأبي عُبيد ، وأبي ثورٍ ، وابن جريرٍ ، وغيرهم) .
أما الليثُ: فهو أصفهانيُّ الأصل ، فارسيُّ النسب ، مصريُّ الدار والوفاة ، كان غنياً كبيراً ، يواسي أهلَ العلم والزهَّاد ، ولم تجبْ عليه زكاةٌ مع كثرةِ دخْلِهِ ، وكان إذا خرجَ إلى =

= الحجَّ . . خرج بثلاثِ سفنٍ ؛ سفينة لنفسه وعائلته ، وثانية لضيوفه ، وثالثة لخَدَمِهِ وطبَّاخيه وأزواده

تفقَّهَ على ربيعة ، وأبي حنيفة ، **وجمع بين الطريقتين الحجازية والعراقية في الفقه** ، وكان الشافعيُّ يقدِّمُهُ على مالك ، وللناس في إطرائِهِ كلماتٌ ، ولكن لم يقمْ أصحابُهُ بعلمِهِ حقَّ القيام ، **ولم يكن له مسائلُ انفردَ بها في الفقه ، ولعلَّ هذا مِنْ أسباب الاستغناء عن تدوين مذهبِهِ** ، وجزم القاضي زكريا الأنصاري في « شرح البخاري » أنه حنفيٌّ ، ونقل ابن خلكانَ في « وفياته » [٤/ ١٢٧] مثلَ ذلك عن مجموعة ، وذكر ابن أبي العوَّام قبلَهما أنَّه ممَّن أخذَ عن أبي حنيفة

والحقُّ : **أنَّه استقلَّ في الاجتهاد** ، وله رسالةٌ وجَّهَها إلى مالك ـ يجيبُ فيها عمَّا أوردَهُ مالكٌ في رسالةٍ كان بعثَها إليه ـ تدلُّ على غزارةِ علمِهِ ، وكبرِ محلِّهِ في الاجتهاد ، وقد ذكرنا كلتا الرسالتينِ القيِّمتينِ بنصيهما في كتابنا « **قطرات الغيث من حياة الإمام الليث** » لعظمِ فائدتِهما لمَنْ يُعنى بتاريخ الفقه الإسلامي وكيفيةِ تطوُّرِهِ .

وأما عثمانُ البَتِّيُّ : فهو فقيهُ البصرة في عهد أبي حنيفة ، وأقدمُ الأئمَّة وفاةً ، واختلفوا في اسم أبيه ؛ قيل مسلم بن جرموز ، وعليه الأكثرون ، وقيل سليمان كما هنا ، وقيل أسلم .

تفقَّهَ على الحسن البصريِّ وأصحابه ، **وهو كثيرُ الشذوذ في الفقه** ، وماتَ مذهبُهُ قبل أن يُولدَ بمناظرات زُفرَ معه في رحلتِهِ الأولى إلى البصرة ، ومواصلتِهِ النقض في رحلته الأخيرة ، وفيه كان يقول أبو حنيفة : لو رآني البتِّيُّ . . **لأخذَ بكثيرٍ من أقوالي**

وقد تصحَّفَ ـ أي : البتي في كلام أبي حنيفة ـ بـ « النبي » على مثل من يجعل « عن الله عزَّ وجلَّ » : « عن الله عن رجلٍ » ، فذكره في مثالبه

قال ابن حجر في « اللسان » [٣/ ٥٠١] رواية عن طريق أحمد بن عَبْدَةَ الضبِّيِّ « قدمَ زفر بن الهذيل البصرةَ ، وكان يأتي حلْقةَ عثمانَ البتِّي فيناظرُهُم ويَتَّبَعُ أصولهم ، ويسألُهم عن فروعهم ، فإذا رأى شيئاً خرجوا فيه عن الأصل . . تكلَّمَ فيه مع عثمانَ ؛ حتى يتبيَّنَ له خروجُهُ من الأصل ، ثم يقول : في هذا جوابٌ أحسنُ من هذا ، فإذا استحسنوه . . قال هذا قولُ أبي حنيفة ، فلم يلبثْ أنْ تحوَّلَتِ الحلْقة إليه ، وبقيَ عثمانُ البتيُّ وحده » انتهى .

وأما إسحاقُ فقد كان تفقَّهَ على مذهبِ أهل العراق بخُراسانَ ، واستخرجَ من كتبِ ابن المبارك ما يوافقُ رأيَ أبي حنيفة من الأحاديث ، فبلغَتْ نحواً من ثلاثِ مئة حديثٍ ، ولمَّا رحلَ إلى العراق . . ما كان يظنُّ أنَّ أحداً يجترئ أن يخالفَ أبا حنيفةَ ، كما حكى هو عن =

وليس انقراضُ أربابِ هٰذه المذاهب التي سمَّينا ، يصحِّحُ لهٰذا الجاهلِ هٰذه المقالةَ التي عنه حكينا ، ولسنا نسلِّمُ أنَّ أبا الحسن اخترعَ مذهباً خامساً ، وإنَّما أقامَ مِنْ مذاهبِ أهل السنة ما صارَ عند المبتدعة دارساً ، وأوضحَ مِنْ أقوال مَنْ تقدَّمَهُ مِنَ الأربعة وغيرِهم ما غدا ملتبِساً ، وجدَّدَ مِنْ معالم الشريعة ما أصبحَ بتكذيبِ مَنِ اعتدىٰ منطمساً

ولسنا ننتسبُ بمذهبِنا في التوحيد إليه ، علىٰ معنىً أنَّا نقلِّدُهُ فيه ونعتمدُ عليه ، ولـٰكنَّا نوافقُهُ علىٰ ما صارَ إليه مِنَ التوحيد ، لقيامِ الأدلَّة علىٰ صحَّتِهِ لا لمجرَّدِ التقليد ، وإنَّما ينتسبُ منَّا مَنِ انتسبَ إلىٰ مذهبِهِ ، ليتميَّزَ عن المبتدعةِ الذين لا يقولون به ؛ مِنْ أصنافِ المعتزلة ، والجهمية المعطلة ، والمجسِّمة الكرَّامية ، والمشبِّهة السالميَّة ، وغيرِهم مِنْ سائر طوائفِ المبتدعة ، وأصحابِ المقالات الفاسدة المخترعة ؛ لأنَّ الأشعريَّ هو الذي انتَدَبَ للردِّ عليهم حتىٰ قمعَهم ، وأظهرَ لمَنْ لم يعرفِ البدعَ بدعَهم[1]

= نفسه علىٰ ما في كتاب « الورع » رواية أبي بكر المروزي ، ولمَّا قدمَ البصرةَ . . جلس إلىٰ عبد الرحمـٰن بن المهدي ، فأماله إلى الرواية ، وحين قام سوقُ الرواية . . استقلَّ بمذهبٍ ، لـٰكن لم يعشْ .

وأما داودُ : فقد تفقَّهَ علىٰ أبي ثورٍ ، ثم نفى القياسَ ، قال ابن أبي حاتم : « ألَّفَ علىٰ ذلك كتباً في الفقه ، شذَّ فيها عن السلف ، وابتدع طريقة هجرَهُ أكثرُ أهل العلم عليها ، ورأيه أضعف الآراء ، وأبعدُها من طريق الفقه ، وأكثرها شذوذاً » انتهىٰ ، قال أبو حاتم : « لا يلتفت إلىٰ وساوسه وخطراته ») انتهىٰ .

(١) قال الإمام العلامة اللَّبْلي في « فهرسته » (ص ٧٥) بعد اقتباسه لهٰذا القطعة من كلام المصنف : (ولم يكن أول متكلِّم بلسان أهل السنة ، إنما جرىٰ علىٰ سَنَنِ غيره ، وعلىٰ نصرة مذهبٍ معروف ، فزاد المذهب حجةً وبياناً ، ولم يبتدعْ مقالةً اخترعها ، ولا مذهباً انفرد به ، ألا ترىٰ أن مذهب أهل المدينة يقالُ له : مالكيٌّ ، ومالكٌ رضي الله عنه إنما جرىٰ علىٰ سَنَنِ من كان قبله من العلماء ، وكان كثير الاتباع لهم ؟! إلا أنَّه زاد المذهب بياناً وبسطاً ، وحجةً وشرحاً ، وألَّفَ كتابه « الموطأ » ، وما أخذ عنه من الأسمعة والفتاوىٰ ، =

ولسنا نرى الأئمةَ الأربعةَ الذين عنيتُم في أصول الدين مختلفينَ ، بل نراهم في القولِ بتوحيدِ الله وتنزيهِهِ في ذاتِهِ وصفاتِهِ مؤتلفينَ ، وعلىٰ نفْيِ التشبيهِ عن القديمِ سبحانَهُ وتعالىٰ مجتمعينَ ، والأشعريُّ رحمَهُ اللهُ في الأصولِ علىٰ منهاجِهِم أجمعين ، فما علىٰ مَنِ انتسبَ إليه علىٰ هـٰذا الوجهِ جُناحٌ ، ولا يُرجىٰ لمَنْ تبرَّأَ مِنْ عقيدتِهِ الصحيحةِ فلاحٌ

فإن عددتم القولَ بالتنزيهِ وترْكِ التشبيهِ تَمَشعُراً . . فالموحِّدون بأسرِهم أشعريَّةٌ[1] ، ولا يضرُّ عصابةً انتمَتْ إلىٰ موحِّدٍ مجرَّدُ التشنيعِ عليها بما هي منه

= فنُسبَ المذهبُ إليه ؛ لكثرة بسطه وله وكلامه فيه ؛ فكذلك الإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه ، لا فرقَ ، وليس في المذهب أكبرُ من بسطِهِ وشرحه وتواليفه في نصرته ، ومن وقف علىٰ تصانيفه علىٰ ما سنذكرها إن شاء الله تعالىٰ . . علمَ أنَّ الله تعالىٰ قد مدَّهُ بموادِّ توفيقه ، وأقامَهُ لنصرة الحقِّ والذبِّ عن طريقه) .

(١) وليست هـٰذه العبارة تحجيراً من المصنف لدائرة التوحيد وتضييقاً لها ، بل هي تبكيتةٌ للمخالف ، وشدَّةٌ يقتضيها المقام ، فأراد مِنْ ورائها أهلَ التحقيق منهم ؛ يعني : الموحِّدين على الحقيقة ، فما كلُّ اعتقادٍ ينافي التوحيد يعدُّ كفراً ؛ إذ الكفر لا يقرَّرُ إلا بخطاب شرعي ، بل قد يضطرُّ المرشدُ أن يعلِّمَ المسترشدَ الذي غلبَ علىٰ عقله التشبيهُ والتجسيم فلا يُرجىٰ شفاؤه منهما ، ويقرِّرَ له من هـٰذا الاعتقاد الفاسد ما لا يخرجُهُ عن دائرة الإيمان ، حتىٰ قال حجَّة الإسلام إمامُنا الغزالي رضي الله عنه في خاتمة « ميزان العمل » وهو يتحدَّث عن حقيقة المذهب : (المذهب الثاني ما ينطبقُ في الإرشاد والتعليم علىٰ مَنْ جاءه ـ يعني : المرشدَ ـ مستفيداً مسترشداً ، وهـٰذا لا يتعيَّن علىٰ وجهٍ واحد ، بل يختلفُ بحسبِ المسترشد ، فيناظرُ كلَّ مسترشدٍ بما يحتملُهُ فهمُهُ ، فإن وقعَ له مسترشدٌ تركيٌّ أو هنديٌّ أو رجلٌ بليد جلفُ الطبع ، وعلمَ أنَّه لو ذكرَ له أنَّ الله تعالىٰ ليسَ ذاتُهُ في مكان ، وأنَّه ليس داخلَ العالمِ ولا خارجه ، ولا متَّصلاً بالعالم ولا منفصلاً عنه ؛ لم يلبثْ أن ينكرَ وجودَ الله تعالىٰ ويكذِّبَ به . . فينبغي أن يقرِّرَ عنده أنَّ الله تعالىٰ على العرش ، وأنَّه يرضيه عبادةُ خلْقِهِ ، ويفرحُ بها ، فيثيبُهم ويدخلُهم الجنَّة عوضاً وجزاء ، وإن احتمل أن يُذكر له ما هو الحقُّ المبين . . يكشف له) ، وما ذكره الحجة الغزالي هو من ذاك الذي ذكره الإمام المصنف ، ومع هـٰذا رأىٰ أن بعض الشرِّ أهونُ من بعض ، وهو الحقُّ ومختارُ محققي الأشاعرة .

بريَّةٌ ، وهـٰذا كقولِ إمامِنا الشافعيِّ المطلبيِّ ، ابنِ عمِّ المصطفى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فيما

٣٨٣ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم هبةُ الله بن عبد الله بن أحمدَ الواسطيُّ ببغداد ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن عليِّ بن ثابتٍ الخطيبُ ، أخبرنا أبو سعد إسماعيلُ بن علي بن الحسن بن بندار بن المثنى الإستراباذيُّ ببيتِ المقدس ، أخبرنا عليُّ بن الحسن بن حيويه الدَّامَغانيُّ ، حدثنا زبيرُ بن عبد الواحد ، أخبرنا محمدُ بن محمد بن الأشعث ، حدثنا الربيعُ هو ابنُ سليمانَ قال أنشدَنا الشافعيُّ رحمَهُ اللهُ : [من الكامل]

يَا رَاكِباً قِفْ بِٱلْمُحَصَّبِ مِنْ مِنىً ... وَٱهْتِفْ بِقَاطِنِ خَيْفِهَا وَٱلنَّاهِضِ
سَحَراً إِذَا فَاضَ ٱلْحَجِيجُ إِلَىٰ مِنىً ... فَيْضاً كَمُلْتَطِمِ ٱلْفُرَاتِ ٱلْفَائِضِ
إِنْ كَانَ رِفْضاً حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ ... فَلْيَشْهَدِ ٱلثَّقَلاَنِ أَنِّي رَافِضِي[1]

٣٨٤ـ وأُنشِدتُ لبعضِهم في المعنى المتقدِّمِ : [من الكامل]

إِنَّ ٱعْتِقَادَ ٱلأَشْعَرِيِّ مُسَدَّدٌ ... لاَ يَمْتَرِي فِي ٱلْحَقِّ إِلاَّ مُمْتَرِي
وَبِهِ يَقُولُ ٱلْعَالِمُونَ بِأَسْرِهِمْ ... مِنْ بَيْنِ ذِي قَلَمٍ وَصَاحِبِ مِنْبَرِ
وَٱلْمُدَّعُونَ عَلَيْهِ غَيْرَ مَقَالِهِ ... مَا فِيهِمُ إِلاَّ جَهُولٌ مُفْتَرِي
فَذَرِ ٱلتَّعَامِيَ وَٱعْتَصِمْ بِمَقَالِهِ ... وَٱعْلَمْ يَقِيناً أَنَّهُ ٱلْقَوْلُ ٱلسَّرِي
وَٱرْفُضْ مَلاَمَةَ مَنْ نَهَاكَ بِجَهْلِهِ ... عَمَّا يَرَاهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَشْعُرِ

---

(١) ورواها البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ٧١) وفيه (بقاعد) بدل (بقاطن) ، والمصنف في « تاريخ دمشق » (٩/ ٢٠) ، والرِّفض ـ بكسر الراء ـ : معتقدُ الرافضة ، قال الحافظ البيهقي بعد روايته لهـٰذه الأبيات : (وإنما قال هـٰذه الأبيات حين نسبته الخوارجُ إلى الرفض حسداً وبغياً) ، وفي بيتِ الإمام الشافعي والأبيات الآتية تنبيهٌ علىٰ أن العبرة إنما تكون بمعرفة حقائق الأشياء وما هي عليه ، لا بأسمائها وأعلامها

وَإِذَا لَحَاكَ ٱلْعَاذِلُونَ فَقُلْ لَهُمْ قَوْلَ ٱمْرِىءٍ فِي دِينِهِ مُسْتَبْصِرِ
إِنْ كَانَ مَنْ يَنْفِي ٱلنَّقَائِصَ كُلَّهَا عَنْ رَبِّهِ تَرْمُونَهُ بِتَمَشْعُرِ
وَتَرَوْنَهُ ذَا بِدْعَةٍ فِي عَقْلِهِ فَلْيَشْهَدِ ٱلثَّقَلاَنِ أَنِّي أَشْعَرِي

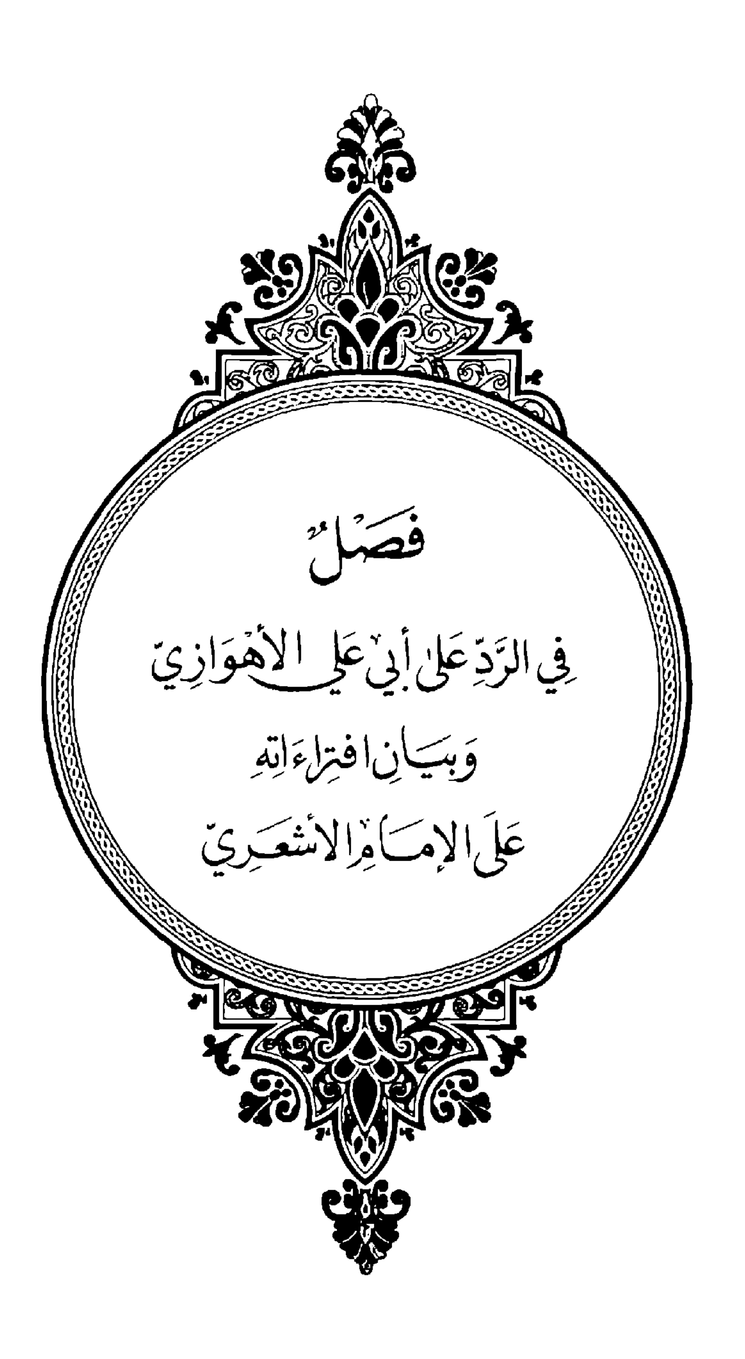
٣٨٥ـ قرأتُ بخطِّ الشيخ أبي الحسن عليِّ بن سليمانَ القُرطبيِّ ، سمعتُ بعضَ الثقات مِنْ أهل بلادِنا يحكي عن القاضي الإمامِ العالم الربانيِّ محمدِ بنِ يحيى بنِ الفرَّاءِ قاضي المَرِيَّةِ ببلاد الأندلسِ تغمَّدَهُ اللهُ برضوانه قال سمعتُ الشيخَ الإمامَ الزاهدَ أبا عمرَ بنَ يُمْنالِشَ[١] يقول وقال له بعضُ مَنْ حضرَهُ : إنَّ الناسَ يقولون : إنَّكَ أشعريٌّ ؛ قال : **يا لها مِنْ نعمةٍ لو صَحَّتْ** ![٢]

* * *

---

(١) كذا ضبطت في (ب) ، وفي (هـ) بضم اللام ، وهو أحمد بن مروان بن قيصر الأموي الزاهد ، وانظر « الصلة » لابن بشكوال (ص ٧٤) .

(٢) قوله : (لو صحَّت) لا لأجل التشكيك في أشعريته ، بل لتعظيم شأن الانتساب إليها والإحاطة بكمالاتها .



فَصْلٌ

فِي الرَّدِّ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الأَهْوَازِيِّ وَبَيَانِ افْتِرَاءَاتِهِ عَلَى الإِمَامِ الأَشْعَرِيِّ

فصلٌ : في الردِّ على أبي عليٍّ الأهوازي وبيان افترائه على الإمام الأشعري

فأمَّا ما ذكرَهُ ذو المعايبِ والمخازي ، أبو عليٍّ الحسنُ بن عليٍّ بن إبراهيمَ الأهوازي[١]

فممَّا لا يعرِّجُ عليه لبيبٌ ، ولا يُرعِيهِ سمعَهُ مصيبٌ ؛ لأنَّه رجلٌ قد تبيَّنَتْ عداوتُهُ لأهل الحقِّ وشنآنُهُ ، ويكفيكَ مِن كتابه ترجمتُهُ وعنوانُهُ[٢] ، ولو كانَ مِنْ ذوي الديانات . . لم يتفرغْ لذكر المثالب ، ولو أنَّه مِنْ أولي المروءاتِ . . لاستحيا مِنْ تتبُّعِ المعايب ، ولولا أنَّه وجدَها كثيرةً في نفسِهِ . . لما اختلقَها لمَنْ ليس هو مِنْ أبناءِ جنسِهِ ، وقد

٣٨٦ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم هبةُ الله بن محمد بن عبد الواحد ابن الحُصين الشَّيبانيُّ ببغداد ، أخبرنا القاضي أبو القاسم عليُّ بن المحسن بن عليٍّ التَّنُوخيُّ ، حدثنا أبو الحسن عليُّ بن محمد بن السريِّ مِنْ لفظِهِ ، أخبرنا أبو بكر بن دُريدٍ[٣] ، أخبرنا أبو حاتمٍ ـ يعني السِّجِسْتانيَّ ـ ، عن العُتبيِّ قال سمعتُ أعرابياً مِنْ تنوخَ يقول لآخرَ وسمعَهُ يعيبُ قوماً قد استدللتُ

---

(١) انظر رسالته « مثالب ابن أبي بشر » بتمامها (ص ٧٤٧) ، وبعدها سيشار لهـٰذه الرسالة بـ « المثالب »

(٢) إذ عنون كتابه في ردِّهِ على الإمام الأشعري ـ كما رأيت ـ بـ « مثالب ابن أبي بشر » ، وسبق للمصنف كلامٌ في ردِّ طعنه في نسب الإمام الأشعري (ص ١٢٩)

(٣) انظر « المجتنىٰ » لابن دريد (ص ٥٧) .

علىٰ كثرةِ عيوبِكَ بكثرةِ ذكركَ الناسَ ؛ فإنَّ الطالبَ لها يَطلُبُها بقدْرِ ما فيه منها ، ثم أنشده [من الوافر]

وَأَجْـرَأُ مَـنْ رَأَيْـتُ بِظَهْـرِ غَيْـبٍ   عَلَىٰ ذِكْرِ ٱلْعُيُوبِ ذَوُو ٱلْعُيُوبِ

وروىٰ غيرُهُ :

عَلَىٰ عَيْبِ ٱلرِّجَالِ ذَوُو ٱلْعُيُوبِ[1]

ـ فأمَّا قولُهُ (قد رأيتُ الأمرَ في الدين مُنعكساً بضدِّهِ ، والتفريطَ فيه خارجاً عن حدِّهِ ، وصارَتِ الرؤوسُ أعجازاً ، والإكثارُ مِنَ الأباطيل إيجازاً ، وكثُرَ السفهاءُ ، وقلَّ العلماءُ)[2]

فإنَّه قد أصابَ في اللفظ وإن كان أخطأَ في القصدِ ، وجهلَ قدْرَ نفسِهِ حين غَمَصَ العلماءَ حتىٰ خرجَ في ذلك عن الحدِّ[3] ، ولولا أنَّ الأمرَ صارَ منعكساً ، والحقَّ عند الجُهَّالِ عادَ مُندرساً . لَمَا كان أعجميٌّ مِنْ أهل الأهوازِ ، لا يفرِّقُ بين الحقيقةِ والمجاز ، ولا يعرفُ ما معنى الإيجاز . . يُنزلُ الرؤوسَ بمنزلةِ الأعجاز ، ويحملُ الجهَّالَ والسفهاءَ ، علىٰ أن يذمُّوا العلماءَ والفقهاءَ ، ولولا تفريطُهُ في طلبِ العلم والحكمةِ . . لتركَ إفراطَهُ في ذمِّ العلماءِ والأئمَّة ، ولَمَا جهَّلَ مَنِ اشتَهرَ بالعلم بين الخلق ، وضلَّلَ مَنْ عُرفَ بنصرةِ الحقِّ ، ولولا كثرةُ

---

(١) انظر « البيان والتبيين » (١/ ٦٩) وقد رواه الجاحظ عن ابن الأعرابي ، و« عيون الأخبار » (٢/ ١٤) ، وقوله : (وروىٰ غيره علىٰ عيب الرجال ذوو العيوب) سقط من (أ ، ب ، و) وأثبت من (هـ ، ط) .
وجاء في هامش (هـ) حاشية : ولبعض الشعراء [من الكامل]

يَـا مَـنْ يَعِيـبُ وَعَيْبُـهُ مُتَشَعِّـبٌ   كَمْ فِيكَ مِنْ عَيْبٍ وَأَنْتَ تَعِيبُ
شَرُّ ٱلرِّجَالِ يُرِيدُ عَيْبَ خِيَارِهِمْ   وَكَـذَاكَ كُـلُّ مُلَطَّـخٍ بِعُيُـوبِ

(٢) وهي طالعة رسالته « المثالب » ، وانظرها (ص ٧٤٩)
(٣) غمصَ الرجلُ الرجلَ : إذا عابَهُ وتهاون بحقِّه ، أو احتقرَهُ واستصغره

أعوانِهِ السفهاء كما زَعَمَ . . لكفَّ عن غُلَوائِهِ في قولِهِ وإنْ رَغَمَ[1] ، ولم يُسمعْ قولُ خُوزيٍّ غبيٍّ ، في حقِّ عالمٍ أحوزيٍّ عربيٍّ[2] ، ولولا قلَّةُ العلماءِ في عصره كما ذَكرَ . . لما أُهمِلَ كشفُ أمرِهِ حتى انتشرَ ، وإلا فالفرقُ بينَهُ وبين شيخِنا أبي الحسن مِنَ الحال الواضحِ ، والأمرِ البيِّنِ[3]

وفضلُ أبي الحسن رحمة الله عليه عند أولي النُّهىٰ . . كفضل القمر ليلةَ البدرِ على السُّها ، ومتىٰ كان خُوزُ الأهوازِ يعيبونَ عربَ البصرة ؟![4] ، وكيف يَتَّهِمُ أولادُ المجوسِ بالإلحاد والزندقةِ أبناءَ ذوي الهجرة ؟![5] ، ولا شكَّ أنَّ الأهوازَ من جملةِ البلدان التي افتتحها أبو موسى الأشعريُّ جدُّ هـٰذا الإمامِ ، وكذلك أصبَهانُ وغيرُها ممَّا افتُتِحَ علىٰ يديه رحمَهُ اللهُ مِنَ الفتوحِ العظام .

---

(١) الغلواء ـ بضم الغين وفتح اللام ـ : الغلوُّ وتجاوز الحدِّ ، ورغم ـ كمنَعَ وعلِمَ ـ : كَرِهَ ، يقال : رغمت السائمة المرعىٰ ؛ إذا أنفته وكرهته .

(٢) الخُوزيُّ المنسوب إلىٰ بلاد خوزستان ؛ وهي بين الأهواز وفارس ، وهي كلمة تفهم في سياقها ؛ بنحو العجمة في الفهم والإفهام ، وسيأتي التمثيل لهـٰذا ، ولا يراد منها ذمُّ كلِّ منتسب لهـٰذه البقعة ، كما أن ذكر العروبة هنا لبيان الفصاحة والبيان ، ومع هـٰذا انظر التعليق الآتي المنقول عن هامش (هـ) ، والأحوزيُّ : هو الأحوذيُّ بالذال المعجمة ؛ وهو الجادُّ في أمره ، الحسن التدبير لأموره ، والخفيف السابق ، ومنه قول سيدتنا عائشة في حقِّ الفاروق عمر رضي الله عنهما : كان والله أحوزيّاً نسيجَ وحدِهِ ، وانظر « تاج العروس » (ح وز)

(٣) ولك أن تقول : لولا معارضة الأهوازي للشيخ الأشعري ، واجتراؤه في الافتراء عليه . . فلعلَّ التاريخ نسيَ اسمه ، وطوَتْ كتبُ الترجمات صحائفَها عن ذكره ، وأين هـٰذا ممن ملأ اسمه السهل والجبل ، وتزيَّنت به الطروس ، وصارت النسبة إليه علماً علىٰ أهل السنة بين العموم والخصوص ؟!

(٤) قال العلامة ياقوت في « معجم البلدان » (٢/ ٤٠٤) : (خُوزُ بلاد خوزستان ؛ يقال لها : الخوز ، وأهل تلك البلاد يقال لهم : الخوز ، وقال التُّوزي : الأهواز تسمىٰ بالفارسية : هرمشير ، وإنَّما كان اسمها الأخواز ، فعرَّبها الناس فقالوا : الأهواز) .

(٥) في (ب) : (والإلحاد) بدل (بالإلحاد)

واختُلفَ في كيفية استيلاء أبي موسىٰ على الأهواز فتحاً[١] ؛ فقيل افتتحَها بالسيفِ عَنْوَةً ، وقيل بل افتتحَها صُلْحاً ، والأصحُّ قولُ من قال : إنَّها افتُتِحَتْ علىٰ وجه العَنوةِ[٢] ؛ وذلك السببُ عندي هو الموجِبُ لهٰذه الجفوة ، والمورِثُ للغِلْظةِ علىٰ ولدِهِ والقسوة ، والمؤثِّرُ في شدَّةِ النفور عن معتقدِهِ والنَّبْوَةِ ؛ لأنَّه أدخلَ علىٰ أسلافِ الأهوازيِّ مِنَ المجوس بليَّةً ومحنةً ، أورثَتْ قلبَهُ لنسلِهِ عداوةً وإحنةً ، فلهٰذا استفرغَ جُهْدَهُ في الإزراءِ علىٰ أبي الحسن والتشنيع ، ورماهُ بكلِّ ما أمكنَهُ ذكرُهُ مِنَ الأمرِ الشنيع ؛ لأنَّ البغضَ يُتوارثُ والودَّ[٣] ، فلذلك تجاوزَ في عداوتِهِ الحدَّ ؛ لأنَّه لمَّا لم يتجاسرْ علىٰ أن يطعنَ في أبي موسىٰ ويعيبَ أمرَهُ . . شفىٰ بما ذكرَهُ في ولده أبي الحسن رحمه الله صدرَهُ .

ـ وأمَّا قولُهُ : (واندرسَ الكاشفون للشُّبَهِ)[٤]

فلولا قلَّتُهم . . لم يعتقدْ ما كان عليه مِنَ الاعتقادِ المشتبه .

ـ وأمَّا قولُهُ : (وعزَّ الطالبون للسنَّة ، إلا مَنْ أدركَهُ اللهُ بالعصمة ، وخصَّهُ بالتوفيقِ ، وقليلٌ ما هم)[٥]

---

(١) وجاء في هامش (هـ) حاشية : (قال صاحب « المطالع » : الأَهوازُ بفتح الهمزة : من بلاد فارس ، وكان صاحبها الهرمزان ، إلىٰ أن افتتحها في الإسلام حرقوصُ بن زُهير لتأمير عتبة بن غزوان ؛ إذ كان والياً لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما بالبصرة ، وأهلُ الأهواز يعرفون بالحمْقِ ، من أقام بها سنة . . نقص عقله ، وقد سكنها قومٌ من الأشراف ، فانقلبوا إلىٰ طباعِ أهلها ، والحُمَّىٰ لساكنيها ملازمة ، ووجوهُهم مصفرةٌ) وانظر « مطالع الأنوار » لابن قرقول (١/ ٣٧٢) .

(٢) وكان ذلك في السنة السادسة عشرة ، وانظر « تاريخ خليفة بن خياط » (ص ١٣٤ـ ١٣٥) ، و« فتوح البلدان » للبلاذري (ص ٣٦٦) .

(٣) في (هـ ، ط) : (والود يتوارث)

(٤) انظر (ص ٧٤٩)

(٥) انظر (ص ٧٤٩)

فكيف يستقيمُ له هـٰذا القول وهو يزعمُ : أن الجمَّ الغفيرَ علىٰ مثل مذهبِهِ واليسيرَ مَنْ عداهم ؟!

ـ وأمَّا قولُهُ : (إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يُخلي الأرضَ مِنْ قائلٍ عليمٍ ، وعالمٍ حكيمٍ ؛ يقولُ الحقَّ ، ويدفعُ الباطلَ ، ولا يدعُ لذي بدعةٍ قولاً يعلو ، ولا أمراً يسمو)[1] :

فقد صدقَ ، ولـٰكن ليس هو ممَّن وصفهُ بهـٰذه الصفة ؛ إذ لم يُتحقَّقْ كونُهُ من أهل العلم ولا من ذوي المعرفة ، ولـٰكنْ هم العلماءُ الذين بالغَ في ذمِّهم ، وأغرقَ لفرطِ جهلِهِ وسوءِ عقْدِهِ في شتمِهم

ـ وأمَّا قولُهُ : (لا معروفَ أفضلُ مِنَ السُّنَّة ، ولا منكرَ أشدُّ مِنَ البدعة)[2]

فانظروا بعينِ التحقيق إلىٰ مقالةِ هـٰذا القَرْعَةِ لتعلموا أهو أشدُّ تسنُّناً ، وأقوىٰ في العلم تمكُّناً ، أم مَنِ اشتَهرَتْ ردودُهُ علىٰ جميع المبتدعةِ[3] ؛ مِنْ أصناف الخوارجِ وطوائف المتشيعةِ ، وانتشرَتْ تصانيفُهُ في الإبطالِ لمذاهب المعتزلةِ القدريةِ ، والإنكارِ علىٰ من يقول بأقوال المفوِّضةِ الجبريةِ ، والاصطلامِ لحُجَجِ المعطلةِ الجهميَّةِ ، والمَحْقِ لتعلُّقاتِ المشبِّهة الجسميةِ ؛ من الكرَّامية والسالميَّة ، بالحُجج السمعيَّةِ ، والبراهين العقليَّة ؟!

فإنِ اعتقدَ أنَّ الردَّ علىٰ أصحاب البدع بدعةٌ . . فقد تحقَّقَ كلُّ ذي لُبٍّ تسميتي إيَّاه قَرْعَةً ، وإنِ اعتقدَ أنَّ البدعةَ اعتقادُ التنزيه والتوحيدِ ، والسنَّةَ القولُ بالتشبيه والميل إلى التقليد . . فبئسَ ما اعتقدَ ، وويلٌ له ممَّا تقلَّدَ ، وإن كان

---

(١) في (ب) : (يدفع) بدل (يدع) ، وانظر (ص ٧٥٠) .

(٢) انظر (ص ٧٥٠) .

(٣) في (ب) : (اشتهر) بدل (اشتهرت) .

يُبدِّعُ الأشعريَّ رحمه الله في بعض المسائل الأقلَّة[1] . . فليذكرْ ما ابتدعَ فيه حتىٰ نسمعَ ما عندَهُ عليه مِنَ الأدلَّة

ـ وأمّا قولُهُ : (وقد تفضَّلَ اللهُ وأظهرَ لكلِّ طائفةٍ مِنَ المبتدعة ما نفَّرَ عنهم قلوبَ العامَّةِ)[2]

فأنْعِموا النظرَ في مقالِهِ؛ لتعلموا أنَّ كلامَهُ كلامُ مَنْ لا يخافُ هولَ يومِ الطَّامَّةِ .

فيا ليتَ شعري ! ماذا الذي تنفرُ منه القلوبُ عنهم ، أم ماذا ينقمُ أربابُ البدع منهم ؟ أغزارةُ العلم ، أم رجاحةُ الفهم ، أم اعتقادُ التوحيدِ والتنزيه ، أم اجتنابُ القولِ بالتجسيم والتشبيه ، أم القولُ بإثباتِ الصفات ، أم تقديسُ الربِّ عن الأعضاء والأدوات ، أم تثبيتُ المشيئة للهِ والقدَرِ ، أم وصفُهُ عزَّ وجلَّ بالسمعِ والبصر ، أم القولُ بقدَمِ العلمِ والكلام ، أم تنزيهُهمُ القديمَ عن صفاتِ الأجسامِ ؟!

ـ وأمّا قولُهُ : (وبَعَّدَهم عن التعليمِ الثلاثِ الذي هو أصلُ الشريعة وقوامُ المِلَّةِ)[3]

فانظروا ـ رحمكم الله ـ هـٰذه العبارةَ الركيكة ، والألفاظَ المختلَّة ؛ لتعلموا أنَّ هـٰذا الكلامَ لا يصدرُ إلا عن جهْلٍ شديدٍ ، وفهْمٍ عن إدراك الصواب بعيدٍ ، وفَرْطِ لُكْنَةٍ وعِيٍّ ، وبكذبٍ مشوبٍ بغَيٍّ

فلو كان قال : (وبَعَّدَهم عن تعلُّمِ ثلاثٍ هُنَّ أصلُ الشريعة) ، أو (عن العلومِ الثلاثةِ اللواتي هنَّ أصلُ الشريعة) . . لكان قد تخلَّصَ من هـٰذه العبارةِ الرديَّةِ والألفاظِ الشنيعةِ

(١) في (ط) : (إلا قلَّة) ، والأقلة : جمع قُلٍّ ؛ وهو الضعيف والخسيس .

(٢) انظر (ص ٧٥٠) .

(٣) انظر (ص ٧٥٠) ، وفيه : (ويبعِّدهم) كذا شُكلت في مخطوط « المثالب »

ـ وأمَّا دعواه أنَّ أبا الحسن الأشعريَّ كان بهٰذه الصفةِ ، وأنَّه لم يكن من أهل العلمِ والمعرفةِ ، وكذلك جميعُ نظرائه من المتكلِّمينَ

فقولُ مثلِهِ مِنَ الأوقاحِ الكذَّابينَ ، الذين لا يستحيون ممَّا فعلوا ، ولا يبالون ما قالوا ولا ما تقوَّلوا ، وليس مثالُهُ في دعواه هٰذه التي وَهَتْ واعتلَّتْ ، إلا كما قيل في المثل : (رمتني بدائِها وانسلَّتْ)[1] ؛ فإنَّه هو الذي هٰذه صفتُهُ ، ومَنْ تأمَّلَ حالَهُ . . تبيَّنَتْ له معرفتُهُ ، ومَن وقفَ علىٰ خَطِّهِ . . عرفَ قلَّةَ تحصيلِهِ وضبطِهِ ، فقَلَّ تصنيفٌ له صنَّفَهُ في الحديث وأتقنَهُ ، إلا وَجَدَ الخطأَ فيه مَنْ تأمَّلَهُ وتبيَّنَهُ ، فلا يخلو كتابٌ له مِنْ خطأٍ ووهمٍ ، وتحريفٍ في متنٍ أو تصحيفٍ في اسمٍ !

فأمَّا علمُ الفقه . . فكان عَرِيّاً منه ، بعيداً مِنْ كلِّ وجهٍ عنه ، خالياً عن علم العربيةِ ، جاهلاً بالعلوم الأدبيَّةِ

٣٨٧ـ سمعتُ الشيخَ الفقيهَ أبا الحسن عليَّ بن أحمدَ بن قُبيسٍ ، يحكي عن أبيه : أنَّه سمعَهُ يعترفُ بأنَّه لا يعرفُ النحوَ ، وكلُّ ما صنَّفَهُ في الحديث يستحقُّ عند أهل المعرفة به المحْوَ ، وإنَّما كان قد سمعَ قطعةً كبيرةً من الحديث ، فكان يجمعُ منه ما يكون ظاهرُهُ مقوِّياً لعَقْدِهِ الخبيث[2] ، وكان فيما يجمعُهُ فيه بعيداً مِنَ التوفيق ، قليلَ التثقيفِ لما يوردُهُ منه والتحقيقِ ، غيرَ أنَّه كان عالماً بالقراءات ، مُكثراً فيها للروايات ، علىٰ أنَّه قد كُذِّبَ في بعض ما كان يدَّعيه ؛ حتىٰ رجعَ عن بعضِ ما كان يُقرِئ به ويرويه .

٣٨٨ـ أخبرَنا الشيخُ الأمينُ أبو محمد هبةُ الله بن أحمدَ الأكفانيُّ ، حدثنا أبو محمد عبدُ العزيز بن أحمدَ الكَتَّانيُّ قال اجتمعتُ بهبة الله بن الحسن بن

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (١/٢٨٦) .

(٢) سيأتي التمثيلُ لمروياته التي اعتقادُها محضُ كفر ؛ كحديث عرق الخيل الآتي وغيره .

منصورٍ الطبريِّ الحافظِ ـ يعني اللالكائيَّ ـ ببغداد ، فسألني عمَّنْ بدمشقَ مِنْ أهل العلم ، فذكرتُ له جماعةً ، منهم الحسن بن عليٍّ الأهوازيُّ المقرئ ، فقال : لو سلمَ مِنَ الروايات في القراءات[1]

فأمَّا المعرفةُ بعلم التأويل والتفسير : فما يرجعُ منها إلىٰ قليلٍ ولا كثيرٍ[2]

فأمَّا أبو الحسن رحمه الله فقد تقدَّمَ وصفُ العلماء له بالعلم ، وثناؤُهم عليه وشهادتُهم له بالمعرفة والفهم ، وذكْرُ عدد تصانيفه ، وتفصيلُ أسماء تواليفه ، ولو لم يصنِّفْ كتاباً غيرَ التفسير لكفاهُ[3]

فأغصَّ اللهُ الأهوازيَّ بِريقِهِ وفضَّ فاهُ ؛ فإنَّه كان في اعتقاده سالمياً[4] ،

---

(١) انظر « ذيل مولد العلماء » (ص ١٩٥) ، و« تاريخ دمشق » (١٣/ ١٤٧) .

(٢) في (ب) : (وأما) بدل (فأما)

(٣) يعني : « المختزن » ، وقد تقدم الحديث عن ذلك (ص ١١٩، ١٣٠، ٢٦٢، ٢٨٦، ٢٨٩) .

(٤) علَّق العلامة الكوثريُّ رحمه الله تعالىٰ : (السالميةُ : فرقةٌ من المشبهة ، يقولون : إنَّ اللهَ تعالىٰ يُرىٰ في صورة آدميٍّ ، وإنَّه تعالىٰ يقرأُ علىٰ لسان كلِّ قارئ ، وإنَّهم إذا سمعوا القرآنَ من قارئ . . يرون أنَّهم إنما يسمعونه من الله تعالىٰ ، ويعتقدون أنَّ الميْتَ يأكل في القبر ويشرب وينكحُ . . . إلىٰ غير ذلك ، وهـٰذه النِّحلةُ معروفةٌ بالبصرة وسوادِها بالسالمية ، نسبةً إلىٰ مقالة الحسن بن محمد بن أحمدَ بن سالمٍ السالميِّ البصريِّ ، وابنه أبي عبد الله المتصوِّف ، وإلىٰ هـٰذه النِّحلةِ الشنيعة ينتسب كثيرون من أهل الحديث والمتفقِّهة ، والأهوازيُّ هـٰذا من جملة هـٰؤلاءِ) انتهىٰ .

والعجبُ من العلامة ابن تيمية ؛ إذ أقرَّ بكون الأهوازي هـٰذا سالمياً ، ثم جعل السالمية من جملة أهل السنة ! فقد قال الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٣٠/ ١٢٦) : (سألت شيخنا ابن تيمية عن مذهب السالمية ، فقال : هم قومٌ من أهل السنة في الجملة ؛ من أصحاب أبي الحسن بن سالم ، أحد مشايخ البصرة وعبَّادها) ، ومعنىٰ هـٰذا : أن ما خالف فيه السالميةُ المشبهةُ أهلَ السنة هو عنده موضعُ اجتهاد ، لا يضرُّ الخلاف فيه ! وحاشا أن تكون هـٰذا العقائد الخبيثة منطويةً في عقائد أهل السنة ، ولـٰكن خبيثة عَقْدٍ في صدرٍ هي التي فاهت بهـٰذه التفاهة ، وهو إلىٰ هـٰذا يقول في حقِّ الأشعرية ـ كما في « مجموع الفتاوىٰ » (٦/ ٥٥) ـ : (هم في الجملة أقربُ المتكلِّمين إلىٰ مذهب أهل السنة والحديث) ! ثم =

مشبِّهاً مجسِّماً حشويّاً ، ومَنْ وقفَ علىٰ كتابه الذي سمَّاه كتابَ « التبيان في شرح عقود أهل الإيمان » الذي صنَّفهُ في أحاديث الصفات ، واطَّلعَ علىٰ ما فيه مِنَ الآفات ، ورأىٰ ما فيه مِنَ الأحاديثِ الموضوعة ، والرواياتِ المستنكرة المدفوعة ، والأخبارِ الواهية الضعيفة ، والمعاني المتنافيةِ السخيفة ؛ كحديث (ركوبِ الجَمَلِ) ، و(عَرَقِ الخَيْل)[1] قضىٰ عليه في اعتقادِهِ بالويل ،

= أفصح عن خبيئته إذ قال : (أما السالمية : فهم والحنبلية كالشيء الواحد ، إلا في مواضعَ مخصوصةٍ تجري مجرى اختلافِ الحنابلة فيما بينهم) ، وإنما قصد بالحنبلية من كان علىٰ مذهب التشبيه منهم ، وجلَّ الإمام أحمدُ وأعلام مذهبه عن مثل هـٰذا .

وبهـٰذا تصدق كلمة الإمام ابن المعلِّم المالكي المتوفَّىٰ سنة (٦٩٠ هـ) في ابن تيمية وهو يومها شابٌّ ؛ إذ قال في كتابه « نجم المهتدي ورجم المعتدي » : (ونهجتُ في ذلك سَنَنَ الحافظ ثقة الله ابن عساكر حيث خاطب أبا عليٍّ الأهوازي قدوتَكَ في فنِّكَ بكلامه الذي خاطبه به في كتابه المسمىٰ « تبيين كذب المفتري في رده علىٰ أبي الحسن الأشعري »)

وكن علىٰ دراية أن ما ردَّه أهلُ السنة على السالمية هو جملةُ العقائد الفاسدة التي ذكر المصنف بعضَها ، أما الموافقاتُ ـ وما أكثرها بين الفرق الإسلامية ـ فلا التفاتَ إليها عند التمايز ، وقد ترىٰ لفظ (السالمية) عَلَماً علىٰ طريقة صوفية ، من أعلامها أبو طالب المكي صاحب « القوت » ، وشيخُهُ أبو الحسن ابن سالم ، وشيخُهُ الإمام سهل بن عبد الله التُستَري ، فلا يلتبسنَّ عليك الأمر

(١) علَّق العلامة الكوثريُّ رحمه الله تعالىٰ : (يريدُ بهما ما أخرجه الأهوازيُّ في كتابه المذكور « إنَّ الله َتعالىٰ لمَّا أرادَ أن يخلقَ نفسَهُ . . خلقَ الخيلَ ، فأجراها حتىٰ عرقَتْ ، ثمَّ خَلَقَ نفسَهُ من ذلك العرقِ » ، و« رأيتُ ربي يومَ عرفة بعرفاتٍ علىٰ جملٍ أحمرَ عليه إزاران ، وهو يقول : قد سمحتُ ، قد غفرتُ ، إلا المظالم . . . » ، وهما ممَّا لا يرويه عاقلٌ ولا مسلمٌ ، وكم له فيه من الفاضحات !

قال الحاكمُ [انظر « اللآلئ المصنوعة » « ١ / ١١ »] : أنبأنا إسماعيلُ بن محمدٍ الشعرانيُّ ، أُخبرتُ عن محمدِ بن شجاعٍ الثلجيِّ ، أخبرني حِبَّانُ بن هلالٍ ، عن حمادِ بن سلمةَ ، عن أبي المهزمي ، عن أبي هريرة : « . . . خلقَ خيلاً ، فأجراها فعرقتْ ، فخلقَ نفسَهُ من ذلك العرقِ » انتهىٰ .

وهو موضوعٌ ، اتهم بعضُهم بوضعه ابنَ شجاع ، ولا محلَّ لاتهام مثلِهِ بقول إسماعيلَ أُخبرتُ عنه ، فمن ذا الذي أخبره عنه ؟ أسمعَ منه سماعاً ، أو أخبر هو كذلك ؟ وما مبلغ ثقةِ=

= هٰذا وذاك ؟ فليتقِ اللهَ الخصومُ أن ينسبوا هٰذه الفريةَ إلىٰ فقيهٍ مثله في علمه ودينه ، ووجاهته وخاتمته ، وإن هو كان شجىً في حلوق المشبهة ، وجذعاً في أعينهم ؛ بما أَلَّفَهُ في الردِّ عليهم ، وبإقامته النكيرَ عليهم ؛ لروايتِهم أمثالَ هٰذه السخافات ، ومعلومٌ عند النُّقاد ما يدخلُ في روايات حماد بن سلمة بعد اختلاطه من ربيبه الوضَّاع المشهور ، وأبو المهزم شيخُهُ متروكٌ عند أهل الجرح ، والأهوازيُّ من جملة رواته ، وأين صلةُ ابن شجاع بهٰذا الحديث بمثل هٰذا السند المنقطع ؟!

ومن غريب التعدِّي ما يقوله ابن عديٍّ [« الكامل في الضعفاء » « ٧/ ٥٥٠ »] : « إنه كان يضعُ هٰذه الأحاديث ويدسُّها في كتب أهل الحديث ليفضحهم فيروونها بسلامة باطن » انتهىٰ ؛ لأنَّ ابنَ شجاعٍ ما كان خادماً ولا ربيباً عند راوٍ من الرواة حتىٰ يتصوَّرَ أن يدُسَّ بين كتب أحدهم شيئاً ، فكأن هٰذا الجارح العاميَّ اللاحن لم يعرفْ مبلغَ علم ابن شجاعٍ وديانته ، ووقاره وتصوُّنه ووجاهته في عصره ، حتىٰ تكلَّمَ بكلامٍ ما يبطلُهُ معه .

فيا تُرىٰ هل يبقى الراوي مقبولَ الرواية بعد أن دُسَّ في كتبه شيءٌ وتلقَّنَ ذلك ورواه ؟! فإذا لم يبرهنِ الجارحُ علىٰ كتبِ مَنْ دسَّ ابنُ شجاع ؟ وماذا دسَّ ؟ وكيف دسَّ ؟ . . لا ينجيه مِنْ هٰذه الوقيعة إذا وقعتِ الواقعة كونُهُ يرويها عن عاميٍّ مثلِهِ ؛ كأسرابِ طيرٍ يطير بعضُها خلفَ بعض ، فلعنةُ الله على الكاذبين .

نعم ؛ ابنُ شجاعٍ له شذوذٌ في مسألة القرآن ، كابن المدينيِّ الذي يقول فيه البخاريُّ : ما استصغرتُ نفسي عند أحدٍ استصغاري لها عند ابن المديني ، وكابن عليَّةَ الذي يقول فيه أحمدُ : فاتني حمادُ بن زيدٍ ، فأخلفَ اللهُ عليَّ ابنَ عليَّةَ . وليس هو بمنفردٍ في هٰذا الشذوذ ، وللنظر متسعٌ في المسألة بالمعنى الذي أرادوه ، ومن راجع كتاب « الرد على الجهمية » لعثمان الدارمي . . يتبيَّنُ له ماذا كان ينقمون منه ؛ ممَّا يعدُّ المخطئ في غالبه أبناء أخوات خالاتهم ، سامحهم الله تعالىٰ وإيَّانا بمنِّهِ وكرمه

قال الذهبي في « سير النبلاء » [١٢/ ٣٧٩] عند ترجمة ابن شجاع : « أحدُ الأعلام ، سمعَ من ابن عليَّةَ ، ووكيعٍ ، وأبي أسامةَ ، وطبقتهم ، وأخذَ الحروفَ عن يحيى بن آدم ، والفقهَ عن الحسن بن زياد ، وكان من بحور العلم ، وكان صاحبَ تعبدٍ وتهجدٍ وتلاوةٍ ، وله كتاب « المناسك » في نيفٍ وستينَ جزءاً ، وكتاب « تصحيح الآثار » ، وغير ذلك ، وعاشَ « ٨٥ » سنة ، ومات سنة « ٢٦٦ هـ ») انتهىٰ

ومراد العلامة الكوثري : أن مثل ابن شجاع يبعد أن يكون واضعاً لهٰذا الخبر استهزاءً بالمشبِّهة وهو من أعلام فقهاء الطبقة الثانية من الحنفية، إضافة لورعه وحسن عبادته وسلامة =

وبعضُ هـٰذا الكتاب موجودٌ بدمشقَ بخطِّ يدِهِ ، فمَنْ أرادَ الوقوفَ عليه . . فليقفْ ليتحقَّقَ سوءَ معتقدِهِ ، وما كان منطوياً عليه مِنْ سوء الاعتقاد . . هو الذي حملَهُ علىٰ ما ذكرَهُ في الأشعريِّ للعناد ، فمَنْ تأمَّلَ ما ذكرَهُ بعينِ الانتقاد . . تبيَّنَ له وجْهُ الكذبِ فيه والفساد .

وأنا بمشيئةِ الله وحسن معونتِهِ أنقضُ ما ذكرَهُ ، وأوضِّحُ كذبَهُ فيه لِمَن تأمَّلَهُ بعين الإنصاف وتدبَّرَهُ .

[نفعُ أنسابِ الصالحينَ في بعضِ الأحايينِ]

ـ **فأمَّا قولُهُ** : (إنَّ انتماءَ أبي الحسن إلىٰ أبي موسى الأشعريِّ ليس بنافعِهِ في دينه ؛ لأنَّ الأنبياءَ والصدِّيقينَ وَلَدوا الكفَّارَ والمنافقينَ)[1]

فلعمري ؛ إنَّ مجردَ الانتسابِ ، لا ينفعُ إذا عَرِيَ المنتسبُ عن فعلِ الخير والاكتساب ، وهـٰذا ممَّا لا يدفعُ ، إلا أنَّ الأصلَ إذا طابَ وسما . . زكا الفرعُ المنسوبُ إليه ونما ، لا سيَّما إذا كان الفرعُ طيِّباً في نفسِهِ ، مميَّزاً بالصفات الحميدة عن أبناء جنسِهِ ، مشهوداً له بالزَّكاء في نَبْتِهِ وغَرْسِهِ ، مشهوراً بحسن فهمِهِ وصحَّة حِسِّهِ ، وقد سبقَ ذكر ما عُرفَ مِنْ علم أبي الحسن ودينِهِ ، وسلفَ وصفُهُ بقوَّة إيمانه وشدَّة يقينه[2]

وقد صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قولُهُ : « **ٱلنَّاسُ مَعَادِنُ ؛ خِيَارُهُمْ**

= اعتقاده ، ومسألة خلق القرآن نقل الحافظ الذهبي في « سيره » (١٢/ ٣٨٠) أنه كان من الواقفة فيها ، والله أعلم .

(١) وعبارته في « المثالب » : (ولم تزل المبتدعة هـٰذه صفتُهم ، إلىٰ أن نشأ علي بن أبي بشر المنتمي إلىٰ أبي موسى الأشعري ، وليس ما يدعيه في نسبه بنافعه في دينه ؛ لأن الأنبياء والصديقين رضوان الله عليهم أجمعين ولدوا الكفار وعبدة الأوثان) وانظر (ص ٧٥٠)

(٢) انظر (ص ٢٧٥ ، ٢٩٤ ، ٣٠٤)

فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي ٱلإِسْلاَمِ ؛ إِذَا فَقِهُوا »[1] ، وليس ينكرُ فضل أبي الحسن رحمه الله إلا الذين تعامَوا عن الحقِّ وسَفِهُوا ، ولا شكَّ أنَّ بركةَ صلاحِ الآباء مُبشِّرةٌ بفلاح مَنْ نَسلوهُ مِنَ الأبناء ، ولو لم يُعتبرْ ذلك إلا بقصَّة العبدينِ الكريمينِ ، حين اختلفا في إقامة جدارِ الغلامينِ اليتيمين[2] ؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ إنَّما حاطَهما ورعاهما ؛ لأجلِ أنَّه وصفَ بالصلاح أباهُما ، وحفظَهما إلىٰ حين بُلوغِ أَشُدِّهما ؛ ليستخرجا كنزَهُما ببركةِ جدِّهِما ، وقد جاءَ عن بعض أهل التفسير شائعاً : أنَّ ذلك الجدَّ كان تاسعاً أو سابعاً

٣٨٩ـ كتبَ إليَّ الشيخُ الإمامُ أبو نصر عبدُ الرحيم بن الأستاذ أبي القاسم القُشَيريُّ رحمهما الله قال سمعتُ أبي يقول (وقيل في قوله تبارك وتعالىٰ : ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف ٨٢] : كان هٰذا إشارةً إلى الجدِّ التاسع أو السابع ، وهو الذي دفنَ ذلك الكنزَ ، فأُقيمَ الخضرُ لخدمتهما لحرمةِ ذلك)[3]

وقد جاء في الحديث « إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَحْفَظُ ٱلْمُؤْمِنَ فِي وَلَدِهِ ، وَوَلَدِ وَلَدِهِ ، وَوَلَدِ وَلَدِ وَلَدِهِ »

٣٩٠ـ أخبرَناه أبو غالب أحمدُ بن الحسن بن البنَّاء ، أخبرنا أبو الحسين

---

(١) رواه البخاري (٣٤٩٣ ، ٣٤٩٦) ، ومسلم (٢٥٢٦) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفقُهُوا صاروا فقهاء ، ويُروىٰ بكسر القاف ؛ يعني فهموا ، ورحم الله القائل [من الكامل]

إِنَّ ٱلسَّرِيَّ إِذَا سَرَىٰ فَبِنَفْسِهِ وَٱبْنُ ٱلسَّرِيِّ إِذَا سَرَىٰ أَسْرَاهُمَا

(٢) يعني : لكفىٰ ، فجوابُ الشرط محذوف وبنحو هٰذا يقدَّر ، وخبرُ سيدنا موسىٰ وسيدنا الخضر عليهما وعلىٰ نبيِّنا الصلاة والسلام مع اليتيمين في الآيتين (٧٧ ، ٨٢) من سورة (الكهف)

(٣) لعله نقله عن « التفسير الكبير » له ، وانظر « تفسير القرطبي » (١١/ ٣٨) ، ونسب القول بأنه السابع للإمام جعفر بن محمد .

محمدُ بن أحمدَ بن محمد بن الآبَنُوسِيِّ الصيرفيُّ ، أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن عمرَ بن أحمدَ بن مهدي الدارقطنيُّ ، حدثنا أبو العباس عبدُ الله بن أحمدَ بن إبراهيمَ المَارِسْتانيُّ قال حدثنا القاسمُ بن سعيد بن المسيَّب ، حدثنا عبدُ العزيز بن النعمان الموصليُّ أبو الحسن ، حدثنا عمرُو بن عطيَّةَ ، عن عطيَّةَ ، عن أبي سعيدٍ قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **إِنَّ ٱللهَ لَيَحْفَظُ ٱلْمُؤْمِنَ فِي وَلَدِهِ ، وَوَلَدِ وَلَدِهِ ، وَجَارِهِ ، وَجَارِ جَارِهِ ، وَتِسْعِ آدُرٍ حَوْلَهُ** »

قال الدارقطنيُّ : تفرَّدَ به عمرُو بن عطيَّةَ عن أبيه[1]

قلتُ : قد رواه الحسنُ بن عُمَارةَ الكوفيُّ[2] أيضاً عن عطيَّةَ

٣٩١ـ أخبرَناه الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمدَ ، أخبرنا أبو القاسم عبدُ الله بن محمد بن الحسن بن الخلاَّلِ ، أخبرنا أبو الحسن محمدُ بن عثمانَ بن محمد بن عثمانَ بن شهاب الدَّقَّاقُ النِّفَّريُّ ، حدثنا الحسينُ بن إسماعيلَ المَحامِليُّ ، حدثنا يعقوبُ بن إبراهيمَ الدَّورَقيُّ ، حدثنا شعيبُ بن حربٍ ، حدثنا الحسنُ بن عُمارةَ ، أخبرنا عطيَّةُ العوفيُّ ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **إِنَّ ٱللهَ لَيَحْفَظُ ٱلْمُؤْمِنَ فِي وَلَدِهِ ، وَوَلَدِ وَلَدِهِ ، وَوَلَدِ وَلَدِ وَلَدِهِ ، وَيَحْفَظُ ٱلْمُؤْمِنَ فِي دُوَيْرَتِهِ ، وَدُوَيْرَةِ جَارِهِ ، وَدُوَيْرَةِ جَارِ جَارِهِ** »[3]

---

(١) قال الحافظ السخاوي في « المقاصد الحسنة » (١٢٢٧) بشأن روايته : (الدارقطني في « الأفراد » من حديث عمرو بن عطية العوفي ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري رفعه) ، وفي (ط) : (أَدْوُر) بدل (آدُر) ، وكلاهما جمع قلَّة صحيح ، والثاني على القلب ، ويجوز في الأول : (أدْؤُر) .

(٢) علَّق العلامة الكوثريُّ رحمه الله تعالىٰ : (وجروا علىٰ تضعيفه تبعاً لشعبة ، لـٰكن الرامهرمزي في « الفاصل » [ص٣٢٠] دفعَ ما تمسَّكَ به شعبة في تضعيفه ، فليراجع) انتهىٰ .

(٣) جاء في هامش (د) حاشية : (يؤيد هـٰذا : الحديثُ الصحيح الذي أخبر فيه النبيُّ ﷺ =

٣٩٢ـ **وأخبرَنا** الشيخُ أبو القاسم هبةُ الله بن محمد الشيبانيُّ ، أخبرنا القاضي أبو القاسم عليُّ بن المحسن التَّنُوخيُّ ، حدثنا أبو بكر أحمدُ بن عبد الله بن جُلِّين الدوريُّ ، حدثنا حمزةُ بن المطَّلب الخزاعيُّ ، حدثنا أبو العباس إسماعيلُ بن الهيثم العبديُّ ، حدثنا مُباركٌ أبو سحيمٍ ، عن عبدِ العزيز بن صُهيب ، عن أنسٍ قال قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم « **إنَّ اللهَ لَيَحْفَظُ ٱلْعَبْدَ ٱلصَّالِحَ فِي أَهْلِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَٱلدُّوَيْرَاتِ حَوْلَهُ** »

رواه أبو بكر الخطيبُ الحافظُ عن التَّنُوخيِّ

٣٩٣ـ **وأخبرَنا** الشيخانِ ؛ أبو القاسم بنُ السمرقنديِّ ، وأبو الحسن عليُّ بن هبة الله بن عبد السلام الكاتبُ قالا أخبرنا عبدُ الله بن محمدٍ الخطيبُ ، أخبرنا عبيدُ الله بن محمد ابن حبابةَ ، حدثنا عبدُ الله بن محمدٍ البغويُّ ، حدثنا ابنُ المقرئ ـ يعني محمد بن عبد الله بن يزيد ـ ، حدثنا سفيانُ ، عن ابن سُوقة ، عن ابن المنكدر قال (**يصلحُ اللهُ عزَّ وجلَّ بصلاح الرجلِ ولدَهُ ، وولدَ ولدِهِ ، وأهلَ دُوَيْرَتِهِ ودُوَيْراتٍ حولَهم ، فما يزالونَ في سَتْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ وحفظِهِ**)[١]

٣٩٤ـ **أخبرَنا** أبو القاسم زاهرُ بن طاهر ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن الحسين ، أخبرنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس هو الأصمُّ ، حدثنا محمدُ بن النعمان ببيت المقدسِ ، حدثنا نُعيم بن حمَّادٍ ، حدثنا ابنُ المباركِ ، عن محمدِ بن سُوقةَ ، عن ابن المنكدرِ قال : (**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ليُصلحُ بصلاحِ**

= أنَّ الله قال للملائكة إنَّه غفر لجماعة كانوا مجتمعين على عبادةٍ ، فقالت الملائكة : إن فيهم فلاناً إنما أتى لحاجة ! فقال سبحانه : هم القوم لا يشقى جليسهم . هـٰذا معناه إن لم يكن لفظَه ، فإذا حفظ مَن جالسهم لحظةً . . فكيف بمَن جاورهم ؟! والله أعلم) وهـٰذا الحديث رواه البخاري (٦٤٠٨) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

(١) ورواه ابن الجعد في « مسنده » (١٦٨٦) .

أبيهِ ولَدَهُ ، وولدَ ولدِهِ ، ويُحفظُ في دُويرتِهِ والدويراتِ اللاتي حولَهُ ما دامَ فيهم)[1]

فأبو موسىٰ جدُّ أبي الحسن والتاسع مِنْ أجدادِهِ ، كما أنَّ الرجلَ الصالحَ الجدُّ التاسعُ للغلامينِ فحُفِظا لرشادِهِ

ـ وأمَّا قولُهُ : (وإن كانَ ما يدعيهِ مِن نسبهِ زورٌ وبهتانٌ . . فقد لعنَهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وكفىٰ بذلك ذِلَّةً وصغاراً)[2]

فهٰذا قولُ طعَّانٍ في الأنساب ، جاهلٍ بما في ذلك مِنَ الإثمِ والعقاب[3]

وقد تقدَّمَ عن جماعةٍ ذكْرُ نسبِهِ ، مِن وجوهٍ تقضي علىٰ هٰذا الطعَّانِ بكذبِهِ[4]

* وذكرَ أبو عمرٍو عثمانُ بن أبي بكرٍ السَّفَاقسيُّ أيضاً قال سمعتُ أبا بكر محمدَ بن عثمانَ بن محمد الإمام البغداديَّ يقول (أبو الحسن عليُّ بن إسماعيلَ بن إسحاقَ بن سالم بن إسماعيلَ بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسىٰ ؛ عبدِ الله بن قيس الأشعريِّ ، صاحبِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم)

فقد وافقَ هٰذا القولُ في نسبِهِ ما تقدَّمَ

ـ وما ذكرَهُ الأهوازيُّ مِن أنَّ أصحابَ الأشعريِّ ينفرون مِن نسبتِهِ إلىٰ

---

(١) ورواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٣٠) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١١٨٦٦) من طريق ابن المبارك أيضاً ، والدويرات : كذا في (ط) ، وفي سائر النسخ : (ودويرات) .

(٢) انظر (ص ٧٥٠)

(٣) أخرج مسلم في « صحيحه » (٦٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ٱثْنَتَانِ فِي ٱلنَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ : ٱلطَّعْنُ فِي ٱلنَّسَبِ ، وَٱلنِّيَاحَةُ عَلَى ٱلْمَيِّتِ » ، فالطعن في النسب من أخلاق الكفار ، أو أنه موصل للكفر

(٤) انظر ما تقدم (ص ١٣٠)

أبي بشرٍ ، ويفرُّونَ مِن ذلك بجهدِهم لِمَا يعرفون مِن سببِ تلك النسبة كلَّ مفرّ[١]

فزُورٌ مِن قائله وهذيانٌ ، في ضمنِهِ قذفٌ وبهتانٌ ، وقد تقدَّمَ في ذكرِ نَسبهِ عن ابنِ فُورَكَ والخطيبِ أبوَيْ بكرٍ[٢] ـ وهما من أعيان أصحابِهِ ـ نسبتُهُ إلىٰ أبي بشرٍ ، غيرَ أنَّهما اختلفا في أبي بشرٍ ؛ فجعلَهُ أحدُهما أباه وجعلَهُ الآخرُ جدَّهُ ، وكلُّ واحدٍ منهما ذكرَ ما وقعَ إليه من ذلك وصحَّ عندَهُ ، **وقد يَشتَهِرُ الإنسانُ باسمِهِ دون كنيتِهِ ، ويَشتَهِرُ تارةً بالكنيةِ فلا يُعرفُ إلا بكنيتِهِ ، وقد يكون مشهوراً بالكنيةِ والاسم ، وذلك لا ينكرُهُ أحدٌ من أهل العلم**

وقد اشتَهرَ جماعةٌ مِن الصحابة النجباءِ ، بالنسبة علىٰ ألسنة الناس إلىٰ كنى الآباء ؛ كأبي بكرِ بن أبي قُحافةَ ، وعليِّ بن أبي طالب ، وعبدِ الله بن أبي أوفىٰ[٣] ، فانظروا سخافةَ هـٰذا الرجلِ الخائبِ التي لا تكادُ تخفىٰ

ـ وأمَّا حكايتُهُ النُّكْرَةُ[٤] ، عن بعض شيوخِ البصرة ؛ مِن أنَّ أبا بشرٍ كان يهودياً فأسلمَ علىٰ يدَي بعضِ الأشعريِّينَ[٥]

فحكايةُ مفترٍ عن مجاهيلَ مفترينَ ، ما حُكِيَ أنَّ أحداً نفاهُ عن أبي موسى الأشعريِّ، غيرَ هـٰذا الجاهلِ المتحامل المفتري، وكيف تجاسرَ ـ لا رعاه اللهُ ـ

---

(١) وذلك قوله في « المثالب » (ومن أعجب الأشياء أنه ليس يعرف بالبصرة إلا بابن أبي بشر ، وأصحابه يفرُّون من هـٰذا الاسم ولا يصفونه به) انظر (ص ٧٦١) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ١٣٠)

(٣) فأبو قحافة اسمه عثمانُ بن عامر ، وأبو طالب : اسمه عبدُ مناف بن عبد المطلب ، وأبو أوفىٰ : اسمه علقمة بن خالد، وثلاثتهم شُهروا وعُرفوا بكناهم كما قال الإمام المصنف .

(٤) النُّكْرة : المُنْكرة الشنيعة ، وسيبين الإمام المصنف تلفَ هـٰذه الرواية

(٥) وذلك قوله في « المثالب » : (وسمعت شيوخاً من أهل البصرة يقولون : ما فرارهم من هـٰذا الاسم إلا لسببٍ ؛ وذلك أنَّ جده أبا بشر كان يهودياً أسلم علىٰ يد رجل ينسب إلى الأشعريين ، فانتسب إلىٰ ذلك) وانظر (ص ٧٦٢)

علىٰ هـٰذه الكِذْبةِ ، وهو لا يُعرفُ في الشرق والغرب إلا بهـٰذه النِّسْبة ؟!

وقد تقدَّمَتْ حكايةُ بندارِ بن الحسين في أنَّه كان يأكلُ مِنْ غلَّةِ ضيعةٍ وقفَها جدُّهُ بلالٌ[1] ، فتبيَّنَ بتلك الحكايةِ وغيرها أنَّ دعواه في نفْيِ نَسبهِ زورٌ وأنَّ قوله محالٌ ؛ إذ لو كان في نَسبهِ هـٰذه العلَّةُ . . لم يُدفعْ إليه مِن وَقْفِ بلالٍ الغلَّةُ[2] ، ولو لم يكن أبو الحسن صحيحَ النسب . . لانتُزِعَتْ منه الضيعةُ بذلك السبب

ـ واستشهادُهُ علىٰ ذلك بالبيتِ الشعرِ ، الذي قيل في سالفِ الدهرِ[3]

[من المجتث]

وَمَـــا كَنَـــىٰ عَـــنْ أَبِيـــهِ   إِلاَّ وَثَـــمَّ سُبَيْـــبُ

استشهادٌ يدلُّ علىٰ جهلِهِ بالمعاني ، وكيف سكتَ عن البيتِ الأول وأتىٰ بالثاني ؟! وإنَّما قيل

[من المجتث]

سَـــأَلْتُـــهُ عَـــنْ أَبِيـــهِ   فَقَـــالَ جَـــدِّي شُعَيْـــبُ
وَمَـــا كَنَـــىٰ عَـــنْ أَبِيـــهِ   إِلاَّ وَثَـــمَّ سُبَيْـــبُ[4]

وما كُنِيَ مِن نسبِ الأشعريِّ إلىٰ إسماعيلَ أو إسحاقَ عن أبي بشرٍ[5] ، ولا عُنِيَ ما أرادَهُ الأهوازيُّ في سرٍّ ولا جهرٍ ، ولـٰكنِ اقتُصرَ مرَّةً علىٰ ذكر الاسمِ فيه مِن الغنية ، وأُتِيَ مرَّةً أخرىٰ في تعريفِهِ بذكْرِ الكُنية ، وما هـٰذا إلا بمنزلةِ قولنا أبو بكرِ بنُ أبي قُحافةَ تارةً ، وتارةً عبدُ الله بن عثمانَ ، فقدِ

---

(١) انظر ما تقدم (ص ٢٩٥) .

(٢) في (ط) : (يرفع) بدل (يدفع) .

(٣) وقد ختم بهـٰذا البيت تأليفه « المثالب » ، وانظر (ص ٧٦٢) .

(٤) كنىٰ ـ بالتخفيف ، ويستعمل يائيّاً وواويّاً ـ : تكلم بكلام يستر به غيره ، وسُبيب : تصغير سَبَب ، أراد : لعلَّة ، وقد قيل للبغل : من أبوك ؟ فقال : خالي الفرس ، وسيأتي للمصنف أن (أبا بشر) إنما هو كُنية مشتهرة ، لا كِناية مُنكرة كما فعل الأهوازي

(٥) قوله : (وما كني) فـ (ما) نافية ، و(كُني) من الكناية

اتَّضحَ جهلُ الأهوازيِّ في هـٰذا مِنْ كلِّ وجهٍ بحمدِ الله وبانَ ، وأنَّه كان غيرَ بصيرٍ بالأسماء والاصطلاحاتِ ؛ حين لم يفرِّقْ بين الكُنىٰ وبين الكنايات ، وما طعْنُ الخوزِ في أنسابِ العرب[1] ، إلا مِنَ الأمر النادر العجب ! وكأنَّه فيما أتاه مِنْ نفيهِ مِن المَيْنِ ، عُنِيَ بهـٰذينِ البيتين[2] [من المتقارب]

وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ ٱلْمُضْحِكَاتِ　　وَلَـٰكِنَّـهُ ضَحِـكٌ كَـٱلْبُكَـا
بِهَـا نَبَطِـيٌّ مِـنَ أَهْـلِ ٱلسَّـوَادِ　　يُخَلِّـصُ أَنْسَـابَ أَهْـلِ ٱلْفَـلاَ

ولعلَّ الأهوازيَّ سمعَ هـٰذين البيتينِ قديماً ، ولم يكن بمرادِ قائلهما ومقصودِهِ عليماً ، فظنَّ أنَّهما قيلا علىٰ وجهِ المدحِ ، فشرعَ في الطعن في الأنساب والقدحِ ، ولم يعرفِ المرادَ بهـٰذا الشعرِ ، كما لم يفكرْ في معنىٰ ما سبقَ منه مِن الهَذْرِ

وهـٰذا الفصلُ في كنيةِ أبي بشرٍ وُجدَ في نسخةِ نجا[3] ، وما أدراكَ مَنْ نجا ؟! هو الذي لا يمتدُّ إلىٰ إضافتِهِ إلىٰ ذوي الفهْمِ بالعلم رجا ، ونسختُهُ التي بخطِّهِ لا يصحُّ ما فيها إذ لا خطَّ له ولا هِجا ، وكان له إلىٰ صحبةِ الأهوازيِّ لما بينَهما مِنَ المناسبة في الجهل التِجا

ـ وأمَّا قولُهُ : (وادَّعىٰ أنَّه مِن أهل السنَّة)[4] :

---

(١) في (ط) : (الخوزي) بدل (الخوز) ، وتقدم بيان معناه قريباً تعليقاً

(٢) هما للمتنبي ضمن قصيدة يهجو بها كافوراً ، وانظر « ديوانه » (ص ٥١١) ، وفيه : (يدرِّس) بدل (يخلص) ، والاستفهام في كلامه ليس علىٰ حقيقته ، وإنما أراد به التكثير ، ومعنى البيتين : أشياء كثيرة وعجيبة مضحكة في مصر ، ولـٰكن يُضحك منها عجباً لا فرحاً ، ومنها : رجل أعجمي من ريف العراق يقرِّرُ ويعلم أنساب العرب !

(٣) لعله أراد نجا بن أحمد بن عمرو بن حرب العطار ، المتوفىٰ سنة (٤٦٩ هـ) ، وانظر ترجمته في « تاريخ دمشق » (٦١/٤٥٩) ، وقد قال عنه الحافظ الذهبي في « ميزان الاعتدال » (٤/٢٤٨) : (ليس بعمدة ، كان آية في التصحيف والخطأ) والله أعلم .

(٤) انظر (ص ٧٥٠)

فليس ذلك دعوىٰ ، بل حقيقةٌ يشهدُ بصحَّتِها كلُّ ذي علمٍ وتقوىٰ

ـ **وقولُهُ** : (فمالَ إليه طائفةٌ جُهَّالٌ)[1]

فذلك أيضاً منه كما سبقَ مُحالٌ ، ما مالَ إلىٰ قولِهِ إلا العلماءُ ، ولا اتبعَهُ إلا الفقهاءُ الفهماءُ ؛ فإنَّ أصحابَهُ نجومُ الأمصار ، وأتباعَهُ أئمَّةُ الأعصار

وقد تقدَّمَ ذكرُ جماعةٍ من مشاهير أتباعِهِ ، وتسميةُ أئمَّةٍ مِن أصحابه وأشياعه، ممَّن لا يُسابقُ في فضلٍ ولا يُجارىٰ، ولا يُشكُّ في علمِهِ ولا يُتمارىٰ .

ـ **وقولُهُ** : (فشاعَ أمرُهُ ، وذاعَ في الآفاقِ ذكرُهُ)[2]

ينقضُ قولَهُ فيما بعدُ : (إنَّه لم يزل مخمولاً غيرَ مقبولٍ في بلاد الإسلام) ، وتناقضُ القولِ غيرُ مستبدَعٍ مِن مثله من الجُهَّال الطَّغَام[3]

ـ **وقولُهُ** : (إنَّه كان ينصرُ البدعةَ ، ويُدخلُ على الناس قولَ المعتزلةِ والزنادقة)[4] :

فمِنْ جنسِ ما تقدَّمَ ذكرُنا له مِنْ أقواله السخيفة ، وتقوُّلاتِهِ غيرِ الصادقة ؛ فإنَّ مَن وقفَ علىٰ ما ذكرَهُ أبو الحسن في تواليفه وكُتُبِهِ ، وعرفَ شدَّةَ بغْضِ المعتزلة والزنادقةِ له ولصَحْبِهِ . تيقنَ كذبَ الأهوازيِّ فيما قالَهُ ، وتبيَّنَ له تحاملُهُ وتحقَّقَ إبطالَهُ ، وما زعمَ أنَّهُ حكاهُ عن أهلِ البصرة . . فالذي صدقَ في حكايتِهِ فعن معتزلةٍ أو سالميَّةٍ أمثالِهِ ، وما لم يكذبْ هو فيه . . فإنَّما رواه عن مجهولينَ أو كذَّابين أشكالِهِ .

---

(١) وذلك قوله في « المثالب » (فمالَ إليه طائفة جهال ، وأرذال ضلال ، زعموا أنهم يطلبون الكلام ، ومنهم من اشتغل بالفقه ، فتوهَّم كثيرٌ من الناس أنهم على الحق) وانظر (ص ٧٥٠) .

(٢) انظر (ص ٧٥٠) .

(٣) الطَّغام : أوغاد الناس وسقطتهم

(٤) وزاد : (وهم لا يشعرون ؛ لما هم عليه من محبَّة الكلام والميل إليه) وانظر (ص ٧٥١).

ومِن العجائب : أنَّه اعتقدَ الإتيان بذمِّهِ قُربةً ، وزعمَ أنَّه ذكرَ ما ذكرَ مِن شتمِهِ حِسْبةً ، ورغبَ إلى الله عزَّ وجلَّ أن يجعلَهُ لوجهِهِ خالصاً ، وإلىٰ مرضاته واصلاً ![1] ، فتبيَّنوا ما قال . . تجدوا عقلَهُ ناقصاً وقولَهُ باطلاً

متىٰ تعبَّدَنا اللهُ بالسبِّ والشتم ؟! وأين أمرَنا بالتفرُّغ للثلْبِ والذمِّ ؟! وهل سوَّغَ لنا الاشتغالَ باللعن ، أو ندبَنا إلى استعمال الغِيبة والطعن ، أو أثنىٰ في كتابِهِ على المستعمِلِين للهمز ، أو مدحَ العيَّابينَ المشتغلين باللَّمز ؟!

فتأمَّلوا ـ رحمَكم الله ـ القرآنَ العظيمَ ، وتفهَّموا الآياتِ والذكرَ الحكيمَ . . تجدوا فيه النهيَ عن ذلك كلِّهِ ، والأمرَ بالإعراض عن أكثرِهِ وأقلِّهِ ، وقد نهىٰ ذو الجلال والإكرام ، عن سبِّ ما يُعبدُ مِنْ دونه مِنَ الأصنام ؛ فقال ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ، فمَن تفرَّغَ لسبِّ عباد الله فقد عصى اللهَ سهواً بغيرِ فهم ، وإذا كان اللهُ قد نهىٰ عن سبِّ الأخشابِ والأحجار . . فكيف يبيحُ لكم سبَّ العلماءِ الأخيار ؟!

فإن قيل : إنَّ المعنىٰ في النهْيِ عن هـٰذا السبِّ ؛ لئلا يكون سبباً لسبِّ الربِّ[2]

فربَّما سمعَ سبَّ الأهوازيِّ لهـٰذا الإمام ، بعضُ مَن يراه بعين الإعظام ، فيقابلُ سبَّهُ بسبِّ إمامِهِ ، ويتكلَّمُ فيه عند الغضب بمثل كلامِهِ ، ويحملُهُ علىٰ ذلك السبِّ فرطُ حميَّةٍ ، أو إظهارُ صلابةٍ في معتقدِهِ وعصبيَّة ، ويجتنبُ مقابلةَ

---

(١) وذلك في قوله واصفاً تأليفه هـٰذا : (وأنا إن شاء الله أورد جميعَ ما سمعته منه في هـٰذه الأوراق احتساباً ، ورجاء ثواب الله عز وجل ، وقضاء لحقِّك فيما سألتني عنه ، وإلى الله جلَّتْ قدرته الرغبة أن يجعله لوجهه خالصاً ، وإلىٰ مرضاته واصلاً) وانظر (ص ٧٥١)

(٢) ومعنىٰ هـٰذه التحريجة : أن السبَّ للأصنام مباحٌ أصالة ، ولـٰكنه مُنعَ منه لئلا يُسبَّ الربُّ جلَّ وعلا شأنه ، وهـٰذه العلَّة منتفيةٌ هنا ، فعاد الأمر للإباحة ، ولـٰكن سيبينُ المصنف أنها غيرُ منتفيةٍ حتىٰ عند الأهوازي

السيئةِ بالحسنة ؛ اقتداءً بقول بعضِ جُهَّالِ المتسَنِّنة : [من البسيط]

سُبُّوا عَلِيّاً كَمَا سَبُّوا عَتِيقَكُمُ   كُفْـرٌ بِكُفْـرٍ وَإِيمَـانٌ بِـإِيمَـانِ

فيكونُ حينئذٍ سبباً لسبِّ صاحبِ مذهبه[1] ؛ لأنَّ ذلك إنَّما جرىٰ مِن قائلِهِ خطأً بتسبُّبِهِ ، وهٰذه خُطَّةٌ لا يرتضيها ذو عقلٍ ، وسَقْطةٌ تُنبئُ عن عظيمِ جهلٍ

وقد امتنعَ رسولُ ربِّ العالمينَ ، صلَّى الله عليه وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعين . . مِن لَعْنِ مَنْ سُئِلَ في لعنِهِ مِنَ المشركين ، مع كونِهم بالشِّرْكِ بالله متمسِّكين ؛ وذلك فيما

٣٩٥ـ أخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن الفضل الفُراويُّ ، وأبو المظفَّرِ عبدُ المنعم بن عبد الكريم القُشَيريُّ قالا أخبرنا أبو سعد محمدُ بن عبد الرحمٰن بن محمد الجَنْزَرُوذِيُّ ، أخبرنا أبو عمرٍو محمدُ بن أحمدَ بن حمدانَ الحِيريُّ ، (ح)

وأخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله الحسينُ بن عبد الملك بن الحسين الخلاَّلُ بأصبَهانَ ، أخبرنا أبو القاسم إبراهيمُ بن منصور بن إبراهيمَ السُّلميُّ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن إبراهيمَ بن علي بن المقرئ قالا أخبرنا أحمدُ بن علي بنِ المثنَّى الموصليُّ ، حدثنا محمدُ بن عبَّادٍ المكيُّ ، حدثنا مروانُ ـ زاد ابنُ المقرئ : ابن معاويةَ ـ ، عن يزيدَ ـ زاد ابنُ المقرئ ابن كَيْسانَ ـ ، عن أبي حازمٍ ، عن أبي هريرةَ قال قيل ـ وفي حديث ابن حمدانَ قلتُ ـ : يا رسولَ الله ؛ ادعُ على المشركين ، قال : « **إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً ، إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً** »

---

(١) يعني : فيكون سبُّ الأهوازي للإمام الأشعري سبباً لسبِّ بعضِ عوامِّ الأشعرية لأئمَّة الأهوازي وأصحابه ، فكان يجب عليه ـ وإن اعتقد فساد مذهب الأشعري ـ أن يُمسك عن سبِّه لو كان فقيهاً .

رواه مسلمٌ في « صحيحه » عن محمد بن عبَّادٍ[١]

فإذا كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يرَ لعْنَ المشركين . . فكيف استجازَ الأهوازيُّ في دينِهِ لعنَ العلماء المتنسِّكين ؟!

فلا بهدْيِ الله عزَّ وجلَّ اهتدىٰ ، ولا بنبيِّهِ صلى الله عليه وسلم اقتدىٰ ، بل عَمِيَ عن سلوكِ طريقِ الهدىٰ ، وألقىٰ نفسَهُ فيما يُفضي به إلى الرَّدىٰ ، أفتُراه حَسِبَ أن يُتركَ سُدىً ؟! حتىٰ أخطأَ فيما قالَهُ في الأشعريِّ واعتدىٰ[٢] ، واتبع مرادَ الشيطان الرجيم ، في لعْنِ المسلمين حين تجنَّبَ الكفَّ عنهم والإغضاءَ ؛ قال اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المائدة : ٩١] .

فمَنْ أضلُّ سبيلاً ممَّن اتبعَ هواه ، واستفرغَ في ذمِّ العلماء بالباطل قُواه ، ولم يرقُبْ فيهم إلّاً ولا ذمَّةً ، ولم يرعَ له محلاً ولا حرمةً ؟!

ومَنْ أعظمُ جهلاً ممَّن فرَّغَ نفسَهُ للطعن والوقيعة ، في الأكابرِ والأعيان مِن علماءِ الشريعة ، ولو أنعمَ فيما قالَهُ تفكُّراً . . لعلم أنَّه أتىٰ أمراً مستَنْكراً ، ولو كان بأحكام الشريعة خبيراً . . لتيقَّنَ أنَّه ارتكبَ حُوباً كبيراً ، وكفاه تركاً للحقِّ واجتناباً ، عدُّهُ ما ذكرَهُ مِن البهتان في حقِّه احتساباً ! فما أسعدَهُ إن سلمَ ممَّا ذكره رأساً برأس ، وانفلتَ منه كفافاً بغيرِ بأس ![٣] ، وأنَّىٰ له بالسلامة ، وقد خرجَ عن حدِّ الاستقامة ؟!

ـ ولو قال بدلَ (واصِل)[٤] : (مُوصِلاً) . . لكان قد ذكرَ لفظاً مستعمَلاً ،

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٩٩) .
(٢) في (ط) : (حين) بدل (حتىٰ)
(٣) في (ب) : (وانقلب) بدل (وانفلت) .
(٤) يعني : قوله في « المثالب » : (وإلىٰ مرضاته واصلاً) ، وتقدم نقله قريباً تعليقاً

لـكنَّ عجمتَهُ تحملُهُ علىٰ تجنُّبِ الصواب ، وجهالتَهُ تقتضي له تعسُّفَهُ في الخطاب

ـ وقولُ الوزَّان الذي حكىٰ عنه أنَّه ادَّعىٰ أنَّه رجعَ عن الاعتزال (فلا أدري : أصدِّقُهُ في القول الأول أو الثاني ؟!)[1]

فقولُ جاهلٍ أو متجاهلٍ لا يصحُّ معناه عند أهلِ الفهم بالمعاني ؛ لأنَّ أحداً مِنَ الطوائف لم يكذِّبْ أنَّه كان معتزليّاً ، وإنَّما ينكِرُ مَن لا يُعتدُّ بإنكارِهِ رجوعَهُ بعدَ الاعتزال سُنِّيّاً

ـ وقولُ الوزَّان : (لم يتغيرْ عليَّ شيءٌ مِنْ عقلِهِ ، ولم يبعثِ اللهُ نبيّاً تظهرُ علىٰ يديهِ المعجزاتُ فيدَعَ الخلْقُ ما هم عليه ضرورةً !)[2]

فقولُ جاهلٍ لم يؤتِهِ اللهُ في دينِهِ بصيرةً ؛ لأنَّه زعمَ أنَّ تغيُّرَ العقلِ سببُ الرجوع عن الاعتزال ، وهـٰذا يشعرُ أنَّ هـٰذا الوزَّانَ كان مِنَ المعتزلة الضُّلال

ودعواهُ : أنَّ أحداً لا يَتركُ ما كان عليه إلا عند ظهورِ المعجز . . مِنَ المُحال ؛ فكم مِن متنقِّلٍ مِن مذهبٍ إلىٰ غيره لقوَّةِ النظرِ والاستدلال ، أو لإرشادٍ مِن الحقِّ سبحانه وإلهام ، أو رؤيا وُعِظَ بها رائيها في منام ، أو شدَّةِ بحثٍ عن الحقِّ علىٰ ممرِّ الأيام ! وهـٰذه المعاني كلُّها موجودةٌ في حقِّ هـٰذا الإمام

وإنَّما يُشَكُّ في توبةِ التائب إذا لم يوجدْ منه غيرُ مجرَّد الدعوىٰ ، ولم

---

(١) وذلك قوله في « المثالب » (سمعت أبا الحسن محمد بن محمد الوراق بالبصرة يقول سمعت أبا بكر الوزان يقول : ولد ابن أبي بشر سنة ستين ومئتين ، ومات سنة ست وثلاثين وثلاث مئة ، قال : ولم يزل معتزلياً أربعين سنة يناظر على الاعتزال ، ثم إنه قال بعد ذلك قد رجعت عن الاعتزال ؛ فلا أدري : أصدِّقُهُ في القول الأول أو في الثاني ؟!) وانظر (ص ٧٥١) .

(٢) انظر (ص ٧٥٢) .

يكنْ عند اختبارِ حاله مِن أهل الدين ولا مِن ذوي التقوىٰ ، فأمَّا إذا اقترنَ منه بدعوى التوبة ، ظهورُ الأسفِ علىٰ ما أسلفَ مِن الحوبة ، وكان المُظهِرُ للتوبة ذا ديانةٍ ، موصوفاً عند الخلْقِ بصدقٍ وأمانةٍ . . لم يكن للشّكِّ في صحّة توبتِهِ مجالٌ ، فمَنْ قال غيرَ هـٰذا فقولُهُ مُحالٌ

ولا شكَّ أنَّ دينَ أبي الحسن رحمه الله متينٌ ، وتبرُّؤَهُ مِن مذهبِ الاعتزال ظاهرٌ مبينٌ ، ومناظراتِهِ لشيخِهم الجُبَّائي مشهورةٌ ، واستظهاراتِهِ عليه في الجدل مذكورةٌ ، وقمعَهُ لغيرِهِ مِن شيوخِهم معروفٌ شائعٌ ، وقطعَهُ لهم في المناظرة منتشرٌ ذائعٌ ، وتواليفَهُ في الردِّ علىٰ أهل التعطيل كثيرةٌ ، وفضيحتَهُ أهل الأهواء بما أظهرَ مِن عَوارِ مذهبِهم كبيرةٌ ، فكيف يزعمُ أنَّهُ أظهرَ غيرَ ما أبطنَ ، أو أضمرَ ضدَّ ما أعلنَ ؟!

ـ وما حكاهُ عن أبي محمد الحسنِ بن محمد العسكريِّ[١]

فقد بيَّنتُ أنَّ ذلك مِنْ مناقبِهِ ضدَّ ما تصورَهُ المفتري

ـ وما حكاهُ عن أبي عبد الله الحُمْراني الذي يثني عليه[٢]

فممَّا لا يُصغِي ذو لُبٍّ إليه ، وثناؤُهُ على الحُمْراني غيرُ مقبولٍ[٣] ، وكيف

---

(١) روىٰ هـٰذه الحكاية المصنف بالخبر المتقدم برقم (١١٤) ، وبيَّنَ إنصاف الإمام الأشعري ، وابتعاده عن المكابرة ، ويظهر أن خصمه المذكور فيها كان من أهل السنة ، وانظر (ص ٧٥٢)

(٢) روىٰ هـٰذا الخبر المصنف بالخبر المتقدم برقم (١٨) ، **وجهَّل الحمراني هـٰذا**

(٣) وذلك أنه لمَّا أراد أن يسوق خبرَه في كون أبي الحسن الأشعري ـ حاشاه ـ من الملاحدة . . عمدَ إلىٰ تزكية الحمراني الراوي لهـٰذا الخبر وغيره من الأكاذيب ؛ فقال : (كان هـٰذا أبو عبد الله الحمراني رحمه الله عالماً في اللغة ، قيِّماً بالنحو والعروض والغريب والأخبار والأشعار ، مقدَّماً في ذلك ، لم يكن فيه عصبية في الديانات ، ولا ميل إلى الغلو في ذلك ، ولا يقول في ذلك إلا بالحق) وسترىٰ هـٰذا الحق ! ولأن تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه ، وانظر (ص ٧٥٣)

يُقبلُ ثناءُ مثلِهِ علىٰ رجلٍ مجهولٍ ؟! وهو أنَّه قال : (إنَّ الناس اختلفوا في سببِ رجوعِهِ ؛ فقال أصحابه : بانَ له الحقُّ فكان سببَ نُزوعِهِ ، وقال آخرون : ماتَ له قريبٌ مِنَ الذكور أو الإناث فتابَ ؛ لئلا يمنعَهُ الحاكمُ مِنَ الميراث ، وقال آخرون إنَّما فارقَ مذاهبَ المعتزلة ؛ لمَّا لم يظفرْ عند العامَّةِ بسموٍّ المنزلة) ![1]

فقد تقدَّمَ ذكرُ تقلُّلِ أبي الحسن وزهدِهِ ، وتبلُّغِهِ باليسير مِن غلَّةِ وقْفِ جدِّهِ[2]

فقولُ مَن زعمَ أنَّه رجعَ لأخذ الميراث . . باطلٌ مِنَ الجهات الثلاث ، وهَبْ أنَّه أبدىٰ ذلك في حقِّ نفسِهِ لغرضٍ مِنَ الأغراض ، أو لنيلِ ما نالَهُ مِن حطامِ الدنيا مِن الأعراض ؛ فكيف تسخو نفسُهُ برجوعِ مَنْ يرجعُ عن بدعتِهِ التي هو يُسِرُّها ويعتقدُها ، بالنظرِ في كُتبِهِ التي ألَّفَها علىٰ مذهب أهل السنة ممَّن ينظرُ فيها بعده ويعتمدُها ؟! ولا شكَّ أنَّه قدِ استبصرَ بما ذكرَ فيها عالمٌ مِنَ الناس ، وزالَتْ عنهم بها ظُلَمُ الشكوكِ والالتباس

وقولُ مَنْ زعمَ أنَّه أظهرَ التوبةَ ليُؤخذَ عنه ، ويُسمعَ ما يلقي إلى المتعلِّمين منه ، وتعلوَ منزلته عند العامَّةِ . . فذاك ما لا يصنعُهُ مَنْ يُؤمنُ بالبعث يومَ القيامة ، كيف يستجيزُ مسلمٌ أن يُظهرَ ضدَّ ما يبطنُ ، أو يُضمرَ خلافَ ما يبدي ويعلن ؟! لا سيما فيما يتعلَّقُ بالاعتقادات ، ويرجعُ إلىٰ أصول الديانات

فتعيَّنَ حينئذٍ ممَّا ذكرَ الحُمْرانيُّ القولُ الأولُ ، وبانَ أنَّه الصحيحُ الذي عليه المعولُ ؛ وهو أنَّه لمَّا بانَ له الحقُّ . . اتَّبعَهُ وتركَ ما عداه ، وهو القولُ الذي نقولُ به في هـٰذا المعنىٰ ولا نتعدَّاه .

---

(١) في (و) : (يظهر) بدل (يظفر)
(٢) تقدم (ص ٢٩٥) .

فحكايةُ مثلِها ممَّا لا يُستجازُ في الشرع ولا يُرضىٰ ؛ ممَّا عزاهُ إليه مِنَ القول عند تلقينِ الذي أُدخلَ القبرَ ؛ لأنَّها حكايةٌ جمعَ فيها حاكيها عنه الكذبَ والهُجْرَ[1] ، وكيف يستحسنُ عاقلٌ أن يقولَ مثلَ هـٰذا القولِ ؛ عند دفْنِ آدميٍّ مثلِهِ وهي حالةٌ شديدةُ الهول ؟! أم كيف لم يشغلْهُ ما يراه مِنْ ظلمةِ القبر وضيقِ اللَّحْدِ ؛ عن الاعتراف بفسادِ الدين وسوءِ العَقْد ؟!

وهَبْ أنَّ الملحِدَ لا يُؤمنُ بالبعث ، أليسَ يوقنُ بالبلاءِ وطولِ المكث ؟! وكيف يعترفُ أنَّه وُلِدَ مُلْحداً ، والمعتزلةُ تقول : إنَّ كلَّ مولودٍ يُخلقُ موحِّداً ؟!

فهـٰذه الحكايةُ لَعَمْري مِنَ الكذب البارِدِ ، وإيرادُ مثلِهَا يدلُّ على العقل الفاسدِ ، ولأبي الحسن رحمَهُ اللهُ مِن الردِّ علىٰ أصناف الملاحدةِ ، والنقْضِ لمقالات أصحابِ العقائد الفاسدةِ ، والكشْفِ عن تمويهات الفِرَقِ الجاحدةِ ؛ ممَّا تقدَّمَ ذكرُهُ . . ما يدلُّ علىٰ بطلان هـٰذه الكِذْبةِ الباردةِ ، ولو أرادَ اللهُ به

(١) الهُجْر : الفحش والخنا ، والقبيح من القول ، ولعلَّ المصنفَ الأديب إمامَنا الحافظ ابنَ عساكر قد صان لسانه وقلمه عن هـٰذه الحكاية المفتراة ، ولـٰكن طالما وضعت بين يديك افتراءاتِ الأهوازي . . فلتذكرْ ليفهمَ السياق ، وليهونَ عليك غضبُ المصنف وحزنُهُ ، ولتعلمَ أن ما وصفَ به الأهوازيَّ كان بقلم العفاف والطهر ؛ وهي ما حكاه الأهوازي في « المثالب » فقال : (سمعت أبا عبد الله الحمراني يقول : حضرت يوماً في جنازة بالبصرة والميت يُدفن ، ونحن قيام علىٰ شفير القبر ، والأشعري قائم إلىٰ جانبي ، والحفَّار يقول اللهمَّ ؛ وسِّعْ له حفرته ، ولقِّنْهُ حجَّتَهُ ، وبرِّدْ مضجعَهُ ، وهوِّنْ عليه ما هو لاقيه ، قال : فقال له الأشعري : وألقِمْهُ خُرْأَهُ !! قال : فالتفتُّ إليه فقلت : يا أبا الحسن ؛ هـٰذا كلامٌ من غير ذاك الجانب ، قال : فقال لي : أنا في ذلك الجانب ولدتُ ، قلت لأبي عبد الله الحمراني : ما معنىٰ قولك له : هـٰذا كلام من غير ذاك الجانب ؟ قال : قلت له : هـٰذا كلام الملحدة ، فقال : أنا ولدت ملحداً) ، وسترىٰ للأهوازي خبراً أشدَّ فُحشاً ونُكْراً ، وأغرقَ كَذباً وهُجراً ، ومع هـٰذا فاقرأ ردَّ المصنِّفِ الذي علا فيه علمُهُ وأدبه .

خيراً . . لم يحكِ مثلَ هٰذه الحكاية ؛ لأنَّ وجْهَ فسادِها ظاهرٌ عند أهل الفهْمِ والدراية ، وحاكيَها مجهولُ العدالةِ عند أهلِ الرواية ، ومزكِّيَهُ لا يُكتفىٰ بتزكيتِهِ لأنَّه ليس أهلاً للكفايةِ ؛ لتناهيهِ في العداوةِ للأئمَّةِ فوق النهايةِ ، وتجاوزِهِ فيما يظهرُهُ مِنَ البغْضِ لهم للحدِّ والغايةِ[1]

[إجماعُ أهلِ العلمِ منعقدٌ علىٰ قبولِ توبةِ المبتدعِ ، وبيانُ تفسيرِ الآياتِ الموهمةِ بخلافِ ذلك] :

ـ وأمَّا إنكار الأهوازيِّ قبولَ توبة المبتدعة[2]

فمِنَ الإنكارات البعيدة الممتنعة ، وقد سبق الكلامُ في ذلك في أوَّل هٰذا الكتاب ، بما فيه غُنية لذوي الفهم وأولي الألباب[3]

واحتجاجُهُ بالآية غيرُ صحيحٍ في الاعتبار[4] ؛ لأنَّها إنَّما عُنِيَ بها مَنِ ارتدَّ عن الحقِّ ولحقَ بالكفَّار ، ولم يختمْ عمله بعمل المؤمنين الأبرار ، بل مات علىٰ كفره وصار إلى النار ، ولو تأمَّلَ ما قبلها وبعدها من الآياتِ . . لعرفَ ذلك ولٰكنَّهُ ممَّن يكتمُ ما أنزل من الهدىٰ والبيناتِ ؛ قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ

---

(١) هنا آخر الجزء الثامن من كتاب « التبيين » من النسخة (ب) ، ويتلوه الجزء التاسع

(٢) انظر (ص ٧٥٤) ، وهو كلام طويل افتتحه بقوله : (أما إظهارُهُ التوبة : فغيرُ مقبولٍ منه)

(٣) تقدم (ص ١٤٢) .

(٤) أراد : استشهاد الأهوازي بالآيات الآتي ذكرُها وتفسيرُها .

تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥ ـ ٩١]

وقيل إنَّها نزلَتْ في اليهودِ والنصارىٰ ، فلا يَحتجُّ بها في حقِّ موحدٍ إلا الجُهَّالُ بالتفسير الحيارىٰ .

٣٩٦ـ حدثنا الشيخُ أبو الفضل محمدُ بن ناصر بن محمد البغداديُّ بها ، أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن الحسين بن علي بن أيوبَ ، أخبرنا القاضي أبو العلاء محمدُ بن علي بن يعقوبَ الواسطيُّ ، أخبرنا أبو عليٍّ الحسنُ بن أحمدَ بن عبد الغفَّار النحويُّ ، أخبرنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن السَّريِّ النحويُّ الزجَّاجُ قال : (أعلمَ عزَّ وجلَّ أنَّه لا يَقبلُ ديناً غيرَ دين الإسلام ، ولا عملاً إلا مِنْ أهلِهِ ؛ فقال : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، « يبتغِ » جُزم بـ « مَن » ، وقوله « فلن يُقبلَ منه » الجوابُ ، ومعنى « الخاسرين » أي ممَّنْ خسرَ عملَهُ ، والدليلُ علىٰ ذلك قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد : ١]

وقولُهُ عزَّ وجلَّ ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ ﴾ [آل عمران : ٨٦] . .يقال : إنَّها نزلَتْ في قومٍ ارتدُّوا ، ثم أرادوا الرجوعَ إلى الإسلام ونيَّتُهم الكفرُ ، فأعلمَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّه لا جهةَ لهدايتِهم ؛ لأنَّهم قد استحقُّوا أن يضلُّوا بكفرِهم ؛ لأنَّهم قد كفروا بعد البيِّنات التي هي دليلةٌ علىٰ صحَّة أمرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم[1]

وقيل إنَّها في اليهود ؛ لأنَّهم كفروا بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا قبلَ مبعثِهِ مؤمنين ، وكانوا يشهدون له بالنبوَّةِ ، فلمَّا بُعثَ عليه السلام ،

---

(١) في « معاني القرآن » : (دليلٌ) بدل (دليلة)

وجاءَهم بالآيات المعجزات ، وأنبأَهم بما في كُتبهم ممَّا لا يقدرون على دفعِهِ ، وهو عليه السلام أميٌّ . . كفروا بغياً وحسداً ، فأعلمَ عزَّ وجلَّ أنَّ جزاءَهم اللعنةُ ؛ فقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ [آل عمران ٨٧] ، ومعنى « لعْنِ اللهِ لهم » تبعيدُهُ إيَّاهم مِن رحمتِهِ ، وثناؤُهُ عليهم بكفرِهم[1] ، ومعنى « لعْنِ الناسِ أجمعين لهم » أنَّ بعضَهم يوم القيامة يلعنُ بعضاً ، ومَن خالفَهم يلعنُهم

ومعنى : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي : فيما توجبُهُ اللعنة ؛ أي : في عذابِ اللعنة

﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٨] أي لا يؤخَّرون عن الوقت

وقولُهُ : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ [آل عمران ٨٩] : موضعُ « الذين » نصبٌ استثناءً من قولِهِ : ﴿ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ ﴾

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ ﴾ [آل عمران : ٨٩] أي : أظهروا أنَّهم كانوا على ضلالٍ ، وأصلحوا ما كانوا أفسدوهُ وغَرُّوا به مَن تبعَهم ممَّن لا علمَ عنده .

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٨٩] : أعلمَ اللهُ أنَّ مِن سَعةِ رحمتِهِ وتفضُّلِهِ أن يغفرَ لمَنِ اجترأَ عليه هـٰذا الاجتراءَ ؛ لأنَّ هـٰذا ممَّا لا غايةَ بعدَهُ ؛ وهو أنَّه كفرَ بعد تبيُّنِ الحقِّ .

وقولُهُ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ ﴾ [آل عمران ٩٠]، يقال في التفسير : إنَّهم هـٰؤلاءِ النَّفرُ الذي ارتدُّوا بعد إسلامهم ،

---

(١) كذا (وثناؤه) برسم الهمزة على الواو ؛ وهو صوابٌ ، والثناء وصفٌ بمدحٍ أو ذمٍّ ، يقال : (أثنى) إذا قال خيراً أو شرّاً ، أو ذكر آخر بحسن أو قبيح ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « ومَن أثنيتم عليه شراً . . وجبَتْ له النارُ »

ثم أظهروا أنَّهم يريدون الرجوعَ إلى الإسلام ، فأظهرَ الله أمرَهم ؛ لأنَّهم كانوا يظهرون أنَّهم يرجعون إلى الإسلامِ وعقدُهم الكفرُ

والدليلُ علىٰ ذلك قولُهُ : ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آل عمران ٩٠] ؛ لأنَّهم لو حقَّقوا التوبة. لكانوا مهتدين ، ويدلُّ علىٰ ذلك قولُهُ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ [آل عمران : ٩١] ؛ لأنَّ الكافرَ الذي يعتقدُ الكفرَ ويظهرُ الإيمانَ . . عند الله كمظهرِ الكفرِ ؛ لأنَّ الإيمانَ التصديقُ ، والتصديقُ لا يكونُ إلا بالنيَّة

ومعنىٰ ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ أي : لو عملَ الكفرَ وقدَّمَ ملءَ الأرض ذهباً يتقرَّبُ به إلى الله . . لم ينفعْهُ ذلك مع كفرِهِ ، وكذلك لو افتدىٰ مِنَ العذاب بملْءِ الأرض ذهباً . . لم يقبلْ منه ، فأعلمَ اللهُ أنَّه لا يثيبُهم علىٰ أعمالهم بالخير ، ولا يقبلُ منهم الفداءَ مِن العذاب)[1]

٣٩٧ـ أخبرَنا الشيخُ أبو محمدٍ عبدُ الجبَّار بن محمد بن أحمدَ الخُواريُّ البيهقيُّ الفقيهُ بنيسابورَ ، أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن أحمدَ بن محمد بن علي الواحديُّ المفسِّرُ قال (قولُهُ عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [آل عمران ٩٠] :

قال ابنُ عباس نزلَتْ في اليهود ، كفروا بعد إيمانِهم بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم بعد بعثِهِ ، ثم ازدادوا كفراً بالإقامةِ علىٰ كفرِهم حتىٰ هلكوا عليه .

وقال قتادةُ : إنَّ اليهودَ كفروا بعيسىٰ والإنجيلِ بعد إيمانِهم بأنبيائِهم وكُتبهم ، ثم ازدادوا كفراً بكفرِهم بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم والقرآنِ ، لن تقبلَ توبتُهم ؛ لأنَّهم لا يتوبون إلا عند حضورِ الموت

---

(١) انظر « معاني القرآن » للزجاج (١/ ٤٣٩)

وقولُهُ : ﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ [آل عمران ٩١] ملْءُ الشيء : قدرُ ما يملؤُهُ ؛ يقال : مِلْءُ القدح ، وانتصب « ذهباً » على التفسير

قال الزجَّاجُ المعنىٰ لو قدَّمَ ملْءَ الأرضِ ذهباً يتقرَّبُ به إلى الله . . لم ينفعْهُ ذلك مع كفرِهِ ، ولو افتدىٰ من العذاب بملْءِ الأرض ذهباً . . لم يقبلْ منه)[١]

٣٩٨ـ أخبرَنا الشيخُ أبو العباس عمرُ بن عبد الله بن أحمدَ الأرغيانيُّ الفقيهُ بنيسابورَ قال حدثنا أبو الحسن عليُّ بن أحمدَ الواحديُّ النيسابوريُّ قال (قولُهُ تعالىٰ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ . . . ﴾ [آل عمران ٩٠] الآية ، قال الحسنُ وقتادة وعطاء الخراسانيُّ نزلَتْ في اليهود ؛ كفروا بعيسىٰ والإنجيل ، ثم ازدادوا كفراً بمحمدٍ والقرآنِ

وقال أبو العالية نزلَتْ في اليهودِ والنصارىٰ ؛ كفروا بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم بعد إيمانِهم بنعتِهِ وصفتِهِ ، ثم ازدادوا كفراً بإقامتِهم علىٰ كفرهم)[٢]

فهٰذه أقوالُ المعتبرينَ من الأئمة المفسرين ؛ أنَّها نزلَتْ في المرتدين الحيارىٰ ، أو في اليهود والنصارى ، الذين تابوا بعد الفوت ، عند حضورِ الموت ، فكيف يحتجُّ بها الأهوازيُّ في حقِّ معتقدٍ للإسلام ، ملتزمٍ لما وردَ فيه مِنَ الأحكام ، رجع عمَّا كان عليه اختياراً ، ولم يلجأْ إلى الرجوعِ عنه اضطراراً ؟! فتمسُّكُهُ بالآية غايةُ الجهل ، واحتجاجُهُ بها نهايةُ قلَّةِ العقلِ

وما تمسَّكَ به مِنَ الأخبار في أنَّ توبتَهُ لا تتقبلُ[٣] . . فمِنَ الأخبار التي

---

(١) انظر « التفسير الوسيط » للواحدي (١/ ٤٦١)
(٢) انظر « تفسير الطبري » (٦/ ٥٧٨) ، و« الدر المنثور » (٢/ ٢٥٨) .
(٣) انظرها (ص ٧٥٤)، وذلك كحديث : « إنَّ ٱللهَ حَجَرَ ٱلتوبةَ عن كُلِّ صاحبِ بدعةٍ » ، رواه=

لا تصحُ عند أرباب النقل ولا تقبل ، وهي متروكةٌ بإجماع أهل العلمِ ، فلا يَحتجُ بها إلا قليلُ الفهمِ

ـ وقولُهُ (إنَّ التوبةَ لا تصحُ مِنَ المبتدع حتىٰ يرجعَ عن بدعتِهِ ، ويرجعَ مَنِ ابتدعَ بابتداعه ووافقَهُ علىٰ عقيدته)[١]

فمِنْ أين علمَ أنَّ أحداً قال بالاعتزال تقليداً لأبي الحسن ، وذلك مذهبٌ كان قد انتشرَ في سالف الزمن ؟!

ولو سلَّمنا له ذلك مِنْ طريق الجدل ، وصحَّحنا قولَهُ علىٰ ما فيه مِن الخَطَلِ . . فكيف يمكنُهُ أن يقول : (إنَّ مَنْ أضلَّهُ أبو الحسن فابتدعَ ، لم يرجعْ إلىٰ مذهب أهل السنة حين اهتدىٰ هو ورجعَ) ؟! وهـٰذا ممَّا لا يَقدرُ أن يَدُلَّ عليه ، ولا يمكنُهُ بوجهٍ المصيرُ إليه

ـ وقولُهُ : (إنَّ اعتقادَ البدعة ما يُتابُ منه ، ولا يتصوَّرُ عنده الرجوعُ عنه ، ولا يعتقدُ البدعيُّ قطُّ أنَّه كان علىٰ باطلٍ)[٢]

فقولٌ لا يصدرُ مثلُهُ إلا عن رجلٍ جاهلٍ ، فلو كان اعتقادُ البدعةِ لا يُتابُ منه بحال . . كان دعاءُ أئمَّةِ أهل السنة إليها وحثُّهم على اجتناب البدع نوعَ

= البيهقي في « شعب الإيمان » (٩٠١٠) وما بعده من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه ، وقد حكم ابن عدي في « الكامل » (٧/ ٥٠٥) بنكارة متنه وسنده ، **وبعضُهم حمل ذلك على الاستبعاد** ، وذلك حقٌّ ؛ إذ قلَّما ترىٰ مبتدعاً رجع عن بدعته ، **اللهمَّ إلا أن يكون مخلِصاً في طلب الحقِّ ؛ يفتِّشُ عنه بجدٍّ وصدق** ، فالله عزَّ وجلَّ أرحمُ وأجلُّ من أن يترك مثله مع إخلاصه يتخبط بالأوهام ، ومن ذلك توبة الأجلاء الكرام

(١) وذلك قوله (ومن تاب من ذنبٍ يتعلَّق بغيره، يكون ذلك الذنب بدعةً اعتقدها غيره، أو ذنباً فعله غيره من أجله ، كان هو السببَ لذنبه . . لا يصحُّ منه توبة ، أو يتوب هو ويقلع غيره عن ذنبه الذي أذنبه من أجله ، **وإلا لا تصحُّ له توبة أبداً**) وانظر (ص ٧٥٥)

(٢) انظر (ص ٧٥٥)

محال[1] ؛ لأنَّهم دَعَوا إلىٰ شيءٍ غيرِ متصوَّرٍ ، وطمعوا في حصول أمرٍ متعذَّرٍ[2] ، وإنَّما لا يقولُ البدعيُّ (إنَّني كنتُ علىٰ باطلٍ) ما دام مبتدعاً[3] ، لا حين يفصحُ بالرجوع ويصيرُ للسنَّة متَّبِعاً ، وقد جاء عن نُعيمِ بن حمَّاد المروزيِّ ، ما يدلُّ علىٰ بطلان قولِ هٰذا المختزي ؛ وذلك فيما

٣٩٩ـ أخبرَنا أبو منصور محمدُ بن عبد الملك بن خيرونَ ، وأبو الحسن عليُّ بن الحسن بن سعيد ، قال محمدٌ : أخبرنا ، وقال عليٌّ حدثنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت قال أنبأنا محمدُ بن جعفرِ بن عَلاَّنَ ، أخبرنا مخلدُ بن جعفرٍ[4] ، حدثنا محمدُ بن جريرٍ الطبريُّ قال سمعتُ صالحَ بن مسمار يقول : سمعتُ نُعيمَ بن حمَّادٍ يقول **(أنا كنتُ جهميّاً ، فلذلك عرفتُ كلامَهم ، فلمَّا طلبتُ الحديثَ . . عرفتُ أنَّ أمرَهم يرجعُ إلى التعطيل)**[5]

[تصحيحُ نسبةِ كتابِ « الإبانةِ » للأشعريِّ ، واعتمادُهُ عندَ كلِّ محقِّقٍ سنِّيٍّ] :

ـ وما ذكره في معنىٰ كتاب « الإبانة »

فقولٌ بعيد من أقوال أهل الديانة ، كيف يصنِّفُ المسلمُ كتاباً يخلِّدُهُ ، وهو لا يقولُ بصحَّة ما فيه ولا يعتقدُهُ ؟!

وقولُهُ ـ لا أحسنَ اللهُ له رعاية ـ : (إنَّ أصحابَ الأشعريِّ جعلوا « الإبانة » مِنَ الحنابلة وقايةً)[6]

---

(١) في (ب ، ط) : (كان دعاء أهل السنة) دون (أئمة)

(٢) كذا بصيغة اسم المفعول ؛ مراعاة للسجعة ، ويقدر الجار والمجرور وجوباً بنحو : عليهم ، وهو من باب الحذف والإيصال

(٣) في (هـ ، ط) : (وإنما لا نقول للبدعي : أنتَ كنتَ . . .)

(٤) سقطت هٰذه الجملة من (هـ ، ط) .

(٥) انظر « تاريخ بغداد » (١٣/ ٣٠٨) ، و« تاريخ دمشق » (٦٢/ ١٦٤)

(٦) وذلك قوله : (وللأشعري ـ لعنه الله وأخزاه ـ كتابٌ في السنة ، قد جعلوه ـ كذا في المخطوط ـ أصحابُهُ وقاية لهم من أهل السنة ، يلْقَوْن به العوامَّ من أصحابنا ، سماه كتاب =

فمِنْ جُملةِ أقواله الفاسدة ، وتقوُّلاتِهِ المستبعدة الباردة ، بل هم يعتقدونَ ما فيها أشدَّ اعتقاد ، ويعتمدونَ عليها أشدَّ اعتماد[1] ؛ فإنَّهم بحمد الله ليسوا بمعتزلةٍ ، ولا نفاةٍ لصفاتِ الله معطِّلةٍ ، لـٰكنَّهم يثبتون له سبحانه ما أثبتَهُ لنفسه مِنَ الصفات ، ويصفونه بما اتَّصف به في محكم الآيات ، وبما وصفَهُ به نبيُّهُ صلى الله عليه وسلم في صحيح الروايات ، وينزهونَهُ عن سمات النقص والآفات .

[الصيرورةُ إلى التأويلِ عندَ أهلِ السنَّةِ للضَّرورة ؛ خوفاً مِن وقوعِ الجاهلِ في ظُلَمِ التشبيهِ]

فإذا وجدوا مَن يقولُ بالتجسيم أو التكييف مِنَ المجسِّمةِ والمشبِّهة ، وآنسوا مَن يصفُهُ بصفات المحدَثاتِ مِن القائلين بالحدود والجهة[2] . . فحينئذٍ يسلكون طريقَ التأويل ، ويثبتون تنزيهَهُ بأوضحِ الدليل ، ويبالغون في إثبات التقديس لله والتنزيه[3] ؛ خوفاً مِن وقوع مَن لا يعلمُ في ظُلَمِ التشبيه ، فإذا أمِنوا من ذلك . . رأوا أنَّ السكوتَ أسلمُ ، وتركَ الخوض في التأويل ـ إلا عند الحاجة ـ أحزمُ

وما مثالُهم في ذلك إلا مثلُ الطبيب الحاذق ، الذي يداوي كلَّ داءٍ من الأدواء بالدواءِ الموافق ، فإذا تحقَّقَ غلبةَ البرودة على المريض . . داواهُ بالأدوية الحارَّة ، ويعالجُهُ بالأدوية الباردةِ عند تيقُّنِهِ منه بغلبة الحرارة ،

= « الإبانة » ، صنعه ببغدادَ لمَّا دخلها ، فلم يقبل ذلك منه الحنابلة ، وهجروه) وانظر (ص٧٥٦)

(١) انظر ما تقدم حول كتاب « الإبانة » والنقل عنه (ص ٣٠٩) .

(٢) في (ط) : (ولقوا) بدل (وآنسوا) ، وآنَسَ شيئاً أبصرَهُ ونظرَ إليه ، ومنه : ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص : ٢٩] .

(٣) في (أ ، هـ ، و) : (التقديس له والتنزيه) .

وما هـٰذا في ضربِ المثال إلا كما روي عن سفيان (إذا كنتَ بالشام . . فحدِّثْ بفضائلِ عليٍّ رضي الله عنه ، وإذا كنتَ بالكوفةِ . . فحدِّثْ بفضائلِ عثمانَ رضي الله عنه)[1]

وما مثالُ المتأوِّلِ بالدليل الواضح ، إلا مثالُ الرجل السابح ؛ فإنَّه لا يحتاجُ إلى السباحة ما دام في البرِّ ، فإنِ اتَّفقَ له في بعض الأحايين ركوبُ البحر ، وعاينَ هولَهُ عند ارتجاجِهِ ، وشاهدَ منه تلاطمَ أمواجِهِ ، وعصفَتْ به الريحُ حتى انكسرَ الفُلْكُ ، وأحاطَ به إن لم يستعملِ السباحةَ الهُلْكُ[2] . . فحينئذٍ يسبحُ بجهدِهِ طلباً للنجاة ، ولا يلحقُهُ فيها تقصيرٌ حبّاً للحياة ؛ فكذلك الموحِّدُ ما دام سالكاً محجَّةَ التنزيه ، آمناً في عَقدِهِ مِن ركوب لُجَّة التشبيه ؛ فهو غيرُ محتاجٍ إلى الخوض في التأويل ؛ لسلامةِ عقيدته مِن الشُّبَهِ والأباطيل ، فأمَّا إذا تكدَّرَ صفاءُ عَقدِهِ بكدورة التكييف والتمثيل . . فلا بدَّ مِنْ تصفية قلبِهِ مِنَ الكدر بمصفاةِ التأويل ، وترويقِ ذهنِهِ براووقِ الدليل[3] ؛ لتسلمَ عقيدتُهُ مِن التشبيه والتعطيل .

[عودٌ للحديثِ عن كتابِ « الإبانةِ »] :

ولم يزلْ كتابُ « الإبانة » ، مستصوباً عند أهل الديانة .

٤٠٠ـ سمعتُ الشيخَ أبا بكر أحمدَ بن محمد بن إسماعيلَ ابن محمد ابن بشارٍ البشاريَّ البُوشَنْجِيَّ المعروفَ بالخَرْكِرْدِيِّ[4] الفقيهَ الزاهدَ يحكي عن

---

(١) انظر « حلية الأولياء » (٧/ ٢٦) ، وسفيان هنا : هو الثوري رحمه الله تعالىٰ

(٢) الهُلْك : الاسم من الهلاك .

(٣) الترويقُ : التصفية ، والراووقُ : المصفاة ، أو الإناء المتخذ لتصفية الشراب من الكدر .

(٤) ويقال أيضاً : (الخرجردي) كما في « التحبير » (٢/ ٤٤٢) للإمام السمعاني وغيره من كتب الترجمات ، وهي نسبة إلىٰ خرجرد من بوشنج هراة

بعضِ شيوخه أنَّ الإمامَ أبا عثمانَ إسماعيلَ بن عبد الرحمٰن بن أحمدَ الصابونيَّ النيسابوريَّ قلَّما كان يخرجُ إلىٰ مجلسِ درسِهِ إلا وبيدِهِ كتابُ « الإبانة » لأبي الحسن الأشعريِّ ، ويظهرُ الإعجابَ به ، ويقول ماذا الذي يُنكرُ علىٰ من هٰذا الكتابُ شرحُ مذهبه ؟!

فهٰذا قولُ الإمام أبي عثمان ؛ وهو مِن أعيانِ أهل الأثرِ بخراسانَ

ـ وقولُ الأهوازيِّ (إنَّ الحنابلةَ لم يقبلوا منه ما أظهرَهُ في كتاب « الإبانة » وهجروه)[1] :

فلو كان الأمرُ كما قال . . لنقلوه عن أشياخِهم وأظهروه ، ولم أزلْ أسمعُ ممَّن يُوثقَ به أنَّه كان صديقاً للتَّميميِّينَ[2] ؛ سلفِ أبي محمدٍ رزقِ الله بنِ عبد الوهَّاب بن عبد العزيز بن الحارث وكانوا له مكرمين ، وقد ظهرَ أثرُ بركة تلك الصُّحبة علىٰ أعقابِهم ، حتىٰ نُسبَ إلىٰ مذهبِهِ أبو الخطَّابِ الكلوذانيُّ مِنْ أصحابهم[3] ، وهٰذا تلميذُ أبي الخطاب أحمدُ الحربيُّ ، يخبرُ بصحَّة ما ذكرتُهُ وينبي ، وكذلك كان بينَهم وبين صاحبِهِ أبي عبد الله بن مجاهد وصاحبِ صاحبِهِ أبي بكر بن الطَّيِّب ؛ مِنَ المواصلة والمؤاكلةِ ما يدلُّ علىٰ كثرةِ الاختلاق مِنَ الأهوازيِّ والتَّكَذُّبِ[4] ، وقد

٤٠١ـ أخبرَني الشيخُ أبو الفضل بن أبي سعد البزازُ ، عن أبي محمد رزقِ الله بن عبد الوهَّاب بن عبد العزيز التميميِّ الحنبليِّ قال : سألتُ الشريفَ

---

(١) انظر (ص ٧٥٦) .
(٢) انظر الخبر المتقدم برقم (٢٤١) حول هٰذا
(٣) وأبو الخطَّابِ هو محفوظُ بن أحمد الكلوذانيُّ الأزجيُّ ، شيخُ الحنابلة ورأسهم في عصره ، قال فيه الحافظ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٣٥/ ٢٥٢) : (كان مفتياً صالحاً ، ورعاً ديِّناً ، وافرَ العقل ، خبيراً بالمذهب ، مصنِّفاً فيه ، حسن العشرة والمجالسة) .
(٤) التَّكَذُّب : تكلُّفُ الكذب ، والتَّزعُّم أيضاً .

أبا عليٍّ محمدَ بن أحمدَ بن أبي موسى الهاشميَّ فقال حضرتُ دارَ شيخِنا أبي الحسن عبدِ العزيز بن الحارث التميميِّ سنة سبعين وثلاثِ مئة في دعوة عملَها لأصحابه ، حضرَها أبو بكر الأبهريُّ شيخُ المالكيين ، وأبو القاسم الدارَكيُّ شيخُ الشافعيين ، وأبو الحسن طاهرُ بن الحسن شيخُ أصحاب الحديث ، وأبو الحسين بن سمعونَ شيخُ الوعَّاظ والزهَّاد ، وأبو عبد الله بنُ مجاهدٍ شيخُ المتكلمين ، وصاحبُهُ أبو بكر بن الباقلانيِّ . . في دار شيخنا أبي الحسن التميميِّ شيخِ الحنابلة

قال أبو عليٍّ : لو سقطَ السقفُ عليهم . . لم يبقَ بالعراق مَن يفتي في حادثةٍ يُشبهُ واحداً منهم(١)

وحكاياتُ الأهوازيِّ عن البَربَهاريِّ(٢) ، ممَّا يقعُ في صحَّتِهِ التماري ، وأدلُّ

---

(١) ورواه ابن القيسراني في « السماع » (ص ٤٧) بنحوه هنا
وجاء في هامش (هـ) حاشية : (ذكرَ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسيُّ في كتاب « السماع » [ص ٤٧] تصنيفهِ . . هـٰذه الحكايةَ ، قال بعد قوله : « يشبه واحداً منهم » « ومعهم أبو عبد الله غلامُ بابا ، وكان يقرأُ القرآن بصوتٍ حسن ، وربَّما قال شيئاً ، فقيل له : قُلْ لنا ، فقال وهم يسمعون : [من البسيط]

خَطَّتْ أَنَامِلُهَا فِي بَطْنِ قِرْطَاسِ ... رِسَالَةً بِعَبِيرٍ لاَ بِأَنْفَاسِ
أَنْ زُرْ فَدَيْتُكَ لِي مِنْ غَيْرِ مُحْتَشَمٍ ... فَإِنَّ حُبَّكَ لِي قَدْ ضَاعَ فِي ٱلنَّاسِ
فَكَانَ قَوْلِي لِمَنْ أَدَّىٰ رِسَالَتَهَا ... قِفِي لِأَمْشِي عَلَى ٱلْعَيْنَيْنِ وَٱلرَّاسِ

قال أبو علي فبعد أن رأيت هـٰذا لا يمكنني أن أفتيَ في هـٰذه المسألةِ بحظرٍ ولا إباحة »)

(٢) علَّق العلامة الكوثريُّ رحمه الله تعالىٰ (وهي ما يحكيه ابن أبي يعلىٰ في « طبقاته » [١٨/٢] بطريق الأهوازي حيث قال : قرأت علىٰ علي القُومسي ، عن الحسن الأهوازيِّ ، سمعتُ أبا عبد الله الحمراني يقول : لما دخلَ الأشعريُّ بغدادَ جاء إلى البَربَهَاري ، فجعل يقول : رددتُ على الجُبَّائي ، وعلىٰ أبي هاشمٍ ، ونقضتُ عليهم ، وعلى اليهود والنصارىٰ والمجوس ، وقلتُ وقالوا ، وأكثر الكلامَ ، فلمَّا سكتَ . . قال البَربَهاريُّ : وما أدري ممَّا=

دليلِ على بطلانِهِ قولُهُ : (إنَّهُ لم يظهرْ ببغداد إلىٰ أن خرجَ منها) ! وهو بعدَ إذ صارَ إليها لم يفارقْهَا ولا رحلَ عنها ؛ فإنَّ بها كانَتْ منيَّتُهُ ، وفيها قبرُهُ وتربتُهُ ، ولا يدعي أنَّه لم يظهرْ بها إلا مثلُ هـٰذا المختزي ، وقد تقدَّمَ ذكرُ جلوسه في حلقةِ أبي إسحاقَ المروزيِّ ، وأنَّه كان يحضرُها في أيام الجُمعِ بالجانب الغربيِّ في جامع المنصور[1] ، والجُمَعُ أكثرُ الأيام جَمْعاً في أعظمِ الجوامع بها في حَلْقة ذلك الإمامِ المشهور ، وقد :

٤٠٢ـ أخبرَنا الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيمَ بن العباس الحسينيُّ ، وأبو الحسن عليُّ بن أحمدَ بن منصورِ الغسانيُّ قالا : حدثنا، وأبو منصور عبدُ الرحمـٰن بن محمدِ الشيبانيُّ قال أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت الحافظُ ، أخبرني عليُّ بن المحسِّن القاضي ، حدثنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن أحمدَ المُعدَّلُ قال سمعتُ أبا جعفر محمدَ بن محمد بن أحمدَ بن عبد الله المقرئ يقول : قال لي أحمد بن محمد بن يوسفَ الأصبهانيُّ وهو ابنُ أختي : رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقلتُ يا رسولَ الله ؛ عمَّن آخذُ القرآنَ ؟ فقال : عن أبي بكر بن الأنباريِّ ، فقلتُ : فالفقهَ ؟ قال : عن أبي إسحاقَ المروزيِّ[2]

ولئن صحَّحَ حكايةَ البرَبهاريِّ[3] وقال بثبوتها . فلقد نعتَهُ وطائفتَهُ بالجهلِ

= قلتَ لا قليلاً ولا كثيراً ، ولا نعرفُ إلا ما قاله أبو عبد الله أحمدُ بن حنبل ، قال : فخرج من عنده وصنف كتاب « الإبانة » ، فلم يقبلْهُ منه ، ولم يظهر ببغدادَ إلىٰ أن خرج منها . انتهىٰ

وابن أبي يعلىٰ هـٰذا : هو القاضي أبو الحسين بن الفراء ، ممن يجري مجرى الأهوازي في البدع والأهواء) انتهىٰ .

(١) انظر الخبر المتقدم برقم (١١) والتعليق عليه

(٢) ورواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/ ٤٠١) ، وفيه بدل (القرآن) : (علم القرآن) .

(٣) علَّق العلامة الكوثريُّ رحمه الله تعالىٰ (هو أبو محمد الحسنُ بن علي بن خلف البَربَهاريُّ ، كان أكبرَ أصحاب أبي بكر المروزي ، وخليفته في القول بأن المقام المحمود=

= هو أن يُقعِدَ اللهُ رسولَهُ معه على العرش ! وروى القاضي أبو الحسين بن أبي يعلىٰ بسنده [٤٣/٢] : أنه ما كان يجلسُ مجلساً إلا ويذكرُ فيه أن الله عزَّ وجلَّ يُقعِدُ محمداً صلى الله عليه وسلم معه على العرش ! تعالى الله عمَّا يقول المجسمة علواً كبيراً

وكم أثار الفتن ببغدادَ عاصمة الخلافة وراء هٰذه البدعة السخيفة والدعوة إليها !وكان إذا مرَّ بشارعِ قصر الخلافة واتَّفق أن يعطس . . جاوبه أصحابه من غوغاء العامة وأوباشها بالتشميت بأصواتٍ تصمُّ الآذان وتملأ الفضاء ! بحيث ينزعجُ منها أمير المؤمنين في أقصىٰ غرفة من قصره ، كما يستفاد من ترجمته في « طبقات ابن الفراء » [١٨/٢]

وأعظم فِتَنِهِ ببغدادَ: سنة « ٣١٧ هـ » عامَ اقتلاع القرامطة الحجر الأسود من الكعبة المعظَّمة ، وسنة « ٣٢١ هـ » ، وعام « ٣٢٣ هـ » ، وقد عِيلَ صبرُ الخليفة الراضي ، وأصدر أمره في شأنه وطائفته بالتشدُّد عليهم ، حتى اختفى البربَهاري ، ومات وهو مختفٍ سنة « ٣٢٩ هـ » ، وكم يروون له من الكرامات في « طبقاتهم » ! وتغلُّبُ مثل هٰذا الرجل علىٰ عقول العامة كلَّما تكرَّر في مثل بغداد . . لا بدَّ وأن تعمَّ الفوضىٰ ، ويُستهانَ جانبُ الخليفة ، فاستُضعفَ الخلفاءُ ، فتغلَّبَ متغلِّبون عليهم منذ أخذوا في تقريب مثله من عهد المتوكل إلىٰ آخرِ عهدهم

وإمامُ السنة أبو الحسن الأشعري لمَّا رأىٰ ما أحدقَ بالإسلام مِنَ الأخطار من شرار المبتدعة . . جاهدَ معتزلة البصرة ومشبهتها فقمعهم ، **ثم دخل بغداد وسعىٰ بكلِّ حكمةٍ أن يتدرَّجَ بمتقشِّفة الحشوية إلىٰ معتقد السنة بكتاب « الإبانة » الذي أَلَّفَهُ أوَّلَ ما دخل بغداد ، وليس هو آخرَ مؤلَّفاته كما يلهجُ به متأخِّرو الحشوية** ، وثبتَ في جهاده ثباتَ المخلصين ، حتىٰ وفَّقَهُ الله لجمْعِ كلمةِ المسلمين .

وممَّا يذيبُ قلوبَ الغيورين علىٰ هٰذا الدين الحنيف دينِ الفطرة : **أن يروا دوامَ هٰذه النحلةِ الرديئة مدى الدهر** ، وليس بغريب مِنْ مثل البَربَهاري في بُعدِهِ عن العلم هٰذه البدعةُ ، وإنما الغريب أن يذكرَ مثلُ ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » في صفحة « ٣٩ » من الجزء الرابع منه : أن المرادَ بالمقام المحمود إقعادُ الرسول على العرش ، وأن يسردَ جماعةً من الحشوية ـ خلا من لم يثبت ذلك عنهم ـ ذهبوا إلىٰ ذلك بطريقة قد تنطلي على الضعفاء في العلم .

والأغربُ من هٰذا وذاك : أن يرفعَ دعاةُ الإصلاح العصري عقيرتَهم بالدعوة إلىٰ تقلُّد مذهبِ مَن يكون بهٰذه السخافة في بداهة العقول ، والإعلان عنه وعن شيخه ـ الذي يقول فيما ردَّ به علىٰ « أساس التقديس » [طُبع باسمه الأصيل : « تأسيس التقديس »] للرازي عند الكلام في الاستواء [« تلبيس الجهمية » « ٢٤٣/٣ » نقلاً وتقريراً] : « ولو شاء . . لاستقرَّ علىٰ ظهر =

وهو أخصُّ نعوتِهَا[1] ؛ هل يَرُدُّ على اليهودِ والنصارىٰ والمجوسِ ، بقولِ أحمدَ إلا ذو اللبِّ المعكوسِ ؟! وإن زعمَ أنَّ مجادلةَ أهل الكتاب ممَّا لا يُجَوَّزُ ولا يُستحسنُ . . فقد قال الله تعالىٰ ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت ٤٦] ، وهو ما ذكره أبو الحسن مِنَ الحُجَجِ وشرحَهُ ، وبيَّنَهُ لِمَنْ أراد سلوكَ طريقِهِ فيه وأوضحَهُ ، ولو احتجَّ محتجٌّ علىٰ مخالفي الملَّةِ ، بمنصوصات أحمدَ بن حنبلٍ . . لم يصحَّ له إيضاحُ الأدلَّة[2]

ـ وأما قولُهُ في مسألة الإيمان[3] :

= بعوضة فاستقلَّتْ به بقدرته ، فكيف علىٰ عرش عظيم ؟!» ـ : أنَّهما أكبرُ مصلحٍ تتطلَّبُهُ حاجة العصر ! فإن كان هـٰذا هو الإصلاح . . فعلى الإسلام السلام ، وليستغرقْ شيوخُ السنة في سباتهم العميق ، والتغاضي عمَّا يتطوَّرُ مِنَ البدع حتىٰ ينفذَ القضاء ؛ لئلا يروا ما يسجلُ لهم التاريخ ، وإلى الله المشتكىٰ ، وإن إلىٰ ربك الرجعى) انتهىٰ .

(١) يعني لازمُ قوله بتصحيح هـٰذه الحكاية : رَمْيُ البربهاريِّ بالجهل والعَماية ؛ وبيانه ـ كما سيأتي ـ : أن لا حجةَ بقول أحمد على النصارىٰ واليهود ، فكيف يقول البربهاري : لا نعرفُ إلا ما قاله أبو عبد الله أحمدُ بن حنبل ؟! فإن منعَ من مجادلتهم . . فقد ردَّ أمْرَ الله تعالىٰ بها ، وأي دعوىٰ عريضة بحصر الديانة أصولاً وفروعاً بأقوال الإمام أحمد ؟! هـٰذا ما لو سمع به الإمام أحمد . . لقرَّع قائله بغير مِرْية

(٢) جاء في هامش (هـ) حاشية (مات البربهاري هـٰذا مستتراً ، وذلك أن ثابت بن سنان [المتوفىٰ سنة « ٣٦٣ هـ »] ذكر في « تاريخه » أن يوم السبت لعشر خلون من جُمادى الآخرة ركبَ بدرٌ صاحب الشرطة ، ونادىٰ في جانبي بغداد في أصحاب البربهاري الحنابلة : لا يجتمع منهم نفسان في موضع واحد ، وحبسَ جماعةً منهم ، واستتر البربهاريُّ ، ووقع الراضي الجليل إلى الجماعة توقيعه « . . . » [في « الكامل في التاريخ » « ٧/ ٤٠ » : « خرج توقيع الراضي بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم ، ويوبِّخُهم باعتقاد التشبيه وغيره » ، وذكر ما يفيد :] نهيهم عن اعتقادهم الفاسد ، وتهديدهم بالسيف إن لم يرجعوا عن ذلك) ، وانظر « تجارب الأمم » لمسكويه (٥/ ٤١٤) .

(٣) وذلك قوله (وله مسألة في أن الإيمان غيرُ مخلوق ، كنت أحسب أنَّها منحولةٌ إليه ، إلىٰ أن قال لي أبو الحسن ابن أبي المعتمر وقعتْ إليَّ وأنا بالرقَّة ، فتعجبتُ منها ، وأخذتها وانحدرت إلىٰ بغداد من أجلها لا غير ، وجئت إلى ابن الباقلاني ، فأريته إياها وقلت له : =

فمِنْ جنسِ ما تقدَّمَ منه من البهتان ؛ فأبو الحسن لا يقولُ بقدَمِ الإيمان على الإطلاق ، وإنَّما يقول بقدَمِ صفات العليم الخلاق ؛ فمِنْ أسمائه التي سمَّىٰ بها نفسه المؤمنُ ، قال سبحانه ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر : ٢٣] ، فقيل إنَّه مشتقٌّ من الإيمان ، وقيل بل هو مأخوذٌ من الأمان

فمَن قال : إنَّه اشتقَّ مِنَ الإيمان . . فلأنَّه صدَّقَ نفسَهُ فقال : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء ١٢٢] ، ومَن قال : إنَّه مأخوذٌ من الأمان . . فلأنَّه أمَّنَ أولياءَهُ مِن ظلمِهِ فلا يظلمُهم فتيلاً[1]

فأبو الحسن نفى الخلْقَ عن الإيمان الذي هو صفةٌ من صفات الرحمـٰن ، فأمَّا الإيمانُ الذي هو صفةُ الإنسان . . فالقولُ بقدَمِهِ عينُ البهتان ، وكيف يكون الإنسانُ مُحدَثاً وصفتُهُ قديمة ؟! وهل يَتصوَّرُ ذلك إلا مَنْ مُسِخَ بعدَ الإنسانيَّة بهيمةً ؟!

وقد وقفتُ على هـٰذه المسألةِ مِنْ تصنيفِ أبي الحسن ، فوجدتُ استدلالَهُ فيها يدلُّ على هـٰذا التفصيل الحسن

ـ وأمَّا قولُهُ : (إنَّه قد ثبتَ وصحَّ بنقل الفضلاء : أنَّه كان لا دينَ له)[2] :

فغيرُ صحيحٍ عند العلماء به والعقلاء ، فعند مَن صحَّ ذلك ؟! أعند أمثالِهِ مِن السالميَّة ؟! أم صدَّقَ فيه أقوالَ أعدائه من المعتزلة والجهمية ؟! فإن أرادَ أنَّه

= ما هـٰذا ؟! فقال لي : هـٰذا صحيحٌ عنه ، هو صنَّفَها يتَّقي بها الحنابلة ببغداد) وانظر (ص ٧٥٨) ، وأراد القول بقدم إيمان العبد ، وهو باعتباره فعلَ العبدِ لا شكَّ في حدوثه ، وسيأتي بيان المسألة .

(١) انظر « اشتقاق أسماء الله » للإمام أبي القاسم الزجاجي (ص ٢٢١)

(٢) وذلك قوله : (وقد ثبت عنه بنقل الفضلاء : أنه كان لا دينَ له ، وأنه كان يتهاون بالشريعة ، ويركب الفواحشَ ، ويتركَ المفروضات) وانظر (ص ٧٥٩) .

قد صحَّ عنده . . فإنَّه ـ بحمدِ الله ـ لا عندَ لهُ ، وكيف يُصدَّقُ مثلُهُ عليه وقد بَيَّنتُ سوءَ اعتقادِهِ وخَطلَهُ ؟ ![1]

ـ وأمَّا حكايتُهُ عن أبي الحسن الشاهدِ بالأهواز[2]

فعن مجهولٍ لم يعرفْ بالتيقُّظ والاحتراز[3] ، ومقالتُهُ خارجةٌ عن حدِّ الاعتدال ، تنبئُ عنه أنَّه كان من القائلين بالاعتزال ؛ لأنَّه جعل الخروجَ عن مذهب أهل الاعتزال إلحاداً ، وكفى بهـٰذا القدْرِ مِن قولِهِ فساداً

ـ فأمَّا تشبيهُهُ أبا الحسن بابنِ الرونديِّ[4]

فإنَّه فيه غيرُ مصيب عندي ، فقد ذكرتُ تسميةَ ما نقضَ عليه أبو الحسن من تواليفه[5] ، وبيَّنَ مِن فساد أقوالِهِ في كُتبِهِ وتصانيفه[6] ، فكيف يقرنُ بينَهما في

---

(١) في (ط) : (تبيَّنتَ) بدل (بينت) ، وانظر ما تقدم في اعتقاد الأهوازي (ص ٤٦) .

(٢) في (و) : (الشاهد له بالأهواز) وانظر (ص ٧٥٢)

(٣) في(ط) : (إلا بالسقط والاحتراز)

(٤) كذا في النسخ ، ويقال أيضاً ابن الراوندي ، وهو أحمد بن يحيى بن إسحاق ، قال الحافظ البغدادي في « تاريخ بغداد » (٥٧/٢١) : (كان من متكلمي المعتزلة ، ثم فارقهم وصار ملحداً) ، وأراد المصنف قول المفتري الأهوازي : (سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد الشاهد بالأهواز يقول رجلان كانا من المعتزلة خرجا عن المذهب فألحدا ؛ ابن الراوندي ، والأشعري) ، وانظر (ص ٧٥٧)

(٥) فلابن الراوندي كتابٌ اسمه « التاج » ، نقضه الإمام الأشعريُّ ونقض غيرَهُ من كتبه وأقواله ، وانظر في ذلك ما تقدم (ص ٢٧٩) ، وبونٌ بعيدٌ بين الكلامين ؛ فـ « تاجُهُ » هـٰذا ـ كما قال المعرِّي في « رسالة الغفران » ـ لا يصلحُ أن يكون نَعْلاً ، وهل « تاجُهُ » إلا كما قالت الكاهنة : أفٌّ وتُفٌّ ، وجوربٌ وخفٌّ ؟! قيل وما جوربٌ وخفٌّ ؟ قالت : واديان بجهنم ! فكذبَ فيه كما كذبَتْ فيهما
وعلىٰ ذكْرِ المعريِّ : فاعلم : أنه قد خلَّطَ في الأشعريِّ ، فاشتبهَ عليه أمرُهُ ، ففاهَ بحقِّهِ بما لا يُستباحُ ذكْرُهُ ، أو كان عقلُهُ دون لسانِهِ ، فلم يكُ علمُهُ علىٰ قدر بَيانِهِ .

(٦) في (ب ، ط) : (من كتبه) بدل (في كتبه) .

الإلحاد ، مع ما كان بينَهما مِن الخلاف والعناد ؟!

ـ وأمَّا حكايتُهُ عن أخيه أحمدَ بنِ عليٍّ الأهوازيِّ في بُويلَةِ العيدِ ، وأنَّه لم يُصَلِّ عشرينَ سنةً[1]

فمِنَ الكذب المستنكَرِ البعيد[2] ؛ فمَن يعرِّفُ بالعدالةِ أخاهُ ؟! ومَن ذا

---

(١) وذلك قوله ـ وهو من أعظم افتراءاته ـ : (سمعتُ أخي أبا الحسن أحمد بن علي يقول سمعت القاضي ابن صخر يقول : سمعت عمي أبا محمد ابن صخر يقول : عرفت أبا الفضل ابن البقال يقول سمعت أبا علي ابن جامع وأكرم به يقول : صحبتُ الأشعريَّ عشرين سنة ، ما رأيته مصلياً قطُّ ، ولقد صحبته في يوم عيد إلى المصلىٰ بالبصرة ، فلمَّا بلغنا إلى الخراب . . دخل وبالَ ، وخرجَ ولم يمسَّ يده ! فقلت أما تأخذُ لك ما تتوضَّأُ به ؟! والطريقُ كلُّه ما يخلو من قوم معهم ماء أو بارد ، فقال لي لا ، بُوَيْلَةُ العيدِ لا بدَّ منها ! فلمَّا وصلنا إلى المصلَّىٰ . . صلَّىٰ علىٰ غير وضوء ! قال أبو علي ابن جامع : فلمَّا رجعتُ . . تركتُهُ وحرَّقْتُ جميعَ ما كتبتُهُ عنه ، ولم أرجعْ إليه ، ولزمتُ غيره ، وهـٰذا أبو علي ابن جامع من فضلاء أهل البصرة) وانظر (ص ٢٥٩)

(٢) علَّق العلامة الكوثريُّ رحمه الله تعالىٰ : (وإياك ثم إياك أيُّها المسلمُ الغيور المحتاط لدينه ؛ أن تنخدعَ بما يختلقُ أمثالُهُ في شأن الأئمَّة الذين جاهدوا بكلِّ ممكن لإبداء عَوار نِحَلِ هـٰؤلاء ، وهم يتبرَّعون بكلِّ إفكٍ في حقِّهم ؛ ليسقطوه من أعين العامة حين ضاقت حجَّتُهم ، وأنت ترىٰ نماذجَ لذلك في كتب السجزيِّينَ الأجلاف ، خلفاء ابن كرَّام السجزي وأذنابهم ، الذين حرمهم الله العقلَ والتوفيق ، علىٰ تقشُّفهم الباعث إلى افتتان العوامِّ بهم إلىٰ حين ، بل في كتب الجرح ترىٰ ما يرتكزُ علىٰ مختلقات هـٰؤلاء التي يكون معها في الغالب ما ينقضُها عند أهل البصيرة ، ومن أبذئهم لساناً وأسوئهم اختلاقاً في حقِّ الأئمة ابنُ متٍّ ؛ ذاك الهرويُّ صاحب « ذم الكلام » .

ثم إيَّاك وإيَّاك أن تعوِّلَ علىٰ تراجم هـٰؤلاء الفاتنين المفتونين في كتب أشباههم في الزيغ ، وأشكالهم في الجهل المكعب ، حتىٰ تعرفَ الدَّغَل في معتقدهم ، وبعض طوائف الهنود أصبحوا أضرَّ على الإسلام من اليهود ، بنشرِ سخائم هـٰؤلاء ، وإذاعة تلك الأهواء ، كأن واعظَ الله انسحبَ من صدورهم ، حتىٰ ملؤوا الفضاء بشرورهم ، لا لهم دينٌ يزعُهم ، ولا عقلٌ يردعُهم ، يسعون في تفرقةِ كلمة المسلمين بمذاهبَ يخلقونها ، وبدعٍ مطمورة يحيونها حيناً بعد حين ، منهم من لا يقرُّ إلا بالقرآن ، ومنهم من لا يعترفُ إلا بالحديث ، ومنهم نفاةُ الإجماع ، ومنهم منكرو القياس ، وهلمَّ جرّاً ، لا تنتهي وساوسُهم عند حدٍّ =

يصدِّقُهُ فيما ذكرَهُ أو حكاه ؟! وقد تقدَّمَ في باب ذكر اجتهادِهِ في العبادة ما يكذِّبُهُ وإيَّاه[1] ، ويوضِّحُ أنَّ أحدَهما اختلقَ ذلك عليه وافتراه ، وكيف يَتركُ إنسانٌ الصلاةَ هـٰذه المدَّةَ الطويلة في مثل ذلك الزمانِ ولا يقتلُ ؟! أم كيف يُعرفُ ذاكَ مِن حال رجلٍ ثم لا يستفيضُ عنه وينقل ؟! وأيُّ معنىً في تخصيصِهِ بُويلةَ العيدِ بأنَّها لا تؤثِّرُ في انتقاضِ الوُضُوءِ ؟! فقد ظهرَ أنَّ الحاملَ له على التشنيعِ عليه بمثلِ هـٰذا فرطُ الغلُوِّ

ـ وأمَّا ما حكاهُ عن ابن الصُّعلُوكيِّ عن أبيه[2]

فممَّا يُقطعُ بأنَّ الأهوازيَّ كذَبَ فيه ، وأخطأَ في تسميتِهِ الصُّعلُوكيَّ فلم يدرِ كيف يسمِّيه ، وهو الإمام ابنُ الإمام ، والفقيهُ ابن الفقيه ، كان أبو الطيِّب سهلُ بن محمد بن سليمانَ ، وأبوهُ الإمامُ أبو سهلٍ الصُّعلُوكيَّانِ ، وختنُهُما القاضي أبو عمرَ محمدُ بن الحسين[3] . . أشدَّ أهل خراسانَ نُصرةً للمذهبينِ ؛ مذهبِ الشافعيِّ ومذهبِ الأشعريِّ ، فكيف خفيَ مثلُ هـٰذا علىٰ هـٰذا الأبلَهِ

= يفترض ، اختاروا أن يؤمنوا ببعضٍ ويكفروا ببعضٍ ، وأَبَوا أن يدخلوا في السِّلْم كافَّة ، وسئموا أن يبقوا مسلمين حنفاء ، وهـٰكذا أخذ الغريبُ بناصيتهم ، فاستاقَهم حيث شاء ، وإذا رأيتَهم يهتمون بشيء من شؤون المسلمين خارج قطرهم . . فاعلم أنَّ هـٰذا الاهتمام شؤمٌ علىٰ هـٰذا الشأن الهامِّ ، لا ساساتُهم ساسة ، ولا علماؤُهم علماء ، يتوالىٰ منهم على المسلمين البلاء ، لا ينتظرُ منهم أن يرجعوا إلىٰ رشدهم إلا إذا تداركهم اللهُ بفضله ، وإليه عاقبةُ الأمر كلِّه) انتهىٰ .

(١) انظر ما تقدم (ص ٢٩٤)

(٢) وذلك افتراؤه الذي أسنده عن الإمام أبي سهل الصعلوكي أنه قال : (كنت ربما أختلفُ إلى الأشعريِّ فأكتب عنه شيئاً ، قال : فجئته في يوم جمعة وقد صلينا العصر ، فرأيته من شقِّ الباب وهو يبولُ ، فلمَّا فرغ مِن بوله . . دخلت عليه ، فقال لي : صليتم العصر ؟ قلت نعم ، ثم قام فصلَّىٰ ولم يتوضأ ! فخرجت من عنده وحرقت جميعَ ما كتبته عنه ، ولم أرجع إليه) وانظر (ص ٧٥٨) .

(٣) انظر ترجمتهم (ص ٣٥٨ ، ٤٠٨ ، ٤٤٧) .

المفتري ؟! فإنَّ هـٰؤلاء الثلاثةَ كانوا في زمانهم القائمينَ بالدعاء إلىٰ مذهبِ الأشعريِّ ونصرتِهِ ، ولا يحتاجُ هـٰذا القولُ إلىٰ أن أَدُلَّ عليه لشهرتِهِ ، فلو كان ما حكاهُ عنهما صحيحاً . لكان انتسابُهما إلىٰ مذهبِهِ منهما قبيحاً ، وكيف يعتقدُ إنسانٌ تفضيل إمامٍ أو يقولُ بإمامته ، وهو متحقِّقٌ منه ما يقضي بانسلاخِهِ من ديانته ؟! وقد ذكرتُ مدحَ أبي سهلٍ الصعلوكي للأشعريِّ فيما سبق[1] ، فبانَ كذبُ الأهوازيِّ فيما تخرَّصَ واختَلق .

ـ وأمَّا قولُهُ : (إنَّه أقامَ بالبصرة لا يختلفُ إليه أحدٌ من أهل العلم ؛ لأنَّه ليس هو مِن أهلِ العلم)[2] :

فقولٌ حملَهُ عليه رقَّةُ الدين وقلَّةُ الحياء وعدمُ الفهم ، وهل يُنكِرُ علْمَ أبي الحسن رحمه الله بَشَرٌ ، وذكرُهُ بالعلمِ بين العلماء الفهماء منتشرٌ ؟!

ـ وقولُهُ : (إنَّه لم يكن له مِنَ الأصحابِ إلا أربعةٌ)[3] :

فقولٌ يُنكرُهُ مِنَ العلماء مَنْ سمعَهُ ، بل قد صحبَهُ جماعةٌ أعلامٌ ، كلٌّ منهم في فنِّهِ إمامٌ ، تفرَّقوا في الأقطار ، وعلَّموا أهلَ الأمصار ، وكانوا للخَلْقِ هُداةً ، وإلى الحقِّ دُعاةً ، وعند التعليم وُعاةً ، ولِمَا يؤدِّي إلى الباطلِ نُفاةً ، فاستبصرَ بتبصيرِهم الجمُّ الغفيرُ ، واهتدىٰ بهداهُم الخَلْقُ الكثيرُ ، وقد تقدَّمَ ذكرُ جماعةٍ مِن مذكوريهم ، وشرحُ أحوالِ الفضلاء مِن مشهورِيهم[4] ، بما فيه غُنيةٌ في تكذيبِ الأهوازيِّ فيما أتىٰ به ، وإظهارِ جهْلِهِ وقلَّة معرفتِهِ بالأشعريِّ وأصحابه

---

(١) انظر (ص ١٥٦ ، ٢١٨) .
(٢) انظر (ص ٧٥٩) .
(٣) انظر (ص ٧٥٨) ، وهم بزعمه : ابن عينون الضرَّاب ، والقلانسي ، وعبد العزيز الملقب بدُمَّل ، وابن مجاهد .
(٤) وهم الذين اشتملَتْ عليهم الطبقةُ الأولىٰ من طبقات الأشاعرة ، المفتتحةُ (ص ٣٤٣) .

ـ ومِن جملة أقوالِ الأهوازيِّ المختلَقاتِ الفِرْيَاتِ . . قولُهُ : (إنَّ ابنَ عينونَ الضرَّابَ لم يُظهرْ ببغداد شيئاً مِنَ الكفريات)[1]

فهل في اعتقادِ الأشعريِّ كفرياتٌ كتمَها ابنُ عينونَ ، وأظهرَها غيرُهُ مِن أصحابِهِ فتمسَّكَ بها الطاعنون ؟!

ما اعتقادُ ابنِ عينونَ وغيرِهِ مِن الأشعريَّةِ ، إلا أبعدُ اعتقادٍ مِنَ المسائل الكفريَّةِ ، وهم المتمسِّكون بالكتاب والسنَّة ، التاركون للأسبابِ الجالبة للفتنة ، الصابرونَ على دينِهم عند الاختبارِ والمحنة ، الظاهرون على عدوِّهم مع اطِّراح الانتصار والإحنة ، لا يتركون التمسكَ بالقرآن والحُججِ الأثرية ، ولا يسلكون في المعقولات مسالكَ المعطِّلة القدريَّةِ ؛ **لـٰكنَّهم يَجمعون في مسائل الأصول ، بين الأدلَّةِ السمعيَّة وبراهينِ العقول** ، ويتجنَّبون إفراطَ المعتزلة ، ويتنكَّبون طُرُقَ المعطِّلة ، ويطرحون تفريطَ المجسِّمة المشبِّهة ، ويفضحون بالبراهينِ عقائدَ الفِرَقِ المموِّهة ، وينكرون مذاهبَ الجهميَّة ، وينفرون عن الكرَّاميَّةِ والسالميَّةِ ، ويبطلون مقالاتِ القدريَّة ، ويرذِلون شُبَهَ الجبرية ، ويتبرَّؤون مِنَ الروافضِ والخوارج ، ويُظهرون للواقفيَّةِ عن الحقِّ وجوهَ المخارج[2] ، **فمذهبُهم أوسطُ المذاهب** ، **ومشربُهم أعذبُ المشارب** ، ومنصبُهم أكرمُ المناصب ، ورتبُهم أعظمُ المراتب ، فلا يؤثِّرُ فيهم قدحُ قادحٍ ، ولا يظهرُ فيهم جرْحُ جارحٍ .

وقد ذكرتُ فيما تقدَّمَ شرحَ اعتقادِهم[3] ، فلا يطعنُ فيهم إلا الذين عَمُوا عن رشادِهم

---

(١) وذلك قوله : (أحدهم : ابنُ عينون الضرَّاب ، وخرج إلى بغداد وأقام بها إلى أن مات لا رحمه الله ، ولا قَدَرَ أن يظهرَ مِن مذهبه شيئاً من هـٰذه الكفريات ؛ خيفةً من الحنابلة) وانظر (ص ٧٥٨)

(٢) وفي (ط) : (للواقفين) بدل (للواقفية)

(٣) انظر ما تقدم (ص ٣٠٥)

ـ وأمّا عدُّهُ في أصحابه الأربعةِ القلانسيَّ[1]

فإنَّه جَهِلَ في قولِهِ أو نَسِيَ ؛ أبو العباس أحمدُ بن عبد الرحمـٰن بن خالدٍ القَلانِسيُّ الرازيُّ . . مِن معاصري أبي الحسن رحمَهُ الله لا مِنْ تلامذتِهِ كما قال الأهوازيُّ[2] ، وهو مِنْ جملة العلماءِ الكبار الأَثبات ، واعتقادُهُ موافقٌ لاعتقادِهِ في الإِثبات

ـ وما ذكرَهُ في حقِّ صاحبه أبي عبد الله بن مجاهدٍ[3]

ففيما ذكرَ الخطيبُ أبو بكر مِنْ حالِهِ علىٰ تكذيبِهِ أكبرُ شاهدٍ[4]

ـ وما ذكرَهُ في حقِّ القاضي أبي بكر بن الباقلانيِّ رحمه الله ؛ من أنَّه كان

---

(١) وذلك قوله : (ومنهم القلانسيُّ ، سار إلى الريِّ ، وأقام بها إلىٰ أن مات) وانظر (ص ٧٥٩) .

(٢) علَّق العلامة الكوثريُّ رحمه الله تعالىٰ (بل هو متقدِّمٌ على الأشعريِّ من حيث الذبُّ عن السنة ، وأعلىٰ طبقةً منه ، وكان لسانَ السنة قبل رجوع الأشعريِّ عن الاعتزال ، وله مع ابن خزيمةَ ما ذكره البيهقيُّ في « الأسماء والصفات » [ص ٢٥٩] ، والأشعريُّ تأخَّر عنه ذبّاً عن السنة ووفاةً وإن أدركه سناً ، وقال الإمام أبو المعين النسفي في « تبصرة الأدلة » [١/ ٥٦١] : إنَّ ابن فُورَكَ ألَّفَ « كتاب اختلاف الشيخين القلانسي والأشعري » انتهىٰ

ولهم قَلاَنسيٌّ آخرُ في الطبقة الثانية من الأشعري ، وهو أبو إسحاق إبراهيمُ بن عبد الله القَلاَنسيُّ الرازيُّ ، ثم لهم قَلانسي ثالثٌ في طبقة ابن فُورَك أيضاً ، وهو أبو العباس أحمدُ بن إبراهيمَ القلانسي ؛ ولدُ الثاني ، وقد التبسَ هـٰذا بالأول على الزبيدي في « شرح الإحياء » [٢/ ٤ـ٥]) انتهىٰ .

(٣) وذلك قوله : (ومنهم : أبو عبد الله بن مجاهد ، أقام بالبصرة إلىٰ أن مات ، وقال لي أخي أبو إسحاق بن لؤلؤ رضي الله عنه : كان أبو عبد الله بن مجاهد يقعدُ على الحصىٰ في الصحن من الجامع ، ولا يغطي رأسه في الشتاء ، والناسُ يضحكون منه ويتلهون به ، ولم يكن في نفوس الناس بالطائل ، ولا كان يعدُّ في العلماء ولا في الناس المذكورين) وانظر (ص ٧٦١) .

(٤) انظر (ص ٣٤٥) في الخبر (١٧٤)

أجيرَ الفاميِّ[١] ، وأنَّه إنَّما ارتفعَ قدرُهُ بمداخلةِ السلاطين ، لا بالعلم[٢]

فعينُ الجهلِ والتعامي ، وهل ينكرُ فضلَ القاضي أبي بكرٍ في العلم والفهم ، مَنْ شمَّ أدنىٰ شَمَّةٍ مِنَ العلم ؟! وتصانيفُهُ في الخلْقِ مبثوثةٌ ، وعلومُهُ عنه مستفادة موروثةٌ ، وقد كان يدرِّس المدَّةَ الطويلةَ في دارِ السلام ، ويصنِّفُ الكتبَ الجليلة في قواعد الإسلام ، ويُؤخذُ عنه علمُ الفقه علىٰ مذهب مالك بن أنس ، وينتفعُ بدروسِهِ في أصول الدينِ والفقه كلُّ مقتبِسٍ ، والرحلةُ إليه مِنَ الشرقِ والغَرْب ، فقولُهُ في حقِّهِ قولُ مَن لا يتحاشىٰ مِن الكِذْب

- وقولُهُ : (إنَّ أبا الحسن الطبريَّ رفيقَ أبي بكر بن الباقلانيِّ لم يظهرْ بالكلام قطُّ)[٣]

فقولُ جاهلٍ بالرجال قليلُ الاحتراز فيما يحكيه بالتحفُّظ فيه والضبط ؛ فإنَّ أبا الحسن عليَّ بنَ محمد بن مهدي الطبريَّ مُبَرِّزٌ في علم الكلام

---

(١) الفاميُّ ـ بتشديد الياء ـ : البقَّال ، والفُوم : الحنطة ، وشكَّكَ اللغويون في عربيتها

(٢) علَّق العلامة الكوثريُّ رحمه الله تعالىٰ : (قال الذهبي في « تذكرة الحفاظ » [٣/ ٢٠٢] عند ترجمة الحافظ أبي ذرٍّ الهَرَويِّ قال أبو الوليد الباجي في كتاب « فِرَق الفقهاء » عند ذكر أبي بكرٍ الباقلانيِّ « لقد أخبرني أبو ذرٍّ وكان يميل إلىٰ مذهبه ، فسألته من أين لك هـٰذا ؟ قال كنتُ ماشياً مع الدارقطنيِّ ، فلقينا القاضي أبا بكر ، فالتزمه وقبَّلَ وجهه وعينيه ، فلمَّا افترقنا . . قلتُ : مَن هـٰذا ؟ قال : هـٰذا إمامُ المسلمين ، والذابُّ عن الدين ؛ أبو بكر بن الطيِّب ، فمن ذلك تكررتُ إليه » انتهىٰ ، ومثله بعدَّةِ طُرُقٍ عن أبي ذرٍّ أيضاً) انتهىٰ .

وأراد المصنفُ قولَ المفتري الأهوازي (أما ابن الباقلاني : فكان أجيراً لفاميٍّ في كلِّ يوم بأربعة دوانيق في قصر الزيت لما حسن حاله ، بعد أن كان يرمي الشوكَ تحت قِدْرِ الباقلاء لأبيه فطيش طَيْبان الباقلاني ، ثم داخل السلاطين ، فارتفعَ بهم لا بالعلم) وانظر (ص ٧٥٩) .

(٣) وذلك قوله (وأما أبو الحسن الطبري فإنه لم يظهر بالكلام قط ، ولزم حلقة أبي علي المروزي بالبصرة، ولم يفارقها إلىٰ أن مات، وقد شاهدته أنا بالبصرة) وانظر (ص٧٦١).

مذكورٌ[1] ، وكتابَهُ في الكلام على المتشابهِ من الآيات وأحاديثِ الصفات مشهورٌ[2] ، وليس هو رفيقَ القاضي أبي بكر بن الباقلانيِّ ، وأعجبُ مِنْ خَطائِهِ الأوَّل فيه خَطاؤُهُ الثاني ![3]، وإنَّما هو تلميذُ أبي الحسن الأشعريِّ ومنه تعلَّمَ ، وله صحبَ بُرهةً مِنَ الزمان وبه تفهَّمَ ، وقد ذكرَ أبو حيَّان عليُّ بن محمد بن العباس التوحيديُّ قال حدثنا أبو الحسن الطبريُّ قال رأيتُ أبا الحسن الأشعريَّ وهو يناظرُ الخالديَّ ، وأنشدَ في آخر كلامِهِ [من الطويل]

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتَ بِوَاجِدٍ طَبِيباً يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونِ

وأمَّا قولُهُ : (لم يظهرْ بالكلام)

فلفظٌ مختلُّ المعنىٰ والنظام ، فلو قال : (لم يُظهِرِ الكلام) ، أو (لم يتظاهرْ بالكلام) ، ولـٰكنَّهُ غيرُ بصيرٍ في قوله بوجهِ الانتظام

ـ **وأمَّا قولُهُ** : (لم تكنْ للأشعريِّ منزلةٌ في العلم والقرآن والفقه والحديث)[4] :

فكذبٌ مُعادٌ قد كثُرَ تكرارُهُ وتردادُهُ مِن هـٰذا الجاهلِ الخبيث

أمَّا علمُ القرآن : فقد صنَّفَ فيه التفسيرَ الذي لا يُختلَفُ في جلالة قدرِهِ[5]

وأمَّا العلمُ بالأصول : فكانَ فيه بإجماعِ العلماء أوحدَ عصرِهِ

وأمَّا علمُ الفقه فقد كان يذهبُ فيه مذهبَ الشافعيِّ أو مذهبَ مالكٍ وأهل المدينة[6] ، وصنَّفَ في أصولِهِ كتباً شحنَها بالأدلَّة المُبينة

---

(١) تقدمت ترجمته (ص ٣٧٩)

(٢) تقدم ذكره في ترجمته ، وهو كتاب « تأويل الأحاديثِ المشكلاتِ الواردةِ في الصفاتِ »

(٣) الخطاء ـ كذا بالمد في الموضعين ـ : الخطأ ؛ ضد الصواب .

(٤) انظر (ص ٧٦٠) .

(٥) انظر ما تقدم (ص ١١٩ ، ١٣٠ ، ٢٦٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩)

(٦) انظر الخلاف في مذهب الشيخ الأشعري ما تقدم (ص ٢٦٣)

وأمّا علمُ الحديث : فقد سمعَ منه قدرَ ما تدعوه الحاجةُ إليه ، وحصَّلَ منه ما يقعُ الاعتمادُ في الاستدلال عليه ، وقد روىٰ في تفسيرِهِ حديثاً كثيراً ؛ عن سهلِ بن نوح البصريِّ ، ومحمدِ بن يعقوبَ المقرئ ، وعبدِ الرحمـٰن بن خلفٍ الضبِّيِّ ، وأبي خليفةَ الفضلِ بن الحباب الجمحيِّ ، وأبي يحيىٰ زكريا بنِ يحيى الساجيِّ ، وغيرِهم ، وإنَّما لم ينتشرْ عنه الحديثُ بالرواية ؛ لأنَّه كان قد قصرَ همَّتَهُ على الدراية ، وصرفَها إلىٰ ما تتقوىٰ به الأصول ، فلهـٰذا عزَّ إلىٰ حديثِهِ الوصولُ .

وليت شعري ! ما معنىٰ تفرقتِهِ بين العلمِ وما ذكرَ بعده ؟! كأنَّ القرآنَ والفقهَ والحديثَ غيرُ العلم عندَهُ ! وقد كان ينبغي له أن يقولَ : (في العلم بالقرآن والحديث والفقه) ؛ حتىٰ يكونَ كلامه صحيحاً قد أتىٰ به على الوجه

ـ وأمّا قولُهُ : (إنَّ أصحابَ الكلام لا تجدُهم إلا في الصدرِ مع الفلاسفة والهندسة والمنطقِ والزندقة)[1]

فمِن جنس ما تقدَّمَ منه مِنَ الكذب والبهتان والتمويه والمَخْرقة ؛ كيف يكون الأمرُ كما قال وهم الذين يردُّونَ عليهم ، ويحذِّرونَ الناسَ مِنَ الميل إليهم ، ويهتكون بالأدلَّة جميعَ أستارِهم ، ويظهرون ما يكتمون مِنْ أسرارِهم ، ويبدون للخَلْق عَوارَهم ، ويبينون بُعدَهم مِن الحقِّ ونِفارَهم ؟!

وما أعجبَ قولَ هـٰذا الجاهلِ السفيهِ (مع الفلاسفة والهندسة) ! كأنَّه

(١) وذلك قوله (وكذلك جميع نظرائه من المتكلمين ؛ إذا فتَّشنا العلماءَ . . لم نجد لواحدٍ منهم مع القرَّاء ذكراً ، ولا مع الفقهاء ، ولا في أصحاب الحديث ، بل تجدهم في الصدر مع الفلاسفة وأصحاب الهندسة والمنطق والزندقة ، ومع من يقول بالكفر والإلحاد ، وترْك الكتاب والأثر ، وركوبِ القياس والنظر) وانظر (ص ٧٦٠) والتعليق عند كلمة (والزندقة).
ولعلَّ هـٰذه النسخة مصححة متصرَّفٌ فيها ، أو كانت النسخة بين يدي الحافظ ابن عساكر قد سقطت منها كلمة (وأصحاب) وعجمة الأهوازي تقضي بالأول .

لا يفرِّقُ بين الصفةِ وبين المنسوبِ إليها لغلبةِ الجهل عليه والوسوسة

ـ وقولُهُ : (ومع مَن يقولُ بالكفرِ والإلحاد)[1]

فقولٌ منه ظاهرُ الفساد ؛ كيف يكونون معهم وهم الذين يبيِّنون كفرَهم وبدعَهم ؟! وكيف يُظنُّون منهم وهم الذين ينفِّرون عنهم ؟! أم كيف يضافون إليهم وهم الرادُّون عليهم ؟! ولو كان الأهوازيُّ متديِّناً مسلماً . . لم يُكفِّرْ إماماً مقدَّماً ؛ فقد جاءَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال « **إِذَا قَالَ ٱلرَّجُلُ لِأَخِيهِ : يَا كَافِرُ . . فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا** »[2] ، وقد :

٤٠٣ـ أخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمدَ بن عمرَ بن السمرقنديِّ ، وأبو الحسن عليُّ بن هبة الله بن عبد السلام الكاتبُ ببغدادَ قالا : أخبرنا أبو محمد عبدُ الله بن محمد بن عبد الله الخطيبُ الصَّرِيفِينيُّ ، أخبرنا أبو القاسم عبيدُ الله بن محمد بن إسحاقَ البزَّازُ ، حدثنا عبدُ الله بن محمد بن عبد العزيز ، حدثنا عليُّ بن الجعد ، أخبرنا شعبةُ ، عن عبدِ الله بن دينار قال سمعتُ ابنَ عمرَ ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : « **إِذَا قَالَ ٱلرَّجُلُ لِأَخِيهِ : يَا كَافِرُ ـ أَوْ : أَنْتَ كَافِرٌ**[3] **ـ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا ؛ فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ، وَإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى ٱلأَوَّلِ** »

أخرجَهُ محمدُ بن إسماعيلَ البخاريُّ في « صحيحه » ، عن إسماعيلَ بن أبي أويس المدنيِّ ، عن خاله مالكِ بن أنس ، عن عبد الله بن دينار[4]

٤٠٤ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله بن الحسين بن عبد الملك الأديبُ

---

(١) انظر (ص ٧٦٠) .

(٢) رواه البخاري (٦٠١٣) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) وفي (ب) ونسخة في (هـ) : (وأنت) بدل (أو أنت) .

(٤) صحيح البخاري (٦١٠٤) ، وانظر « المسند » لابن الجعد (١٥٩٤)

بأصبَهانَ ، أخبرنا أبو طاهر أحمدُ بن محمود الأديبُ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن إبراهيمَ العاصميُّ ، حدثنا ناعمُ بن السريِّ بطرسوسَ ، حدثنا أبو سعيدٍ الأشجُّ عبدُ الله بن سعيد الكنديُّ ، حدثنا ابنُ فُضيلٍ ، عن أبيه ، عن رَقَبَةَ ـ يعني ابن مَصْقَلة ـ عن نافعٍ ، عن ابن عمرَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ . فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا ، إلاَّ أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ** »

هٰذا صحيحٌ علىٰ شرط مسلمٍ(١)

٤٠٥ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو المظفر عبدُ المنعم بنُ الأستاذِ أبي القاسم عبدِ الكريم بن هوازنَ القُشَيريُّ ، أخبرنا أبي قال أخبرنا أبو نُعيم عبدُ الملك بن الحسن بن محمد بن إسحاقَ بن أزهر الأزهريُّ ، أخبرنا أبو عوانةَ يعقوبُ بن إسحاقَ الإسفراينيُّ ، حدثنا عليُّ بن حربٍ ، حدثنا وَهْبُ بن جريرٍ ، حدثنا هشام الدَّسْتَوائيُّ ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي قلابةَ ، عن ثابتِ بن الضحاك قال قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « **مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي ٱلدُّنْيَا . عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِناً بِٱلْكُفْرِ . فَهُوَ كَقَتْلِهِ ، وَلَعْنُ ٱلْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ ، وَلَيْسَ عَلَى ٱلرَّجُلِ نَذْرٌ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ، وَمَنْ حَلَفَ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ ٱلإِسْلاَمِ . فَهُوَ كَمَا قَالَ** »

هٰذا حديثٌ صحيحٌ متفق علىٰ صحَّته(٢)

٤٠٦ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو الحسن عليُّ بن أحمدَ بن منصور بن محمد الغسانيُّ الفقيهُ ، أخبرنا أبو الحسن أحمدُ بن عبد الواحد بن محمد بن

---

(١) ورواه المصنف في « معجمه » (١٥٢٠) ، وقال : (هٰذا حديث صحيح) .

(٢) صحيح البخاري (١٣٦٣ ، ٦٠٤٧) ، صحيح مسلم (١٧٦) ، وسيدنا ثابتٌ رضي الله عنه ممن بايع تحت الشجرة ، كما جاء مصرَّحاً به في الرواية .

أحمدَ بن عثمانَ السلميُّ ، أخبرنا جدِّي أبو بكر محمدُ بن أحمدَ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن جعفر بن محمد العسكريُّ ، حدثنا العباسُ بن محمد بن حاتِمٍ الدوريُّ ، حدثنا أبو معمر عبدُ الله بن عمرو المِنْقَريُّ ، حدثنا عبدُ الوارث بن سعيد التَّنُّورِيُّ ، حدثنا حسينُ بن ذكوانَ المعلِّمُ ، عن عبد الله بن بُريدةَ قال : أخبرني يحيى بن يَعمرَ : أنَّ أبا الأسود الدِّيليَّ حدَّثَهُ عن أبي ذرٍّ أنَّه سمعَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفِسْقِ ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ . . إلاَّ ٱرْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ** »

أخرجه البخاريُّ عن أبي معمرٍ[١]

٤٠٧ـ وأخبرَنا الشيوخُ ؛ أبو سعدٍ إسماعيلُ بن أحمدَ بن عبد الملك النيسابوريُّ المعروفُ بالكرمانيِّ الفقيهُ ببغدادَ ، وأبو المظفرِ عبدُ المنعم بن عبد الكريم بن هوازنَ ، وأبو القاسم زاهرُ بن طاهر بن محمد الشَّحَّاميُّ بنيسابورَ قالوا أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن منصور بن خلفٍ القَيروانيُّ ، أخبرنا أبو طاهر محمدُ بن الفضل بن محمد بن إسحاقَ بن خزيمةَ ، حدثنا جدِّي أبو بكر محمدُ بن إسحاقَ ، حدثنا رجاءُ بن محمد العُذْريُّ ؛ أبو الحسن ، حدثنا محمدُ بن بكرٍ البُرْسانيُّ ، حدثنا الصَّلتُ بن مِهرانَ ، حدثنا الحسنُ[٢] ، حدثنا جُندبُ بن عبد الله البَجَليُّ في هـٰذا المسجد ، عن حُذيفةَ بن اليمان قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **إنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي : رَجُلٌ قَرَأَ كِتَابَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، حَتَّىٰ إذَا رُئِيَتْ عَلَيْهِ بَهْجَتُهُ ، وَكَانَ رِدْءاً لِلإِسْلاَمِ . . ٱغْتَرَّهُ ذَلِكَ إِلَىٰ مَا شَاءَ ٱللهُ ، فَٱنْسَلَخَ مِنْهُ ، وَخَرَجَ عَلَىٰ جَارِهِ بِٱلسَّيْفِ ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ بِٱلشِّرْكِ** » ، قلنا يا رسولَ الله ؛ مَنْ أولىٰ بها ؛ المَرْميُّ أو الرامي ؟ قال « **بَلِ ٱلرَّامِي** »[٣]

---

(١) صحيح البخاري (٦٠٤٥)

(٢) هو البصري رضي الله عنه .

(٣) ورواه ابن حبان في « صحيحه » (٨١)

٤٠٨ـ وأخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل بن أحمدَ الفُراويُّ ، وأبو المظفر عبدُ المنعم بن عبد الكريم النيسابوريانِ بها قالا أخبرنا أبو سعيد محمدُ بن علي بن محمد الصوفيُّ المعروفُ بالخشّاب ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن عبد الله بن محمد بن زكريا الجَوْزَقيُّ ، أخبرنا أبو العباس محمدُ بن عبد الرحمٰن بن محمد الدَّغُوليُّ ، أخبرنا أحمدُ بن إبراهيمَ بن حرب النيسابوريُّ ، حدثنا يزيدُ بن هارونَ ، حدثنا جَهيرُ بن يزيدَ العبديُّ ، عن خِداشِ بن عيَّاش قال : كنتُ في حَلْقةٍ بالكوفة إذا رجلٌ يحدِّث ؛ قال كنَّا جُلُوساً مع أبي هريرةَ ، فمرَّ فتىً ، فقال رجلٌ مِنَ الحَلْقة : هٰذا كافرٌ مِنْ أهل النار !

فقامَ أبو هريرةَ حتىٰ أتى الفتىٰ ، فقال مَنْ أنت ؟ قال أنا فلان بنُ فلان ، قال رحمَ اللهُ أباك ، قال فجعلَ الفتىٰ يلتفتُ ، فقال : إلامَ تلتفتُ ؟ قال لم أصلِّ ، قال : وتصلِّي ؟! فقال سبحانَ الله ! فقال : وتقولُ سبحانَ الله ؟! قال لا إلٰهَ إلا الله ! قال : وتقولُ لا إلٰهَ إلا الله ؟! فقال ما أريدُ أنِّي تركتُ الصلاةَ وأنَّ لي ما علىٰ وجْهِ الأرض ، قال : **رحمَكَ الله ، رحمَكَ الله ، رحمَكَ الله**

ثم جاءَ حتىٰ أخذَ مجلسَهُ ، فقال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ « **مَنْ شَهِدَ عَلَىٰ مُسْلِمٍ بِشَهَادَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ . فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ** »[1]

٤٠٩ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمدَ بن السمرقنديِّ ، أخبرنا أبو الحسين أحمدُ بن محمد بن أحمدَ بن النَّقورِ ، حدثنا أبو القاسم عيسى بنُ علي بنِ عيسى الوزيرُ إملاءً ، حدثنا أبو القاسم عبدُ الله بن محمد بن

---

(١) وروى المرفوع منه أحمدُ في « مسنده » (٢/ ٥٠٩)

عبد العزيز ، حدثنا زيدُ بن أخزمَ ، حدثنا أبو قتيبةَ ، حدثنا منصورُ بن دينارٍ ، عن عبيد الله بن عمرَ ، عن نافعٍ أنَّ رجلاً قال لابنِ عمرَ إنَّ لي جاراً يشهدُ عليَّ بالشركِ ، فقال قلْ لا إلـهَ إلا اللهُ . تُكذِّبْهُ

٤١٠ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو الفرج سعيدُ بن أبي الرجاء بن أبي منصور الصيرفيُّ بأصبَهانَ ، أخبرنا أبو الفتح منصورُ بن الحسين بن علي بن القاسم بن الرَّوَّادِ الكاتبُ ، وأبو طاهر أحمدُ بن محمود بن أحمدَ الثقفيُّ الأديبُ قالا أخبرنا أبو بكر محمدُ بن إبراهيمَ بن علي بن عاصم بن المقرئ ، حدثنا أبو محمد جعفرُ بن أحمدَ الرَّبَعِيُّ ، حدثنا أحمدُ بن جعفرٍ المَعْقِريُّ ، حدثنا النضرُ بن محمد ، حدثنا عكرمةُ ـ يعني ابنَ عمارٍ ـ حدثنا سوَّارُ بن شبيبٍ الأعرجيُّ قال : كنتُ قاعداً عند ابنِ عمرَ ، فجاء رجلٌ فقال يا بنَ عمرَ ؛ إنَّ أقواماً يشهدون علينا بالكفر والشرك ، فقال ويلكَ ! أفلا قلتَ لا إلـهَ إلا اللهُ ؟! قال : فقال أهلُ البيت : لا إلـهَ إلا اللهُ ، حتى ارتجَّ البيتُ[1]

٤١١ـ أخبرَنا أبو الفضل محمدُ بن إسماعيلَ بن الفضيل الفضيليُّ ، أخبرنا أبو القاسم أحمدُ بن محمد بن محمد الخليليُّ ببلخَ ، أخبرنا أبو القاسم عليُّ بن أحمدَ بن محمد بن الحسن الخزاعيُّ ، أخبرنا أبو سعيد الهيثمُ بن كُليب الشاشيُّ ، حدثنا ابن عفَّانَ العامريُّ ، حدثنا ابنُ نُميرٍ ، حدثنا الأعمشُ ، عن أبي سفيانَ قال : أتينا جابرَ بن عبد الله وكان مجاوراً بمكَّةَ ، وكان نازلاً في بني فِهرٍ ، فسألَهُ رجلٌ هل كنتم تدعون أحداً من أهل القبلةِ مشركاً ؟ قال معاذَ الله ! وفَزِعَ لذلك ، قال : هل كنتم ـ أظنُّهُ ـ تدعونَهُ كافراً ؟ قال : لا[2]

---

(١) ورواه ابن المقرئ في « معجمه » (٧٥٩)

(٢) ورواه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٢٣١٧) ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/١٠٧) : (رواه أبو يعلىٰ ، والطبراني في « الكبير » ، ورجاله رجال الصحيح)

فهٰذه الأخبارُ تمنعُ مِنْ تكفير المسلمين ، فمَنْ أقدمَ على التكفير فقد عصىٰ سيِّدَ المرسلين ، وإنَّما اقتدى الأهوازيُّ في تكفيرِهِ إيَّاه وتُهَمَتِهِ بالضلال ، بقول مَنْ كفَّرَهُ مِنَ القائلين بمذاهب أهل الاعتزال

[بيانُ كونِ الإمامِ عبدِ اللهِ بنِ سعيدِ بنِ كُلَّابٍ والإمامِ الأشعريِّ مِنْ أعلامِ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ ، علىٰ لسانِ الإمامِ ابنِ أبي زيدٍ القيروانيِّ المالكيِّ]

٤١٢ـ وقد قرأتُ بخطِّ عليِّ بن بقاءٍ الورَّاقِ المحدِّث المصريِّ رسالةً كتبَ بها أبو محمد عبدُ الله بن أبي زيدٍ القَيروانيُّ الفقيهُ المالكيُّ ـ وكان مُقدَّمَ أصحابِ مالكٍ رحمه الله بالمغرب في زمانه ـ إلىٰ عليِّ بن أحمدَ بن إسماعيلَ البغداديِّ المعتزليِّ ، جواباً عن رسالةٍ كتب بها إلى المالكيِّينَ مِنْ أهل القَيروان ، يُظهرُ نصيحتَهم بما يُدخلُهم به في أقاويلِ أهل الاعتزال ! فذكرَ الرسالةَ بطولها في جزءٍ ، وهي معروفةٌ ، فمِنْ جملةِ جواب ابنِ أبي زيدٍ له أن قال

ونسبْتَ ابنَ كُلَّابٍ إلى البدعة[1] ، ثم لم تحكِ عنه قولاً يُعرفُ أنه بدعة فيُوسَمَ بهٰذا الاسم ! وما علمنا مَن نسبَ إلى ابنِ كُلَّابٍ البدعةَ[2] ، والذي

---

(١) علَّق العلامة الكوثريُّ رحمه الله تعالىٰ (بضمِّ الكاف وتشديد اللام ؛ وهو الإمام أبو محمد عبدُ الله بن سعيد القطَّانُ ، المتوفىٰ بعد سنة أربعين ومئتين ، ويقال : إنَّه أخو يحيى بن القطَّان إمامِ الجرح والتعديل ، كان إمامَ متكلِّمة السنة في عهد أحمد ، وممَّن يرافق الحارث بن أسد ، ويشنِّعُ عليه بعضُ الضعفاء في أصول الدين ما ينسب إليه من أنَّ كلام الله لا يوصف بكونه أمراً ونهياً أو خبراً ، مع أنَّه يعني بذلك أنَّ وصف الكلام بأحدها إنما هو بعد الوحي والتنزيل ، حيث يبلغُ المأمور والمنهي والمخبر ؛ لأنَّها أوصافٌ إضافية للكلام يُوصفُ بها عند التبليغ ، وأما باعتبار وجودِهِ العلميِّ في ذات الله تعالىٰ . . فالواحد الأحد ليس علمُهُ بطريق الارتسام والحصول ، بل علمُهُ حضوريٌّ وحدانيٌّ ، وهٰكذا باقي صفاته جل جلاله ، وهٰذا كلام ليس ببعيد عن الشرع والعقل) انتهىٰ

(٢) علَّق العلامة الكوثريُّ رحمه الله تعالىٰ (أمَّا كلامُ أحمدَ في ابن كُلَّاب وصاحبه فلكراهته =

بلغَنا أنَّه يتقلَّدُ السنةَ ، ويتولَّى الردَّ على الجهميَّة وغيرِهم مِنْ أهل البدع ؛ يعني : عبدَ الله بن سعيد بن كُلاَّب

وذكرتَ **الأشعريَّ** فنسبتَهُ إلى الكفر ، وقلتَ إنَّه كان مشهوراً بالكفر ! وهـٰذا ما علمنا أنَّ أحداً رماهُ بالكفر غيرُكَ ، ولم تذكرِ الذي كُفِّرَ به ! وكيف يكونُ مشهوراً بالكفر مَن لم يَنسبْ هـٰذا إليه أحدٌ علمناه في عصرِهِ ولا بعد عصره ؟!

وقلتَ إنَّه قدمَ بغدادَ فلم يقرِّبْ أحداً مِنَ المالكيِّين ، ولا مِنْ آل حمَّاد بن

= الخوض في الكلام ، وتورُّعِهِ منه ، ولـٰكن **الحقَّ أنَّ الخوض فيه عند الحاجة متعيِّنٌ** ، على خلاف ما يرتئيه أحمدُ ، **وأما كلام ابن خزيمةَ فيه** : فقولٌ لا محصَّلَ له ، يدلُّ عليه ما جرىٰ له مع أصحابه ، وقد بسطناه في « تحذير الخلف » ، **وأمَّا قولُ بعض النصارىٰ ، والمعتزلة ، والحشوية ؛ كالهرويِّ وغيره ؛ في حقِّ ابن كُلاَّب** : فممَّا لا يُعرِّجُ عليه أولو الألباب ، وليس يوجد مَن يعزو إليه بدعةً كما يقولُ ابن أبي زيد) انتهىٰ

وكذا ممَّا لا يعرَّج عليه قولُ الحافظ الذهبي فيه في « سيره » (١١/ ١٧٤) : (صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة ، وربَّما وافقهم) ، فهي من موافقتهم بالحقِّ الذي شاركوا فيه أهل السنة ، وخالفوا فيه الحشوية المشبِّهة ، وهو بذلك مقلِّدٌ للعلامة ابن تيمية بجعله خارج دائرة أهل السنة ، وبجعل الكلاَّبية سلفاً للأشاعرة ؛ حيث نقل عنه في « تاريخ الإسلام » (١٧/ ٤٢٩) قوله فيه : (هو أقربُ إلى السنة من خصومه بكثير) ، بل هو من أئمَّة أهل السنة والجماعة كما ترىٰ في كلام ابن أبي زيد ؛ إذ كلُّ ما ردَّهُ عليه ابنُ تيمية وغيرُهُ إنما هو عينُ ما قرَّره علماء أصول الدين

وقد اجتمع الإمامُ ابن كُلاَّب بإمام الطائفة أبي القاسم الجنيد ، وأقرَّ بفضله وعلمه ؛ فقد حكى القشيري في « رسالته » (ص ٧٧١) فقال : (قيل لعبد الله بن سعيد بن كلاب أنت تتكلَّم علىٰ كلام كلِّ أحدٍ وها هنا رجلٌ يقال له : الجنيدُ ، فانظرْ هل تعترضُ عليه أم لا ، فحضر حَلْقتَهُ ، فسأل الجنيدَ عن التوحيد ، فأجابه ، فتحيَّرَ عبد الله وقال : أعدْ عليَّ ما قلتَ ، فأعادَ ولـٰكن لا بتلك العبارة ، فقال عبد الله : هـٰذا شيءٌ آخرُ لم أحفظه ، تعيدُ عليَّ مرَّة أخرىٰ ؟ فأعادَ بعبارة أخرىٰ ، فقال عبد الله : ليس يمكنني حفظُ ما تقولُ ، أملِهِ علينا ، فقال : إن كنت أجريه . . فأنا أمليهِ ، فقام عبد الله وقال بفضلِهِ ، واعترفَ بعلوِّ شأنِهِ) .

زيد ؛ لعلمه أنَّهم يعتقدون أنَّه كافرٌ ، ولم تذكرْ ما الذي كفَّروهُ به !

ثم ذكرَ ابنُ أبي زيدٍ تشنيعَ عليٍّ بن أحمدَ البغداديِّ على الأشعريِّ في مسألةِ اللفظ ، ثم قال ابنُ أبي زيد في الردِّ على البغداديِّ

والقارئ إذا تلا كتابَ الله لو جازَ أن يُقال إنَّ كلامَ هـٰذا القارئ كلامُ الله على الحقيقة . . لفسدَ هـٰذا ؛ لأنَّ كلام القارئ محدثٌ ، ويفنىٰ كلامه ويزولُ ، وكلامَ الله ليس بمحدثٍ ولا يفنىٰ ، وهو صفةٌ من صفاته ، وصفته لا تكون صفةً لغيره ، وهـٰذا قولُ محمدِ بن إسماعيلَ البخاريِّ[1] ، وداودَ الأصبَهانيِّ ، وغيرِهما ممَّن تكلَّمَ في هـٰذا ، وكلامُ محمد بن سُحنونَ إمامِ المغرب ، وكلامُ سعيدِ بن محمد بن الحدَّاد ؛ وكان مِنَ المتكلِّمين من أهل السنة ، وممَّن يردُّ على الجهميَّة[2]

ثم ذكر حكايةَ أحمدَ بن حنبلٍ رحمه الله مع أبي طالبٍ ؛ **التي**

٤١٣ـ أخبرَنا بها الشيخانِ ؛ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل بن أحمدَ الفُراويُّ ، وأبو الحسن عبيدُ الله بن محمد بن أحمدَ البيهقيُّ قالا : أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن الحسين بن عليٍّ البيهقيُّ ، أخبرنا أبو عبد الله الحافظُ ، وأبو سعيد بنُ أبي عمرٍو قالا حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوب قال : سمعتُ أبا بكر محمدَ بن إسحاقَ يقول : سمعتُ أبا محمدٍ فُورانَ يقول

جاءني صالحُ بن أحمدَ وأبو بكرٍ المَرْوَرُّوذيُّ عندي ، فدعاني إلىٰ أبي عبد الله ، وقال لي : إنَّه قد بلغَ أبي أنَّ أبا طالبٍ قد حَكَىٰ عنه أنَّه يقول : لفظي بالقرآن غيرُ مخلوقٍ ، فقوموا إليه ، فقمتُ واتَّبعني صالحٌ وأبو بكر ،

---

(١) انظر « خلق أفعاد العباد » (ص٤٧ ، ٥٣) ، وانظر « الاعتقاد » للحافظ البيهقي (٥٣)

(٢) وهـٰذه الكلمةُ من الإمام المالكي ابن أبي زيد القيرواني تذهبُ بدعوىٰ كونه من أهل التشبيه وأنه ليس من الأشاعرة أدراجَ الرياح ، وتنادي علىٰ قائلها بالافتضاح .

فدارَ صالحٌ مِن بابه ، فدخلنا على أبي عبد الله ، ووافانا صالحٌ مِن بابه ، فإذا أبو عبد الله غضبانُ شديدُ الغضب ، يتبيَّنُ الغضبُ في وجهِهِ ، فقال لأبي بكرٍ اذهب جئني بأبي طالبٍ ، فجاء أبو طالبٍ ، وجعلتُ أُسكِّنُ أبا عبد الله قبلَ مجيء أبي طالبٍ ، وأقول له حُرمةٌ ، فقعدَ بين يديه وهو يرعدُ متغيِّرَ الوجهِ ، فقال له أبو عبد الله حكيتَ عنِّي أني قلتُ : لفظي بالقرآن غيرُ مخلوق ؟ قال إنَّما حكيتُ عن نفسي ، فقال له لا تحكِ هـٰذا عنك ولا عنِّي ، فما سمعتُ عالماً يقول هـٰذا ، وقال له القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ حيث تصرَّفَ[1] ، فقلتُ لأبي طالب وأبو عبد الله يسمعُ : إن كنتَ حكيتَ هـٰذا لأحدٍ . . فاذهبْ حتىٰ تخبرَهُ أنَّ أبا عبد الله قد نهىٰ عن هـٰذا[2]

قال ابنُ أبي زيدٍ وأبو عبد الله أحمدُ بن محمد بن حنبل به يُقتدىٰ وقد أنكرَ هـٰذا ، وما أنكرَ أبو عبد الله أنكرناهُ ، فكيف يَسعكَ أن تكفِّرَ رجلاً مسلماً بهـٰذا ، ولا سيما رجل مشهور أنَّه يردُّ علىٰ أهل البدع ، وعلى القدرية الجهمية ، متمسِّكٌ بالسُّنَنِ ، مع قول مَنْ قاله معه مِنَ البخاريِّ وغيره ؟! فلو ذكرتَ أمراً يجبُ تكفيرُ قائلِهِ عند أهل السنة . . كان لك ذلك ؛ لأنَّا لا نعتقدُ أنَّا

---

(١) علَّق العلامة الكوثريُّ علىٰ هـٰذه الكلمة في كتاب « الأسماء والصفات » (ص ٢٥٦) للحافظ البيهقي ما نصُّهُ : (ومن مثل هـٰذا اللفظ الموهِم ظنَّ كثيرٌ من أصحاب أحمدَ أنَّ كلَّ ما له تعلُّق بالقرآن قديمٌ ، وقد قال البخاري في « خلق أفعال العباد » [ص ٦٢] : « فأمَّا ما احتجَّ به الفريقان لمذهب أحمد ويدعيه كلٌّ لنفسه . . فليس بثابتٍ كثيرٌ من أخبارهم ، وربَّما لم يفهموا دقَّة مذهبه ، بل المعروفُ عن أحمدَ وأهل العلم : أنَّ كلام الله غير مخلوقٍ ، وما سواه مخلوقٌ ، وأنَّهم كرهوا البحثَ والتنقيب عن الأشياء الغامضة ، وتجنَّبوا أهلَ الكلام والخوضَ والتنازع إلا فيما جاء فيه العلم ، وبيَّنَهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ») انتهىٰ ، وإنما نقل الحافظ البيهقي هـٰذه الحكاية في « الأسماء والصفات » ليبيِّن موافقةَ مذهب أحمد لما ذهب إليه الأشاعرة من بعدُ ، وأنه كرهَ الخوضَ فيها فقط

(٢) ورواه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ٢٥٦)

نقلِّدُ في معنى التوحيد والاعتقاداتِ الأشعريَّ خاصةً[١] ، ولٰكن لا يحلُّ لنا أن نكفِّرَهُ أو نبدِّعَهُ إلا بأمرٍ لا شكَّ فيه عندَ العلماء ، وإذا رأينا مِنْ فروع أقاويله شيئاً ينفردُ به . . تركناه ، ولا نهجمُ بالتضليل والتبديع بما فيه الريبُ ، وكلُّ قائلٍ مسؤولٌ عن قولِهِ[٢]

وما مثالُ تشنيعِ هٰذا المعتزليِّ الغليظ الفظِّ ، علىٰ أبي الحسن رحمه الله في مسألة اللفظ . . إلا كتشنيعِ رافضيٍّ علىٰ رجلٍ من أهل السنَّة بتنقُّصِهِ لمروانَ ، وهو يستجيزُ لنفسِهِ لعنَ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ رضي الله عنهم ؛ لأنَّ هٰذا المعتزليَّ وأهلَ مذهبِهِ يدينون بخلْقِ القرآن ، **فكيف يشنِّعُ علىٰ مَن يرىٰ خلْقَ الألفاظِ به والألحانِ** ؟! ولٰكنَّهُ لمَّا لم يتجاسرْ علىٰ إظهار ما كان يضمرُهُ ويدعو إليه منه . . موَّهَ علىٰ أهل المغرب بما ظنَّهُ يكون سبباً لنفورِهم عنه ، فلم يلتفتوا ـ لاستضلاعِهم بالعلمِ ـ إلىٰ تمويهه ، ووجَّهوا قولَ الأشعريِّ في اللفظِ علىٰ أحسنِ وجوهِهِ .

فإن قلَّدَ الأهوازيُّ المعتزلةَ وأطلقَ القولَ بتكفيرِهِ لشدَّةِ جهلِهِ . . **فإنَّ الأشعريَّ كان لا يرىٰ تكفيرَهُ ولا تكفيرَ أحدٍ من أهل القبلة لسَعَةِ فضلِهِ**

وقد تقدَّمَتْ عنه في ذلك حكايةُ زاهر بن أحمدَ[٣] ، وهي الحكايةُ التي ينبغي أن يُصارَ إليها في التكفيرِ ويعمدُ ؛ **لأنَّه القولُ الأخير الذي ماتَ عليه ، وأكثرُ المحقِّقين مِن أصحابه ذهبَ إليه**

فأمَّا الأصحابُ فإنَّهم ـ مع اختلافِهم في بعض المسائلِ ـ أجمعون[٤] ،

---

(١) انظر ما تقدم من كلام المصنف حول هٰذه المسألة (ص ٦٣٦)

(٢) هنا تنتهي مقالةُ الإمام ابن أبي زيد القيرواني المالكي ، وسيتمِّمُ المصنِّف الردَّ علىٰ عليِّ بن أحمدَ بن إسماعيل البغداديِّ المعتزليِّ ، ويستأنفُ بعد ذلك الردَّ على الأهوازي المفتري

(٣) انظر هٰذا (ص ٣٠٤) وما عُلِّق عليه

(٤) كذا في جميع النسخ غير (ط) ، وهو صوابٌ ، والتقدير (فإنهم هم أجمعون) ، =

علىٰ تركِ تكفيرِ بعضِهم بعضاً مجمعون[1] ، بخلافِ مَنْ عداهم مِنْ سائرِ الطوائف وجميعِ الفِرَقِ ؛ فإنَّهم حين اختلفَتْ بهم مستشنعاتُ الأهواء والطُّرُق . . كفَّرَ بعضُهم بعضاً ، ورأىٰ تبرِّيَهُ ممَّن خالفَهُ فرضاً ، وظهرَتْ منهم أماراتُ المعاداةِ والتباغض ، كما عُرفَ مِنْ فِرَقِ المعتزلة والخوارج والروافض ، وما ذاك إلا مِنْ مَنِّ اللهِ عزَّ وجلَّ عليهم ، وإحسانِهِ ـ في الائتلافِ مع وجودِ الخلاف ـ إليهم

[بيانُ كونِ الأشاعرةِ أشدَّ الناسِ تمسُّكاً بالكتابِ والسنَّةِ وأوسعَهم فَهْماً لهما]

ـ وأمَّا تُهَمَتُهُ إيَّاهم بترك الكتابِ والأثر ، وتعييرُهُم بركوب القياس والخطر[2]

فكذبٌ منه وزورٌ ، ودعوىٰ باطلةٌ وغرور ؛ هل تمسُّكُهم إلا بالكتاب المبين ؟! وهل تعلُّقُهم إلا بالحديث المتين ؟! وهم الذين يستنبطون المعانيَ مِنَ النصوص ، ويبيِّنُون وجهَ العموم والخصوص ، ويكشفونَ عن الأحاديث بالتنقيبِ عنها والتصحيحِ ، ويأخذونَ في المختلِفِ منها بأنواعِ الترجيح ، ويتَّبعونَ ممَّا اختلَفَ مِن الروايات ، روايةَ الثقات مِنَ المحدِّثين الأثبات ، لا كالأهوازيِّ الذي إن جمعَ فحاطبُ ليلٍ ، وإن تكلَّمَ فكلامُهُ لغَثاثتِهِ كغُثاءِ

= فقوله : (أجمعون) توكيد لمحلِّ اسم (إنَّ) الأصيل ؛ وهو الابتداء ، وقد سُمع ـ كما نقل سيبويه في « الكتاب » (٢/ ١٥٥) وغيره ـ عن العرب الموثوق بعربيتهم . . قولهم (إنَّهم أجمعون ذاهبون) ، وقد أقرَّ هٰذا إمام النحاة ابن مالك ، وقعَّدَ لذلك فقال : (يجب أن يُعتقد الصوابُ في كلِّ ما نطقت به العربُ المأمونُ حدوثُ لحنِهم بتغيُّرِ الطباع) ، وهٰذا ممَّا سُمعَ كما رأيت ، وانظر « شرح التسهيل » له (٢/ ٥١)

(١) في (ط) : (فإنَّهم مع اختلافِهم في بعض المسائلِ مجمعون علىٰ تركِ تكفيرِ بعضِهم بعضاً)

(٢) انظر (ص ٧٦٠) .

سيلٍ ، حتىٰ لقدِ احتجَّ في صفاتِ الرحمـٰن ، بما لا يُحتَجُّ بمثلِهِ لضعفِهِ في حيضِ النسوان[1]

[أئمَّةُ علماءِ المسلمينَ في سائرِ الأعصارِ وأرجاءِ الأقطارِ مِنَ السادةِ الأشاعرةِ]:

ـ وأمَّا قولُهُ : (لم يزلْ قولُ الأشعريِّ مهجوراً)[2]

فقد جاءَ في قولِهِ ظلماً وزوراً ؛ كيف يكون مهجوراً ، وأكثرُ العلماء في جميعِ الأقطارِ عليه ، وأئمَّةُ الأمصارِ في سائر الأعصارِ يدعون إليه ، ومنتحلوهُ هم الذين عليهم مدارُ الأحكام ، وإليهم يُرجعُ في معرفةِ الحلال والحرام ، وهم الذين يُفتون الناسَ في صعابِ المسائل ، ويَعتمدُ عليهم الخلْقُ في إيضاح المشكلات والنوازل ؟! **وهل مِنَ الفقهاءِ مِنَ الحنيفيّة والمالكيّة والشافعيّة إلا موافقٌ له أو منتسِبٌ إليه**[3] ، **أو راضٍ بحميدِ سعيِهِ في دين الله أو مثنٍ بكثرةِ العلم عليه** ؟! غيرَ شرذمةٍ يسيرة تُضمِرُ التشبيه ، وتعادي كلَّ موحدٍ يعتقدُ التنزيه ، وتضاهي أقوالَ أهلِ الاعتزال في ذمِّهِ ، وتباهي بإظهار جهلِها بقدرة سعةِ علمِهِ ![4]

---

(١) وهو إلىٰ هـٰذا زورٌ وبهتان ، وقد جمع ذلك في كتابه الذي نعته مفترياً بـ « التبيان في شرح عقود أهل الإيمان » ، وانظر ما تقدَّم من مخازي هذياناته ومنقولاته (ص ٦٥٣) .

(٢) وذلك قوله (ولم يزل ـ بحمد الله ومنِّهِ ـ قولُ الأشعري مهجوراً متروكاً ، لا يلتفت إليه ولا يعتدُّ به ، إلىٰ أن نشأ بهـٰذه الطائفة التي لا تقول بالقرآن والأثر ، فمالوا إليه ، وطاروا نحوه ، وأخذوه بكلتَي اليدين ، وطائفة منهم مضت إلىٰ خراسان ، وطائفة مضت إلى المغرب ، وطائفة إلى الحجاز) وانظر (ص ٧٦٠) .

(٣) قوله : (الحنيفية) : كذا وقعت النسبة إلىٰ مذهب الإمام أبي حنيفة في هـٰذا الكتاب على غير القياس ، والمسموع في النسبة إلىٰ (فَعِيلة) عند النسب حذفُ هائها ويائها

(٤) في (ج) وحدها : (بقَدْرِ سعة علمه) ، ولكلٍّ توجيه وجيه .

[التأريخُ لزمنِ اشتهارِ أهلِ السنَّةِ بلقبِ الأشاعرةِ] :

ـ **وقولُهُ** : (إنَّهُ مُذْ قويَ ذلك أقلُّ مِن ثلاثين سنةً)[(١)]

فلَعمري ؛ إنَّه إنَّما اشتَهرَتْ هـٰذه النسبةُ مِنَ الأزمنة في **عصرِ القاضي أبي بكر بن الباقلانيِّ** ذي التصانيف المستحسنة ، وانتشرَتْ ببغداد وغيرِها مِنَ البلدان والأمكنة ، وقد ذكرتُ فيما تقدَّمَ : أنَّ الانتسابَ إلى الاعتزال كان فاشياً منتشراً ، وكلَّ مَنْ كان متسنِّناً كان متخفِّياً مستتراً[(٢)] ؛ إلىٰ أن قامَ القاضي أبو بكر بنصرةِ المذهب ، وانتشرَ عنه في المشرق والمغرب ، وكان يُظهرُهُ في دارِ السلام ، التي هي قُبَّةُ الإسلام ، فلم يظهرْ لذاك تغييرٌ من الإمام ، ولا نكيرٌ مِنَ السُّوقةِ والعوامِّ ، بل كان الكلُّ يتقلَّدون منه المِنَّةَ ، مِنَ العوامِّ والأئمَّة[(٣)] ، **ويلقِّبُونه بأجمعهم سيفَ السنَّة لسانَ الأمَّة** ، وكان بينه وبين جماعةٍ مِنَ الحنابلة مخالطةٌ ومؤانسة ، واجتماعٌ في سماع الحديث وروايتِهِ ومجالسة[(٤)] ، وقد رأيتُ سماعَهُ في عِدَّةٍ مِنَ الأجزاء والمجالس ، بخطِّ الحافظِ أبي الفتح بن أبي الفوارس[(٥)] ، وقبرُهُ في مقبرةِ الإمام أحمدَ بن حنبلٍ رحمه الله ظاهرٌ[(٦)] ، وذكرُهُ في جميع الآفاقِ مُشتهِرٌ سائر

---

(١) وذلك قوله : (ومنذ قويَ ذلك واشتَهرَ أقل من نحو ثلاثين سنة) وانظر (ص ٧٦٢) ، وفي (هـ ، ط) : (إنَّ) بدل (إنَّه) ، وعليه فـ (أقل) يكون منصوباً .

(٢) تقدم (ص ٢٦١) .

(٣) في (ط) : (الملة) بدل : (المنة)

(٤) وهم التميميون الذين سبق الحديث عن خلطتهم بالقاضي الباقلاني (ص ٤٢٢) .

(٥) انظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٤٥٥) ، و« ترتيب المدارك » (٧/ ٤٤)

(٦) **يعني** : في مقبرة باب حرب ببغداد ، وكان قد دُفن ببيته أولاً ، ثم نقل إليها .

[ذبُّ الأشعريِّ وأئمَّةِ طريقتِهِ عن أهلِ السنَّةِ ، وأجوبتُهُ الدامغةُ لشُبهِ المبتدعةِ] :

ـ **وأمَّا قولُهُ** : (إنَّ الله لا يخلي كلَّ قطرٍ ممَّن يدحضُ قولَهم ، ويبيِّنُ فضيحتَهم ، ويدمغُ كلمتَهم)[1]

فلو عكسَ ما قالَهُ في ذلك لصدقَ قولُهُ ولم يُتَّهمْ ؛ لأنَّه لا يخلو كلُّ قطرٍ مِن قائمٍ منهم بالحُجَّةِ ، موضِّحٍ للناس سبيلَ المحجَّةِ ، مبيِّنٍ للخلق تمويهاتِ المُمَوِّهة ، محذِّرٍ مِن مذاهب المعطِّلة والمشبِّهة ، **وإن كان كلُّ عصرٍ لا يخلو مِن قائلٍ بغيرِ علم ، ومتكلِّمٍ بغير إصابةٍ ولا فَهْم ، مشتمِلٍ علىٰ أنواعٍ مِنَ المعايب ، مقتدٍ بفعله في تصنيفِ المثالب**[2] ، غير أنَّه لا يضرُّ بما يتقوَّلُ مِنَ البهتان إلا خاصَّةَ نفسِهِ ، ولا يغرُّ إلا أغماراً إذا اعتبرتَهم وجدتَهم مِنْ جنسِهِ

[البصرةُ وبغدادُ مَغْنيا الإمامِ الأشعريِّ]

ـ **وأمَّا قولُهُ** : (ولم يزلِ الأشعريُّ يسيرُ في البلاد ، ولا يُقبلُ قولُهُ ، ولا يرتفعُ حالُهُ ، وهو مخمولٌ غيرُ مقبول في بلاد الإسلام ، لا يرىٰ في كنف المسلمين عزّاً ، ولا في العلماء إقبالاً عليه ، حتىٰ لحقَ ببلد الأحساء ، بلدٌ

---

(١) انظر (ص ٧٦٠) .

(٢) رحم الله الإمام المصنف ما أوسع غورَهُ في قراءة التاريخ ومعرفة النفوس ! فبهـٰذه الفقرةِ تعلمُ أنَّ محْوَ أتباع المدرسة الظاهرية أصولاً . . لهو نوعٌ مِن المحال عادة ؛ إذ هـٰذه الأدمغةُ رفعَتْ عقيرتها زمنَ النبوة وزمنَ الراشدين ؛ فسُمع منها نحو : (اعدلْ يا محمد) ، و(لا حكمَ إلا لله) ، ولله حِكَمٌ في كلِّ موجود تُجهَلُ أو تُعلَم ؛ فلعلَّ لوجودها أثراً ـ وإن كانت فيما هي عليه خاطئةً أو مخطئة ـ في كبْحِ عجلة المتهوِّرين من المشتطِّين المتعجِّلين في تأويل النقول مع إمكان مواءمتها لمقرَّرات العقول ؛ كما هو حال عامَّة المعتزلة ومن ينتسب إلىٰ طريقتهم ، ولله في خلقه شؤون

لا يدخلُهُ مؤمنٌ ، ولا يقرُّ فيه مسلمٌ ، وإنَّما يدخلُهُ الفسقةُ الفجَّار ، وأولياءُ القرامطةِ الكفَّار)[1]

فمِنَ **الأقاويل** المختلقةِ والأكاذيب الكبار ، التي لا يتجاسرُ علىٰ حكاية مثلِهِ غيرُ الأوقاح الأغمار .

ما علمتُ أبا الحسن دخلَ مِن البلاد ، غيرَ البصرةِ وبغداد ، فمَنْ وصفَهُ بالتطوافِ والسيرِ في الآفاق ، غيرُ هـٰذا الجاهلِ الظاهرِ الاختلاق ؟! الذي لا يُشبِّهُ قبحُ اختلاقه ووَضْعِهِ ، إلا بغَثاثة ألفاظه وسجعِهِ ؛ **لأنَّه متىٰ تأتَّىٰ له في اللفظ وجهُ السجع . . تكلَّمَ به ولم ينظرْ إلىٰ فسادِ الوضع**[2] ، وإنَّما جاء بلفظةِ (مخمولٍ) لمَّا تأتَّىٰ له (غيرُ مقبول) ، فانظروا إلىٰ هـٰذا العالم الفاضل ؛ الذي أتىٰ بلفظة (المخمول) موضعَ (الخامِل)

ولعلَّهُ لمَّا سمعَ بأجوبةِ أبي الحسن التي سمَّاها : « الأجوبة الخراسانية » ، و« الأجوبة البغدادية » ، و« جواب الطبريين » ، و« جواب المصريين » ، و« الدمشقيين » ، و« الواسطيين » ، و« السيرافيين » ، و« الرامهرمزيين » ، و« العمانيين » ، و« الأرَّجانيين » ، و« الجرجانيين » . . **ظنَّ لبلادتِهِ أنَّه طافَ هـٰذه النواحيَ والبلدان ، فتقوَّلَ عليه ما حكيناه عنه مِنَ الزورِ والبهتان !** وإنَّما تلك مسائلُ وردَتْ عليه مِنَ الآفاق ، وسأَلَهُ إيضاحَها مَنْ كَتَبَ بها إليه مِن أهل الخلافِ له أو الوِفاق ، فأجابَ عنها بأوضحِ الجواب ، وبيَّنَ لمَن سألَهُ فيها وجْهَ الصواب ، وفي ذلك أوفىٰ تكذيبٍ لقوله : (إنَّه كان خاملَ الذكر ،

---

(١) انظر (ص ٧٦١)

(٢) وهـٰذه العبارة من قواعد علم البلاغة وفنون البديع ؛ إذ جمالُ السجع أن يكون عفوَ الخاطر ، لا كلفة فيه ولا كدَّ ، وكلامُ الأهوازي كما تراه علىٰ خلاف هـٰذا ، وحسبك ـ كما سيذكر المصنف ـ بتكلُّفه كلمةَ (مخمول) ليسجعها بـ (مقبول) ، وهجرِهِ لكلمة (خامل) التي فشا استعمالها عند الأدباء ؛ كخامل الذكر ، وخامل الأصل .

لا يرىٰ مِنَ العلماء إقبالاً عليه لوضاعةِ القدر)[١] ؛ إذ لو لم يكن معروفاً بين العلماء مشهوراً . . لَمَا كان فيما بَعُدَ عنه مِن البلدان مذكوراً ؛ حتىٰ يُكاتبَ مِن هٰذه الجهات النائيات ، ويُسألَ عن المسائلِ المشكلات

ـ وما أتىٰ **الأهوازيُّ** ـ لا رعاهُ الله ـ بما أَتَىٰ به مِنَ الطامَّة الكبرىٰ . . إلا لِمَا أرادَ اللهُ مِنْ هتْكِ سِترِهِ ، وقضاهُ مِنْ كشْفِ أمرِهِ ؛ فيما حكىٰ في الحكاية الأخرىٰ ، **وإنَّما قدَّرَ اللهُ له أن يَختِمَ كتابَهُ بمثل ذلك الكذبِ الشنيع ؛ ليُقطعَ بكذبِهِ ـ لا حاطَهُ اللهُ ـ في الجميع**[٢]

[الحديثُ عنْ قبرِ الإمامِ الأشعريِّ ، وأذيَّتِهِ مِنْ قبلِ جهلةِ الحنابلةِ] :

وكفاه مِنَ التكذيب له والإخساء ، دعواه أنَّ أبا الحسن رحمه الله ماتَ بالأحساء ، **ولا خلافَ بين الناس أنَّه مات ببغدادَ** ، فمَنْ قال غيرَ ذلك فقد أربىٰ علىٰ كلِّ كذَّابٍ وزادَ .

وقد ذكرتُ ذلك فيما تقدَّمَ وأسانيدَهُ[٣] ، فلا حاجةَ بي إلىٰ أن أعيدَهُ ، وقد

---

(١) يعني : هٰذا معنىٰ ما ذكره ، وإلا فعبارته قد تقدمت ، وهي من الضَّعة والركَّة بمكان لا يخفى علىٰ ناظر عجلان .

(٢) وهٰذه الحكاية هي فرية فرياته ، وأكذب كذباته ، وهي كما قال المصنف : (الطامة الكبرىٰ) ، ولولا أمانة العلم ، وكشف حقيقة هٰذا المفتري الذي أجمل المصنفُ في النقل عنه . . لكان الأجدر الإعراض عن ذكرها وذكر أخواتها ؛ وهي ما ختم به رسالته هٰذه ـ وبئس الختام ـ بقوله : (سمعت أبا عبد الله محمد بن محمد بن علان المحرسي المؤدب الشيخ الصالح بمكة رحمه الله يقول وهو قائم في الملتزم يودع البيت للرحيل مع حاج خراسان ، فجئت وقفت بجنبه ، وسألته الدعاء ، فدعا وأكثر ، وانتحب وبكىٰ ، ثم مسح وجهه بيديه بعد الدعاء ، ثم قال كلمةً اسمعْها منِّي تقرعُ بها الأشعرية ؛ **مات الأشعريُّ بالأحساء سكرانَ علىٰ ظهر غلامٍ** ، لعنه الله وأخزاه ، وجعل الجحيم مأواه ، وجميعَ مَن يعتقد اعتقاده) وانظر (ص ٧٦١)

(٣) انظر (ص ١٦١)

زرتُ قبرَهُ ببغدادَ غيرَ مرَّةٍ ، واعتبرتُ برؤيةِ تربتِهِ أوفىٰ عِبْرةٍ ، وعند قبرِهِ مِن قبور أصحابه ثلاثةُ قبور ، كلُّ ذي قبر منها مشهورٌ غيرُ منكور ، فالمقبورُ في الأول ابنُ مجاهدٍ ، وأبو بكر ابنُ بنت أبي بكر بن فُورَكَ صاحبُ القبر الثاني ، والمدفونُ في القبر الثالث أبو عبد الله محمدُ بن عتيق بن محمد المتكلِّمُ القَيروانيُّ

وقد وَلِعَ بعضُ جُهَّال الحنابلة بقبرِهِ ضراراً ، وخرَّبَ ما بُنِيَ علىٰ تربتِهِ ـ روَّاها اللهُ برحمته ـ مراراً ، فما ضرَّ ذلك أبا الحسن ولا نَقَصَ مِن قدرِهِ ، كما لم يضرَّ عثمانَ بن عفان رضي الله عنه مِنْ بعضِ الروافضِ تحريقُ قبره

٤١٤ـ حدثنا الشيخُ أبو النجم هلالُ بن حسن بن أحمدَ الفقيرُ بجامعِ دمشقَ مِن لفظِهِ قال[1] كنتُ ببغدادَ ، فقصدتُ زيارةَ قبرِ أحمدَ بن حنبلٍ رحمه الله في جماعةٍ مِن أهل بغدادَ والعجم ، فلمَّا رجعنا . . اجتزنا بقبرِ أبي الحسن الأشعريِّ رحمه الله ، وكان في جملتِنا رجلٌ بغداديٌّ ممَّن ينتمي إلىٰ مذهبِ الحنابلة ، فتخلَّفَ عنَّا بعدَ ذهابِنا مِنْ تربتِهِ ، وأحدثَ علىٰ قبرِهِ ولحقَ بنا ، فأخبرني بذلك ، فكَبُرَ عليَّ صنيعُهُ ! وعاتبتُهُ علىٰ فعلِهِ ، فقال : لو قدرتُ علىٰ عظامِهِ . . لنبشتُها وأحرقتُها ، فقلتُ له : إنَّ أبا الحسن لا يضرُّهُ ذلك ؛ فإنَّه قد ماتَ منذ زمان

فلمَّا كانَتْ تلك الليلةُ . . أصابَهُ في بيتِهِ بلاءٌ مِنْ بلاءِ الله عزَّ وجلَّ ، فكان يتضرَّبُ ويلقي الدَّمَ مِن حلقِهِ ، وبقيَ ثلاثةَ أيامٍ ثم ماتَ ، واشتَهرَ بين الناس أمرُهُ .

[استزادةُ بيانٍ في كذبِ الأهوازيِّ] :

ولولا أنَّ الأهوازيَّ جهلَ موضعَ قبرِهِ أو نَسِيَ . . ما حكىٰ ما ذكرَهُ عن أبي عبد الله محمدِ بن محمد المَحْرَسيِّ ، وإنَّما أراد الله عزَّ وجلَّ بذلكِ إظهارَ

---

(١) في (ط) : (الفقيه) بدل (الفقير) .

فضيحتِهِ ؛ ليعلمَ كلُّ ذي لبٍّ كَثرةَ كَذِبِهِ وعظيمَ قِحَتِهِ[1] ، فلو كانَ سكتَ عن ذكرِ الأحساء فيما حكاه عنه مِنَ الفرية . . لكان ربَّما وقعَ في صحَّتِهِ للجُهَّال نوعٌ مِنَ المِرْيَةِ[2] ، ولكنَّ الله سبحانه لم يزلْ يهتكُ أستارَ الكذَّابين ، ويكشفُ أسرارَ البهَّاتين الطعَّانين العيَّابين ، فكيف استجازَ في دينِهِ قذفَ مَيِّتٍ ، مِنْ غيرِ تحقيقٍ فيما قال ولا تثبُّتٍ ؟! فلا جرمَ أنَّه لمَّا استجازَ ما تقوَّلَهُ على هذا الإمامِ مِنَ المنكر . . رماهُ اللهُ عَدْلاً منه بالداءِ الأكبر

٤١٥ـ سمعتُ الشيخَ الفقيهَ أبا الحسن عليَّ بن المُسلِّمِ السلميَّ رحمه الله ـ وكان ثقةً ، وفوق الثقة ـ يحكي عن ثقةٍ لم يسمِّهِ لي ، أو سمَّاهُ فنسيتُ اسمَهُ : أنَّ أبا عبد الله محمدَ بن علي بن محمد بن صالح السلميَّ المقرئ المعروفَ بالمطرِّز النحويِّ[3] ـ وقد أدركَ الفقيه أبو الحسن أبا عبد الله المطرِّزَ ، ولكن لم يسمعْ منه لصغرِ سنِّهِ في زمنِهِ ـ : أنَّه دخلَ حمَّام النحَّاسين ليلاً ، فوجدَ أبا عليٍّ الأهوازيَّ مع غلام أسودَ على ضدِّ ما حكى هو عن المَحْرَسيِّ في حقِّ الأشعريِّ[4] ، فقال المطرِّزُ انظروا حالةَ مَن يقولُ في الأئمَّة ما يقول !

هذا معنى ما حكى لي رحمه الله[5]

---

(١) القِحَةُ ـ ومثلُها الوقاحةُ ـ : قلَّةُ الحياء

(٢) المِرْيَة : الشكُّ .

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن صالح ، وكان مع إمامته بالنحو مقرناً أشعرياً ، وانظر « تاريخ دمشق » (٥٤/ ٣٨٦)

(٤) أراد حكايته المفتراة في موت الإمام الأشعري سكرانَ على ظهر غلام ! وانظر (ص ٧٦١) ، وقوله (على ضدِّ ما . . .) يعني في صورة هذه الفاحشة التي نسبها زوراً وبهتاناً للإمام الأشعري ؛ فكان الغلام أسود على ظهره ! ومع هذا فالأليقُ في حقِّهما ما في التعليقة الآتية .

(٥) جاء في هامش (ب) حاشية : (سمعتُ الحافظ الذهبيَّ يحلفُ أنَّ هذه الحكاية كذبٌ والتي حُكِيَتْ في الأشعريِّ) ، وهذه التعليقة متأخِّرة عن زمن نسْخِ النسخة (ب) قرابةَ مئتي =

وكذا ينبغي أن يكونَ جزاءُ مَنْ يقدحُ في الأئمَّة ، ويطعنُ في الصدورِ مِن سلفِ الأمَّة ، وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم في حديث أبي برزةَ الأسلميِّ الذي

٤١٦- أخبرَنا به الشيخُ أبو القاسم هبةُ الله بن محمد بن عبد الواحد ابن الحُصينِ الشَّيبانيُّ ، أخبرنا أبو عليٍّ الحسنُ بن علي بن محمد التميميُّ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن جعفر بن حمدانَ القطيعيُّ ، حدثنا عبدُ الله بن أحمدَ بن محمد بن حنبلٍ ، حدثني أبي ، حدثنا أسودُ بن عامرٍ شاذانُ ، أخبرنا أبو بكرٍ - يعني ابنَ عياشٍ - ، عن الأعمشِ ، عن سعيدِ بن عبد الله بن جُريجٍ ، عن أبي برزةَ الأسلميِّ قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ ٱلإِيمَانُ قَلْبَهُ ؛ لاَ تَغْتَابُوا ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَاتِهِمْ . تَتَبَّعَ ٱللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَبَّعَ ٱللهُ عَوْرَتَهُ . . يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ** »[1]

ولا يستبعدنَّ جاهلٌ كذبَ الأهوازيِّ فيما أوردَهُ مِنْ تلك الحكايات ، فقد كان مِنْ أكذبِ الناس في بعضِ ما يدَّعيه مِنَ الروايات في القراءات ، ولقد

٤١٧- سمعتُ الشيخَ الفقيهَ أبا الحسن عليَّ بن أحمدَ بن منصور بن قُبيس الغسانيَّ رحمه الله - وكان ثقةً - يحكي عن أبيه ؛ أبي العباس بن قُبيس الفقيه - وكان في الثقة مثلَهُ أو فوقَهُ - وكان قد لقيَ الأهوازيَّ وعاصرَهُ ، وسمعَ معه مِنْ بعض شيوخِهِ أنَّه لمَّا أظهرَ الأهوازيُّ مِن الإكثار مِن الروايات في القراءات ما أظهرَ . . اتُّهِم في ذلك ، فسار أبو الحسن رشأُ بن نظيف ، وأبو القاسم بن الفرات ، وابن القَمَّاح المقرئون . . إلى العراق لكشفِ ما وقعَ في نفوسِهم

= سنة ، وعلى أيِّ حالٍ ؛ ففيها إثباتُ افتراءِ الأهوازيِّ على الأشعريِّ بإقرارٍ من الحافظ الذهبيِّ .

(١) ورواه أحمد في « مسنده » (٤/ ٤٢٠) ، وأبو داود (٤٨٨٠)

منه ، ووصلوا إلىٰ بغدادَ ، وقرؤوا علىٰ بعضِ الشيوخِ الذين روىٰ عنهم الأهوازيُّ ، وجاؤوا بالإجازاتِ عنهم وبخطوطِهم بما أَقْرَؤُوا به ، فمضى الأهوازيُّ إليهم ، وسألَهم أن يُروهُ تلك الخطوطَ التي معهم ، ففعلوا ، ودفعوها إليه ، فأخذَها وغيَّرَ أسماءَ مَنْ سُمِّيَ عنده ؛ لتستترَ دعواه[1] ، فعادَتْ عليه بركةُ القرآن ، فلم يَفْتَضِحْ[2]

هـٰذا معنىٰ ما سمعتُهُ منه .

٤١٨ـ وبلغني عنه أنَّهم[3] سألوا عنه بعضَ المقرئين الذين ذَكَرَ أنَّه قرأَ عليهم ، وحَلَّوْهُ له[4] ، فقال هـٰذا الذي تذكرونَهُ قد قرأَ عليَّ جزءاً مِنَ القرآن[5] ، أو نحوه .

* **قال أبو الحسن بن قُبيس** وحدثني والدي أبو العباس قال : عاتبتُ أو عُوتبَ أبو طاهرٍ الواسطيُّ المقرئ في القراءة علىٰ أبي عليٍّ الأهوازيِّ ، فقال : أقرأُ عليه للعلم ـ يعني : القراءاتِ ـ ولا أصدِّقُهُ في حرفٍ واحد[6]

* **قال** : وحدثني أبو طاهر محمدُ بن الحسن بن علي بن الملحيِّ قال : كنتُ عند رشأِ بن نظيفٍ المقرئ المُعدَّلِ في دارِهِ علىٰ باب الجامع ، ولها طاقةٌ إلى الطريق ، فاطَّلعَ فيها وقال قد عَبَرَ رجلٌ كذَّابٌ ، فاطلعتُ ، فوجدتُهُ الأهوازيَّ

---

(١) في (ط) ونسخة هامش (ب) : (ليستتر) بدل (لتستتر)

(٢) ونقل الخبرَ الحافظُ الذهبيُّ في « تاريخ الإسلام » (٣٠/ ١٢٧) عن المصنف هنا

(٣) يعني : ابن نظيف وابن الفرات وابن القمَّاح ، ويظهر أن البلاغ من كلام المصنف ، ويحتمل أنه من كلام ابن قبيس .

(٤) يعني : وصفوه له ونعتوه

(٥) سقط من (أ ، ب ، و) قوله : (من القرآن)

(٦) انظر « تاريخ الإسلام » للحافظ الذهبي (٣٠/ ١٢٧)

٤١٩ـ وأنبأنا الشيخُ أبو الفضائل الحسنُ بن الحسن بن أحمدَ الكلابيُّ الإمامُ ، حدثني أخي لأمِّي أبو الحسن عليُّ بن الخضر بن الحسن العثمانيُّ قال : تُوفِّيَ أبو عليٍّ الأهوازيُّ ؛ الحسنُ بن علي ، يومَ الاثنين الرابعَ من ذي الحجَّةِ ، سنةَ ستٍّ وأربعين وأربعِ مئة ، تكلَّمُوا فيه ، وظهرَ له تصانيفُ ، زعموا أنَّه كَذَبَ فيها

فإذا كان هـٰذا فعْلَ الأهوازيِّ في ادِّعاءِ قراءةٍ لا يضرُّ مدعيَها ، ألا يكونَ قرأَ بها قطُّ ولا أن يدعيَها[1] . . فكيف يُستبعَدُ منه أن يكذبَ علىٰ إمامٍ أصَّل للموحدين الأصولَ ، وأذهبَ أوقاتَهُ في التحذيرِ مِن مِثْل مذهبِهِ في التشبيه وفصَّل لهم الفصولَ ؟! مع ما يظهرُ منه مِنَ الإفراط في بغضِهِ والغلوِّ ، ولأجْلِ هـٰذا المعنىٰ لم يقبلِ الشارعُ شهادةَ العدوِّ على العدوِّ .

٤٢٠ـ وذكرَ أخي الشيخُ أبو الحسين[2] قال : قال لي الشيخُ الحافظُ أبو محمد عبدُ الله بن أحمدَ بن عمرَ بن السمرقنديِّ : قال لنا الشيخُ الإمام الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ رحمه الله : (أبو عليٍّ الأهوازيُّ : كذَّابٌ في الحديثِ والقراءاتِ جميعاً)[3]

[اللعنُ والسبُّ والشتيمةُ مِنْ سماتِ السفهاءِ ، يتنزَّهُ عنها أهلُ الإيمانِ بَلْهَ العلماءِ] :

ـ فأمَّا ما ارتكبه الأهوازيُّ في خلال ما أوردَهُ مِنَ الإزراء عليه والطعن ؛ مِنْ

---

(١) وفي (ط) : (قراءات) بدل (قراءة) .

(٢) الفقيه المقرئ صائن الدين هبة الله بن الحسن ابن عساكر ؛ أخو المصنف الأكبر ، توفي سنة (٥٦٣ هـ) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٧٣/ ٣٦٢) ، وقد قرأ علىٰ سبيعِ صاحب الأهوازي .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٠/ ١٢٧) .

أنواع الدعاءِ عليه والسبِّ القبيح له واللعنِ ، والرغبةِ إلى الله في إدخاله النارَ ، والابتهالِ إليه أن يحمِّلَهُ الآثامَ والأوزار

فممَّا لا أقابلُهُ عليه بمثْلِ صنيعِهِ ، بل أَكِلُ مكافأتَهُ إلى الله عزَّ وجلَّ على جميعه ، وكفى به سبحانه وتعالى له مجازياً ، وحسيباً له على ما يقولُ كلُّ مُتقوِّلٍ مكافياً[١] ، ولو كان له إيمانٌ يمنعُهُ ، أو حياءٌ يكفُّهُ عمَّا يتقوَّل ويردعُهُ . لَمَا كان للأئمَّة لعَّاناً ، وعليهم بالمُحالِ طعَّاناً ، وقد وردَ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في ذمِّ اللعن واللعَّانين ما

٤٢١ـ أخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله الحسينُ بن عبد الملك بن الحسن الأديب بأصبَهانَ ، أخبرنا أبو طاهر أحمدُ بن محمود بن أحمدَ الثقفيُّ ، وأبو القاسم إبراهيمُ بن منصور بن إبراهيمَ السلميُّ ـ فرَّقَهُما[٢] ـ قالا : أخبرنا أبو بكر محمدُ بن إبراهيمَ بن علي بن عاصم بن المقرئ ، حدثنا أبو عبيد عليُّ بن الحسين ـ يعني ابن حَرْبويه ـ ، حدثنا الحسنُ بن عبد العزيز ـ يعني : الجَرَوِيَّ ـ ، حدثنا يحيى بنُ حسانَ ، حدثنا الوليدُ بن رباحٍ قال : سمعتُ نِمْرانَ يذكرُ عن أمِّ الدرداءِ قالَتْ سمعتُ أبا الدرداءِ يقول : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **إِنَّ ٱلْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئاً . صَعِدَتِ ٱللَّعْنَةُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ دُونَهَا ، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى ٱلأَرْضِ ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا ، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِيناً وَشِمَالاً ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مَسَاغاً . رَجَعَتْ إِلَىٰ قَائِلِهَا** »[٣]

---

(١) في (أ) : (وحسيباً به على ما تقوَّل كل متقوِّل مكافياً) .

(٢) قوله : (فرَّقهما) يعني : لم يجعلهما في سندٍ واحدٍ كما فعل المصنف هنا طلباً للاختصار ، بل روىٰ ـ والراوي هنا أبو عبد الله الأديب ـ الحديثَ مرَّتين بسندين ؛ مرَّة عن أبي طاهر الثقفي ، ومرَّة عن أبي القاسم السلمي .

(٣) ورواه أبو داود (٤٩٠٥) ، وجوَّد الحافظ ابن حجر إسناده في « فتح الباري » (١٠/٤٦٧)

هكذا يقول يحيى بنُ حسان التِّنِّيسيُّ ، وغيرُهُ يقول رباحُ بن الوليد الذِّماري ، وهو الصوابُ[1]

ونِمْرانُ : هو ابن عتبةَ ، دمشقيٌّ

٤٢٢ـ أخبرَنا أبو القاسم زاهرُ بن طاهر المُسْتملِي ، أخبرنا أبو سعد محمدُ بن عبد الرحمـٰن الفقيهُ ، أخبرنا أبو أحمدَ محمدُ بن محمد بن أحمدَ الحافظُ ، أخبرنا أبو عَرُوبةَ الحسينُ بن محمد ، (ح)

وأخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله الخلالُ ، أخبرنا أحمدُ بن محمود بن أحمدَ الأديبُ ، أخبرنا محمدُ بن إبراهيمَ بن عليٍّ ، حدثنا أبو عَرُوبةَ الحرَّانيُّ ـ يعني : الحسين بن محمد بن مودود ـ ، حدثنا مخلدُ بن مالك هو الحرَّانيُّ السَّلَمْسِينيُّ ، حدثنا حفصُ بن ميسرةَ ، عن زيد بن أسلمَ : أنَّ عبدَ الملك بن مروانَ بعثَ إلىٰ أمِّ الدرداءِ ، فكانَتْ عنده ، فلمَّا كانت ذات ليلةٍ . . قام عبدُ الملك مِنَ الليل ، فدعا خادمَهُ ، فكأنَّهُ أبطأَ عنه ، فلعنَهُ ، فلمَّا أصبحَ . . قالَتْ له أمُّ الدرداءِ قد سمعتُكَ الليلةَ لعنتَ خادماً ! قال : إنَّهُ أبطأَ عنِّي ، قالَتْ : سمعتُ أبا الدرداءِ يقول : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **لاَ يَكُونُ ٱللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ** »[2]

٤٢٣ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو القاسم هبةُ الله بن محمد بن عبد الواحد الشيبانيُّ ، أخبرنا أبو عليٍّ الحسنُ بن علي بن محمد التميميُّ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن جعفر بن حمدانَ ، حدثنا عبدُ الله بن أحمدَ بن محمد بن حنبلٍ ،

---

(١) قال الحافظ الإمام أبو داود بعد رواية الحديث (قال مروان بن محمد هو رباح بن الوليد ، وسمع منه مروان ، وذكر أن يحيى بن حسان وَهِمَ فيه) .

(٢) ورواه مسلم (٢٥٩٨) ، وقوله : (شهداء) يعني : على الأمم ، أو مطلق الشهادة ؛ ففيه سلب العدالة عنهم .

حدثني أبي ، حدثنا عبدُ الصمد ـ يعني : ابنَ عبد الوارث ـ ، حدثنا عبيدُ الله بن هَوذَةَ القُرَيْعيُّ أنَّه قال حدثني رجلٌ سمعَ جُرْمُوزاً الهُجَيميَّ[1] قال : قلتُ : يا رسولَ الله ؛ أوصني ، قال : « **أُوصِيكَ أَلاَّ تَكُونَ لَعَّاناً** »[2]

٤٢٤ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله الخلاَّلُ الأصبَهانيُّ ، أخبرنا أبو القاسم إبراهيمُ بن منصور الخبَّازُ ، أخبرنا أبو بكر بن المقرئ ، أخبرنا أبو يعلىٰ أحمدُ بن عليٍّ الموصليُّ ، حدثنا محمدُ بن بشارٍ بندارٌ ، حدثنا أبو عامرٍ ، حدثنا كثيرُ بن زيدٍ المدنيُّ قال : سمعتُ سالمَ بن عبد الله يحدِّثُ عن أبيه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **لاَ يَكُونُ ٱلْمُؤْمِنُ لَعَّاناً** »

رواه الترمذيُّ في « جامعه » عن بندار[3]

والأحاديثُ في هٰذا المعنىٰ كثيرةٌ متَّسعةٌ ، وهٰذه التي أوردتُها في المعنىٰ ها هنا مقنعةٌ ، **فالمؤمنُ الكاملُ الإيمان** : هو الذي لا يتسارعُ إلى اللعْنِ ، **والمخذولُ الضعيفُ الإيقان** : يمتثلُ أمرَ الشيطانِ له بالوقيعةِ في الناس والطعْنِ .

٤٢٥ـ وقد أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم هبةُ الله بن محمد ابن الحُصين ، أخبرنا أبو طالب محمدُ بن محمد بن إبراهيمَ بن غَيْلانَ البزَّازُ ، أخبرنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن محمد بن يحيى المُزكِّي ، أخبرنا أحمدُ بن محمد بن الحسين الماسَرْجِسيُّ ، حدثنا الحسنُ بن عيسىٰ ، حدثنا ابنُ المبارك ، (ح) .

وأخبرَنا الشيخُ أبو غالب أحمدُ بن الحسن ، أخبرنا الحسنُ بن علي

---

(١) كذا في (هـ) ، وفي سائر النسخ : (جرموز) بغير تنوين .

(٢) ورواه أحمد في « مسنده » (٥/ ٧٠)

(٣) سنن الترمذي (٢٠١٩) ، وقال : (وفي الباب عن عبد الله بن مسعود ، وهٰذا حديثٌ حسنٌ غريب ، وروىٰ بعضهم بهٰذا الإسناد عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : « لا ينبغي للمؤمنِ أن يكونَ لَعَّاناً » ، وهٰذا الحديث مُفَسِّرٌ) ، و«مسند أبي يعلىٰ» (٥٥٦٢) .

الجوهريُّ ، أخبرنا محمدُ بن العباس الخزَّازُ ، أخبرنا يحيى بنُ محمد بن صاعد ، حدثنا الحسينُ بن الحسن ، أخبرنا عبدُ الله بن المبارك ، أخبرنا سفيانُ ، عن سليمانَ ، عن أبي رَزِينٍ قال : جاءَ رجلٌ إلى الفضيلِ بن بَزَوانَ[1] فقال : إنَّ فلاناً يقعُ فيك ، قال لأغيظَنَّ مَنْ أَمَرَهُ ؛ يَغفِرُ اللهُ لي وله ، قيل مَنْ أَمَرَهُ ؟ قال : الشيطانُ[2]

[عجمةُ المفتري الأهوازيِّ وركاكةُ كلامِهِ] :

ـ فأمَّا ما في كلام الأهوازيِّ مِنَ اللَّحْنِ والركاكَةِ ، والألفاظِ التي لا يتلفَّظُ بمثلِها غيرُ الحاكَةِ[3]

فكثيرٌ ظاهرٌ لمَن تأمَّلَهُ وتدبَّره ، والخطأُ فيه لا يخفىٰ علىٰ مَن نظرَهُ ، فالمتتبِّعُ لذلك بالتبيين والكشف مُتكلِّفٌ مُعَنّىً ، وكيف يُطالبُ الأهوازيُّ بالإصابةِ في اللفظ وقد أخطأَ المعنىٰ ؟! **ولولا خشيةُ أن يَغترَّ مُغترٌّ بما حكاه ، ويعتقدَ جاهلٌ صدقه فيما رواه. . لكان الإعراضُ عن الردِّ علىٰ مثله أَولىٰ ، والاشتغالُ بغير نقض كلامِهِ أنفعَ في الآخرة والأُولىٰ .**

ولستُ أعجبُ منه فيما أتاه مِنَ الجهل ؛ لأنَّهُ اللائقُ به لسوء العَقْدِ وعدمِ

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في « تبصير المنتبه » (١/ ٢٢٠) : (وبفتح الزاي : فُضَيل بن بَزَوان الزاهدُ ، قتله الحجَّاج ، حكىٰ عنه ميمون بن مهران) ، وقال الحافظ ابن حبان في « الثقات » (٥/ ٢٩٥) (الفضيل بن بَزَوان : من أهل الكوفة ، يروي عن ابن مسعود ، روىٰ عنه أبو رزين) .

(٢) ورواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٧٠)

(٣) **الحاكة** : جمع حائك ؛ وهو النسَّاج ، وعن الحاكة يقول أديبُ البيان الجاحظ في « البيان والتبيين » (١/ ٢٤٩) (الحاكةُ أقلُّ وأسقطُ من أن يقال لها : حمقىٰ ، وكذلك الغزَّالون ؛ لأن الأحمق هو الذي يتكلم بالصواب الجيد ثم يجيء بخطأ فاحش ، **والحائكُ ليس عنده صواب جيد في فعال ولا مقال**) .

الفضل ، وإنَّما أعجبُ مِنْ تُيُوسٍ سمعوهُ منه وحكَوْهُ[١] ، وجُهَّالٍ كتبوهُ عنه ورَوَوْهُ ! ولٰكنْ لكلِّ ساقطةٍ لاقطةٌ[٢] ، وعلىٰ قدرِ الوجْهِ تكونُ الماشطة .

فهٰذا جُملةُ الجواب الكافي في الردِّ علىٰ هٰذا العايب[٣] ، الشافي في إظهارِ ما فيه مِنْ أنواعِ المعايب .

وبعد ما استفرغَ في الذمِّ جُهْدَهُ ، واستوفىٰ منه ذكْرَ ما عندَهُ . . فإنَّه لم يضرَّ بما ذكَرَ غيرَ نفسه ، ولم يُفصحْ بانتقاصِ أهلِ الفضلِ إلا عن فسادِ حسِّهِ ، ولم يَنقُصْ أبا الحسن رحمه الله عند العلماءِ مِنْ رتبتِهِ ، ولا حطَّهُ بما زوَّرَهُ[٤] ولفَّقَهُ مِنَ الكذب عن مرتبتِهِ .

[في الصحابةِ الكرامِ والسلفِ الصالحين للأشعريَّة ، أسوةٌ حسنةٌ في تحمُّلِ الأذيَّةِ] :

ولأبي الحسن رحمه الله بالأكابر مِنَ الصحابة رضي الله عنهم أحسنُ الأسوة ، مع أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم أنزلَهم للمسلمين بمنزلةِ القدوة ؛ قال صلى الله عليه وسلم : « **أَصْحَابِي كَٱلنُّجُومِ ، بِأَيِّهِمُ ٱقْتَدَيْتُمْ . ٱهْتَدَيْتُمْ** »[٥]

---

(١) في (ط) : (سمعوا) بدل (سمعوه) ، وفيه غمزٌ برواة « المثالب » وكَتَبَتِهِ .

(٢) نقل العلامة الميداني في « مجمع الأمثال » (٢/ ١٩٣) عن الأصمعي وغيره في شرح هٰذا المثل : (الساقطةُ : الكلمة يسقط بها الإنسان ؛ أي : لكلِّ كلمة يخطئ فيها الإنسانُ مَنْ يتحفَّظُها فيحملُها عنه ، وأدخل الهاء في « لاقطة » إرادة المبالغة ، وقيل : أُدخلَتْ لازدواج الكلام) .

(٣) سُهِّلت لمراعاة السجعة ؛ إذ كلمة (المعايب) الآتية لا يجوز فيها الهمز .

(٤) في (ب) : (رواه) بدل (زوره)

(٥) قال الحافظ الزيلعي في « تخريجه لأحاديث تفسير الكشاف » (٢/ ٢٢٩) : (قلتُ : روي من حديث ابن عباس ، ومن حديث جابر ، ومن حديث أبي هريرة ، ومن حديث ابن عمر) ، ثم عزا كلَّ حديث إلىٰ مخرجه مبيِّناً الرواية ، وقد قال الحافظ البيهقي في « المدخل » (١٥٣) : (هٰذا حديث متنُهُ مشهور ، وأسانيدُهُ ضعيفة ، لم يثبتْ في هٰذا إسناد ، والله أعلم) ، وانظر « الاعتقاد » له (ص ٣٩٩) .

فلئن سُبِبْتُمْ يا معشرَ الأشعريَّة كما سُبُّوا . . فلقد اعتدى الذين سبُّوكم وما اعتديتم ؛ فمَنْ سَلِمَ مِنَ الصحابة مِنْ كلام حاسدٍ ؟! وأيُّهم خلا مِنْ عدوٍّ معاند ؟!

هـٰذا أبو بكرٍ الصديقُ وعمرُ الفاروقُ رضوان الله عليهما وأقوالُ الروافض فيهما مُشتهِرةٌ ، وتقوُّلاتُهم عليهما بما لا يستجيزُ مسلمٌ أن يحكيَهُ فضلاً عن أن يقولَهُ في حقِّهِما . . منتشرةٌ ، وهـٰذا عثمانُ بن عفان ذو النورين رضي الله عنه وذمُّ الروافضِ والخوارجِ له فيما بينهم مألوفٌ ، وهـٰذا عليُّ بن أبي طالب أبو السِّبطين رضي الله عنه ورأْيُ الخوارج وبني أميَّةَ فيه معروفٌ ، وهـٰذه عائشةُ أمُّ المؤمنين وزوجُ الرسول صلى الله عليه وسلم التي برَّأها الله عزَّ وجلَّ في محكم التنزيل . . لم تسلمْ على ألسنة أهل الرِّفْض ، مع ما يخفون ويعلنون لها مِنَ البغض ، وكذلك غيرُ مَنْ سمَّيتُ مِنْ أكابر الصحابة ، وغيرُهم مِن سادة العترة والقرابة ، ومَنْ بعدَهم مِن فقهاء الأمصار ، وأئمَّة الدين في سائر الأعصار ؛ قلَّ مَنْ سلمَ منهم مِنْ طعنٍ ، وربَّما تناولَ بعضُ الجُهَّال بعضَهم بلعنٍ .

٤٢٦ـ وقد أخبرَنا الشيخُ أبو عبد الله الحسينُ بن عبد الملك الخلاَّلُ ، أخبرنا أبو القاسم إبراهيمُ بن منصور السلميُّ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن إبراهيمَ بن المقرئ ، أخبرنا عليُّ بن منير بن دينارٍ الواسطيُّ ، حدثنا أحمدُ بن زكريا ، حدثنا عبدُ الله بن نُمير ، عن إسماعيلَ بن إبراهيمَ بن مهاجر ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن مسروقٍ ، عن عائشةَ رضي الله عنها قالت : أُمروا بالاستغفار لهم فسبُّوهم ، أَمَا إنِّي سمعتُ نبيَّكُم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تَفْنَىٰ هَـٰذِهِ ٱلْأُمَّةُ حَتَّىٰ يَلْعَنَ آخِرُهَا أَوَّلَهَا »[1]

ولو وقفتُم علىٰ ما يقول كلُّ معتزليٍّ مُخَبَّلٍ ، في حقِّ الإمام أبي عبد الله

(١) ورواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٢٤١) .

أحمدَ بن محمد بن حنبلٍ ، ممَّا قد نزَّهَهُ الله عنه ، وبرَّأَ قدرَهُ ودينه منه ، ولذلك قيل ما

٤٢٧ـ **أخبرَنا** الشيخُ أبو الحسن عليُّ بن أحمدَ بن منصور الفقيهُ ، وأبو منصور محمدُ بن عبد الملك بن خيرونَ قالا حدثنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابت الخطيبُ ، أخبرنا الحسينُ بن شجاع الصوفيُّ ، أخبرنا عمرُ بن جعفر بن محمد بن سلم ، حدثنا أحمدُ بن علي الأبَّارُ قال : سمعتُ سفيانَ بن وكيعٍ يقول : (**أحمدُ عندنا محنةٌ ، مَنْ عابَ أحمدَ عندنا . . فهو فاسقٌ**)[١]

* وقال أبو بكر الخطيبُ : حدثني الحسنُ بن أبي طالبٍ ، حدثنا أحمدُ بن إبراهيمَ بن شاذانَ ، حدثنا محمدُ بن عليٍّ المقرئ بالدالية قال أنشدنا أبو جعفر محمدُ ابن بَدِينا الموصليُّ قال أنشدني ابنُ أعينَ في أحمدَ بن حنبلٍ رحمه الله[٢] [من الكامل]

أَضْحَى ٱبْنُ حَنْبَلَ مِحْنَةً مَأْمُونَةً ... وَبِحُبِّ أَحْمَدَ يُعْرَفُ ٱلْمُتَنَسِّكُ

وَإِذَا رَأَيْتَ لِأَحْمَدٍ مُتَنَقِّصاً ... فَٱعْلَمْ بِأَنَّ سُتُورَهُ سَتُهَتَّكُ

لعلمتُم أنَّ أحداً لم يسلمْ مِنْ ألسنة الطعَّانين[٣] ، ولم يخلُ بعضُ الكبار مِن لعنِ بعضِ اللعَّانين ، **وقد**

٤٢٨ـ **أخبرَنا** الشيخُ أبو القاسم زاهرُ بن طاهرٍ الشَّحَّاميُّ بنيسابورَ ، أخبرنا سعيدُ بن محمد بن أحمدَ بن محمد بن جعفرٍ المُعدَّلُ فيما قُرِئَ عليه وأنا حاضرٌ قال : سمعتُ أبا عبد الله محمدَ بن عبد الله الحافظَ يقول : حدثني أبو بكر

---

(١) ورواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/ ١٨٦) .

(٢) انظر « تاريخ بغداد » (٥/ ١٨٦) ، و« تاريخ دمشق » (٥/ ٣٢١) .

(٣) في (ط) : (لعلمت) بدل (لعلمتم) ، وهو جواب الشرط المتقدم : (ولو وقفتُم . . .) .

إسماعيلُ بن محمد بن إسماعيلَ الفقيهُ ، حدثنا جعفرُ بن محمد الزعفرانيُّ قال : سمعتُ عبدَ الرحمـٰن بن عمرَ الأصبَهانيَّ يقول : كنَّا في مجلسِ عبد الرحمـٰن بن مهديٍّ ، إذ دخلَ عليه شابٌّ ، فما زال يُدنيه حتىٰ أجلسَهُ إلىٰ جنبِهِ .

قال : فقامَ شيخٌ مِنَ المجلس فقال يا أبا سعيدٍ ؛ إنَّ هـٰذا الشابَّ ليتكلَّمُ فيك ، حتىٰ إنَّهُ ليكذِّبُكَ ! فقال عبد الرحمـٰن : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ، ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤ـ٣٥] .

ثم قال عبد الرحمـٰن حدثني أبو عُبيدةَ الناجيُّ قال كنَّا في مجلس الحسن البصريِّ ، إذ قامَ إليه رجلٌ فقال : يا أبا سعيد ؛ إنَّ ها هنا قوماً يحضرون مجلسَكَ ليتتبَّعوا سَقَطَ كلامِكَ ، فقال الحسنُ : **يا هـٰذا ؛ إنِّي أطمعْتُ نفسي في جوار الله فطمِعَتْ ، وأطمعْتُ نفسي في الحورِ العِين فطمِعَتْ ، وأطمعْتُ نفسي في السلامة مِنَ الناس فلم تطمعْ ، إنِّي لمَّا رأيتُ الناسَ لا يرضون عن خالقِهم . . علمتُ أنَّهم لا يرضون عن مخلوقٍ مثلِهم**[1]

٤٢٩ـ وأخبرَني الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيمَ الحسينيُّ ، وأبو الحسن عليُّ بن أحمدَ الغسانيُّ قالا : حدثنا ، وأبو منصور عبدُ الرحمـٰن ابن محمد بن زُريق قال أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن عليٍّ الحافظُ ، أخبرنا أبو طالبٍ عمرُ بن إبراهيمَ الفقيهُ ، أخبرنا القاضي أبو الحسين عيسى بنُ حامد بن القُنَّبيطيِّ[2] ، حدثنا أحمدُ بن الصَّلتِ أبو العباس ، حدثنا عمِّي

---

(١) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (ص ١٧٠) مقتصراً على أثر الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ

(٢) في (هـ ، ط) : (القبيطي) ، والمثبت هو الصواب .

جُبارةُ بن المُغلِّس ، ومحمدُ بن عبد الله بن نُمير ، وأبو بكر بن أبي شيبةَ قالوا حدثنا يحيى بنُ يمان ، عن سفيانَ الثوريِّ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ قال سألَ يحيى بن زكريا ربَّهُ تعالىٰ ؛ قال : ربِّ ؛ **اجعلني أَسْلمُ علىٰ ألسنةِ الناس** ، قال: فأوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إليه **يا يحيىٰ ؛ لم أجعلْ هٰذا لي ، فكيف أجعلُهُ لك ؟!**[1]

ولا شكَّ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لمَّا قبضَهم إلىٰ رحمته ، وتوفَّاهم عند منتهىٰ آجالِهم بحكمتِهِ . . **أرادَ أن يجريَ لهم الثوابَ بعد توفِّيهم ؛ بأن يكتبَ لهم أجراً بما يُقال فيهم** ، مع أجرِ ما قدَّموا مِن صالحِ الأعمال ، وعلَّموا الناس في سائر الأحوال ؛ **لئلا ينقطعَ عنهم الأجرُ بعد مماتِهم ، ويكون ذلك زيادةً لهم في حسناتهم** ؛ وقد قالت عائشةُ رضي الله عنها ما

٤٣٠ـ أخبرَنا الشيخُ أبو محمد عبدُ الكريم بن حمزةَ بن الخضر السلميُّ بدمشقَ ، حدثنا الشيخُ أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابتٍ الحافظُ إملاءً بدمشقَ ، أخبرنا أبو سعيد محمدُ بن موسى الصيرفيُّ بنيسابورَ ، حدثنا محمدُ بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مُغَفَّلٍ المزنيُّ ، حدثنا زكريا بن يحيى الساجي ، حدثنا محمدُ بن موسى الحرشيُّ ، حدثنا محمدُ بن سليمانَ بن معاذ ، أخبرني عثمانُ بن طلحةَ ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابرِ بن عبد الله قال : قيل لعائشةَ رضي الله عنها : إنَّ ناساً يتناولون أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتىٰ إنَّهم ليتناولون أبا بكر وعمرَ ! فقالت **أتعجبون من هٰذا ؟! إنَّما قَطعَ عنهم العملَ ، فأحبَّ ألاَّ يقطعَ عنهم الأجرَ**[2]

٤٣١ـ وأخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو منصور محمدُ بن عبد الملك ابن خيرونَ

---

(١) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٦٧) .

(٢) ورواه المصنف في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٣٨٧) .

قال : أخبرنا ، وأبو الحسن عليُّ بن الحسن بن سعيد قال حدثنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن ثابتٍ الخطيبُ ، أخبرنا التَّنُوخيُّ ، حدثنا أحمدُ بن يوسفَ الأزرقُ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن عبد الله الوكيلُ ، حدثنا عبَّادُ بن الوليد ، حدَّثني محمدُ بن سليمانَ القرشيُّ ، حدثني عثمانُ بن طلحةَ القرشيُّ ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابرِ بن عبد الله قال قيل لعائشةَ رضي الله عنها إنَّ ناساً يتناولون أصحابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، حتىٰ إنَّهم ليتناولون أبا بكر وعمرَ ! قالت **ما تعجبونَ من هٰذا ؟! انقطعَ عنهم العملُ ، فلم يحبَّ اللهُ أن يقطعَ عنهم الأجرَ**[1]

وقال الشافعيُّ رحمه الله ما :

٤٣٢ـ أخبرَنا الشيخُ الفقيهُ أبو الفتح نصرُ الله بن محمد بن عبد القويِّ الشافعيُّ ، أخبرنا أبو البركات أحمدُ بن عبد الله بن علي المقرئ ، أخبرنا أبو القاسم عبيدُ الله بن أحمدَ بن عثمانَ الأزهريُّ ، أخبرنا أبو عليٍّ الحسنُ بن الحسين الهمَذانيُّ قال : حدثني الزُّبيرُ ـ يعني : ابنَ عبد الواحد الأسداباذيَّ ـ ، حدثني الحسنُ بن علي بن يعقوبَ أبو عليٍّ الأصبَهانيُّ ، حدثنا أبو زكريا يحيى بن زكريا بن حيَّويه النيسابوريُّ قال : سمعتُ محمدَ بن عبد الله ـ يعني ابنَ عبد الحكم ـ يقول : سمعتُ الشافعيَّ يقول (**ما أرى الناسَ ابتُلُوا بشتمِ أصحابِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم . . إلا ليزيدَهم اللهُ بذلك ثواباً عندَ انقطاعِ عملِهم**)[2]

٤٣٣ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو القاسم زاهرُ بن طاهرٍ المُعدَّلُ ، أخبرنا أبو بكر

---

(١) ورواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١١/ ٢٧٥) .

(٢) ورواه البيهقي في « مناقب الشافعي » (١/ ٤٤١) ، والمصنف في « تاريخ دمشق » (٥١/ ٣١٧) .

أحمدُ بن الحسين الحافظُ ، أخبرنا عبدُ الله بن يوسفَ الأصبَهانيُّ ، أخبرنا أبو بكر عمرُ بن محمد صاحبُ الكَتَّانيِّ ، حدثنا أبو عثمانَ الكرخيُّ ، حدثنا عبدُ الرحمـٰن بن عمَر رُسْتَهْ[1] قال : سمعتُ عبدَ الرحمـٰن بن مهديٍّ يقول : (**لولا أنِّي أكرهُ أن يُعصى اللهُ عزَّ وجلَّ . . لتمنَّيتُ ألاَّ يبقىٰ في هـٰذا المصرِ أحدٌ إلا وقعَ فيَّ واغتابني ، وأيُّ شيءٍ أهنأُ مِنْ حسنةٍ يجدُها الرجلُ في صحيفتِهِ يومَ القيامة لم يعملْها ولم يعلمْ بها ؟!**)[2]

وليس مَن يُذكرُ بالسوء مغبوناً ، بل الذَّامُّ له واللاعنُ له يصيرُ ملعوناً ، وكيف يكونُ المذكورُ بسيِّئِ الذكر مرجوماً ، وقد صارَ مثاباً وذاكرُهُ بما قال فيه مأثوماً ؟! وقد :

٤٣٤ـ **أخبرَنا** الشيوخُ ؛ أبو الحسن عليُّ بن أحمدَ بن منصورٍ قال : حدثنا ، وأبو منصور عبدُ الرحمـٰن بن محمد الشيبانيُّ ، وأبو النجم بدرُ بن عبد الله الشِّيحيُّ ببغدادَ قالا : أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن علي الخطيبُ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن علي بن يزدادَ القارئ ، أخبرنا أبو الخير زيدُ بن رِفاعةَ الهاشميُّ ، حدثني أبي ، حدثنا أبو كاملٍ الجَحدريُّ ، حدثني أبي الحسينُ بن فُضيل قال : قال رجلٌ لعمرِو بن عُبيدٍ : يا أبا عثمانَ ؛ إني لأرحمُكَ ممَّا يقول الناسُ فيك ، قال يا بنَ أخي ؛ أسمعتَني أقولُ فيهم شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فإيَّاهم فارحمْ .

وراسلَهُ واحدٌ بما يكره ، فقال لمبلِّغِهِ : قلْ له : إنَّ الموتَ يجمعُنا ، والقيامةَ تضمُّنا ، واللهُ يحكمُ بينَنا[3]

---

(١) في مطبوعة العلامة الكوثري هنا عُلِّقَ : (كذا بياضٌ في الأصل) ، والكلامُ متَّصل في سائر النسخ المعتمدة ، ورسته ـ بهاء أعجمية ـ : لقبُ عبد الرحمن .

(٢) ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١١) .

(٣) ورواهما الخطيب في « تاريخ بغداد » (٨/ ٤٥١) .

وكلُّ من أطلقَ لسانه في العلماء بالثَّلب . بلاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ قبل موتِهِ بموت القلب ، وقد :

٤٣٥ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم إسماعيلُ بن أحمدَ بنِ السمرقنديِّ قال أخبرنا أبو محمد أحمدُ بن علي بن الحسن بن أبي عثمانَ ، أخبرنا القاضي أبو القاسمِ الحسنُ بن الحسن بن عليِّ بن المنذر ، أخبرنا أبو عليٍّ الحسينُ بن صفوانَ البرذعيُّ ، حدثنا أبو بكر عبدُ الله بن محمد بن أبي الدنيا ، حدثني إبراهيمُ بن سعيد ، حدثنا موسى بنُ أيوبَ ، حدثنا مخلد ـ يعني ابنَ الحسين ـ ، حدثنا بعضُ أصحابنا قال ذكرتُ يوماً عند الحسن بنِ ذكوانَ رجلاً بشيءٍ ، فقال : **مَهْ ؛ لا تذكرِ العلماءَ بشيءٍ فيُميتَ اللهُ قلبَكَ**[1]

[أجرُ الذَّابِّ عن عِرْضِ أخيهِ في مغيبِهِ]

فأحيا اللهُ الكريمُ قلوبَنا بنورِ الإيمان والحكمة ، وغفرَ لنا حَوْبَنا بحبِّ إخواننا الذين سبقونا بالإيمان مِنَ الأئمَّة ، وكفَّرَ عنَّا ذنوبَنا كما منَّ علينا بإسباغِ النعمة ، وسترَ عيوبَنا بذبِّنا عن أعراضِ سلف الأمَّة ، **وأنجزَ لنا ما وعدَ على لسانِ نبيِّهِ المصطفى الحبيب ، مَنْ ذبَّ عن لحمِ أخيه المسلمِ بالمغيب ؛ فيما :**

٤٣٦ـ أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم هبةُ الله بن محمد الشيبانيُّ ، أخبرنا أبو عليٍّ الحسنُ بن عليٍّ التميميُّ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن جعفرٍ القطيعيُّ ، حدثنا عبدُ الله بن أحمدَ بن حنبلٍ ، حدثني أبي ، حدثنا محمدُ بن بكرٍ ، أخبرنا عبيدُ الله بن أبي زياد ، حدثنا شهرُ بن حوشبٍ ، عن أسماءَ بنتِ يزيدَ قالت قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ فِي ٱلْمَغِيبَةِ . كَانَ حَقّاً عَلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ ٱلنَّارِ** »[2]

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٥٨٢) .

(٢) رواه أحمد في « مسنده » (٤٦١/٦) ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » =

٤٣٧ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو غالب أحمدُ بن الحسن بن البنَّاء ، أخبرنا الحسنُ بن عليٍّ الجوهريُّ ، أخبرنا محمدُ بن العباس بن حيَّويه الخزَّازُ ، (ح)

وأخبرَنا الشيخانِ ؛ أبو غالبٍ أيضاً ، وأخوه أبو عبد الله يحيى بن الحسن قالا أخبرنا محمدُ بن أحمدَ بن محمد بن الآبَنُوسِيِّ ، أخبرنا عثمانُ بن عمرو بن محمد بن المُنْتابِ قالا حدثنا يحيى بنُ محمد بن صاعد ، حدثنا الحسينُ بن الحسن المروزيُّ ، أخبرنا عمرُو بن عثمانَ الكلابيُّ ، حدثنا موسى بن أعينَ ، عن ليثٍ ، عن شهرِ بن حوشبٍ ، عن أمِّ الدرداءِ ، عن أبي الدرداءِ قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول « **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَرُدُّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ . . إِلاَّ كَانَ حَقّاً عَلَى ٱللهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ** » ، ثم تلا : « ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] »[(١)]

٤٣٨ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو سهل محمدُ بن إبراهيمَ الأصبهانيُّ ، أخبرنا أبو الفضل عبدُ الرحمـٰن بن أحمدَ الرازيُّ ، حدثنا جعفرُ بن عبد الله ابن فنَّاكي ، حدثنا محمدُ بن هارونَ الرُّويانيُّ ، حدثنا ابنُ حميدٍ ، حدثنا جريرٌ ، عن ليثٍ ، عن شهرٍ ، عن أمِّ الدرداءِ ، عن أبي الدرداءِ ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال « **مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ فِي ٱلْمَغِيبِ . . كَانَ حَقّاً عَلَى ٱللهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ** » ، ثم قرأَ « ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا . . . ﴾ [غافر ٥١] » الآيةَ[(٢)]

= (٨/ ٩٥) : (رواه أحمد والطبراني ، وإسنادُ أحمدَ حسن)

(١) ورواه أحمد في « مسنده » (٦/ ٤٤٩) دون ذكر الآية ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (ص ٣٦٢) ، والبغوي في « شرح السنة » (١٣/ ١٠٦) .

(٢) ورواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٢٣٠) ، وانظر « الدر المنثور » (٧/ ٢٩٢)

قال[1] وحدثنا محمدُ بن هارونَ ، حدثنا عمرُو بن عليٍّ ، حدثنا محمدُ بن عبد الرحمٰن الطُّفاوِيُّ أبو المنذر ، حدثنا ليثٌ ، عن شهرِ بن حوشبٍ ، عن أمِّ الدرداءِ ، عن أبي الدرداءِ قال سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **مَا مِن ٱمْرِئٍ يَدْرَأُ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ . . إِلاَّ دَرَأَ ٱللهُ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ؛ يَوْمَ يَقُومُ ٱلأَشْهَادُ** » ، ثم قرأ : « ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا . . . ﴾ [غافر : ٥١] » الآيةَ .

قال : وحدثنا محمدُ بن هارونَ الرُّويانيُّ ، حدثنا أحمدُ بن عبد الرحمٰن ـ يعني ابنَ وهبٍ ـ ، حدثنا عمِّي ـ يعني عبد الله ـ ، حدثنا محمدُ بن مسلمٍ ، عن صدقةَ بنِ يزيدَ[2] ، عن عثمانَ بن يسارٍ أنَّ أمَّ الدرداءِ قالَتْ سمعتُ أبا الدرداءِ يقول : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِٱلْغَيْبِ . . وَجَبَتْ لَهُ ٱلْجَنَّةُ** »[3]

٤٣٩ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو غالب بن البنَّاء ، أخبرنا أبو محمد الحسنُ بن عليٍّ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن إسماعيلَ ، وأبو عمرَ الخزَّازُ ، حدثنا يحيى بنُ محمد بن صاعدٍ ، حدثنا الحسينُ بن الحسن ، أخبرنا عبدُ الله بن المبارك ، أخبرنا يحيى بنُ أيوبَ ، عن عبد الله بن سليمانَ : أنَّ إسماعيلَ بن يحيى المَـعَافريَّ أخبره ، عن سهلِ بن معاذ بن أسدٍ الجهنيِّ ، عن أبيه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال : « **مَنْ حَمَىٰ مُؤْمِناً مِنْ مُنَافِقٍ بِغَيْبَةٍ . . بَعَثَ ٱللهُ إِلَيْهِ مَلَكاً يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، وَمَنْ قَفَّىٰ مُسْلِماً بِشَيْءٍ يُرِيدُ بِهِ**

---

(١) يعني : جعفر بن عبد الله بن يعقوب الفناكي الرازي المتقدم ذكره في السند .

(٢) في (ب) وحدها : (حدثنا) بدل (عن) .

(٣) ورواه الأصبهاني في « موجبات الجنة » (٢٠٠) ، وقال العلامة الغماري في « المداوي لعلل الجامع الصغير » (٦/ ٢٨٢) : (والحديث له عن أبي الدرداء طرقٌ) ، ثم ذكرها .

شَيْنَهُ . حَبَسَهُ ٱللهُ عَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ »

رواه أحمدُ بن حنبلٍ ، عن أحمدَ بن الحجَّاجِ ، ويعمرَ وبشرٍ المَرْوَزِيينِ[١] ، عن عبد الله بن المبارك[٢]

٤٤٠ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو سهل محمدُ بن إبراهيمَ بن محمد بن سعدويه المزكِّي ببغدادَ ، أخبرنا أبو الفضل عبدُ الرحمـٰن بن أحمدَ بن الحسن الرازيُّ المقرئ ، حدثنا أبو القاسم جعفرُ بن عبد الله بن يعقوبَ بن فنَّاكي ، حدثنا أبو بكر محمدُ بن هارونَ الرُّويانيُّ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ ، حدثنا عبيدُ الله بن موسىٰ ، حدثنا ابنُ أبي ليلىٰ ، عن الحكم ، عن بلالِ بن أبي الدرداءِ ، عن أبيه قال نالَ رجلٌ من رجلٍ عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فردَّ عليه رجلٌ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم **« مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ . . كَانَ لَهُ حِجَاباً مِنَ ٱلنَّارِ »**[٣]

رواه غيرُهُ عن عبيد الله فقال : عن ابن أبي الدرداء ، ولم يسمِّ بلالاً[٤]

ورواه سعدانُ بن يحيى اللَّخْميُّ ، عن ابنِ أبي ليلىٰ ، عن الحكم ، عن عَبايةَ بنِ أبي الدرداءِ[٥] ، ولم يحفظِ اسمه ، **وليس لأبي الدرداءِ ابنٌ اسمُهُ عَبايةُ** ، ومحمدُ بن عبد الرحمـٰن بن أبي ليلىٰ سيِّئ الحفظ ، ورُوِيَ عن ابنِ أبي ليلىٰ بإسنادٍ آخرَ

---

(١) وبشرٌ هو والدُ يعمر ، وإنما الرواية عن يعمر بن بشر ، وفي « تعجيل المنفعة » (٢/ ٣٨٨) : أن يعمر بن بشر لم يُذكر له شيخٌ إلا ابنُ المبارك .

(٢) مسند أحمد (٣/ ٤٤١) ، وقفّىٰ : ألحق هـٰذا الشينَ بهتاناً .

(٣) ورواه عبد بن حميد في « مسنده » (٢٠٦) دون تسمية بلال ، والمصنف في « تاريخ دمشق » (٢٦/ ٤٦١)

(٤) ورواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٨/ ١٦٨) ، وقوله : (**ولم يسم بلالاً**) بمعنىٰ : أن يكون عن ولدٍ لأبي الدرداء رضي الله عنه غير بلال .

(٥) ورواه المصنف في « تاريخ دمشق » (٢٦/ ٤٥٩) ، وقال في عباية : (ويقال : عبَّاد) .

٤٤١ـ **أخبرَناه** أبو البركات عبدُ الوهاب بن المبارك بن أحمدَ الحافظُ ، أخبرنا أبو القاسم عبدُ العزيز بن علي بن أحمدَ بن الحسين السكريُّ ، أخبرنا أبو طاهر محمدُ بن عبد الرحمـٰن بن العباس المُخلِّصُ ، حدثنا أبو محمد يحيى بنُ محمد بن صاعدٍ إملاءً سنةَ ثلاثَ عشرةَ وثلاثِ مئةٍ في المحرَّم قال حدثنا أبو هشام محمدُ بن يزيدَ الرفاعيُّ ، حدثنا يحيى بنُ اليمان ، حدثنا ابنُ أبي ليلىٰ ، عن الحكم ، عن أمِّ الدرداءِ ، عن أبي الدرداءِ قال وقعَ رجلٌ في رجلٍ عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فذبَّ رجلٌ عن عِرْضِ أخيه ، فقال صلى الله عليه وسلم « **مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ ٱلْمُسْلِمِ . كَانَ لَهُ حِجَاباً مِنَ ٱلنَّارِ** »[1]

٤٤٢ـ **أخبرَنا** الشريفُ أبو القاسم عليُّ بن إبراهيمَ ، أخبرنا أبو الحسن رشأُ بن نظيفٍ المقرئ ، أخبرنا أبو محمد الحسنُ بن إسماعيلَ بن محمدٍ الضَّرَّابُ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن مروانَ الدِّينَوريُّ ، حدثنا إسماعيلُ بن إسحاقَ ، حدثنا إبراهيمُ بن حمزةَ ، حدثنا عبدُ العزيز بن محمدٍ ، عن حميدٍ ، عن الحسنِ ، عن أنسِ بن مالك قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « **مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِٱلْغَيْبِ . نَصَرَهُ ٱللهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ** »[2]

٤٤٣ـ **وأخبرَنا** الشيخانِ ؛ أبو الحسن عليُّ بن أحمدَ بن قُبيسٍ ، وعليُّ بن المُسلَّم بن محمد بن الفتحِ قالا أخبرنا أبو الحسن أحمدُ بن عبد الواحد بن محمد بن أبي الحديد ، أخبرنا جدِّي أبو بكر محمدُ بن أحمدَ بن عثمانَ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن يوسفَ بن بشرٍ الهرويُّ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن حمَّادٍ الطِّهْرانيُّ ، حدثنا عبدُ الرزاق ، عن مَعمَرٍ والثوريِّ ، عن

---

(١) ورواه أبو طاهر المخلص في « المخلصيات » (١/ ٣٣١)

(٢) ورواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٨/ ١٦٨) .

أبان ، عن أنسٍ قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « **مَنِ ٱغْتِيبَ عِنْدَهُ أَخُوهُ ٱلْمُسْلِمُ ، وَٱسْتَطَاعَ نُصْرَتَهُ ، فَنَصَرَهُ . نَصَرَهُ ٱللهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ ، وَإِنْ لَمْ يَنْصُرْهُ . أَدْرَكَهُ ٱللهُ بِهِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ** »[١]

٤٤٤ـ وأخبرَنا الشيخُ أبو سعد أحمدُ بن محمد بن أحمدَ البغداديُّ بأصبَهانَ ، أخبرنا أبو عمرو عبدُ الوهَّاب بن محمد بن إسحاقَ العبديُّ ، وأبو منصور محمدُ بن أحمدَ بن عليٍّ السينيُّ[٢] ، وأبو إسحاقَ إبراهيمُ بن محمد بن إبراهيمَ الطيَّانُ ، (ح)

وأخبرَنا أبو محمد هبةُ الله بن أحمدَ المقرئ ، أخبرنا أبو منصور ابنُ شكرويه ؛ قالوا أخبرنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن عبد الله بن محمد بن خُرَّشيدَ قُولَهْ[٣] ، حدثنا أبو عبد الله الحسينُ بن إسماعيلَ المَحامِليُّ إملاءً قال : حدثنا عليُّ بن أحمدَ هو الجواربيُّ ، حدثنا إسحاقُ بن محمد ـ يعني الفَرويَّ ـ ، حدثني المنكدرُ بن محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ قال قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « **أَيُّمَا عَبْدٍ مُؤْمِنٍ نَصَرَ أَخَاهُ ٱلْمُؤْمِنَ بِظَهْرِ ٱلْغَيْبِ . قَالَ لَهُ مَلَكٌ عَنْ يَمِينِهِ وَمَلَكٌ عَنْ شِمَالِهِ : لَكَ مِثْلُهُ، لَكَ مِثْلُهُ** »[٤]

* * *

---

(١) ورواه عبد الرزاق في « المصنف » (١١/ ١٧٨)

(٢) في (هـ) : (السيبي)

(٣) في (ب) : (خورشيذ قوله) ، ومعنى **خورشيد** : الشمس

(٤) ذكره الحافظ البوصيري في « إتحاف الخيرة » (٥/ ٥٢٨) من « مسند ابن راهويه »

[خاتمة الكتاب]

وإنِّي لأرجو أن يَنعشَ اللهُ عصابةَ أهل الحقِّ ؛ بما ذكرتُ في هٰذا الكتابِ مِنْ أقوالِ الصِّدْق ، وأن يُجريَ لي به أجري ، ويُجزلَ به ثوابي يومَ حشري ؛ فقد

٤٤٥ـ أخبرَنا أبو القاسم زاهرُ بن طاهرٍ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن الحسين الحافظُ ، أخبرنا عليُّ بن أحمدَ بن عبدانَ قال : أخبرنا أحمدُ بن عبد الغفَّار ، حدثنا عبيدُ بن شريكٍ ، حدثنا نُعيمُ بن حمَّادٍ ، حدثنا عبدُ الله بن المبارك ، حدثنا عبدُ الله بن مَوْهَب ، عن مالكِ بن محمد بن حارثةَ الأنصاريِّ ، عن أنسِ بن مالك قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم **« مَنْ نَعَشَ حَقّاً بِلِسَانِهِ . جَرَىٰ لَهُ أَجْرُهُ ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللهَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَيُوَفِّيَهِ ثَوَابَهُ »**

قال البيهقيُّ (في كتابي عبدُ الله بن مَوْهَب ، **والصوابُ** عبيدُ الله)[1]

ولستُ أخشىٰ مِن مُنكري ما قلتُ ذمّاً ؛ لأنَّني ذكرتُ ما قد أحطتُ به علماً ، **وقصدتُ إيضاحَ براءةِ مَنْ سلفَ مِن السلف ، مِن وقيعةِ مَن وقعَ فيه مِن شرِّ الخلف ؛ وقد**

٤٤٦ـ أخبرَنا الشيخُ أبو محمد هبةُ الله بن أحمدَ بن محمد بن الأكفانيِّ ، حدثنا أبو محمد عبدُ العزيز بن أحمدَ الكَتَّانيُّ ، أخبرنا أبو الحسين عبدُ الوهَّاب بن جعفرٍ الميدانيُّ ، أخبرنا أبو هاشم عبدُ الجبَّار بن عبد الصمد

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٢٧٥ ، ٧٢٧٦) .

السلميُّ ، حدثنا أبو بكر القاسمُ بن عيسى العصَّارُ ، حدثنا إبراهيمُ بن يعقوبَ الجُوزَجانيُّ ، حدثني عبدُ السلام بن محمد ، ونُعيمُ بن حمَّادٍ قالا : حدثنا بقيَّةُ ، حدثني بَحِيرُ بن سعدٍ ، عن خالدِ بن معدانَ قال **(مَنِ اجترأَ على الملاوِمِ في موافقةِ الحقِّ . . ردَّ اللهُ تلك الملاوِمَ له حمداً ، ومَنِ التمسَ المحامدَ في مخالفةِ الحقِّ . . ردَّ اللهُ تلك المحامدَ عليه ذمّاً)**[1]

فإن لامني علىٰ ذَبِّي عن عِرْضِ هـٰذا الإمامِ متحاملٌ ، وتواعدَني علىٰ إيضاحِ حالِهِ جاهلٌ أو متجاهلٌ ؛ **بعد سماعِ هـٰذه الأحاديث . .** فليسَ لتعتُّبِهِ عندي عُتْبَىٰ ؛ لأنَّ الحاملَ لي علىٰ ذلك طلبُ الخلاص مِنَ النار في العُقْبىٰ ، **وقلتُ مجيباً له**[2] [من الكامل]

يَا مَعْشَرَ ٱلإِخْوَانِ لَوْ ظَفِرَتْ يَدِي[3]	بِمُسَاعِدٍ وَمُؤَيِّدٍ وَمُلاَطِفِ
لَشَرَحْتُ مَا حَاوَلْتُ شَرْحاً بَيِّناً	وَشَفَعْتُ سَالِفَ ذَاكَ بِٱلْمُسْتَأْنَفِ
تَـٱللهِ أَوْفَىٰ حَلْفَةٍ لِلْحَالِفِ	مَا يُبْغِضُ ٱلْعُلَمَاءَ غَيْرُ مُحَارَفِ[4]
يَا مَنْ تَوَاعَدَنِي لِفَرْطِ جَهَالَةٍ	أُكْفُفْ وَعِيدَكَ لِي فَلَسْتُ بِخَائِفِ

---

(١) ورواه المصنف في « تاريخ دمشق » (١٦/ ١٩٩)، **والملاوِمُ** : جمع ملامة .

(٢) وهـٰذه القصيدةُ من بعض شعر الإمام المصنف ، وهو قليلُ الشعر ، وقد ذكر فيها فضلَهُ وفخره باعتقاده وانتسابِهِ لطريقة الإمام الأشعري ، وردَّ على المخالفين ، ولم يرونقها علىٰ عادة الأدباء ، بل تركَها علىٰ سجية العلماء ؛ إذ لم يكن لشيطان الشعر عليه سلطان ، ولذا قال الأديب ياقوت الحموي في « معجم الأدباء » (٤/ ١٧٠٣) : (وكان الحافظ أبو القاسم ابن عساكر يقول شعراً ليس بالقوي ، وسمعه تاجُ الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي النحوي اللغوي فقال : **هـٰذا شعرٌ أضاعَ فيه صاحبُهُ شيطانَهُ**)

(٣) جاء في هامش (هـ) نسخة

يَـا قـومُ لـو أنَّ الـزمـانَ مسـاعفـي

(٤) **المحارَف** ـ بحاء مهملة وراء مفتوحة ـ : المحروم، قليل الحظِّ، الذي لا يصل لمطلوبه، ويستعمل في الممنوع من كل خير، وانظر «الفروق اللغوية» للعسكري (ص ١٧٩).

لَـوْ كُنْـتَ تَعْـرِفُنِـي لَمَـا خَـوَّفْتَنِـي فَذَرِ ٱلْوَعِيدَ فَلَسْتَ لِي بِٱلْعَارِفِ

مَـا لِنْـتُ قَـطُّ لِغَـامِزٍ مُتَغَشْمِـرٍ[١] كَلاَّ وَلاَ لاَيَنْتُ حَيْفَ ٱلْحَائِفِ

فَأَنَا ٱلشَّجَىٰ فِي حَلْقِ كُلِّ مُنَافِقٍ وَأَنَا ٱلْقَذَىٰ فِي عَيْنِ كُلِّ مُخَالِفِ

وَأَنَا ٱلَّذِي سَافَرْتُ فِي طَلَبِ ٱلْهُدَىٰ سَفْرَيْنِ بَيْنَ فَدَافِدٍ وَتَنَائِفِ[٢]

وَأَنَـا ٱلَّـذِي طَـوَّفْـتُ غَيْـرَ مَـدِينَـةٍ مِنْ أَصْبَهَانَ إِلَىٰ حُدُودِ ٱلطَّائِفِ

وَٱلشَّرْقَ قَدْ عَايَنْتُ أَكْثَرَ مُدْنِهِ بَعْـدَ ٱلْعِـرَاقِ وَشَـامِنَـا ٱلْمُتَعَـارَفِ

وَجَمَعْتُ فِي ٱلأَسْفَارِ كُلَّ نَفِيسَةٍ وَلَقِيـتُ كُـلَّ مُخَـالِـفٍ وَمُـؤَالِـفِ

وَسَمِعْتُ سُنَّةَ أَحْمَدٍ مِنْ بَعْدِ مَا أَنْفَقْتُ فِيهَا تَالِدِي مَعَ طَارِفِي

وَرَوَيْتُهَــا بِــأَمَــانَــةٍ وَصِيَــانَــةٍ وَنَـزَاهَـةٍ تَنْفِـي سَفَـاهَـةَ قَـارِفِ

وَٱخْتَـرْتُ عَقْـداً لَـمْ تَشُبْـهُ بِـدْعَـةٌ بَـلْ يَقْتَفِيـهِ خَـالِـفٌ عَـنْ سَـالِـفِ

فَٱلْمُنْصِفُونَ يُصَحِّحُونَ عَقِيدَتِي وَٱلْمُنْكِـرُونَ لَهَـا لِتَـرْكِ تَنَاصُـفِ

فَعَــلاَمَ تَلْحَــانِــي لَحَــاكَ إِلَـٰهُنَـا فِي مَدْحِ مَنْ أَعْيَا مَدِيحَ ٱلْوَاصِفِ

هَـٰـذَا كِتَـابٌ فِيـهِ نَعْـتُ مُـوَحِّـدٍ لِلَّهِ ذِي عِلْــمٍ بِــهِ وَمَعَــارِفِ

مُتَـوَحِّـدٌ فِـي ٱلْعِلْـمِ سَـائِـرُ كُتْبِـهِ مَشْحُـونَـةٌ مِـنْ عِلْمِـهِ بِلَطَـائِـفِ

مُتَفَـرِّدٌ بِـٱلنُّبْـلِ لَيْـسَ بِمُنْكِـرٍ تَبْرِيزَهُ فِي ٱلْفَضْلِ غَيْرُ زَعَانِفِ[٣]

سَيْـفٌ عَلَـىٰ أَعْـدَاءِ دِيـنِ مُحَمَّـدٍ مِنْ جَاحِدٍ أَوْ مُمْتَرٍ أَوْ وَاقِفِي[٤]

أَصْحَـابُـهُ مِثْـلُ ٱلنُّجُـوم وَحِـزْبُـهُ أَهْلُ ٱلْعُلُومِ وَمُرْشِدُو ٱلْمُتَجَانِفِ

فَهُـمُ أَمَـانُ ٱلنَّـاسِ فِـي أَدْيَـانِهِـمْ فِي ٱلْخَافِقَيْنِ وَعِصْمَةٌ لِلْخَائِفِ

---

(١) المتغشمر : الغضبان ، وفي (د) : (متغشِّم) بدل (متغشمر)

(٢) الفدافد : جمع فَدْفَد ؛ وهي الفلاة ، والتنائف : جمع تنوفة ؛ وهي المفازة

(٣) في (ط) : (زعائف) ، وأراد بالزعانف : أراذل الناس

(٤) كذا في (هـ) نسبة للواقفية ، وفي عامة النسخ : (واقف) .

فَـأَحَلَّهُـمْ رَبُّ ٱلْعِبَـادِ بِفَضْلِـهِ دَارَ ٱلْمُقَـامَـةِ فَهْـيَ مُنْيَـةُ عَـارِفِ

فِـي جَنَّـةٍ مُلْتَفَّـةٍ بِحَـدَائِـقٍ مَحْفُـوفَـةٍ بِنَمَـارِقٍ وَرَفَـارِفِ

صَنَّفْـتُ ذَلِـكَ لاَ لِأَخْـذِ دَرَاهِـمٍ مِنْكُـمْ عَلَيْـهِ وَلاَ لِأَكْـلِ قَطَـائِـفِ

لَـٰكِـنْ رَدَدْتُ بِـهِ مَقَـالَـةَ كَـاذِبٍ مُتَقَـوِّلٍ فِيمَـا حَكَـاهُ مُجَـازِفِ

فَـٱنْظُـرْ إِلَـىٰ تَـأْلِيفِـهِ مُتَـأَمِّـلاً بِحَقِيقَةٍ وَٱشْكُرْ صَنِيعَ ٱلرَّاصِفِ

فَـٱلْحَـقُّ لاَ يَخْفَـىٰ عَلَـىٰ مُتَـأَمِّـلٍ وَٱلْبُهْتُ يَذْهَبُ مِثْلَ بَرْقٍ خَاطِفِ

يَـا رَبَّنَـا ٱرْحَـمْ شَيْخَنَـا وَإِمَـامَنَـا وَٱكْشِفْ حَقِيقَةَ قَدْرِهِ لِلْكَاشِفِ

وَٱهْتِكْ بِحَوْلِكِ سِتْرَ مَنْ يَغْتَابُهُ مِنْ حَاسِدٍ أَوْ عَاتِبٍ أَوْ قَاذِفِ

وَٱعْطِفْ قُلُوبَهُمُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ إِذْ وَحَّدُوكَ فَأَنْتَ أَقْدَرُ عَاطِفِ

وَٱخْتِمْ بِحَمْدِكَ يَا كَرِيمُ مَقَالَنَا شُكْراً عَلَىٰ إِفْضَالِكَ ٱلْمُتَرَادِفِ

* * *



خواتيم النسخ الخطية

خواتيم النسخ الخطية

خاتمة النسخة (أ)

والحمدُ لله وحده ، وصلواتُهُ علىٰ خير خلقه ، محمد المصطفىٰ وآله وصحبه[١]

خاتمة النسخة (ب)

آخر كتاب « تبيين كذب المفتري ، فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعريِّ » رحمه الله ، **رحمَ اللهُ شيخَنا ومؤلِّفَهُ** ، ورحمَ مَن ترحَّمَ عليه وأنصفَهُ ، وأقرَّ بالحقِّ اليقين وعرفَهُ ، وأبادَ مبغضَ الأشعريِّ وأتلفَهُ ، فما يُنكرُ الوصفَ الذي به وصفَهُ ، إلا معاندٌ أو جاهلٌ شَرَفَهُ ، أو خلفُ سوءٍ قلَّدَ في عَقْدِهِ سلفَهُ .

والحمد لله ربِّ العالمين حقَّ حمده ، وصلى الله علىٰ محمدٍ النبيِّ الأميِّ ، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليماً

وفرغَ من انتساخه : الراجي عفوَ الله وغفرانَهُ ؛ **أبو المكارم ، عبدُ الصمد ابن أحمدَ بن كمال الزنجاني** ، لقَّاهُ الله رضوانه له ولجميع المؤمنين والمؤمنات[٢]، وجميع المسلمين والمسلمات ، إنه القادر علىٰ ذلك والمجيب له .

---

(١) كُتِبَ عليها : (خطُّ أبي جعفر القرطبي ، إمام الكلاسة بدمشق) وانظر ترجمته في وصف النسخ الخطية (ص ٦٣) .

(٢) لقاه الله : وتحتمل : (آتاه الله) .

واتَّفق إتمام نسخِهِ في ظهيرة يوم الاثنين ، الرابعِ من صفر ، **سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ** ، في ثغر دمشقَ حماه الله في الدويرة السميساطية عمرَها الله[1]

خاتمة النسخة (ج)

آخر كتاب « تبين كذب المفتري ، فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » **رحم الله شيخَنا ومؤلفَهُ** ، ورحم مَن ترحَّم عليه وأنصفَهُ ، وأقرَّ بالحقِّ اليقين وعرفَهُ ، وأباد مبغضَ الأشعريِّ وأتلفَهُ ، فما ينكر الوصفَ الذي به وصفَهُ ، إلا معاندٌ أو جاهلٌ شَرَفَهُ ، أو خلفُ سوءٍ قلَّدَ في عَقْدِهِ سلفَهُ

كتبه : **عبد الكريم بن الحسن بن جعفر** ، في شعبانَ من **سنة ستٍّ وتسعين وخمس مئة**[2]

خاتمة النسخة (د)

والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد المصطفى خير خلقه ، وعلى آله وصحبه ، صلاة دائمة إلى يوم الدين ، برحمتك يا أرحم الراحمين

فرغ من نسخه : العبد الفقير المقرئ **بشارةُ بن عبد الله** [. . .] ، للشيخ الإمام الصدر الأوحد شمس الدين ؛ أبي بكر أحمد بن عبد الرحمـٰن بن العجمي ، في مستهلِّ صفر **سنة ستٍّ وستِّ مئة** ، حامداً ومصلياً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) جاء في هامشها (**تمَّ السماع علىٰ سيدنا الحافظ بهاء الدين ابن المصنِّف** ، تصنيف الإمام العالم الحافظ الثقة ، شيخ الإسلام ، ناصر السنة ، قامع البدعة ، ثقة الدين ، محدِّث الشام ؛ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي رحمة الله تعالىٰ ورضوانه عليه) .

(٢) في هامشها : (عارضت به أصل المنقول منه بحسب الجهد ، ولله الحمد والمنَّة) ، ويظهر أن هـٰذه النسخة ـ والعلم عند الله تعالى ـ منقولة عن النسخة (ب) كما يتبيَّن من خاتمتهما

خاتمة النسخة (هـ)

آخر كتاب « تبيين كذب المفتري ، فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » تأليف شيخِ الإسلام ، ناصر السنة ، حافظ الدنيا ، ثقة الدين ؛ أبي القاسم عليٍّ بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقيِّ الشافعيِّ رضي الله عنه .

كتبَهُ لنفسه الفقيرُ إلى الله تعالىٰ **أحمدُ بن مظفر بن [أبي] محمد بن مظفر بن بدر بن الحسن بن النابلسي** ، حامداً لربّه ، ومستغفراً من ذنبه ، وفرغَ منه في يوم الجمعة ، سادس شعبانَ ، من سنة ستٍّ وسبعِ مئةٍ بالمدرسة القليجية بمدينة دمشق[1] ، حرسها الله تعالىٰ وسائر بلاد الإسلام

والحمد لله علىٰ إفضاله ، وصلوات الله وسلامه علىٰ سيدنا محمدٍ النبيِّ الأميِّ وعلىٰ آله

وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[2]

خاتمة النسخة (و)

والحمد لله وحده ، وصلواتُهُ علىٰ خير خلقه ؛ محمدٍ المصطفىٰ ، وآله وصحبه وسلم تسليماً

تمَّ الكتاب بحمد الله تعالىٰ

---

(١) بين الباب الشرقي وباب توما ، وانظر « الدارس في تاريخ المدارس » للنعيمي (١/ ٣٢٩)

(٢) جاء في هامشها : (عورض بالأصل المنقول منه مع [. . .] علاء الدين ابن العطار ، فصحَّ والحمد لله رب العالمين ، وذلك في سنة اثنتي عشرة وتسع مئة بدار الحديث النورية بدمشق) ، وابن العطار من أشهر من تخرَّج بالإمام النووي رحمهما الله تعالىٰ ، وهو ممن درَسَ بالمدرسة القليجية كذلك

خاتمة النسخة (ط)

آخر كتاب « تبيين كذب المفتري ، فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » .

فرغَ من كتبه لنفسه الفقيرُ إلىٰ رحمة ربه ، خادمُ السنة المحمدية ؛ **عبدُ الله بن يحيى بن أبي بكر بن يوسفَ بن محمد بن حيون الجزائريُّ** ، وذلك ليلةَ السبت ثامنَ شعبانَ المكرمِ ، سنةَ سبعٍ وسبعينَ وست مئةٍ ، من أصل سماعي ، بقراءتي على الشيخ الصالح الزاهد المسند المعمَّر ؛ ناصحِ الدين أبي الغيث ، فرج بن عبد الله الحبشيِّ ، مولى الإمامِ أبي جعفر أحمدَ بن علي القرطبيِّ رحمه الله[١] ، بحقِّ سماعه لجميعه من الشيخ الإمام العالم الحافظ الثقة ؛ بهاء الدين أبي محمد القاسم بن الإمام الحافظ ناصر السنة محدِّث الشام ؛ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعيِّ قال : أخبرني والدي رحمه الله مشافهةً وعرضاً ، وذلك[٢] في نوب آخرها يوم الخميس حادي عشري جُمادى الآخرة ، سنة أربعٍ وتسعين وخمسِ مئةٍ بدار الحديث النورية بدمشقَ عمرَها الله بذكره

وكانت قراءتي على الشيخ ناصح الدين المذكور رحمه الله ليلاً ، في الثالث والعشرين من ذي الحجَّة متم سنة تسع وأربعين وستِّ مئةٍ ، بمنزل المسمِّع المذكور بدار الحديث الأشرفية داخلَ دمشقَ حرسها الله .

والحمد لله وحده ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمدٍ عدد ما ذكره ذاكرٌ ، وغفل غافلٌ .

* * *

---

(١) هو ناسخ النسخة (أ) ، وانظر (ص ٦٣) .

(٢) علَّق العلامة الكوثريُّ رحمه الله تعالىٰ : (أي : سماع ناصح الدين المذكور)

سماعات النسخة (أ)

سُمعَ جميعُ هـٰذا على الشيخ الإمام العالم الحافظ الثقة ؛ بهاء الدين ، شمس الحفاظ ، ناصر السنة ، محدث الشام ؛ أبي محمد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ، أيده الله بطاعته ، بحقِّ إجازته من والده قدس الله روحه مُؤلِّفِ الكتاب .

فكلُّ ما في هـٰذا الكتاب علامة هـٰكذا : (صح س) : فسمعه من والده مؤلف هـٰذا الكتاب في غير هـٰذا الكتاب ، وكلُّ ما عليه علامة (ح) فهو له إجازة من شيخ والده ، وكلُّ ما عليه مساواة فهو ساوىٰ فيه والده ، وكلُّ ما عليه علامة (ح) أو (س) : فهو إما إجازة أو سماع .

فسمع الشيخُ الإمام الأجلُّ قوامُ الدين أبو محمد عبدُ الله بن علي بن عبد الله التونسيُّ ، ومرتضى الدين أبو المظفر عبد الله بن محمد بن الحسن الشافعيُّ ، وابنه عسكر ، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي بن حميد المَعافريُّ ، وأبو علي الحسن بن علي بن عبد الوارث التونسيُّ ، وأبو الخير بدلُ بن أبي المعمَّر بن إسماعيل التبريزيُّ ، وأبو الحسن علي بن نصر بن غوث الكُوفَنِيُّ ، والقاضي أبو محمد عبد الوهَّاب بن عبد الكريم البروجيُّ ، وأبو سليمان خالد بن منصور بن إسحاق الأسبهيُّ ، وأبو محمد عبد السلام بن أبي بكر بن أحمد الدمشقيُّ ، ويوسف بن أبي الفرج بن مهذب الدمشقيُّ ، وأبو حمد محمود بن حمد بن معاذ الحومانيُّ ، وأبو بكر بن حرز الله بن حجاج التونسيُّ ، وزكريا بن عثمان بن خالويه الموقانيُّ ،

وعبد الجليل بن عبد الكريم بن عثمان الموقانيُّ ، وعبد الرحمٰن بن عبد الرزاق بن يعلىٰ ، وأبو طالب بن محمود بن أبي الفتوح الغزيُّ ، وهبة الله بن عبد الكريم بن عبد الغفار الأعلميُّ ، وعبد الملك بن أبي علي بن [. . .] الأعلميُّ ، وفضل الله بن محمد بن هبة الله السبسبيُّ ، وأبو الفضل بن أحمد بن أبي الفتح الأبيورديُّ ، [. . .] بن محمد البُرُلُّسِيُّ ، وعثمان بن عبد الماجد بن عثمان ، وعبد الصمد بن أحمد بن [. . .] الزنجانيُّ ، وأبو البركات محمد بن زيد بن إسماعيل الحسينيُّ ، وأبو المحاسن بن أميرك بن أبي المعروف ، وأبو محمد بن أبي الفضل الساويُّ ، وعبد الجليل بن عبد الوهاب بن عبد الجبار ، وعبد الرحمٰن بن عبد الله القزوينيُّ ، وحسن بن عبد الرحمٰن بن مروان [. . .] ، وحسين بن عبد الله بن سياه مرد الجيليُّ ، وأبو الحسن محمد ، بقراءة والده ، [. . .] ، وذلك في مجالس آخرها يومُ الاثنين من ذي القعدة ، سنة إحدىٰ وثمانين وخمس مئة [. . .]

* * *

نسخ بعض السّماعات من النسخة (ط)

سمع بقراءتي جميع هـٰذا الجزء الأول[1] ، من كتاب « تبيين كذب المفتري ، فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » رضي الله عنه . . الشيخ الأجلُّ الفقيه العدل الرضي ، عز الدين أبو عبد العزيز ابن الشيخ الفقيه أبي حفص عمر بن مرزوق الجزولي المالكي ، وفقه الله تعالىٰ ؛ بسماعي المذكور فيه ، وصحَّ ذلك في مجالس آخرها ليلة الثلاثاء الرابع عشر من جُمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وستٍّ مئة ، بمنزلنا بدار الحديث المعروفة بالشيخ المحدث نجيب الدين أبي الفتح نصر الله ابن أبي العز بن أبي طالب الشيباني الصفَّار المعروف بابن شقيشقة رحمه الله ، وكتب المسمِّع عبد الله بن يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن محمد بن حيون الجزائري آتاه الله رشده ، وغفر له ولوالديه والمسلمين أجمعين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

سمع بقراءتي جميع هـٰذا الجزء الثاني من كتاب « تبيين كذب المفتري ، فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » رحمه الله ورضي عنه . . صاحبنا الشيخ الأجلُّ الفقيه الصالح الزاهد الورع ، مجد الدين أبو بكر بن عبد الرحمن بن منصور الموصلي ، نفعه الله بالعلم وزيَّنه بالحلم ، وإيَّانا ؛ بحقٍّ سماعي بقراءتي على الشيخ الصالح الزاهد المسند المعمَّر المفيد ناصح

---

(١) عُلِّق هنا : الأصلُ الذي طبعنا عنه مجزَّأ إلىٰ قسمين ، يبتدىء الثاني من الطبقة الثانية من التراجم .

الدين أبي الغيث فرج بن عبد الله الحبشي المعروف قديماً بفتى الإمام أبي جعفر أحمد بن علي القرطبي رحمه الله ، بسماعه لجميعه من الشيخ الإمام العالم الحافظ الثقة ؛ بهاء الدين أبي محمد القاسم ابن الإمام العالم الحافظ ، ناصر السنة ، محدث الشام ؛ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي العساكري ، قال : أخبرني والدي رحمه الله مشافهة وعرضاً ، وذلك في نُوَبٍ آخرُها يوم الخميس حادي عشري جُمادى الآخرة من سنة أربع وتسعين وخمس مئة ، بدار الحديث النورية بدمشق حرسها الله ، وصحَّ له ذلك في مجالس آخرُها يوم الأحد الثامن عشر من ذي القعدة سنة سبع وسبعين وستٍّ مئة ، بجامع دمشق عمره الله بذكره ، وكتب المسمِّع عبد الله بن يحيى بن أبي بكر بن يوسف الجزائري عفا الله عنه ولوالديه والمسلمين أجمعين ، والحمد الله رب العالمين ، وصلى الله علىٰ محمد وآله وسلَّم تسليماً

سمعَ عليَّ وعلى الشيخ العالم المحدث الكاتب ؛ مجد الدين أبي الفضائل يوسف بن محمد بن عبد الله الدمشقي ؛ جميعَ هٰذا الجزء الثاني ، وهو آخر كتاب « تبيين كذب المفتري » بحقِّ سماعنا وقراءتنا على الشيخ الصالح الزاهد المسند المعمَّر ناصح الدين أبي الغيث فرج بن عبد الله الحبشي المعروف قديماً بفتى الإمام أبي جعفر أحمد بن علي القرطبي رحمه الله ، بسماعه لجميعه من الشيخ الإمام العالم الحافظ الثقة ؛ بهاء الدين أبي محمد القاسم ابن الإمام العالم الحافظ ناصر السنة ، محدث الشام ؛ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ، قال أخبرني والدي رحمه الله بقراءة الشيخ الإمام العالم الفاضل المقرئ المفيد ؛ جمال الدين أبي إسحاق إبراهيم بن داود بن ظافر العسقلاني الفاضلي ؛ ابناه تقي الدين أبو عبد الله محمد ، ونجم الدين إسماعيل ، والشيخ الفقيه العدل نجم الدين أبو زكريا يحيى بن علي الشاطبي ، وحفيده محمد بن علي ، والشيخ العدل أمين الدين أبو العباس

أحمد بن عطاف الرهاوي ، وعلاء الدين أبو الحسن علي بن الشيخ المحدث مجد الدين أبي الفضائل يوسف المذكور أعلاه ، وصحَّ ذلك في مجالس آخرُها يومُ الجمعة الثالث عشر من شهر شوال سنة ثمان وسبعين وستٍّ مئة ، بالزاوية الفاضلية بكلاسة جامع دمشق حرسها الله وبلاد الإسلام وأهله ، وكتب المسمِّعُ عبد الله بن يحيى بن أبي بكر بن يوسف الجزائري ، آتاه الله رشده ، وغفر له ولوالديه والمسلمين أجمعين ، والحمد الله رب العالمين ، وصلى الله على محمد عدد ما ذكره ذاكر ، وغفل غافل

سمع علي بقراءتي جميع هٰذا الجزء الثاني ؛ وهو آخر كتاب « تبيين كذب المفتري فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » رحمه الله ورضي عنه . . الشيخ الأجلُّ الفقيه العدل الرضي ؛ أبو محمد عبد العزيز بن الشيخ الفقيه أبي حفص عمر بن مرزوق الجزولي المالكي ، نفعه الله بالعلم ، وزيَّنه بالحلم ؛ بسماعي المذكور فيه ، وصحَّ ذلك في مجالسَ آخرها ليلة السبت ثامن رجب الفرد سنة اثنتين وثمانين وستٍّ مئة ، بمنزلنا بدار الحديث المعروفة بالشيخ المحدث نجيب الدين أبي الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني الصفَّار ، المعروف بابن شقيشقة رحمه الله وإيَّانا ، وكتب المسمِّعُ عبد الله بن يحيى بن أبي بكر بن يوسف الجزائري غفر الله له ولوالديه والمسلمين أجمعين ، والحمد الله حقَّ حمده ، وصلواته على سيدنا محمد عبده ورسوله ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

وفي نسخة أخرىٰ عليها طباق السماعات بخط البرزالي ؛ محمد بن يوسف بن محمد الإشبيلي ، بتاريخ ذي القعدة من سنة ثلاثين وستٍّ مئة ، بالمدرسة الحسامية ظاهرَ دمشق . . ما مثاله :

في آخر كتاب « تبيين كذب المفتري ، فيما نَسَبَ إلى الإمام أبي الحسن

الأشعري » ، بخطِّ القاسم في ورقة مفردة : هـٰذه الأبياتُ ، فلا أدري أهي من زيادة القاسم ، أم من الأصل[1] [من الكامل]

قل للمشبهة الذين تجاوزوا … حججَ العقول بكلِّ قول منكرِ
يا ويلَكم قستم صفاتِ إلهكم … بصفاتِكم هـٰذا قياسُ الأخسرِ
أيقاسُ صانعُ صنعةٍ بصنيعِهِ … أيقاسُ كاتبُ أسطرٍ بالأسطرِ
هيهاتَ يشبهُ صانعٌ لصنيعِهِ … هيهاتَ تشبهُ صورةٌ لمصوِّرِ
هـٰذا المحالُ ومَنْ يقولُ بقولِهِ … فهو الكفورُ علىٰ جهنَّمَ مجتري
مَنْ قال إنَّ الله يشبهُ خلقَهُ … كانَتْ مقالتُهُ مقالةَ مفتري
أو قالَ إنِّي في التكلُّمِ مثلُهُ … فهو الكفورُ بلا محالةَ فاحذرِ
وكلامُهُ نتلوهُ في ألفاظِنا … مِنْ غيرِ تشبيهِ الإلهِ الأكبرِ
لولا تيسُّرُهُ علىٰ ألفاظِنا … لم نستطعْ نتلوهُ غيرَ ميسَّرِ
للهِ سمعٌ لا كأسماعِ الورىٰ … ويدٌ وعينٌ لا كعينِ المحجَرِ
حتماً يراهُ المؤمنون وليس ذا … جسمٍ ولا عرضٍ ولا بالجوهرِ
وكذا كلامُ اللهِ ليسَ كلفظِنا … فافهمْ مقالي في الصفاتِ وفكِّرِ

* * *

(1) بل هي زيادة من ولد المصنف الحافظ بهاء الدين رحمهما الله تعالىٰ ؛ فهي ليست موجودة في جميع نسخ الكتاب المعتمدة

أخبار ابن أبي بشر

المعروف بـ «مثالب ابن أبي بشر»

تأليف

المقرئ أبي عَلي

الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد الأهوازي

(ت ٤٤٦هـ)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِنْ

أخبرَنا الشيخُ أبو القاسم نصرُ بن أحمدَ بن مقاتل بن مَطْكُودَ السوسيُّ[١] بقراءتي عليه وهو يسمعُ فأقرَّ به قال أخبرنا جدِّي الشيخُ أبو محمد مقاتلُ بن مطكود بن أبي نصر المقرئ السوسيُّ[٢] قراءةً عليه غير مرةٍ قال أخبرنا الشيخُ الإمام أبو عليٍّ الحسنُ بن علي بن إبراهيمَ الأهوازيُّ قال[٣]

الحمدُ لله الذي هدانا للدِّين الأقومِ ، ودعانا إلى النعيم الأدوم ، ومنَّ علينا باتِّباع النبيِّ الأكرمِ ؛ محمدٍ أشرف صفيٍّ ، وأقربِ نجيٍّ ، صلَّى اللهُ عليه ، وعلىٰ آله وأزلفَ مقامَهم لديه ، وسلَّم تسليماً

أمَّا بعدُ :

فإنِّي قد رأيتُ الأمرَ في الدِّين مُنعكساً بضدِّهِ ، والتفريطَ فيه خارجاً عن حدِّهِ ، وصارَتِ الرؤوسُ أعجازاً ، والإكثارُ مِن الباطل إيجازاً ، وكثرَ السفهاءُ ، وقلَّ العلماءُ ، واندرسَ الكاشفون للشُّبَه ، وعزَّ الطالبون للسنة ، إلا

---

(١) روىٰ عنه الحافظُ ابن عساكر ، وقال فيه : (كان شيخاً مستوراً ، ولم يكن الحديث من شأنه) ، وتوفي سنة (٥٤٨ هـ) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٦٢/ ١٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ٢٤٨)

(٢) مقرئ ضرير ، سكن دمشق ، وكان ممَّن قرأ القرآن على الأهوازي المفتري وحدَّثَ عنه ، وتوفي سنة (٤٩٥ هـ) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٦٠/ ١٣٦) .

(٣) يظهر أن هذه النسخة المعتمدة لـ «المثالب» قد عملت فيها أقلامٌ حاولت دفع بعض الخزي الذي فشا فيها، فعُنونت بـ«الأخبار» بدل «المثالب»، وضُبِّبَ على بعض الكلمات الملحونة تخفيفاً من عجمة مؤلفها، والله تعالى أعلم بالحال.

مَنْ أدركَهُ الله عزَّ وجلَّ بالعصمة ، وخصَّهُ بالتوفيق ، وقليلٌ ما هم

واللهُ عزَّ وجلَّ بفضلِهِ القديم ، وبرِّه العميم ، لا يخلي الأرضَ من قائلٍ عليم ، وعالمٍ حكيم ؛ يقول الحقَّ ، ويدفعُ الباطلَ ، ولا يدعُ لذي بدعةٍ قولاً يعلو ، ولا أمراً يسمو ؛ فقال تعالىٰ ذكره : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، **فلا معروفَ أفضلُ من السنة ، ولا مُنكَرَ أشدُّ من البدعة**

وقد تفضَّلَ اللهُ عزَّ وجلَّ وأظهرَ لكلِّ طائفة من المبتدعة ما نفَّرَ عنهم قلوبَ العامَّةِ[١] ، ويُبعِّدُهم عن التعليم الثلاثِ الذي هو أصلُ الشريعة وقوامُ الملَّة ؛ علم آيةٍ محكمة ، أو سُنَّةٍ قائمة ، أو فريضةٍ عادلة .

ولم تزلِ المبتدعةُ هـٰذه صفتُهم ، إلىٰ أن نشأَ عليٌّ بن أبي بشرٍ المنتمي إلىٰ **أبي موسى الأشعريِّ** ، وليس ما يدَّعيه من نسبه بنافعه في دينه ؛ لأنَّ الأنبياءَ والصديقينَ رضوان الله عليهم أجمعين وَلَدُوا الكفَّارَ وعبدةَ الأوثان ، وقد قال الله تعالىٰ ذكره : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ٢٦] ، وآدمُ أبو البشر عليه السلام الغالبُ علىٰ أولاده الكفرُ والجحودُ ، وإن كان ما يدَّعيه مِن نسبهِ زُوراً وبهتاناً . فقد لعنَهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وكفىٰ بذلك ذلَّةً وصَغاراً[٢]

وادَّعىٰ أنَّه مِن أهل السنة ، ولبَّسَ على الناس أمرَهُ ، فمالَ إليه طائفةٌ جُهَّالٌ ، وأرذالٌ ضُلاَّلٌ ، زعموا أنَّهم يطلبون الكلامَ ، ومنهم مَنِ اشتغل بالفقه ، فتوهَّم كثيرٌ من الناس أنَّهم على الحقِّ ؛ فشاعَ أمرُهُ وذاعَ في الآفاق ،

---

(١) في هامش الأصل نسخة : (ينفِّرُ) بدل (نفَّرَ) .

(٢) إشارة إلى الحديث الذي رواه البخاري (١٨٧٠) ، ومسلم (١٣٧٠) : « **وَمَنِ ٱدَّعَىٰ إِلَىٰ غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوِ ٱنْتَمَىٰ إِلَىٰ غَيْرِ مَوَالِيهِ . فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ ٱللهِ وَٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ** »

وكان سببُ ذلك زعْمَ أنَّه ينصر السنة ونعوذُ بالله[1] ، بل هو ـ لعنَهُ الله وأخزاه ـ ينصرُ البدعةَ ، ويُدخِلُ على الناس قولَ المعتزلة والزنادقة وهم لا يشعرون ؛ لما هم عليه مِن محبّةِ الكلام والميل إليه .

واعلمْ ـ وفقك الله لمرضاته ـ : أنَّ عليَّ بن أبي بشرٍ مِنْ أهل البصرة ، بها ولدَ ونشأ ، وأقامَ بها أكثر عمرِهِ ، وأهلُ بلدِهِ أعرفُ به مِنْ غيرهم ، ورأيتُ جماعةً شاهدوه ورأوه ونقلوا عنه ، وحدَّثونا بأخباره إلىٰ أن مات لا رحمَهُ الله ، وسمعتُ جماعةً من أهل البصرة يتكلَّمون فيه بأشياءَ عجيبة[2]

وأنا ـ إن شاء الله ـ أوردُ جميعَ ما سمعته فيه في هٰذه الأوراق احتساباً ، ورجاءَ ثواب الله عزَّ وجلَّ ، وقضاءً لحقِّكَ فيما سألتني عنه[3] ، وإلى الله جلَّتْ قدرته الرغبةُ أن يجعلَهُ لوجهه خالصاً ، وإلىٰ مرضاته واصلاً ؛ إنَّه جوادٌ كريمٌ .

اعلمْ ـ وفقَكَ الله لمرضاته ـ أنَّني

١ـ سمعتُ أبا الحسن محمدَ بن محمد الوزان بالبصرة يقول : سمعتُ أبا بكر الوراقَ يقول وُلِدَ ابنُ أبي بشرٍ سنةَ ستين ومئتين ، ومات سنة ستٍّ وثلاثين وثلاثِ مئة[4]

قال : ولم يزلْ معتزليّاً أربعين سنةً يناظرُ على الاعتزال[5] ، ثم إنَّه قال بعد ذلك : (**قد رجعتُ عن الاعتزال**) ، فلا أدري : أُصدِّقُهُ في القول الأول أو في الثاني ؟!

---

(١) في هامش الأصل نسخة زيادة : (وكذب بل نصر البدعة) قبل (ونعوذ بالله)

(٢) كذا في الأصل ، ولعلَّها : (عنه) بدل (فيه)

(٣) يظهر أنَّه كتب هٰذه الأوراق المخزية لسائلٍ سأله عن حال الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالىٰ

(٤) في هامش الأصل نسخة : (نيف) بدل (ست) .

(٥) في هامش الأصل نسخة : (يناضل) بدل (يناظر)

قال ولم يتغيَّرْ عليَّ شيءٌ مِن عقلِهِ ، ولم يبعثِ اللهُ عزَّ وجلَّ نبيّاً تظهرُ علىٰ يديه المعجزاتُ فيدَعَ الخلقُ ما هم عليه ضرورةً !

٢ـ وسمعتُ أبا محمد الحسنَ بن محمد العسكريَّ بالأهواز يقول ـ وكان مِنَ المخلصين في مذهبه ، المتقدِّمين في نصرته ـ : سمعته يقول : كان الأشعريُّ تلميذاً للجُبَّائيِّ ؛ يدرسُ عليه ، ويتعلَّمُ منه ، ويأخذُ عنه ، لا يفارقُهُ أربعين سنةً ، وكان صاحبَ نظرٍ في المجالس ، وذا إقدامٍ على الخصوم ، ولم يكن من أهل التصنيف ، وكان إذا أخذَ القلمَ يكتبُ . . ربما ينقطع ، وربما يأتي بالكلامِ غيرَ مرضيٍّ ، وكان أبو عليٍّ الجُبائيُّ صاحبَ تصنيفٍ وقلمٍ ؛ إذا صنَّفَ يأتي بكلٍّ ما أرادَ مستقصىً ، وإذا حضرَ المجالسَ وناظرَ . . لم يكن بمرضيٍّ[1] ، وكان إذا دهمَهُ الحضورُ في المجالس يبعثُ إلى الأشعريِّ[2] ، ويقولُ له : نُبْ عنِّي ، ولم يزلْ علىٰ ذلك زماناً

فلمَّا كان يوماً . . حضرَ الأشعريُّ نائباً عن الجُبائيِّ في بعض المجالس ، وناظرَهُ إنسانٌ[3] ، فانقطعَ في يدِهِ ، وكان معه رجلٌ مِن العامَّةِ ، فنثرَ عليه لوزاً وسُكَّراً ، فقال له الأشعريُّ : **ما صنعتُ شيئاً ، خصمي استظهرَ عليَّ وأفلجَ الحجَّةَ ، وانقطعتُ في يديه ، كان هو أحقَّ بالنِّثار منِّي !**

ثم إنَّه أظهرَ بعد ذلك التوبة والانتقالَ عن مذهبه .

٣ـ وسمعتُ أبا عبد الله الحُمْرانيَّ بالأهواز سنة خمسٍ وسبعينَ وثلاثِ مئةٍ يقول : لم نشعرْ يومَ الجُمُعة وإذا بالأشعريِّ قد طلعَ علىٰ منبرِ الجامع بالبصرة بعد صلاةِ الجمعة ومعه شريطٌ ، فشدَّهُ علىٰ وسطِهِ ، ثم قطعَهُ وقال : **(اشهدوا**

---

(١) في هامش الأصل نسخة : (مرضياً)

(٢) في هامش الأصل نسخة : (الخصوم) بدل (الحضور)

(٣) في هامش الأصل نسخة : (ناظرَ إنساناً) .

عليَّ أنِّي كنتُ علىٰ غير دين الإسلام ، وأنِّي قد أسلمتُ الساعةَ ، وأنِّي تائبٌ ممَّا كنتُ فيه من القول بالاعتزال) ، ثم نزل

قال أبو عبد الله الحمرانيُّ : ثمَّ إن الناسَ اختلفوا فيه علىٰ ثلاثة أقوالٍ

فقال أصحابُهُ ومتابعوه ومَن يهواه : بانَ له الحقُّ فتبعَهُ

وقال طائفةٌ : كان قد ماتَ له قرابةٌ وله مالٌ كثيرٌ ، وكان إذ ذاك بالبصرة قاضٍ يغلو في السنَّة ، فقال له القاضي أهلُ ملَّتين لا يتوارثان ، ومنعَهُ من الميراث بتأويلٍ تأوَّله عليه ، فأظهرَ التوبة حتىٰ أخذَ الميراثَ .

وقال طائفةٌ : كان قد اشتغلَ بالكلام ، وأفنىٰ فيه عمرَهُ ، وبلغَ منه أقصىٰ مبلغٍ ، ولم يرَ لنفسه رتبةً عند العامَّةِ ، ولا منزلةً عند الخاصَّة ، فأظهرَ التوبةَ ليُؤخَذَ عنه ، ويُقبَلَ عليه[1] ، ويحصلَ له منزلةٌ ، فبلغَ بذلك بعضَ ما أراد

وكان هـٰذا أبو عبد الله الحُمْرانيُّ رحمه الله عالماً في اللغة[2] ، قيِّماً بالنحو والعروض والغريب والأخبار والأشعار ، مقدَّماً في ذلك ، لم يكن فيه عصبيةٌ في الديانات ، ولا ميلٌ إلى الغلو في ذلك ، ولا يقولُ في ذلك إلا بالحقِّ[3]

٤ـ وسمعتُ أبا عبد الله الحُمرانيَّ يقول : حضرتُ يوماً في جنازةٍ بالبصرة ، والميْتُ يُدفنُ ، ونحن قيامٌ علىٰ شفير القبر ، والأشعريُّ قائمٌ إلىٰ جانبي ، والحفَّارُ يقول : اللهمَّ ؛ وسِّعْ حفرتَهُ له[4] ، ولقِّنهُ حجتَّهُ ، وبرِّدْ

---

(١) في هامش الأصل نسخة : (منه)

(٢) في هامش الأصل نسخة : (إماماً في اللغة) .

(٣) انظر كلام الحافظ ابن عساكر فيه بأنه مجهول (ص ١٣٨) ، واكتفى الحافظ ابن حجر بنقل كلامه فقط في كتابه « لسان الميزان » (٩/ ١١١) ، بل الناظرُ في الخبر الآتي لا يكاد يشكُّ أنه كذَّاب .

(٤) في هامش الأصل نسخة : (مدخله) بدل (حفرته) .

مضجعَهُ ، وهوِّنْ عليه ما هو لاقيه ، قال فقال له الأشعريُّ[1] : وألعقْهُ خُزْأَهُ ، قال فالتفتُّ إليه فقلتُ يا أبا الحسن ؛ هـٰذا كلامُ مَنْ عبرَ ذاك الجانب ! قال : فقال لي أنا في ذلك الجانبِ ولدتُ .

قلتُ لأبي عبد الله الحُمرانيِّ : ما معنىٰ قولك له هـٰذا كلامُ مَنْ عبرَ ذاك الجانب ؟ قال : قلتُ له هـٰذا كلامُ الملحدة ، فقال : أنا ولدتُ ملحداً ، لعنه الله وأخزاه

وأمَّا إظهارُهُ التوبةَ فغيرُ مقبولٍ منه ؛ قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾[آل عمران : ٩٠] .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « ٱلتَّوْبَةُ مُحَرَّمَةٌ عَلَىٰ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ »

وقال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ تَوْبَةً »[2]

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ ٱللهَ حَجَرَ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ »[3] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ كُلَّ ذَنْبٍ لَهُ تَوْبَةٌ ، إلاَّ صَاحِبَ بِدْعَةٍ مَا لَهُ تَوْبَةٌ »[4]

---

(١) في هامش الأصل نسخة زيادة : (خزاهُ الله ولعنه وأبعده) .

(٢) ورد الحديث في « سنن ابن ماجه » (٤٩) بلفظ : « لاَ يَقْبَلُ ٱللهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ صَوْماً ، وَلاَ صَلاَةً ، وَلاَ صَدَقَةً ، وَلاَ حَجّاً وَلاَ عُمْرَةً ، وَلاَ جِهَاداً ، وَلاَ صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً ، يَخْرُجُ مِنَ ٱلإِسْلاَمِ كَمَا تَخْرُجُ ٱلشَّعَرَةُ مِنَ ٱلْعَجِينِ » من حديث سيدنا حذيفة رضي الله عنه ، قال الحافظ البوصيري في « مصباح الزجاجة » (١/ ١٠) : (هـٰذا إسناد ضعيف ، فيه محمد بن محصن ، وقد اتفقوا علىٰ ضعفه) ، وكذَّبه ابن معين ، وقال البخاري : (منكر الحديث)، وقال الدارقطني : (يضع الحديث) ، وانظر « ميزان الاعتدال » (٣/ ٤٧٦)

(٣) انظر تخريجه (ص ٦٧٣) .

(٤) من الأحاديث المروية في ذلك حديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة : =

وفي أخبارِ بني إسرائيلَ : أنَّ رجلاً أظهرَ بدعةً ثم تابَ منها ، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلىٰ نبيٍّ ذلك الوقت قُلْ لفلانٍ تبتَ أنتَ مِنْ بدعتِكَ ، فكيف بمَنْ أضللتَ ؟ ![1]

والناسُ في التوبة علىٰ ضروبٍ

فمَنْ تابَ من ذنبٍ يختصُّ به وحدَه . . فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يتوبُ عليه ، ويَقبلُ ذلك منه

ومَنْ تابَ مِنْ ذنبٍ يتعلَّقُ بغيره ، يكون ذلك الذنبُ بدعةً اعتقدَها غيرُهُ ، أو ذنباً فعلَهُ غيرُهُ مِن أجلِهِ ، كان هو السببَ لذنبه . . لا تصحُّ منه توبة ، أو يتوبَ هو ويقلعَ غيرُهُ عن ذنبه الذي أذنبَهُ مِن أجله ، وإلا لا تصحَّ له توبةٌ أبداً

وأمَّا اعتقادُ البدعة[2] فما يُتابُ منه ، ولا يُرجعُ عنه ، ولا يَعتقدُ البدعيُّ قطُّ أنَّه كان علىٰ باطلٍ ، وهـٰذا شيءٌ ما رأيناه قطُّ في العالم ؛ من توبة بدعيٍّ إمامٍ في البدعة ، داعٍ إليها ، مجادلٍ عنها ، مخاصمٍ دونها

وقال بعض العلماء بالبصرة وقد قيل له : فلانٌ تابَ مِن بدعته ؛ قال : آمنَ بلسانه ، وأنكرَ بقلبه ، يعيشُ منافقاً ، ويموتُ كافراً

= « يَا عَائِشَةُ ؛ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ [الأنعام : ١٥٩] هُمْ أَصْحَابُ ٱلْبِدَعِ ، وَأَصْحَابُ ٱلْأَهْوَاءِ ، لَيْسَ لَهُمْ تَوْبَةٌ ، أَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ ، وَهُمْ مِنِّي بَرَاءٌ » ، قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ١٨٩) (رواه الطبراني في « الصغير » ، وفيه بقية ، وهو ضعيف)

(١) روى ابن وضاح في « البدع » (ص ٦٣) عن الحسن البصري قال : (إن رجلاً من بني إسرائيلَ ابتدع بدعةً ، فدعا الناس إليها ، فاتُّبعَ ، وإنه لمَّا عرفَ ذنبَهُ . . عمد إلىٰ ترقوته فنقبها ، فأدخل فيها حلقة ، ثم جعل فيها سلسلة ، ثم أوثقها في شجرة ، فجعل يبكي ويعجُّ إلىٰ ربِّه ، فأوحى الله إلىٰ نبيِّ تلك الأمة : أن لا توبةَ له ؛ هـٰذا قد غفرتُ له الذي أصاب ، فكيف من أضلَّ فصار إلى النار ؟!) .

(٢) في هامش الأصل نسخة زيادة : (فلا رجع صاحبها عنها)

وللأشعريِّ ـ لعنه الله وأخزاه ـ كتاب في السنة ، قد جعلوه أصحابُهُ وقايةً لهم من أهل السنة ، يلقَون به العوامَّ مِن أصحابنا[١] ، سمَّاه كتاب « الإبانة » ، صنعَهُ ببغدادَ لمَّا دخلَها[٢] ، فلم يَقبلْ ذلك منه الحنابلةُ ، وهجروه .

٥ـ سمعتُ أبا عبد الله الحُمْرانيَّ يقول : لمَّا دخلَ الأشعريُّ إلىٰ بغدادَ . . جاء إلى البَربَهاريِّ ، فجعل يقول : رددتُ على الجُبائيِّ وعلىٰ أبي هاشم ، ونقضتُ عليهم وعلى اليهود والنصارىٰ وعلى المجوس ، وقلتُ وقالوا ، وأكثرَ الكلامَ في ذلك ، فلمَّا سكتَ . . قال البَربَهاريُّ : ما أدري ممَّا قلتَ قليلاً ولا كثيراً ، ما نعرفُ غيرَ ما قاله أبو عبد الله أحمدُ بن محمد بن حنبل رضي الله عنه[٣]

قال فخرجَ من عنده وصنَّفَ كتاب « الإبانة » ، فلم يقبلوه ولم يظهرْ ببغدادَ إلىٰ أن خرج منها

وله مسألةٌ في أنَّ الإيمانَ غيرُ مخلوقٍ ، كنتُ أحسب أنَّها منحولةٌ إليه ، إلىٰ أن قال لي أبو الحسين ابنُ أبي المعتمر[٤] : وقعَتْ إليَّ وأنا بالرَّقَّة ، فتعجبتُ منها ، وأخذتها وانحدرتُ إلىٰ بغدادَ مِن أجلِها لا غير ، وجئتُ إلى ابنِ الباقلانيِّ ، فأريتُهُ إيَّاها وقلتُ له : ما هـٰذا ؟! فقال لي : هـٰذا صحيحٌ عنه ، هو صنَّفَها يتقي بها الحنابلةَ ببغدادَ .

---

(١) قوله : (قد جعلوه أصحابه) كذا علىٰ لغة ـ إن لم يكن لحناً فجّاً كعادته ـ : يتعاقبون فيكم ، وأراد بـ(أصحابنا) : جهلة الحنابلة .

(٢) في هامش الأصل نسخة : (صنَّفه) بدل (صنعه) .

(٣) في هامش الأصل نسخة : (لا نعرف إلا) بدل (ما نعرف غير) .

(٤) في نسخة بين سطور الأصل : (الحسين) بدل (الحسن) ، وقال المفتري الأهوازي عنه : (توفي ابن أبي المعتمر الرقيُّ المقرئ في سنة تسع وتسعين وثلاث مئة ، كان يُرمَىٰ بالتشيع ؛ وهو أبو الحسين محمد بن أحمد) ، وانظر « ذيل مولد العلماء » للحافظ الكتاني (ص ١٢٧) .

ما أبينَ هـٰذا وأوضحَهُ ! قد صحَّ عنه أنَّه كتب مسألةً وصنَّفَ كتاباً بشهادة أصحابه ، وعليه أنَّه ما يعتقدُهما ، وإنَّما جعلَهما وقايةً مِن مخالفيه ، فكيف حاله في التوبة ؟! هـٰكذا هو أيضاً ، إنَّما أظهرَ ذلك وقايةً ، لا عَقْداً ومذهباً

وقد ثبتَ عنه وصحَّ بنقل الفضلاء أنَّه كان لا دينَ له ، وأنَّه كان يتهاونُ بالشريعة ، ويركبُ الفواحشَ ، ويتركُ المفروضات .

٦ـ سمعتُ أبا الحسن محمدَ بن أحمدَ الشاهدَ بالأهواز يقول (**رجلانِ كانا من المعتزلةِ ، خرجا عن المذهب فألحَدا ؛ ابنُ الرَّونديِّ ، والأشعريُّ**)

٧ـ وسمعتُ أخي أبا الحسن أحمدَ بن عليٍّ يقول سمعتُ القاضيَ ابنَ صخرٍ يقول : سمعتُ عمِّي أبا محمدٍ ابنَ صخرٍ يقول عرفتُ أبا الفضل ابن البقَّال[1] يقول سمعتُ أبا عليٍّ ابنَ جامع ـ وأكرِمْ به! ـ يقول صحبتُ الأشعريَّ عشرين سنةً ، ما رأيته مصلياً قطُّ ، ولقد صحبتُهُ في يومِ عيدٍ إلى المصلَّىٰ بالبصرة ، فلمَّا بلغنا إلى الخراب . . دخلَ وبالَ ، وخرجَ ولم يمسَّ يدَهُ ! فقلت أما تأخذُ لك ما تتوضَّأ به ، والطريقُ كلُّهُ ما يخلو مِن قومٍ معهم ماءٌ أو بارد ؟ فقال لي لا ، بويلةُ العيدِ لا بدَّ منها ، فلمَّا وصلنا إلى المصلَّىٰ . . صلَّىٰ علىٰ غير وضوء .

قال أبو عليٍّ ابنُ جامع : فلمَّا رجعتُ تركتُهُ ، وحرَّقتُ جميعَ ما كتبتُهُ عنه[2] ، ولم أرجعْ إليه ، ولزمتُ غيرَهُ

وهـٰذا أبو عليٍّ ابنُ جامع من فضلاء أهل البصرة

٨ ـ سمعتُ أبا إسحاقَ الطبريَّ ببغدادَ يقول سمعتُ قاضيَ القضاة ابنَ أمٍّ

---

(١) في هامش الأصل نسخة : (النقال) .

(٢) لم يتنبَّه مفتري هـٰذا الخبر إلىٰ أنه لم يره مصلِّياً قط وكان قد صاحبه وكتبَ عنه !!

شيبانَ[1] يقول قال لي أبو عمرَ القاضي اكشف لي عن أبي علي ابن جامع ؛ فإنِّي أريدُ أن أعدِّلَهُ ، فكشفتُ عنه ، فوجدتُهُ أبرَّ من الأبرِّينَ[2]

٩ـ وسمعتُ أبا سهلِ بنَ الصابونيِّ النيسابوريَّ بدمشقَ سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئةٍ[3] ، وأبا أسامة محمد بن أحمد الهرويَّ المقرئ له سنة خمس وتسعين وثلاث مئة ؛ يقولان سمعنا الإمامَ سهلَ بن أبي سهلٍ الصُّعلوكيَّ بنيسابورَ يقول : سمعتُ أبي يقول كنت ربَّما أختلفُ إلى الأشعريِّ فأكتبُ عنه شيئاً ، قال فجئتُهُ في يوم جُمُعة وقد صلَّينا العصرَ ، فرأيتُهُ مِن شقِّ الباب وهو يبولُ ، فلمَّا فرغَ مِنْ بولِهِ . . دخلتُ عليه ، فقال لي : صليتم العصرَ ؟ قلتُ نعم ، ثم قام فصلَّىٰ ولم يتوضَّأ ! فخرجتُ مِن عنده وحرَّقتُ جميعَ ما كتبتُهُ عنه ، ولم أرجعْ إليه

وأقامَ الأشعريُّ بالبصرة لا يختلفُ إليه أحدٌ من أهل العلم ؛ لأنَّه ليس هو من أهل العلم بحمد الله[4] ، ولم يكن له بها إذ ذاك كبيرُ ذكرٍ ولا كثيرُ أصحابٍ ، وإنَّما كان له بها أربعةٌ مِن أصحابه ، وخرج الأربعةُ دُعاةً له في الآفاق ؛ أحدهم ابنُ عينونَ الضرابُ[5] ، وخرجَ إلىٰ بغدادَ وأقام بها إلىٰ أن ماتَ لا رحمه الله ، ولا قَدَرَ أن يُظهرَ مِنْ مذهبه شيئاً مِنْ هـٰذه الكفريات ؛ خيفةً مِنَ الحنابلة

١٠ـ وسمعتُ أبا عبد الله بن حامدٍ رضي الله عنه يقول : جاءنا ابنُ عينونَ

---

(١) في هامش الأصل نسخة : (ابن أبي شيبان) .

(٢) في هامش الأصل نسخة : (أبر الأبرين)

(٣) زيد في هذا الموضع نسخة زيادة: (يقول) ، وقوله : (وتسعين) في هامش الأصل نسخة : (وسبعين)

(٤) في هامش الأصل نسخة : (لم يكن) بدل (ليس)

(٥) في هامش الأصل نسخة : (عيشون) بدل (عينون) في هـٰذا الموضع والذي يليه

الضرابُ وأقام عندنا ، لم يُظهرْ مِنْ هـٰذا الخذلان شيئاً قطُّ

ومنهم : القَلاَنسيُّ[١] ، سار إلى الرَّيِّ وأقام بها إلىٰ أن مات

ومنهم : عبدُ العزيز الملقَّبُ دُمَّل[٢] ، سافر إلى الشام وإلىٰ مصر وأقام بها إلىٰ أن مات

ومنهم : أبو عبد الله بن مجاهد ، أقامَ بالبصرة إلىٰ أن مات

١١ـ وقال لي أخي أبو إسحاق بن لؤلؤ رضي الله عنه كان أبو عبد الله بن مجاهد يقعدُ على الحصىٰ في الصحن مِنَ الجامع ، ولا يغطِّي رأسه في الشتاء ، والناس يضحكون منه ، ويتلهَّون به ، ولم يكن في نفوس الناس بالطائل ، ولا كان يُعدُّ في العلماء ، ولا في الناس المذكورين[٣]

وله ثلاثة تلاميذ[٤] : **ابنُ الباقلانيِّ ، وابنُ فُورَكَ ، وأبو الحسن الطبريُّ**

أمَّا ابنُ الباقلانيِّ : فكان أجيراً لفاميٍّ في كلِّ يومٍ بأربعة دوانيق في قصر الزيتِ لمَّا حسُنَ حالُهُ ، بعد أن كان يرمي الشوكَ تحت قِدْرِ الباقلاءِ لأبيه فطيش طيبان الباقلاني[٥] ، ثم داخلَ السلاطينَ ، فارتفعَ بهم لا بالعلم

وأمَّا ابن فُورَكَ : فإنَّه سافرَ إلىٰ نيسابورَ[٦] ، وأقام بها إلىٰ أن مات

وأمَّا أبو الحسن الطبريُّ فإنَّه لم يظهرْ بالكلام قطُّ ، ولزمَ حلقة أبي عليٍّ المروزيِّ بالبصرة ، ولم يفارقْها إلىٰ أن مات ، وقد شاهدتُهُ أنا بالبصرة

---

(١) في هامش الأصل نسخة زيادة : (الملقب بدمل) .

(٢) كذا في الأصل

(٣) في هامش الأصل نسخة : (من) بدل (في) .

(٤) في هامش الأصل نسخة : (تلامذة) .

(٥) في هامش الأصل نسخة زيادة : (دكان أبيه)

(٦) في هامش الأصل نسخة : (خراسان)

ولم يكن للأشعريِّ منزلةٌ في العلم والقرآن والفقه والحديث ، وكذلك جميعُ نظرائه مِنَ المتكلِّمين ؛ إذا فتَّشنا العلماء . . لم نجدْ لواحدٍ منهم مع القرَّاء ذِكراً ، ولا مع الفقهاء ، ولا في أصحاب الحديث ، بل تجدُهُم في الصدر مع الفلاسفة وأصحاب الهندسة والمنطق والزندقة[1] ، ومع مَن يقول بالكفرِ والإلحاد ، وترْكِ الكتاب والأثر ، وركوبِ القياس والخطر[2]

ولم يزلْ ـ بحمد الله ومَنِّهِ ـ قولُ الأشعريِّ مهجوراً متروكاً ، لا يُلتفتُ إليه ولا يُعتدُّ به[3] ، إلىٰ أن نشأَ بهـٰذه الطائفةِ التي تقولُ : لا نقول بالقرآن والأثر ، فمالوا إليه ، وطاروا نحوه ، وأخذوه بكلتا اليدينِ

وطائفةٌ منهم مضتْ إلىٰ خُراسانَ ، وطائفةٌ مضتْ إلى المغرب ، وطائفةٌ إلى الحجاز ، ومنذ قَوِيَ ذلك واشتَهرَ أقلُّ من نحو ثلاثين سنة

واللهُ تعالىٰ بفضله وإحسانه وجوده وامتنانه لا يُخلي قطراً في كلِّ قطر من أقطار الأرض ممَّن يدحضُ قولَهم ، ويُبيِّنُ فضيحتَهم ، ويدفعُ كلمتَهم ، ولا يتركُ لهم منزلةً ترتفعُ ، كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى ٱلْحَقِّ ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ ٱللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ »[4]

ولم يزلِ الأشعريُّ يسيرُ في البلادِ ، ولا يُقبلُ قولُهُ ولا يرتفعُ حاله ، وهو

---

(١) في الأصل : (وأصحاب والهندسة) وكلمة (وأصحاب) كأنها زيدت أول السطر ، ثم ضرب على الواو في (والهندسة) .

(٢) في هامش الأصل نسخة : (وركوب الجدل والقياس والخطر)

(٣) في نسخة : (يقتدىٰ به)

(٤) رواه البخاري (٧٣١١) من حديث سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، ومسلم (١٩٢٠) من حديث سيدنا ثوبان رضي الله عنه ، وقد نُصَّ علىٰ تواتره ؛ فقد رواه أحد عشر صحابياً ، كما في « نظم المتناثر » (ص ١٤١) .

مخمولٌ غير مقبول ، لا يجدُ في بلاد الإسلام مَقرّاً[1] ، ولا في كنفِ المسلمين عزّاً ، ولا مِنَ العلماء إقبالاً عليه ، حتىٰ لحقَ ببلدِ الأحساء ، بلدٌ لا يدخلُهُ مؤمنٌ ، ولا يقرُّ فيه مسلمٌ ، وإنَّما يدخلُهُ الفسقةُ الفجّار ، وأولياءُ القرامطة الكفَّار ، ولم يزلْ مُقيماً بها إلىٰ أن ماتَ لا رحمه الله ، ولا بلَّ ثراه ، وجعل النارَ منقلَبَهُ ومثواه .

١٢ـ سمعتُ أبا عبد الله محمد بن محمد بن علانَ المحرسيَّ المؤدِّبَ الشيخ الصالح بمكَّة رحمه الله يقول وهو قائمٌ في الملتزم يودِّعُ البيتَ للرحيل مع حاجِّ خُراسانَ ، فجئت وقفتُ بجنبه ، وسألتُهُ الدعاء ، فدعا وأكثرَ ، وانتحبَ وبكىٰ ، ثم مسح وجهه بيديه بعد الدعاء ، ثم قال : كلمة اسمعْها منِّي تقرِّعُ بها الأشعريَّة ؛ مات الأشعريُّ بالأحساء سكرانَ علىٰ ظهرِ غلام !

لعنه الله وأخزاه ، وجعل الجحيم مأواه ، وجميعَ مَن يعتقد اعتقاده[2]

فأسألُ اللهَ الرحيمَ الحكيمَ العليمَ أن يتمِّم لنا ما تفضَّل به علينا ، وألاَّ يخليَنا مِنْ فضله وإنعامِهِ ؛ إنه رؤوف رحيم كريم

وقال : كانَت في أصل نجا بن أحمد العطار[3] ، عن الشيخ أبي علي رحمه الله يقول : ومِن أعجبِ الأشياء أنَّه ليس يُعرفُ بالبصرة إلا بابنِ أبي بشر ! وأصحابُهُ يفرُّونَ من هـٰذا الاسم ، ولا يصفونه به

---

(١) وقع في هامش الأصل : (سقط من الأصل : في بلاد الإسلام) ، وتحت كلمة (الإسلام) كتب : (الشام)

(٢) جاء في هامش الأصل نسخة : (بخط القاضي أبي الحسين محمد محمد ـ يعني : محمد بن أبي يعلىٰ ، واسمه محمد ـ الفرَّاء العدل ، قال أبو علي الأهوازيُّ : ولولا أني قصدت الإيجاز والاختصار لطال الشرح في هـٰذا الأمر ، ونسأل الله السلامة في أدياننا ، والعون علىٰ ما يحبه ويرضيه بفضله وجوده وإحسانه ؛ إنه سميع قريب ، والحمد لله) .

(٣) قوله : (كانت) تحتمل : (كاتب) ، وكتب فوقها : (ومن مسموعه)

١٣ـ وسمعتُ شيوخاً من أهل البصرة يقولون : ما فرارُهم مِن هـٰذا الاسم إلا لسببٍ ؛ وذلك أنَّ جدَّه أبا بشرٍ كان يهوديّاً أسلم علىٰ يد رجلٍ يُنسب إلى الأشعريِّين ، فانتسبَ إلىٰ ذلك ، والله أعلم .

وقد قيل في الأشعار السائرة : [من المجتث]

وَمَــا كَنَــىٰ عَــنْ أَبِيــهِ إِلاَّ وَثَــمَّ سُبَيْــبُ[1]

* * *

---

(١) وبهـٰذا تنتهي الرسالة المخزية للمفتري أبي علي الأهوازي ، ونُذكِّرُ هنا بأن كتابنا « تبيين كذب المفتري » عُقد فيه الفصلُ الأخير منه للردِّ علىٰ هـٰذه الأكاذيب المفتراة في حقِّ الإمام الأشعري ، وانظر ما كتب (ص ٤٩) في ضرورة نشر هـٰذه الرسالة



الفهارس العامة

فهرس أطراف الأحاديث والآثار [1]

(١) الأثر الذي رمز له بـ(ف) هو حديث موقوف.

* * *

فهرس الأعلام المترجمين في الكتاب

المترجم	رقم الصفحة
ـ محمد بن عبد الله بن حمشاذ النيسابوري ، أبو منصور	٣٨٧
ـ محمد بن عبد الله بن محمد البخاري الأودني ، أبو بكر	٣٨٥
ـ محمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عمروس البغدادي المالكي البزاز ، أبو الفضل	٤٩٧
ـ محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي ، أبو بكر	٣٥٥
ـ محمد بن علي بن محمد بن الحسن الخبازي ، أبو عبد الله	٤٩٥
ـ محمد بن الفضل بن أحمد، أبو عبد الله الصاعدي الفراوي	٥٨١
ـ محمد بن الفضل بن محمد بن المعتمد الإسفرايني ، أبو الفتوح	٥٩١
ـ محمد بن القاسم الأصبهاني الشافعي ، أبو عبد الله	٣٨٣
ـ محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، أبو حامد	٥٤٢
ـ محمود بن أحمد بن عبد المنعم ابن ماشاذه الأصبهاني الواعظ المفسر ، أبو منصور	٥٩٠
ـ محمود بن الحسن الطبري القزويني ، أبو حاتم	٤٨٩
ـ المفضل بن إسماعيل بن أحمد الجرجاني الإسماعيلي ، أبو معمر	٤٥٥
ـ نصر بن إبراهيم المقدسي الفقيه ، أبو الفتح	٥٣٢
ـ نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيصي الأشعري ، أبو الفتح	٥٩٤

* * *

فهرس الأشعار والأرجاز

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	الصفحة
		الألف اللينة		
بها نبطي من أهل السواد	الفلا	المتقارب	المتنبي	٦٦٠
وماذا بمصر من المضحكات	كالبكا	المتقارب	المتنبي	٦٦٠
		الباء المضمومة		
سألته عن أبيه	شعيبُ	المجتث	-	٦٥٩
وما كنى عن أبيه	سبيبُ	المجتث	-	٦٥٩، ٧٦٢
		الباء المكسورة		
آنستني فأنست منك بشيمة	الأطيبِ	الكامل	علي بن عيسى السكري	٤٢٨
الأشعرية قوم	للصوابِ	المجتث	-	٣٣٨
أعذر حسودك في الذي أوليته	أخيبِ	الكامل	علي بن عيسى السكري	٤٢٧
ألفيته من لبه وجنانه	مقنبِ	الكامل	علي بن عيسى السكري	٤٢٧
أنا من علمت فلا تظني غيره	الأصعبِ	الكامل	علي بن عيسى السكري	٤٢٦
أنصبت نفسك للثناء فحزته	ينصبِ	الكامل	علي بن عيسى السكري	٤٢٧
أهدى له ثمر القلوب محبة	يحببِ	الكامل	علي بن عيسى السكري	٤٢٧
بمحاسن لم تكتسب بتكلف	لمهذبِ	الكامل	علي بن عيسى السكري	٤٢٧
بيضاء أخلصها النعيم كأنما	مقضبِ	الكامل	علي بن عيسى السكري	٤٢٦
حتى انجلت تلك الضلالة واهتدى	الغيهبِ	الكامل	علي بن عيسى السكري	٤٢٧
حييت بك الآمال بعد مماتها	المجدبِ	الكامل	علي بن عيسى السكري	٤٢٧
ذو مجلس فلك تضيء بروجه	الأشهبِ	الكامل	علي بن عيسى السكري	٤٢٨
شرفاً أبا بكر وقدراً صاعداً	والمغربِ	الكامل	علي بن عيسى السكري	٤٢٧
فإذا رعين رعين أخصب مرتع	مشربِ	الكامل	علي بن عيسى السكري	٤٢٧

الراء المضمومة

الراء المفتوحة

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	الصفحة
ذو همة بكرية	عمرِي	مجزوء الرجز	-	٣٤٠
شبهوا الله بالورى	برِي	مجزوء الخفيف	-	٣٣٣
شرف في علومه	العنصرِ	مجزوء الرجز	-	٣٤٠
شيئان من يعذلني فيهما	برِي	السريع	عبد الرحيم القشيري	٣٣٢
فالزم الحق لا تزغ	الأشعري	مجزوء الخفيف	-	٣٣٣
فذر التعامي واعتصم بمقاله	السرِي	الكامل	-	٦٣٨
فعدتي حب بنى الهدى	الأشعرِي	السريع	-	٣٣٢
فكن به مستمسكاً	السرِي	مجزوء الرجز	-	٣٤١
فلا تطع في ذمه	أبترِ	مجزوء الرجز	-	٣٤٠
فمن بدا إفلاسه	يشترِي	مجزوء الرجز	-	٣٣٩
فهل ترى في عقده	فرِي	مجزوء الرجز	-	٣٤١
فهو إمام فاضل	بمنكرِ	مجزوء الرجز	-	٣٤٠
قل للمشبهة الذين تجاوزوا	منكرِ	الكامل	-	٧٤٦
كم بحر علم زاخر	مقمرِ	مجزوء الرجز	-	٣٤١
كمن تمنى سفهاً	والمشترِي	مجزوء الرجز	-	٣٤٠
كم يدعي تقصيره	مقصرِ	مجزوء الرجز	-	٣٣٩
لَئن كنت في الدنيا وأنت وشاحها	البحرِ	الكامل	أبو النضر العتبي	٤١١
لا يمتري في فضلهم	ممترِي	مجزوء الرجز	-	٣٤٢
لأنه جل عن الـ	والتغيرِ	مجزوء الرجز	-	٣٤١
لأنه ليس بذي	بجوهرِ	مجزوء الرجز	-	٣٤٠
لله سمع لا كأسماع الورى	المحجرِ	الكامل	-	٧٤٦
لولا تيسره على ألفاظنا	ميسَّرِ	الكامل	-	٧٤٦
ليست له معرفة	الدررِ	مجزوء الرجز	-	٣٣٩
منزه لربه	الصورِ	مجزوء الرجز	-	٣٤٠
موحد في عقده	للقدرِ	مجزوء الرجز	-	٣٤٠
ما اكتحلت أجفانه	بالسهرِ	مجزوء الرجز	-	٣٤٠

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	الصفحة
وجمعت في الأسفار كل نفيسة	ومؤالفِ	الكامل	الحافظ ابن عساكر	٧٣٣
واختم بحمدك يا كريم مقالنا	المترادفِ	الكامل	الحافظ ابن عساكر	٧٣٤
واخترت عقداً لم تشبه بدعة	سالفِ	الكامل	الحافظ ابن عساكر	٧٣٣
ورويتها بأمانة وصيانة	قارفِ	الكامل	الحافظ ابن عساكر	٧٣٣
وسمعت سنة أحمد من بعد ما	طارِفِي	الكامل	الحافظ ابن عساكر	٧٣٣
والشرق قد عاينت أكثر مدنه	المتعارفِ	الكامل	الحافظ ابن عساكر	٧٣٣
واعطف قلوبهم على أصحابه	عاطفِ	الكامل	الحافظ ابن عساكر	٧٣٤
وانظر إلى صارم الإسلام منغمداً	الصدفِ	البسيط	-	٤٢٦
واهتك بحولك ستر من يغتابه	قاذفِ	الكامل	الحافظ ابن عساكر	٧٣٤
يا ربنا ارحم شيخنا وإمامنا	للكاشفِ	الكامل	الحافظ ابن عساكر	٧٣٤
يا معشر الإخوان لو ظفرت يدي	وملاطفِ	الكامل	الحافظ ابن عساكر	٧٣٢
يا من تواعدني لفرط جهالة	بخائفِ	الكامل	الحافظ ابن عساكر	٧٣٢
الفاء الساكنة				
أبشر بقول الله في آياته	سلفْ	من الرجز	أبو منصور البغدادي	٤٧٩
يا من عدا ثم اعتدى ثم اقترف	اعترفْ	من الرجز	أبو منصور البغدادي	٤٧٩
الكاف المضمومة				
أضحى ابن حنبل محنة مأمونة	المتنسكُ	الكامل	ابن أعين	٧٢٠
وإذا رأيت لأحمد متنقصاً	ستهتكُ	الكامل	ابن أعين	٧٢٠
اللام المضمومة				
تمسك إن ظفرت بود حر	قليلُ	الوافر	أبو إسحاق الشيرازي	٥٢٠
سألت الناس عن خل وفي	سبيلُ	الوافر	أبو إسحاق الشيرازي	٥٢٠
اللام المفتوحة				
أترى لفقد إمامنا علم الهدى	سؤَّلَها	الكامل	أبو محمد المرندي الخطيب	٥٤٠
أم كيف يدفن في الثرى شمس الضحى	نالَها	الكامل	أبو محمد المرندي الخطيب	٥٤٠
إن كان يعلم ما يقول معاهد	خلالَها	الكامل	أبو محمد المرندي الخطيب	٥٤٠

اللام المكسورة

* * *

فهرس أسماء الكتب التي ذكرها المصنف

* * *

فهرس أهم مصادر ومراجع التحقيق

- اختصار علوم الحديث، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق أحمد شاكر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق علي البجاوي، ط١، (١٤١٢هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- اشتقاق أسماء الله، للإمام النحوي أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت٣٣٧هـ)، تحقيق عبد الحسين المبارك، ط٢، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق أنس الشرفاوي، ط١، (١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م)، دار التقوى، دمشق، سوريا.
- آداب الشافعي ومناقبه، للإمام المفسر أبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، ط١، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت٨٤٠هـ)، ط١، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للإمام الحافظ أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزَّبيدي الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، ط١، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة، للإمام الحافظ صلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي (ت٧٦١هـ)، تحقيق مرزق الزهراني، ط١، (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النورة، المملكة العربية السعودية.
- إحياء علوم الدين، للإمام حُجَّة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، ط١، (١٤٣٢هـ، ٢٠١١م)، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية.

ـ أخبار القضاة، للإمام القاضي أبي بكر محمد بن خلف بن حيان الضبي البغدادي الملقب **بوكيع**، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي، ط١، (١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر.

ـ إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد **القسطلاني** (ت٩٢٣هـ)، ط٧، (١٣٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، مصر.

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم **ابن الأثير** الجزري (ت٦٣٠هـ)، تاريخ النشر (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ـ الأسماء والصفات، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ)، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر.

ـ الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي **ابن حجر العسقلاني** (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ إعجاز القرآن، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد **الباقلاني** (ت٤٠٣هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٥، (١٩٩٧م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.

ـ أعيان العصر وأعوان النصر، للأديب صلاح الدين خليل بن أيبك **الصفدي** (ت٧٦٤هـ)، تحقيق علي أبي زيد ونبيل أبي عشمة ومحمد موعد ومحمود سالم محمد، ط١، (١٤١٨هـ، ١٩٩٨م)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان. دار الفكر، دمشق، سوريا.

ـ إكمال الإكمال، للحافظ النسَّابة أبي بكر محمد بن عبد الغني **ابن نقطة** الحنبلي (ت٦٢٩هـ)، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، ط١، (١٤١٠هـ)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

ـ الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، للأمير الحافظ أبي نصر علي بن هبة الله **ابن ماكولا** (ت٤٧٥هـ)، ط١، (١٤١١هـ، ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ الأنساب، للحافظ المؤرخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور **السمعاني** المروزي (ت٥٦٢هـ)، تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني وزملائه، ط١، (١٣٨٢هـ، ١٩٦٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، المسمى: «رسالة الحرة»، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد **الباقلاني** (ت٤٠٣هـ)، تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري، ط٢، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر.
- البحر المحيط، للإمام أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف ابن حيان **الأندلسي** (ت٧٤٥هـ)، تحقيق صدقي جميل، ط١، (١٤٢٠هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تاريخ النشر (١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- البدع، للحافظ أبي عبد الله محمد بن وضاح المرواني (ت٢٨٦هـ)، تحقيق محمد دهمان، ط١، (١٤١١هـ، ١٩٩٠م)، دار الصفا، القاهرة، مصر.
- بستان العارفين، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف **النووي** (ت٦٧٦هـ)، تحقيق محمد الحجار، ط٦، (١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.
- بغية الطلب في تاريخ حلب، للإمام كمال الدين عمر بن أحمد العقيلي المشهور **بابن العديم** (ت٦٦٠هـ)، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، للإمام المؤرخ أبي جعفر أحمد بن يحيى **ابن عميرة الضبي** (ت٥٩٩هـ)، تاريخ النشر (١٩٦٧م)، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر.
- البيان والتبيين، للإمام اللغوي أبي عثمان عمرو بن بحر **الجاحظ** (ت٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام الحافظ أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى **الزَّبيدي** الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وجماعة من أئمة التحقيق، ط١، (١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م)، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد **الذهبي** (ت٧٤٨هـ)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط٢، (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- تاريخ أصبهان، للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تاريخ بغداد، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت **الخطيب البغدادي** (ت٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (١٤١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تاريخ جرجان، للحافظ المؤرخ أبي القاسم حمزة بن يوسف القرشي **السهمي الجرجاني** (ت٤٢٧هـ)، تم تحقيقه تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، ط٤، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- تاريخ الطبري، المسمَّى: «تاريخ الرسل والملوك»، للإمام أبي جعفر **محمد بن جرير الطبري** (ت٣١٠هـ)، ط٢، (١٣٨٧هـ)، دار التراث، بيروت، لبنان.
- التاريخ الكبير، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل **البخاري** (ت٢٥٦هـ)، طبع تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، للإمام الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله **ابن عساكر الدمشقي** (ت٥٧١هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، ط١، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم، للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد **المُقدَّمي** (ت٣٠١هـ)، تحقيق محمد اللحيدان، ط١، (١٤١٥هـ، ١٩٩٤م)، دار الكتاب والسنة، باكستان.
- تاريخ يحيى بن معين برواية الدوري، للإمام الحافظ أبي زكريا **يحيى بن معين** بن عون البغدادي (ت٢٣٣هـ)، تحقيق أحمد محمد نور سيف، ط١، (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- التبادل الثقافي بين بلاد الشام وبلاد فارس، لرياض عبد الحميد مراد، تاريخ النشر (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق، سوريا.
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي **ابن حجر العسقلاني** (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، تاريخ النشر (١٩٦٧م)، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
- التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف **النووي** (ت٦٧٦هـ)، تحقيق محمد الحجار، ط٣، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، دار ابن حزم، بيروت لبنان.
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، للإمام أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب **مسكويه** (ت٤٢١هـ)، تحقيق أبي القاسم إمامي، ط٢، (٢٠٠٠م)، سروش، طهران، إيران.
- التحبير في المعجم الكبير، للحافظ المؤرخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور **السمعاني** المروزي (ت٥٦٢هـ)، تحقيق منيرة سالم، ط١، (١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م)، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، العراق.

- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، للإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت٧٦٢هـ)، تحقيق عبد الله السعد، ط١، (١٤١٤هـ)، دار ابن خزيمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- تذكرة الحفاظ، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ، ط٢، (١٩٩٤م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للإمام القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق ابن تاويت الطنجي، ط١، (١٩٦٥م)، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.
- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق إكرام الله إمداد الحق، ط١، (١٩٩٦م)، دار البشائر، بيروت، لبنان.
- تفسير ابن عباس، المسمى: «صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس»، جمع راشد الرجال، ط١، (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
- تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط٢، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، للحافظ النسَّابة أبي بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة الحنبلي (ت٦٢٩هـ)، تحقيق كمال الحوت، ط١، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- التكملة لكتاب الصلة، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن الأبار (ت٦٥٨هـ)، تحقيق عبد السلام الهراس، ط١، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق شادي آل نعمان، ط١، (١٤٣٢هـ، ٢٠١١م)، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى العلوي ومحمد البكري، مؤسسة القرطبة.

- تهذيب الأسماء واللغات، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للإمام الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن القضاعي المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، (١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- تهذيب مستمر الأوهام على ذوي المعرفة وأولي الأفهام، للأمير الحافظ أبي نصر علي بن هبة الله ابن ماكولا (ت٤٧٥هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، (١٤١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الثبات عند الممات، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ط١، (١٤٠٦هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- الثقات، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ)، ط١، (١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط والتتمة تحقيق بشير عيون، ط١، (١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م)، مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان، دمشق، سوريا.

- جامع بيان العلم وفضله، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ط١، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية.

- جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- جامع التحصيل في أحكام المراسيل، للإمام الحافظ صلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي (ت٧٦١هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- الجامع لأحكام القرآن، للإمام المفسر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، (١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت **الخطيب البغدادي** (ت٤٦٣هـ)، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الجرح والتعديل، للإمام المفسر أبي محمد عبد الرحمن بن محمد **ابن أبي حاتم** (ت٣٢٧هـ)، ط١، (١٢٧١هـ، ١٩٥٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- جزء حديثي، مسمّىً بـ «حديث الزهري»، للإمام الحافظ أبي الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد **الزهري** القرشي البغدادي (ت٣٨١هـ)، تحقيق حسن بن محمد بن علي شبالة البلوط، ط١، (١٤١٨هـ، ١٩٩٨م)، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- جزء فيه حديث أبي سعيد الأشج، لحافظ الكوفة المحدث أبي سعيد عبد الله بن سعيد **الأشج** الكندي الكوفي (ت٢٥٧هـ)، تحقيق أبي نجيد إسماعيل بن محمد سيد علي الجزائري، ط١، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠١م)، دار المغني، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن **السخاوي** (ت٩٠٢هـ)، تحقيق إبراهيم عبد المجيد، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- الحافظ ابن عساكر محدث الشام ومؤرخها الكبير، للدكتور مطيع الحافظ، ط١، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، دار القلم، دمشق، سوريا.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام الحافظ **أبي نعيم** أحمد بن عبد الله **الأصبهاني** (ت٤٣٠هـ)، ط٥، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧هـ) لدى دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، ودار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- خلق أفعال العباد، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل **البخاري** (ت٢٥٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الدارس في تاريخ المدارس، للمحدث المؤرخ أبي المفاخر عبد القادر بن محمد **النعيمي** الدمشقي (ت٩٢٧هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١، (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي **ابن حجر العسقلاني** (ت٨٥٢هـ)، ط٢، (١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- الدعاء، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **الطبراني** (ت٣٦٠هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، (١٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- دمية القصر وعصرة أهل العصر، للأديب أبي الحسن علي بن الحسن ابن أبي الطيب **الباخرزي** (ت٤٦٧هـ)، تحقيق محمد التنوخي، ط١، (١٤١٤هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، للإمام برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن علي **ابن فرحون** اليعمري (ت٧٩٩هـ)، ط١، (١٤١٧هـ، ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ديوان المتنبي، لحكيم الشعراء **أبي الطيب** أحمد بن الحسين بن الحسن **المتنبي** الكوفي الكندي، تاريخ النشر (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، دار بيروت، بيروت، لبنان.
- ذم الغيبة والنميمة، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق بشير محمد عيون، ط١، (١٤١٣هـ، ١٩٩٢م)، مكتبة دار البيان، دمشق، سوريا. مكتبة المؤيد، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ذيل تاريخ بغداد، للحافظ المؤرخ محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود **ابن النجار** البغدادي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٧هـ، ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، للمحدث المؤرخ أبي محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد **الكتاني** (ت٤٦٦هـ)، تحقيق عبد الله أحمد سليمان الحمد، (١٤٠٩هـ)، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الرسالة، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس **الشافعي** الهاشمي القرشي المطلبي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق أحمد شاكر، ط١، (١٣٥٨هـ، ١٩٤٠م)، مكتبة الحلبي، القاهرة، مصر.
- الرسالة القشيرية، للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن **القشيري** (ت٤٦٥هـ)، تحقيق أنس الشرفاوي، ط١، (١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م)، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية.

- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف **بأبي شامة** (ت٦٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم الزيبق، ط١ ، (١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، للإمام أبي بكر محمد بن القاسم **الأنباري** (ت٣٢٨هـ)، تحقيق حاتم الضامن، ط١ ، (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الزهد الكبير، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عامر حيدر، ط٣، (١٤١٧هـ، ١٩٩٦م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
- الزهد والرقائق برواية المروزي مع زيادات نعيم بن حماد، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن عبد الله **بن المبارك** بن واضح المروزي (ت١٨١هـ)، تحقيق المحدث حبيب الرحمن الأعظمي، ط١ ، (١٣٨٦هـ، ١٩٧٧م)، طبعة مصورة عن نشرة الهند لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- السنة، للإمام أبي بكر **بن أبي عاصم** الشيباني (ت٢٨٧هـ)، تحقيق محمد ناصر الألباني، ط١ ، (١٤٠٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- السنة، المسمى: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور **اللالكائي** (ت٤١٨هـ)، تحقيق نشأة المصري، مكتبة دار البصيرة، الإسكندرية، مصر. دار الآثار، صنعاء.
- سنن ابن ماجه، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد **ابن ماجه** القزويني (ت٢٧٣هـ)، تحقيق فؤاد عبد الباقي، ط١ ، (١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.
- سنن أبي داود، للإمام الحافظ **أبي داود** سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- سنن الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى **الترمذي** (ت٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد شاكر وفؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، ط٢، (١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م) طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.
- سنن الدارقطني، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر **الدارقطني** (ت٣٨٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسن شلبي وعبد اللطيف حرز الله وأحمد برهوم، ط١، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- سنن الدارمي، المسمَّى: «مسند الدارمي»، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن **الدارمي** (ت٢٥٥هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، ط١، (١٤١٢هـ، ٢٠٠٠م)، دار المغني، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب **النسائي** (ت٣٠٣هـ)، تحقيق حسن شلبي، ط١، (١٤٢١هـ، ٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ)، ط١، (١٣٤٤هـ)، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.
- سنن النسائي، المسمى: «المجتبى من السنن»، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب **النسائي** (ت٣٠٣هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا.
- سير أعلام النبلاء، للإمام للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد **الذهبي** (ت٧٤٨هـ)، بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط٣، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- السيرة النبوية، للإمام المؤرخ النسابة جمال الدين أبي محمد عبد الملك **بن هشام** (ت٢١٣هـ)، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، (١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.
- شرح التسهيل، لإمام العربية جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله **ابن مالك** (ت٦٧٢هـ)، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد المختون، ط١، (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، دار هجر، القاهرة، مصر.
- شرح السنة، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء **البغوي** (ت٥١٦هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، ط٢، (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا. بيروت، لبنان.
- شرح مشكل الآثار، للإمام الفقيه أبي جعفر أحمد بن محمد الأزدي **الطحاوي** (ت٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤١٥هـ، ١٤٩٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين **الآجري** (ت٣٦٠هـ)، تحقيق عبد الله الدميجي، ط٢، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- شعب الإيمان، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد العلي حامد، ط١، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية. الدار السلفية، بومباي، الهند.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للعلامة أبي سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان **الحميري** اليمني (ت٥٧٣هـ)، تحقيق حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني ويوسف

محمد عبد الله، ط١، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان. دار الفكر، دمشق، سوريا.
- صحيح البخاري، المسمى: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، (الطبعة السلطانية اليونينية)، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل **البخاري** (ت٢٥٦هـ)، عني به محمد زهير بن ناصر الناصر، ط٣، (١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، دار طوق النجاة ودار المنهاج، بيروت، لبنان. جدة، المملكة العربية السعودية.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- صحيح مسلم، المسمى: «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ»، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- صفة الصفوة، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف **بابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ)، تحقيق أحمد بن علي، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، دار الحديث، القاهرة، مصر.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، للمؤرخ البحاثة أبي القاسم خلف بن عبد الملك **بن بشكوال** (ت٥٧٨هـ)، تحقيق عِزة العطار، ط٢، (١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- الصمت وآداب اللسان، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي الدنيا** القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق أبي إسحاق الحويني، ط١، (١٤١٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- الضعفاء الكبير، للإمام الحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو **العقيلي** (ت٣٢٢هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الطبقات، للإمام **خليفة بن خياط** الشيباني العصفري (ت٢٤٠هـ)، تحقيق أكرم العمري، ط٢، (١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م)، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- طبقات الشافعية الكبرى، للإمام تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي **السبكي** (ت٧٧١هـ)، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، دار هجر، ط٢، (١٤١٣هـ).
- طبقات الشافعيين، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر **بن كثير** الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق أحمد هاشم عمر ومحمد زينهم محمد عزب، (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

- طبقات الصوفية، للإمام أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين **السلمي** النيسابوري (ت٤١٢هـ)، تحقيق نور الدين شريبه، ط٢، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، طبعة مصورة عن نشرة المحقق سنة (١٩٥٣م) لدى دار الكتاب النفيس، دمشق، سوريا.
- طبقات الفقهاء، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي الفيروزابادي **الشيرازي** (ت٤٧٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٩٧٠م)، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.
- طبقات الفقهاء الشافعية، للإمام المحدث تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن **ابن الصلاح** الشهرزوري (ت٦٤٣هـ)، تحقيق محيي الدين نجيب، ط١، (١٩٩٢م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.
- الطبقات الكبرى، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد **بن سعد** الهاشمي البصري (ت٢٣٠هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- العلل، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عبد الله **ابن المديني** (ت٢٣٤هـ)، تحقيق محمد الأعظمي، ط٢، (١٩٨٠م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف **بابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ)، تحقيق إرشاد الحق، ط٢، (١٤٠١هـ، ١٩٨١م)، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان.
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر **الدارقطني** (ت٣٨٥هـ)، تحقيق محفوظ السلفي، ط١، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: «تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته»، للعلامة المحدث شرف الحق أبي عبد الرحمن **محمد أشرف** بن أمير الصديقي **العظيم آبادي** (ت١٣٢٩هـ)، ط٢، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- عيون الأخبار، للإمام الأديب أبي محمد عبد الله بن مسلم **ابن قتيبة الدينوري** (ت٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤١٨هـ).
- غاية النهاية في طبقات القراء، للإمام الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف المعروف **بابن الجزري** (ت٨٣٣هـ)، ط١، (١٣٥١هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.
- غريب الحديث، لإمام الحافظ أبي سليمان حمد بن محمد ابن الخطاب المعروف **بالخطابي** (ت٣٨٨هـ)، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، (١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م)، دار الفكر، دمشق، سوريا.

ـ الغيلانيات، المسمَّى: «الفوائد المنتخبة العوالي عن الشيوخ الثقات»، للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله الشافعي **البزاز** (ت٣٥٤هـ)، بتخريج الحافظ الدارقطني، تحقيق مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، ط١، (١٤١٧ه،ـ ١٩٩٧م)، دار المأمون، دمشق، سوريا.

ـ فتاوى ابن الصلاح، للإمام المحدث تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن **ابن الصلاح** الشهرزوري (ت٦٤٣هـ)، تحقيق موفق عبد القادر، ط١، (١٤٠٧هـ)، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي **ابن حجر العسقلاني** (ت٨٥٢هـ)، بعناية محب الدين الخطيب وترقيم فؤاد عبد الباقي، ط١، (١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م)، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة السلفية لدى مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا.

ـ فتوح البلدان، للإمام المؤرخ أبي بكر أحمد بن يحيى **البلاذري** (ت٢٧٩هـ)، دار الهلال، بيروت، لبنان (١٩٨٨م).

ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، لعالم الأندلس الإمام أبي محمد علي بن أحمد **ابن حزم** الظاهري (ت٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ـ فضائل الصحابة، للإمام الحافظ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق وصي الله عباس، ط١، (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ الفقيه والمتفقه، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت **الخطيب البغدادي** (ت٤٦٣هـ)، تحقيق عادل العزازي، ط٢، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية.

ـ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، للمحدث محمد عبد الحي **الكتاني** (ت١٣٨٢هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط٢، (١٩٨٢م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ فهرسة اللبلي، للإمام المقرئ شهاب الدين أبي جعفر أحمد بن يوسف **اللَّبْلي** الفهري (ت٦٩١هـ)، تحقيق ياسين يوسف وعواد عبد ربه، ط١، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، دار الغرب الاسلامية، بيروت، لبنان.

ـ الفوائد، للإمام الحافظ أبي القاسم **تمام** بن محمد بن عبد الله البجلي الرازي (ت٤١٤هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط١، (١٤١٢هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- الفوائد، للحافظ أبي بكر القاسم بن زكريا المطرز (ت٣٠٥هـ)، تحقيق ناصر المنيع، ط١، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام الفقيه زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين القاهري المناوي (ت١٠٣١هـ)، ط١، (١٣٥٦هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر.
- قصر الأمل، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد يوسف، ط٢، (١٤١٧هـ، ١٩٩٧م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ط١، (١٤٠١هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق الشيخ محمد عوامة، ط١، (١٤١٣هـ، ١٩٩٢م)، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، المملكة العربية السعودية. مؤسسة علوم القرآن، جدة، المملكة العربية السعودية.
- الكامل في التاريخ، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق عبد السلام تدمري، ط١، (١٤١٧هـ، ١٩٩٧م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- الكامل في ضعفاء الرجال، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، (١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- كتاب السماع، للحافظ المؤرخ أبي الفضل محمد بن طاهر الشيباني المعروف بابن القيسراني (ت٥٠٧هـ)، تحقيق أبي الوفا المراغي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر.
- كشف الأستار عن زوائد البزار، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لمحدث الشام أبي الفداء إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني الدمشقي (ت١١٦٢هـ)، تاريخ النشر (١٣٥١هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.

- الكفاية في علم الرواية، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت **الخطيب البغدادي** (ت٤٦٣هـ)، تحقيق أبي عبد الله السورقي وإبراهيم المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- الكنى والأسماء، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، تحقيق عبد الرحيم القشقري، ط١، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- الكنى والأسماء، للحافظ المؤرخ الوراق أبي بشر محمد بن أحمد **الدولابي** (ت٣١٠هـ)، تحقيق أبي قتيبة الفاريابي، ط١، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للإمام المحدث علاء الدين علي بن حسام الدين عبد الملك **المتقي الهندي** (ت٩٧٥هـ)، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، ط٥، (١٤٠١هـ، ١٩٨١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١ ه)، تحقيق صلاح عويضة، ط١، (١٤١٧هـ، ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- اللباب في تهذيب الأنساب، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم **ابن الأثير الجزري** (ت٦٣٠هـ)، ط٣، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- لسان الميزان، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي **ابن حجر العسقلاني** (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط١، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.
- اللمع في أصول الفقه، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي الفيروزابادي **الشيرازي** (ت٤٧٦هـ)، ط٢، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المجتنى، للإمام اللغوي أبي بكر محمد بن الحسن **بن دريد الأزدي** (ت٣٢١هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.
- مجمع الأمثال، للإمام اللغوي أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم **الميداني** (ت٥١٨هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان **الهيثمي** (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، ط١، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.

ـ المجموع شرح المهذب، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف **النووي** (ت٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، من دون ذكر رقم الطبعة.
ـ مجموع الفتاوى، للعلامة تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم **ابن تيمية الحراني** (ت٧٢٨هـ)، تحقيق أنور الباز وعامر الجزار، ط٣، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، دار الوفاء، القاهرة، مصر.
ـ المخلصيات، للحافظ محمد بن عبد الرحمن **المخلِّص** (ت٣٩٣هـ)، تحقيق نبيل جرار، ، ط١، (١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
ـ المداوي لعلل الجامع الصغير، للعلامة أبي الفيض أحمد بن محمد بن الصديق **الغماري** (ت١٣٨٠هـ)، تحقيق مصطفى صبري، ط١، (١٩٩٦م)، دار الكتبي، القاهرة، مصر.
ـ المدخل إلى السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ)، تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي، (١٤٠٤هـ)، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، من دون ذكر رقم الطبعة.
ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، للإمام الحافظ عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد **اليافعي** اليمني (ت٧٦٨هـ)، تحقيق خليل منصور، ط١، (١٤١٧هـ، ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للإمام نور الدين أبي الحسن ملا علي بن سلطان محمد الشهير بـ**ملا علي القاري** (١٠١٤هـ)، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، للإمام القاضي أبي العباس أحمد بن يحيى **بن فضل الله** العدوي **العمري** (ت٧٤٩هـ)، تحقيق عبد الله بن يحيى السريحي، ط١، (١٤٢٣هـ)، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.
ـ المستخرج، للإمام الحافظ **أبي عوانة** يعقوب بن إسحاق النيسابوري الإسفراييني (ت٣١٦هـ)، تحقيق أيمن الدمشقي، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
ـ المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف **بابن البيِّع الحاكم** النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، ط١، (١٣٤٠هـ، ١٩٢١م)، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.
ـ مسند أبي داود الطيالسي، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن داود **الطيالسي** (ت٢٠٤هـ)، تحقيق محمد التركي، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)، دار هجر، القاهرة، مصر.

- مسند الإمام أحمد، للإمام الحافظ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، الطبعة الميمنية، (١٣١٣هـ).
- مسند ابن الجعد، للمحدث أبي الحسن علي بن الجعد الجوهري البغدادي (ت٢٣٠هـ)، تحقيق عامر حيدر، ط١، (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، مؤسسة نادر، بيروت، لبنان.
- مسند الروياني، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن هارون الروياني (ت٣٠٧هـ)، تحقيق أيمن علي أبو يماني، ط١، (١٤١٦هـ)، مؤسسة قرطبة، القاهرة، مصر.
- مسند الشاميين، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط١، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للإمام اللغوي أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي الفيومي (تنحو ٧٧٠هـ)، ط١، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان.
- المصنف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، (١٤٠٣هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- المصنف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط١، (١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م)، دار القبلة، جدة، المملكة العربية السعودية. مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سوريا.
- مطالع الأنوار على صحاح الآثار، للمحدث أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف ابن قرقول الوهراني (ت٥٦٩هـ)، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط١، (١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
- معالم أصول الدين، للإمام المفسر أبي عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- معاني القرآن وإعرابه، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط١، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- المعجم، للإمام الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي التميمي الموصلي (ت٣٠٧هـ)، تحقيق إرشاد الحق الأثري، ط١، (١٤٠٧هـ)، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان.
- المعجم، للحافظ المحدث أبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي ابن المقرئ الأصبهاني (ت٣٨١هـ)، تحقيق عادل بن سعد، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- معجم الأدباء، المسمَّى: «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، للإمام المؤرخ شهاب الدين أبي عبد الله **ياقوت** بن عبد الله الرومي **الحموي** (ت٦٢٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٤١٤هـ، ١٩٩٣م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- المعجم الأوسط، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **الطبراني** (ت٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن محمد وعبد المحسن الحسيني، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار الحرمين، القاهرة، مصر.
- معجم البلدان، للعلامة المؤرخ شهاب الدين أبي عبد الله **ياقوت** بن عبد الله الرومي **الحموي** (ت٦٢٦هـ)، عني به المستشرق وستنفيلد، ط٢، (١٩٩٥م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- معجم السفر، للإمام الحافظ صدر الدين أبي طاهر أحمد بن محمد **السلفي** (ت٥٧٦هـ)، تحقيق عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- معجم الشيوخ، للإمام الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله **ابن عساكر** الدمشقي (ت٥٧١هـ)، تحقيق وفاء تقي الدين، ط١، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، دار البشائر، دمشق، سوريا.
- معجم الصحابة، للحافظ المحدث أبي القاسم عبد الله بن محمد **البغوي** (ت٣١٧هـ)، تحقيق محمد الأمين الجكني الشنقيطي، ط١، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، مكتبة دار البيان، الكويت.
- المعجم الكبير، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **الطبراني** (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.
- معرفة الثقات، للحافظ أبي الحسن أحمد بن عبد الله **العجلي** (ت٢٦١ ه)، تحقيق عبد العليم البستوي، ط١، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- معرفة السنن والآثار، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، (١٤١٢هـ، ١٩٩١م)، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان. دار قتيبة، دمشق، بيروت. دار الوعي، حلب، دمشق. دار الوفاء، المنصورة، القاهرة.
- معرفة الصحابة، للإمام الحافظ **أبي نعيم** أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق عادل العزازي، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- المعرفة والتاريخ، للحافظ أبي يوسف يعقوب بن سفيان **الفسوي** (ت٢٧٧هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، (١٤٠١هـ، ١٩٨١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، للإمام النحوي جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق مازن المبارك ومحمد حمد الله، ط٦، (١٩٨٥م)، دار الفكر، دمشق، سوريا.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق محمد عثمان الخشت، ط١، (١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- مكارم الأخلاق، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط١، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الملل والنحل، للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي، القاهرة، مصر.
- مناقب الشافعي، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر الحسيني، ط١، (١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م)، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.
- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، للعلامة إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني (ت٦٤١هـ)، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ط١، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المنتخب من مسند عبد بن حميد، للإمام الحافظ أبي محمد عبد بن حميد بن نصر الكشي (ت٢٤٩هـ)، تحقيق صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، ط١، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، مكتبة السنة، القاهرة، مصر.
- المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، للحافظ المؤرخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني المروزي (ت٥٦٢هـ)، تحقيق موفق بن عبد الله، ط١، (١٤١٧هـ، ١٩٩٦م)، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، ط٢، (١٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- موجبات الجنة، للإمام الحافظ أبي أحمد معمر بن عبد الواحد **ابن الفاخر القرشي الأصبهاني** (ت٥٦٤هـ)، تحقيق ناصر الدمياطي، ط١، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م)، مكتبة عباد الرحمن، القاهرة، مصر.
- مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، للإمام المؤرخ جمال الدين أبي المحاسن **يوسف بن تغري بردي الحنفي** (ت٨٧٤هـ)، تحقيق نبيل أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.
- الموشى، للإمام الأديب أبي الطيب محمد بن أحمد **الوشاء** (ت٣٢٥هـ)، تحقيق كمال مصطفى، ط٢، (١٣٧١هـ، ١٩٥٣م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- موطأ الإمام مالك، لإمام دار الهجرة أبي عبد الله **مالك** بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد **الذهبي** (ت٧٤٨هـ)، تحقيق علي البجاوي، ط١، (١٣٨٢هـ، ١٩٦٣م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- الناسخ والمنسوخ، للإمام المفسر النحوي أبي جعفر أحمد بن محمد **النحاس المصري** (ت٣٣٨هـ)، تحقيق محمد عبد السلام محمد، ط١، (١٤٠٨هـ)، مكتبة الفلاح، الكويت.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، للإمام المؤرخ جمال الدين أبي المحاسن **يوسف بن تغري بردي الحنفي** (ت٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة، مصر.
- نزهة الألباب في الألقاب، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي **ابن حجر العسقلاني** (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عبد العزيز السديري، ط١، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للمحدث المؤرخ أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الحسني **الكتاني** (ت١٣٤٥هـ)، تحقيق شرف حجازي، ط٢، دار الكتب السلفية، القاهرة، مصر.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد **ابن الأثير** الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
- نهاية المطلب في دراية المذهب، **لإمام الحرمين** أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف **الجويني** (ت٤٧٨هـ)، تحقيق عبد العظيم الديب، ط١، (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية.

ـ هواتف الجِنَّان، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد الزغلي، ط١، (١٤١٦هـ، ١٩٩٥م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
ـ الوافي بالوفيات، للأديب صلاح الدين خليل بن أيبك **الصفدي** (ت٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.
ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للإمام المفسر أبي الحسن علي بن أحمد **الواحدي** (ت٤٦٨هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض وأحمد صيرة وأحمد الجمل وعبد الرحمن عويس، ط١، (١٤١٥هـ، ١٩٩٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، للإمام المؤرخ أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم **ابن خلكان** الإربلي (ت٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، (١٩٠٠)، دار صادر، بيروت، لبنان.
ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للإمام اللغوي أبي منصور عبد الملك بن محمد **الثعالبي** (ت٤٢٩هـ)، تحقيق مفيد قمحية، ط١، (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

* * *

محتوى الكتاب

* * *

* *